
زو مايسن
باسم الشعب
In The Name of People
رواية
بيع منه أكثر من 1.2 مليون نسخة
مكتبة الحبر الإلكتروني
@bookkn
d110d
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

باسم الشعب

In The Name Of People

زو مايسن

باسم الشعب

In The Name Of People

رواية

ترجمة
ماجد حامد



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

In the Name of the People

by Zhou Meisen

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2018 م - 1440 هـ

ردمك 978-614-02-3579-3

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

Lu Yike	لو ييك	رئيس شعبة التحقيقات الأولى في مكتب مكافحة الفساد التابع لنيابة المقاطعة ايتش
Hou Liangping	هوى ليانغ بينغ	مدير مكتب مكافحة الفساد التابع لنيابة المقاطعة ايتش
Sha Ruijin	شا روجين	أمين سر لجنة الحزب بالمقاطعة ايتش
Li Dakang	لي داكانغ	أمين لجنة الحزب في بلدية جينغتشو في المقاطعة إيتش
Gao Yuliang	قاو يوليانغ	نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية في المقاطعة ايتش
Qi Tongwei	تشى تونغ وى	مدير إدارة الأمن العام في المقاطعة ايتش
Gao Xiaoqin	قاو شياو تشين	رئيس مجموعة شانشوي
Ji Changming	جي تشانغ مينغ	النائب العام لبرلمان لمقاطعة إيتش
Chen Hai	تشن هاي	المدير السابق لمكتب مكافحة الفساد في النيابة في المقاطعة ايتش
Chen Yanshi	تشن يانشي	نائب المدير السابق لنيابة مقاطعة إيتش

Zhao Donglai	تشاو دونغلاي	مدير مكتب الأمن العام لبلدية جينغتشو في المقاطعة ايتش
Cai Chenggong	تساي قونغ	رئيس مصنع دافنغ الألبسة
Zheng Xipo	تشينغ شيبو	رئيس اتحاد عمال مصنع دافنغ للملابس
Zhao Lichun	تشاو ليتشون	السكرتير السابق للجنة مقاطعة ايتش، حاليا أحد القادة شبه الوطنيين
Zhao Ruilong	تشاو رويلونغ	ابن تشاو ليتشون
Liu Xinjian	ليو شينجيان	رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لمجموعة النفط والغاز في المقاطعة ايتش
Zhong Xiao'ai	تشونغ شياو	زوجة هوى ليانغ بينغ
Ouyang Jing	اويانغ جينغ	نائبة رئيس بنك جينغتشو سيتي في المقاطعة اتش، زوجة لي داكانغ
Liang Lu	ليانغ لو	زوجة تشي تونغ وى
Gao Xiaofeng	قاو شياو فنغ	شقيقة قاو شياو تشين الأصغر
Zhao Dehan	تشاو ديهان	مدير مشاريع وزارة حكومية معينة
Ding Yizhen	دينغ يجن	نائب عمدة مدينة جينغتشو في مقاطعة ايتش
Sun Liancheng	صن ليانتشينج	رئيس مقاطعة منطقة غوانغمينغ في مدينة

		جينغتشو في المقاطعة ايتش
Tian Guofu	تيان جوفو	أمين لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة ايتش
Wu Chunlin	وو تشونلين	وزير تنظيم
Yi Xuexi	يي تشوتشي	
Wang Dalu	وانغ دالو	رئيس مجموعة دالو
Zheng Shengli	تشينغ شنغلى	ابن تشينغ شيبو
Wang Wenge	وانغ وينج	قائد فريق الأمن في مصنع دافنغ للملابس
Zhang Shuli	تشانغ شولي	أمين لجنة بلدية جينغتشو للتفتيش التأديبي في المقاطعة ايتش
Xiao Gangyu	شياو جانو	النائب العام في بلدية جينغتشو في المقاطعة ايتش
Chen Qingquan	تشن تشينغ تشيوان	نائب رئيس قضاة محكمة الشعب المتوسطة في مدينة جينغتشو في المقاطعة ايتش
Liu Qingzhu	ليو تشينغجو	المدير المالي لمجموعة شانشوي

1

كاد هوى ليانغ بينغ أن يثب من مقعده حانقا عندما علم أنّ الرحلة أجّلت إلى وقت غير محدد. لقد خطط في الأصل للّحاق بآخر رحلة ليلية متوجّهة إلى مقاطعة إيتش لتنسيق عملية اعتقال دينغ يجن نائب عمدة مدينة جينغتشو، لكن كلّ خططه ضاعت الآن هباء. أتى صوت المذيعة عبر مكبرات الصوت مرة بعد أخرى بإخطار اعتذاري معلنا باللغتين الصينية والإنكليزية أنّ هناك عاصفة رعدية فوق المطار، وأنّ الطائرة غير قادرة على الإقلاع مؤقتا من أجل سلامة الركاب.

اندفعت نقاط عرق صغيرة على جبين هوى ليانغ بينغ. وهو الذي يعرف معنى أن يكون المرء محتجزا في المطار، وهو سيضطر لتجربة ذلك مرة أخرى.

في تلك اللحظة، ظهرت خريطة الطقس على شاشة التلفاز الكبيرة، هناك سحب بيضاء كثيفة تدور مثل دوامة تنذر بالسوء. كانت الترجمة على الشاشة تبث معلومات عن الطيران: "كيف تعرّض العواصف الرعدية سلامة الطيران للخطر وكيف أنّ الخوض في العواصف الرعدية أدى إلى تحطم الطائرات من قبل". لكن كل ذلك لم يكن قادرا على أن يهدّئ مخاوف أحد، بدا أنّ صالة المغادرة قد تحولت إلى خلية نحل عملاقة، وانطلقت أصوات الهمهمة والطنين من كل الاتجاهات. تجمع الركاب حول أطقم المطار في كل منافذ تسجيل المسافرين، محدثين الفوضى باستفساراتهم عن وقت المغادرة المحتمل لرحلاتهم، متسائلين عن حزم التعويضات وما إلى ذلك. لكن هوى ليانغ، ومن دون أن يسأل، كان على يقين من أمر واحد: لن يكون بإمكانه الطيران إلى أي مكان طالما أن العاصفة الرعدية تحوم في الأفق.

غادر هوى ليانغ بانغ صالة المغادرة بخطى سريعة ووجد بقعة منعزلة حيث أجرى اتصالا بعد آخر. رئيس النيابة العامة لمقاطعة إيتش، جي تشانغ مينغ، هاتفه مغلق. مدير مكتب مكافحة الفساد في مقاطعة إيتش، تشن هاي، هاتفه مغلق. عندما يكون في أشد الحاجة إليهم، يختفي الجميع تماما. يعلم هوى ليانغ بينغ بالطبع أنهم لم يختفوا فعليا، لكنهم كانوا في اجتماع طارئ يقدمون فيه تقريرا عن قضية دينغ يجن إلى نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية في مقاطعة إيتش، قاو يوليانغ.

بشكل عام، يتوجب على الجميع إبقاء هواتفهم مغلقة، لكنّ هوى ليانغ بينغ يتمنى أن يصدق ظنه بأن تكون هواتفهم مغلقة عمدا. كونه مدير قسم التحقيق في مكتب مكافحة الفساد المركزي التابع للنيابة الشعبية العليا، يؤكد هوى ليانغ بينغ باستمرار على شيء واحد أمام زملائه في مقاطعة إيتش، إلى درجة الاستجداء هي أن ينفذوا عملية الاعتقال التي يقومون بها، ثم ليعقدوا الاجتماعات فيما بعد. نائب العمدة دينغ هذا كان مهما جدا، فهو حجر الزاوية في قضية الرشوة الخاصة بتشاو ديهان التي حلّتْ مؤخرا. وفي حال لاذ بالفرار بسبب معلومات مسربة، ربما يختفي الكثير من أسرار دوائر مقاطعة إيتش البيروقراطية في بحر مظلم عميق، ولا يسمع عنها شيء مرة أخرى.

لم يكن هوى ليانغ بينغ راضيا بشكل خاص عن زميل دراسته السابق، تشن هاي. فقد أصدر تعليماته له بشكل خاص كي لا يبلغ عن هذا الأمر، قبل أن يلقى القبض على دينغ يجن أولا. لكنّ تشن هاي كان جبانا، وبالرغم من بعض الأخذ والرد، انتهى الأمر به مبلغا عن الأمر. هذا بالضبط لأنّ ليانغ بينغ كان خائفا من أنّ التأخير الذي لا مبرر له ربما يتسبّب بمشاكل جمة، وأول شيء فعله بعد القبض على تشاو ديهان هو محاولة اللحاق بالطائرة المتجهة إلى مقاطعة إيتش، لكنه احتجز على نحو غير متوقع جرّاء العاصفة الرعدية.

لاحظ هوى ليانغ بينغ فجأة أنّ الهدوء ساد في الخارج تماما، فلا رياح ولا مطر، حتى الضجيج الصادر من باصات نقل الركاب القادمين والمغادرين اختفى. أين كانت العاصفة الرعدية؟ ومن أين قدمت؟ خرج راكضا من صالة المغادرة ونظر إلى الأعلى نحو السماء. رغم أن السماء كانت ملبدة بغيوم تحجب النجوم والقمر إلا أنه لم يكن هناك برق مرئي ولا حتى رعد يسمع. لابدّ وأنّ الطائرات قد عوقبت عن طريق الخطأ! صدف أن مرّ أحد أفراد طاقم المطار بجانبه، فأوقفه هوى ليانغ بينغ، وطرح عليه السؤال الذي في باله. هذا الرفيق القديم الذي كان متقدما في العمر،

نظر إليه نظرة معبرة وقال بطريقة فلسفية: "عندما تنظر إلى الأشياء، لا تنظر إلى الشكل الخارجي فقط. هل بإمكانك رؤية العالم وراء الغيوم؟ دائما هناك عاصفة مختبئة وراء الهدوء". حدّق هوى ليانغ بينغ بدهشة إلى الشخص الذي انصرف عنه وكأنه سمع نوعا من تعبير مجازي أدى إلى تزاحم كثير من الأفكار في رأسه...

لقد تخرج هوى ليانغ بينغ من جامعة إيتش، قسم العلوم السياسية والقانونية. وتوزّع أساتذته وزملاء صفه في الدوائر البيروقراطية لمقاطعة إيتش، ولذا اهتم بالمقاطعة بشكل خاص. كانت كرة ثلج مكافحة الفساد تتدحرج في كافة أنحاء البلاد، لكنّ مقاطعة إيتش كانت هادئة على نحو مستغرب. وعلى مر السنين بقيت موجات الشائعات في معظمها مجرد أقاويل. لقد أدرك بالطبع أنّ هذا وهم، تماما مثل العين المجردة التي لا تستطيع رؤية العالم وراء الغيوم، ولا تستطيع أن ترى الظلال التي تختبئ تحت أشعة الشمس. بدا تقريبا وكأنّ دينغ يجن قد برز إلى السطح صدفة. في حال لم تورطه قضية تشاو ديهان المزلزلة، فمن الصعب الحصول على دليل دامغ ضده حتى مع مرور الوقت.

يعرف مدير شعبة التحقيقات هذا أهمية التوقيت تماما. غالبا ما يفصل بين النجاح أو الفشل خطوة واحدة حاسمة، وكان هوى ليانغ بينغ قلقا. لكن القلق لا يفيد عندما تحجب عاصفة رعدية السماء.

عبر الحاجز الأمني مرة أخرى، وعاد إلى صالة المغادرة. كان الضجيج يعم الصالة، لكنه أجبر نفسه على الهدوء. أخذ بضع رشفات من براد المياه الجانبي، وجلس على مقعد خال، وأغمض عينيه كي يستعيد رباطة جأشه. وبتوقيت رائع، تخيل شكل تشاو ديهان أمام عينيه، ولم يستطع تجنب الغرق مرة أخرى في ذكريات تشاو ديهان. ففي الليلة الماضية، بينما كان هذا الرجل يتناول طبقا كبيرا من نودلز فول الصويا، فتح بابه الخشبي القديم عنوة. لقد أتى هوى ليانغ بينغ كمندوب عن القدر ليقرع باب الموظف الفاسد هذا.

كان لهذا الموظف الفاسد وجه بسيط وصادق، ولم يبد من النظرة الأولى مثل كادر حكومي حقا، بدا أكثر شبها بمزارع عجوز أتى لتوه من الحقول. لكنّ هذا المزارع كان هادئا، ولم يبد منزعجا على الإطلاق. أدرك هوى ليانغ بينغ حقيقة الأمر على الفور إنه شخص يملك سلطة حقيقية بين يديه منذ وقت طويل. بالطبع، ربما توقع مشهد هذا اليوم منذ زمن طويل، وكان مستعدا له ذهنيا.

ما لم يتوقعه هوى ليانغ بينغ ببساطة هو أنّ مدير مشاريع إحدى الوزارات - الذي أبلغ عنه مخبر مجهول بأنه قبل ملايين اليوانات كرشى - قد يعيش حقا في هذا المكان البائس.

هذه الشقة في الأصل ملكية مشتركة، لكنها تحولت الآن إلى سكن خاص، وهي بحدود سبعين مترا مربعا وفي حالة سيئة. كان الأثاث قذرا وبدا أنه يعود إلى الزمن الذي تزوج فيه تشاو ديهان، كما أنّ حواف الأرائك كانت مهترئة جدا. هناك بعض أزواج الأحذية مبعثرة في المدخل والتي لن يلتقطها أحد حتى لو كانت مرمية في الشارع. المرحاض داخل الحمام يسرّب المياه ويصدر صوت "قطرات تتساقط" كل ثانيتين أو ثلاث. وكذلك كان صنبور المطبخ ينقّط، لكنّ ذلك لم يبد مثل تسرب للمياه، بل بالأحرى سرقة مياه متعمدة. كان الدليل واضحا، فقد جمع حوض الغسيل تحت الصنبور، نصف حجم الحوض من المياه النظيفة مجانا.

نظر هوى ليانغ بينغ حوله وهزّ رأسه وابتسم ساخرا. كان هذا المدير أكثر سوءا من عامة الشعب.

وكأنه يعبّر عما يجول في خاطره، اشتكى تشاو ديهان بينما كان يأكل آخر طبق من نودلز فول الصويا سوف يتمتع به وهو حر فقال: "كيف يأتي مكتب مكافحة الفساد قاطعا كل هذه المسافة إلى هنا ليلاحق موظفين فاسدين؟ حسنا، كم من الموظفين الفاسدين الذين تعرفهم يعيشون في مكان كهذا؟ بناء قديم، في الطابق السابع، وليس هناك حتى مصعد. في حال كان كل الموظفين الفاسدين في مثل هذا الوضع، عندئذ يستطيع عامة الشعب أن يطلقوا المفرقعات النارية ويهنّئوا أنفسهم". لقد اختنق صوته بالنودلز التي في حنجرته فخرج مكتوما بعض الشيء.

"بالتأكيد، بالتأكيد، يا تشاو العجوز، انظر كم أنت مقتصد، فأنت تكتفي بطبق واحد من نودلز فول الصويا على العشاء".

استمتع تشاو ديهان بكل لقمة ثم قال: "حسنا، هذا ما تحصل عليه عندما تكون ابن مزارع".

ضغط هوى ليانغ بينغ على لسانه فخرج صوته عاليا ومبالغا به: "يا إلهي أيها العجوز تشاو، لكن أنت مدير".

ضحك تشاو ديهان مستنكرا: "ما الفائدة من كونك مديرا في بكين؟ فحجر واحد يمكن أن يقضي على مجموعة كاملة من المدراء".

عبّر هوى ليانغ بينغ عن موافقته قائلا: "بالتأكيد هذا صحيح، لكنّ ذلك يعتمد على القسم الموجود فيه أنت. أيها العجوز تشاو، هناك كثير من السلطات في قسمك. قال أحدهم منذ فترة إنك لن تقايض عملك حتى لو عينت وزيرا، هل أنا على حق؟".

بدت علائم الجدية على وجه تشاو ديهان وهو يقول: "كمية السلطة ليست بذات أهمية، أليس كل شيء من أجل خدمة الشعب؟ هل كل أولئك الذين يملكون صلاحيات واسعة هم فاسدون بشكل تلقائي؟ بإمكانكم جميعا أن تروا ظروف معيشتي هنا، فلا تهدروا وقتكم علي".

أثبتتْ حقيقة خروجهم خالي الوفاض بعد قيامهم بالتفتيش أنهم كانوا يضيعون وقتهم الثمين فعلا. ابتسم هوى ليانغ بينغ معتذرا لتشاو ديهان وقال: "حسنا، يبدو فعلا أننا فهمنا الأمر بطريقة خاطئة عندما تتكلم بهذا الشكل؟ كيف ينتهي الأمر بنا بمنزل مثالي مكافح للفساد كهذا؟". وبحس دعابة عال، مدّ تشاو ديهان يده البضة مودّعا فقال: "أيها المدير هوى، إلى اللقاء".

لدى هوى ليانغ بينغ حس دعابة أيضا، أمسك بيد تشاو ديهان وقال: "لكن أيها المدير تشاو، نظرا لوجودي هنا الآن، يصعب علي أن أغادر بسرعة، دعنا ننتقل إلى المحطة التالية". وبقوله هذا، أخرج بطاقة دخول إلكترونية بيضاء ثم توجه إلى طاولة عائلة تشاو ووضعها في جيب سترة تشاو ديهان.

ارتعب تشاو ديهان، فأخرج البطاقة من جيبه بسرعة وقال: "ماذا... ماذا يحدث هنا؟".

"إنه المفتاح الإلكتروني الخاص بقصرك في الحدائق الإمبراطورية، شكرا لتعاونك الدائم مع مهامنا الرسمية".

اختفى حس دعابة تشاو ديهان على الفور، وسقط على الأرض...

فتح هوى ليانغ بينغ عينيه فجأة، فقد اعترت صالة المغادرة فورة من الحماس. كان العديد من الناس يتوجهون نحو بوابات متعددة للصعود إلى الطائرات. افترض هوى ليانغ بينغ أنّ الطائرات على وشك الإقلاع، فأسرع نحو بوابة الصعود إلى الطائرة، ليدرك فقط أنّ الأمر كله سوء

تفاهم رائع. فقد كان طاقم المطار يخرج وجبات طعام مغلفة لجميع الركاب، لكن لم يكن لهوى ليانغ بينغ أي شهية للأكل فعاد بمرارة إلى مقعده الأصلي.

رنّ جرس هاتفه، فلمعت عيناه من نظرة واحدة. كان تشن هاي هو المتصل.

صرخ هوى ليانغ بينغ قائلا: "هل انتهى كل شيء؟ حان وقت التحرك أليس كذلك؟! أنت تقول إنّ القيادة منقسمة، حسنا هم أبلغوا الأمر للأمين الجديد للجنة الحزب الإقليمية... تشن هاي، أيها المدير القدير تشن، أنا أقول لك الآن مباشرة: عندما قبض على تشاو ديهان، أفشى بأسماء أكثر من مائة شخص قبض عليهم بتهمة الرشوة، وهذه الرشى الذي قدّمها دينغ يجن من قبل تصل إلى عشرة ملايين يوان تقريبا، ولذا يجب أن تكون كمية الرشى التي قبلها دينغ يجن هائلة".

قال تشن هاي: "ما من شيء أستطيع القيام به، من أنا لأقول أي شيء؟ إضافة إلى ذلك، لم يقدّم مكتب مكافحة الفساد الخاص بك لنيابتنا الإقليمية حتى الآن إجراءات التوقيف الخاصة بدينغ يجن". ضرب هوى ليانغ بينغ الأرض بقدمه بصبر نافد وقال: "لقد انتهت الإجراءات مسبقا، فهي هنا في حقيبتي". "حسنا، أسرع وتعال إلى هنا. ألم تصل إلى المطار منذ وقت طويل؟ يا قرد، ينبغي عليك أن تدعنا نلتزم بالقانون". شعر هوى ليانغ بينغ بالدوار. "هل تعرف ماهي العاصفة الرعدية؟ إنها عاصفة تلوح في الأفق لكنك لا تراها ولا تسمعها. انس الأمر، انس الأمر، فأنا لست بحاجة كي أبرر تصرفاتي لك. حسنا، أين دينغ يجن الآن؟ ما الذي ينوي فعله؟ من هو المسؤول عن مراقبته لأجلي؟".

كأنه يستشهد من نص مكتوب، قال تشن هاي: "إنّ دينغ يجن يعقد اجتماعا تنسيقيا في دار الضيافة الحكومي في جينغتشو من أجل مشروع بحيرة غوانغمينغ. هناك وليمة طعام الليلة، حيث سيثمل دينغ يجن. لقد أرسلت رئيسة شعبة التحقيقات الأكثر كفاءة لدينا، لو ييك، إلى المكان. ما إن تصل لجنة الحزب الإقليمية إلى قرار، بإمكان اتصال هاتفي واحد أن يطيح بدينغ يجن...".

"... أوه أنا آسف، لقد طلب الأمين جاو التعليمات من الأمين الجديد، سنبدأ اجتماعا آخر". قال تشن هاي آخر جملة بصوت منخفض وأنهى المكالمة بسرعة.

اجتماعات، اجتماعات، سوف أقول لك أين يجب أن تضع تلك الاجتماعات... بالرغم من أنه سليط اللسان، إلا أنّ هوى ليانغ بينغ كان مطمئنا. كان تشن هاي موثوقا ونزيها، وكونه مديرا لمكتب

مكافحة الفساد في مقاطعة إيتش منذ سنوات عديدة، فهو يبقى من ذوي الخبرة إلى حدّ ما.

تنهدت امرأة بجانب هوى ليانغ بينغ وقالت: "أوه، متى سنتمكن من الإقلاع...".

كثيرة هي الأشياء التي شغلت بال هوى ليانغ بينغ، ولم يكن مستعدا لخوض أي محادثة، فأسند رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه.

ما إن أغلق عينيه، حتى أخذ يفكر بتشاو ديهان.

لم يستطع هوى ليانغ بينغ نسيان هذا الموظف الفاسد حتى لو أراد ذلك. فالبحث داخل قصر الحدائق الإمبراطورية كان صادما جدا وحسب، لقد فاق مخيلة وخبرة هوى ليانغ بينغ السابقة بما لا يقاس.

انهار تشاو ديهان كليا، لقد حمله شرطيان إلى داخل قصره في الحدائق الإمبراطورية. كان القصر فارغا ليس فيه أي أرائك أو طاولات أو كراسي أو ملابس أو أدوات مطبخ. الستائر السميكة حجبت كل الضوء الخارجي، كما غطّت طبقة رقيقة من الغبار الأرضيات. من الواضح أنّ أحدا لم يعش هنا أبدا. في حال فضّل تشاو ديهان العيش في منزل قديم رث ولم يأت أبدا ليستمتع بهذا، فما الفائدة من مثل هذا القصر؟ جال هوى ليانغ بينغ بعينيه على صف طويل من خزائن يصل ارتفاعها إلى السقف على طول الجدار. قدّم تشاو ديهان مجموعة من المفاتيح وفتح رجال الشرطة أبواب الخزائن واحدة تلو الأخرى. لقد تكشّفت ذروة النشوة فجأة أمام الجميع...

ثمة رزم من الأوراق النقدية القديمة والجديدة مكومة بترتيب طبقة فوق أخرى تملأ الخزائن، مشكلة جدارا من النقود. ربما كان هذا مشهدا لا يرى إلا في سرداب بنك كبير فقط أو في مشهد حلم في دراما تليفزيونية من الدرجة الثالثة. كان مشهد النقود المكدسة مذهلا. صعب تحمّل الصدمة. كان رجال الشرطة ومن ضمنهم هوى ليانغ بينغ، في حالة ذهول.

"يا إلهي، يا تشاو ديهان، كنت أظن أنك جشع، لكني لم أتخيل أنك بهذا الجشع، كيف لمدير صغير مثلك أن يحصل على مثل هذه الكمية من النقود؟ ألست بارعا جدا فيما تفعله؟". لم يحاول هوى ليانغ بينغ أن يكون ساخرا.

هنا بدأ تشاو ديهان بالبكاء، ليس بدافع الخوف وحسب، لكن أيضا بدافع الحزن فقال: "أيها المدير هوى، أنا لم أنفق ولا قرش واحد حتى، لم أستطع التخلي عن النقود فحسب، ناهيك عن ذكر الخوف من التعرض للفضيحة، وأنا... أنا آتي فقط كي أنظر إليها...".

كانت الحالة النفسية للمتهمين تذهل هوى ليانغ بينغ فقال: "تأتي للنظر إليها؟ هل تبدو هذه الأوراق النقدية جميلة بالنسبة إليك؟".

نظر تشاو ديهان نحو الخزائن بعينين حالمتين وقال: "نعم، جميلة جدا. كنت أحب وأنا طفل في الريف أن أنظر إلى الحقول المتنوعة، وغالبا ما كنت أجثم على طرف أحد الحقول وأنظر إليه حتى منتصف النهار. أحب أن أتناول نودلز فول الصويا، لكني أحب أن أنظر إلى سنابل القمح في الحقول أكثر. إنها تبدأ بالتبرعم وتطول سوقها، وبعدئذ تنضج لتكون سنابل قمح ذهبية... أنا أنظر وأنظر، ولا أعود أشعر بالجوع بعد ذلك". ادعى تشاو ديهان، أنه ابن مزارع. يتحدّر من سلالة مزارعين، ويخشى من الفقر، ومثل النظر إلى القمح، أعطاه النظر إلى الأوراق النقدية راحة البال والرضا الروحي. بعد التحديق لفترة طويلة جدا، قد يتبرعم حقل رائع من سنابل القمح الذهبية اللامعة من داخل الأوراق النقدية...

يا للعجب، كان هذا الرجل غريب الأطوار حقا، حتى أنّ بإمكانه أن يعطي الجشع طابعا حالما.

تذكر هوى ليانغ بينغ فجأة أنّ لدى تشاو ديهان أم تبلغ الثمانين أو نحو ذلك من العمر تعيش وحدها في الريف، ولذا سأل تشاو ديهان فيما إذا كان يرسل إليها نقودا. أجاب تشاو ديهان بنعم، وأنه كل شهر يرسل لها ثلاثمائة يوان. غالبا ما كان يتشاجر مع زوجته بشأن تلك الثلاثمائة يوان أيضا، لأنها لم تكن تعرف بشأن ثروته السرية. لقد أراد من أمه أن تأتي لتعيش معهم، لكنه لم يجرؤ على ذكر قصره في الحدائق الإمبراطورية. فمنزله صغير جدا ولا يمكنه أن يتسع لها. لحسن الحظ، لم تحب أمه المدينة، فقد أتت وألقت نظرة على المكان، ثم غادرت بسرعة بعد ذلك. لقد أراح تشاو ديهان نفسه بالقول: "أرسل ثلاثمائة يوان لها في كل شهر، هذا يكفي تماما".

فجأة غضب هوى ليانغ بينغ وقال: "أنت تمتلك كل هذه النقود، وتعطي أمك ثلاثمائة يوان فقط لمصاريف المعيشة! قصر ضخم كهذا فارغ، ولا تجلب أمك لتعيش فيه! أهكذا ترد الجميل للأم

التي قاست الأمرين كي تربّيك؟ وأنت تستمر في الحديث عن كونك ابن مزارع. هل لمزارعينا مثل هذا الحظ السيئ هل هم مضطرون لتربية أبناء جاحدين مثلك؟".

بدأ تشاو ديهان بالبكاء والتباكي مرة أخرى، عار شديد مكتوب على وجهه، ويقول باستمرار إنه كان على خطأ، وأنه ارتكب خطأ كبيرا، وهو يعتذر من الحزب والشعب، فهو لم يكن جديرا بالثقة التي منحه إياها التنظيم...

"هذا يكفي، هل درّبك التنظيم على ملء جيوبك بهذا الشكل؟ دعنا نسمع، كيف جلبت هذا القدر من النقود؟".

هزّ تشاو ديهان رأسه، فهو حقا لا يستطيع تذكر كيف حصل ذلك حقا. وعندما بدأ بالكلام، لم يعد يستطيع التوقف وحسب. لقد مضى على توليه هذا المنصب أربع سنوات، وعندما كان هناك نقود، حصدها كما يحصد القمح، شعر وكأنه في حلم تقريبا، لم ير فيه سوى سنابل قمح ذهبية....

سأله هوى ليانغ بينغ وهو يشير إلى الخزائن: "هل يمكنك أن تقدر كم تبلغ هذه النقود؟".

أجاب تشاو ديهان: "أوه، أتذكر ذلك: هناك مائتان وتسعة وثلاثون مليونا وخمسمائة وأربعة وخمسون ألفا وستمائة يوان".

ربّت هوى ليانغ بينغ على كتفيه وقال: "يا لها من ذاكرة حادة تلك التي لديك، دقيقة حتى إلى مرتبة المئات".

أجاب تشاو ديهان: "يبقى خطّ اليد السيئ أفضل من الذاكرة الجيدة. كما تعلم أيها المدير هوى، أنا أحب الحسابات. بدءا من الشخص الذي أعطاني كمية من النقود إلى الوقت والمكان، فأنا أسجّل كل ذلك بشكل واضح".

جحظت عينا هوى ليانغ بينغ وتساءل على الفور: "حسنا أين تخفي دفاتر الحسابات؟".

تردد تشاو ديهان لبرهة، ثم أشار إلى السقف وقال: "إنها موجودة في غرفة النوم الرئيسية فوق السقف المستعار".

انطلق الشاب هان بسرعة، ثم عاد بعد وقت قصير وهو يحمل كدسة من الدفاتر الملفوفة بأكياس من النايلون.

قلّب هوى ليانغ بينغ صفحات أحد دفاتر الحسابات ولم يسعه سوى التعجب والقول: "تقديرك عظيم لقيمة الضريبة، هل درست إدارة الحسابات؟".

تذمّر تشاو ديهان قائلا: "كلا، درست علم المناجم، وتعلمت الحسابات بنفسي".

"أيها العجوز تشاو، أنت موهبة حقيقية، لقد وصلت بالتعليم الذاتي إلى مستوى جديد تماما، أكاد أن أقبّلك بسبب ذلك".

سأل تشاو ديهان بطريقة تدعو للرثاء: "أيها المدير هوى، إذا... إذا هل يعتبر هذا خدمة جديرة بالتقدير؟".

"هذا رهن بالمحكمة. أيها العجوز تشاو، كيف وصل بك الأمر إلى هذا الحد؟ لماذا أنت بهذا القدر من الجشع؟".

استشاط تشاو ديهان غيظا فقال: "أريد أن أبلّغ عن أحد الأشخاص، أنا أبلّغ عن نائب عمدة مدينة جينغتشو، دينغ يجن، بسبب رشوة الناس من أجل تقديم الرّشى لي في ست مناسبات. تبلغ قيمة هذه الرشى جميعها خمسة عشر مليونا وثلاثمائة وستة وعشرين ألف يوان، لو لم تكن المرة الأولى التي أعطاني فيها بطاقة بنكية فيها خمسمائة ألف يوان، لما وصل الأمر إلى هذا الحد، أيها المدير هوى، أعطني قلما وورقة، دعني أدوّن هذه الدروس المؤلمة بكل صدق، دعنا نبق صفارة الإنذار مسموعة ونظهر للرفاق الآخرين أنّ عليهم عدم تكرار هذه الخطيئة أبدا ولو بعد مليون سنة، أوه، كلا، كلا، أقصد هذه الجريمة...".

"حسنا، سيتسنى لك الكثير من الوقت لتكتب ذلك في السجن". أغلق هوى ليانغ بينغ دفتر الحسابات واتجه نحو المرحلة التالية. قال لرجاله وهو يبرز مذكرة اعتقال: "حسنا، اقبضوا على حاصد القمح هذا".

تقدّم الشابين هان ولو ورفعا تشاو ديهان عن الأرض. بعد أن وقّع اسمه، كبلاه، وبعد ذلك بقي تشاو ديهان المكبّل جاثما على الأرض شاحبا شحوب الموتى.

أمر هوى ليانغ بينغ رجاله بإفراغ الخزائن، وبعد لحظات تكوم جبل من النقود في غرفة المعيشة. وبينما كان يدور حول جبل النقود، أخرج هاتفه الخلوي وأبلغ موظف النيابة العامة المناوب لكي يأتي ويبدّل المناوبات. كذلك طلب الاتصال بالبنك لجلب عدادات نقود أخرى معهم. كان جدول أعمالهم ضيق جدا، بالفعل أرسل البنك اثنتي عشرة آلة عدّ نقود. احرقوا ست آلات منها على نحو غير متوقع.

وصل الموظف البديل بسرعة، كما أمر هوى ليانغ بينغ الشاب هان والآخرين بأخذ تشاو ديهان بعيدا من هناك.

وقف تشاو ديهان المرتجف بمساعدة الشاب هان على قدميه ومشى باتجاه الباب. إلا أنه التفت فجأة، وسأل هوى ليانغ بينغ بشكل مثير للشفقة: "أيها المدير هوى، أنا... أنا أريد أن أقوم بجولة... هل بإمكاني القيام بجولة أخيرة في هذا المنزل؟ بعد أن أغادر المكان، فمن المؤكد أنه لن يتسنى لي العودة إليه أبدا".

رغم استصعابه للأمر، هزّ هوى ليانغ بينغ رأسه بابتسامة ساخرة وقال: "حسنا إذا، ألق نظرتك الأخيرة".

تجوّل تشاو ديهان المكبّل اليدين في القصر، ولاحت عليه سمة الشخص الذي لن يتمكن من إبعاد نفسه عنه، بدا الأمر وكأنه ينقش كل تفصيل من تفاصيل القصر في دماغه. أخيرا، وفي وسط غرفة المعيشة، فقد تشاو ديهان رباطة جأشه وقفز نحو جبل النقود - ربما تخيله تلة من حبوب القمح - وانفجر باكيا. داعبت يداه المكبلتان بالأصفاد الأوراق النقدية القديمة والجديدة، بينما جسده ويداه يرتعشان بعنف. الفشل في الحياة هو فقدان كل ما يمتلكه المرء، وكل هذا كلّفه أخلاقه وضميره وشخصيته. وفي النهاية كان كل ذلك هباء، يا لها من مأساة.

اقشعرت الأبدان لصرخات تشاو ديهان الصاخبة، وقد تردّد صداها داخل القصر لوقت طويل...

أخيرا، عند الساعة الرابعة، ظهرت الأخبار الجيدة، ذلك أنّ العاصفة الرعدية فوق بكين قد انحرفت، وبإمكان الطائرات أن تقلع من جديد. تنفّس هوى ليانغ بينغ الصعداء، وتبع الحشود التي

تجمّعت أمام بوابات الصعود إلى الطائرات.

ما يجب أن يمضي سيمضي في نهاية المطاف، وما يجب أن يأتي سيأتي دائما. لقد انحسرت العاصفة الرعدية عن بكين، كان خائفا من أن يكون دور مقاطعة إيتش قد حان في الرعد والبرق. لدى هوى ليانغ بينغ حدس مسبق بأنّ عاصفة مكافحة الفساد في مقاطعة إيتش كانت في طريقها، وأنها ربما تأخذ في طريقها بعضا من زملاء دراسته وأساتذته. بدءا بدينغ يجن، فالشائعات في مقاطعة إيتش لن تبقى بعد الآن شائعات، ولن تقف لتكون مجرد شائعات أبدا مرة أخرى...

2

دينغ يجن هو مفتاح هذه القضية الأساسي، ولذا فإنّ القبض عليه كان أمرا بالغ الأهمية. أدرك تشن هاي هذا، لكن يبدو أنّ رئيس النيابة جي تشانغ مينغ لم يوافق على ذلك. أو أنه فهم الأمر، لكنه يدّعي الجهل لأنّ المخاطر عالية. توسل تشن هاي عمليا رئيسه المباشر بقوله: "لقد أمر هوى ليانغ بينغ بعملية الاعتقال هذه نيابة عن مكتب مكافحة الفساد المركزي، ولا يمكن تجاهلها. ففي حال حصل خطأ بطريقة ما، سيقع اللوم على مكتبنا الإقليمي الخاص بمكافحة الفساد". بقي جي تشانغ مينغ مصرا على إبلاغ الأمر إلى قاو يوليانغ، نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية فقال: "بصراحة، النيابة العامة في مقاطعة إيتش تتبع للجنة الحزب الإقليمية، ولذا من غير اللائق إلقاء القبض على كادر بمستوى بلدي دون استشارة اللجنة أولا. وأكثر من ذلك، حتى الآن، ليس لدينا أوامر بالقبض من النيابة الشعبية العليا، أليس من الطيش اتخاذ إجراء بسبب مجرد اتصال هاتفي؟".

كان جي تشانغ مينغ على معرفة جيدة بهوى ليانغ بينغ وبقي يقول، هذا "القرد" وذلك "القرد"، إلى درجة شعر فيها تشن هاي باليأس. لم يكن أمامه أي خيار سوى أن يأمر لو ييك، رئيسة شعبة التحقيقات الأولى بترأس الفريق ومراقبة دينغ يجن عن قرب.

أخذ قاو يوليانغ، نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية، تقرير النيابة العامة على محمل الجد، واستدعى الكوادر ذات العلاقة إلى مكتبه من أجل عقد اجتماع في الليلة ذاتها. عندما وصل جي تشانغ مينغ وتشن هاي إلى المبنى رقم 2 في مجمّع لجنة الحزب الإقليمية، كان المبنى مشعا بالأضواء في الداخل، وأعضاء الطاقم يدخلون ويخرجون، وكأنها ساعات عمل نهارية. دخل الرجلان المكتب، وإلى جانب قاو يوليانغ، حضر شخصان من ذوي

الرتب العليا: عضو اللجنة الدائمة للجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الحزب في بلدية جينغتشو التابعة لمقاطعة إيتش، لي داكانغ، ومدير إدارة الأمن العام الإقليمي، تشي تونغ وى. رمق جي تشانغ مينغ تشن هاي بنظرة معبرة وكأنه يريد أن يقول: "انظر هل تعتقد أنه من الجيد لنا التغاضي عن الإبلاغ عن مثل هذا الأمر الحساس؟!".

تقدّم جي تشانغ مينغ وصافح قاو يوليانغ ثم قال بصوت منخفض: "مرحبا أيها البروفيسور". ورغم أنّ قاو يوليانغ كان في الستينات من العمر، إلا أنه بقي محافظا على قوامه، والابتسامة الدائمة على وجهه. بدا مثل بيروقراطي مخضرم خبير بفن التايتشي، لكنه في الحقيقة كان من الكوادر العلمية، رجل قانون. كان في بداية حياته عمدة قسم القانون والسياسات في جامعة إيتش، وكان تشن هاي أحد طلابه، كما أنّ مدير إدارة الأمن العام الإقليمية تشي تونغ وي وهوى ليانغ بينغ في بكين هما من طلابه المفضلين أيضا. لدى الأمين قاو طلاب في كل مكان.

وضّح جي تشانغ مينغ الوضع للجميع. استمع قاو يوليانغ ولي داكانغ بصمت الأموات، كان الجو ثقيلا. أدرك تشن هاي جيدا أنّ لكل زعيم مشاكله الخاصة، لكن في الظاهر بدا الجميع متشابهين تماما بوجوههم الجامدة على الدوام. من الناحية السياسية، كان تشن هاي حريصا بشكل خاص كونه تعلّم درسا من حياة والده، تشن يانشي: والده الثوري المخضرم، نائب المدعي العام السابق لنيابة مقاطعة إيتش، والملقب "الصخرة القديمة". لقد حارب مع تشاو ليتشون، الأمين السابق للجنة الحزب الإقليمية، طيلة أفضل أيام حياته. وفي نهاية المطاف، لايزال كادرا بمستوى إدارة عندما تقاعد ولم يتسن له التمتّع بمزايا كوادر المقاطعات الفرعية، بينما انتقل تشاو ليتشون إلى بكين، والتحق بصفوف قادة الحزب والدولة. ولأنّ والده كان يتكلم بحرية وبشكل دقيق عن النظام السياسي في المنزل، فقد حفظ تشن هاي الدليل التفصيلي السياسي لمقاطعة إيتش عن ظهر قلب. على سبيل المثال، كان لي داكانغ في الأصل رئيس السكرتاريا الإدارية التابعة لتشاو ليتشون، وقد أشيع عنه أنه زعيم "عصابة الأمناء". وأستاذه قاو يوليانغ، هو زعيم "قسم السياسات والقانون"، ولذا كان لديه كل أنواع التواصل مع المسؤولين في الأنظمة القانونية والسياسية. لم يكن تشن هاي يريد أن يلقى المصير نفسه مثل والده، ومع ذلك لم يكن مستعدا لمخالفة ضميره. وبالنتيجة، بقي على مسافة من الجميع، حتى معلمه، لكنه بقي يتابع كل شيء ذهنيا ويعرف الجميع مثل ظاهر يده. كل ذلك من أجل منع حدوث أي أخطاء كبيرة.

انظر وحسب، كان هناك انهيار لنائب عمدة جينغتشو صاحب النفوذ الهائل، كم عدد الناس الآخرين الذين قد يتورطون في هذه القضية؟ كيف ستهتز الدوائر البيروقراطية في مقاطعة إيتش وفي جينغتشو؟ وحده الله يعلم. لكنّ توقعات جي تشانغ مينغ كانت أفضل من توقعات أي شخص آخر. فهو ذو باع طويلة في المقاطعة، وقد عمل في بلدية جينغتشو لسنوات متتابعة في مرحلة من المراحل. ما الذي لم يكن يعرفه؟ كان هذا أمرا معقدا، بعد أن أنهى تقريره، قال جي تشانغ مينغ: "لدى بكين دلائل كافية: نائب العمدة دينغ يجن متهم بتقديم وقبول رشى، وأكثر من ذلك، إنها كمية ضخمة. أما بالنسبة إلى كيفية المتابعة في الأمر، فنحن بانتظار تعليماتك".

قطّب قاو يوليانغ حاجبيه وقال: "نحن لا نعرف شيئا عن دينغ يجن. حسنا، كيف علمت بكين بالأمر قبلنا؟".

بدا لي داكانغ أكثر قلقا حتى فقال: "بالضبط، أيها الرفيق تشانغ مينغ، ماذا يحدث هنا؟".

وضّح جي تشانغ مينغ أنّ أحد المستثمرين في مقاطعة فوجيانغ رشى مديرا ولجانا في إحدى وزارات الدولة من أجل الموافقة على بعض أعمال المناجم، وفي النهاية لم يوافق عليها. لكنّ المدير لم يكن مستعدا لإعادة النقود. لذا، أبلغ المستثمر عن الأمر في مكتب مكافحة الفساد المركزي التابع للنيابة الشعبية العليا. وما إن تمّ القبض على ذلك المدير، حتى أبلغ فورا عن دينغ يجن.

التفت قاو يوليانغ المستغرق في التفكير وسأل لي داكانغ: "ما هو بالتحديد العمل الذي كان دينغ يجن مسؤولا عنه لسنوات؟".

أجاب لي داكانغ مقطبا حاجبيه: "كان كله عمل هام، إنشاءات مدينية وإعادة إعمار المدينة القديمة، وتوحيد مصادر مناجم الفحم... بعض هذه الأعمال عليها اسمي، لكنّ دينغ يجن كان مسؤولا عن كل التفاصيل".

تفهّم تشن هاي سلوك لي داكانغ. لم يكن ليسلّم دينغ يجن بهذه السهولة. كان لي داكانغ إصلاحيا فريدا من نوعه في مقاطعة إيتش، فهو رجل عنيد وجريء. فيما مضى، اقترح شعارا يقول: "الحرية هي كل ما لا ينهى القانون عنه أيا يكن". هذا شخص قد يفعل أي شيء ويستغل أي شخص. لقد اعتقد تشن هاي أنّ "لي داكانغ اختار دينغ يجن لهذا المنصب، وبما أنه المدير العام

الحالي لمشروع إعادة إعمار بحيرة غوانغمينغ، فهو يتحكم بعشرات ملايين الأصول. وفي حال أبعدته بكين، كم سيبدو الأمر محرجا بالنسبة إلى أمين لجنة الحزب البلدية هذا؟".

بحذر اقترح تشي تونغ وى وقال: "بما أنّ الأمر وصل إلى هذا الحد، أيها الأمين قاو، والأمين لي، هل من الممكن لكما التفكير بجعل اللجنة الإقليمية للتفتيش التأديبي تحضر دينغ يجن من أجل إجراءات (المقتضيات المزدوجة) أولا؟ بإمكاني إرسال أحدهم للمساعدة في تنفيذ الأمر".

كانت هذه تسوية جيدة. ففي حال تعاملت اللجنة الإقليمية للتفتيش التأديبي مع دينغ يجن، عندئذ سوف يبدو لي داكانغ أفضل كعضو في لجنة الحزب الإقليمية الدائمة، وسيحظى بحرية التصرف فيما بعد. أدرك تشن هاي بما يرمي إليه تشي تونغ وى، فمدير إدارة الأمن العام الإقليمي هذا يريد أن يصعد إلى أعلى السلّم وعيناه مثبتتان على منصب نائب المحافظ. كما أنّ مرشده قاو يوليانغ، أوصى به مسبقا أمام لجنة الحزب الإقليمية، إضافة إلى أن صوت عضو اللجنة الدائمة لي داكانغ كان حاسما. سينحاز تشي تونغ وى إلى جانب لي داكانغ بشكل طبيعي.

وكما هو متوقع، صرّح لي داكانغ على الفور قائلا: "أوه، هذه فكرة جيدة، أيها المدير تشى، دعنا نستدعيه من أجل إجراءات (المقتضيات المزدوجة)". بدت نبرة صوته وكأنه وصل إلى قرار بالنيابة عن لجنة الحزب الإقليمية، حتى أنه لم يسع لأخذ رأي الشخص المسؤول، نائب الأمين قاو يوليانغ. لم يكن تشن هاي واثقا مما يفكر به قاو يوليانغ، فقد رأى أستاذه ينقر الطاولة بأنامله من دون وعي، وينظر إليه ومن ثم إلى جي تشانغ مينغ فقال: "حسنا، يا رئيس النيابة جي، ما رأيك؟".

فهم تشن هاي ما يرمي إليه أستاذه بوضوح. فهو بالتأكيد لا يريد أن يصنع أي معروف للي داكانغ. أن تجلب دينغ يجن من أجل "المقتضيات المزدوجة" يعني أن تخالف بكين. وكائنا من يكون الشخص الذي يصدر الحكْم الأخير في التحقيق ستقع عليه الملامة. لطالما كان أستاذه ولي داكانغ على طرفي نقيض، وهذا السر خرج للعلن مؤخرا ضمن الدوائر البيروقراطية في مقاطعة إيتش فقط. لماذا يتوجب على الأستاذ تحمّل المسؤولية عن خصمه السياسي؟ لكنه بأي حال من الأحوال لن يقول ما كان يقصده مباشرة، هذا ما كان عليه البروفيسور وحسب. بدلا من ذلك، ألقى بالكرة إلى ملعب النيابة العامة الإقليمية فقال: "أنت أخذت المبادرة في الإبلاغ عن الأمر، صحيح؟ حسنا، دعنا نسمع وجهة نظرك في هذه القضية".

قال جي تشانغ مينغ: "أيها الأمين قاو، أنا أحترم رأيك كما رأي لجنة الحزب الإقليمية، ستصل إجراءات تحقيق بكين بهذه القضية قريبا، هم يريدوننا أن نقبض عليه. لكن إحضاره أمام "إجراءات المقتضيات" المزدوجة أولا أمر لا بأس به. طالما نحن نحتجزه، فخطوتنا التالية أكثر سهولة مهما تكن تلك الخطوة. لكن من وجهة نظرنا كنيابة عامة، من الملائم أكثر القبض عليه ثم الخوض في الإجراءات القضائية".

أصاب هذا التصريح الجميع بالدوار، فقد كان رئيس النيابة جي متحدثا بارعا. فهذا الرئيس المباشر لتشن هاي لطالما كان ملتزما بالقانون، وكونه على شفا التقاعد الآن، فلم يكن يريد أن يهين أحدا. لكن عندما يطلبون منك موقفا فعليك أن تقدّمه لهم. بعد كثير من الأخذ والرد بهذه الطريقة، نجح في إهانة لي داكانغ. أراد تشن هاي أن يضحك في أعماقه.

أشار قاو يوليانغ قائلا: "حسنا، أيها العجوز جي، أفهم ما تعنيه. أنا أكثر ميلا إلى القبض عليه". وبعد أن قال ذلك، أشار إلى تشن هاي وأردف: "تشن هاي، أنت مدير مكتب مكافحة الفساد، دعنا نسمع رأيك أيضا".

أصيب تشن هاي بالرعب فوقف رغما عنه. فأشار إليه أستاذه بالجلوس، لكنه لم يفعل. وقف منتصبا مثل قلم رصاص، مذهولا لبرهة من الوقت - كان مشغولا بدراسة الآخرين حينها ولم يحضّر أي شيء ليقوله. كيف يفترض به أن يأتي بموقف على عجل؟ رغم أنّ تشن هاي متكتم، إلا أنه كان مستقيما في أعماقه، فهو مثل والده تماما. ظهر لمعان حبيبات العرق على جبينه تحت النظرات الثابتة للمسؤولين الكبار. عندما يكون متوترا، يقول ما يفكر به بالضبط: "أيها الأمين تشاو، أنا أكثر ميلا للقبض عليه أيضا. فجريمة دينغ يجن واضحة وضوح الشمس، بالإضافة إلى أنّ بكين هي من تريد القبض عليه...".

استقبل لي داكانغ كلام تشن هاي بامتعاض فقال: "أيها المدير تشن، في حال قدّمنا المساعدة في القبض عليه، هل يعني هذا أنّ الحق في تولي قضية دينغ يجن قد تحوّل إلى بكين؟ هل هذا ما سيحدث؟".

أوضح تشن هاي على الفور بأنّ لي داكانغ كان مبتدئا في هذه الأمور فقال: "أيها الأمين لي، لقد أسأت الفهم، فليس هناك شيء مثل إحالة الحقوق هنا، لأنّ هذه القضية لم تكن قضية مقاطعة

إيتش أبدا. إنها تابعة للتحقيق المباشر لمكتب مكافحة الفساد المركزي".

بدا لي داكانغ مغتاظا بعض الشيء، وقد اتسعت عيناه من خلف عدسات قصر النظر الخاصة به فقال: "الآن، هذا بالضبط ما أردت الحديث بشأنه. ففي حال أجرينا تحقيقا وتعاملنا مع قضية دينغ يجن، عندئذ يكون لدينا الأفضلية. لكن في حال قاد مكتب مكافحة الفساد المركزي التابع للنيابة الشعبية العليا التحقيق، من يستطيع توقع مآل الأمور في المستقبل؟! ويا أيها الرفاق، أنا لا أقول هذا كي أغطي على أحد، أنا أفكر بذلك فقط من منظور العمل...".

برزت الاختلافات في وجهات النظر خلال الاجتماع، واتخذت منحى الاختلاف الشديد.

لم يقم قاو يوليانغ بلوم طالبه بأي حال من الأحوال بسبب معاندته للأمين لي، فقد لمع بريق من التقدير من زاوية عينه. بصراحة، كان الأستاذ يستمتع برؤية الأشياء في حالة من الفوضى، ولذا هو يبتسم فقط عندما يكون هناك اختلاف بين الجانبين. لقد عرف تشن هاي وضعية الأمور، وفي الواقع، ربما كان أستاذه سعيدا تماما بمراقبة إحباط لي داكانغ. منذ زمن طويل، كانا معا كفريق في مدينة لوتشو، وكونه في منصب الأمين، فقد عانى كثيرا على يدي العمدة لي داكانغ. كان لي داكانغ مستبدا جدا: لطالما كان هو في منصب العمدة، إذا، فالعمدة هو الرئيس. وطالما هو في منصب الأمين، إذا فالأمين هو الرئيس. بالنسبة إليه لتكن قويا يجب أن يكون الآخرون ضعفاء ويتعين عليهم أن يعانوا. من ذا الذي لن يحمل في قلبه ضغينة بعد ذلك؟ كان هناك الكثير من الناس، فضلا عن قاو يوليانغ، ممن يكرهون لي داكانغ. بالطبع، كانت الصراعات شائعة بين الخصوم السياسيين، وبعض الاستمتاع بمصائب الناس الآخرين هو من الطبيعة البشرية وحسب. لكنّ الأمين قاو كان رجلا متمرسا، فهو لا يظهر ما يضمر. على العكس تماما، فهو أحيانا يتخذ جانب لي داكانغ ويحميه على سبيل المجاملة السياسية.

راقب تشن هاي لي داكانغ من جانب، لكنه لم ير سوى حاجبين مقطبين وثلاثة خطوط محفورة بينهما. لقد أعجب تشن هاي حقيقة بلي داكانغ، فهذا الرجل لم يكن قادرا فحسب بل كان مستقلا. خذ التدخين على سبيل المثال فقط: فعشية النهضة الثقافية والاجتماعية، أقلعت الأغلبية الساحقة من الكوادر عن التدخين بشكل إرادي، لكنّ لي داكانغ يفعل الأمور بطريقته الخاصة، فقد أبقى على عادة التدخين التي نمّاها عندما كان سكرتيرا إداريا. لم يكن يدخن بطبيعة الحال أثناء الاجتماعات أو المحادثات مع الآخرين، لكن عندما يكون وحده ينسل إلى إحدى الزوايا ويدخن. في

الوقت الحاضر، دفعته قضية دينغ يجن إلى مركز الصدارة، فالمسألة كلها في ميدانه، ناهيك عن أنّ دينغ يجن كان ذراعه الأيمن. هل بإمكانه تخليص نفسه من هذه الورطة؟ من المؤكد أنّ الأمر ترك طعما سيئا في فمه. عمد لي داكانغ إلى نزع نظارته ومسحها مرارا. ما أن ينزع أحدهم نظارته، حتى ينكشف وجهه أمام الجميع، إنه وجه لا يمكن له أن يخفي استياءه وقلقه.

تنحنح قاو يوليانغ كي يتكلم. فشنّف الجميع آذانهم وأصغوا عندما أصدر الرجل المسؤول قراره النهائي قائلا: "أيها الرفيقان تشانغ مينغ، وتشن هاي، بما أنّ نيابتكم تريد أن تتبع تعليمات النيابة الشعبية العليا في بكين، لذا ينبغي عليكما أن تأخذا بعين الاعتبار أيضا واقع عمل مقاطعتنا، ففي حال أقدمت بكين على اعتقال دينغ يجن، أليس من المحتمل أن يسبب هذا الأمر نزوحا جماعيا لمستثمري جينغتشو؟ فما الذي يمكن أن يحدث لمشروع بحيرة غوانغمينغ التابع لجينغتشو؟".

نظر تشي تونغ وى إلى لي داكانغ مظهرا انسجامه معه قائلا: "هذا صحيح، هذا صحيح. دينغ يجن هو المدير العام لمشروع بحيرة غوانغمينغ، فهو يقبض على مشروع ضخم بقيمة ثمانية وأربعين مليار يوان بين يديه...".

أكّد لي داكانغ مرة أخرى قائلا: "أيها الأمين يوليانغ، هذا ليس أمرا بسيطا، يجب أن نكون متعقلين".

أومأ قاو يوليانغ برأسه وقال: "الرفيق شا روجين، أمين السر الجديد للجنة الحزب الإقليمية، أدّى القسم لتوّه، وهو يقوم بإجراء الأبحاث في كل المدن والبلدات المجاورة، لا يمكننا جميعا أن نرسل له فجأة هدية ترحيبية مثل هذه عندما نلتقي به للمرة الأولى، هل ترون أن بإمكاننا أن نقوم الآن بمثل هذا الفعل؟".

لم يتوقع تشن هاي هذه المرة أن يخاطر أستاذه بنفسه ويقدّم إلى لي داكانغ مثل هذه الخدمة الكبيرة. لقد كان البروفيسور تشاو رجل مبادئ، حسنا ما الذي يحاول أن يفعله هنا بالضبط؟

كان جي تشانغ مينغ دمثا من الخارج، لكنه كان في الصميم رجلا نزيها. يبدو حذرا في الظاهر، لكن في الأوقات الحرجة، يتجرأ على قول ما يجول في ذهنه. نظر إلى الحاضرين وقال بنبرة حاسمة: "أيها الأمين قاو، والأمين لي، بما أننا نناقش المشاكل الآن، وبصفتي رئيسا للنيابة العامة فسأكون صادقا. لا يهم كم تؤثر قضية دينغ يجن على مقاطعتنا، فمن غير المستحسن لأي منا

خوض معركة مع النيابة الشعبية العليا من أجل تولي هذه القضية، خشية أن تؤثر سلبا علينا في المستقبل".

ما قاله باستفاضة وبوضوح أكثر عبّر تماما عن المثالب والمزايا. اعتقد تشن هاي أنّ الأمر ربما ينفع كتحذير لأستاذه، لكنّ قاو يوليانغ بدا وكأنه لم يشعر بهذا التحذير. كان ينظر حوله على غير هدى، ومن الصعب التكهن بما يفكر به. ظلّ تشن هاي ينظر باستمرار إلى ساعة يده كي يساند كلمات رئيسه. كان مجال الحركة التي استخدمها وهو ينظر إلى ساعته هائلا وكأنه يريد للقادة أن يعرفوا أنه على عجلة من أمره.

لكنّ لي داكانغ لم يكن على عجلة من أمره بتاتا وتابع في أمنياته. لم يتفق مع جي تشانغ مينغ، وأصرّ على أن تقوم لجنة الحزب الإقليمية باعتقال دينغ يجن من أجل إجراءات "المقتضيات المزدوجة". وكان تعليله لذلك أنهم بهذه الطريقة سيكون لديهم مبادرة أكبر في مجرى التحقيق. اتفق تشي تاونغ وى معه وهنّأ لي داكانغ على التفكير بالأمور بإمعان كبير...

لم يعد بإمكان تشن هاي الإصغاء إلى هذا لفترة أطول، فوقف غاضبا بينما كان تشاو تونغ وي يمتدح دقة الأمين لي فقال: "حسنا، حسنا دعونا نقم بإجراءات "المقتضيات المزدوجة"، ينبغي علينا وضعه قيد الاحتجاز أولا...".

نظر إليه قاو يوليانغ بسخط على نحو غير متوقع وقال: "تشن هاي لماذا الاستعجال؟ أمر كبير كهذا يحتاج إلى نقاش هادئ". انتظر الأمين قاو حتى حان الوقت المناسب، فطلب من طالبه السكوت، ثم غير الموضوع بشكل مناسب، وكشف عما يفكر به حقيقة فقال: "بما أنّ هناك تباينا في الآراء، يجب أن نكون حذرين. وينبغي أن نطلب التعليمات من أمين سر لجنة الحزب الإقليمية الجديد، الرفيق شا روجين" وبعد أن قال ذلك، أمسك قاو يوليانغ بالهاتف الآمن ذي اللون الأحمر الموجود على مكتبه.

حسنا هكذا كان الوضع، أراد أستاذه نقل المسؤولية إلى رئيسه، إذا فكل ما قاله لصالح لي داكانغ كان مجرد تعاطف أجوف. وإسكات طالبه بهذا الشكل كان أيضا مجرد استعراض. تنهّد تشن هاي، لقد كان أستاذه لامعا. وإلاّ فكيف سيصبح الشخص "البدين والقصير" في جامعة إيتش والدوائر البيروقراطية في مقاطعة إيتش؟

لم يكن أي من المشاركين في الاجتماع من البيروقراطيين ذوي المرتبة العالية، ولذا فقد تسللوا جميعا من تلقاء أنفسهم بلباقة ما إن رأوا الأمين قاو يرفع الهاتف الأحمر. كان لي داكانغ مدخنا شرها وفي حالة مزاجية سيئة، ولذا فهي اللحظة المناسبة تماما لإشباع شهوته في غرفة الاستقبال مقابل الصالة. ذهب تشي تون غوى إلى الحمام. وذهب جي تشانغ مينغ ليتمشى عبر الصالة بين المكتب والحمام. ولقلقه من الظروف الحالية، انتهز تشن هاي الفرصة وخرج من المبنى رقم 2 كي يجري اتصالا...

وفي غمضة عين، أصبح قاو يوليانغ الوحيد الذي بقي في المكتب الضخم.

بينما تكلم قاو يوليانغ في الهاتف مع الأمين شا روجين، كان أيضا وعلى نحو غير مقصود يرتب تفاصيل هذا الاجتماع في ذهنه. ففي الأيام القادمة، سيتذكر قاو يوليانغ ويفكر مليا على الأغلب بظروف وتفاصيل هذه اللحظة، ويتأمل بالشخص الذي من المرجّح له أن يسرّب الأسرار. في الواقع، كان هذا هو السبيل لمعرفة كيفية تغير الظروف فيما بعد.

دخل تشن هاي فناء المبنى رقم 2 وأخذ نفسا عميقا. كان محبطا ومنزعجا ومستاء من نفسه. ففي لحظة الحقيقة، لم يستطع بلوغ الهدف المنشود. بينما كان يتكلم، أصبح نافد الصبر وكشف عن وجهه الحقيقي. لقد انتقده أستاذه الأمين قاو إذ إنه اختلف مع عضو اللجنة الدائمة، الأمين لي، وتولد لدى جميع القادة المهمين انطباع سيئ عنه - كيف بحق السماء يمكن له أن يرتقي لأعلى المناصب؟ لكي يتجنب إهانة أي شخص، درّب تشن هاي نفسه بشق النفس حتى لا يتسرع أبدا في الإعلان عن الجانب الذي ينحاز إليه، لأنه لم يكن يريد أن ينتهي الأمر به كوالده. لكنّ تغيير طبيعة المرء أمر صعب، وفي لحظة معينة، لا يستطيع أن يمنع الدم الحامي الذي ورثه عن أبيه بالغليان.

ببساطة، لم يكن بإمكان تشن هاي تحمّل هذا الاجتماع الذي لا نهاية له. كان نفاد الصبر يعذّبه، وأثناء الليل، أصيب بقرحة برد في زاوية فمه. في حال خسروا دينغ يجن بأي حال من الأحوال، ربما يمزّقه هوى ليانغ بينغ إلى إشلاء فعلا. وأكثر من ذلك، هذا القرد ليس مجرد أي شخص، فهو مدير قسم التحقيق المركزي. وكمدير لمكتب مكافحة الفساد الإقليمي، ازداد احترام تشن هاي للمكتب المركزي، مثلما ازداد امتعاضه من أولئك القادة المماطلين في مقاطعة إيتش.

الأكثر أهمية، أنه يجب عليهم مراقبة دينغ يجن بشكل لصيق، كي يمنعوا أي تسريب للمعلومات، فانتظر تشن هاي إلى ما بعد الخروج من المبنى رقم 2 للاتصال بذراعه الأيمن لو ييك ليسأل عن الأوضاع هناك. أبلغته لو ييك أنّ الوليمة قد وصلت إلى ذروتها. كان الضيوف يتناوبون على شرب نخب دينغ يجن، والمشهد عظيم. كل شيء سيسير من دون أي عقبة شريطة أن يشرب دينغ يجن حتى الثمالة. كرر تشن هاي أوامره مرة بعد أخرى إذ يجب أن لا يدعوا دينغ يجن يغيب عن أنظارهم.

كان هاتفه مغلقا خلال الاجتماع، والآن من الضروري الاتصال بالقرد وتقديم آخر المستجدات له بشكل شامل. لم يكتشف إلا بعد هذا الاتصال أنّ هوى ليانغ بينغ كان محتجزا في المطار وأنّ مكتب مكافحة الفساد المركزي قد سلّم إجراءات القبض على دينغ يجن إلى هوى ليانغ بينغ. وبما أنّ الإجراءات لديهم، فبإمكانهم القبض عليه أولا ومن ثم يبلغون عن الأمر، وبذلك ينفذون خطة القرد. اتخذ تشن هاي قرارا جريئا ومن دون تردد، بعد أن أنهى اتصاله مع هوى ليانغ بينغ. لن ينتظروا قرار لجنة الحزب الإقليمية، لكن سيضعون دينغ يجن رهن الاحتجاز بذريعة استدعائه للاستجواب ويلقون القبض عليه حالما تصل إجراءات بكين.

بعد أن أصدرت لو ييك أوامرها عبر الهاتف، وقف تشن هاي في الفناء وأطلق تنهيدة طويلة. كان المرج الأخضر الموجود في فناء لجنة الحزب الإقليمية قد جزّ للتو، والهواء مثقل بالرائحة العذبة للعشب المقصوص حديثا، وهي الرائحة المفضلة عند تشن هاي. كانت أشجار الحور البيضاء الموجودة على جانبي الطريق قد زرعت في خمسينات القرن الماضي، وهي عريضة جدا لدرجة أنك بالكاد تستطيع لف ذراعيك حولها وطويلة جدا بحيث لا تستطيع رؤية رؤوس الأشجار عندما تنظر إلى الأعلى. حفيف الأوراق مثل طفل يصفق بيديه تقريبا، وهو الصوت الذي يحب تشن هاي سماعه كثيرا. تمنى لو كان بإمكانه أن يحسن من تصرفه ليكون ربما أكثر لباقة، لكن لكونه مترددا ومبالغا في الحيطة والحذر، لم يكن قادرا على فعل ذلك وحسب. ينبغي أن يرتقي الناس إلى مستوى مسؤولياتهم، حتى لو أنّ هناك ثمنا يجب أن يدفع. كان تشن هاي معجبا بزميل دراسته هوى ليانغ بينغ بصدق، ومنذ زمن بعيد. وقد عرفه إلى شخصية ملك القرود، هذا القرد لا يخشى شيئا، لا في السماء ولا في الأرض.

بعد أن وقف لفترة من الزمن في الفناء، شعر تشن هاي بحال أفضل بكثير. فالغيوم في سماء الليل تزداد كثافة أكثر وأكثر، وقبل لحظة كانت قريبة من القمر. الآن، اختفى القمر تماما. بدا وكأن هناك مطر، وهواء الليل مثقل بالرطوبة، بينما السماء ظهرت داكنة سوداء بلون خشب الأبنوس. لن يكون المطر شديدا في مثل هذا الوقت.

عندما عاد تشن هاي ماشيا إلى المبنى رقم 2، كان هادئا ومتماسكا. بإمكان القادة أن يأخذوا وقتهم في المداولات. من الأفضل اتخاذ الإجراءات أولا ومن ثم الإبلاغ عنها فيما بعد، وبهذا الشكل لن يكون معذبا أيضا. كان مستعدا للمراهنة بأنّ القرار النهائي للجنة الحزب الإقليمية سوف يكون متوافقا مع قرار بكين، وتساءل فيما إذا كانت لو بيك قد تصرفت بحسب أوامره. شعر بنوبة حماس لا إرادية وهو يحسب الوقت في عقله ويتخيل مشهد القبض على دينغ يجن في الوليمة...

عاد الجميع تقريبا إلى مكتب قاو يوليانغ، سعل مرتين ثم بدأ بإبلاغ تعليمات أمين سر لجنة الحزب الإقليمية المعين حديثا، شا روجين: إنّ مكافحة الفساد في ظل البيئة السياسية الحالية هي أولويتهم الأولى، ويجب عليهم التعاون بفعالية مع عملية بكين. وبالنسبة إلى تفاصيل التنفيذ، بإمكان الرفيق يوليانغ أن يفعل ما يراه ملائما ويتخذ القرار بالنيابة عن لجنة الحزب الإقليمية".

تشن هاي، وجي تشانغ مينغ، وتشى تونغ وى، نظروا جميعا إلى قاو يوليانغ، الذي بات لزاما عليه أن يصدر الآن الأمر فقط. لكن، قاو يوليانغ أدرك أنّ لي داكانغ لم يكن موجودا، فمال برأسه وقال: "أين الأمين داكانغ؟".

وما إن خرجت الكلمات من فمه حتى برز لي داكانغ الكئيب من غرفة الاستقبال المقابلة وهو يحمل هاتفه الخلوي مسرعا في الدخول قائلا: "أنا هنا، أنا هنا! أيها الأمين يوليانغ، أعتذر منك، لقد أخذت مجّات إضافية من سيجارتي...".

قطّب قاو يوليانغ حاجبيه بامتعاض وقال: "أيها الرفاق، إليكم ما أفكر به. عندما يتعلق الأمر بمكافحة الفساد، لا يمكن لنا أن نكون مترددين، يجب القبض على دينغ يجن هذا، هل وصلت إلينا المعلومات عن ما تقترحه النيابة الشعبية العليا من إجراءات؟". تدخّل تشن هاي قائلا: "هوى ليانغ بينغ، مدير قسم التحقيق في مكتب مكافحة الفساد المركزي، في طريقه إلى جينغتشو مع الإجراءات بينما نحن نتكلم". وبإشارة من يده، قال قاو يوليانغ: "حسنا القانون في صفنا. وبأخذ آراء الجميع

بعين الاعتبار، أعتقد بما أنّه لا يمكن دحض الدليل في جريمة دينغ يجن إلى حد ما وبما أنّها قضية مباشرة من مكتب مكافحة الفساد المركزي التابع للنيابة الشعبية العليا، فإنّ إجراءات "المقتضيات المزدوجة" غير ضرورية، أليس كذلك؟ من الأفضل أن نتصرف وفقا للقانون ونسير مباشرة بالإجراءات القضائية".

نظر لي داكانغ إلى تشاو يوليانغ بامتعاض وقال: "الأمر لا يتعلق بدينغ يجن وحسب. ففي حال عولج الأمر بشكل سيئ، فلن يكون هو الشخص الوحيد الذي سيتحطم. ماذا بشأن الاستثمار الذي بقيمة ثمانية وأربعين مليار يوان في بحيرة غوانغمينغ؟!".

كانت عينا قاو يوليانغ ممتلئة بالتعاطف فقال: "أيها الأمين داكانغ، أفهم كيف تشعر، لكن...".

لوّح لي داكانغ بيده وقال: "انس الأمر، لا حاجة لقول أي شيء. افعل، وبحزم، كل ما تراه مناسبا".

التفت قاو يوليانغ ليواجه تشن هاي فقال: "تشن هاي، أعرف أنك كنت تنتظر طوال الليل من أجل هذا. قم بالاتصال".

ضحك تشن هاي وقال: "أيها الأمين تشاو، لقد بدأ رجالي مسبقا بالتحرك. بإمكاننا الانتظار لسماع أخبارهم الجيدة".

لكن، لم تصلهم الأخبار الجيدة المتوقعة. وبدلا منها، وصلت أخبار سيئة. فقد اتصلت لو ييك لتبلغ تشن هاي وجي تشانغ مينغ أنّ عملية الاعتقال قد فشلت. لقد نجح دينغ يجن بالتسلل تحت أنظارهم.

أصبحت مواقف القادة الحاضرين سلبية، وبدوا في حالة حرج جراء هذه الأخبار المفاجئة والسيئة. كان تشن هاي شديد الغضب - لولا هذا الاجتماع الطويل والممل، لأصبح دينغ يجن في قبضتهم منذ زمن طويل، تقارير ومداولات وطلب تعليمات، ألم يكونوا يعملون على مساعدة بكين في اعتقال مجرم مشتبه به؟ هل الأمر كان يستحق مثل هذا الحذر؟ كل قائد في هذه الغرفة مسؤول عن هذا الإخفاق.

قاو يوليانغ، الذي من الواضح أنه لم يكن يفكر بالمسؤولية أو الإخفاقات، سعل مرة واحدة وقال: "بإمكان النيابة أن تتعامل مع شؤونها الخاصة. تشن هاي، وجي العجوز، بإمكانكما الذهاب، سننتظر المستجدات. أيها الأمين داكانغ، والمدير تونغ وى، هل لديكما أي شيء آخر تضيفانه؟ لا؟ جيد، لقد انتهى الاجتماع".

بسبب اختفاء الهدف، انتهى الاجتماع بهذه البساطة. حاول قاو يوليانغ، بعد فوات الأوان، تذكّر بعض التفاصيل: بعد أن فضّ الاجتماع، اندفع تشن هاي إلى خارج الباب وكاد أن يصطدم بالأمين الذي كان على وشك الدخول، يبدو قلقه ونفاد صبره واضحا جدا. أخذ جي تشانغ مينغ وقته وكأنّ لديه خطة محكمة ويتولى زمام المسؤولية تماما. كان لي داكانغ بحالة مزاجية كئيبة ووجه عابس، وانزلقت نظارته إلى طرف أنفه. لكنّ تلميذه المفضّل تشي تونغ وى، كان مشرقا كالعادة، ووجهه الرقيق وسيما وسعيدا.

أوقف قاو يوليانغ تشي تونغ وى وقال له: "أوه، أيها المدير تشى، ابق هنا. لايزال لدي شيء أناقشه معك".

لم يتوجب على تشي تونغ وى حضور هذه الإحاطة في الأصل. فالنيابة تتبع لقادة لجنة الحزب الإقليمية وللأمين تشاو والأمين لي، وليس له. في تلك الليلة، صدف أنه كان يقدّم تقريرا للأمين تشاو حول عمل الأمن العام، وبما أنّ عمل إدارة الأمن العام معني بالقبض على الناس، فقد بقي حاضرا. كان الأمين تشاو أستاذه، ولديه علاقة وثيقة بالأستاذ أكثر مما لتشن هاي. ولهذا السبب ينبغي لبعض الأمور أن تناقش خلف أبواب موصدة.

بقي مصباح واحد مضاء على سطح المكتب، فجلس الأستاذ وتلميذه مقابل بعضهما. أصبح الجو أكثر حميمية وغامضا بعض الشيء. قبل فترة قصيرة أثناء الاجتماع، بدا الجميع وكأنّ عليهم علائم الكرامة والسكينة في الظاهر، وبدا كل شيء مثل عمل عادي، لكنّ الأمر كان معقدا تحت السطح. لدى الجميع خلفية درامية. هذه حال الدوائر البيروقراطية: في الظاهر يناقشون أمرا معينا، لكنّ الأمر دائما مرتبط بشخص وشيء آخر. وهناك مجموعات شتى، وأفكار مختلفة، الخلافات القديمة وما شاكلها. الآن، يجب عليهم أن يقوموا ببعض التنظيم.

بإمكان تشي تون غوى قراءة أفكار أستاذه، فقال بشكل استكشافي: "أيها البروفيسور قاو، لو أنك لم تطلب مني المجيء إلى هنا هذه الليلة كي أعلمك بعملية ترميم الأمن العام وبعملية الحماية من الحريق على صعيد المقاطعة، لما كنت هنا الآن أتابع هذا العرض المضحك الذي يقوم ببطولته دينغ يجن".

تنهّد قاو يوليانغ ليوضح الأمر فقال: "هذا العرض الضاحك لم يكن مضحكا لتشاهده، أظن أنه كان يخفي الكثير من المكر".

قال تشي تون غوى: "بالضبط، وهذه المرة هي أيضا قضية بين يدي بكين مباشرة، والتأثير كان سلبيا جدا، انظر فقط إلى وجه الأمين لي داكانغ اليوم، بدا وكأنه قد ارتكب جريمة".

أومأ قاو يوليانغ برأسه وقال: "لي داكانغ هو من وضع دينغ يجن في ذلك المنصب الهام، إنها هفوة ولا شك".

ولعلمه بأنّ أستاذه يريد أن يناقش حادثة دينغ يجن، استرخى تشي تونغ وى بعض الشيء. نظر إلى الأمور من وجهة نظر أستاذه بلا مواربة وأوضح أنّ لي داكانغ هو الملام هنا إلى حد كبير. ثم أضاف أنّ دينغ يجن كان لاعق أحذية، وأينما حلّ يدّعي بأنه لي داكانغ بعينه. وبما أنّ المزيف كان في ورطة، كيف للي داكانغ أن لا يشعر بالقلق؟ لقد خمّن أنه من المحتمل وجود بعض الصفقات الغامضة ربما كانت تجري بين الرجلين. أظهر أستاذه وجه "رجل أعمال كالعادة" ورمقه بنظرة جانبية، ومثل ذئب في لباس حمل سأله: "رغم أنك شعرت بهذا، إلا أنك بقيت تساعد لي داكانغ في معركته، من حقه هو أن يتولى القضية؟". لقد عجز تلميذه عن الكلام لدى شعوره باستياء أستاذه. وبينما كان يحاول اكتشاف كيفية شرح موقفه، تابع أستاذه في الموضوع قائلا: "هل كان ذلك بدوافع أنانية؟". احمرّ وجه تشي تونغ وى علامة على اعترافه بذلك.

لا أحد يعرف الابن أفضل من والده. كان أستاذه يعرف طباعه أفضل من أي شخص باستثناء والديه. لأنهما قد عملا معا بشكل خاص لسنوات عديدة، وحاول قاو يوليانغ التقدّم عليه طوال الوقت، كيف يمكن للأستاذ أن لا يدرك تفاهة طالبه؟ كان يأمل بأن يصوّت لي داكانغ لصالحه عندما انتخبت لجنة الحزب الإقليمية الدائمة عمدة جديدا. يمكن لأي شخص صاحب بصيرة أن يعرف ذلك. هزّ قاو يوليانغ رأسه ببطء، وأخبر طالبه أنه ليس متفائلا كثيرا بهذه النتيجة، ونصحه

ألا يكون متفائلا أيضا. توتر تشي تونغ وى قليلا لأنه اعتقد أنّ لي داكانغ سيعارض هذه الخطوة المهمة، لكنّ قاو يوليانغ نظر إلى الأعلى وقدّم تقديره الخاص للأمر. ربما لا يكون لي داكانغ بالضرورة قادرا على وقف تقدّم طالبه، والآن ها هو دور الأمين المعين حديثا شا روجين قد جاء من الناحية الأخرى... "فكّر بالأمر يا تونغ وى. أي صنف من قادة الصف الأول قد يرتب من أجل ترقية الكوادر بعد تسلّمه المنصب مباشرة؟ لقد كان الأمين السابق للجنة الحزب الإقليمية خائفا من التورط في المشكلة، ولذا لم يرقّ أحدا قبل أن يغادر. عندما يتولى الأمين الجديد المنصب، هل سيرقي مجموعة من الناس؟ هل تظن أنّ هذا ممكن؟".

صمت قاو يوليانغ برهة، حتى لا يصيب تلميذه بالإحباط للغاية ثم قال بارتياح: "بالطبع هذا ليس أمرا مؤكدا. في الوقت الراهن، يقوم الأمين شا بإجراء بحث في كل البلديات. ربما يقوم فقط ببعض الترتيبات، يجب عليك أن تثق بالتنظيم، لا تفكر بالأمر كثيرا".

اعتقد تشي تونغ وى أنّ ما قاله أستاذه كان معقولا. لكن لم يكن هذا ما أراد البروفيسور التحدث بشأنه، ربما أراد مناقشة أمر منافسه القديم لي داكانغ. وبالنتيجة قال بجرأة: "أيها البروفيسور قاو، لدي شكوك. هل تعتقد أن لي داكانغ ربما يكون قد... وقع في الفساد؟".

لم يكن يعرف قاو يوليانغ جيدا، فهو قد يتحول إلى شخص عدائي ويصرخ بألفاظ قاسية: "ما هذا الهراء؟ لا تفكر تلقائيا بالأسوأ بشأن رفيقك، أنا لا أصدق أنه قاتل من أجل حقه بتولي القضية لأنه فقط يحاول حماية دينغ يجن".

دهش تشي تونغ وى فقال: "لماذا فعل لي داكانغ ذلك؟ هل كان ذلك فقط من أجل العمل؟".

بدأ قاو يوليانغ بالتحدث بروية عن الماضي. فمنذ ثمانية أعوام، عين لي داكانغ أمينا للجنة الحزب البلدية في لينتشينغ. وكان نائب عمدة لينتشينغ، ومدير منطقة التطوير أيضا، متورطا في عمليات رشى وتم القبض عليه. وخلال ليلة واحدة، هرب العشرات من المستثمرين، وتوقف العديد من المشاريع الاستثمارية. وخلال لحظات، هبط الناتج المحلي الاجمالي للينتشينغ من المرتبة الثانية إلى الخامسة في المقاطعة. كلمات قاو يوليانغ تحمل الكثير من المعاني، فلو استقر الناتج المحلي الإجمالي، لكان لي داكانغ في اللجنة الإقليمية الدائمة للحزب في ذلك الزمان والمكان. لقد أدرك تشي تونغ وى النتيجة الإضافية لما حصل في تلك اللحظة قبل ثماني سنوات. فالناتج المحلي الإجمالي في

مدينة لوتشو، حيث كان قاو يوليانغ أمينا، ارتفع إلى المرتبة الثانية في المقاطعة، وكان أستاذه أول من انضم إلى لجنة الحزب الإقليمية الدائمة.

قال قاو يوليانغ: "الآن، المحافظ ليو يتقدم في العمر، ولي داكانغ بأمس الحاجة لإنجازات سياسية".

قال تشي تونغ وى: "ليس هذا ما سمعته، فالثنائي شا لي، هو ما يتحدث الجميع عنه".

بقي كلاهما صامتا لبرهة. أضاف تشي تونغ وى بعض الماء لكأس الشاي الخاص بأستاذه.

بينما كان يحتسي الشاي، بدأ ذهن قاو يوليانغ بالتساؤل مرة أخرى. هذا اليوم غريب: كان يحضر اجتماعا هنا، وجماعة النيابة العامة يراقبون دينغ يجن. إذا كيف اختفى فجأة؟ بالطبع، كان الاجتماع طويلا بعض الشيء، ودخل المشاركون وخرجوا وأجروا اتصالات هاتفية - هل من المحتمل أنّ أحدهم سرّب المعلومات عن قصد أو من دون قصد؟ هذا ما قاله تشي تونغ وى بصراحة كمدير لإدارة الأمن العام، فردّ فعله المهني يشي بأنّ أحدهم سرّب المعلومات. لابدّ وأنّ أحدهم أرسل رسالة سرية إلى دينغ يجن أثناء اجتماعهم.

دوّر قاو يوليانغ الكوب بين يديه وقال كأنه يتحدث إلى نفسه: "لكن من؟ من قد يكون بهذه الجرأة؟".

يكفي أن يكون لشخص مصالح مشتركة معه... لقد تعلّم تشي تونغ وى درسه ولم يذكر اسم لي داكانغ بشكل مباشر. وبدلا من ذلك، قرّب وجهه من قاو يوليانغ وقال بصوت منخفض: "أيها البروفيسور قاو، أنت أمين سر اللجنة الإقليمية للشؤون السياسية والقانونية، وتفهم خصائص الفساد هذه الأيام أفضل مني. في حال أمسكت بأحدهم، فأنت تمسك بسلسلة كاملة، هذه حال كل القضايا الآن".

أوه، عندما تقال الأمور بهذا الشكل، يصبح القبض على دينغ يجن أكثر أهمية. استقام قاو يوليانغ في جلسته على الأريكة، وأصبح صوته قويا وحادا فجأة: "ينبغي على إدارة الأمن العام الخاصة بك تقديم المساعدة للنيابة العامة. استخدم قوة الأمن العام واعمل بتعاون وثيق معهم. حتى لو هرب دينغ يجن هذا إلى أطراف الأرض، يجب أن يقبض عليه ويقدم أمام العدالة".

"مفهوم أيها البروفيسور، سأذهب إلى إدارة الأمن العام الليلة وسأتولى بنفسي تنفيذ هذه التعليمات الهامة".

وقف تشي تونغ وى بتأهب مثل عصا وأدى التحية، بنبل ووسامة.

ربّت قاو يوليانغ على ذراع الأريكة وقال: "اجلس، اجلس. هذه ليست أكاديمية وامبوا العسكرية. يا تونغ وى، أعرف أنّ هناك اختلافات بينك وبين لي داكانغ، لكن ينبغي عليك أن تظل متمسكا بالأساسيات. لا تناقش أمر لي داكانغ بشكل عفوي. وإضافة إلى ذلك، دعني أذكّرك بأنه عندما يتعلق الأمر بقضية مثل قضية دينغ يجن، حاول التخفي أكثر وتجنّب إثارة الشكوك، فعندما تكون مفعما بالحيوية في وقت مثل هذا، سيشك الناس بأنّ لديك دوافع خفية".

أحنى تشي تونغ وى رأسه بدافع من الإعجاب وقال: "أفهم ذلك! سوف أغادر إذا، حضرة البروفيسور!".

3

وصل مزاج لي داكانغ السيئ إلى ذروته. فبعد انتهاء الاجتماع، جلس وهو يحمل هاتفه بينما انطلقت سيارته مسرعة في الطريق، وبدأ بتوبيخ الناس. وبّخ أمين اللجنة البلدية للتفتيش التأديبي، تشانغ شولي، لعدم كفاءته نهائيا ولعدم توخيه الحيطة والحذر بأي شكل من الأشكال. يمكن لكل كوادر مفرزة جينغتشو أن تكون فاسدة حتى النخاع، وهو ليس لديه أي فكرة عن الموضوع، وبّخ كذلك رئيس منطقة غوانغمينغ، صن لينتشينغ، كونه نائب مدير مشروع بحيرة غوانغمينغ، ألم ينتبه فعلا لفساد المدير العام دينغ يجن؟ هل كانت عيناه صالحتين لمراقبة أي شيء؟! عندما انتهى من توبيخهما، طلب لي داكانغ منهما أن يأتيا حالا إلى مكتبه.

رمى لي داكانغ هاتفه جانبا، وأخذ ينظر عبر نافذة السيارة إلى الأضواء الليلية، وظلّ يراقبها بشرود لفترة طويلة.

أي يوم كان اليوم من أيام الأسبوع؟ الخميس؟ إذا فهو الخميس الأسود. فحتى لو قفز إلى النهر الأصفر الآن مباشرة، لن يكون بمقدوره تنظيف نفسه. ربما يكون سقوط دينغ يجن ضربة مباشرة له أيضا، وسيكون خصومه السياسيون المتربصون به في غاية السعادة. سوف يقهقه قاو يوليانغ في سرّه. وربما تشي تونغ وى يضحك بصوت مرتفع. لقد كان الاجتماع مربكا. فقد بدا له أنّ قاو يوليانغ وتشى تونغ وى داعمين لفكرته الخاصة بإجراءات "المقتضيات المزدوجة"، ولكن في غمضة عين، مررا الكرة إلى أمين لجنة الحزب الإقليمية الجديد شا روجين، وببراعة سدّا عليه كل الطرق. صدف أنه خرج ليدخن لفترة طويلة بعض الشيء، وصدف أنّ دينغ يجن لاذ بالفرار أيضا. ماذا يمكن للناس الآخرين أن يظنوا بشأنه؟ هل يشكون بأنه مدّ دينغ يجن بالمعلومات؟ إذا كان الأمر كذلك، عندها سيتساءل الناس فيما إذا كان نظيف الكف أو لا...

يبدو على لي داكانغ سمات باحث في الفنون المتحررة. ففي الماضي، كان "قلم" مجمّع لجنة الحزب الإقليمية والقائد الطبيعي للأمناء الإداريين لأنه رئيس الأمناء الإداريين لعدد من الرؤساء التنفيذيين. وبعد أنّ ترقى أولئك الأمناء الإداريون، شكّلوا قوة هامة في الدوائر الحكومية لمقاطعة إيتش، وأطلق عليهم لقب "عصابة الأمناء". ومن ناحية أخرى، انتهى الأمر بمعظم تلاميذ قاو يوليانغ إلى العمل في الشؤون السياسية والقانونية، ونظر إليهم باعتبارهم "قسم القانون والسياسات". وبالطبع، كانت "عصابة الأمناء" و"قسم القانون والسياسات" هي أسماء مستعارة يشير إليها الكوادر وعامة الناس بشيء من السخرية. لكنّ بناء العلاقات بين الناس هو أمر طبيعي، وأصبح ذلك حقيقة لا جدال فيها وهي أنّ ثمة قوتين حاضرتين هنا.

كان لي داكانغ متأثرا بقاو يوليانغ بصفته رئيس عصابة الأمناء. إنه أكثر كفاءة من الناحية السياسية من قاو يوليانغ، ورغم أنّ قاو كان أكاديميا إلا أنه كان مجتهدا. لقد خدم كقيادي في الصف الأول في عدة مدن كبيرة ولديه العديد من الإنجازات المرموقة، وهو معروف في أرجاء المقاطعة بـ "رائد الإصلاح". ورغم أنّ قاو يوليانغ خدم كأمين للجنة الحزب البلدية في مدينة لوتشو إلا أنه سبقه بخطوة في الانضمام إلى لجنة الحزب الإقليمية الدائمة وأصبح نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية. لو لم يسقط شا روجين من السماء، فإن تشاو يوليانغ كان ليصبح هو أمينا للجنة الحزب الإقليمية. في مرحلة ما، قيل إن الأمين السابق للجنة الحزب الإقليمية، تشاو ليتشون، أوصى وبإصرار بقاو يوليانغ أمام الحكومة المركزية. وفي هذه القصة الخيالية، لم يحلّ لي داكانغ كمحافظ أو نائب أمين، لكنه نقل إلى خارج مقاطعة إيتش ليتولى منصبا في مكان آخر. كانت الخلافات بينه وبين قاو يوليانغ عندما اجتمعا معا في مدينة لوتشو لاتزال ماثلة في أذهان الجميع، وبقي لي داكانغ الشخص الذي يعاني من الأمر.

لكنّ التطورات اللاحقة لم تكن لتخطر على بال. أرسلت الحكومة المركزية شا روجين فجأة، وبطريقة غامضة، فقد قاو يوليانغ الأمل بأن يكون أمين لجنة الحزب الإقليمية. لم تتكشف حقيقة الأمر بعد. بل على العكس من ذلك، كان هناك احتمال بأن يصبح لي داكانغ المحافظ الذي سيخلف المحافظ ليو، وقد تقدم به العمر. وبذلك فإن الأمر بقليل من التفكير يبدو منطقيا، فبعد ست سنوات من التطور تحت قيادته، كانت عاصمة المقاطعة جينغتشو تقترب لتكون القوة المحركة الاقتصادية. وهو أيضا كان في لجنة الحزب الإقليمية الدائمة. وبالنتيجة، من المنطقي حتمية أن يصبح محافظا،

لكن في هذا الوقت الحساس، سقط دينغ يجن على نحو غير متوقع، فكيف للرجل عينه مسؤولا عن مشروع بحيرة غوانغمينغ، كيف لداكانغ أن لا يكون كئيبا؟

دخلت سيارته مجمّع لجنة الحزب البلدية في جينغتشو، وبدأ مطر لطيف يهطل من السماء السوداء. خرج لي داكانغ من السيارة أمام المبنى الصغير الذي يضم مكتبه، ولم يكن مستعجلا للدخول. وتحت السواد المتجمّع، أمال رأسه للخلف، وترك المطر يرطب وجهه. لقد أنعشته البرودة، فدخل بخطوات سريعة إلى مكتبه.

كان أمين اللجنة البلدية للتفتيش التأديبي تشانغ شولي ورئيس منطقة غوانغمينغ صن ليانشينتغ، بانتظاره في الداخل مسبقا، نظرا إليه معا بعينين متسائلة. كان وجه لي داكانغ ممتقعا، تعمد أن ينقل نظره في المكان، دون أن ينبس ببنت شفة.

أطلق تشانغ شولي تنهيدة بطيئة بحرص وقال: "لم أحلم أبدا أنّ دينغ يجن قد تحصل له هذه الكارثة فجأة. لقد بدا نائب العمدة متواضعا للغاية، وفي حالة جهوزية وتنظيم دائمين...". لكن فجأة غير الموضوع، وبدأ أمين لجنة التفتيش التأديبية بانتقاد دينغ يجن بشراسة قائلا: "لكن من خلف الكواليس، كان كل ما قاله وما فعله هو باسم أميننا لي. من الواضح أنه الشخص الذي يتخذ القرارات، لكنه يجول في كل مكان قائلا إنه الأمين لي بذاته. لقد جمع النقود بالمكنسة وبحث عن الأرباح، ومع ذلك كان أميننا لي هو الذي يتحمّل السمعة السيئة. يا له من حقير".

لم يكن لي داكانغ ممتنا لهذه الملاحظة. فقال وهو ينظر إلى مرؤوسيه الجالسين أمامه ببرود: "أنا المسؤول الرئيسي لأني أخطأت باستخدام دينغ يجن، لكن هل تجد أن بعض المسؤولية تقع عليكما؟ لم لم تبلغاني بهذا الأمر؟ وخصوصا أنت، يا تشانغ شولي فأنت أمين لجنة التفتيش التأديبية، هل كنت مهملا لواجباتك أيضا؟".

شعر تشانغ شولي بالظلم فقال: "أيها الأمين لي، لقد أبلغت عن مشكلة دينغ يجن. ففي السنة الماضية، وبمناسبة حفل زفاف ولده، كان يتقبّل (الهدايا) بشكل متهور. وإضافة إلى ذلك، كان هناك ارتباطات غير طبيعية مع المستثمرين. كذلك حذّرتك...".

رفض لي داكانغ كلامه بإشارة من يده وقال: "حسنا، حسنا، أنا لم أستدعكما إلى هنا من أجل تحديد المسؤولية، لكن لكي نناقش ماذا ينبغي أن تكون خطوتنا التالية". بعد هذا الكلام، شرح خطتهم

الطارئة. سيتولى رئيس المنطقة صن ليانتشينغ واجبات دينغ يجن، ولن يتأخر مشروع بحيرة غوانغمينغ بسبب ذلك، مهما توجّب عليهم أن يفعلوا. لقد أمر تشانغ شولي بإجراء تفتيش تأديبي شامل على مشروع بحيرة غوانغمينغ، إلى أن يتأكد من الوضع. واقترح لي داكانغ بشكل خاص أن يكون التفتيش صارما في الداخل وهادئا من الخارج، فليس بإمكانهم تحت أي ظرف كان إخافة المستثمرين - قبل ثماني سنوات في لينتشينغ، أدى القبض على نائب العمدة إلى إخافة مجموعة كاملة من المستثمرين، وهبط اقتصاد لينتشينغ إلى الحضيض. حذّر لي داكانغ مرؤوسيه بصرامة قائلا: "لا يمكننا أن نقع في الخطأ ذاته مرتين. فمهمتنا الأكثر إلحاحا هي طمأنة المستثمرين والجماهير والحفاظ على استثماراتنا...". استمروا بالعمل حتى وقت متأخر من الليل، ثم عاد ثلاثتهم إلى منازلهم.

تمّ وضع كافة الخطط اللازمة، وفي حقيقة الأمر، هذا كل ما أمكنهم التفكير به. ربما أنهم لم يغفلوا عن أي شيء مهم، ورغم ذلك فلا يزال لي داكانغ يشعر بعدم الارتياح، وكأنّ هناك شوكة في خاصرته. لم يدرك لي داكانغ فجأة إلا بعد أن وصل إلى المنزل ورأى زوجته أويانغ جينغ، بأنّ هذه الشوكة ما هي في الحقيقة إلا زوجته ذاتها، فقد كانت نائب رئيس بنك جينغتشو سيتي، ولديها تعاملات بشكل طبيعي مع دينغ يجن. لقد أدرك لي داكانغ الأمر الآن، فنظافة يديه مرتبطة مباشرة بامرأته التي كانت زوجته اسميا.

قال لي داكانغ غاضبا وهو يجلس على الأريكة بعد دخوله من الباب: "أويانغ، يجب أن أقول لك هذا، ومنذ هذه اللحظة، عليك أن تتوقفي عن التدخّل بشؤون مشروع بحيرة غوانغمينغ، وإلا فسوف يقضى عليه".

فقدت أويانغ جينغ أعصابها على الفور فقالت: "اسمع، يا لي داكانغ، ما الذي يفترض أن أفهم من هذا الكلام؟ تعطيني محاضرات بعد دخولك المنزل مباشرة؟".

نقر لي داكانغ على طاولة القهوة وصرخ قائلا: "هذا تحذير، وليس محاضرة. ابقي بعيدة عن دينغ يجن".

"وما همّك إذا تعاملت تجاريا مع دينغ يجن؟ فبنك جينغتشو سيتي قدّم قروضا تفوق ستمائة مليون يوان لمشروع بحيرة غوانغمينغ الخاص بكم. إذا لم أتعامل مع دينغ يجن، فمع من أتعامل؟

معك؟ هذا لا يبدو مناسبا على الإطلاق".

"أنا لا أتحدث عن عمليات الائتمان، أنا أقول لك بأن تتوقفي عن التدخل في مشروعنا".

حدّقت أويانغ جينغ فيه بذهول ثم عادت لتردّ عليه قائلة: "حسنا، أردت أن (أقدّم) بعض المشاريع لأصدقائي، لكن هل كنت مستعدا للالتزام، أيها الأمين لي؟ متى قدّمت لي شيئا؟ فزوجتك هذه غير موجودة حتى في عينيك، وأنت لن تتكلم مع نائب العمدة دينغ حتى بالنيابة عني".

أجاب الزوج - الأمين ببرود: "لقد وقع دينغ يجن في مأزق هل تريدينني أن أنجر إليه، أيضا؟".

أطلقت أويانغ جينغ كلمة "ماذا!". كانت مصدومة جدا لدرجة أنّ فمها بقي مفتوحا لفترة.

كان الوقت منتصف الليل، ولذا ذهب كل من لي داكانغ وأويانغ جينغ إلى غرفتيهما كي يناما. لقد مرّ زمن طويل منذ أن تمزقت علاقتهما الزوجية، وأصبحا ينامان في غرف منفصلة منذ أكثر من ثماني سنوات. عندما رمى بنفسه إلى الفراش وأخذ يتقلب دون أن يتمكن من النوم، لم يكن يشغل عقل لي داكانغ سوى فكرة واحدة: الحصول على الطلاق وحسب. المترددون هم فقط الذين يتعرضون للاضطرابات. رغم أنّ الفصل لايزال فصل الصيف، إلا أنّ مسحة من حزن الخريف قد اخترقت الأجواء. في الواقع، لم يكن الحصول على الطلاق بهذه السهولة. فقد تزوجت أويانغ جينغ منه عندما كان مجرد نائب لقاضي الصلح في المنطقة، منذ عشرين عاما، وها هما قد هرما معا. ليس بإمكان قلب حتى ولو كان من حجر أن يتحمل ذلك. فتح لي داكانغ عينيه في الظلام، لقد جافاه النوم. رفع نفسه ودسّ سيجارة في فمه، ثم وقف أمام النافذة وهو ينفخ سحبا من الدخان. إذا لم يحصلا على الطلاق، ما الذي سيحدث له؟ ماذا إذا أوقعت زوجته نفسها في المشاكل؟ لم تعد سيرته المهنية قادرة على تحمّل ضربات غامضة بعد الآن.

ثمة سؤال مضن طفا على بال لي داكانغ - من سرّب المعلومات إلى دينغ يجن؟ كان واثقا بأنّ هذا السؤال يؤرق كل من حضر اجتماع اليوم. بدا وكأن هناك مؤامرة هائلة تقترب منه، وفي حال لم يستطع المقاومة، سوف يلقى به إلى الهاوية. لماذا لاذ دينغ يجن بالفرار فجأة؟ فعندما هرب، أصبح لي داكانغ المتهم الرئيسي، وكان منافسوه واضحين تماما بهذه النقطة. ومنقادا لتفكيره الحذر رأى أنه ربما كان دينغ يجن يقوم بحفر حفرة له عن عمد ثم ينتظره كي يقع فيها. كانت النيابة

لاتزال في خضم عملياتها، فحدّق لي داكانغ في النجوم على أمل القبض على دينغ يجن قريبا بقدر الإمكان، وتلا إحدى الصلوات. بعد أن رمى عقب السيجارة بعيدا، التفت ودخل إلى الفراش، وعندها بدأ قلبه بالخفقان. لكن انتظر... في حال كانت علاقة زوجته أويانغ جينغ مع دينغ يجن واحدة من المصالح الاقتصادية حقا، وفي حال قام دينغ يجن بتجريمها عند اعتقاله، ألن يتأثر هو مباشرة بالأمور؟ بعد التفكير مطولا بالأمر، لم يكن يعرف ماذا يفعل.

كان لي داكانغ مقتنعا تماما بأنّ اختفاء دينغ يجن أمر غريب، ربما هناك أشياء أكثر مما تراه العين.

في البداية، وفي ليلة اعتقالهم التي جرت في الخفاء، لم يكن هناك نذير مؤامرة. فقد كانت الرئيسة لو بيك من قسم التحقيق الأولي حاضرة بنفسها للمراقبة في ردهة دار الضيافة الحكومي، وطلبتْ من المحققة تشانغ هوى هوى بأن تجلس في مدخل قاعة الولائم وتراقب كل حركة من حركات دينغ يجن. وكذلك تمركز محقق آخر وهو تشو تشينغ، في عربة الشرطة ليراقب مدخل دار الضيافة الحكومي. كانت لو بيك محققة متمرسة وحتى ذلك الوقت لم تكن قد ارتكبت خطأ كبيرا. كانت تشانغ هوى هوى تقدم تقريرا لها كل دقيقتين من خلال سماعة أذنها ولم يكن هناك أي انقطاع في البث الحي - "دينغ يجن يقوم برفع كأس نبيذه لكي يبدأ بالخطاب ويكيل المدائح لأمين لجنة الحزب البلدية لي داكانغ. ورؤساء شركة العقارات مصطفين لكي يرفعوا نخب دينغ يجن، ويرسلون إليه بالكثير من القبل بشكل يثير الاشمئزاز. دينغ يجن مخمور تماما، ويترنّح كثيرا لدرجة أنه بالكاد يقف على رجليه...".

وإذا ما أعملنا التفكير في الأمر فلا بد أن نلحظ بعض الثغرات. فمن حيث تقف، كان بإمكان تشانغ هوى هوى أن ترى دينغ يجن من الخلف فقط، وهو يجلس في مقعد الشرف المواجه لمنظر البحيرة خارج النوافذ ذات الطراز الفرنسي. لم تستطع تشانغ هوى هوى أن تفهم كيف لم يحتج مدير دار البلدية صن سوى إلى جزء من الثانية ليحلّ محل دينغ يجن. كانت بنية المدير صن مشابهة لبنية دينغ يجن، فكلاهما بدين، وكلاهما ارتدى اليوم بذلة رجال أعمال ذات لون رصاصي فضي. من الخلف، بانا متشابهين بالضبط، لقد ارتكبت مسبقا خطأ فادحا عندما قدمت تقريرها بأنّ كل شيء كان طبيعيا.

تشو تشينغ، هو من لاحظ حدوث شيء غير طبيعي بينما كان يراقب من العربة، ومن ثم أبلغ الأمر للو بيك: تسللت سيارة نائب العمدة دينغ الأودي بهدوء إلى خارج البوابة الأمامية وسارت باتجاه جادة التحرير. لم تستطع لو بيك إلا أن تصاب بالدهشة، فبينما لايزال رئيسه يشرب، لماذا يغادر السائق من دون إذن؟ هناك خطأ ما. وفي هذا الوقت، اتصل المدير تشن هاي وأصدر تعليماته بالقبض على دينغ يجن، فهم ليسوا بحاجة لانتظار تعليمات لجنة الحزب الإقليمية. أسرعت لو بيك وتشانغ هوى هوى إلى داخل صالة الولائم، ومشتا باتجاه الطاولة الرئيسية قبل أن تدركا أنّ الشخص المماثل لدينغ يجن من الخلف كان في الحقيقة هو المدير صن!

أخذت لو بيك المدير صن جانبا وسألت عن الوجهة التي ذهب إليها دينغ يجن. أجاب المدير صن بأنّ نائب العمدة دينغ تلقى اتصالا للتو من نائب المحافظ لكي يقدم له تقريرا عن عمله غدا، ولذا فقد ذهب إلى غرفته ليحضّر التقرير. أدركت لو بيك أنّ شيئا ما قد حدث، وبعد أن أبلغت ذلك لتشن هاي، قادت فريقها مباشرة إلى الطابق العلوي لتفتّش الغرف.

ثمة جناح لدينغ يجن في دار الضيافة الحكومي يستعمله طوال العام، وهو يعتبر مكتبا مؤقتا لمشروع بحيرة غوانغمينغ. دخلت لو بيك الغرفة واكتشفت أنّ الكومبيوتر المحمول على طاولة المكتب لايزال مفتوحا، وهناك بعض الوثائق المكومة عليها أيضا، وكأنّ دينغ يجن كان يحضّر المعلومات فعلا هناك. كما أن هناك زجاجة نصف فارغة من نبيذ ريمي مارتين على طاولة القهوة. أشارت تلك الدلائل المتنوعة إلى أنّ دينغ يجن لم يبتعد كثيرا. أمرت لو بيك المرافقين بفتح كل الغرف وتفتيشها واحدة تلو الأخرى. وفي النهاية عادوا خالي الوفاض.

شعرت لو بيك بعرق بارد اعترى جسدها لدرجة أنه بلل ملابسها الداخلية، لم تتعرض في حياتها أبدا لمثل هذا الوضع. كان هذا غريبا جدا، هل دينغ يجن ساحر؟ تلك المرأة التي في الثلاثين من عمرها كانت ناضجة ومعتزة بنفسها ومتحفظة من كل النواحي، فهي تهتم بشؤونها الخاصة وتبقى بعيدة عن المشاكل إلى درجة أنها بقيت عزباء حتى ذلك الوقت. كانت هذه الصدمة كبيرة جدا كي تتحملها...

بعد تلقيه اتصال لو بيك، قاد تشن هاي سيارته نحو دار الضيافة الحكومي، وفي الوقت نفسه أمر الفريقين الثاني والثالث بتفتيش منزل دينغ يجن ومكتب العمدة على التوالي. كانت السماء تمطر فشغّل تشن هاي مساحات الزجاج الأمامية. كل شيء أمامه يبدو مبهما، مثل محنته الحالية تماما.

كان الوضع غير قابل للإنقاذ تقريبا، شعر وكأنّ قطعة كبيرة من الرصاص تجثم فوق صدره. ليس هناك من كلمات تصف ندمه: لو أنه أصغى إلى هوى ليانغ بينغ الليلة منذ البداية واعتقل دينغ يجن مباشرة، لما حصل كل هذا.

أين يفترض به أن يجد دينغ يجن الحقير هذا؟ لقد اعتقد بأنّ أحدهم سرب إليه المعلومات.

عندما وصل إلى دار الضيافة الحكومي، أبلغته لو بيك بآخر التطورات: اكتشفوا من كاميرات فيديو المراقبة الأمنية أنّ دينغ يجن غادر صالة الولائم وخرج عبر ممر المطبخ. كان رئيس الطهاة يعرف نائب العمدة دينغ يجن وقد أكّد مجرى الأحداث هذا. رغم أنه كان يظهر عليه كثير من القلق، إلا أن تشن هاي استجمع قواه وطمأن مرؤوسيه بكلمات لطيفة وأخبرهم بأن لا يقلقوا.

في ذلك الحين، استدعي كافة أفراد القوات المنتشرة واحدا بعد الآخر. قال الفريق الثاني إنّ دينغ يجن ليس في المنزل، ولم تره زوجته منذ يومين. اتصل الفريق الثاني من مبنى البلدية وقالوا إنهم فتشوا مكتب دينغ يجن ولم يجدوا شيئا ذا قيمة. في الوقت الحاضر، كانوا يفتشون عن دينغ يجن من خلال جهاز الأمن العام. في الوقت الذي كان فيه تشن هاي على وشك الاتصال بقاو يوليانغ، اتصل زميل دراسته السابق والأكبر منه تشي تونغ وى، داعيا زميل دراسته الأصغر منه إلى مركز قيادة الأمن الإقليمي العام كي يجتمعا ويشرفا معا على مطاردة آخر الليل. لدى سماعه نبرة صوت زميل دراسته، بدا وكأنه يقتفي أثر دينغ يجن سلفا.

اشتعلت كل خلية من خلايا جسد تشن هاي بالحماسة في الوقت الذي توجّه فيه إلى إدارة الأمن العام بسيارته. في تلك الأيام الماضية في جامعة إيتش، كان هو وهوى ليانغ بينغ وتشى تونغ وى يعرفون باسم "الفرسان الثلاثة لقسم القانون والسياسات". ورغم أنهم كانوا أصدقاء، إلا أنّ تشن هاي كان أقرب إلى هوى ليانغ بينغ في أعماقه. بالتأكيد كانت ثمة عيوب في القرد، لكنه صريح وجدير بالثقة. كان تشي تونغ وى مغرورا. فملابسه وتصرفاته يكشفان أحيانا عن مظهر رجل مستهتر، وهو في الواقع يتحدر من منطقة ريفية فقيرة. في فترة الجامعة، كان تشي تونغ وى وهوى ليانغ بينغ متنافسين معا، وغالبا ما اضطر تشن هاي للتوسط من أجل حل خلافاتهما. وفي سنتهم الجامعية الأولى، أثناء تنافسهم على رئاسة اتحاد طلاب قسم القانون والسياسات، تصارع تشي تونغ وى وهوى ليانغ بينغ في السر والعلن إلى أن وصلا لنتيجة غير حاسمة. وفي النهاية وصلا إلى

تسوية بينهما تقضي بتعيين الصديق القديم الطيب تشن هاي كرئيس. هؤلاء الثلاثة كانوا بمثابة غنيمة بالنسبة إلى قاو يوليانغ، وقام أستاذهم برعايتهم وإرشادهم طوال الطريق. كأن القدر الذي جمعهم مع بعضهم الآن للنضال من أجل قضية عامة استحق التقدير.

وصل إلى مبنى الأمن العام في وقت قصير. ركن تشن هاي السيارة وصعد السلالم اثنتين اثنتين، ثم اندفع إلى ردهة مركز القيادة. تقدّم تشي تونغ وى إلى الأمام وأجلسه على كرسي أمام لوحة التحكم، ثم قدّم له كوبا من الشاي الساخن. ثمة شاشة إلكترونية ضخمة على طول الجدار الأمامي، وهناك نقطة براقة تتحرك فوق خريطة طرق المقاطعة التي تشبه شبكة الصيد. أشار تشي تونغ وى إلى النقطة البراقة على الشاشة الكبيرة وقال لتشن هاي: "انظر يا هاي، إنه هناك".

عندها فقط أدرك تشن هاي أنّ دينغ يجن قد غادر جينغتشو مسبقا ومنذ فترة. كانت سيارته تسرع على الطريق السريع من جينغتشو إلى يانتاي. دينغ يجن هو من يانتاي، ولذا فمن المحتمل أنه متوجه إلى هناك. في حال هرب دينغ يجن إلى هناك، فهو يسير مباشرة نحو فخ. أخبره تشي تونغ وى أنهم اقتفوا أثر هاتف دينغ يجن الجوال مسبقا، وهو الآن مثل سمكة عالقة في سنارة صيد. بناء على ذلك قال تشي تونغ وى: "هذه التكنولوجيا لك".

تحركت النقطة البراقة ببطء عبر الشاشة الكبيرة، وكانت الآن قد تجاوزت شوانغ غوجي. أعطى تشي تونغ وي أوامره بقطع مخرج تشاي تاون. فاتصل ضباط الشرطة على الفور بمكتب الأمن العام في تشاي تاون، وطلبوا دورية شرطة كي تقوم بتشكيل حاجز عند مخرج الطريق السريع المؤدي إلى تشاي تاون. اعترضت الشرطة السيارة عند محطة التحصيل في تشاي تاون، لكن المدهش أنّ دينغ يجن لم يكن فيها، وبعد أن سألوا السائق، أدركوا أنّ والدة دينغ يجن مريضة، وأنه طلب من السائق زيارتها بالنيابة عنه. حتى أنه أعطى السائق ألف يوان لكي تشتري أمه مكملات غذائية. قال السائق إنّ نائب العمدة دينغ نزل من السيارة في جادة التحرير. فتش رجال الشرطة الموجودون في الموقع سيارة الأودي، فوجدوا هاتف دينغ يجن تحت الوسادة في المقعد الخلفي. كان الهاتف شغالا وفي وضعية صامت. لقد رتّب ذلك الكلب الخبيث عملية تمويه عن عمد، مستخدما هاتفه للفت انتباه متعقبيه ومن ثم يهرب.

كاد تشي تونغ وى أن يجنّ من الغضب، فأمر طاقمه بسحب تسجيلات كاميرات المراقبة الأمنية في جادة التحرير وفحصها بدقة وحرص، بعد وقت قصير، ظهر فيديو لدينغ يجن على

الشاشة الكبيرة. فبعد نزوله في جادة التحرير، مشى بسرعة، ثم اختفى في أحد الأزقة المظلمة. فيما بعد، ظهر دينغ يجن مرة أخرى في طريق إيفو الشرقي حيث أوقف سيارة أجرة، وانطلق في الطريق السريع المتجه إلى المطار.

دينغ يجن هذا كان محترفا قذرا، فقد مشى مسافة مربعين سكنيين في الزقاق قبل أن يستقل سيارة أجرة إلى المطار، كذلك ترك هاتفه شغالا كي يخدعهم ويبتلعوا الطعم، كان تشي تونغ وى حانقا بعض الشيء. وبوجه ممتقع، أمر مرؤوسيه بالاتصال مباشرة بمطار جينغتشو الدولي. لكنّ المعلومات القادمة من المطار كانت مخيبة للآمال: ليس هناك أي سجل مهما كان عن شراء دينغ يجن لبطاقة طائرة أو صعوده إلى أي طائرة اليوم.

اقترح تشن هاي قائلا: "تحققوا من كل المطارات المجاورة". فاتصل ضباط الشرطة بالمطارات الثلاثة المجاورة على الفور.

وفي خضم الضجيج، صرخ ضابط شرطة يضع سماعات على أذنيه وهو جالس على الطاولة رقم 6 قائلا: "أيها المدير تشي والمدير تشن، وجدته، وجدته أخيرا. بناء على الصورة التي أعطيناها لهم عن دينغ يجن، بحث قسم الجوازات في مطار جينغتشو الدولي في أسماء كل الناس الذين غادروا البلاد اليوم، واكتشفوا بأنّ دينغ يجن غير اسمه إلى اسم توم دينغ، وأقلع في رحلة الخطوط الكندية رقم 23432 إلى تورينتو، كندا، قبل ساعتين".

قال تشن هاي بذهول: "ماذا؟ ماذا؟ هرب هذا الرجل قبل ساعتين من الآن؟".

"نعم أيها المدير تشن، لقد طارت الرحلة 23432 خارج مجال بلادنا الجوي إلى داخل المجال الجوي الدولي. هم في الموقع 99 درجة شرق و47 درجة شمال...".

تحوّلت الأجواء داخل صالة القيادة إلى جليدية خلال ثانية واحدة، وكان التنفس صعبا على الجميع.

ضرب تشن هاي الطاولة بقبضة يده بقوة ثم قال: "يا إلهي، بطتنا المطهوة طارت لتوها من القفص".

اتصل الأمين قاو يوليانغ عند الفجر ليسأل عن الأوضاع، فذهب تشن هاي وتشى تونغ وى إلى منزل أستاذهما معا ليقدما التقرير. لم ينم قاو يوليانغ طوال الليل، وكانت عيناه حمراوان ومتورمتان. عندما وصل تلميذاه، كان يتناول طعام الفطور، فطلب منهما الجلوس لتناول الطعام معه. شعر الطالبان بعدم الارتياح ولم يجرؤا على الجلوس، فما بالك بتناول أي شيء. بعد الاستماع إلى تقريرهما، لم يعد أستاذهما يشعر بالجوع أيضا. وبوجهه الكئيب، دفع كوب حليبه الذي أنهى نصفه جانبا ثم وقف بتغطرس:

"أحسنتما. الأمن العام والنيابة العامة، صحيح؟ وحدتان قانونيتان وسياسيتان تطاردان هدفا واحدا، وفي النهاية يلوذ الهدف بالفرار، تشي تونغ وى، يا لهذا المدير العظيم للأمن العام الذي أصبحت عليه، أنت تزداد موهبة بمرور الأيام، تشن هاي، في الواقع سوف تذهب بعيدا كمدير لمكتب مكافحة الفساد، نظرا لكيفية فقدانك لهدف كنت تراقبه طوال هذه الفترة".

ابتسم تشي تونغ وى بتزلف وقال: "من كان يظن أننا سوف نفشل بهذا الشكل البائس؟ أيها البروفيسور، سوف أفكّر مليا في الإجراءات التي اتخذتها".

نقر قاو يوليانغ الطاولة التي بجانبه ببراجمه وقال: "لا تحاول استمالتي بكلمة (بروفيسور) تلك. عليك أن تستعمل ألقاب العمل الرسمية".

امتثل تشن هاي لكلامه فقال: "أيها الأمين قاو، هذه مسؤولية مكتبنا لمكافحة الفساد، يجب أن أكون أنا الذي أفكر مليا بأخطائي".

لانت تعابير قاو يوليانغ قليلا، فقال بتأمّل: "لقد كان الوضع في الليلة الماضية معقدا بعض الشيء، وطالت مدة الاجتماع. أعتقد أنّ مخبرا ما سرّب المعلومات. أيها المدير تشى، ركّز تحقيقك على ذلك".

قال تشي تونغ وى: "أيها الأمين قاو، فكرت بذلك الأمر مسبقا، سوف أرتّب لهذا التحقيق اليوم".

أومأ قاو يوليانغ برأسه ثم قال: "جيد، يجب على كليكما أن تضعا هذا في ذهنكما: في حال لم تتمكنا من استعادة دينغ يجن، لن أرحمكما، وفي المستقبل، لا تدعيا بعد الآن أنكما كنتما تلميذي".

وقف كل من تشي تونغ وى وتشن هاي بانتصاب، وحنيا رأسيهما معا تقريبا: "مفهوم أيها البروفيسور".

لدى مغادرة منزل قاو يوليانغ، كان المطر قد توقف، وصبغ الأفق الشرقي بأشعة النهار.

افترق طريق تشن هاي عن تشي تونغ وى، وحالما أصبح في سيارة الأجرة لوحده، ملأه الندم مرة أخرى. ما الذي كان يجري هنا؟ بصراحة لم يستطع تصديق أنّ دينغ يجن هرب حقا تحت نظر الكثير من العيون الساهرة. هو لم يكن يصلح لشيء كمدير لمكتب مكافحة الفساد، قبل أخذ القرار، أصرّ جي تشانغ مينغ على الإبلاغ عن الأمر. حينئذ، أخطر قاو يوليانغ، لي داكانغ، ومدير إدارة الأمن العام تشي تونغ وى. هم فقط كانوا على علم بهذه المعلومات. ومن بينهم كان هو وتشى تونغ وى طالبين عند قاو يوليانغ. كما لم يبد الأمر كمشكلة ضمن مكتب مكافحة الفساد، فقد بدأت لو بيك بمراقبة دينغ يجن صباح البارحة. لو أنّ لو بيك والآخرين سرّبوا المعلومات، لكان دينغ يجن هرب أثناء النهار. لم قد ينتظر حتى الليل؟.

كانت المياه عميقة في مقاطعة إيتش... عميقة جدا لمعرفة من يكمن تحت السطح. كائنا من كان مختبئا وراء دينغ يجن، فمن المؤكد أنه شخص كبير.

في ذلك الوقت، تذكّر تشن هاي فجأة بأنّ العاصفة الرعدية فوق بكين قد زالت، فقد بعث له هوى ليانغ بينغ رسالة قبل صعوده إلى الطائرة مباشرة في الصباح الباكر. الوقت حاليا بعد الساعة السادسة صباحا بقليل، لربما حطّت طائرة هوى ليانغ بينغ مسبقا.

أسرع تشن هاي بسيارته متوجها نحو المطار. كانت الحقول شديدة الخضرة بعد المطر، وعلى جانبي الطريق هناك صفوف خضراء من الشجيرات المقلّمة بأناقة، وذاك تباين مبهج مقارنة بالأشجار الشاهقة القائمة على طول الطريق السريع. فتح تشن هاي النافذة ليصفّي ذهنه بنسيم الصباح الباكر المنعش. عندما أفسحت السرعة المجال أما الحماسة، تحرر تشن هاي مؤقتا من أفكاره الكئيبة وشعر كأنه يطير.

حدّث تشن هاي نفسه: لم يكن هذا الإخفاق الصغير شيئا يذكر، لقد بدأت المعركة الحقيقية للتو. فرغم أنّ دينغ يجن قد لاذ بالفرار، إلا أنّ من سرّب المعلومات لايزال هنا كائنا من يكون.

شخص ما كان بهذه القدرة وسعة الحيلة لابدّ وأن يكون صيدا ثمينا!. ربما تكون هذه السمكة أكبر مما يتخيل الكوادر أو الكتل في مقاطعة إيتش...

4

بدا وجه هوى ليانغ بينغ ممتقعا وهو يسحب ملف دينغ يجن من حقيبته، فضربه بعنف على مكتب هاي ثم جلس على كرسي مكتب تشن هاي بغضب ثم ما لبث أن فقد على الفور أعصابه. قال بصفته رئيسا لتشن هاي: "حسنا يا تشن هاي، أيها المدير القدير تشن، لقد نفذت إجراءاتي، لكن يبدو أنّ المجرم المتهم قد اختفى، أهكذا تقوم بعملك؟ هل هذا ما قصدته بأنك (تلتزم بالقانون؟).

أخذ تشن هاي الملف وأجبر نفسه على الابتسام ثم قال: "أنا آسف، أيها القرد، أنا حقا آسف".

نقر تشن هوى ليانغ بينغ على الطاولة ثم قال بصوت حاد: "تشن هاي، ألا تستطيع القيام بعمل نزيه ولو لمرة واحدة؟ إذا؟".

نظرا للخطأ الذي ارتكبه، بدا تشن هاي أكثر لطافة، وبابتسامة اعتذارية، ظلّ يكرر توضيحه لهوى ليانغ بينغ، منذ اجتماع لجنة الحزب الإقليمية في الليلة الماضية، إلى اختلاف الآراء في الاجتماع، وصولا إلى تعليمات أستاذهم قاو يوليانغ الجديدة. كان مكتب مكافحة الفساد الإقليمي يحضّر في الوقت الحالي مستندات دينغ يجن، وسوف يصدر مكتب الإنتربول في الصين إنذارا أحمر بالسرعة الممكنة. كانت إدارة الأمن العام تحضّر لعملية ملاحقة دولية.

عندما انتهى اجتماعهما، لم يكن لأي منهما الكثير ليقوله، لقد تمنى تشن هاي النزيه بحق لو أنّ صديقه يبتسم قليلا في ذلك الوقت، بحيث يستطيع رفع عبء عن كاهله.

لكنّه رفض بعناد. كان هذا الغبي تشن هاي مثيرا للغضب بشكل كبير، فلديه موظف فاسد بين يديه وقد ضاع منه. لقد توسّل إلى تشن هاي في الليلة الماضية مرة بعد أخرى كي يقوم بعملية الاعتقال، لكن لم يصغ إليه بتاتا. ولذا منذ الوقت الذي غادر فيه المطار حتى الآن، ظلّ هوى ليانغ

بينغ مقطب الحاجبين كئيبا، وكأنّ لا وجود للصداقة بينه وبين تشن هاي بأي شكل من الأشكال. كان الوضع مؤلما، لكنه استحق ذلك. سيتوجب عليه تحمّل المعاملة الباردة.

لدى تشن هاي حوض سمك في مكتبه يحوي جميع أنواع الأسماك البراقة والملونة التي تجول باسترخاء داخله. يعلم هوى ليانغ بينغ بأنّ تشن هاي قد ورث هذه الهواية من والده تشن يانشي - لدى تشن يانشي ولع خاص بالأزهار والطيور والأسماك. كان كل ركن في منزله مغطى بنباتات خضراء مثل الخيزران والخشب البرازيلي والفيلوديندرون، والنباتات المتعرشة... لم تكن من أفضل المجموعات المتنوعة، لكنها جعلت المنزل أخضر اللون.

بينما وقف هوى ليانغ بينغ أمام حوض السمك مبديا إعجابه بالأسماك الذهبية، ارتاح بشكل تدريجي وأصبح أكثر هدوء نوعا ما. لقد اعتقد أنه لكي يرتكب دينغ يجن مثل هذه الجريمة الكبيرة، فلابدّ وأنه ترك وراءه بعض الآثار. بينما كان ينظر إلى حوض السمك، حلّل الوضع مع تشن هاي وجعله يفكّر معه. هل كان لدى مكتب مكافحة الفساد أو لجنة التفتيش التأديبية أي دلائل من قبل؟ لابدّ وأنّ أحدهم أبلغ عن دينغ يجن في الماضي. فكّر تشن هاي بذلك وأجاب بأنّ العديد من الناس بلّغوا عن دينغ يجن، لكن جميعهم كانوا مجهولي الهوية، ولم يتسببوا بكثير من الضجيج. لكن ثمة شخص لم يبلّغ عنه دون الكشف عن هويته... حوّل هوى ليانغ بينغ نظره أخيرا إلى تشن هاي وقال: "من كان المخبر؟".

"إنه والدي". ضحك تشن هاي بضيق متابعا قوله: "رئيس النيابة القديم الذي تعرفه والذي تقاعد منذ وقت طويل، تشن يانشي. لكنّ المخبر الحقيقي لم يكن هو في الحقيقة، بل أحد العمال من شركة دافنغ للألبسة. أبي قام بتمرير المعلومة فقط. لقد افتقر التقرير إلى دلائل موثوقة ولهذا تجاهلتْه...".

حدّق هوى ليانغ بينغ بتشن هاي وقال: "تجاهلته؟ وهل قدّم لك رئيس نيابتنا القديم سلة قمامة لأجل ذلك؟".

حاول تشن هاي ترطيب الجو عن طريق المزاح فقال: "أيها القرد، ما رأيك بأن تنفّس عن ذلك الغضب وتبدأ بضربي بدلا من والدي؟ لكن ربما ليس لديك علم بوضع والدي الحالي، فهو لم يعد العم تشن الذي اعتدت أن...".

"كيف يمكنني أن أنساه؟ نحن نعرف بعضنا منذ فترة طويلة، دعنا نسمع، كيف حال الرجل العجوز الآن؟".

بدأ تشن هاي بقوله: "لقد قام الرجل العجوز مؤخرا بعمل غريب. فقد باع شقته الحكومية ذات المستوى البلدي بثلاثة ملايين يوان تقريبا، وتبرّع بالكثير منها، ثم أخذ والدتي ورحل كي يعيش في إحدى دور المسنين على حسابه الخاص. لقد تسبب ذلك بصدمة كبيرة في المجتمع. بعضهم قال، هكذا يعبّر أحد الرفاق القدماء عن استيائه، وأنّ ذلك هو السخرية المطلقة من الكوادر الفاسدة القائمة على الوضع حاليا. وأنّ الرجل العجوز ذهب في كل الأرجاء ليكيل الشتائم لمنافسه القديم ـ الأمين السابق للجنة الحزب الإقليمية تشاو ليتشون. لقد عمل الرجل العجوز في ذلك الوقت مع تشاو ليتشون ضمن الفريق نفسه في جينغتشو. كان الوضع سهلا بالنسبة إلى تشاو ليتشون الذي نقل إلى بكين ومنح مسكنا حكوميا ومنصبا عاليا. ومن الناحية الأخرى، لم يتسنّ للرجل العجوز حتى الاستمتاع بدرجة المقاطعات الفرعية التي استحقها أساسا. ولذا كافح الرجل العجوز بعد التقاعد دائما من أجل الحقيقة ومن أجل مساعدة الناس في كل مكان يرفعون فيه الشكاوى. قريبا سوف تصبح دار المسنين التي يعيش فيها (النيابة الشعبية الثانية في المقاطعة). لقد أصبح لديه خبرة وهو مستعد للتعامل مع شتى أشكال الشكاوى. فهو يتصل دائما ليبلغ عن نشاطات غير قانونية، إلى درجة أنني في كل مرة لا أعرف ما إذا كان يجب علي أن أضحك أو أبكي".

لدى سماعه ذلك، ارتفعت معنويات هوى ليانغ بينغ فقال: "هيا بنا، أريد أن أذهب لرؤية الرجل العجوز. دعنا نذهب الآن".

ضحك تشن هاي وقال: "أنف القرد خاصتك مثل أنف كلب بوليسي، فالرجل العجوز حضّر وجبة طعام مسبقا في دار المسنين، وهو بانتظارك كي تذهب لتأكل وتشرب على حسابه. هيا بنا، فالبقاء معك لوحدي تماما يجعلني أشعر بأني تعيس حقا. أنت تعذبني عمدا".

عندما درسا في جامعة إيتش، كان هوى ليانغ بينغ شرها، وبإمكانه التهام فطيرتين إلى ثلاث فطائر ساخنة دفعة واحدة. ولم تكن تقريبا حصص الطعام في كافيتيريا الطلاب كافية لتملأ بطنه، ولذا يقوم هوى ليانغ بينغ باللحاق بتشن هاي إلى منزله كل بضعة أيام كي يأكل حتى صار بطنه مدورا. في ذلك الوقت، ولأنّ تشن يانشي لديه لحية، أطلق هوى ليانغ بينغ عليه اسم "العم لحية"، وكانا قريبين من بعضهما كأفراد عائلة واحدة. بعد التخرج والتعيين للعمل في بكين، قلّ تواصل

هوى ليانغ بينغ مع العم لحية، لكنّ قلبه كان دائما عامرا بالاشتياق للرجل العجوز. مرّت سنوات طويلة، وعندما التقيا هذه المرة، كان الرجل العجوز قد تغير كثيرا. فقد اختفت لحيته المهيبة، وبدا أنّ الرجل نفسه قد تقلّص في الحجم. كان أضعف وأقصر وكثير الشكوى. لقد انفطر قلب هوى ليانغ بينغ لرؤيته بذلك الشكل.

يعيش الثنائي العجوز في شقة في الطابق الثالث، فيها شرفة وحمام ومطبخ صغير. وفي الأيام العادية، يأكلان في الخارج، لكن بإمكانهما تحضير الطعام لأنفسهما. انتبه هوى ليانغ بينغ بعد دخولهما من الباب مباشرة إلى أنّ ذراع تشن هاي اليمنى، الرئيسة لو ييك، كانت في المطبخ تصول وتجول مثل مضيفة، ومغرفتها المعدنية تملأ الجو برائحة القلي. ثمة طاولة مستديرة في وسط الغرفة مغطاة بالأطباق. خرجت لو ييك من المطبخ فقدمها تشن هاي على الفور إلى هوى ليانغ بينغ قائلا: "هذه رئيسة فرقتنا الأولى لو ييك. وأنا طلبت مساعدتها في المطبخ كي تقدم لك الطعام بشكل خاص".

تناول الجميع الطعام حول الطاولة المستديرة. لم يكن هناك كراسي كفاية، ولذا جلس تشن هاي ولو ييك بجانب بعضهما على طرف السرير. رمق هوى ليانغ بينغ تشن هاي بنظرة معبّرة وقال: "من بين الفرسان الثلاثة في قسم القانون والسياسات، نحن نفتقد لتشى تونغ وي فقط. ما سبب عدم وجود عدوي القديم هنا الآن؟ هل نسيت أن تدعوه؟".

"اتصلت به، لكن ليس بإمكانه المجيء. قال إنه في اجتماع مع أحد موظفي الاتصالات من أجل التحقيق في موضوع يخص تسريب معلومات عبر الهاتف من قبل أحد الأشخاص". تنهّد تشن هاي وتابع قوله: "لقد حدث شيء مثل هذه، ولم يغمض لي ولتشى تونغ وى أي جفن طوال الليل. فيما بعد، تناوبنا في تلقّي التوبيخ".

وقفت لو ييك بشعرها القصير واقترحت شرب نخب هوى ليانغ بينغ قائلة: "لم لا نتحدث عن شيء مبهج؟ لقد سمعت أنّ لقبك هو "القرد". وبوجود شخص بطيبة مديرنا تشن هاي كزميل دراسة لك، لربما تنمّرت عليه كثيرا، أليس كذلك؟".

أنزل هوى ليانغ بينغ كأسه وتذمّر قائلا: "يا إلهي، أيتها الرئيسة لو، ليس بإمكاننا أن نمتدح قائدنا كثيرا. الآن، من تنمّر على من؟ إنه رئيسك الذي تنمّر علي، هذا ما كان يحدث غالبا في الكلية:

كنت أنفق النقود من أجل اصطحاب إحدى الفتيات لتناول فنجان قهوة، لينتهي الأمر فيما بعد برئيسك مواعدا إياها...".

صرخ تشن هاي قائلا إنّ كل هذا هراء ثم أضاف صابا جام غضبه: "طوال سنوات الكلية، هل تظنين أنّ هذا القرد كان ينام في السرير السفلي بدافع اللياقة؟ كلا، كنت أريد أن أنام في الأسفل، أيضا، لكن لم أستطع، ففي ذلك الوقت، كان هذا المدير هوى الجالس هنا قردا لعوبا. فهو لم يكن يستلقي في السرير، كان يقفز إلى السرير، وإذا حاولت النوم في السرير السفلي، كان يغضب مثل القرد، وغالبا ما كان يقفز فوقي ويجعلني أصحو من أحلامي. لم أكن أجرؤ على النوم حتى يعود هذا الشخص ليلا، لذلك، وفي نهاية المطاف قدّمت السرير السفلي له طوعا - أيها القرد، أتوسّل إليك بأنّ تتوقف عن القفز، تفضّل، كن هادئا وخذ السرير السفلي".

انفجر الجميع بالضحك، فالعجوز تشن يانشي وزوجته ضحكا بشدة حتى بدآ بالبكاء. كان هذان الصبيان زوجين من المهرجين.

زميلا الدراسة البهلوانان هذان، شربا زجاجة بأكملها من أفخر الأنواع في جينغتشو. لدى هوى ليانغ بينغ قدرة احتمال عالية للكحول فلم يشعر بشيء، لكنّ تشن هاي لا يستطيع التحمّل. وإلى جانب ذلك، سهره طوال الليل في الليلة الماضية، فقال إنه شعر بالدوار ويريد أن يأخذ قيلولة. نتيجة لذلك، ما إن وضع رأسه على الوسادة حتى بدأ بالشخير. وجدت لو ييك أنه لم يبق شيء لها تفعله فانصرفت.

عندها فقط، وضّح هوى ليانغ بينغ السبب الحقيقي من المجيء لرؤية تشن يانشي: الرسالة القادمة من شركة دافنغ للألبسة تهمه. فقد ترعرع مع رئيس مصنع دافنغ للألبسة، تساي قونغ، الذي اتصل مرة بهوى ليانغ بينغ ليقول إنه تعرّض للخداع من قبل أحدهم وفقد كمية من الأسهم. افترض ليانغ بينغ أنّ ذلك مجرد خلاف اقتصادي عادي ولم يفكر بالأمر كثيرا. لقد عرف اليوم بصورة اعتباطية بشأن توقيع الرجل العجوز على رسالة المخبر، ولذا كان عليه أخذ الأمر بجدية. قال تشن يانشي: "تلك هي المخالفة، لم يرغب تشن هاي بأخذ تقاريري على محمل الجد".

لذا طلب هوى ليانغ بينغ من تشن يانشي تقديم تقرير له، فأغمض تشن يانشي عينيه نصف إغماضة وكأنه يحاول أن يتذكر. كان مصنع دافنغ في تلك الأيام شركة مملوكة للدولة. وعندما كان

نائبا لعمدة جينغتشو، كان مسؤولا عن عملية إصلاح شركات المساهمة وجعل العمال مساهمين مشتركين. فيما بعد، غادر جينغتشو ونقل إلى نيابة المقاطعة، لكن مع ذلك، غالبا ما يأتي العمال بحثا عنه عندما يكونون بحاجة إلى شيء ما. حدث خلاف اقتصادي في السنة الماضية - استخدم تساي قونغ أسهم مصنع دافنغ كضمان إضافي من أجل اقتراض خمسين مليون يوان من مجموعة شانشوي، لكنه لم يتمكن من تسديد النقود في موعد استحقاقها. ولذا منحت المحكمة الأسهم إلى مجموعة شانشوي، وبهذه السهولة، تغيرتْ ملكية مصنع دافنغ. لقد ارتفعت الآن قيمة أرض مشروع غوانغمينغ لحدود السماء، ويزعم أنّ أرض المصنع نفسها قيمتها مليار يوان. توقف العمال الذي كانوا حملة أسهم عن العمل وقاموا باحتلال المصنع، لقد رفضوا أن تقوم جماعة مجموعة شانشوي بالاستيلاء على الملكية. كذلك اختفى رئيس مصنع دافنغ تساي قونغ أيضا، قال بعضهم إنه ذهب إلى بكين ليقدّم عريضة إلى الجهات العليا.

سأل هوى ليانغ بينغ: "حسنا، ما علاقة كل هذا بنائب العمدة الفار دينغ يجن؟".

أجاب تشن يانشي: "هناك علاقة، لأنّ دينغ يجن كان الشخص المسؤول عن مشروع بحيرة غوانغمينغ، ولديه علاقة وثيقة برئيسة مجموعة شانشوي، قاو شياو تشين. يعتقد العمال أنّ هناك شيئا مريبا بشأن (كل الأسهم كضمانة إضافية) - وأنه ربما كان دينغ يجن يحصل على شيء جيد من قاو شياو تشين، ولذا قاموا بالتبليغ عنه. أنا أيضا لدي شكوك بهذا الأمر، وآمل أن يستطيع قادة جينغتشو حماية حقوق العمال ومصالحهم وفقا للقانون. ولهذا السبب شرحت الوضع في رسالة المخبر ووقّعت عليها، لكن لا حياة لمن تنادي. لم يأخذ قادة المدينة الأمر بجدية، ولا حتى لحمي ودمي المدير تشن هاي، فقد أحال القضية للتحقيق، لكنه خلص إلى أنها خلاف اقتصادي. بهذه البساطة وحسب، حملت إلي القضية عالما من المتاعب، فقد ظنّ بعض الناس بسبب أني لم أوفر جهدا في دقّ ناقوس الخطر من أجل مصنع دافنغ، فلابدّ وأنهم دفعوا لي للقيام بذلك!".

تعجّب هوى ليانغ بينغ قائلا بصوت مرتفع: "عمي تشن، هل يمكن لهذا أن يكون بسبب أنك وضعت يديك على بعض الأدلة المحددة؟".

أجاب تشن يانشي وهو يهزّ رأسه: "يا ليانغ بينغ، ذلك شيء يجب عليك أن تسعى إلى معرفته. الحقيقة في الوقت الحالي، هي أنّ دينغ يجن هرب، لماذا سيهرب إذا لم يكن هناك شيء خطأ؟ اقبض على دينغ يجن ولن تنقصك الأدلة حينها".

ضحك هوى ليانغ بينغ بمرارة وقال: "ألم يكن ابنك تشن هاي هو من ترك دينغ يجن يهرب؟!".

ذهل تشن يانشي. فحتى الآن، لم يكن للرجل العجوز أي فكرة عن أنّ دينغ يجن قد هرب فعلا من بين يدي ولده تشن هاي، ولم يسعه سوى أن يهز رأسه ويتنهد لوهلة من الوقت. ثم بدأ يتذمر من الناس، أولا من ابنه ومن ثم تشاو ليتشون. لقد سمع هوى ليانغ بينغ من تشن هاي بأنّ الرجل العجوز يلوم تشاو ليتشون على كل الأشياء السيئة التي حدثت. بإمكانه اليوم أن يختبر ذلك بنفسه أخيرا. اشتكى تشن يانشي من أنّ سلوك الحزب والحكومة في مقاطعة إيتش، والنزعات الاجتماعية العامة أصابها الفساد كلها على يدي تشاو ليتشون. عندما كان تشاو ليتشون عمدة لمدينة جينغتشو، أبعد نفسه عن الجماهير. ولأنه يكره حرّ الصيف، اختفى بعيدا في مكتب دار الضيافة المكيف. في ذلك الوقت، كان تشن يانشي نائب العمدة ورئيس مكتب الأمن العام، وهذا يعني أنه كان يشكّل فريقا واحدا مع تشاو ليتشون، لذا ذهب إلى دار الضيافة وواجه تشاو ليتشون حتى أنه أجبره على القيام بنقد ذاتي.

لقد ذكر تشن هاي هذا الأمر لهوى ليانغ بينغ في أكثر من مناسبة. ورغم أنه كان يعرف الجواب إلا أنه بقي يسأل: "هل قام بعملية النقد الذاتي تلك؟".

أجاب تشن يانشي: "نعم، قام بها أثناء اجتماع الحزب الحاكم، وأظنّ أنه كان صادقا".

ضحك ليانغ بينغ وقال: "صادق؟ كم كان صادقا وقد انتقم منك كما فعل؟".

فرك تشن يانشي مؤخرة عنقه وقال: "حسنا، مهما كان، لقد قام تشاو ليتشون بعملية نقد ذاتي في ذلك الوقت. يا ليانغ بينغ، أنا أعتز حقا بذكريات تلك الأيام. كان لدى الناس إيمان وكانوا مليئين بالعنفوان، كانت الكوادر نزيهة، لقد قبل أحد نواب الأمين العام في السلطة البلدية مكيف هواء مكتبي سرا، فاستبعد من الخدمة العامة، وطرد من الحزب. أما في هذه الأيام، فيعتقد الناس أنّ أي شخص يقبل بسيارة بي إم دبليو أو مرسيدس هو موظف مستقيم ونزيه".

"الآن، الآن، ها أنت تتذمر مرة أخرى، أليس كذلك؟ من الذي يقبل بي أم دبليو أو مرسيدس؟ أبلغ عنهم بسرعة".

"حسنا، كنت أقول أي شيء يخطر على بالي، وربما بالغت قليلا. لكنّ الفساد في هذه الأيام متفش للغاية حقا".

"هذا صحيح، لذا يجب أن نكون حازمين في مكافحتنا للفساد. يجب علينا أن نقطع اليد من أجل إنقاذ الجسد. يجب أن نغوص إلى أعماق المشكلة...".

نادرا ما كان هناك شخص بالنسبة تشن يانشي يستطيع أن يعبّر له عن مشاعره، لذا قام بفتح زجاجة كحول أخرى وسكب كأسا لهوى ليانغ بينغ ولنفسه ثم قال: "يقول بعض الكوادر إنّ موظفي الحكومة لا يستطيعون حتى تأمين عيشهم بعد الآن بسبب مكافحة الفساد، ماذا يفترض بذلك أن يعني؟".

"بالضبط، إذا سمحنا للفساد بالاستمرار، ألا يخافوا من عدم قدرة الناس على كسب عيشهم؟". بينما كان يتكلم مع الرجل العجوز، سكب هوى ليانغ بينغ الكحول في كأسه وفي كأس تشن يانشي دون أن يرف له جفن.

كان تشن يانشي متشددا فقال: "خلال الفترة الأولى لعملية الإصلاح والانفتاح قال بعضهم إنّ الفساد هو الزيت في عجلات التطور الاقتصادي. كنت معارضا لذلك حتى أني كتبت مقالة عن الأمر، والآن يبدو أنّ الفساد في الواقع هو صمام تفجير الاضطرابات الاجتماعية... مهلا، أين شرابي؟ أيها القرد الصغير، لماذا شربت كحولي؟".

أبعد هوى ليانغ بينغ الكأسين وقال باستفزاز: "هذا يكفي، أيها العم تشن، توقف عن الشرب، لقد بدأت بانتقاد قادتنا، وإن ثملتْ، فمن هو الذي سيجرؤ على أن يكون نديما لك؟ وعلاوة على ذلك، لدى تشن هاي وأنا أطنان من الأشياء لنقوم بها...".

بينما كانا متوجهين معا إلى المطار عند الغسق، أجرى هوى ليانغ بينغ حديثا صريحا مع تشن هاي طوال الطريق ولم يخف عنه أي شيء بخصوص الهواجس العالقة في ذهنه - كان مشروع بحيرة غوانغمينغ في الوقت الراهن هو أكبر مشروع تطوير مديني في مقاطعة إيتش، ويشتمل على مبلغ ضخم يقدّر بثمانية وأربعين مليار يوان من الاستثمارات. كان دينغ يجن هو المسؤول عن المشروع، ولذا من المؤكد أن فساده سيبدأ من هناك. المشكلة هي، هل لدى دينغ يجن سلطة أكبر وراءه؟ هل هناك شخص يمحو آثاره عن عمد عبر ترك دينغ يجن يهرب؟ هل استغل

دينغ يجن الوضع فجأة، لكن كما يقولون: "بإمكان الراهب أن يهرب، لكنّ المعبد لن يهرب معه". لقد كان مشروع بحيرة غوانغمينغ هذا الذي قيمته ثمانية وأربعون مليار يوان أكبر المعابد. الخطوة التالية التي يحتاجون اتخاذها هي في أن يبقوا أعينهم على هذا المعبد ويجعلوا أي طرف من الأطراف الفاعلة يبرز بأسرع وقت ممكن.

كان تشن هاي يومئ برأسه كعلامة على الموافقة باستمرار، لكنه لم يقل الكثير. يمكن لهوى ليانغ بينغ أن يقول إنه وهذا الرجل كانا بعقل واحد. ربما مضى وقت طويل على المدير منذ أن بدأ يراقب هذا المعبد في الخفاء.

عندما غابت الشمس في جهة الغرب، امتلأت الأرض بأشعة ذهبية. وبإمكانهما أن يريا من خلال الزجاج الأمامي للسيارة، السماء الصافية واللامعة التي بدت وكأنها غسلت للتو بمياه لازوردية. طافت بضع غيوم بتأن، بعضها يشبه الخروف، وبعضها مثل القطن، وبعضها مثل جبال الثلج. ارتفعت الطائرات واحدة بعد أخرى في الجو، فأزعجت هذه الطيور الحديدية المشهد الهادئ، وهي تزأر منطلقة نحو البعيد بزخم كبير.

عندما أتى وقت الفراق، قال هوى ليانغ بينغ فجأة: "تشن هاي، أنت تخفي شيئا عني أليس كذلك؟".

نظر تشن هاي إلى الأعلى بوجهه الطفولي اللطيف بعينيه المليئتين بالبراءة ثم قال: "ما المشكلة هذه المرة؟".

تقدّم هوى ليانغ بينغ باتجاه تشن هاي ونظر إلى عينيه مباشرة ثم قال: "من المؤكد أنك اكتشفت بعض الأدلة، هل أنا على حق؟ ولديك هدف! هيا، أخبرني، من هي الشخصية الكبيرة وراء دينغ يجن؟".

هزّ تشن هاي رأسه على الفور وقال: "كفى أيها القرد، أنا لست ذكيا مثلك، فأنت القرد الذكي".

"من هو القرد الذكي؟ يا تشن هاي، أعلم أنك رجل مبدئي ولن تقول أي شيء دون دليل ملموس، لكني أتوسل إليك. أشركني ببعض الشائعات أرجوك؟".

هزّ تشن هاي رأسه بحزم قائلا: "أيها المدير هوى، هل الشائعات هي جزء من مواصفات وظيفتنا؟ ألا تخاف من ارتكاب خطأ ما؟".

"أعلم أنك تريد أن تكون مثل الرهبان وأنك تمارس مبدأ الزهد طوال النهار، وتدّعي كونك متمرسا وفطنا للغاية - حسنا، اذهب وتصرف مثل نذل متغطرس!". حدّق هوى ليانغ بينغ إلى تشن هاي، ثم أغلق باب السيارة بعنف بعد أن خرج منها.

شعر تشن هاي الساذج بالسوء فخرج من السيارة، وأسرع الخطى، ثم أوقف هوى ليانغ بينغ. قال: "بالله عليك يا أخي، لا تتلاعب بي. ستكون أول من يعلم عندما يكون لدينا تقدم في القضية".

عندها فقط ابتسم هوى ليانغ بينغ وقال: "هذا ما أفكر به الآن، أوه، ويجب عليك أن تكون أكثر تفهما لـ (النيابة الشعبية الثانية) الخاصة بأبيك. تحلّ ببعض الاحترام". حينئذ، وبتلويحة من يده، غادر بسرعة.

5

كان لي داكانغ شخصا تجوهره الشدائد. مثل الكرة النطاطة تماما - فإن ضربتها بقوة تراها تطفر مرتفعة إلى أعلى - كان يملك قوة متحدية للموت، وهو مشهور بين صفوف الكوادر في أرجاء المقاطعة. يعرف لي داكانغ أنه منذ الفرار الغريب لدينغ يجن، بدأت الشكوك تحوم حوله. الشك والانتقاد والسخرية في كل مكان. ولإزالة الشكوك، كان يحتاج لإنجاز - مشروع قيامة بحيرة غوانغمينغ كان خياره في الإنجاز. في اليوم الذي تلا هروب دينغ يجن، نقل مجسّم مخطط التوسع المديني إلى مكتبه وبدأ يحدّق إليه كلما سنح الوقت له. لقد أصبح مهووسا بالنظر إليه إلى درجة أنه لم ينتبه حتى عندما سقط رماد سيجارته على المجسّم. ثمة صفوف من مباني المكاتب، والمباني التجارية، والأبراج العقارية العالية ترتفع على أطراف البحيرة، إنها حلمه وأمله. ما إن يصبح المجسّم أمرا واقعا، بإمكانه تحويل ظلّه إلى هالة.

في الأيام الماضية تلك، دعا لي داكانغ لاجتماعات متعاقبة للجنة الحزب البلدية وكل مستويات السلطات البلدية. لقد أكّد على أهمية مشروع بحيرة غوانغمينغ ودعا القيادة البلدية إلى تقسيم قواتها وفحص كل شيء باهتمام، والقيام بالعمل الذي يعيد الطمأنينة إلى المستثمرين. وإذا ما تمكن من المضي قدما عبر هذه المرحلة من دون انسحاب واسع النطاق للاستثمارات، من المؤكد أنّ مستقبل بحيرة غوانغمينغ سيكون مشرقا. عندما يحين الوقت، سيرتفع الناتج المحلي الإجمالي والعائدات المالية لجينغتشو إلى مستوى جديد كليا، ويجلس السياسيون في مقاطعة إيتش وينتبهون للأمر. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأمين الجديد للجنة الحزب الإقليمية شا روجين، الذي سينتبه أيضا لحضوره السياسي القوي. يمكن للمرء أن يقول إنّ جهوده لم تذهب هباء. فقد تمّت طمأنة المستثمرين، وكذلك لي داكانغ.

مع ذلك، وبالتفكير بالأمر بتمعن، بدا غريبا بعض الشيء، فحتى الآن لم يعترف ولا مستثمر واحد أنه قام برشوة دينغ يجن. وعندما قدّم أمين لجنة التفتيش التأديبية تقريره إلى لي داكانغ، كان مشوشا جدا: هل من الممكن أنّ دينغ يجن كان نموذجا للنزاهة؟ ربما فهمتْ بكين الأمر بشكل خاطئ. لقد اعتقد لي داكانغ أنه بسبب هروب دينغ يجن، تلهف الجميع لغسل أيديهم من أي ارتباط به. حتى أنهم لن يعترفوا بأي نوع من الرشوة. قال تشانغ شولي: "لكنّ مفتشينا في اللجنة التأديبية قاموا بتحقيق شامل واكتشفوا حقيقة بأنّ دينغ يجن لم يقم بالكثير من العبث. لقد وجدوا بعض الأمور التافهة فقط، وليس مشاكل كبيرة". أجابه لي داكانغ: "لا يعني غياب المشاكل الكبيرة أنّ بإمكاننا غض النظر عن المشاكل الصغيرة". عندها فقط قال تشانغ شولي بتردد إنّ هناك أحد المخبرين، رئيس مصنع دافنغ، تساي قونغ، هو من رشى دينغ يجن. وكذلك ثمة صفقات غامضة بين الرجلين، لكن في الوقت الحاضر لم يجدوا ذرة دليل دامغ...

لمعت عينا لي داكانغ فأصدر أوامره في الحال قائلا: "تحققوا، تحققوا بحرص من تساي قونغ هذا".

في اللحظة التي غادر فيها أمين لجنة التفتيش التأديبية تشانغ شولي، وصل صن ليانتشينغ، رئيس منطقة غوانغمينغ ليقدّم تقريره.

لقد تولى صن ليانتشينغ قيادة مشروع بحيرة غوانغمينغ كمدير عام، ولديه امتياز تقديم التقارير إلى لي داكانغ في أي وقت. بدا وكأنه على دراية تامة بالطريق وهو يدخل مكتب لي داكانغ. بدا صن ليانتشينغ كئيبا جدا فأطلق تنهيدة عميقة على مرأى من قائده. لقد أتى ليبلغ عن شؤون تتعلّق بعمليات الهدم. فقد أصبح مصنع دافنغ أصعب "منزل معيق" على طرف بحيرة غوانغمينغ، ومهما فعلوا، لم يكن باستطاعتهم إيجاد طريقة لاقتلاعه. فقد لي داكانغ أعصابه قائلا: "لو لم يكن الأمر متعلقا بذلك الإسفين المغروز هناك، فما حاجتنا إليك أيها السيد المدير العام؟ هل أتيت إلى هنا فقط كي تنقل مشاكلك إلي؟". لم يأت صن ليانتشينغ للشكوى وحسب، لكن ليوضّح الموقف أيضا فقال: "تريد مجموعة شانشوي أن تعرف فيما إذا كان بإمكانها تقديم تقرير لك، أيها الأمين لي؟". يدرك لي داكانغ كم كانت مجموعة شانشوي أساسية بالنسبة إلى مشروع إعادة إعمار بحيرة غوانغمينغ، لكنه أمال رأسه بشكل جانبي، وسأل عن رأي صن ليانتشينغ. قال صن ليانتشينغ: "في حال حصلنا

على مساندتك، عندها سيكون من السهل تدمير مصنع دافنغ - بإمكاننا جعل مجموعة شانشوي تتولى الأمور التفصيلية". فكّر لي داكانغ بالأمر للحظات ثم وافق على ذلك.

في تلك الليلة نفسها، اصطحب لي داكانغ صن ليانتشينغ إلى جانب عدد من مدراء معنيين بالمشروع من أجل الاجتماع برئيسة مجموعة شانشوي، قاو شياو تشين، بجانب بحيرة غوانغمينغ. كانت الساعة بحدود التاسعة، وهناك قمر لامع معلق في السماء تلعب أشعته فوق المياه الصافية، وكأنّ شخصا قد سكب شظايا من الفضة. لقد أتى الخريف. هبّت رياح عليلة وطفا الضباب في المكان، مما يعطي المرء شعورا بالرضى لا يوصف. بحيرة غوانغمينغ هي البحيرة الغربية لجينغتشو سيتي، وفي السابق أراد العديد من قادة لجنة الحزب في البلدية بناء بلدة جديدة على طول البحيرة. لكن بسبب محدودية التمويل، لم يتحقق ذلك أبدا. في الواقع، وبصراحة، كان ينقصهم الشجاعة والقدرة، فقد افتقدوا لأمين قوي مثل لي داكانغ. أشعل سيجارة وهو واقف أعلى التلة، فتشكّل خيال في ذهنه، وكأنّ المبنى العالي في مجسّمه كان حقيقيا تماما ويقف شاهقا بجانب البحيرة...

عندها فقط، سمعت أغنية عبر سطح البحيرة: "عمالنا أقوياء جدا، مشغولون بالعمل طوال اليوم...". كان الأغنية صادرة عن مكبرات الصوت في مصنع دافنغ للألبسة. إنّ سماع أغنية مثل تلك في لحظة كهذه يخرّب الأجواء حقا، فقطّب لي داكانغ حاجبيه. كانت الحقيقة مكبّرة أمام عينيه: لقد أنجزوا مسبقا الجزء الأكبر من عمليات الهدم في أطراف بحيرة غوانغمينغ، لكنّ مصنع دافنغ للألبسة كان عائقا عنيدا. فمن بين الأنقاض الكبيرة، وقف صف من مباني المصنع القديم شاهقا بأضوائه التي تشع بشكل براق، مثل مدينة سحرية. كان هذا تحد منهم، ومظاهرة. وحتى أكثر من ذلك، كان هذا شكل من أشكال السخرية من الأمين القوي لي. فجأة، أصبح أعلى قائد في المدينة بمزاج سيئ. رمى لي داكانغ بسيجارته على الأرض وسحقها بحذائه.

من دون تأخير، تردّد صدى صوت قاو شياو تشين في أذنيه، كانت ترتدي بذلة أعمال وتمشي إلى جانب لي داكانغ. كانت هذه المرأة أنيقة وجميلة ولها عينان ساحرتان وقوام رشيق. لقد جعلها ذلك المزيج غير الملحوظ بين الخبث والحالة العلمية تبدو خارجة عن المألوف. لقد قرّر لي داكانغ مساعدتها سرا، ليس بسبب جمالها، بل من أجل شركتها الكبيرة.

روت قاو شياو تشين ما حدث للي داكانغ ـ لقد خدعهم ذلك الموظف الفاسد دينغ يجن حقا، ومن يعلم كمية المال القذر الذي قبله من تساي قونغ كي يسمح لعمال مصنع دافنغ باحتلال مصنع مجموعة شانشوي بشكل غير قانوني والاستمرار في الإنتاج حتى هذا الوقت. كان الأمر شائنا، لقد فرّ دينغ يجن الآن، وكان تساي قونغ مختفيا. حاولوا إيجاد تساي قونغ من أجل التشاور معه بشأن عمليات الهدم، لكنه لم يكن موجودا في أي مكان. لم يجب على هاتفه عندما اتصلوا به، ولم يردّ عندما بعثوا له برسائل أيضا. أراد تساي قونغ ابتزاز الحكومة عبر تحريض العمال لاحتلال المصنع بشكل غير قانوني على المدى الطويل. لقد استغلّ دينغ يجن تساي قونغ وأجبرها على الخضوع مرة بعد أخرى.

قال لي داكانغ: "أيتها الرئيسة قاو، لم خضعت مرة تلو الأخرى؟".

كانت قاو شياو تشين ممتعضة لكن ليست غاضبة، فبدأت سرد روايتها بهدوء: "لم يقم تساي قونغ بتسديد ديونه، ولذا منحت المحكمة مصنع دافنغ إلى مجموعة شانشوي. بعد ذلك، وامتثالا للجنة الحزب البلدية والسلطات البلدية، لم تهدر مجموعة شانشوي أي وقت في التوصل إلى اتفاق بشأن أعمال الهدم مع سلطات المنطقة. في الظروف الطبيعية، كان من الممكن أن يهدم المصنع قبل نصف عام. لكنّ العمال احتلوا المصنع ولم يسمح دينغ يجن لعملية الهدم أن تحدث. قال إنّ لدى المصنع الأصلي أمر شراء يجب إنجازه وأنّ تساي قونغ والعمال بحاجة إلى إنهائه. لكنّ الإنتاج كان بلا نهاية. بقي تساي قونغ يستقبل طلبات شراء جديدة، وأبقى الإنتاج شغالا لنصف عام الآن دون أي إشارات لتسليم المصنع للهدم". بعد قولها لذلك، بدت قاو شيا تشين ساخطة فتابعت: "إنه مصنعنا، ومع ذلك لا نحن ولا العمال الحكوميون بإمكاننا الدخول من الباب". تساءلت بهدوء لكن بنبرة صوت غريبة: "هل يعوّل على القانون في أي شيء بعد الآن؟ هل لايزال العقد الذي وقعناه مع الحكومة ساريا؟ هل سيبدأ بإعمار المدينة الجديدة في بحيرة غوانغمينغ؟ ماذا يجب علينا أن نفعل أيها الأمين لي؟ أنا الآن.... ليس لدي دموع لأذرفها". كان صن ليانتشينغ وجوقة الكوادر يتبعون لي داكانغ وقاو شياو تشين لكنهم بقوا على مسافة بعيدة عنهم بعض الشيء. بدا لي داكانغ واثقا عندما التفت وأخذ يصرخ على الكوادر التي خلفه قائلا: "تعالوا جميعكم إلى هنا واستمعوا". تقدّمت الكوادر بسرعة إلى الأمام. أشار لي داكانغ بطريقة متعالية إلى المصنع الموجود أسفل التلة وبدأ بتوبيخهم قائلا: "مصنع ملابس قديم الطراز ـ مصنع قد انتقلت حقوق ملكيته منذ زمن طويل ـ لم يتمكّن بطريقة ما من أن يهدم خلال نصف عام. ما هي المشكلة هنا؟ هل أخذ دينغ يجن رشوة من

تساي قونغ؟ كم أخذ؟ ركّزوا تحقيقاتكم على تلك المشكلة، وما إن تكشف تعاملوا معها طبقا للقانون، وابحثوا في خلفية تساي قونغ، من الذي يدعمه من خلف الكواليس؟ ما الذي يسعون إليه؟!".

نظر الكوادر إلى بعضهم بعض بيأس. تمتم صن ليانتشينغ قائلا: "أيها الأمين لي، ربما لست تعلم، بأن نائب رئيس النيابة العامة التنفيذي السابق، تشن يانشي عمل كثيرا بهذه القضية من قبل. كان نائب العمدة في ذلك الوقت...".

"ليس مهما من قام بالعمل، لايزال من المتوجب القيام بالأمور طبقا للقانون، اليوم وأمام الرئيسة قاو، أنذركم جميعا بهذا: اهدموا مصنع دافنغ خلال أسبوع. في حال لم تستطيعوا تهديمه، سنحرص أنا ولجنة الحزب البلدية على طردكم جميعا".

أومأ صن ليانتشينغ والموظفون برأسهم، وأجابوا بتناغم بكلمة "مفهوم".

"شكرا لك، شكرا لك، أيها الأمين لي". انهمرت الدموع من عيني الرئيس التنفيذي قاو شياو تشين...

في الوقت نفسه تقريبا كان الشاعر تشينغ شيبو يتمشى بجوار بحيرة غوانغمينغ. لم يكن تشينغ شيبو يعلم أنّ أمين لجنة الحزب البلدية المستبد صدف أنه أصدر أمرا ساحقا في ذلك الوقت بالضبط، وهو بالتأكيد لا يعلم ما نوع الصدمة المزلزلة لهذا الأمر الصارم الذي سوف يؤثر عليه وعلى مصنع دافنغ قريبا. كونه شاعرا رومانسيا، يشعر بالرضا التام عن نفسه، كان في تلك اللحظة ثملا بالمياه الشاعرية المضاءة بالقمر والتي تشبه الحلم.

لقد نشر له أيام شبابه، سبع أو ثماني قصائد في جرائد بكين وشنغهاي، وفيما بعد أخذ يظهر بشكل متكرر في الصحافة المحلية. وهذا ما أكسبه شهرة كبيرة، وأصبح رئيس اتحاد عمال مصنع دافنغ للألبسة. كان اسمه في الأصل تشينغ تشونلاي، لكنه اعتقد بأنه اسم قروي وبسيط. وهكذا بدأ يسمّي نفسه تشينغ شيبو، في إشارة إلى لقب السيد سو دونغبو 10، شاعر سلالة سونغ الملكية. لكنّ ذلك ليس مهما، كان كل شيء عابرا، مثل ضباب يظهر لبعض الوقت ثم يختفي. ما يهم الآن هو منصبه الحالي - لقد انتخب مؤقتا مسؤولا عن مصنع دافنغ للألبسة، وبكلمات أخرى، كان زعيم عمال المصنع، تشينغ شيبو مكانة عالية بين عمال المصنع. كان مثقفا لكنه غير مدّع، وكان زملاؤه العمال يحبون أن يطلبوا نصيحته. وهو يتمتع بروح الفكاهة. لم يقم بنشر أي قصيدة خلال السنوات

القليلة السابقة، أحيانا يقوم أحدهم بسؤاله: "أيها الرئيس تشينغ، لم لم تعد تكتب القصائد مجددا؟". فيجيب دائما بجدية: "ألم تسمع القول المأثور؟ إنها حقبة الفنانين الجائعين. وأنا بالتأكيد لا أريد أن أجوع". قال ذلك وكأنه كان حقا شاعرا عظيما استثنائيا.

في فترة عملية إصلاح شركات المساهمة التي قام بها تشن يانشي، كان تشينغ شيبو المساعد الدائم لتشن يانشي، يتبعه طوال الليل والنهار مثل ظله. وبعد أن حصل العمال على تسعة وأربعين بالمائة من حصص الأسهم، أسّسوا جمعية مساهمين، وانتخب تشينغ شيبو ممثلا عن الجمعية. ومنذ أن حصل على هذا المنصب الهام، ناضل من أجل حقوق ومصالح العمال في كل المجالات، وكان عن غير قصد في تعارض مباشر مع الشخصية الكبيرة الموجودة على التلة هذه الليلة، والتي تقوم بالتفتيش وإعطاء الأوامر. لو سمح لهما القدر باللقاء في ذلك الوقت تماما وهناك على طرف البحيرة لكي يدخّنا ويتحدثا بشأن المستقبل، لربما ما كان لمثل هذا الحدث الكبير أن يقع ويصدم الأمة كلها فيما بعد. لسوء الحظ، أحدهما وقف أعلى التلة بينما وقف الآخر في أسفلها. كانا ينظران إلى منظر البحيرة نفسه ويبديان إعجابهما بضوء القمر نفسه، لكن مع ذلك تجاوزتهما بسرعة فرصة فهمهما لبعضهما لبعض.

انظر لقد أصبح مصنع دافنغ للألبسة سلفا كوخ متفجرات...

عاد تشينغ شيبو إلى المصنع، فقام العمال الذين يرتدون خوذ السلامة وهم مسلحون بقضبان حديدية بفتح المدخل الجانبي ليدعوه يدخل. كانت البوابة الأمامية الحديدية الضخمة مغلقة ولم تفتح منذ أن حدث اضطراب المساهمين. كان المصنع محروسا بشكل كبير من الداخل، ويكاد يكون مثل قلعة عسكرية. ثمة أكياس من القش شكّلت مخابئ، وحفر خندق بارتفاع الخصر وراء المخابئ. كما وضعت براميل من البنزين أسفل الجدار، إنه سلاحهم السري وأساس المشكلة فيما بعد أيضا. تصدح مكبرات الصوت بأغان ثورية على الدوام ليل نهار. وهناك علم وطني هائل يرفرف عاليا في أعلى قمة في المصنع، وبرج حراسة إلى جانب العلم، فحياه عامل واقف على السطح يحمل منظارا حول عنقه. عبر تشينغ شيبو الفناء، فرفع العمال المناوبون السلاح والقضبان الحديدية التي في أيديهم كتحية له. أومأ برأسه قليلا لهم، وكأنه ضابط رفيع في الجيش.

لكن لم يتوقف إنتاج الملابس. فتحت سماء الليل، يمكن سماع هدير الآلات. تمشّى تشينغ شيبو داخل ورشة الملابس وشاهد عمال الوردية الليلية يشغلون خطوط الإنتاج كالمعتاد. انزلقت

بذلة وراء بذلة وسترة بعد أخرى داخل خط الإنتاج. كان تشينغ شيبو سعيدا، فحتى في موقف كهذا، لايزال الإنتاج مستمرا. كان العمال المحتلون للمصنع هادئين، وكأنّ شيئا لم يحدث.

عرف تشينغ شيبو أنه يحمل مسؤولية كبيرة فوق كتفيه، فهو والعاطلون عن العمل تحت قيادته لم يكونوا يبحثون عن مواجهة. هم أرادوا الدفاع عن مصنعهم وحسب لأنّ مصنع دافنغ للألبسة كان عزيزا على قلوبهم جميعا. إنّ هذا منزلهم، وهم الأسياد، كانت تلك الفكرة متجذرة عبر تغيير مؤسساتي، تغيير حوّل العمال إلى مساهمين. فهم يملكون تسعة وأربعين بالمائة من أسهم رأسمال المصنع، وأن يكونوا "أسياد المنزل" لم يعد حلما بعيد المنال. سوف يقود تشينغ شيبو الأسياد وهم يدافعون عن حقوقهم ومصالحهم القانونية.

كان عمال مصنع دافنغ للألبسة ممتنين لتشن يانشي بما أنه ترأّس عملية الإصلاح وحارب من أجل أسهمهم الحالية. قبل عشرين عاما، كان من الشائع التشديد على الكفاءة، لكنّ تشن يانشي لم يكن تقليديا وشدّد على العدالة. لم يكن هناك عدالة الآن، فقد خسر العمال أسهمهم لسبب غير مفهوم، وحتى أنهم لم يحصلوا على تعويضات نهاية الخدمة، كما أنّ تساي قونغ خسر كل شيء في مشاريع الفحم. لكنّ عائلة تساي قونغ نفت الأمر. ومن دون استثناء، لن يتعرف العمال على أي صفقة من تحت الطاولة بين تساي قونغ وقاو شياو تشين رئيسة مجموعة شانشوي، كما يتطلب أي تغيير في وضعية أسهمهم موافقة جمعية المساهمين المستخدمين. لم يكن هناك جدال بشأن تعويضات نهاية الخدمة لأنها من أحكام سياسة الدولة. في حال لم يتم حلّ هذين الأمرين، عندها لا يمكن هدم المصنع. وفي حال هدم، لن يكون هناك شيء باسمهم.

مشى تشينغ شيبو نحو مكتب الرئيس. كان تساي قونغ قد ذهب، والآن أصبح هو الرئيس. استلقى على الأريكة وغطى نفسه بشرشف سرير وأطفأ الأضواء كي ينام. كان قد نسي عدد الليالي التي قضاها بهذه الطريقة. وقبل أن يغفو، غالبا ما تقفز إلى ذهنه أشكال قوافي القصائد. عندما كان في ريعان شبابه، كان يزحف خارج السرير ويضع قلما فوق ورقة ثم يبدأ بكتابتها بسرعة. كل ما بإمكانه فعله الآن هو أخذ قصائده معه إلى أحلامه.

6

ما إن بدأ هوى ليانغ بينغ يهتم بمشروع بحيرة غوانغمينغ، وكأنه توارد خواطر تقريبا، سعى الطرف المعني - صديق طفولته تساي قونغ - إليه سريعا. عند الغسق وفي الليلة الثالثة بعد العودة إلى بكين، كانت السماء سوداء ضبابية عندما أتى هوى ليانغ بينغ إلى المنزل قادما من العمل ودخل بوابة مجمّعه السكني. ومثل كلب أليف، أتى تساي قونغ يقفز عاليا....

"أوه يا رجل، وجدتك أخيرا، يا صديقي القديم، هذه المرة أتيت إلى بكين لأقدّم عريضة للجهات العليا وتوجّب علي إخراج كلاب التفتيش وإرسال الصقور إلى السماء بحثا عنك. أيها القرد، أريد تقديم بلاغ لك عن موظف فاسد، فعلا".

رغم قوله إنه أراد تقديم بلاغ عن موظف فاسد، إلا أنّ صديق الطفولة تعامل مع هوى ليانغ بينغ مثل موظف فاسد تماما. فرغم كل العيون التي تراقبهم، دخل تساي قونغ مع سائقه وكلاهما يحمل حقيبة ضخمة مصنوعة من جلد الأفعى، مبنى الشقق حيث يعيش هوى ليانغ بينغ. كان هوى ليانغ بينغ حذرا فسأل عما كانا يحملان. قال تساي قونغ: "بعض الأشياء وحسب، أشياء من مدينتنا". عندما خرجوا من المصعد في الطابق السابع عشر، صدف أنهما التقيا بالمدير تشين الذي يعمل في مكتب مكافحة الفساد المركزي، وهو ينزل. شعر هوى ليانغ بينغ ببعض الحرج من حقيبتين كبيرتين مثيرتين للشكوك ترافقانه، فابتسم وحيا المدير تشين بينما كانا يمران بجانب بعضهما، وتصرّف كأنه لا يعرف تساي قونغ. لكنّ الانتهازي أصرّ على وضع الأشياء المحلية البشعة أمام الباب وصرخ من دون سابق إنذار: "أيها القرد". هذه المرة، انتبه المدير تشين الذي نظر إلى الانتهازي وسأل بشكل مرتجل: "لديك ضيف، يا هوى الصغير؟". ما كان بإمكان هوى ليانغ بينغ سوى الضغط على نفسه والقول: "نعم، إنه من مدينتي، وقد أتى إلى بكين لقضاء بعض الأعمال".

بعد الدخول إلى المنزل، فتحا الحقيبتين المصنوعتين من جلد الأفعى ليظهر صندوقين من كحول ماوتاي 11، وصندوق من سجائر تشينغهوى 12، وبذلة رمادية داكنة. انزعج هوى ليانغ بينغ بشدة وقال: "انظر الآن واسمع، أنت يا تساي الفطيرة 13 المدخّنة من المؤكد أنّ لديك مطامح عالية، لتجلب لي صناديق كهذه، ماذا، هل تريد إرسالي للسجن؟ هل قطعت كل هذه المسافة فقط من أجل إيقاعي في المشاكل؟ هل لدينا حساب كبير لتسويته؟".

مسح تساي قونغ العرق من فوق حاجبه بإحدى يديه، وفكّ أزرار سترته باليد الأخرى ثم قال: "أه، أه، أيها القرد، كلا، أقصد أيها المدير هوى، نحن صديقان، أليس كذلك؟ أصدقاء طفولة، أكثر الأصدقاء براءة منذ أيام المدرسة الابتدائية...".

رفض هوى ليانغ بينغ الإصغاء وقال: "هل تعلم من كان ذلك الشخص؟ إنه مديرنا".

"تقصد مكتب مكافحة الفساد؟".

"ماذا ظننت أنه كان؟".

"اعتقدت ـ اعتقدت أنه كان مكتب تأييد الفساد".

"إذا أنت أتيت لترشوني بشكل سافر، هل هذا صحيح؟ إذا، يا لشجاعتك وجرأتك".

كان تساي قونغ يهز رأسه باستمرار وكأنّ لا خيار له فقال: "ماذا تقصد بجرأتك؟ هكذا نعيش نحن رجال الأعمال وحسب! غالبا نقول سرا إننا دائما نملك ما يمكّننا من إقناع شخص ما: منازل، عاهرات، أو نقود أوه، أيها القرد، وهذا لا يتضمن بذات وسجائر وكحول. هذه الأشياء ليست مقنعة جدا".

"إذا دعني أقل لك شيئا. رغم التهرّب الضريبي والرشوة، لدى الحكومة مكان لأشخاص مثلك، يا تساي الفطيرة، يوما ما ستحفر قبرك بيديك، ومن الأفضل لك أن تصدّق بأني لن آتي لإخراجك". بعد قول ذلك، أشار هوى ليانغ بينغ إلى الهدايا بوجه ممتقع وقال: "أسرع وأخرج هذه الأشياء من هنا في الحال".

مع ذلك، لم يعترف تساي قونغ بالهزيمة، ففتح الباب وأخرج رأسه الكبير لينظر حواليه ثم قال: "كفى أيها القرد، لقد ذهب مديرك منذ زمن طويل. ناهيك عن ذكر أنه لم يعرف ماذا يوجد في حقيبتي المصنوعتين من جلد الأفعى...".

دون أي كلمة أخرى يوجهها لتساي قونغ، بدأ هوى ليانغ بينغ بالتصرف منفردا. أولا، حمل صندوق السيجار إلى خارج الباب، ومن ثم ذهب ليحمل الكحول. فهم تساي قونغ أخيرا أنّ رشوته قد فشلت. لم يكن لديه خيار سوى إيقاف هوى ليانغ بينغ، فطلب من السائق حمل الكحول والسيجار للأسفل بينما جلس على الأريكة مقابل هوى ليانغ بينغ.

اختفت الإثارة الناتجة عن رؤية صديق قديم تماما، وحلّ التوتر على وجه تساي قونغ بشكل كامل. فقد ضغط عليه إلى مرحلة لم يكن لديه فيها أي خيار. لقد ضاع المصنع وضاعت الأسهم، حتى أنّ الموت خطر على باله. قال هوى ليانغ بينغ: "هل يستحق الأمر حقا، ألا يقومون فقط بتدمير مصنع؟ فليس من المناسب وضع مصنع ألبسة بجوار بحيرة غوانغمينغ بأي حال من الأحوال". ضرب تساي قونغ بكفه على فخذه وناح قائلا: "أيها القرد، كيف لم تفهم بعد؟ الأمر لا يتعلق بالهدم، الأمر إنّ مجموعة شانشوي تبتلع أصول مصنع الألبسة الخاص بنا، فهم يستولون عليها عبر الخداع".

كان لتساي قونغ شامة بجانب أنفه. وعندما يكون متوترا يتسع منخراه وترتعش الشامة. كان هوى ليانغ بينغ معتادا على وجهه منذ الصبا، فقد بدآ بالتسكع معا منذ الصف الأول. كان طالبا ممتازا أما تساي قونغ فكان طالبا ضعيفا. ومن المستغرب أنهما أصبحا صديقين حميمين وذلك لأنّ تساي قونغ التصق به مثل الضماد كل الوقت ونسخ وظائفه المنزلية على أمل أن يحظى ببعض هيبة هوى ليانغ بينغ، وأن يكون قادرا على رفع رأسه عاليا أمام زملاء صفه. خلال فترة المدرسة الابتدائية، كان تساي قونغ يتلقى الأوامر من هوى ليانغ بينغ فقط، وهذا ما أرضى غرور الشاب هوى ليانغ بينغ أيضا. بعد أن تقدّما بالعمر، تحوّل تساي قونغ إلى الأعمال، وذهب هوى ليانغ بينغ باتجاه السياسة. ورغم أنّ الرجلين لم يبقيا على تواصل بشكل حقيقي، إلا أنّ رباط صداقة الطفولة بقي قويا إلى حد ما. سأل هوى ليانغ بينغ: "بالنسبة لشخص بدهائك، كيف استطعت أن تخسر أسهم مصنع دافنغ؟". أجاب تساي قونغ بشكل حازم: "الموظفون الفاسدون، لقد تسبب الموظفون الفاسدون بأذيتي". وبحسب رواية تساي قونغ، فقد عانى من ظلم أكثر حتى من دو إي...

أخبر تساي قونغ هوى ليانغ بينغ أنّ مجموعة شانشوي أقرضته خمسين مليون يوان كتمويل مؤقت - أموال اقترضها ليسدد قرض البنك الذي كان مستحقا. ما إن يوافق البنك على قرض جديد، بإمكانه إعادة الأموال المقترضة. كان هذا أمرا فريدا بالنسبة إلى الصين حيث تبنى مجتمع الأعمال بشكل شائع طريقة "التمويل المؤقت" هذه لكي يحلوا مشكلة القروض الجديدة والقديمة المتداخلة. لم يكن يعلم بأنّ خطأ ما سيحدث هذه المرة. لم يوافق البنك على القرض الجديد، ولم يكن لديه طريقة لإعادة هذا "التمويل المؤقت". ولأنه استخدم الأسهم كضمان إضافي عندما اقترض الأموال، اتبعت المحكمة إجراءات مستعجلة، حيث يصبح الحكم نافذا مباشرة بعد صدوره، وهكذا حصلت مجموعة شانشوي على مصنع الألبسة الخاص به في تلك اللحظة. وبحسب ما قال تساي قونغ، فإنه منذ الضمان الإضافي وصولا إلى القرض المحتجز - قام أحدهم بنصب الفخ منذ وقت طويل وانتظره حتى يبتلع الطعم وحسب. لابدّ وأنه عمل موظف فاسد متنفّذ، وإلا فكيف يمكن لشخص بهذه المعرفة الكبيرة بأساليب الحياة أن يكون بهذا الطيش ويفشل فشلا ذريعا؟.

في الوقت الذي أصغى فيه هوى ليانغ بينغ باهتمام، كان عقله يرسم مخططا أوليا للقتال من أجل أسهم مصنع دافنغ فقال: "هذا مجرد خلاف اقتصادي. هل يتوجب على البنك الموافقة على قرضك مهما كان الأمر؟ بما أنك استخدمت الأسهم كضمان إضافي ولم تتمكن من تسديد الأموال، فمن المؤكد أنها سوف تؤخذ. لا عجب أنّ تشن هاي لم يتولّ القضية عندما قدّم تشن يانشي تقريرا عنها، فمن وجهة نظر الطرف المعني، لم يكن هناك أي موظفين فاسدين". اعتقد صديق طفولته أنه بالخداع سيذهب مدير قسم التحقيق التابع لمكتب مكافحة الفساد المركزي ويقوم بعمل شيء طائش. يا لها من مزحة.

أصبح تساي قونغ أكثر سخافة بكثير. فقد افترض أنّ مكتب مكافحة الفساد المركزي كان متجرا خاصا لصديقه هوى، وأوصى هوى ليانغ بينغ كي يحقق في الخفاء وينتزع المعلومات من الموظفين الفاسدين كي يحمي أسهم مصنع الألبسة الخاصة به. برأي تساي قونغ، لا نجد في هذه الأيام موظفين غير فاسدين، ولذا يجب أن تحوي قضيته هذه على مجموعة من الموظفين الفاسدين. حتى أنه هدد في حال ضاعت هذه الأسهم نهائيا، عندها سوف يسبّب ألف وثلاثمائة عامل المشاكل ويحاربون رئيسة مجموعة شانشوي قاو شياو تشين، وكأنّ حياتهم تعتمد على ذلك. كانوا في وضع خطير حاليا، فهم على حافة اضطراب اجتماعي. لقد تمّ إشعال صمام التفجير...

لم يستطع هوى ليانغ بينغ التحمل أكثر من ذلك حقا فقال: "نعم، نعم، دعنا نكف عن الإثارة".

نفد صبر تساي قونغ فحدّق بإمعان إلى صديقه وقال: "أيها القرد، ما الذي حدث لك؟ قلت إني أريد التبليغ عن موظف فاسد. ألا يقوم مكتبكم الخاص بمكافحة الفساد بالقبض على الموظفين الفاسدين؟ لا يمكنك معاملة مخبر بهذا الشكل".

كان هوى ليانغ بينغ في حالة بين الضحك والبكاء فقال: "حسنا، أيها السيد مخبر، دعنا نسمع منك، من هو الشخص الذي تريد الإبلاغ عنه؟".

قال الصديق القديم وهو يراقب ما يدور حوله وقد بدا متوترا: "أوه، أريد الإبلاغ عن مجموعة كبيرة من الموظفين الفاسدين، لكن يجب عليك أن تبقي الأمر سرا". قال هوى ليانغ بينغ: "هذه أماكن معيشة حكومية للعمال وعائلاتهم، ليس هناك أحد يسترق السمع". أومأ تساي قونغ برأسه ثم رفع سبابته قائلا: "رقم واحد، أنا أبلغ عن دينغ يجن".

دينغ يجن؟ كاد قلب هوى ليانغ بينغ أن يتوقف، إنهم يصلون إلى مكان ما الآن، بدأ يأخذ الأمور على محمل الجد، فأخذ ينظر إلى تساي قونغ بإمعان وقال: "إذا أنت تعرف دينغ يجن؟ هذا جيد، دعنا نتحدث عنه".

بدأ تساي قونغ يقص روايته بغموض قائلا إنّ دينغ يجن لم يكن شخصا يمكن التخلص منه ببضعة صناديق من السجائر والكحول. فمع تهديم الشركات التجارية في بحيرة غوانغمينغ والدعوة لتقديم عروض على المشاريع، من يعلم كم استفاد دينغ يجن من رؤساء الشركات؟ على سبيل المثال، أرسلت قاو شياو تشينغ له صندوق نقود بعد آخر. كما أنّ دينغ يجن يتسكع في نوادي مجموعة شانشوي طوال اليوم، برفقة فتاتين أو ثلاث فتيات أجنبيات وهذا كله كان على حساب قاو شياو تشين. يعرف جميع رجال الأعمال أنّ نائب العمدة دينغ كان جريئا جدا لدرجة أنه إذا لم يكن تحت المراقبة، فقد يحمل مبنى لجنة الحزب البلدية معه إذا ما استطاع. وبما أن أسهم مصنع دافنغ قد وقعت في يدي قاو شيا تشين، فعلى أقل تقدير سوف تقتسمها مع دينغ يجن - ربما كان العقل المدبّر وراء هذه المؤامرة. وفي حال قبضوا عليه، سوف تنكشف كل الحقيقة المتعلقة بقضية أسهم مصنع دافنغ المحيرة هذه.

"والدليل؟ أيها الفطيرة تساي، أخبرني عن الدليل الذي لديك. ما الذي يجعلك تعتقد أنّ دينغ يجن سوف يحصل على نصف الأسهم؟".

لوّح تساي قونغ بيديه وقال: "أيها القرد، يجب عليك كمدير تحقيق أن تجد الدليل، من أين سيأتي الدليل إذا لم تجده؟ لقد ذكرتك أمام دينغ يجن من قبل وأكّدت بشدة أنك من مكتب مكافحة الفساد التابع للنيابة الشعبية العليا. دعنا نقوم بالأمر بهذه الطريقة، بإمكانك أن تتصلب دينغ يجن الآن وتبدأ التحقيق مباشرة".

ومن دون أن يرف له جفن قال هوى ليانغ بينغ: "حسنا، حسنا، أعطني رقم هاتف دينغ يجن إذا؟". أخرج تساي قونغ دفتر جيب صغير، وفتحه ثم سلّمه له وقال: "هناك، هذا رقم هاتفه الخلوي، وهذا رقم هاتف منزله". وضع هوى ليانغ بينغ الدفتر جانبا وقال: "كل هذه الأرقام لا فائدة منها. هل لديك رقمه في كندا؟".

"كندا؟ حقا؟ لماذا يكون دينغ يجن في كندا؟ لم يغادر البلاد؟". كان تساي قونغ مذهولا وعندها أدرك الأمر وصفع جبينه بيده ثم أضاف: "أوه، لقد هرب، أليس كذلك؟ لقد دارت أحاديث من قبل أنه سيقع في المشاكل، وقد وقع الآن فعلا! أيها القرد، كيف تسنى لكم جميعا أن تدعوه يهرب؟".

قال هوى ليانغ بينغ بشكل شبه جدي: "لأنك أبلغت عنه متأخرا جدا". سكب لنفسه كوبا من الشاي وهو يتكلم وكذلك سكب كوبا لتساي قونغ ثم أضاف: "ألم يكن هناك مجموعة كبيرة من الموظفين الفاسدين؟ تابع كلامك، الشخص التالي".

تناول تساي قونغ بضع رشفات من الشاي الساخن وفكّر بالأمر، لم يفصح عن الشخص التالي، لكنه أحنى رأسه الكبير أمام هوى ليانغ بينغ بتوسل وقال: "أيها القرد، يا أخي، لقد كان نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية قاو يوليانغ أستاذك في الجامعة، صحيح؟ أتوسل إليك أن تذهب وتتحدث مع الرجل العجوز وتخبره بأن يكون متساهلا معي ويجد لي مخرجا".

"ما هذا بحق السماء؟ هل تريد الإبلاغ عن الأمين قاو؟". اتسعت عينا هوى ليانغ بينغ بذهول.

بدا تساي قونغ قلقا ولم يجرؤ على الإبلاغ عن أي شخص، لكنه اعتقد أنه يعرض للحقائق فقط. قال إنّ الأمين قاو هو القائد الأكثر قوة في الدوائر القانونية والسياسية، ومن دون إيماءة منه، لم يكن للمحكمة أن تمنح أسهم مصنع دافنغ لمجموعة شانشوي. ثمة سر مذهل هنا - كانت قاو شياو تشين هي ابنة الأخ البيولوجية للأمين قاو. هناك صورة للأمين قاو وقاو شياو تشين معلّقة وسط الجدار الأمامي للردهة، وبدا الاثنان متقاربين، مثل أب وابنة.

اعتقد هوى ليانغ بينغ أنّ ملاحظة تساي قونغ التي قالها لتوه كانت على حافة قصة خيالية. كان قاو يوليانغ أستاذه، وهو يعرف كل شيء عنه. كان أستاذه طفلا وحيدا، كيف يمكن أن يكون له ابنة أخ؟! لكن بدل أن يدحض ادعاءه، استمر في ترك صديق طفولته يتكلم، وسأله: "من هو الشخص الثالث؟ هل لديك اسم أي موظف فاسد آخر لتبلغ عنه؟".

"نعم، هذا الشخص هو شخص عديم الرحمة". قال تساي قونغ قد يرتجف من الخوف عند التفكير به فقط، وأنّ الرجل كان يريد توريطه في المشاكل. بحسب معلومات من صديق من الداخل، وقد ظل لصيقا به بقصد المراقبة. وفي حال أنه تعرّض يوما ما للأذية أو الموت بشكل غير مفهوم، عندها من المؤكد أنّ ذلك الرجل يكون هو من فعل ذلك، كان الرجل قاسي القلب وثقيل الوطأة، وزوجته هي نائب رئيس بنك جينغتشو سيتي، تلك التي احتجزت القرض في اللحظة الحاسمة. من المؤكد أنّ قاو شياو تشين سوف تمنح الزوج والزوجة حصة كبيرة من الأسهم، لأنه من دون خدعة احتجاز القرض الماكرة، لما تمكنت مجموعة شانشوي من الاستحواذ على أسهم مصنع دافنغ. ومن كان هذا الشخص؟ عضو لجنة الحزب الإقليمية الدائمة وأمين لجنة الحزب البلدية في جينغتشو التابعة لمقاطعة إيتش، لي داكانغ.

أصبحت الأمور أكثر غرابة بكثير. يبدو أنّ صديق طفولته تساي قونغ عاد إلى عادته القديمة في الثرثرة. فإدخال أستاذه في الموضوع لم يكن كافيا، بل كان عليه أن يدخل أمين لجنة الحزب البلدية في جينغتشو في كل هذا الأمر أيضا. فقد استنتج بعناد الكثير من التفاسير المغلوطة بشأن خلاف اقتصادي عادي، واخترع قصة تحقيق معقدة من قصص شيرلوك هولمز، ليضفي على تقريره جوا من السرد القصصي. خلال شبابهما، كان صديق الطفولة هذا مهووسا بفن السرد القصصي لفترة من الزمن، إذ كان يهرب من الصف. ولطالما كان يتعرض للضرب من قبل والده بسبب هروبه من الصف لهيامه فقط بفن السرد.

بينما كان تساي قونغ يتابع سرده القصصي، اكتشف هوى ليانغ بينغ عن غير قصد أنّ البذلة لاتزال هناك في كيس الثياب على علاّقة المعاطف في المدخل. ولذلك قاطع هوى ليانغ بينغ صديق طفولته وسأل: "تساي الفطيرة، كيف جرى أنك لم تطلب من سائقك أن يأخذ هذه البذلة؟". توقف تساي قونغ عن رواية قصته وأوضّح قائلا: "حتى لو أخذناها معنا فهي بلا فائدة أيها القرد، لأني فصّلتها خصيصا لك". قال هوى ليانغ بينغ: "هذا هراء، متى تركتك تأخذ قياساتي؟". صرخ تساي قونغ قائلا: "كفى أيها القرد، أنت أتيت إلى المنزل في السنة الماضية لحضور حفل رأس السنة الصينية، وأنا أخذت قياسك عندما التقينا مع زملاء صفنا. وعندما فقدت وعيك من السّكْر، استدعيت خياط مصنعنا الذي أتى إلى هناك وقام بأخذ قياسك لأجل هذه البذلة، التي فصّلها على قياسك. جرّبها، فبذلة مثل هذه إذا ألصقنا ماركة أجنبية عليها، تكلّف ثلاثة وعشرين ألف يوان".

شعر هوى ليانغ بينغ بالغضب. ورغم أنه في حالة انتباه دائم، إلا أنه لايزال طائشا وهذا الانتهازي يقوم باستغلاله. ما كان هذا؟ وبوجه حازم، أشار إلى الباب قائلا: "تساي الفطيرة، خذ بذّلتك، واذهب من هنا حالا. أنا أفهم الحالة التي بلّغت عنها، وسأتصل بالأطراف المعنيين للتحقق من الوقائع. ارحل الآن رجاء!".

وقف تساي قونغ وشامته ترتجف بشراسة. وعندما وصل إلى الباب، أمسك بيد هوى ليانغ بينغ فجأة وقال: "أيها القرد، أعلم أنك ربما تتهمني بينك وبين نفسك بأني انتهازي، لكنّ رجال الأعمال عديمي الضمائر لايزالون أناس شرفاء عاديون طالما لا يخالفون القانون، أيها المدير هوى، أرجوك أنقذ هذا العامّي، كل ما قلته كان صحيحا، فبالظاهر، يبدو أنّ قاو شياو تشين قد انتزعت أسهمنا، لكن من يعلم من هو الذي يتلاعب بالأمور خلف الكواليس؟ أحدهم سرق جبنتي، وأنا لاأزال لا أعرف من هرب بها، بما أنني الآن أبلغتك عن كثير من الموظفين الفاسدين، فمن المؤكد أنهم يريدون موتي. ليس لدي علاقات، أنت وحسب، صديق طفولتي الذي يعمل في الحكومة. أنت الوحيد الذي يستطيع حمايتي...".

بعد أن غادر تساي قونغ، خرج هوى ليانغ بينغ في نزهة بعد العشاء كعادته. كان المجمّع السكني الذي يعيش فيه معروفا في بكين، مجمّع للوزارات واللجان الحكومية. أبنية قليل الارتفاع فيها خمسة إلى ستة طوابق مرتّبة بطريقة منتظمة، بمساحات خضراء في الأمام والخلف. الشوارع الخلفية خارج المجمّع مليئة بالسيارات المركونة، والباعة المتجولون يعرضون بضائعهم... كان

هوى ليانغ بينغ يمشي في الطريق ويتمايل مع أنغام الموسيقى، لم يكن ينزعج من الضجيج. بل على العكس، كان يعتقد أنه دافئ وجذاب. المنزل، هكذا كان يجب أن يكون. يخرج ليتمشى كل ليلة طالما كان لديه وقت. وبينما كان يتجوّل، كذلك كان عقله يدور ويدور.

كانت قضية مقاطعة إيتش معقدة. لقد علّمته التجربة السابقة أنّ هروب دينغ يجن سيقود حتما إلى سلسلة من قضايا التواطؤ. رغم أنّ تساي قونغ لم يكن لديه أي دليل فعلي يدعم تقريره، إلا أنّ بعض تكهناته تبدو منطقية عندما يتمّ التفكير بها بإمعان. على سبيل المثال، ربما هناك عقل مدبّر شرير وراء استحواذ قاو شياو تشين على الأسهم. ربما دينغ يجن هو العقل المدبّر. وهناك أستاذه أيضا، قاو يوليانغ: من أين برزت "ابنة الأخ" البيولوجية هذه؟ فعلى أقل تقدير، هذه الصورة الكبيرة المعلّقة في مبنى مجموعة شانشوي كانت أمرا ملموسا، صحيح؟ وبنك جنيغتشو سيتي يحتجز القرض أيضا - هل كان ذلك تصرفا طبيعيا، أو هل كان هناك نوع من المؤامرة كما توقّع صديق طفولته؟ بعد عودته من نزهته، اتصل هوى ليانغ بينغ بتشن هاي، وأعلمه بزيارة تساي قونغ وما قد بلّغ عنه. كذلك اقترح أن يجد تشن هاي بعض الوقت ليتحدث مع تساي قونغ، فربما يستطيع أن يستنتج بعض الدلائل المتعلقة بقضية دينغ يجن.

بعد إنهائه للاتصال، ذهب هوى ليانغ بينغ إلى الحمام كي يستحم، فحملت زوجته تشونغ شياو البذلة إليه، وسألته عنها. تذكّر هوى ليانغ بينغ فجأة كيف أنّ تساي قونغ توسل إليه أن يقبل هذه البذلة قبل أن يغادر - في تلك اللحظة، تحوّل انتباهه، ونسي أن يجعل تساي قونغ يأخذ البذلة معه. ولذا أخبرها كيف أنّ صديق طفولته أتى لزيارته وأنه لم يكن مضطرا لأن يبذل اهتماما بها. وعلى الفور بدأت زوجته بإلقاء محاضرة عليه عن السياسة النظيفة، وقالت إنه عندما يبدأ أحدهم بملء جيوب أصدقائه، أفلا يتم فعل ذلك دائما باسم المحبة؟ انتبه هوى لينانغ بينغ فورا وقد توسل طالبا الرحمة وقال: "أيتها المديرة تشونغ، ما قلته صحيح تماما، وقد جعلني أندم قبل فوات الأوان. سيدتي، رجاء اطلبي خدمة التوصيل واعيدي هذه البذلة إليه بالبريد".

7

عند بزوغ الفجر، كان وانغ وينج - قائد الفريق الأمني - يوقظ تشينغ شيبو. كان الرجل أطول بكثير من الأشخاص العاديين، وهو أسمر وخشن وذو بنية عضلية واضحة. تجعله يبدو مثل تمثال حديدي. كذلك كان تشينغ شيبو طويلا أيضا إلا أنه نحيل الجسد. عندما يقف إلى جانب وانغ وينج، يبدو تقريبا وكأنّ عمود تليفون قد انتصب بجانب التمثال الحديدي. أخبر وانغ وينج بقلق تشينغ شيبو، أنّ فريق هدم تشانغ شياوهو سوف يبدأ بهجوم كبير هذا الصباح بالذات!. نهض تشينغ شيبو وهو يتثاءب من الأريكة وقال: "هذا جنون، كان كل شيء هادئا هذه الأيام. لم قد يتأهب فريق الهدم ويبدأ الهجوم؟".

قال وانغ وينج: "سيدي، لقد زرعت جاسوسا في فريق الهدم. تلقيت اتصالا منه قبل الفجر، وقال إنه في الليلة الماضية أصدر أمين لجنة الحزب البلدية لي، أمر افعل أو تموت. عندها، وفي الليلة الماضية اجتمع تشانغ شياوهو مع مجموعة شانشوي لإعداد الخطط، وفي صباح هذا اليوم، شكّلوا فريق الهدم ونشروه استعدادا للقيام بالتحرك. لا يمكننا تحت أي ظرف الاستخفاف بهذا الأمر!".

شعر تشينغ شيبو بالارتباك، فأدخل قدميه في الخفين البلاستيكيين وخرج على الفور إلى الفناء. صعد السلالم درجتين درجتين واعتلى قمة برج المراقبة المواجه لبوابة المصنع. بإمكانه من هنا أي يرى كل شيء، فأرض المعركة المستقبلية المحتملة تنكشف أمامه. كانت أرض المعركة هادئة كما سطح البحيرة الآن. وضع تشينغ شيبو المنظار على عينيه ومشّط المكان بشكل متكرر دون أن يكتشف أي نشاطات معادية، ولذا مشى مع وانغ وينج إلى الكافيتيريا وتناولا فطورهما بارتياح.

وعلى نحو غير متوقّع بعد الساعة الثامنة، اندفعت عربة شرطة مصفّحة مكتوب عليها "قوات العمليات الخاصة" نحو البوابة الأمامية وتوقفت هناك. اندفعت دزينة أو نحوها من رجال الشرطة المسلحين بدروع مكافحة الشغب خارج العربة. اكتشف الحارس الموجود في برج المراقب الأمر في الوقت المناسب، فقام بإطلاق جرس الإنذار في الحال. توقفت الأغاني الثورية التي تخرج من مكبرات الصوت، ودوّى صوت تصريح يقول: "أيها الأخوة العمال، لقد بدأت مجموعة شانشوي هجومها العام. حصّنوا أماكنكم واستعدوا للمعركة". ومع ذلك التصريح، دوّى صوت الإنذار، فبدأ العاملون والعاملات بحمل البنادق والقضبان الحديدية والأسلحة الأخرى ثم اندفعوا إلى خارج الورشة. أخذ الفريق الأمني زجاجة بنزين بعد أخرى ووضعوها في صف طويل داخل المخابئ المصنوعة من القش.

أشار تشينغ شيبو إلى زجاجات البنزين وحذّر وانغ وينج قائلا: "كن حذرا مع هذه الأشياء، لا تقم بأي عمل طائش".

قال وانغ وينج: "لا تقلق يا سيدي. إنها فقط آخر ما يمكن أن نلجأ إليه، فلا أحد منا يريد أن ينهي حياته بيديه".

بقي تشينغ شيبو قلقا. فالبنزين شديد الخطورة كي يتم العبث به، وليس بإمكانهم الانصياع لأوامر تساي هذه المرة. لقد تحمّل الزعيم كثيرا من أجل حماية مصنع دافنغ، وأمر بوضع البنزين في الخنادق قبل أن يغادر. قال إنه في حال لجأ فريق الهدم إلى هجوم بآليات ثقيلة، فوحده بحر من اللهب فقط بإمكانه إيقافه، خشي تشينغ شيبو من حدوث شيء ما ألح على طلب إزالتها، لكنّ وانغ وينج لم يصغ إليه. قال إنّ الجميع كان في حالة غليان وهم مضطرون لاستخدام كل أنواع الأسلحة عندما تحين لحظة الحقيقة.

بعد مغادرة وانغ وينج، اعتلى تشينغ شيبو قمة برج المراقبة وشاهد رجال الشرطة يشكلون جدارا بشريا والدروع في أيديهم، ويحكمون إغلاق بوابة المصنع. كان مكبر الصوت الموجود أعلى سيارة الشرطة يبث قائلا: "أيها العمال والرفاق في مجموعة شانشوي، نظرا للأوامر الصادرة عن السلطات الشعبية في منطقة غوانغمينغ التابعة لمدينتنا في أيلول 2014، فإنّ الأرض التي يقع مصنعكم عليها قد استحوذت عليها السلطات المحلية لمنطقة غوانغمينغ بشكل قانوني. أرجوا أن تفتحوا بوابة المصنع في الحال من أجل بدء عملية الترحيل...".

أولئك الوحوش! من الواضح أنّ مصنع دافنغ كان لهم، ومع ذلك أصبح من أملاك مجموعة شانشوي بشكل غير مبرر، كان العمال ساخطين ومتوترين معا، وفي لحظة سريعة، اندلع سيل من الشتائم في كل مكان. بدت المعنويات مرتفعة، لكنّ الجميع كان خائفا حتى الموت، ووجوههم شاحبة. كان مساعد مدير المصنع العجوز، يرتدي خوذة أمان ويحمل قضيبا في إحدى يديه. وباليد الأخرى، يتناول قرص أسبرين في فمه من أجل قلبه. وفي خضم الجلبة، كان المحاسب يو حائرا في ما يفعل. حمل هاتفه الذكي بشكل أفقي ثم عمودي، يقف مرة على منصة خشبية ومرة أخرى يجلس على الأرض كي يستعد لالتقاط الصور. طلب منه تساي قونغ أن يلتقط الصور من أجل الأدلة، ومن ثم لينشرها على الإنترنت في المستقبل كي يرى الناس فظائع التهديم الإجباري الذي يقوم به الموظفون الفاسدون...

في تلك اللحظة، قرع جرس الإنذار عبر مكبرات صوت المصنع في الموعد المحدد، وبدأ يصدح صوت الأغاني الثورية كالمعتاد بصوت عال جدا. فغطّت على البث الخارجي دفعة واحدة - "الاتحاد قوة، الاتحاد قوة! قوة الحديد، وقوة الفولاذ! أقسى من الحديد، وأقسى من الفولاذ...".

لم يكن تشينغ شيبو متحمسا لما يحصل، فأخذ هاتفه واتصل كي يطلب التعزيزات. كان هو وتشن يانشي صديقين حميمين رغم فارق السن، وخلال تلك السنوات الماضية كانت كل الاتصالات بين مصنع دافنغ وتشن يانشي تمر عبره. ما إن حدث الاتصال، حتى سمع تشينغ شيبو يتوسل طالبا المساعدة على عجل فقال: "تشن العجوز، الوضع شيئ. فمجموعة شانشوي تبدأ عملية هجوم، حتى أنها استقدمت عربة رجال شرطة". عندما سمع تشن يانشي ذلك، اعتراه القلق أيضا وقال بسرعة: "انتظر أيها الشاعر تشينغ، سأتصل بإدارة الأمن العام". بعد مضي لحظة، اتصل تشن يانشي به وقال إنه تواصل مع إدارة الأمن العام وإنهم لم يرسلوا رجال شرطة، كان أولئك الناس ينتحلون صفة رجال الشرطة، وسوف يقوم مدير مكتب الأمن العام البلدي، تشاو دونغلاي بإرسال رجال على الفور ليلقوا القبض عليهم في حالة تلبّس، ومن دون أن يتوقف لشكر تشن يانشي، رفع تشينغ شيبو هاتفه وصرخ عاليا قائلا: "مهلا، لا تخافوا. رجال الشرطة خارج البوابة مزيفون، لقد تحقق تشن العجوز من الأمر لأجلنا وسوف تكون الشرطة الحقيقة هنا قريبا".

ما إن سمع ذلك، شعر وانغ وينج بالحماس فرفع ذراعيه وصرخ عاليا: "اهجموا، وأمسكوا بهؤلاء المغفلين أحياء".

اندفع عمال الفريق الأمني بسرعة إلى خارج البوابة. أدرك أحد الرجال الذين يرتدون زي الشرطة أنّ السّر قد انكشف وأنهم فشلوا، ولذا صرخ قائلا: "انسحاب". جمع رجال الشرطة المزيفون دروعهم وهراواتهم بسرعة ودخلوا إلى العربة فردا فردا. قام أولئك العمال الذين اندفعوا إلى خارج البوابة برمي الحجارة على عربة الشرطة التي كانت تنفث دخانا أسود من الخلف وهي تفر بفزع.

عندما زال الإنذار الخاطئ، نزل تشينغ شيبو من برج المراقبة، واتصل مرة أخرى بتشن يانشي وشكره شكرا جزيلا: "لقد هرب أولئك التافهون، أيها العجوز تشن، أنت منقذنا بحق. لولا أنك تدعمنا دائما من الخلف، لكان مصنع دافنغ أصبح دخانا ورمادا منذ زمن طويل". قال تشن يانشي: "هذا ليس صحيحا، سوف تقوم الحكومة بحلّ المشكلة في نهاية الأمر. عليك أن تعدني أيها الشاعر تشينغ، لا تدع عمالنا يسرعون في الخروج من بوابة المصنع تحت أي ظرف. وتجنّب الصراع مهما كلّف الأمر، أرجو أن تكون حذرا، إذ ما الذي يحدث لو سقط قتيل واحد بأي حادثة مميتة!".

قال تشينغ شيبو بجدية: "أيها العجوز تشن، أنا أعدك، أنا أعدك...".

وبهذه الطريقة، ازداد اقتراب أحد المواعيد الهامة -16 أيلول 2014.

عند الغسق في 16 أيلول 2014، سار تشينغ شيبو متنزها إلى جانب بحيرة غوانغمينغ كما عادته. لقد أمل برؤية القمر الشاعري لإحدى ليالي الخريف المبكرة، لكن قدّر ليوم 16 أيلول أن يكون يوما مظلما. كان الطقس سيئا وتجمّعت غيوم كثيفة لتحجب انبثاق الضوء. ولشعوره بخيبة الأمل، قفل تشينغ شيبو عائدا، فتوقفت سيارة المرسيدس الخاصة بالزعيم الضال تساي قونغ بجانب بوابة المصنع.

تحت ستار الليل، تسلل تساي قونغ مثل لص إلى داخل المصنع عبر الباب الجانبي. وبالصدفة، وصل وانغ وينج عند الباب ليتفقّد الحرس، لكن مشهد رئيسه الغائب منذ زمن طويل استفزه وجعله متهورا. أمسك وانغ وينج بياقة قميص تساي قونغ ورفع رئيسه إلى الأعلى. عندما سمع عمال فريق الإنتاج والفريق الأمني أنّ رئيسهم قد عاد، أتوا مسرعين واحدا بعد آخر وأحاطوا بتساي قونغ، وصاحوا معا: "أيها الرئيس، أنت لا تعلم كم تعبنا في البحث عنك، بإمكانك الهرب، لكنك لا تستطيع الهرب إلى آخر الأرض". وضّح تساي قونغ قائلا: "أنا لم أهرب، فقد ذهبت إلى

بكين لأقدّم عريضة للجهات العليا". ثم أضاف بشكل مبالغ به: "لقد رفعت قضيتنا إلى مكتب مكافحة الفساد المركزي التابع للنيابة الشعبية العليا. وقد سمع القضية أحد مدراء التحقيق واسمه هوى ليانغ بينغ". أجاب الجميع بغضب: "فلتذهب إلى الشيطان، لقد بعت كل أسهمنا، إذا أين النقود؟ بإمكاننا تسوية الأمر إذا اقتسمت النقود معنا، لكن إذا احتفظت بها لنفسك، فسندفنك حيا في الخندق". قال تساي قونغ: "الأسهم لم تبع، كانت ضمانا إضافيا. اسمعوا، حتى لو شرحت الأمر فلن تفهموا. لقد خدعتنا مجموعة شانشوي، وتلاعبت قاو شياو تشين بنا، كما أنّ أسهمي ضاعت أيضا...".

لم يصدّق أحد السيد تساي، وأولئك الذين كانوا سريعي الغضب، بدأوا يدفعون به. ففقد تساي قونغ توازنه وسقط على وجهه، واصطدم جبينه بالسلالم الحجرية وبدأ ينزف بغزارة.

عندئذ تماما، عاد تشينغ شيبو من نزهته فعمل على تهدئة العمال. قال تشينغ شيبو: "بإمكاني الشهادة عن السيد تساي بأنه ضحية مثلنا تماما". كذلك لام تشينغ شيبو، تساي قونغ قائلا: "بماذا كنت تفكر وأنت تتسلل عائدا في الظلام إلى داخل المصنع فجأة؟". أوقف تساي قونغ تدفق الدم بمنديل في إحدى يديه، وباليد الأخرى أخرج شيك من جيب سترته ثم قال: "أين المحاسب يو؟ لقد أتيت كي أجلب هذا الشيك للمحاسب يو، كنت أحاول الحصول على بعض النقود لكم. هذا شيء قليل لمساعدة الجميع ماديا، كيف لي أن أخطئ مع الأخوة الذين يحمون هذا المصنع؟".

تأثر العمال قليلا بهذا الموقف. فأخذ وانغ وينج الشيك وقال: "سأذهب لأجد المحاسب يو، ولا تضغط هذا المنديل القذر على جرحك. احذر من الالتهابات". ألقى تشينغ شيبو نظرة على الجرح في رأس تساي قونغ تحت أحد أضواء الشارع وبدأ العمل. كان الجرح بحجم فم طفل، والدم ينفر منه. فثبّت تساي قونغ بسرعة في مكانه وقال: "حسبي الله، هذا الجرح عميق جدا، أخشى أنك بحاجة لبعض القطب. دعنا نذهب، سوف آخذك إلى المستشفى".

قبل المغادرة، وضع تساي قونغ يدا فوق أخرى واستدار بشكل دائري وهو ينحني للجميع ويحضّهم قائلا: "أيها الأخوة، احموا المصنع. هذا مصنعنا، وأنا أترك كل شيء لكم جميعا".

يمكن القول إنّ السيد تساي كان يتمتع ببعض الشعبية بين عمال المصنع. رغم أنه حاول القيام بجميع أنواع المشاريع التجارية خارجه، إلا أنه تعامل مع العمال بطيبة، ونادرا ما تأخر بدفع الرواتب والعلاوات. عندما انخرطت الشركات المملوكة للدولة بداية في عملية الإصلاح، ركّزوا

على إعادة هيكلة الشركات الكبيرة وتركوا الشركات الصغيرة تتدبّر شؤونها بنفسها. وبالنسبة إلى الشركات القادرة على التنافس مثل مصنع دافنغ للألبسة، بادرت الحكومة ببيع أسهمها. لقد تمّ التعاقد مع تساي قونغ من أجل القيام ببعض مشاريع البناء، وما إن كشف النقاب عن أول وعاء له من الذهب، اشترى واحدا وخمسين بالمائة من الأسهم. ولذا كان يأمل بشكل طبيعي أن يتمكن العمال من الدفاع عن المصنع اليوم لأنّ المصنع يعود للعمال بالإضافة إليه...

لو أنّ تشينغ شيبو كان يعرف ما سيحصل لاحقا، لكان من المؤكد أنه سيندم على أخذ رئيسه للمستشفى، لأنّ فريق الهدم كان في تلك اللحظة يبدأ هجومه. كذلك زرع تشانغ شياوهو جاسوسا في مصنع دافنغ، ولذلك تم إعلامه باعتداء العمال على تساي قونغ وعلى أذيته التي نتجت عن ذلك. كان هذا هبة من السماء، لقد كوّن تشانغ شياوهو ثروته من خلال عمليات الهدم وكان محنّكا وقاسيا. لقد اشتهر في جينغتشو كملك لعمليات الهدم. هذه المرة، وعدتْ مجموعة شانشوي بمكافأة مجزية لقاء تهديم مصنع دافنغ، ومع دعم الحكومة لم يكن مهما إذا ما رفع الأمور لمستوى أعلى قليلا. كان الموعد النهائي حاسما: بما أنه بقي لديهم ثلاثة أيام فقط من الوقت الذي خصصه لهم قاو يوليانغ، كان عليهم أن يستولوا على المصنع هذه الليلة. كان تشانغ شياوهو ماكرا. فالهجوم النهاري كان مجرد تجربة لسبر دفاعات المصنع. وبهذه الطريقة حافظوا على طاقتهم وبدأوا يعدون أعمالا تحضيرية متأنية.

جمع تشانغ شياوهو قادة أسرابه الثلاثة معا. سيكون الفريق الأول مجموعة من المجرمين الرياضيين ذوي الأوشام. والفريق الثاني سيرتدي زي الشرطة يتموضع في إحدى عربات الشرطة، ومرة أخرى ينتحلون صفة رجال شرطة تحت جنح الظلام. الفريق الثالث سيكون الوحدة الميكانيكية، مع بلدوزرات وروافع شوكية وأية معدّات ثقيلة أخرى يحتاجونها. وقبل البدء، شرح تشانغ شياوهو الأمور بوضوح تام: "يجب علينا في هذه الحملة أن نفعل ما بوسعنا لتجنّب إراقة الدماء. في حال لم يكن هناك خيار آخر سوى إراقة بعض الدماء، فلا تقلقوا بشأن ذلك. لكن التزموا بهذا المبدأ الوحيد: لا تدعوا أي حالات وفاة تحدث".

كانت ليلة شديدة الرياح ولا قمر فيها عندما بدأ فريق الهدم بالعمل. ومثل موجة غير مرئية، طوّقوا مصنع دافنغ للألبسة بهدوء...

كان العامل في نوبة برج الحراسة أول من اكتشف النشاط العدائي، فاستدعى وانغ وينج. بإمكان وانغ وينج رؤية الكتلة الداكنة للمعدات الثقيلة تحت ضوء القمر حتى من دون منظار، فقال بتجهّم: "أمر سيئ، هذا هو هجوم عملية الهدم العام الحقيقي". عندها، زأر بصوت مثل قصف الرعد: "هذه حالة طارئة، تجمّعوا واستعدوا للمعركة". صدحت صافرات الإنذار بقوة خالقة جوا من الرعب، وكان مكبر الصوت الكبير يبث الأمر للتعبئة من أجل المعركة. أنارت الأضواء الكاشفة وجوه العمال الشاحبة، كانوا متحمسين ومتوترين، مثل مجموعة من المجانين.

لم يكن تشينغ شيبو هناك، ولذا لم يكن بإمكان وانغ وينج سوى التشاور بسرعة مع بضعة عمال أساسيين فقال: "يبدو أننا لن نتمكن من صدّ هجومهم هذه المرة مالم نستخدم حركتنا الصاعقة. دعونا نحضّر أنفسنا للمواجهة".

كان ما يسمى "الحركة الصاعقة" هو إشعال البنزين، فبحر هائج من اللهب فقط يمكنه صدّ هجوم المعدات الثقيلة. وتحت قيادة وانغ وينج، قلب الأعضاء الأساسيون للفريق الأمني كل برميل بنزين كان ملقى إلى جانب الجدار، وسكبوا ما في تلك البراميل من البنزين في الخنادق، حتى آخر نقطة. وفي الحال، تغلغلت رائحة البنزين اللاذعة في المصنع، وزادت الرائحة الغريبة من حدة الخوف في قلوب الجميع.

كان بعض الناس قلقين فقالوا: "وانغ وينج، بفعلنا هذا، هل سيحرق أي شخص حيا في هذه العملية؟".

قال وانغ وينج: "دعهم ينالوا ما يستحقونه، فبهجومهم بهذا الشكل، يجب علينا الدفاع عن أنفسنا طبعا. إذا أرادوا الهجوم من خلال بحر من النار، فعليهم تحمل النتيجة؟". وافق البعض على ما قاله وانغ وينج قائلين: "نعم، هذا صحيح".

اقترح بعضهم قائلا: "بسرعة يا وانغ وينج، اتصل بتشينغ شيبو، ودعنا نسمع ماذا سيقول".

لكن في وقت عصيب كهذا، لم يتمكنوا من الاتصال بقائد مصنع دافنغ، الرفيق تشينغ شيبو.

رأى العمال الحاضرون بوضوح ما حدث: أخذ وانغ وينج هاتفه وبينما كان يتصل برقم تشينغ شيبو، انقطع الاتصال فجأة. صرخ وانغ وينج بقلق على الهاتف المفصول قائلا: "لقد بدأوا

هجومهم، وسنقوم بإشعال النار... سيدي، قل شيئا". لكن مهما صرخ، لم يكن هناك رد.

زأرت جميع أنواع المعدات الثقيلة باتجاه مصنع دافنغ وأغلقت البوابة. قفز رجال الشرطة المزيفون من عربة الشرطة واحدا بعد آخر. كان المجرمون يرتدون زيا أسود موحدا من الرأس حتى أخمص القدم، فاندفعوا إلى الأمام وهم يحملون سكاكين طباخين بطول المساطر. وعلى وقع صوت البلدوزر الرعدي، سقطت بوابة المصنع الأمامية بصوت تحطّم قوي، فارتد صوت الارتطام من الجدران نحو الشرق والغرب. ترنّحت الجدران جراء الصوت وبدأت التحضّر للانهيار في أي لحظة...

كانت يد وانغ وينج الكبيرة ترتعش وهي تحمل الولاعة. سالت حبيبات عرق بحجم حبات فول الصويا على جبين الرجل الحديدي بسبب التوتر الذهني الهائل الذي يضغط عليه. وبيده الأخرى، اتصل برقم تشينغ شيبو مرة بعد أخرى، وهو يتمتم: "سيدي، سيدي تشينغ، ما الذي حدث لك؟ أرجوك ارفع سماعة الهاتف...".

لم يكن تشينغ شيبو قادرا على الرد فقد سرق هاتفه منه. فبعد أن أخذ تساي قونغ للمستشفى، أوقف تشينغ شيبو سيارة أجرة وأسرع عائدا إلى المصنع. وفجأة، خرج رجلا شرطة مزيفان من بين الظلام وأمسكا بذراعيه وصادرا هاتفه ثم أخذاه إلى تشانغ شياوهو. هزّ تشانغ شياوهو رأسه قائلا: "إذا هذا هو الشاعر الشهير تشينغ؟ حسنا، اليوم هو اليوم الذي نلتقي فيه أخيرا". قال تشينغ شيبو بقلق شديد: "الرئيس تشانغ، يجدر بك أن تعيد هاتفي إلي وتدعني أعود إلى المصنع. وإلا، فسوف تصبح الأمور فوضوية. وإضافة إلى البنزين الموجود في المخابئ والخنادق، هناك في المصنع أيضا خمسة وعشرون طنا من خزانات البنزين".

صعق تشانغ شياوهو فقال: "أيها الشاعر تشينغ، لا تعبث معي". بدأ تشينغ شيبو يشعر بالقلق وأقسم إنه يقول الحقيقة: "في المنشأة خزان بنزين خاص بها، بحيث يتمكن فريق التنفيذ من إعادة ملئه. بعد أن احتل العمال المصنع، حافظوا دائما على ملء الخزان كي يكونوا في أعلى جهوزية ليوم كهذا". بدا تشانغ شياوهو عاجزا عن الكلام. كان شخصا عاقلا ولم يجرؤ على القيام بمخاطرة كبيرة، ولذا بعد لحظة، أخذ تشانغ شياوهو هاتفه وأعطى أوامره قائلا: "أوقفوا كل شيء".

لم يكن تشينغ شيبو يعرف كيف كان الوضع داخل المصنع. كان شديد القلق لدرجة أنّ دماغه قد شلّ لخشيته من أنّ وانغ وينج قد يفقد أعصابه ويقوم بإشعال النار في البنزين حقا، كان وانغ وينج معه منذ عدة سنوات ويمكن اعتباره متدربا مناسبا. كان رجلا ذا شخصية طيبة، ومتهورا بعض الشيء. من اسمه فقط، يتضح أنه ولد خلال زمن مضطرب، وتلك الأوقات المضطربة تركت أثرها على شخصيته. ومع كون المتدرب فقيرا وزوجته تضغط من أجل الطلاق، كانت أسهم مصنع دافنغ جوهرية جدا بالنسبة إلى أسرتهما. فطفلهما صغير ويحتاج للذهاب إلى المدرسة. ومنزلهما متهاو، وهم بحاجة إلى منزل جديد. وبسبب فسحة الأمل التي وفرتها الأسهم، اختارت زوجته أن لا تتركه بقساوة في نهاية المطاف... كان العمال الآخرون الذين يدافعون عن المصنع في ظروف مشابهة. لكل العائلات الفقيرة مشاكلها الخاصة بها، وجميعهم أمل أنّ هذه الأسهم سوف تساعدهم على فتح صفحة جديدة، ولهذا السبب سوف يقاتلون قتالا مستميتا ضد أي أحد يريد سرقة جبنتهم. تضرّع تشينغ شيبو لكي يبقى وانغ وينج هادئا، وحضّ المتدرّب عنده في ذهنه قائلا: "أرجوك لا تشعله، أرجوك، أرجوك".

كان وانغ وينج عاقلا جدا في الحقيقة. فقد انهارت الجدران الشرقية والغربية مسبقا بحلول ذلك الوقت، والبلدوزر سوّى البوابة الحديدية بالأرض. مع ذلك، لم يجرؤ على إشعال النار. حمل الولاعة المبلولة بالعرق بين أصابعه، وكانت ذراعاه ترتجفان لا إراديا. لكن مع ذلك تحلّى بضبط النفس، تردّد صدى صوت تشينغ شيبو في أذنيه، والذي أصرّ عليه أكثر من مرة في الماضي قائلا: "لا يسمح لأحد بإشعال هذه النار دون أوامر مني، وذلك يشملك".

توقفت البلدوزرات والروافع الشوكية فجأة، ووقف الجانبان متواجهان وعلى مسافة قريبة.

كان المحاسب يو يحب اللعب بالتصوير على هاتفه ومن ثم نشر الصور على تطبيق وي تشات في مدوّنته الإلكترونية. لذا فقد بدا منهمكا بهاتفه وبالتصوير عند بدء النزاع. فعندما رأى أنّ المعدات الثقيلة قد توقفت عن التقدم، تولد لديه انطباع خاطئ بأن هذا التوقف المفاجئ إنما يعود إليه. لذا قال لوانغ وينج: "أرأيت؟ إنهم خائفون الآن، أليسوا كذلك؟! فهاتفي مثل محطة تليفزيون تماما وقد بدأت سلفا بفضح أفعالهم الهمجية في الهدم على الشبكة العنكبوتية...".

رغم أنّ وانغ وينج لم يصدق المحاسب يو ولو للحظة واحدة إلا أنّ الحادثة تمّ تلافيها حقا، ولذا أعاد الولاعة إلى جيبه، وأخذ يلوح بذراعيه المتألمتين للأمام والخلف. كان معلمه تشينغ شيبو

على حق، فإشعال البنزين قد يؤدي إلى نتائج مرعبة. بوسعه الآن الإحجام عن إصدار أمر خطير.

لكن حصلتْ حادثة في تلك اللحظة بالضبط. الحوادث هي فقط: حوادث. من بإمكانه تجنّب حادثة؟

عندما بدأت الأمور تأخذ منعطفا نحو الأفضل، قام أحد أفراد الفريق الأمني الذين يشعرون بقلق مفرط بإشعال سيجارة خفية. وعندما أوقف البلدوزر هجومه، تنفّس الصعداء ورمى عقب السيجارة على الأرض من دون قصد. كان خطأ مميتا. فالأرض مشبعة بالبنزين، مما أدى لاندلاع النار عند قدمي سانماو. صرخ وسقط على رأسه داخل الخندق، فاحترق حتى الموت في الحال، وأصبح كومة من الفحم لا يمكن تمييزها. كذلك اشتعلت النار ببعض العمال الواقفين قريبا منه وأخذوا يركضون وهم يصرخون بشكل مروع. اضطر السائقون داخل البلدوزرات إلى تركهم بسبب الاشتعال. قام وانغ وينج بتنظيم أفراد الفريق الأمني بغية إطفاء النار، وحاولوا ما بوسعهم لإيقافها. تغلغلت رائحة الاحتراق في كل أركان المصنع، وجعلت الدموع تنهمر من عيون الناس. لامست ألسنة اللهب سماء الليل، وهي تتصاعد وتومض في الوقت الذي كانت فيه تحرق وتشوي الناس، مثل قطيع من الوحوش الشرسة تندفع من أقفاصها.

تحوّل مصنع دافنغ إلى بحر من اللهب، وأنير كل ركن من أركانه بضوء النيران. كان كل شيء في حالة فوضى، يقدّم مشهدا جهنميا. الناس يبكون ويصرخون مفزوعين. استلقى الجرحى على الأرض الإسمنتية الملطّخة، وفقد بعض الناس وعيهم. لقد خاطر وانغ وينج بحياته من أجل سحب بعض العمال الشباب من الخندق، واشتعلت به النيران أثناء العملية. كان عاشق التصوير الفوتوغرافي هادئا بشكل غير عادي وهو يحمل هاتفه لإيجاد زوايا مختلفة لصور النيران المتأججة. وبدا اللهب ساحرا وهو يأخذ أشكالا مختلفة لا حصر لها، حتى تراكمت صور النار صورة بعد أخرى.. للدم والدموع الممتزجة بين يدي المحاسب يو. فيما بعد، ومن دون تأخير، حمّلتْ على الإنترنت.

وهكذا، شاهد عدد لا يحصى من أماكن لا تحصى من العالم وفي وقت واحد تقريبا، الحريق الكبير الذي اندلع في موقع الهدم بجانب بحيرة غوانغمينغ في جينغتشو ليلة 16 أيلول 2014.

8

ما قاله المحاسب يو صحيح. ففي حقبة وسائل التواصل الاجتماعي، يعتبر الهاتف الذكي محطة تليفزيونية تماما. انتشرت صور وفيديوهات الحريق مثل نار مجنونة على الإنترنيت وسرعان ما انتشرت في كل أنحاء العالم. شاهد هوى ليانغ بينغ الفيديوهات بينما كان في مقاطعة يونان، يقود تحقيقا في مدينة كنمينغ مع عدد من أشخاص آخرين متورطين في قضية الرشوة المتعلقة بتشاو ديهان. في تلك الأمسية، ذهب لتناول الطعام في مطعم مفتوح وكان بانتظار تقديم طبق الأرز والمعكرونة له. صرخ أحد المحققين الشباب الذين يحبون تصفح النت فجأة وقال: "أيها المدير هوى، هناك مشكلة في مدينتك". ثم مرّر الهاتف إلى هوى ليانغ بينغ.

ذهل هوى ليانغ بينغ من الفيديو الذي يشبه البث الحي تقريبا. وبما أنه كان مشغولا فلم يستطع أن يشاهد الكثير منه، فاتصل على الفور بأستاذه قاو يوليانغ ليبلّغ عن الوضع. يشغل أستاذه منصب أمين هيئة الشؤون السياسية والقانونية، ولذا لا يبدو الإبلاغ عن حادثة بهذه الضخامة مثيرا للمشاكل حتى لو أنّ أستاذه يعلم بالأمر. استيقظ قاو يوليانغ من أحلامه بفزع جراء الاتصال الهاتفي. فيما بعد، سمع هوى ليانغ بينغ أنه بعد تحقّق أستاذه من الوضع، اتصل مباشرة بمدير إدارة الأمن العام تشي تونغ وى وأعطاه تعليمات بالإسراع في الذهاب إلى مصنع دافنغ لمعالجة الوضع الذي انفجر على نحو مفاجئ جدا. كذلك اتصل بلي داكانغ ليعرف منه بالضبط ما الذي حدث. كان لي داكانغ في تلك اللحظة في طريقه إلى موقع الحريق ولم يكن يعرف أكثر مما كان موجودا على النت أو في الفيديوهات، لذا لم يكن لديه الكثير ليقدّمه. عندما أبلغ الحادثة لأستاذه عبر الهاتف، لم يتخيل هوى ليانغ بينغ أبدا أنّ له علاقة بحادثة الحريق. الأهم من ذلك، هو لم يكن يعرف أنه سوف يطلق

على حادثة اشتعال الحريق "916" فيما بعد، وأنّ الجذوة السياسية ستستمر بالاشتعال، وأنها قد تجتاح عددا كبيرا من الموظفين الكبار والصغار في الدوائر البيروقراطية لمقاطعة إيتش...

في ليلة 16 أيلول 2016، اعتلى لي داكانغ التلة الصغيرة نفسها حيث التقى فيها مع قاو شياو تشين قبل بضعة أيام ونظر إلى منشأة مصنع دافنغ الواقعة إلى جانب بحيرة غوانغمينغ أسفل التلة، كان لهيبها يضيء السماء. شعر لي داكانغ أنه رمى بنفسه أيضا داخل بحر من النيران. ورغم أنّ قلبه تحمّل اللهب الوحشي، إلا أنه تبلّل بكمية كبيرة من العرق البارد.

وصل تقريبا كل قادة الإدارات المعنية إلى موقع الحدث، إلى هناك حضر أيضا مدير مكتب الأمن العام البلدي تشاو دونغلاي ورئيس المنطقة صن ليانتشينغ. قال صن ليانتشينغ: "الوضع مريع. في هذا النوع من الأمكنة القاحلة المهدّمة، هناك أحجار قرميد وجدران محطّمة وأنقاض في كل مكان. لقد أسرعتْ عربة الإطفاء إلى هنا، لكنها لم تستطع الدخول حتى". صرخ لي داكانغ: "لماذا تقول ذلك لي؟ دع العناصر يقومون بإزالة العراقيل في الحال". عندما كان صن ليانتشينغ على وشك المغادرة، عاود لي داكانغ الاتصال به وسأله: "كم عدد الضحايا هناك الآن؟". أجاب صن ليانتشينغ: "يبدو أنّ ثلاثة أشخاص قد احترقوا حتى الموت، وهم يحاولون الآن إنقاذ بعض الناس الذين أصيبوا بجروح خطيرة. سبعة وثلاثون شخصا لديهم حروق، لكنّ هذا مجرد تقديرات أولية. نحن لا نعلم العدد الدقيق بعد". التفت لي داكانغ إلى مدير مكتب الصحة وقال: "بلّغ جميع المستشفيات الرئيسية في المقاطعة حالا لكي يعطوا هذا الأمر الأولوية القصوى وأن لا يوفروا أي جهد لإنقاذ الجرحى".

بدا تقرير مدير مكتب الأمن العام البلدي تشاو دونغلاي أكثر مدعاة للقلق حتى. فهناك خزان بسعة خمسة وعشرين طنا مليئا بالبنزين في منشأة مصنع دافنغ للألبسة. وفي حال وصلت النيران وانفجر خزان البنزين، ستكون العواقب كارثية. أصدر لي داكانغ أوامره قائلا: "فرّقوا الحشود على الفور، فليس بإمكاننا تحمّل أي ضحايا آخرين تحت أي ظرف كان". وضّح تشاو دونغلاي صعوبة الموقف - لقد أتى فريق الهدم إلى هنا بسيارة شرطة مزيفة، والعمال يحيطون بسيارة الشرطة وبرجال الشرطة المزيفين بشكل كامل. ومن المحتمل أن يصل الطرفان إلى نزاع حاد. اعتبارا من ذلك الوقت، أحاط رجال الشرطة الحقيقيين التابعون للمكتب البلدي بالعمال وكانوا يحثونهم كي يكونوا عقلانيين ويحموا حقوقهم بشكل قانوني. وهكذا، أحاطت مجموعة بالمجموعة الأخرى،

وأصبح الوضع في حالة فوضى مطلقة. حاولوا العمل على إزالة العراقيل طوال الوقت، لكنّ العمال لم يصدّقوا أنهم أتوا ليقبضوا على رجال الشرطة المزيفين وأصروا على أنهم أتوا لإنقاذهم، مؤكّدين أنهم كلهم متواطئون.

في تلك اللحظة، وصل مدير إدارة الأمن العام تشي تونغ وى، فتوجه إلى هناك وصرخ بصوت عال: "أيها المدير تشاو، تعامل مع الأمر بشكل حاسم. أطلق طلقات تحذيرية عند الضرورة، واستعمل معدات الشرطة من أجل إخلاء المنطقة بالقوة".

كان لي داكانغ في حالة ذهول. مشى تشي تونغ وى إليه وقال بشكل حازم: "أيها الأمين لي، هذه حالة طوارئ، ولا أحد يستطيع تحمّل المسؤولية في حال انفجر خزان البنزين ذاك، يجب إخلاء المنطقة، ولا يمكننا أن نتردّد".

فكّر لي داكانغ بالأمر ولم يهدر أي وقت في حزم أمره فقال: "أيها المدير تشاو، افعل كما يقول المدير تشى".

بدا تشاو دونغلاي مترددا بعض الشيء، لكنه مع ذلك أدّى التحية وأطاع الأمر قائلا: "مفهوم أيها الأمين لي، والمدير تشى".

بعد مضي لحظة من الوقت، أمكن سماع مكبرات صوت سيارات الشرطة تقول: "أيها العمال والرفاق في مصنع دافنغ، من المحتمل أن ينفجر خزان البنزين في أي لحظة. من أجل سلامتكم الشخصية، ستقوم الشرطة قريبا بإخلاء المنطقة. رجاء أخلوا المنطقة حالا بعد سماعكم لهذا، رجاء ارحلوا بسرعة...".

لم ينجح ذلك، فقد قام العمال الرجال والنساء أمام بوابة المصنع بشبك أذرعهم لتشكيل حائط بشري، يحيط بدزينة أو نحوها من رجال الشرطة المزيفين الموجودين في عربة الشرطة، ووقفوا بمواجهة الشرطة. توهّجت وجوههم الكالحة بالاحمرار من ضوء النار، في حين كان العديد من الهواتف يومض يسارا ويمينا لتسجيل الفيديوهات والتقاط الصور. حينئذ تماما، أصبحت السماء معتمة، وحجبت السحب السوداء الكثيفة القمر والنجوم، وكأنّ إناء أسود قد قلب رأسا على عقب من السماء. لقد غضب الناس من البث القادم عبر مكبرات صوت سيارات الشرطة حتى أنهم كانوا أقل استعدادا لترك الجناة المسؤولين عن الحريق يذهبون، لقد تدمّر المصنع، والكثير من الأخوة

والأخوات احترق حتى الموت أو أصيب. كيف يمكن لهم ترك الأمر دون حسم؟ ما إن حسموا أمرهم على خوض معركة يائسة، أصبح الناس أكثر ترويعا من نار البنزين. كان رجال الشرطة المزيفون يرتجفون، وحبيبات عرق كبيرة تتدحرج على وجوههم.

عندئذ، أصدر تشي تونغ وى أمرا ثانيا فقال: "أيها المدير تشاو، أطلق طلقات تحذيرية، وأخل المنطقة بالقوة".

لم يتوقع أحد في تلك اللحظة الحرجة أنّ رجلا عجوزا قد يمنعهم من إخلاء المنطقة. في تلك الليلة، تلقى تشن يانشي اتصالا من تشينغ شيبو يبلغه فيه عن الحالة الطارئة قبل رؤيته للفيديوهات الخاصة بموقع الحدث. بعد علمه بوقوع مصنع دافنغ في مشكلة كبيرة، أسرع إلى هناك بدراجته الآلية الصغيرة رغم ردع زوجته له.

"أيها الأمين لي، مهما يكن الأمر، لا تقم بأي عمل طائش. نحن نواجه جماهير العمال هنا".

أخذ لي داكانغ على حين غرة فقال: "أيها العجوز تشن، أعطني مكبر صوت. سأذهب وأقنعهم".

قال تشي تونغ وى: "لا تحاول إقناعهم، فالوضع فوضوي وخطير جدا هناك. أنا على وشك إخلاء المنطقة...".

استشاط تشن يانشي غضبا فقال: "تخلي المنطقة؟ وتزيد المشكلة حدّة؟ نحن الآن لا نعرف حتى كم عدد الناس الذين ماتوا أو أصيبوا جراء الحريق. هل تحاول التسبب بمزيد من الضحايا؟ بسرعة، اذهب واجلب لي مكبر صوت. سوف أقنع العمال بالعودة إلى المصنع...".

في تلك اللحظة، ارتفع صوت بث مكبرات صوت الشرطة مرة أخرى.

ركل تشن يانشي الأرض بقدمه غاضبا وقال: "أيها الأمين لي، والمدير تشى، وأنت أيضا أيها المدير تشاو، أسرعوا وأمروهم بالتوقف، بسرعة، دعوني أقل لكم، عمال مصنع دافنغ يحاربون من أجل أسهمهم، ولن يتراجعوا بهذه السهولة، في حال اندلعت نزاعات أخرى وتسببتم بقتل أناس آخرين، لن يتهرب أي من ثلاثتكم من المسؤولية".

حملت تلك الملاحظة الكثير من الثقل، وأدرك لي داكانغ مسؤوليته السياسية. فنظر إلى تشي تونغ وى، فأومأ تشي تونغ وى برأسه. لكن مع ذلك، أعطى لي داكانغ الأمر قائلا: "أيها المدير تشاو، أوقف عملية إخلاء المنطقة الآن. دع تشن العجوز يحاول أن يجرب حظه".

بمساعدة رجال شرطة له من كل جانب، شقّ تشن يانشي طريقه إلى مصنع دافنغ، كانت ألسنة اللهب تتقافز إلى حدود السماء. دعا تشينغ شيبو وما العجوز للتقدم للأمام، عبر مكبر صوت الذي يحمله بيده، مع أي من العمال الآخرين الذين يعرفونهم جيدا. عندئذ، بدأ يتحدث مع العمال:

"أيها الأخوة العمال والرفاق، أقف اليوم أمامكم بقلب مثقل بالألم، والحزن عميق جدا حتى لدرجة البكاء، قبل سنوات، أعدت هيكلة هذا المصنع بيدي. الآن، ضاعت أسهمكم، وبعد الهدم ستخسرون عملكم أيضا. كم أنا حزين بعمق جراء هذا كله. لكن مع ذلك، يجب أن أناشدكم جميعا، ويجب أن تكونوا عقلانيين وتتحلوا بضبط النفس. لا ينبغي عليكم مفاقمة المشكلة، فليرجع الجميع رجاء إلى المصنع أولا، اتفقنا؟".

ألقت النار بضوئها على العمال الذين بقوا دون حراك، والشكوك مرسومة على وجوههم الكالحة. يعلم الجميع أنّ نية الرجل العجوز حسنة بقدومه إلى هناك في هذا الوقت المتأخر من الليل، لكن في لحظة حرجة كهذه، عندما يضعون حياتهم على المحك، كيف يمكن لمناشدة رجل عجوز أن تجعلهم يستسلمون؟

رفع تشن يانشي مكبر الصوت مرة أخرى وصرخ قائلا: "إذا دعوا سيارة الإطفاء تدخل أولا من أجل إطفاء الحريق، اتفقنا؟ ربما تودون الحفاظ على أسهمكم، لكن يجب عليكم الحفاظ على حياتكم أولا، ما فائدة الأسهم عندما تكونون موتى؟".

الاستجابة الوحيدة التي تلقاها تشن يانشي كانت الصمت.

بدا تشن يانشي غاضبا فقال: "في حال انفجر خزان البنزين في المنشأة، عندها سيقضى علينا جميعا، لأني سوف أبقى معكم".

عند هذه العبارة، اهتز العمال. فانتهز تشينغ شيبو، وما العجوز، ووانغ وينج، والعمال الأساسيون الآخرون، الفرصة من أجل إقناع العمال، وتم سوق الحشد أخيرا إلى داخل المنشأة مثل

قطيع من الخراف. انتهز رجال تشاو دونغلاي الفرصة من أجل تكبيل رجال الشرطة المزيفين بالأصفاد واعتقالهم. كذلك خرجت عربة الشرطة دون ضرر إلى خارج الأنقاض.

بهذه البساطة، أخذت الأمور منعطفا نحو الأفضل. فقد أزيلت حواجز الطرق المشكّلة من الأنقاض ودخلت عربة الإطفاء إلى المنشأة وأخمدت النار بسرعة. وبعد فترة قصيرة، قدمت عربة وقود تابعة للشركة وتحضّرت لسحب كل البنزين الموجود في الخزان. أزيلت المخاطر الموجودة في الموقع واحدة بعد أخرى، وتمّ تجنّب كارثة أكبر. بالتدريج، قامت الريح بإبعاد السحب، وشعّ القمر براقا في السماء، محولا لون الأرض إلى الفضي.

أطلق لي داكانغ تنهيدة ارتياح طويلة وأشعل سيجارة. بدت بحيرة غوانغمينغ ناعمة كما الزجاج، وبدا البدر منعكسا على البحيرة مثل طبق فضي، بشكل جميل حتى الثمالة. هبّ نسيم خفيف على سطح البحيرة فلمعت مجموعة من الشظايا الفضية. هناك أشجار صنوبر حمراء صينية مبعثرة في أرجاء التلة، فارتجفت إبر الصنوبر وأرسلت رائحة عطرة خفيفة إلى هناك. طار طائر ليلي من أحد الأشجار وهو يغني بشكل حالم أصواتا مبهجة ببراعة. انطفأت النار التي جعلت الأفق يلتهب. بدا وكأن شيئا لم يحدث على الإطلاق على شواطئ بحيرة غوانغمينغ، وعاد العالم إلى الصمت. ما هو الشيء الجميل؟ عالم هادئ هو شيء بالغ الجمال. لي داكانغ، الذي بدأ كسكرتير إداري وكان لديه دائما عقدة الأدب، توصل إلى هذه الخلاصة في ذهنه.

في تلك اللحظة مباشرة، أتى تشي تونغ وى إلى جانبه وابتسامة تعلو وجهه الوسيم فقال: "أيها الأمين لي، لدي اقتراح، لكني لست متأكدا فيما إذا كان علي أن أقوله أم لا".

نفخ لي داكانغ دخان سيجارته، وحدّق مليا إلى المصنع من بعيد ثم قال: "ما هو الاقتراح؟ تكلّم أيها المدير لي".

"بما أنّ الأمور أصبحت بهذا الشكل، اضرب الحديد وهو ساخن بكل بساطة، ودمّر مصنع دافنغ قبل أن ينتهي الليل".

أصيب لي داكانغ بالذهول للحظات. فعدّل نظارته ثم نظر إلى مدير إدارة الأمن العام الواقف أمامه وهو غارق في التفكير. ماذا يفترض بذلك أن يعني؟ بعد تجشّم كل عناء تهدئة الوضع المليء

بالشغب، كانا يتمتعان بلحظة من الهدوء. كيف لهذا المدير أن يرغب بخلق حالة اضطراب؟ ما الذي يخطط له تلميذ قاو يوليانغ هذا؟ هل يرغب بأن يقع العالم كله في الفوضى؟

كان مدير إدارة الأمن العام محنّكا وماكرا فقال: "أخشى فقط أنك إذا لم تدمّره الليلة، سيصبح فعل ذلك أكثر صعوبة".

هذا صحيح تماما. سوف يدمّر مصنع دافنغ في نهاية الأمر. لم يكن بإمكانه ترك هذا الحلم الجبار يطعن من قبل هذا المنزل المعيق ويموت هنا. أطلق لي داكانغ تنهيدة طويلة وقال باكتئاب: "نعم، هذا صحيح، أيها المدير تشى، ما قلته صحيح، من الأفضل الانتهاء من الألم وعدم إطالة العذاب، وأنا قلت لهم في الأصل أن يدمروا المصنع خلال أسبوع واحد".

أمين لجنة الحزب البلدية، الذي هدأ الآن، أصبح متوترا بسبب استفزاز مدير إدارة الأمن العام. الحلم بالمدينة الجديدة، التي عادت حية أمام عينيه، قفز فجأة إلى رأسه. حقا، لقد قطعوا كل هذه المسافة إلى هنا، لم ليس بإمكانهم تدميره؟ بشكل طبيعي، هناك عقدة واحدة يجب الاهتمام بها: تشن يانشي. كان الرفيق القديم شخصية مشهورة، وهو مليء بالشكاوى أيضا ولديه تاريخ مع مصنع دافنغ.

اصطحب تشاو دونغلاي تشن يانشي معه إلى مكان وجود لي داكانغ الذي أمسك بيد الرجل العجوز وصافحها بعزم قائلا: "أيها العجوز تشن، شكرا لك، بالنيابة عن لجنة الحزب البلدية والسلطات البلدية، أنا أشكرك، لو أنك لم تتقدم بشجاعة للأمام، من يعرف ماذا كان سيحدث فيما بعد! وكوني قلت هذا، فمصنع دافنغ يشكّل آفة على ضفاف بحيرة غوانغمينغ. وفي النهاية من الخطير تركه كما هو". مال الأمين مقتربا من الرجل العجوز بطريقة خاصة وحميمية ثم أضاف: "أيها العجوز تشن، لدينا شيء نناقشه معك. سوف نقوم بتدمير المصنع الليلة".

صعق تشن يانشي من الخبر فقال: "ماذا؟ لي داكانغ، كيف... كيف تجرؤ".

أخمد لي داكانغ النار التي اشتعلت داخله، وأجبر نفسه على الابتسام قائلا: "أيها العجوز تشن، أعلم أنك تفكر بالعمال، لكنّ الجماهير هي تحت طائلة القانون، وعليك أن لا تدعمهم - فمن دون دعمك، لم يكن لمصنع دافنغ أن يصمد في موقفه معاديا الحكومة حتى الآن".

بدا تشن يانشي ساخطا فقال: "أيها الرفيق لي داكانغ، أتعلم سبب مقاومتهم؟ لقد احتال الانتهازيون الخارجون عن القانون عليهم. أعلمتك بالأمر أنت ولجنة الحزب البلدية مبكرا عبر الرسائل والاتصالات الهاتفية، لكنكم تجاهلتموني، بصراحة تامة، تقع مسؤولية ما حدث الليلة عليك يا لي داكانغ، وعلى لجنة الحزب البلدية".

فوجئ لي داكانغ. فقال بعد لحظات بطريقة وقورة: "أيها الرفيق تشن يانشي، أؤكد لك بشرف الحزب وشرفي أني لم أستلم أي من رسائلك ولم أتلق أي من اتصالاتك".

قال تشن يانشي ملوحا بيده: "إذا أنت مجرد واجهة أبعدتْ نفسها عن الجماهير، يجب على الحكومة أن تحفظ وعودها، وتختر وقتا مختلفا من أجل الهدم. سأعمل على إقناعهم، لكننا لا نستطيع زيادة حدة النزاع الليلة".

لم يقطع لي داكانغ وعدا ليس بإمكانه الوفاء به أبدا، فقال بوجه ممتقع: "لقد وجّهت سلطات المنطقة إشعارا منذ زمن طويل، وأنا أصدرت أمر افعل أو تموت بالنيابة عن لجنة الحزب البلدية. يجب أن يدمّر مصنع دافنغ للألبسة الليلة ـ تلك هي نهاية الأمر".

في هذا الوقت المبكر من الليلة الخريفية، كان هناك برودة في الهواء، كما أنّ النسيم الذي هبّ عبر البحيرة زاد من حدة البرد. شعر تشن يانشي بالقشعريرة، وظهر حزن عميق على وجهه. ارتجفت شفتا الرجل العجوز وكأنّ لديه شيئا ليقوله، لكنه لم يتمكن من إيجاد الكلمات ليقولها. في تلك اللحظة، لم يتمكن لي داكانغ من ضبط نفسه وتحمّل الأمر، وأراد أن يقول شيئا لمواساة الرجل العجوز، إلا أنه ظل عاجزا عن قول كلمات العزاء.

عندها فقط، رنّ صوت إعلان من بين الظلمة قادما من مكبرات الصوت الموجودة في المكان المظلم من المصنع: "الأخوة والأخوات في مصنع دافنغ، لقد خدعتنا الحكومة. ففريق تشانغ شياوهو الخاص بالهدم يبدأ هجوما آخر...".

التفت كل من تشن يانشي ولي داكانغ وكان بإمكانهما رؤية المشهد في مصنع دافنغ. بدأ البلدوزر بالتقدم إلى الأمام مصدرا دخانا أسود، وقامت وحدات تشانغ شياوهو باتّباع الآلية الثقيلة، مقتربين من مصنع دافنغ. كان العمال ساخطين فاندفعوا خارج المصنع حاملين الأسلحة. هناك نزاع على وشك أن يندلع في أي لحظة، تمّ قطع طريق خروج شاحنة الوقود المعبّأة بالبنزين من قبل

دزينة أو نحوها من العاملات اللواتي كنّ جالسات على الأرض أمام الشاحنة. إذا بقي البنزين، فإنه سوف يصبح سلاح العمال المميت. وعلى الفور أصبح الوضع أشد توترا...

كان تشن يانشي قلقا وغاضبا في الوقت نفسه، فهز رأسه متنهدا أمام لي داكانغ وقال: "انظر فقط إلى ما فعلته، في حال دمرت المصنع الليلة فهذا يحتم عليك أن تمر فوقي وتجعل البلدوزر يسحق عظامي العتيقة هذه".

كانت نهاية القصة مثل حلم، فقد قصد تشن يانشي أن يتوجه إلى وسط العمال وبيده مكبر الصوت وبدأ يحاول إقناعهم، لكنّ رجال الشرطة قطعوا الطريق عليه ولم يسمحوا له بالتقدم من العمال. لم يجرؤوا على استخدام القوة، ولذا بقوا يصرخون بوجوه باسمة: "أيها الجد تشن، لا يمكنك الذهاب إلى هناك. الوضع خطير جدا...".

حاول تشن يانشي المرور من بين رجال الشرطة لكنه لم يستطع التحرك خطوة واحدة. ولما ضاق ذرعا بالوضع، سحب هاتفه وطلب التعزيزات من مرؤوسه القديم: "قاو يوليانغ، أنا محتجز الآن، بسرعة، تعال وأنقذني".

كان قاو يوليانغ محكوم عليه بالأرق تلك الليلة. فقد تناول قرصي دواء منومين وغفا قليلا قبل رنين جرس هاتفه. بعد سماعه لقصة تشن يانشي، تقلّب في سريره ثم جلس وهو في حالة صدمة. كان أول رد فعل له هو أنّ لي داكانغ قد تمادى كثيرا، لكن كونه داهية لم يتمكن من التحدث لمصلحة تشن يانشي. فالميدان السياسي في مقاطعة إيتش معقد، وهناك خصومة بينه وبين لي داكانغ، بين قسم القانون والسياسات وعصابة الأمناء. وبالنسبة إلى أشياء مثل الهدم، فمن غير الملائم له انتقاد موظف كبير على مستوى المقاطعة. نتيجة لذلك، حاول تهدئة تشن يانشي بشكل لبق فقال: "أيها الصديق القديم، لا تجهد نفسك في حالة من الغضب العارم. فأنا لا أستطيع التدخل مباشرة في عمل لي داكانغ في أمر كهذا. ففي النهاية، هو من أعضاء لجنة الحزب الإقليمية الدائمة. أنا مسؤول عن السياسات والقانون، ولذا أنا لست في موقع يخولني إصدار الأوامر له. من الأفضل لك...". قاطعه تشن يانشي بتذمر قائلا: "بما أنك لا تستطيع إصدار أمر إلى لي داكانغ، إذا سوف أزعجك كي تجد لي الأمين المعين حديثا شا روجين. قل له إني أنا، عجوز غريب الأطوار باسم تشن يانشي، لدي أمر ملح لأناقشه معه!".

بهذه الكلمات أنهى تشن يانشي الاتصال. فوجئ قاو يوليانغ فاستنادا إلى نبرة صوته، إنّ رئيس النيابة القديم هذا لديه علاقة غير عادية مع الأمين شا روجين، لم يجرؤ قاو يوليانغ على تجاهل الأمر، فاتصل على الفور بالسكرتير الإداري للأمين شاو روجين، رئيس الشعبة باي. قال الرئيس باي: "أمضى الأمين شا يومه يقوم بأبحاث في مدينة يانتاي ولديه منتدى مع الكوادر المحلية فترة المساء. لقد غفا منذ فترة غير طويلة، ولذا فإنّ إزعاجه الآن لن يكون أمرا ملائما". قال قاو يوليانغ: "إذا ما عليك فقط إلا الانتظار للغد. أخبر الأمين شا أنّ رئيس نيابتنا القديم تشن يانشي لديه أمر ملح ليناقشه معه".

مشى قاو يوليانغ إلى غرفة مكتبه، وفكّر أنه ربما يتوجب عليه إسداء خدمة للي داكانغ بما أنّ ذلك لن يكلفه شيئا. ولذلك، رفع سماعة الهاتف وأبلغ لي داكانغ على الفور بشأن طلب تشن يانشي للمساعدة وعن آماله غير المحدودة التي يعلقها على أمين لجنة الحزب الإقليمية الجديد. ثم قال بصورة هادفة: "أيها الرفيق القديم، الوقت الذي تنتظر فيه معرفة ما هو رأي الأمين شا، هو وقت يكفي لتدمير مصنع دافنغ لذا فالوقت ضيق، والسرعة واجبة". ردّ لي داكانغ بترنيمة من العرفان بالجميل. عاد قاو يوليانغ إلى غرفة نومه واضطجع مرة أخرى، بجسد وبال مرتاحين. لو أنه لم يكن بارعا في التعامل مع هذه العلاقات، ما كان ليكون قاو يوليانغ.

لو أنّ لي داكانغ كان شخصا بطيئا في رد فعله لما كان ليكون لي داكانغ أيضا. فقد استفاق على الفور، وبدا أنّ تشن يانشي هذا لا يمكن العبث معه، فحقبة تشاو ليتشون في مقاطعة إيتش قد مضت. كان شار ويجين أحد الرفاق الذين أرسلتهم الحكومة المركزية للتو، والجميع حائر بشأن خلفيته. كان تشن يانشي في الثمانينات من عمره وهو ينتمي لجيل القادة القدماء، بينما الأمين شا روجين شاب. من يعرف ماهية العلاقة التي تربطهما؟ في حال تصرّف بتهور، ربما يخطو على حقل ألغام وحسب. لقد أمل لي داكانغ بأن ينتبه أمين لجنة الحزب الإقليمية الجديد إلى حضوره السياسي القوي، حتى لن يستطيع إغفال الحضور السياسي لأمين لجنة الحزب الإقليمية الجديد.

بعد ذلك، أربكت تصرفات لي داكانغ الجميع - أولا، أمر صن ليانتشينغ بإيقاف عملية الهدم. فسأل صن ليانتشينغ: "لماذا؟". أجاب لي داكانغ: "لا تسأل لماذا، نفّذ الأمر في الحال وحسب". ثم أعطى تعليمات لمدير مكتب الأمن العام تشاو دونغلاي: "حافظ على سلامة تشن يانشي العجوز، وجهّز سيارة إسعاف. وفي حال شعر العجوز بتوعك بأي حال من الأحوال، خذه إلى المستشفى في

الحال". حتى أنه خلع السترة التي كان يرتديها ووضعها حول تشن يانشي كي يقيه من البرد. عندما طلع النهار تقريبا، أرسل المكتب الإداري إلى هناك سيارة مليئة بالوجبات المغلّفة وحليب الصويا للقادة من أجل تهدئة جوعهم، لكنّ لي داكانغ أصدر تعليماته بأن تقدّم أولا إلى تشن يانشي والعمال القابعين في مدخل المصنع.

وهكذا كان في صباح ذلك اليوم، فقد رأى تشي تونغ وى هذا المشهد في موقع الهدم: جلس تشن يانشي لوحده على أريكة مهترئة مع حشد من العمال والعاملات من خلفه بمواجهة صف من البلدوزرات. داعب نسيم الصباح شعر الرجل العجوز الخفيف الأبيض، وتجاعيد وجهه الغائرة جعلته يبدو مثل تمثال وعلى كتفيه السترة البنية لأمين لجنة الحزب البلدية.

لم يستطع تشي تونغ وى تحمّل الأمر أكثر فسأل بفضول: "أيها الأمين لي، لم غيرت رأيك فجأة؟". أشعل لي داكانغ سيجارة وهو يبتسم وقال باسترخاء: "أيها المدير تشى، بالنسبة إلي، لقد أدركت شيئا فجأة - تشن يانشي يتواصل مع العمال بالنيابة عن حكومتنا، وهو يمثّل الحزب والحكومة. إذا، ألن يكون من السخرية معارضته؟".

بدا تشي تونغ وى عاجزا عن الكلام، وعلت وجهه نظرة ارتباك. لكن بعد بضع ساعات فقط، ستتضح له الصورة.

مواجها الأشعة الأولى للفجر القادم من الشرق، رسم لي داكانغ على وجهه ابتسامة دافئة بينما كان يتقدم نحو بوابة مصنع دافنغ. كان مدير المكتب الإداري يوجّه طباخي الكافتيريا الحكومية بتوزيع طعام الفطور على العمال. مشى لي داكانغ إلى الأمام بقدر ما استطاع أن يبدو طبيعيا، وأخذ كيسا من الفطائر الساخنة من يد الطاهي، ثم حمله شخصيا إلى أحد العمال الكبار في السن. أخذ العامل العجوز الفطائر وتجمّد فاتحا فمه مثل تمثال خشبي، محاولا إخفاء ارتباكه. ربّت لي داكانغ على كتف العامل العجوز وقال: "لا تقف جامدا أمامي بهذا الشكل، كله بسرعة وهو ساخن". ثم حمل وعاء من حساء الأرز إلى إحدى العاملات. كان الحساء حارا، فطلب منها أن تكون حذرة وهي تتناوله. التفت إلى الخلف وطلب بيضة بط مملّحة وأعطاها إياها. فوجئت المرأة به وتأثرت بهذا التصرف، ثم شكرته والدموع ملء عينيها مرة بعد أخرى...

تحرّكت كاميرا محطة تليفزيون جينغتشو دون تأخير وصوّرت المشهد المؤثر، محوّلة مشهد هدم الليلة الماضية المكلف دما ونارا إلى برنامج يعرض مدى ودية الحكومة. وبمشهد لا يضاهى، كانت السّحب بلون أزرق مخضّر وزعفراني وبرتقالي مائل للحمرة، مثل مجموعة أطفال يخرجون مسرعين من الروضة. وقبل أن تظهر الشمس، كانت السماء مفعمة بالحيوية وكأنها تقدّم إلينا يوميا تلك اللحظة الجميلة من شروق الشمس الذي يعد ويفاجئ بالجديد.

وقف لي داكانغ والشمس تضربه من الخلف إلى جانب تشن يانشي حاملا مكبر الصوت، ثم ألقى خطابا مشجّعا أمام العمال هناك. لقد تعهّد بقسم رسمي قائلا: "ذلك الوعد الذي قطعه تشن يانشي عندما قام بإصلاح النظام، كان وعدا قطعه هو ولجنة الحزب البلدية، وسينفّذ. في نهاية المطاف، الإصلاح هو تحقيق الازدهار العام لكل الناس...".

....

بعد عودته إلى مكتب لجنة الحزب البلدية، اتصل لي داكانغ بأمين لجنة الحزب الإقليمية شا روجين وقدّم تقريرا موجزا عن الحالة الطارئة لليلة الماضية في مصنع دافنغ. كذلك انتقد نفسه بشكل جاد، وأغدق المديح على تشن يانشي.

في تلك اللحظة، كان شا روجين وسكرتيره الرئيس باي في فندق يانتاي يتناولان طعام الفطور، والتليفزيون الكبير في المطعم يعرض خطاب لي داكانغ السليم من الناحية السياسية. لم يقل شا روجين الكثير، بل تحدث بشكل عرضي عبر الهاتف قائلا: "سوف أعود إلى جينغتشو الليلة، أيها الرفيق داكانغ، بإمكانك توفير حديثك لاجتماع اللجنة الدائمة".

9

كان أمين لجنة الحزب الإقليمية المعين حديثا يضع نظارة ذات إطارات عريضة وكان مظهره كريما وأنيقا. وغالبا ما كان يرسم ابتسامة على زاوية فمه، ورغم هذا المظهر الهادئ فقد كان لديه عينان عميقتان تتميزان بنظرة ثاقبة. من الواضح أنه كان حلو المعشر في الظاهر، لكنه مبدئي من الداخل، إنه مزيج من اللطافة والقوة. بعد أن أنهى أبحاثه، عاد الأمين الجديد إلى جينغتشو لبضعة أيام فقط قبل أن يدعو لاجتماع للجنة الحزب الإقليمية الدائمة للحزب الشيوعي الصيني في مقاطعة إيتش. حضر ثلاثة عشر عضوا من لجنة الحزب الإقليمية الدائمة الاجتماع، من بينهم قاو يوليانغ ولي داكانغ.

بدت الكلمات الافتتاحية لشا روجين المبتسم دائما والذي يخفي خلف الابتسامة الكثير من المعاني. قال في اجتماع اللجنة الدائمة إنه أجرى بعض التحضيرات وذهب إلى ثماني مدن للقيام بأبحاث خلال ستة عشر يوما. وفي الليلة التي انتهت فيها أبحاثه، حضر في الوقت المناسب من أجل حادثة "916". كانت المرة الأولى في التاريخ حيث تقوم فيها مقاطعة قوية اقتصاديا ببث حادثة جماهيرية مباشرة على الهواء في كل أنحاء العالم، وكان يشعر بقلق عميق.

وضّح الأمين الجديد للجنة الحزب الإقليمية بشكل جلي منذ البداية بأنّ حادثة "916" هي موضوعه الرئيسي، لم يتمكن لي داكانغ من الجلوس ساكنا فرفع يده رغبة منه للقيام بنقد ذاتي أمام لجنة الحزب الإقليمية نيابة عن لجنة الحزب البلدية في جينغتشو. رفض شا روجين ذلك بإشارة من يده وأخبر الأمين لي بأنه ليس متلهفا للقيام بنقد ذاتي، بل هو متلهف أولا ليفهم طبيعة الحادثة. أصيب لي داكانغ بخيبة أمل.

قال شا روجين إنّ حادثة "916" لم تكن بتلك السهولة، ولقد قدّم تقديرا أوليا يقول فيه: "لم يكن هذا نزاعا عاديا حول عملية الهدم، بل كان حادثة عنيفة ومميتة سبّبها الفساد. الفساد هو أصل المشكلة، والتصرف الفاسد لكوادرنا قد ازداد وفاقم من حدة المشاكل الاجتماعية المتفشية".

أومأ أعضاء اللجنة الدائمة برؤوسهم واحدا بعد آخر، وتبادلوا همسات خاصة. تحدّث الأمين الجديد بشكل واضح ومحدد، ووضع إصبعه على المشكلة مباشرة.

قال شا روجين بصوت رنّان: "لدي إثباتات على قولي هذا، فقد وجد مكتب مكافحة الفساد المركزي أكثر من مائتي مليون يوان نقدا في منزل مدير صغير في بكين. إذا كم اختلس دينغ يجن وهو أحد المتهمين في القضية ذاتها؟ وكم اختلس أولئك الذين تواطأوا مع دينغ يجن؟ إذا لم يكن هناك فساد، من أين أتى انحراف العدالة؟ أين ذهبت أسهم عمال مصنع دافنغ؟ من أجل تلك الأسهم، قتل الحريق ثلاثة أشخاص، وأضرّ بثمانية وثلاثين شخصا، وأصاب ستة بجروح بليغة، حياتهم لاتزال بخطر وهم يحومون بين الحياة والموت، يجب علينا أن نكتشف ما كان يحدث خلف الكواليس، بغض النظر عمن هو المتورط، وبغض النظر عن مرتبة الكوادر المتورطة".

اصطدم القلمان الأزرق والأحمر الموجودان في يد شا روجين بالطاولة بارتطام غير مقصود. مثل الصوت لبعض الحاضرين صفعة مفاجئة لصاعقة ما، وأيضا يدل على عزم الأمين الجديد على مكافحة الفساد. وفي الوقت نفسه، شعر لي داكانغ بخيبة الأمل. فالأمين الجديد كان لديه الأفضلية. لقد أعلن عن مكافحة الفساد وربط الحريق في شاطئ بحيرة غوانغمينغ بالفار دينغ يجن. كونه أعلى مسؤول محلي، أدرك لي داكانغ أنّ عليه تحمّل مسؤولية أكبر. لا ينبغي له أن يتحمل المسؤولية كقائد وحسب، بل بدا أنّ عليه أن يتحمل المسؤولية عن المشاكل الاقتصادية أيضا. وهذا ما فكر فيه عندما قال شا روجين ليس مهما معرفة من هو المتورط، وليس مهما معرفة مرتبة الكادر، هل كان مثل هذا القول يحمل تلميحا إليه شخصيا؟

هدأ شا روجين قليلا وبدأ مناقشة إنجازات عملية الإصلاح. كانت مقاطعة إيتش مثل بقية أنحاء البلاد. والاقتصاد يخطو خطوات واسعة باستمرار، كما شهد الناتج المحلي الإجمالي نموا متسارعا ومستمرا على مدى الثمانية والعشرين عاما الماضية. ظهرت مدينة جديدة بعد أخرى، وتغيرت المناطق الريفية والمدينية بمضي كل يوم. أصبح النمو الاقتصادي لجينغتشو ولوتشو

ولينتشينغ يقارن بالمدن الكبيرة مثل بكين وشنغهاي. يمكن القول أنّ مقاطعة إيتش حقّقت الكثير خلال عملية الإصلاح والانفتاح، وهذا هو التوجّه العام لعملية الإصلاح.

رغم أنّ هذا كله كان كلاما بيروقراطيا، إلا أنه أيضا واقعي ومن المسرّ سماعه. كان قاو يوليانغ ولي داكانغ وأعضاء اللجنة الدائمة يومئون برؤوسهم باستمرار ليظهروا موافقتهم. لكن عندما أومأ قاو يوليانغ برأسه، أدرك أنّ الأمين الجديد لن يجعلهم يشعرون بارتياح كبير وهو لا يشك بهذا الحدس بعد أن انتهى شا روجين من الكلام البيروقراطي الضروري، رمق أعضاء اللجنة الدائمة بنظرة سريعة وانتقل إلى موضوع أشد قساوة، لقد انتقد بشدة طريقة الكوادر في مواجهتهم للأمور وأوضح بشكل فظ أنّ شخصية الكوادر في بعض الأقسام والمناطق كانت أسوأ بكثير من شخصية المواطن العادي.

نظر أعضاء اللجنة الدائمة إلى شا روجين وتعابير الصدمة بادية على وجوههم. عندما صاغ الكلام بهذا الشكل، كان ذلك كافيا ليجعل الأصم يسمع والأعمى يبصر. لم يكن قاو يوليانغ متفاجئا، لكنه تماشى مع الأمر، كان بإمكانه توقّع المكان الذي سيصل إليه حبل أفكار الأمين الجديد.

بدتْ عينا شا روجين متوهّجة غضبا فقال: "أيها الرفاق، لا تنظروا إلي بمثل هذه الوجوه المصطنعة للدهشة، هذه هي الحقيقة المؤلمة التي اكتشفتها خلال أبحاثي، فيما بعد، لايزال يتوجب علي الخوض في التفاصيل. دعوني أسألكم، إذا اعتمدنا على كوادر ذوي شخصيات ومعايير أخلاقية ضعيفة من أجل قيادة إدارة أو منطقة، إذا كيف لهذه المنطقة وتلك الإدارة أن تعمل بانتظام؟ ألن يوبخنا الناس لكوننا عميان؟! ولهذا فإني أرى أن المشكلة ليست كيف نعلّم الناس، بل في كيف نعلّم كوادرنا".

ما قاله كان محفزا للغاية، أحنى أعضاء اللجنة الدائمة رؤوسهم ودوّنوا ملاحظات. في الواقع، ليس بإمكانهم رفع رؤوسهم، فعندما يحصل أحد المواقف من دون علمهم، لن يكون بمقدور القادة ذوي المراتب العليا في المقاطعة تحميل المسؤولية للآخرين.

تابع شا روجين كلامه، وبعد أن فكر مليا على ما يبدو فقال: "أيها الرفاق، في وقت مثل هذا، من المهم جدا أن نطوّر معرفتنا بإرث حزبنا. لقد دعوت اليوم بشكل خاص أحد الرفاق القدامى لينضم إلى اجتماع لجنتنا الدائمة ليتحدث إلينا عن التاريخ، وعن التراث، وعن الروح، وكيف تكون

عضو حزب شيوعي، من هو هذا الرفيق القديم؟ اسمه تشن يانشي، نائب رئيس النيابة التنفيذي السابق والمتقاعد في النيابة الشعبية الإقليمية. بعض الناس لا يحبونه ويقولون إنه جلمود صخر، لكن دعوني أخبركم، الصخور القديمة جيدة. لقد قامت أسس جمهوريتنا الشعبية على هذه الصخور القديمة".

في تلك اللحظة، قاد الأمين العام للجنة الحزب الإقليمية، أولد تشن، تشن يانشي إلى باب غرفة الاجتماعات.

وقف شا روجين أولا وقال: "دعونا نرحب بالرفيق تشن يانشي بجولة تصفيق حارّة".

وقف قاو يوليانغ ولي داكانغ وبقية أفراد اللجنة الدائمة واحدا بعد آخر ورحّبوا بتشن يانشي مع التصفيق.

لم يستطع قاو يوليانغ سوى الشعور بالانزعاج وهو ينظر إلى وجه تشن يانشي المألوف، ما هذا النغم الذي يغنيه الأمين الجديد؟ لم يشهد اجتماع لجنة حزب إقليمية من قبل مثل هذا، حيث يطلبون من رفيق قديم المجيء ليتحدث عن التراث، والموضوع المطروح للنقاش اليوم هو بحث حول الأمور الشخصية للكادر. لقد ترك أمين لجنة الحزب الإقليمية السابق خلفه قائمة تضم أكثر من مائة وعشرين اسما. اعتقد قاو يوليانغ بادئ الأمر أنّ الأمين الجديد لن يلمسها، لكنه فعل. فقد اطّلع عليها وتعامل معها بشكل غير تقليدي. ناقش أمور مكافحة الفساد وتحدّث عن المشاكل داخل صفوف الكوادر، وكان الآن يعلّم التراث. يبدو من ظاهر الأمور أنه أتى لتصحيح أيديولوجيا خاطئة، قاو يوليانغ هو بروفيسور في الأصل ويعرف جيدا مدى قوة النظرية، قوية لحدود غير متخيلة، ولا أحد آمن. لذا استجمع قواه وأخذ يتحضّر لمجموعة متنوعة من المواقف المحتملة...

تحدّث تشن يانشي بطريقة مبسّطة، وروى قصة انضمامه للحزب قبل سنوات كثيرة. انضم الرجل العجوز للحزب لأنّ القوات كانت تهاجم يانتاي، ولم يكن لأولئك الذين ليسوا أعضاء في الحزب الشيوعي الحق في حمل حقيبة متفجرات وأن يكونوا في الفرقة المتقدّمة. كان لأعضاء الحزب الشيوعي فقط شرف حمل حقيبة متفجرات، ولذا انضم الرجل العجوز إلى الحزب في خطوط النار بينما كانت الصفوف تتقدّم نحو مشارف يانتاي. في ذلك الوقت، كان الرجل العجوز

لايزال مراهقا. وفي الحقيقة يبلغ الخامسة عشرة من العمر، لكن من أجل الانضمام للحزب كذب وقال إنه أكبر بسنتين. كان اسم الشخص الذي أوصى به لعضوية الحزب شا تشينجيانغ...

بدأ قلب لي داكانغ بالخفقان ما إن سمع بكنية شا. من الواضح أنّ هناك علاقة وثيقة تربط بين تشن يانشي وشا روجين، ظنّ أنّ قاو يوليانغ يعرف بتلك العلاقة، ولهذا السبب اتصل كي يحذّره ليلة "916". لكن من خلال التفكير بالأمر بتمعن، لا يبدو الأمر صحيح أيضا. لم قد يحذّره قاو العجوز؟ هل يأمل قاو يوليانغ، الذي حرم من الترقية إلى أمين للجنة الحزب الإقليمية، بأن يأخذ لي داكانغ مكان المحافظ ليو كمحافظ من دون أي عقبات؟

تكلّم تشن يانشي بتأثر فقال: "... كنا نقتحم مواقع محصّنة إلى حدّ كبير، وبدأوا بتبادل إطلاق النار. أخذني قائد الفريق، شا تشينجيانغ أنا وإر شونزي وكل جنود الفرقة المتقدمة الستة عشر، وكل شخص يحمل حقيبة متفجرات بوزن عشرين كغ، ثم خرجنا من الخنادق واحدا إثر آخر. كانت القوات اليابانية تطلق النار من مخبأ داخل جدار المدينة عبر رشاشات آلية بشكل مسعور. كان شا تشينجيانغ يهجم في المقدّمة وعلمه الأحمر الصغير يظهر ويختفي بين دخان البنادق. كنت خلف شا تشينجيانغ وإر شونزي أبعد للخلف...".

لم ير قاو يوليانغ سوى فم تشن يانشي يتحرك ويداه تلوّحان من وقت لآخر بينما كان يروي قصته. وبالنسبة إلى ما قيل، فقد وقع على آذان صمّاء. كان هو ولي داكانغ مستغرقين في التفكير.

ثمة شيء بدا خاطئا، ومن المؤكد أنّ هناك مشكلة في مكان ما. كيف بإمكان شا روجين التأكيد بأنّ حادثة "916" سببها الفساد؟ ألم يكن من العجلة التحدث بذلك الشكل؟ ومن أين استقى هذا الأمين الجديد معلوماته؟ لا يمكن أن تكون من تشن يانشي، هل يمكن؟ لقد فرز الأمين الجديد ومنذ اللحظة الأولى لي داكانغ جانبا، إذا هل هذا يعني أنّ ما اصطلح على تسميته "ثنائي لي شا" المستقبلي في مقاطعة إيتش لم يكن موجودا؟ هل كان منصب لي داكانغ كمحافظ يشبه أمانة لجنة الحزب الإقليمية السابقة، واحدة من الشائعات السياسية الكثيرة وحسب؟

أصبح تشن يانشي أكثر حماسا بكثير وهو يتكلم فقال: "... على بعد ستين مترا أو نحوها من البوابة الجنوبية للمدينة، تحت شجرة لوكست معمّرة، تلقّى شا تشينجيانغ ست طلقات، إنها تضحية بطولية، حملت حقيبة متفجرات شا تشينجيانغ وتابعت التقدّم. انهمر علينا وابل من رصاص

الرشاشات الآلية، فتلقيت رصاصة وسقطت أرضا. وبينما كنت أكافح في الزحف إلى الأمام، وقف إر شونزي ومشى مترنحا للأمام بضعة أمتار. زحف الرجل مع المتفجرات إلى إحدى الحفر بجانب بوابة المدينة حيث فجّر الصاعق. فتحت بوابة المدينة جراء الانفجار، وصدرت إشارة التقدم نحو الهجوم الكبير...".

شعر لي داكانغ بالاضطراب وهو ينظر إلى تشن يانشي. لقد حمل الرجل العجوز حقيبة متفجرات في ذلك الوقت، وفي ليلة "916" كذلك حمل الرجل العجوز حقيبة متفجرات أيضا. لحسن الحظ، تقدّم الرجل العجوز وجعله يفكر مرتين، مانعا إياه من الإصرار على الهدم ومفاقمة الوضع سوءا. لقد قال الناس إنّ الرجل العجوز افتتح "النيابة الشعبية الثانية" فعلا. كان قوميا قديما، لكنّ القوميين القدماء أصحاب مبادئ ويعرفون متى يقفون عند حدّهم. كان الرجل العجوز قويا من الناحية السياسية ويعي بشكل طبيعي الجماهير والطبقات الدنيا. وبالتفكير بالأمر الآن، بدا تشي تونغ وى هو المرتاب. إنه مدير لإدارة الأمن العام، ولذا فلماذا عليه أن يفكر بالاقتراح عليهم الاستمرار بعملية الهدم؟ ماذا قد يكسب مدير إدارة الأمن العام من تهديم مصنع دافنغ؟ لقد زعم أنّ تشي تونغ وى متورط مع قاو يوليانغ. هل من الممكن لهذا أن يكون مرتبطا بذاك الأمر؟

في تلك اللحظة، امتلأ وجه تشن يانشي العجوز بالدموع وهو يقول: "... عندما ضحّى إر شونزي بحياته، كان في السادسة عشرة من عمره فقط، ولم يمض عليه سوى يوم واحد في الحزب. هل هناك أي أعضاء مثله في تاريخ حزبنا، قدّموا إنجازات بعد يوم واحد في الحزب فقط؟ لا أعلم، لكنني أعتقد أنه خلال سنوات الحرب، من المؤكد أنّ وضع إر شونزي لم يكن الوحيد. أعضاء الحزب أولئك، قاموا بأفعال وسفكوا دماءهم كتضحية من أجل أن يبروا بالقسم الذي أدوه عند انضمامهم إلى الحزب!".

انتابت العواطف أعضاء لجنة الحزب الإقليمية، وكان جميعهم من دون استثناء متأثرا. لقد تبللت عينا شا روجين بالدموع.

وفي الختام، قال تشن يانشي: "... من أجل الانضمام للحزب، كتبت عمري أكبر بسنتين مما كنت عليه في الحقيقة، وكان علي أن أتقاعد في وقت مبكر فيما بعد. هذه المرة سألني الرفيق روجين: (هل تندم لاضطرارك للتقاعد مبكرا وعدم قدرتك على التمتع بمزايا مرتبة المقاطعة الفرعية؟). فقلت إني لست نادما على ذلك. في ذلك الوقت كان هناك ستة عشر رفيقا في فرقتنا

المتقدمة، وضحينا بتسعة عند اقتحام المدينة. أنا سعيد كفاية بالمقارنة بهم. ولذا عندما اعتذر الرفيق شا روجين مني نيابة عن التنظيم، قلت ماذا هناك لتعتذر عنه؟ هل لمجرد أني حملت حقيبة متفجرات وحسب، إذا يجب علي أن أمدّ يدي باحثا عن طبقة المسؤولين ومن يتمتعون بالمعاملة الخاصة؟ إنّ حمل حقيبة متفجرات هو شرف لعضو الحزب. في ذلك الوقت عندما كذبت بشأن عمري وحاربت من أجل ذلك الشرف، لم أكن لأتوقع أن أعيش حتى هذا اليوم. أيها الرفاق، سوف أكون فخورا دائما طوال هذه الحياة بأني حاربت من أجل ذلك الشرف".

قام شا روجين وأعضاء لجنة الحزب الدائمة بجولة من التصفيق الحار مرة أخرى، واستمر التصفيق لفترة طويلة.

بعد أن غادر تشن يانشي، استمر اجتماع لجنة الحزب الإقليمية الدائمة.

تفجرت جميع أنواع المشاعر في عقل شا روجين وكان بين الحين والآخر يربت على الطاولة ببراجمه قائلا: "أيها الرفاق، لقد تزاحم أعضاء الحزب أثناء سنوات الحرب من أجل الحصول على حقيبة متفجرات، وعندما يندفع أي رجل إلى الأمام من أجل التضحية بحياته، يحذو الرجل الذي خلفه حذوه. إنّ الكفاح والتضحية هي من امتيازات عضو الحزب الشيوعي. ماذا بشأن الآن؟ ما الذي يجاهد أعضاء حزبنا من أجله؟ المال والسلطة! عندما يندفع الرجل الذي في المقدمة ليملأ جيوبه، يحذو الرجل الذي خلفه حذوه، إنه (تأثير دومينو الفساد). لقد تعلّموا كل حيل الموظفين الإقطاعيين كي يحصلوا على ترقية ويصبحوا أغنياء، لقد جعلوا الأمر وكأن تلك المنطقة أو تلك الإدارة هي مستنقع للفساد، دعوني أعطكم مثالا: عندما أتيت إلى هذه المقاطعة لأتولى هذا المنصب، استفاد تشن يانشي من علاقته معي فعلا. فلمعرفتهم أنه يحب الطيور والأزهار، أرسل الكثير من الناس له طيورا وأزهارا. كان هناك دزينة أو نحوها من الطيور لوحدها، لو أنّ تشن يانشي يحب تربية الحيوانات الأليفة، ربما سوف يرسل الناس له نمورا ودبب باندا، يا لها من روح".

نظر أعضاء اللجنة الدائمة إلى بعضهم بقلق، وبدا الجو في غرفة الاجتماع متوترا بشكل واضح.

تابع شا روجين كلامه قائلا: "أحد الكوادر من مرتبة عليا أراد أن يرتقي في السلم الوظيفي هذه المرة. وهذا الكادر مسؤول عن العلوم والتكنولوجيا، كان مديرا لمكتب العلوم والتكنولوجيا طيلة

ست سنوات ووزير التنظيم في لجنة الحزب البلدية طيلة خمس سنوات. لكنه لم يتمكن حتى من التعرّف إلى العالم الزراعي الذي يعمل معنا، وهو حاصل على زمالة أكاديمية العلوم، عندما صافحه الرجل، نظر إلى وجهه وسأل لأي إدارة يتبع. لكنه على دراية تامة بأي كادر نسائي لديها مسحة من الجمال. حتى أنه يتذكر لقب الطفولة لأي كادر نسائي في المدن والقرى النائية. يا إلهي، كيف يمكن لهذا أن يكون رفيقا؟!".

شعر قاو يوليانغ أنّ الوقت مناسب لشنّ هجوم. فقد علمته الخبرة أنه بصرف النظر فيما إذا كانت الحركة سياسية أو تصحيحية، إلا أنّ انتزاع حق النقاش كان أمرا جوهريا. فبإمكانه فقط عندما ينتقد الآخرين أن يحمي نفسه بأفضل ما يمكن. كما أنّ القادة يحتاجون إلى مناصرين، فهم يحبون بشكل طبيعي أولئك المتحمسين الذي يندفعون أولا لتأييدهم.

"أيها الرفيق روجين، لقد سمعت بالرفيق الذي أتيت على ذكره. إنه زير نساء، وغالبا ما يجر إليه في الليل مجموعة من الكوادر النسائية لتناول الشراب. وعندما يبدأن الشرب، فمن المؤكد أنّ واحدة أو اثنتين من الكوادر النسائية سوف تشرب إلى أن يغمى عليها، وعندها ترسل من أجل أخذ حقنة وريدية. لقد خلق هذا انطباعا مروعا، والجميع يستغيبونه بلقب زير النساء".

قال شا روجين بغضب: "لأولئك الأنواع من الرجال اللعوبين الذين لا يقومون بعمل حقيقي ويعرفون فقط كيف يشربون مع النساء، هل بإمكاننا أن نوصي بهم إلى الحكومة المركزية ونحضّر لهم مناصب لنيابة الوزراء؟ هل مجلس الشعب الوطني والمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني CPPCC 17 هما حقا للاستعراض فقط؟".

لم يتحدث أحد من أعضاء اللجنة الدائمة حتى هذه المرحلة في الاجتماع. كان قاو يوليانغ أول من فتح فمه، وأكثر من ذلك، فقد قاطع الأمين الجديد. وهذا كاف لجعل الناس يعتدلون في جلستهم وينتبهون. على أية حال، لديه الأقدمية لفعل ذلك. ففي النهاية، كان مرة المرشح الأوفر حظا لمنصب أمين لجنة الحزب الإقليمية! تدخّل قاو يوليانغ بذكاء قائلا: "أيها الرفيق روجين، برأيي أنه بإمكاننا إرساله إلى الاتحاد النسائي الإقليمي كبواب من أجل توظيف مهاراته وفائض طاقته كزير نساء في استخدامات مفيدة".

رمق لي داكانغ قاو يوليانغ بنظرة امتعاض. وكونه من كبار السياسيين، اغتنم الظرف مسبقا - لم يكن الأمين الجديد موجودا هناك للتركيز على حادثة "916"، بل لإثارة ضجة كبيرة حول شيء ما. من المؤكّد أنّ لي داكانغ يعرف أهمية تحديد المرء لموقفه، ويفهم تقنية انتهاز الفرصة من أجل انتقاد الآخرين. لكن كونه سكرتيرا إداريا في الأصل، فهو يحتقر أشخاصا مثل قاو يوليانغ الذين يشاركون قادتهم في ركل "شخص مهم ومتنفّذ" عندما يكون في محنة. سوف يتحين فرصته ويستخدم أسلوبا منمقا في الحديث لمساعدة الأمين الجديد في خوض معركة افتتاحية جيدة...

تابع شا روجين التحدث قائلا: "هناك رفيق آخر، مدير إدارة الأمن العام في المقاطعة، الذي يحمل مسؤوليات جسيمة في الحفاظ على النظام العام والاستقرار الاجتماعي، إنه أفضل. ولديه الكثير من العمل الحقيقي ليفعله، خرج ليبحث في الحديقة الصغيرة بجانب منزل تشن يانشي التقاعدي، لقد بذل جهدا كبيرا، وكان عاري الصدر تقريبا".

بعد أن أنهى بحثه، كان أول شيء قام شا روجين به لدى عودته إلى جينغتشو هو الذهاب لزيارة تشن يانشي. لكن لدى دخوله بوابة المنزل التقاعدي، رأى مدير إدارة الأمن العام تشي تونغ وى يحفر الحفر ويزرع الأزهار جنبا إلى جنب مع تشن يانشي. ارتج قلب شا روجين على الفور: لقد حصلت حادثة كبيرة غير متوقّعة في الليلة الماضية. مات كثير من الناس وأصيب الكثير بحروق دائمة. كيف يمكن لمدير إدارة الأمن العام هذا أن يكون في مزاج ليلعب دور مزارع هنا؟ فيما بعد، اكتشف أنها ليست إدارة الأمن العام فقط. فمنذ أن حطّ في مقاطعة إيتش قبل عشرين يوما أو نحو ذلك، كان منزل تشن يانشي التقاعدي يعجّ بالأنشطة، انتشرت معلومات حساسة مثل النار في الهشيم: كان عم شا روجين هو الشخص الذي أوصى بتشن يانشي لعضوية الحزب وكان قائد فرقته. بعد التحرير، غالبا ما كان تشن يانشي يؤمن مساعدات مالية لأفراد عائلات الشهداء، وتمكّن شا روجين من التخرج من الكلية بسبب دعم تشن يانشي. بعد أن أعلم تشي تونغ وى بهذا، لم يكن لديه فرصة لإقامة استعراض ولا خشبة مسرح ليمثّل عليها خلافا للي داكانغ، لذا كان بإمكانه فقط أن يقوم بزيارة غير متوقّعة ويعمل دون انقطاع في زراعة الأزهار.

اعتلت وجه قاو يوليانغ ابتسامة ثابتة بشكل غريب. فهو لم يتوقع أبدا أن يهرع تشي تونغ وى إلى منزل تشن يانشي التقاعدي ليعمل في التربة، ولم يتوقع أيضا من الأمين الجديد تسديد سهامه على تشي تونغ وى. شعر بالذهول لوهلة من الوقت.

تناول شار ويجين مواضيع معقّدة بيسر ثم تابع كلامه بمزاج مرح قائلا: "أقترح أنه عندما نختار أحد العمال النموذجيين ممثلا عن القاعدة الشعبية الريفية هذه السنة، أن نختار المدير تشى، فهو سيحظى بصوتي على أية حال. إنه رفيق جيد، وخبير في الزراعة".

حينها استغل لي داكانغ الفرصة ليقوم بالهجوم. كان عليه الضرب بلا رحمة، والاختراق عميقا، والذهاب مباشرة نحو نقاط الضعف، فتدخّل بصوت عال قائلا: "أحسنت القول أيها الأمين روجين، وأنا أوافق على فكرتك، سأمنحه صوتي أيضا، هذا الرفيق هو شخص استخدم التبجّح والتملّق من أجل تسلّق المراتب. عندما كنت قبل سنوات سكرتيرا للرفيق تشاو ليتشون، أمين لجنة الحزب الإقليمية، كان تشي تونغ وى رئيس قسم الأمن السياسي في مكتب الأمن العام البلدي. ذهب الرفيق تشاو ليتشون لزيارة مقابر العائلة وتكريم ذكرى الموتى، فرافقناه أنا وتشى تونغ وى. إنّ تشي تونغ وى شخص بارع حقا، فعندما وصلنا إلى موقع مدافن عائلة تشاو، رمى بنفسه على الأرض باكيا والدموع والمخاط ينهمران على وجهه معا...". لم يستطع أعضاء اللجنة الدائمة سوى القهقهة من تعابير وجه لي داكانغ الحيوية.

كان دم قاو يوليانغ يغلي - هذه صفعة مباشرة على الوجه، فمن بين أعضاء اللجنة الدائمة الحاضرين، من لم يكن يعلم بأنّ تشي تونغ وى كان تلميذه؟ ما الذي يحاول لي داكانغ فعله؟ أن يرمي تشي تونغ وى تحت الحافلة أثناء أول اجتماع للجنة الحزب الإقليمية برئاسة الأمين الجديد؟ هل كانوا يتجاهلون القواعد والحدود الأساسية الآن؟ حتى إذا أراد شخص ما أن يضرب كلبا غارقا، أليس عليه أن يسأل المالك أولا؟ لذلك سأل لي داكانغ قائلا: "أيها الرفيق داكانغ، ما الذي تحاول إثباته بالإشارة إليه أنه يبكي فوق قبر أحدهم؟ بأنّ تشي تونغ وى شخص بغيض؟ وأنه يجب علينا جرّه إلى المقصلة؟ هل هناك حاجة لأن نصل إلى هذا الحد؟".

أوضح شا روجين بذكاء قائلا: "لا حاجة لذلك، لقد قال لينين في إحدى المرات إنه يجب إخراج كل المتملقين والمتبجّحين وإطلاق النار عليهم، لكنّ هذا قيل في لحظة غضب. وطوال تاريخ الحركة الشيوعية الدولية حتى الآن، لم يحصل أي سابقة في إعدام أحد المتملقين. إذا، المدير تشى، ليس تحت خطر محدق فعلا".

تمكّن قاو يوليانغ من الإمساك بمؤخرة عنق منافسه إذ قال: "أيها الرفيق داكانغ، اليوم نحن في اجتماع للجنة الدائمة، ونحن نناقش أمورا شخصية تخص صفوف الكوادر. لا أظنّ أن تقييمك

لتشى تونغ وى هو توصيف عادل. لقد قلت إنه عندما بكى بجانب القبر أنت رأيته بأمّ عينيك، وأنا لا أشك بحقيقة ذلك. لكن أيها الرفيق داكانغ، هل من الممكن أنّ ما رآه تشي تونغ وى جعله يتذكّر أحد أقربائه؟ أو أنّ أحدا من أقربائه قد توفي في ذلك الوقت؟ هل تحققت من ذلك يوما؟".

قال لي داكانغ: "لقد تحققت من ذلك، لا يزال كلا والدي تشي تونغ وى على قيد الحياة وبصحة جيدة، فطول العمر متوارث في العائلة".

عندها قال قاو يوليانغ: "حتى لو كان الأمر كذلك، إذا ماذا؟ أيها الرفيق داكانغ، أي بند من دستور الحزب ذلك التي خرقه تشي تونغ وى؟ وأي فقرة من القانون الوطني؟ وأي شرط من أحكام تعيين الكوادر؟ إذا؟.

لم يستطع شا روجين سوى التحديق ببلاهة. ألم يكن نائب الأمين قاو هذا صريحا جدا بعض الشيء، إلى حد الوقاحة تقريبا؟ ومن جانب آخر، للرجل أقدمية فعلا، ففي النهاية، كان شجرة كبيرة ذات جذور عميقة في مقاطعة إيتش، وكاد أن يصبح أمين لجنة الحزب الإقليمية. بدأ بالتصفيق وقال بشكل مبالغ فيه: "هذا سؤال جيد ليطرح الآن، وثمة مسحة من الكوميديا السوداء في ثناياه".

قال لي داكانغ: "هذه ليست كوميديا سوداء، أليس كذلك؟ فبحسب منطق قاو يوليانغ، بما أنّ تشي تونغ وى لم يخرق أي شيء، إذا هل يجب علينا أن نوصي به لتولي منصب نيابة العمدة؟".

كان قاو يوليانغ يضحك ملء فيه فقال: "أيها الرفيق داكانغ، لا تتلهّف كثيرا لتصيد الأخطاء، فأنا لم أنته من كلامي بعد".

قال شا روجين: "إذا تابع كلامك من فضلك أيها الرفيق يوليانغ. فخلال هذا الاجتماع اليوم، يجب علينا بالتأكيد أن نوضح بأنه لا يمكننا بعد الآن أن نكون مشوشين أو غير واضحين بشأن المسائل المبدئية...".

بدأ قاو يوليانغ بالكلام. فتخلّى عن قضية تشي تونغ وى وتحوّل إلى موضوع أكثر شمولا فقال: "أشار الرفيق روجين إلى مشاكل كثيرة ضمن صفوف كوادرنا في مقاطعة إيتش. هل هذه المشاكل موجودة؟ بالطبع موجودة، لدرجة أنّ الوضع في بعض المناطق والإدارات في مقاطعتنا خطير نوعا ما. فوزير التنظيم في مدينة جينغتشو هوى شينغفو، يخرج فقط لتناول الشراب مع

مرؤوساته. ماذا بشأن وزير التنظيم ذاك الذي أدين السنة الماضية في مدينة يانتاي؟ ما الذي حدث؟ ربما جميعكم تعلمون بأنه ارتكب الزنا مع أكثر من مائة كادر نسائي، وكان التأثير سلبيا على أقل تقدير".

أضاف أحد أعضاء اللجنة الدائمة قائلا: "بعض الكوادر النسائية استأجرن غرفة في أحد الفنادق وانتظرن فقط أن ينام الوزير معهن. بعضهن عرضن أجسادهن، بينما أخريات قدمن المال. والأكثر مدعاة للعار هو أنّ واحدا أو اثنين من أزواج الكوادر النسائية توليا زمام الأمور وتصرّفا كقوادين".

صعق شا روجين من الخبر فقال: "هل تمّ التعامل مع تلك الكوادر النسائية فيما بعد؟ كم عدد اللواتي تمّ التصدي لهن؟".

ابتسم عضو اللجنة الدائمة بمرارة وقال: "أيحدث شيء. كيف تتعامل مع هذا الأمر؟ ثمة أكثر من مائة عائلة متورطة، فقد يتسبب ذلك بموجة واسعة من حالات الطلاق والانتحار وما شابه، سيكون التأثير الاجتماعي أشدّ ضررا".

تابع قاو يوليانغ كلامه قائلا: "بعد سماع أنّ الرفيق روجين قد وصل كي يعمل في مقاطعتنا، ذهب الكثير من الكوادر لرؤية تشن يانشي. من المسلّم به، أنّ العمل في الحدائق وإعطاء الطيور كهدايا أمر غير مستحسن، لكنهم على الأقل وضعوا حدا في مكان ما وأنّ لديهم وازع من الضمير. ففي النهاية، هم لم يعطوه مالا بشكل مباشر، الأمر مختلف بالنسبة إلى عيد ميلاد عمدة مدينة لينان في السنة قبل الماضية. فمن بين مرؤوسيه، أرسل ثلاثمائة وثمانية وستون كادرا نقودا له. كم كمية النقود؟ مليونان وثمانمائة وتسعون ألفا".

سأل شا روجين: "هل تم التصدي لهذا العمدة الذي قبل النقود؟ ألم يتم التصدي له أيضا؟".

أجاب قاو يوليانغ: "كلا، لقد تمّ التصدي له، لا داعي لذكر أنّ العمدة قد حكم عليه بخمسة عشر عاما في السجن. لكن ماذا بشأن الكوادر الثلاثمائة وثمانية وستين؟ كيف يجب التعامل معهم؟ قال الرفيق تشن يانشي أنّ الأمر بسيط: اطردوهم جميعا. اطردوهم جميعا؟ إذا سوف ينهار كامل احتياطي الكوادر في لينان، ولن يبقى هناك أحد ليقوم بأي عمل".

قال أمين لجنة التفتيش التأديبية: "في ذلك الوقت، جرى خلاف كبير في اللجنة الدائمة حول كيفية التعامل مع أولئك الكوادر".

أدرك شا روجين ماذا كانوا يحاولون القول، فقال: "شكرا للرفيق يوليانغ ولإفادات الآخرين، لقد علمت بشأن الكثير من الأوضاع الجديدة، والتي رسّخت قراري أيضا. هناك الكثير من المشاكل ضمن صفوف الكوادر في مقاطعتنا، وقد وصلت إلى حد لا نستطيع فيه أن نغض الطرف عنها، ماذا نفعل؟ الأمر حقا بسيط. نفعل ذلك طبقا لضوابط الحزب والقانون الوطني، على سبيل المثال، المائة أو نحوها من الكوادر النسائية التي ذكرتها واللاتي نمن مع وزير التنظيم وتمت ترقيتهن من رئيسة قسم إلى رئيسة شعبة. دعني أسألك الآن: هل هذا عادل بالنسبة لأولئك الكوادر الذين عملوا بنزاهة مدة عشر أو عشرين سنة ولايزالون عالقين حيث بدأوا؟ هذا ليس عادلا. وعندما لا يتم التصدي لهذا، يحذو الآخرون حذوهم، ويكون سلوك الحزب والحكومة والنزعات المجتمعية العامة كلها فاسدة، أقترح أن نقوم مؤقتا بتجميد ترقيات وتعيينات كل الكوادر. بصرف النظر فيما إذا كان سيوصى بهم إلى الحكومة المركزية ليعينوا في منصب نائب عمدة أو أن يعينوا بمستوى البلدية، فإنهم سوف يخضعون من دون استثناء لتحقيق شامل قبل إعادة النظر".

حدّد شا روجين المسار، فوافق أعضاء اللجنة الدائمة بالإجماع. كل شيء واضح بالنسبة إلى لي داكانغ، فقد وصل شا روجين إلى غايته. مكافحة الفساد وإعادة تنظيم الإدارة المحلية وإعادة بناء احتياطي الكوادر: هذا ما أراد أمين لجنة الحزب الإقليمية المعين حديثا إثارة الضجيج حوله منذ البداية. لقد دعمه لي داكانغ بكل إخلاص. صرف الهدف الطموح أنظار شا روجين، وتخطّى الكارثة الحالية مؤقتا. لكنّ لي داكانغ لايزال قلقا بعض الشيء. دينغ يجن، و"916"... هل كانت أيدي زوجته نظيفة؟ كل هذه هي مشاكل!.

في تلك اللحظة، أدرك قاو يوليانغ الوضع. الأمين الجديد خبير في الشطرنج السياسي: فبدعوة رفيق قديم للتحدّث عن التراث، يقمع بشكل سلس مجموعة كوادر كانت معدّة للترقية. لقد اعتقد بالأساس أنه يمكن ترقية بعض الناس على القائمة الطويلة التي تركها الأمين السابق وراءه، ومن بينهم تشي تونغ وى، لكن لدهشته، تمّ تجميدهم جميعا. انتهى أمر تشي تونغ وى منذ أن ضرب الأمين الجديد مثلا به. وقد استحق ذلك، وجلب كل شيء على نفسه.

قدّم شا روجين ملاحظاته الختامية بشكل مستفيض فقال: "سار هذا الاجتماع بشكل جيد. فقد استعرضنا تاريخ وتراث الحزب الرائعين، وبشكل خاص تحدث عضو الحزب تشن يانشي عمّن لم يمض على وجوده سوى يوم يواحد في الحزب. أعتقد أيها الرفاق أنكم لن تنسوه بسهولة. أناشدكم جميعا أن تحفظوها في الذاكرة، ولتتذكروا أنّ دماءهم القرمزية موجودة في علم حزبنا الخفّاق، ولتتذكروا كلمات (نشيد الأممية). يجب علينا أن نكافح من أجل الحق".

أصيب أعضاء اللجنة الدائمة بالقليل من الدوار بعد اجتماع لجنة الحزب الإقليمية الدائمة، لكن ثمة أمر لا يقبل الجدل. كانت رياح جديدة تهب في الدوائر السياسية لمقاطعة إيتش بسبب الأمين الجديد، شا روجين، ولن تبقى الحياة كما هي بعد الآن...

10

في الآونة الأخيرة، أصبح هوى ليانغ بينغ دائم السفر والتنقل فهو مضطر لإحضار الدفاتر وإثبات الدلائل في دفاتر حسابات الرشوة الخاصة بتشاو ديهان، دليلا بعد آخر. كانت انتصاراته تزداد باستمرار، فهو في سباق مع الوقت، ويسافر بالطائرة من مدينة إلى أخرى. واليوم كعادته كان يستعد للطيران إلى هوهوت من أجل جمع الأدلة، وبينما كان يقف في الصف للصعود إلى الطائرة رنّ جرس هاتفه فجأة.

تبين أنّ صديق طفولته تساي قونغ هو المتصل. أول ما خطر في بال هوى ليانغ بينغ أنّ شيئا كبيرا قد حدث. عندما ردّ على الاتصال، سمع صديق طفولته يتنفس بصعوبة وهو يقول: "أيها القرد، المدير هوى، أنا... لدي شيء هام لأبلغك به، أنا.... أريد أن أسلّم أحد الأشخاص، أسلّمهم رسميا، لدي دليل هذه المرة أيضا، بالفعل".

سعد هوى ليانغ بينغ في أعماقه فقال: "تريد التبليغ عن شخص آخر؟ هل لديك دليل؟ إذا من الأفضل لك أن تتكلم بسرعة، فطائرتي ستقلع قريبا. ويجب أن أغلق هاتفي". كان صوت صديق طفولته مرتجفا، فتحدث بنبرة مستعجلة، وكأنه يركض من أجل إنقاذ حياته. "أيها القرد، أردت في الأصل أن أذهب إلى بكين وأبلّغ عن الأمر شخصيا، لكن ليس هناك وقت. بإمكانهم التخلص مني في أي وقت، سأخبرك في الحال: عضو لجنة الحزب الإقليمية الدائمة لمقاطعة إيتش وأمين لجنة الحزب البلدية في جينغتشو، لي داكانغ. زوجته أويانغ جينغ، نائبة رئيس بنك جينغتشو سيتي، قبلت رشوة قيمتها مليوني يوان".

أصيب هوى ليانغ بينغ بالذهول، فغادر صف الصعود إلى الطائرة مع حقيبته الصغيرة التي يجرها وقال: "قل ذلك مرة أخرى لأجلي، يا تساي قونغ. زوجة من التي تبلغ عنها؟ لي داكانغ؟ زوجته قبلت مليوني يوان؟".

"نعم، أنا أعطيتها المليوني يوان، أنا رشوتها. وهذا يعدّ دليلا، صحيح؟".

أدرك هوى ليانغ بينغ أنّ: هذا ليس أمرا تافها. فلديه اسم أول، وشهرة، وكمية، وكان الراشي بنفسه هو المخبر المحدّد الهوية. بإمكانهم فتح ملف للقضية والمباشرة بالتحقيق، تساي قونغ هو الشاهد الرئيسي، ولذا يجب أن يحمى.

هذه حالة طارئة، وتساي قونغ معرّض للخطر الآن. طبقا لما قاله تساي قونغ على الهاتف، فقد جعل عقله ينفتح على ما حصل في ليلة حريق "916". بعد أن سمع عن الحادثة في المصنع، قام بنزع محلوله الوريدي في الحال وهرب. وبعد يومين، رتّب لقاء مع تشينغ شيبو كي يعرف ما الذي كان يحصل. لكن عندما اكتشف أنّ هناك شرطيين يتبعانه، هرب دون أن يرى تشينغ شيبو. قال تساي قونغ على الهاتف إنّ لي داكانغ كان يستخدم شرطة جينغتشو وأنّ بإمكانهم القبض عليه في أي وقت. لم يكن ذلك إلا قرارا للقتال حتى الموت حين صمم على التبليغ عن زوجة لي داكانغ. بإمكانه الآن الاعتماد على هوى ليانغ بينغ فقط كي يحميه، وإلا فإنه هالك لا محالة.

استوعب هوى ليانغ بينغ الوضع الآن، وسأل تساي قونغ فيما إذا كان قد أخبر أحدا آخر عن هذا الموضوع. أجاب تساي قونغ أنه فقط أخبر تشن هاي بالأمر على الهاتف ولم يعطه الكثير من التفاصيل لكنه ذكر أويانغ جينغ. طلب منه هوى ليانغ بينغ أن يذهب حالا لرؤية تشن هاي وقال إنّ تشن هاي سيحميه، لكنّ تساي قونغ قال إنه لا يستطيع الذهاب. فشرطة جينغتشو تبحث عنه في كل مكان، فهو مفتعل حريق "916" اضطرب قلب هوى ليانغ بينغ بالخفقان. ولعلمه أنّ تساي قونغ بخطر، طلب من تساي قونغ إعطاءه عنوانا دقيقا، كي يتمكن تشن هاي من إيجاده. لم يجرؤ تساي قونغ على الوثوق حتى بصديق طفولته بشكل تام وتردد للحظات قبل أن يتكلم. كان موجودا في كشك هاتف قرب 125، شارع تشونغ شان الشمالي في جينغتشو. أخبره هوى ليانغ بينغ أن ينتظر هناك وأن يبت في هذا المكان.

لدى إغلاقه الهاتف، تفجّرت حبيبات من العرق فوق جبين هوى ليانغ بينغ. ثمة إعلان يحث المسافرين على الصعود إلى الطائرة في الحال، الطرفان يعملان في سباق مع الزمن. كان عليه أن يحمي مخبره الأساسي وأن لا يسمح لأي أحد أن يسبقه ويصل إلى تساي قونغ. وإلا لن يكون بمقدوره تبرير تصرفاته على الإطلاق، من هذا المنطلق، اتصل هوى ليانغ بينغ برقم تشن هاي. وبمحض الصدفة رفع تشن هاي سماعة الهاتف، فوضّح هوى ليانغ بينغ باقتضاب محتوى ما قال تساي قونغ. حقا كان هناك بضع كلمات رئيسية فقط: "زوجة أمين لجنة الحزب البلدية مرتبطة بالقضية. قم بحماية الشاهد من أولئك الذين يحاولون اغتياله وإسكاته". ظنّ أنّ لدى تشن هاي دلائل أخرى لأنّ الرجل لم يبد حتى القليل من الاستغراب. أجاب فقط بقوله: "فهمت، فهمت. دع تساي قونغ لي، أتمنى لك رحلة سعيدة".

بعد أن صعد هوى ليانغ بينغ إلى الطائرة، طلبت المضيفة من الركاب إغلاق أجهزتهم الإلكترونية، ولذا أغلق هاتفه بتوجس. سارت الطائرة على أرض المطار ثم زادت سرعتها وأقلعت. كان هوى ليانغ بينغ يجري حسابات بشأن عملية تشن هاي وأي شيء محتمل أن يحدث. مع بلاغه الذي جاء في أوانه ويقظة تشن هاي، سوف يقع تساي قونغ بين يدي وحماية مكتب مكافحة الفساد التابع لمقاطعة إيتش دون عوائق. من خارج النافذة، كانت الطائرة تطفو فوق سحب بيضاء مثل تلال القطن والزمرد الرائع. أغمض هوى ليانغ بينغ عينيه وفكّر ببعض الأمور التي أشغلت عقله. كلما ازداد تفكيره بها، وجد الكثير ليفكّر بشأنه...

في الحقيقة، بقي هوى ليانغ بينغ على اتصال مع تشن هاي طيلة هذا الوقت. فقد خيم أمام كومبيوتره ليلة حريق "916" وهو يشاهد الفيديوهات من أرض الحدث، وكان تشن هاي متصلا بشبكة الإنترنيت أيضا. لقد شاهدا وحلّلا معا وتحدّثا عما يجول في خاطرهما. أفصح تشن هاي الكتوم قائلا: "طبقا لآخر المعلومات، أقدّر أنّ مجموعة كبيرة من الكوادر دخلت في الفساد على شواطئ بحيرة غوانغمينغ. إنها مشكلة خطيرة أبعد بكثير مما تخيلناه في البداية". سأل هوى ليانغ بينغ في ذلك الوقت تشن هاي: "إذا أنت بحثت عن تساي قونغ الذي أراد الإبلاغ عن الموظفين الفاسدين يا صديق طفولتي؟". أجاب تشن هاي: "لقد فعلت، كما أننا رتّبنا لكي نلتقي ونتحدث. لكنّ تساي قونغ لم ير وجهه أبدا، وأنا لم أتيقن من السبب". حلّل تشن هاي الوضع فتابع قائلا: "يبدو أنّ تقرير تساي قونغ مناف للعقل. لكن بعد التفكير في الأمر مليا، إلا أن هذا التقرير بدا منطقيا. على سبيل المثال، هناك مشكلة بالفعل مع أويانغ جينغ وبنك جينغتشو سيتي الذي يرفض القرض. إنّ

رفض القرض هو ما سبّب أزمة مصنع دافنغ". طرح هوى ليانغ بينغ سؤالا على الفور: "إذا هل يمكن أن يكون لي داكانغ هو الفاسد الذي سمح لدينغ يجن بالذهاب؟ فلديه الدافع والظروف الملائمة". لم يعط تشن هاي جوابا مباشرا، لذا طرح هوى ليانغ بينغ السؤال مرة أخرى. لكنّ تشن هاي لم يخض عميقا في الأمر. في تلك اللحظة، شعر هوى ليانغ بينغ أنّ تشن هاي قد وجد بعض الدلائل السرية الهامة، لكن لم يحن الوقت لكشفها.

سألتْ المضيفة بابتسام وهي تدفع عربة المشروبات، هوى ليانغ بينغ عما يريد، فأخذ زجاجة مياه معدنية. لقد دفع بلاغ تساي قونغ بلي داكانغ إلى وسط خشبة المسرح فجأة، وأصبح الطلاء الأبيض على أنفه يزداد كثافة أكثر فأكثر. لكنّ هوى ليانغ بينغ اكتشف أحد التناقضات. في حال قبلت أويانغ جينغ برشوة تساي قونغ البالغة مليوني يوان، لم قد ترفض القرض في اللحظة الحرجة تماما، وتتسبّب بوقوع أسهم دافنغ بين يدي قاو شياو تشين؟ لم يستطع تحديد مكان الرأس والذيل في هذا الأمر، فقد كان شديد التعقيد. يتوجب عليه الانتظار حتى يرى تساي قونغ كي يكتشف اللغز. شعر هوى ليانغ بينغ بالتوتر دون أي سبب على الإطلاق، كان خائفا من أنه لن ير صديق طفولته مرة أخرى...

بعد الهبوط في هوهوت، تعارك هوى ليانغ بينغ مع الرياح الشمالية العاتية، وأول شيء فعله هو الاطمئنان على الوضع. لم تكن الأمور تسير بشكل جيد. قال تشن هاي إنه ولو بيك لم يستطيعا إيجاد تساي قونغ على مقربة من 125 شارع تشونغ شان الشمالي. وحاليا لايزالان ينتظران في أحد المقاهي بجانب كشك الهاتف. أصبح هوى ليانغ بينغ قلقا من أنّ شرطة جينغتشو قد ألقت القبض على تساي قونغ. قال تشن هاي: "في حال قبضت عليه شرطة جينغتشو حقا، ليس بمقدوره فعل أي شيء بخصوص ذلك، لكن ربما لم يقبض عليه. بما أنّ تساي قونغ يعرف مسبقا أنه واقع في المشاكل، فمن المؤكد أنه سيكون شديد الحذر".

المرة التالية التي تلقى فيها اتصال من تشن هاي، كان صباح اليوم التالي. أخبره تشن هاي عن الوضع قائلا: "لم يظهر تساي قونغ وجهه بتاتا. ربما قبض عليه، لكنّ مكتب الأمن العام في جينغتشو أنكر صراحة أنه أمسك بتساي قونغ". قال هوى ليانغ بينغ: "إذا اذهب واسأل زميل دراستنا، تشي تونغ وى. فالرجل هو مدير إدارة الأمن العام. اطلب منه أن يتحقق فيما إذا قبض على تساي قونغ أم لا".

قال تشن هاي: "من عساك تحسبني؟ تشي تونغ وى هو الشخص الذي سألته، وهو لن يعترف ببساطة أنهم قبضوا على صديق طفولتك هذا". فكّر هوى ليانغ بينغ قائلا: "هذا غريب، أين يمكن أن يذهب تساي قونغ؟ إذا لم يكن عند الشرطة، إذا هل قام أحد مسبقا بإسكاته للأبد؟". اعتصر قلب هوى ليانغ بينغ.

لم يكن هوى ليانغ بينغ يعرف أنّ تساي قونغ قد أسكت للأبد.

بعد ثلاثة أيام، عاد هوى ليانغ بينغ من رحلة عمله في منغوليا الداخلية. كان في طريقه إلى مكتب المدير تشين، وبينما كان يتحضّر لتقديم تقرير عن قضية هوهوت، اتصل تشن هاي فجأة من جينغتشو وأخبر هوى ليانغ بينغ أنّ موعد طائرته إلى بكين الساعة الواحدة. لقد ذهب ليجتمع مع أحد المخبرين ليحصل على بعض الأدلة البالغة الأهمية. ويأمل تقديم تقرير مباشر لقائد المكتب المركزي. تشوّق هوى ليانغ بينغ لدرجة كبيرة تفوق تعبير الكلمات عنها لعلمه أنّ من المؤكد وجود إنجاز كبير في الحرب على الفساد ضمن مقاطعة إيتش. فتشن هاي الحصيف لن يتكلم بهذا الشكل لو لم يكن متأكدا مائة وعشرين بالمائة. قال لتشن هاي وقد كتم حماسته: "لا تقلق يا أخي. سوف ألتقي مع المدير تشين الآن، ولذا سأرتّب معه لقاء في فترة بعد الظهر. وبإمكاننا الخروج الليلة لتناول مشروبات احتفالية". قال تشن هاي: "دع الكحول إلى وقت آخر. على ما بعد تقديم التقرير، يتوجب علي الإسراع عائدا إلى هنا، خشية أن نتصرّف بتهوّر وننبّه العدو...".

عندها فقط انقطع الاتصال فجأة.

بعد ذلك، وبغض النظر عن المرات التي اتصل فيها هوى ليانغ بينغ، فلم يجب أحد.

فيما بعد، علم أنه عندما كان تشن هاي يعبر الشارع وهو يتكلم على الهاتف مع هوى ليانغ بينغ، قطعت شاحنة إشارة حمراء واندفعت نحوه مباشرة، أصابت مقدمة السيارة تشن هاي فطار. كذلك طار كومبيوتره وحقيبة يده إلى داخل منصّف الطريق العشبي، وغاص الهاتف المحطم في بركة من الدماء في وسط الطريق. ومن جانب جينغتشو، أعلنوا أنّ سائقا مخمورا سبّب الحادثة المرورية. عندما جرّ السائق إلى خارج سيارته، كانت رائحة الكحول تفوح منه ولم يتمكن حتى من الوقوف على قدميه. زعم أنه سكّير غير قابل للإصلاح، وأنه اقتيد إلى السجن في إحدى المرات بسبب القيادة في حالة السكر وحكم عليه بالسجن لمدة عامين. لم يكن يشرب ذلك الصباح، بل في

الليلة الماضية. شرب شخصان ثلاث زجاجات من الكحول الأبيض الصيني وظلا يشربان حتى منتصف الليل. وفي الصباح، خرج ليقود السيارة وهو لايزال يعاني من آثار الكحول. قاد سيارته لبضعة شوارع فقط قبل الحادثة.

لم يصدّق هوى ليانغ بينغ أنه حادث سيارة. أخذ يعاني من الهزيمة بينما كان النصر في متناول اليد - كرفيق في السلاح، وحده يعلم كم كان تشن هاي قريبا من تلك الحقيقة الكبيرة، لربما كان على بعد بضع خطوات فقط، وإلا، ما كان تشن هاي ليواجه كارثة مميتة. ثمة شخص ضرب ضربة غادرة وحاول إسكات تشن هاي، كان قلب هوى ليانغ بينغ يعتصر ألما وشعر أنه يحترق. ظهرت كل اتصالاته السابقة مع تشن هاي دون انقطاع أمام عينيه مثل شريط سينمائي، وهجم الحزن عليه موجة بعد أخرى...

في فترة بعد ظهر ذلك اليوم، حاول هوى ليانغ بينغ جاهدا أن يستجمع قواه، وذهب مكتئبا إلى مكتب المدير تشين. أغلق الباب وقال بوجه هادئ: "أيها المدير تشن، كان تشن هاي ضحية مؤامرة خسيسة".

سكب المدير تشين له كوبا من الشاي، وأبدى تعاطفه مع مزاجه الظاهر. لكنه أيضا وضّح بلطف أنّ رئيس النيابة العامة جي تشانغ مينغ قد ذهب شخصيا إلى إدارة مراقبة حركة المرور للحصول على التقرير الأصلي عن الحادث ولم يجد أي شيء مريب. نسي هوى ليانغ بينغ نفسه وقال بصراحة: "أنا لا أثق حتى بجي تشانغ مين حاليا". فذكّره المدير تشين قائلا بصورة جدية: "الآن، يا ليانغ بينغ، قلت إنك مسؤول عن ماذا".

هدأ هوى ليانغ بينغ وحلل الوضع. أخبر المدير تشين أنه كان يتكلم بالهاتف مع تشن هاي عندما حصل حادث السيارة الغريب. كذلك قال تشن هاي إنه مضطر للعودة مسرعا إلى جينغتشو بعد الإبلاغ عن القضية، خشية أن ينبّه العدو. الآن، يبدو أنّ العدو كان متنبها مسبقا. قال المدير تشين وهو يفكر مليا: "لقد اشترك تشن يانشي، والد تشن هاي في التحقيق الذي أجراه جي تشانغ مينغ، ولم يجد أي شيء أيضا". لكنّ هوى ليانغ بينغ كان عنيدا وأصرّ أنّ الوضع في مقاطعة إيتش ومدينة جينغتشو معقّد، وكمدير لمكتب مكافحة الفساد، لربما اقترب تشن هاي من معرفة بعض الحقائق المميتة. قبل ذلك، أبلغ رئيس مصنع دافنغ تساي قونغ عن أشياء لتشن هاي. والآن، اختفى

تساي قونغ بصورة غريبة، ثمة إشارات كثيرة تثبت أن هناك شيئا خاطئا جدا في جينغتشو وحتى في مقاطعة إيتش.

غرق المدير تشين في الأفكار، وبدأ يزرع الغرفة بخطواته ثم قال: "هل أنت متأكد بأنها محاولة اغتيال لتشن هاي؟".

قال هوى ليانغ بينغ باقتناع: "نعم، محاولة اغتيال، وليس حادث سيارة، لقد أخبرني تشن هاي أنه على وشك الالتقاء بأحد المخبرين وسيحصل على دليل دامغ. كان سيسافر بالطائرة إلى هنا، إلى بكين ليقدم لك تقريرا بشكل شخصي عن خطورة الوضع، أيها المدير تشين، نحن على وشك الانتهاء من قضية تشاو ديهان، وأودّ اختراق مقاطعة إيتش والتحقيق بشكل شامل في سلسلة من القضايا: هروب دينغ يجن، وحريق "916"، ومحاولة اغتيال تشن هاي!".

جلس المدير تشين على كرسيه وهو يفكر مليا لبرهة من الزمن وفجأة رفع رأسه قائلا: "أوه، يا ليانغ بينغ، ماذا إذا عيناك للعمل في نيابة مقاطعة إيتش؟ وأنت تحل محل تشن هاي مؤقتا كمدير بالنيابة لمكتب مكافحة الفساد؟".

جفل هوى ليانغ بينغ وقال: "أيها المدير تشين، أنا... أنا لم أفكّر بذلك".

قال المدير تشين: "إذا فكّر بالأمر، سيكون من الصعب عليك الذهاب لتحقق ببساطة في مسألة محاولة قتل تشن هاي. كيف ستحقق بذلك؟ ما المبررات التي لديك كي تحقق؟ وحتى لو حققت فعلا، هل ستكون قادرا على اكتشاف الحقيقة؟ عندما أفكّر بأنّ نائب عمدة مدينة جينغتشو المتورط في هذه القضية قد اختفى وهو تحت أنظارنا في الواقع، فأنا أقل اقتناعا بإمكانية اكتشاف الحقيقة".

لمعت عينا هوى ليانغ بينغ فرحا فقال: "أفهم ما تقول، أتسلل بهدوء إلى هناك وأتتبّع الأدلة لأجد الجاني؟".

"بالضبط، في الوقت الحالي، إصابة تشن هاي خطيرة وهو فاقد للوعي. بعد استشارة الأطباء، قالوا إنه حتى لو تمكن تشن هاي من النجاة فمن المرجح غالبا أن يظل في حالة غيبوبة. يجب أن يتولى مسؤولية قضية دينغ يجن أحد الرفاق المطلعين على الوضع. اذهب وكن المدير بالنيابة. بإمكانك بهذه الطريقة أن تركّز على خصمك والمعركة القاسية القادمة".

قال هوى ليانغ بينغ: "أيها المدير تشين، إذا سوف أطيع أوامر التنظيم، وأنا مستعد أن أكون معك في العمل في مقاطعة إيتش في أي وقت".

في تلك الليلة، حلم هوى ليانغ بينغ أنّ تشن هاي كان يمشي باتجاهه. نظر إلى الأعلى بوجهه الطفولي وعيناه مليئتان بالريبة والحزن: جسده مبقّع بالدماء. مدّ يديه وكأنه يسأل: "أيها القرد، ماذا أفعل؟". استيقظ هوى ليانغ بينغ فزعا وصرخ بشكل غريزي: "هاي، لا تقلق. أنا قادم للمساعدة". تقلّب في سريره وجلس منتصبا. تسرّب أول بصيص للفجر من خلال النافذة بينما كانت الدموع تنهمر على وجهه وتبلل قميصه...

11

يعيش قاو يوليانغ في المنطقة السكنية الثالثة التابعة لمقر إقامة لجنة الحزب الإقليمية، وهي مقر إقامة القادة من مستوى المقاطعة الفرعي أو الأعلى. يقع المقر في الزاوية الشمالية الشرقية لمجمّع لجنة الحزب الإقليمية الضخم وهو مكان معزول عن بقية المجمّع بحرس خاص لبوابته، ولذا فإنّ الأمن كان مشدّدا. مكان غامض وهادئ، تشكّل مساحاته الخضراء تناقضا بديعا مع الأبنية الصغيرة والغريبة الشكل. يتألف منزل قاو يوليانغ الذي يعيش فيه من طابقين ويذكّر بالعمارة البريطانية، فيه طابق سفلي جزئي، كما أنّ السطح المغطى بآجر أحمر بشكل مائل مفيد ليذوب الثلج عليه في الشتاء. ثمة مدخنة مربعة وعريضة موصولة مباشرة إلى المدفأة الموجودة في غرفة المعيشة. وهناك أنواع متعددة من النوافذ في المنزل: على شكل مستطيل وشبه بيضوي، وشبه دائرة صغيرة. كما تضفي شجرة الكافور الشعثاء على شكل مظلة والتي عمرها مائة عام بجانب المدخل، ظلا على جزء من الممر. يقول بعض الناس أنّ البعثات التبشيرية الأولى هي من أنشأت المبنى، بينما يقول آخرون أنّ تاجرا يهوديا بناه. باختصار، كان مبنى تاريخيا. وبعد عدة تغييرات في أنظمة الحكم، أصبح المكان مقر إقامة للشخصيات البارزة. بعد أن انتقل قاو يوليانغ إليه، حوّل ما يقرب من ستمائة متر مربع من الأرض التي أمام مبناه إلى حديقة أزهار مصغّرة، أصبحت مكانا رائعا لجذب الانتباه. من كان يعتقد بأنّ ذلك البروفيسور الذي تحول إلى قائد لديه هواية بستنة نادرة. وفي أوقات فراغه، كان دائما يجلس القرفصاء في الحديقة ويعبث بالنباتات، وكذلك يقوم بدعوة بعض علماء النبات من أجل جلسات إرشاد ميدانية. ولهذا السبب كان تلاميذه يولونه قدرا كبيرا من الاحترام، ومع ذلك هناك شيء لم يتمكنوا من فهمه. لماذا يحبّ أستاذهم مثل هذا النوع من العمل؟

كان قاو يوليانغ اليوم يزرع شتلات صنوبر أصفر أعطاه إياها صديقه في أوعية زهور. وهو يرتدي بذلة ممتلئة بالعرق وحذاء رياضيا من ماركة نايكي، ويشع صحة ونشاطا. بعد أن انتهى من وضعها في أماكنها، أخذ يقلّم الأشجار بمقص يحمله بيده اليمنى، ويهمهم بكل رضى. كان قاو يوليانغ بمزاج جيد، فكونه نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين هيئة الشؤون القانونية والسياسية، فهو من أوائل القادة الذين عرفوا أنّ هوى ليانغ بينغ سوف ينقل إلى هناك كمدير لمكتب مكافحة الفساد المركزي. بعد بضعة أيام فقط من اجتماع لجنة الحزب الدائمة، أخبره شا روجين: "سينقل أحد الرفاق من النيابة الشعبية العليا إلى هنا، وهذا الرفيق في مهمة خاصة ولديه أدلة تتعلق بقضية كبيرة". لم يكن يعلم أنه هوى ليانغ بينغ حتى سأل، فضحك قاو يوليانغ عندما سمع وقال: "كيف يكون واحدا من تلاميذي مرة أخرى؟ سوف يقوم بالاستفسار عن قسم القانون والسياسات الآن. أيها الرفيق روجين، يجب أن تشهد لصالحي، فلا علاقة لي ولا لما يدعى قسم القانون والسياسات بنقل هوى ليانغ بينغ". دهش شا روجين فقال: "أوه، أيها الرفيق يوليانغ، لا عجب أنّ الناس يقولون إنّ لديك تلاميذ في كل مكان...".

ليس هناك كلمات تصف مدى سعادة قاو يوليانغ. فهوى ليانغ بينغ في مهمة خاصة مع دلائل تخص قضية كبيرة. ما هي مهمته؟ من الواضح أنها قضية مكافحة فساد، إذا ما الأدلة؟ حادثة "916"؟ فرار دينغ يجن؟ لا يهم أية قضية، فهي ليست مشكلة صغيرة. بالنظر إلى مدى جدية النيابة الشعبية العليا في بكين، ربما ليس هناك مهرب لأمين قوي كلي داكانغ. فمع المشاكل العديدة الحاصلة في جينغتشو تحت قيادته، هل لايزال بإمكانه الحفاظ على وضعه؟ على أقل تقدير، الشائعة المتعلقة بأنه سيكون محافظا، حكم عليها بأن تبقى شائعة. كان ذلك النوع من الشائعات عذابا، وهو يعرف ذلك بخبرته.

جلس قاو يوليانغ على أحد كراسي الخيزران في الردهة، ثم ضيق عينيه ورفع إبريق شاي فخاري أحمر ليحتسي بعضا منه. كان يفكّر بتلميذه عندما اتصل به. وأولى الكلمات التي خرجت من فمه: "أيها البروفيسور، أنا قادم لأداء الواجب".

سعد قاو يوليانغ، فبعد كل ما قيل وفعل، فإنه ظل مصرا على أنه لايزال تلميذه. كان لايزال في بكين، لكنه اتصل أولا ليطمئن عليه: "حسنا، حسنا يا ليانغ بينغ، أسرع بالقدوم. لقد أخبرني الرفيق روجين سلفا عن عملك".

أجاب هوى ليانغ بينغ قائلا: "أيها البروفيسور قاو، يريد قائد النيابة الشعبية العليا التحدث معي غدا لكي يطلعني على مهمتي. أظن أني لن أصل حتى ليلة الغد، لكن أيها البروفسيور، ثمة حالة طارئة الآن أودّ الإبلاغ عنها وأطلب مساعدتك بها".

"ما هي الحالة الطارئة؟ تكلّم يا ليانغ بينغ، وعند التحدّث بالأمور السياسية، لا أريد أن أسمع كلمة (بروفيسور) هذه!".

"مفهوم أيها الأمين جاو أنت نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين هيئة الشؤون القانونية والسياسية، ولذا أنا أطلب حمايتك لأحد المخبرين: رئيس مصنع دافنغ في جينغتشو، تساي قونغ. يزعم أنّ رجال شرطة من مكتب الأمن العام البلدي يحاولون القبض عليه، وهو مختبئ في إحدى مزارع الدجاج بين ريف ومدينة جينغتشو".

ذهل قاو يوليانغ وقال: "لماذا يسعى مكتب الأمن العام البلدي خلف تساي قونغ؟ ما الذي حدث؟".

تردّد هوى ليانغ بينغ للحظات ثم قال أخيرا: "لقد قام تساي قونغ بالتبليغ عن أويانغ جينغ بداعي الرشوة".

تردّد قاو يوليانغ للحظة أو لحظتين أيضا قبل أن يجيب: "حسنا يا ليانغ بينغ، سأطلب من إدارة الأمن العام الاهتمام بالأمر...".

بعد أن أغلق الهاتف، اتكأ قاو يوليانغ للخلف على كرسيه وأغمض عينيه بينما احتشد عقله بالأفكار. كان الشخص الذي ركّز هوى ليانغ بينغ أنظاره عليه هو زوجة لي داكانغ، أويانغ جينغ، هل يمكن لهذا أن يكون دليلا على قضية كبيرة؟ ظاهريا، قال داكانغ ومكتب الأمن العام البلدي إنهما بفارغ الصبر للإمساك بتساي قونغ من أجل التحقيق والتعامل مع الشخص المسؤول عن حريق "916"، لكن تحت السطح، ربما يريدان إسكاته. كان هوى ليانغ بينغ مدهشا حقا، لم يكن قد تولى المنصب لكنه يتولى القيادة عن بعد. حتى أنه عرف أنّ تساي قونغ مختبئ في مزرعة دجاج تقع بين ريف ومدينة جينغتشو. ما الذي كان يحدث؟ هل بقي تساي قونغ على اتصال دائم معه؟ أو...

جاء تشي تونغ وى حاملا زجاجتين من كحول ماوتاي كي يطمئن على أستاذه. غالبا ما يأتي إلى منزل أستاذه أيام عطل نهاية الأسبوع من أجل لقاء صغير لكسب الود والاطلاع على المعلومات. أشار قاو يوليانغ بيده إلى كرسي الخيزران الذي بجانبه كي يجلس تشي تونغ وى عليه وقال: "يكفي أنك أتيت في الوقت المناسب وحسب، ثمة شيء عليك القيام به مباشرة". حينئذ، ودون الإفصاح عما يجول في خاطره، أعطى تعليمات حول مهمة الحماية.

دهش تشي تونغ وى بعد إصغائه لتعليمات أستاذه فقال: "ماذا؟ حماية تساي قونغ؟ أيها البروفيسور، رغم علمنا بأنّ تساي قونغ قد أبلغ عن زوجة لي داكانغ، أويانغ جينغ، لكن كيف بإمكاننا أن نحميه؟ ألا يعني مثل هذا القول بأنه إعلان للمشاكل؟ ففي النهاية الرجل عضو في لجنة الحزب الإقليمية الدائمة. لماذا أيها البروفيسور، يجب عليك أن تفكّر بهذا مليا".

ظهرت خيبة الأمل على وجه قاو يوليانغ وبدأ يوبّخ تلميذه قائلا: "ما الذي حصل لك؟ لا أحد فوق القانون، أنت تسأل دائما ما الذي يمكن أن تستفيده من أي أمر. هل لاتزال تفكّر بالحصول على صوت لي داكانغ؟ هل سترمي مبادئ الحزب بعيدا من أجل صوت واحد وحسب؟ لقد جمّد الأمين شا ترقيات جميع الكوادر، لذا بإمكانك نسيان أمر نيابة المحافظ في الوقت الحاضر الوضع معقّد الآن، وبإمكانك أن تقول إنه دقيق أيضا، هل تفهم؟ كونك مدير إدارة الأمن العام، يجب عليك حماية مخبره وتسلّمه بحلول يوم غد إلى مدير مكتب مكافحة الفساد التابع لنيابة المقاطعة المعين حديثا، هوى ليانغ بينغ".

دهش تشي تونغ وى فقال: "هل نقل هوى ليانغ بينغ إلى مقاطعتنا ليكون مدير مكتب مكافحة الفساد؟ أنت نقلته إلى هنا؟". قال قاو يوليانغ بعد أنّ لوّح بيده منكرا الأمر: "أنا؟ هل تعتقد أني أحاول إيجاد مجندين لأحد الفصائل؟ وأني حقا أقوم بتنظيم قسم قانون وسياسات من نوع ما؟ لا تطرح الكثير من الأسئلة عن هذا الأمر، سوف تتضح لك بعض الأمور فيما بعد، اذهب وقم بالمهمة التي أوكلت إليك، ودعني أؤكّد مرة أخرى بأنّ تساي قونغ لن يقع تحت أي ظرف كان بين يدي لي داكانغ ومكتب الأمن العام في جينغتشو".

الأمر هو أمر، ولذا أبقى المرؤوس فمه مغلقا. ولعدم وجود وقت ولا رغبة لشرب كحول ماوتاي، وقف تشي تونغ وى باستعداد وحيا أستاذه ثم غادر بخطوات سريعة ليقوم بالتحضيرات اللازمة لحماية تساي قونغ.

جلس تساي قونغ القرفصاء بجانب بوابة مزرعة الدجاج ينظر حواليه وهو مختبئ خلف بعض الشجيرات. كان رئيس مزرعة الدجاج ابن عمه، ولم يكن لتساي قونغ أي بديل سوى اللجوء إلى هناك. كاد أن يقبض عليه بينما كان ينتظر تشن هاي بجانب كشك الهاتف في شارع تشونغ شان الشمالي، ربما تنصّت مكتب الأمن العام البلدي على الاتصال، لحسن الحظ كان خبيرا، فقد انتظر في المقهى المقابل لكشك الهاتف. عندما رأى سيارة الشرطة، هرب على الفور، وفوّت عليه لقاء تشن هاي. وامتثالا لأوامر هوى ليانغ بينغ، انتظر مرة أخرى قدوم المساعدة، لكنه كان متوترا كما في المرة الماضية تماما، إن لم يكن أكثر.

تساي قونغ الذي أصبح الآن أحد الهاربين من وجه العدالة، نحل جسده، وأصبحتْ لحيته شعثاء، وبدا وجهه منهك. والشامة الكبيرة بجانب أنفه ترتعش بشكل عصبي. بصراحة، فهو لن يتمكن من الاستمرار هكذا، لكن لم يكن لديه خيار آخر. هذه المرة، لم يكن يعبث لاهيا، بل كان يقامر بحياته عبر تقديمه إحدى الشخصيات الهامة. ففي حال وقوعه بين يدي لي داكانغ، فمن المحتمل جدا أن تحدث له حالة موت مفاجئة مثل موت عن طريق فرشاة أسنان وموت عن طريق النوم، أو موت عن طريق لعبة الغميضة. لقد تعلّم ذلك من مشاهدة أخطاء أخرى. اختبأ تساي قونغ خلف الشجيرات على وقع صوت حفيف رياح الخريف، وبدا كأنه يبكي، لكن من دون دموع. كان من المؤسف أن يصل على هذا الدرك.

يمكن سماع صوت صافرة سيارة شرطة عن بعد. لم يكن تساي قونغ مستعدا لكشف نفسه، إلا أنه حاول جهده أن يخرج رأسه من بين الشجيرات، ليرى ما يحدث، ومن حيث يراهم ولا يرونه ولا يستطيع الرجال الذين أرسلهم هوى ليانغ بينغ من اكتشاف مكانه. قدمت عربة شرطة ووقفت أمام بوابة مزرعة الدجاج، ثم خرج بعض رجال الشرطة منها وهم يرتدون ملابس مدنية ويحملون صورته وينظرون في كل الأنحاء. قرّر تساي قونغ أنّ الوضع آمن بما يكفي فخرج. تقدّم الشرطيون المرتدون لباسا مدنيا منه فسأله أحدهم: "أنت السيد تساي قونغ، صحيح؟". نظر تساي قونغ إليه متردّدا وقال: "ومن أنت؟". أجاب الرجل: "اتصل بنا صديقك من بكين وطلب منا حمايتك. تعال معنا بسرعة". شعر تساي قونغ وكأنه أنقذ، وحتى من دون كلمة وداع لابن عمه الذي يملك مزرعة الدجاج، ركب السيارة بابتهاج، ورائحة براز الدجاج تفوح منه.

في لحظة دخوله السيارة، شعر بأن هناك ما يدبر، فحاول النزول منها، لكنّ أحد رجال الشرطة المدنيين أمسك به، وقيد يديه بزوج من القيود الفولاذية. بعدها مباشرة، أغلقت أبواب السيارة وانطلقت مسرعة. لم يكن بوسع تساي قونغ سوى الشعور باليأس.

كانت شرطة مكتب البلدية أكثر يأسا حتى من تساي قونغ. خاصة عندما رأوا بأم أعينهم سيارة شرطة الإدارة الإقليمية وهي تأخذه بعيدا. ما الذي كان يحصل؟ فهم جميعا من الفريق نفسه، فلماذا إذا، يتقاتلون على ذات المتّهم؟

عندما أبلغ مدير مكتب الأمن العام البلدي، تشاو دونغلاي عن الوضع للي داكانغ، غضب أمين لجنة الحزب البلدية غضبا شديدا وانتقد رجال شرطة المكتب البلدي لكونهم غير أكفّاء: كان تساي قونغ رجلا واحدا فقط، ومع ذلك فقد تطلّب الأمر منهم أياما لإيجاده، لقد حرّض الرجل العمال على احتلال المصنع وتسبّب بمشكلة، كما أمرهم باستخدام البنزين لخلق حالة فوضى، خلّفت ثلاثة قتلى وعشرات الجرحى. كان متهما فهو مسؤول بدرجة كبيرة عن جرائم تتعلق بحادثة ذات مسؤولية سلامة كبيرة واستخدام طرق خطيرة تعرّض الأمن العام للخطر. لم يحاول تشاو دونغلاي الدفاع عن نفسه، لكنه أصغى بصبر. انتظر حتى هدأ لي داكانغ قليلا قبل أن يستجمع قواه ويتحدث عما يجول بخاطره - هناك شيء غامض يحدث. ما الذي يدعو الإدارة الإقليمية للإسراع في القبض على تساي قونغ دون إعلام المكتب البلدي؟ في المرة الأخيرة، بعد مراقبة اتصال تساي قونغ الهاتفي والإسراع إلى مكان كشك الهاتف في شارع تشونغ شان الشمالي، لكنهم لم يقبضوا عليه. لكن بينما كانوا هناك، التقوا بمدير مكتب مكافحة الفساد الإقليمي، تشن هاي، ولو ييك، اللذين خرجا من المقهى وهما غافلان على ما يبدو. هل هي مجرد مصادفة؟ لم يكن تساي قونغ شخصا عاديا. بدا أنّ الناس من مختلف المواقع مهتمون بشأنه. لكن ما هو سبب اهتمامهم؟

أخرج لي داكانغ سيجارة وأشعلها بصمت. كان هو الذي قام بترقية تشاو دونغلاي لمنصب مدير مكتب الأمن العام، ولذا كان بإمكانه الاسترخاء أمامه والتدخين كما يشاء. كل شيء هادئ داخل المكتب. كان لي داكانغ غارقا في التفكير وتبدو على وجهه تعابير القلق، فقد ازدادت الخطوط الثلاثة بين حاجبيه عمقا. تصاعد الدخان للأعلى وحام فوق رأسه، وثمة شعاع من ضوء الشمس اخترق النافذة وأضاء وجنته، وكأنه ضوء كشّاف مخصص لإحدى الشخصيات على خشبة المسرح.

سأل لي داكانغ بتروّ: "يا دونغلاي، هل رأى رجالك فيما إذا أخذ رجال الإدارة الإقليمية تساي قونغ أو ألقى شرطيون بملابس مدنية تابعين للمقاطعة القبض عليه؟".

أجاب تشاو دونغلاي بحذر: "حسنا، أيها الأمين لي، لست متأكدا من ذلك، من الصعب تأكيد الأمر. لكنّ رجالهم كانوا جميعا بملابس مدنية، لذا يرجح أنهم يؤدون مهامهم الاعتيادية. أظنّ أنه أخذ".

"إذا هل هذا يعني أنّ تشي تونغ وى سرق رجلنا منّا؟". أطفأ لي داكانغ سيجارته في المنفضة ولواها بشدّة قائلا: "يا دونغلاي، اذهب وجد تشي تونغ وى مباشرة وطالبه برجلنا، فحادثة "916" قضية جنائية كبيرة حصلت في مدينة جينغتشو، وتساي قونغ هو المتهم الرئيسي بارتكاب الجريمة. لدى مكتب الأمن العام البلدي في جينغتشو الصلاحية القضائية على هذه القضية، قل فقط إني أجبرتك على الذهاب لإيجاده، وأنّ على الجميع القيام بالأمور طبقا للقواعد".

لقد ألهمتْه قوة أمين لجنة الحزب البلدية. فوقف تشاو دونغلاي لأداء التحية له ثم غادر على عجل.

12

اختار هوى ليانغ بينغ عن عمد ركوب القطار فائق السرعة المتجه إلى مقاطعة إيتش من أجل مباشرة مهام منصبه. شعر أنّ أيامه كمسافر دائم قد شارفت على نهايتها بما أنّ مجال عمله بعد هذا اليوم سوف يضيق من كل أنحاء البلاد إلى مقاطعة واحدة، وأنّ طريقة تنقّله يجب أن تتغير من الطائرات إلى القطارات، وهذا أمر جيد. لم يعد بحاجة إلى القلق بشأن العواصف الرعدية بعد الآن. تحرّك القطار بسلاسة وهدوء وبأقصى سرعة، مما جعل الأمر يبدو وكأنه لا يسير بسرعة. وحدها الحقول والغابات والأنهر والقرى التي تطير بجوارهم باستمرار تشهد على سرعة القطار. ويظهر بين الحين والآخر امتداد لناطحات سحاب، ففي هذه الأيام، كانت الكثافة المدينية في الصين مذهلة، فقد قطّعت غابات لا تحصى من الاسمنت والآجر البلاد الواسعة المفتوحة إلى أجزاء، وقد كشفت سرعة القطار إحدى الحقائق التي مضتْ دون أن يلاحظها أحد.

تحت مظهره الخارجي الهادئ، كان مزاج هوى ليانغ بينغ يجاري القطار في سرعته الفائقة - ليس هادئا حتى ولو للحظة. لقد جعلته حادثة تشن هاي المؤسفة حزينا وغاضبا، وبذهابه إلى جينغتشو هذه المرة، يجب عليه أن يمسك بالجاني المختبئ وراء الكواليس وان يجلبه أمام العدالة. لكنّ حساسيته المهنية جعلته يربط الفساد منذ فرار دينغ يجن إلى حريق "916"، كانت حالة الفساد في مقاطعة إيتش مثيرة للقلق. ثمة معركة قاسية ربما تكون بانتظاره.

لكن لديهم بداية جيدة الآن. فالمخبر الأساسي تساي قونغ وقع بين أيدي تشي تونغ وى، فتنفّس هوى ليانغ بينغ الصّعداء. بعد تلقيه لاتصال تشي تونغ وى، شكر هوى ليانغ بينغ تشي تونغ وى كثيرا وأراد مجاملته بدعوته لتناول بعض المشروب. قال تشي تونغ وى: "لا تجاملني، يتوجب علي أن أكون الشخص الذي يقيم حفل عشاء ترحيبي بمدير مكتب مكافحة الفساد المعين حديثا،

عندما تصل إلى هنا غدا، بإمكانك التوجّه مباشرة إلى الحانة وحسب". قال هوى ليانغ بينغ: "أخشى أنّ لا يجدي هذا نفعا. فعلي أن أذهب إلى المستشفى لرؤية تشن هاي ومن ثم إلى وزير التنظيم لأتحدّث معه. دعنا نقم بذلك في يوم آخر". لم يصر تشي تونغ وى على الموضوع، كما رتّب هوى ليانغ بينغ معه على الهاتف من أجل تسليم تساي قونغ إلى عهدة النيابة الإقليمية صباح يوم غد. سوف يستجوب صديق طفولته بشكل شخصي. أكّد تشي تونغ وى له بحماس أن ليس هناك أي مشكلة.

كان تشن هاي مضطجعا على أحد أسرّة المستشفى في وحدة العناية المشدّدة والضمادات ملفوفة حول رأسه وعدد كبير من الأنابيب موصولة في جسده. عيناه مغلقتان تماما ووجهه شاحب. بدا وكأنه لا يتنفّس. شعر هوى ليانغ بينغ بالحزن وهو ينظر إليه ولم يستطع منع دموعه من أن تنهمر. عندها تماما، وصلت سيارة رئيس النيابة جي تشانغ مينغ كي تأخذه إلى لجنة الحزب الإقليمية لإجراء محادثات جانبية، وقال إنّ أمين لجنة الحزب الإقليمية شا روجين في مكتبه بانتظار هوى ليانغ بينغ.

صعق هوى ليانغ بينغ واعتقد أنّ جي تشانغ مينغ يمازحه. قال جي تشانغ مينغ بلهجة جادة إنه من عادة المقاطعة الاهتمام والتحدّث مع الكوادر التي تتولى مناصب رسمية. أجاب هوى ليانغ بينغ: "ليس بالنسبة لشخص من مستواه، فالتحدّث مع نائب وزير التنظيم أو حتى أحد أعضاء اللجنة التنفيذيين سوف يفي بالغرض. الأمين شا مسؤول إقليمي ذو رتبة عالية، وهو النائب الأول. وعلاوة على ذلك، فالوقت متأخر جدا". قال جي تشانغ مينغ: "هذا صحيح، حقا من غير المعتاد لأي أمين لجنة حزب إقليمية أن يتحدث شخصيا معك. لقد عقد اجتماع اللجنة الدائمة للتّو، كما أنّ لجنة الحزب الإقليمية تولي اهتماما كبيرا بعمل مكافحة الفساد وبناء حكومة نزيهة".

انطلقت السيارة بجانب إحدى الجادات النابضة بالحيوية واتجهت نحو مجمّع لجنة الحزب الإقليمية. تنّهد جي تشانغ مينغ تنهيدة عميقة وقال: "لقد سقط تشن هاي وأنت أتيت لتحلّ مكانه. يبدو أنّ المثلث ثلاثي القوى لقسم القانون والسياسات لايزال مثلثا ثلاثي القوى".

كان هوى ليانغ بينغ مذهولا ومرتبكا في آن معا فقال: "يا رئيس النيابة جي، ماذا تقصد بذلك؟ ما هذا المثلث الثلاثي القوى هذا؟".

توقف جي تشانغ مينغ عن الكلام، وأخذ يحدّق إلى خارج النافذة ويفكّر بأشياء أخرى لا تخطر على بال أحد.

رغم أنّ هوى ليانغ بينغ يعرف جي تشانغ مينغ إلا أنه لم يتسن له معرفته بشكل تام. ففي الماضي عندما صدف أنّ كان لديه عمل في النيابة الإقليمية، كان غالبا ما يقصد تشن هاي، المؤهل لهذه الوظيفة وهو زميل دراسته. برأي هوى ليانغ بينغ، كان رئيس النيابة الإقليمية جي حصيفا وخبيرا، ولم يتحدث أبدا عن أي أمر دون التفكير به أولا. ولعلمه أنهما قد يعملان معا في المستقبل، اعتقد هوى ليانغ بينغ أنه من الأفضل توضيح بعض الأمور له، ولذا أصرّ على جي تشانغ مينغ كي يخبره عن المثلث ثلاثي القوى.

بدا وكأنه يجبر جي تشانغ مينغ على القيام بشيء لا يريد القيام به، لكن بعد بعض الصمت، ابتسم وكان صريحا مع هوى ليانغ بينغ فقال: "التاريخ والحقيقة الحالية للكوادر في هذه المقاطعة، كلاهما معقّد، شخص موجود في هذه المجموعة وآخر في تلك المجموعة. وخلال السنين، أتت جميع الكوادر بشكل أساسي إلى الإدارات الهامة من ضمن النظم القانونية والسياسية لمقاطعة إيتش من قسم القانون والسياسات في جامعة إيتش. ومن بين كل الخريجين من الجامعة الصينية للقانون والعلوم السياسية وجامعات القانون والسياسات المحلية الأخرى، لم يكن هناك من يسعون إليه أكثر من أولئك القادمين من جامعة إيتش. ولذا يقول بعض الناس إنه فيما مضى، أنشأ شيانغ كاي شيك أكاديميته العسكرية في وامبوا وقام بتدريب وامبوا كليك، أما بالنسبة لقاو يوليانغ، فكان لديه قسم القانون والسياسات، وتلاميذ من كافة الأنحاء". قال هوى ليانغ بينغ بطريقة استنكارية: "إذا يجب أن أسرع وأبقى إلى جانب أستاذي؟".

بعد لحظة صمت، سأل هوى ليانغ بينغ جي تشانغ مينغ ممازحا: "إذا، لأي فصيل تنتمي أنت؟". ابتسم جي تشانغ مينغ بسخرية وقال إنه لا ينتمي لأي فصيل، ولذا ليس هناك أحد يأخذه على محمل الجد. ضحك هوى ليانغ بينغ وقال: "إذا هذا عظيم، لدي الآن زميل هنا". هزّ تشانغ مينغ رأسه ضاحكا: "يا ليانغ بينغ، أنت مختلف، فلديك مجموعة. أنت في قسم القانون والسياسات". أعلن هوى ليانبيغ بجدية قائلا: "يا رئيس النيابة جي، أنا لست في المثلث الثلاثي القوى، ولا أنا أنتمي إلى أي قسم قانون وسياسات. أرجو أن تصدقني، أنا أهتم بالحقائق وحسب، وليس بالأشخاص".

نظر جي تشانغ مينغ إليه بشكل حاد، وفجأة مدّ يده وصافحه بحزم.

توقفت السيارة أمام المبنى رقم 1 لمجمّع لجنة الحزب الإقليمية، فخرج هوى ليانغ بينغ من السيارة مع جي تشانغ مينغ. ألقت أضواء الشارع البيضاء بنورها على بعض أشجار المانيوليا الشامخة داخل المجمّع الهادئ، وثمة زوج من الأسود الحجرية يجثمان في الأسفل بجانب السلالم. هذا مركز مؤسسة لجنة الحزب الإقليمية: يعمل شا روجين هناك، وغرفة اجتماع اللجنة الدائمة موجودة في هذا المبنى أيضا. بدا المبنى عاديا من الخارج بجدران آجرية ذات لون أحمر داكن وسطح مائل، يشابه طراز عمارة سوشو في خمسينات القرن العشرين، لكنه مثل ملك ذو سيادة في عيون كوادر مقاطعة إيتش - ثمة هيبة تعشش في بساطته. ويؤثر صنع القرار هنا في عمل وحياة ستين مليون شخص في مقاطعة إيتش.

صعد هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ السلالم. قابلهما رئيس الشعبة باي، سكرتير شا روجين في البهو، ورافقهما إلى غرفة استقبال فسيحة. سكب لكليهما كوب ماء وطلب منهما الانتظار لبعض الوقت قائلا إنّ الأمين شا يتحدث حاليا مع أمين الهيئة الإقليمية للتفتيش التأديبي، والمنقول إلى هنا حديثا، تيان غوفو.

امتدّ زمن انتظارهما القليل لأكثر من ساعة. كان لدى جي تشانغ مينغ شعور قوي فقال: "أمين لجنة حزب إقليمية جديد، وأمين هيئة إقليمية للتفتيش التأديبي جديد، وأنت، مدير جديد لمكتب مكافحة الفساد. يبدو وكأنّ مقاطعتنا تشهد عملية تغيير".

بعد توديع أمين اللجنة الإقليمية للتفتيش التأديبي المعين حديثا، دخل شا روجين بابتهاج وصافح الرجلين بشكل رسمي، كما قام جي تشانغ مينغ بالتعريف بهوى ليانغ بينغ. نظر شا روجين إليه من فوق لتحت وقال بشكل استفزازي: "أعرف، أنت الموهبة الشابة التي أوصى بها رسميا مكتب مكافحة الفساد التابع للنيابة الشعبية العليا". بدا هوى ليانغ بينغ منزعجا بعض الشيء. أشار شا روجين لجي تشانغ مينغ وهوى ليانغ بينغ بالجلوس على الأريكة، بينما جلس مقابلهما.

تحدّث شا روجين بشكل عفوي وقال إنه وصل للتو أيضا. فمع هذا اليوم مضى على تولّيه المنصب ثمانية وعشرين يوما فقط. وخلال هذه الفترة، كان معظم الوقت في الخارج يقوم بأبحاث في كل المدن والمناطق المجاورة ليتعرّف إلى واقع الحال لأنه من دون بحث، لم يكن مؤهلا للتحدث بأي شيء. أومأ هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ برأسيهما وأخرجا دفترا، استعدادا لتدوين الملاحظات. ألمح شا روجين أنه لا حاجة لذلك قائلا: "لا تسجّلا محادثة اليوم، لابأس بأن تحفظاها

في الذاكرة فقط. وكوني الأمين، أعترف أنّ النتائج التي توصلت إليها لا تدعو إلى التفاؤل، وحالة صفوف الكوادر مقلقة. الجماهير ساخطة، وغير سعيدة، وأكثر من ذلك، فخلال هذه الثمانية والعشرين يوما فقط، اندلع حريق غريب على بحيرة غوانغمينغ في جينغتشو وحصلت حادثة "916" سيئة الصيت". قاطع هوى ليانغ بينغ الكلام ليقول إنه شاهد البث الحي في مدينة كنمينغ تلك الليلة، فضرب شا روجين ذراع الأريكة بيده قائلا: "أنت تعي أنها سيئة الصيت، وقد هرب منا نائب عمدة فاسد، هذه هي هدية الاستقبال التي أرسلوها لنا. حسنا إذا، لن نكون مؤدّبين، سوف نأخذ ما أعطوه لنا...".

رأى هوى ليانغ بينغ أنّ رئيس لجنة الحزب الإقليمية يتميز بشخصية قوية. فهو تحدّث بشكل عفوي، لكن لديه مبادئه، ولذا من السهل على الناس تنمية الشعور بالإلفة والثقة به. كان هوى ليانغ بينغ يحب قراءة روايات الكونغ فو في أوقات فراغه، وبدا الأمين شا مثل معلّم تخلّى عن العالم ولديه سلاح لا يقهر في يده رغم أنه كان يحمل فيها غصن زيتون. والأكثر أهمية هو ما حملتْه كلمات الرئيس من معاني: عرف هوى ليانغ بينغ بداهة أنهما في الفريق نفسه ولديهما الروح الوطنية نفسها.

من الواضح أنه تمّ تجاهل جي تشانغ مينغ، وهذا أقلق هوى ليانغ بينغ بعض الشيء. تابع شا روجين كلامه وبدأ العمل - لقد تشاورت قيادة النيابة الشعبية العليا معه بشأن إرسال مدير بالنيابة لمكتب مكافحة الفساد. عبّر الأمين عن امتنانه، كما اقترح إضافة إلى ذلك قائلا: "لا حاجة لمدير بالنيابة، فمدير فعلي هو شيء جيد وحسب".

لم يدرك هوى ليانغ بينغ سوى في ذلك الوقت أنّ رئيس لجنة الحزب الإقليمية الجالس أمامه، والذي لم يلتق به ولم تتقاطع مساراته معه أبدا من قبل، كان في الحقيقة هو الشخص الذي يملك الكلمة الفصل في إدارته، ولم يستطع أن يبعد الشعور بالضيق الذي اعتراه. فطبقا للقواعد الداخلية غير المكتوبة، بشكل عام، الكوادر في إدارات الحكومة المركزية التي ترسل لتولّي مناصب، لا تتولى مناصب رفيعة. ولكي يصبح مدير إدارة تحقيق تابع لمكتب مكافحة الفساد المركزي، مديرا بالنيابة، فهم يخرقون هذه القاعدة مسبقا، ناهيك عن أن يكون مديرا فعليا وعضوا في مجموعة قيادة الحزب التابعة للنيابة.

قال شا روجين بشكل جدي: "أيها الرفيق ليانغ بينغ، سوف تتقلّد منصبا في النيابة الإقليمية، وأنا أرحّب بك بكل صدق بالنيابة عن لجنة الحزب الإقليمية". وقف ليانغ بينغ المتأثر بكلامه وقال: "أيها الأمين شا، شكرا لك وللجنة الحزب الإقليمية لوضع ثقتكم بي". أشار شا روجين بيده قائلا: "اجلس أيها الرفيق شا، اجلس".

لم ينتبه شا روجين سوى في ذلك الوقت إلى أنّ جي تشانغ مينغ كان حاضرا فأشركه بالحديث. قدّم أمين لجنة الحزب الإقليمية لرئيس النيابة ولمدير مكتب مكافحة الفساد بعض الأشياء للذكرى. كان الشيء الأول: "ابتداء من اليوم، ليس هناك سقف فوق عمل مكافحة الفساد. ماذا يعني ذلك؟ أنه بغض النظر عن نوعية الأشخاص المتورطين بالفساد، وبغض النظر عن مستوى الكادر الذي هم عليه، عليكما أن تحققا معهم بشكل شامل. ماذا تفعلان إذا كانوا لا يخضعون لصلاحياتكما القضائية؟ أبلغا عنهم للجنة الحزب الإقليمية واطلبا من الحكومة المركزية التحقيق والتعامل معهم". أمسك جي تشانغ مينغ وهوى ليانغ بينغ بدفتريهما وأخذا يدونان الملاحظات، لم يمانعهما شا روجين هذه المرة. والشيء الثاني: "ليس هناك أرضية أيضا. يجب أن نضرب النمور، لكن يجب علينا أن نضرب الذباب أيضا. ورغم أنّ الذباب صغير الحجم، إلا أنه يقرف الناس وينشر الأمراض، ويؤثر على المناخ الاجتماعي، ولذا ليس هناك أرضية لهم". الشيء الثالث: "ضاعفا الجهود من أجل الإمساك بأولئك المتورطين حاليا بالفساد، لكن لا تتخليا عن المشاكل الماضية أو الفساد السائب. طالما هم فاسدون، حقّقا معهم بشكل شامل. يجب إيجاد أدلة غير قابلة للدحض وفقا للقانون. ليس هناك شيء مثل هبوط آمن، فأنا لا آبه لأي فصيل أو عصابة يتبعون إليها".

خفق قلب هوى ليانغ بينغ بشكل لا إرادي، وفكّر على الفور بالمحادثة التي أجراها مع جي تشانغ مينغ في الطريق إلى هناك. يبدو في ظاهر الأمر أنّ البحث الذي أجراه شا روجين طيلة ثمانية وعشرين يوما لم يكن دون طائل. لدى أمين لجنة الحزب الإقليمية فكرة واضحة مسبقا عن الفصائل في الدوائر البيروقراطية في مقاطعة إيتش، ولذا عليه أن يهتم بنفسه بالمشاكل ويبقي العمل منفصلا عن ارتباطه بأي أساتذة وأي زملاء دراسة من جامعة إيتش. ليس بإمكانه بأي حال من الأحوال ارتكاب ذلك النوع من الخطأ السياسي.

تخطّت الساعة الحادية عشرة عندما عاد. استلقى هوى ليانغ بينغ على سرير سيمونز الوثير في دار ضيافة النيابة الإقليمية، لكن لم يستطع أن يغفو لفترة طويلة لأنّ صورة شا روجين جعلته

يشعر بأنه مدعوم. لكنّ المحادثة أظهرت بعض المخاوف أيضا. من الواضح أنّ شا روجين مستاء من الوضع الراهن لصفوف الكوادر. لم يكن خرق شا روجين للقواعد بأن يجتمع به بالنيابة عن لجنة الحزب الإقليمية مجرد مؤشر دعم وآمال عريضة معلّقة على عمله، ربما هو أيضا نوع من إشارة سياسية لافتة للنظر، إشارة من أجل تخويف الكوادر الفاسدة. أو ربما أرادت لجنة الحزب الإقليمية، والرفيق شا روجين، أن يدع الجميع يعرف أنه يحمل بيده سيفا حادا اسمه هوى ليانغ بينغ! وبدعم من النائب الأول، سيكون عمل هوى ليانغ بينغ أكثر سهولة.

ظهر وجه تساي قونغ المرعوب فجأة في الظلام. ماهي كمية الأدلة التي لم يكشف عنها صديق طفولته بالضبط؟ هل كان قوله إنّ زوجة لي داكانغ، أويانغ جينغ، أخذت رشوة بقيمة مليوني يوان، موثوقا أم لا؟ لم يكن لي داكانغ رجلا عاديا. فهو لم يكن مجرد أمين للجنة الحزب البلدية في جينغتشو، إنه أيضا أحد أعضاء لجنة الحزب الإقليمية الدائمة. في حال وجّهوى السيف على لي داكانغ، فقد يسقطوا قنبلة على الدوائر السياسية في المقاطعة، ولربما حادثة سيارة تشن هاي مرتبطة بتلك الدوائر. تساي قونغ الآن تحت الحماية في دار ضيافة إدارة الأمن العام، هل ربما هذه إشارة مبشرة بالخير في يومه الافتتاحي الكبير؟ لقد أمل هوى ليانغ بينغ أنه بإمساكه بهذا الخيط، قد يتمكن من حلّ هذه الفوضى المعقّدة في جينغتشو ويخوض معركة جيدة منذ البداية.

13

لدى تشي تونغ وى روتين يومي منتظم: يذهب في الساعة السادسة والنصف من كل صباح إلى النادي الرياضي ويتدرّب على الأجهزة المختلفة. وبعد انتهاء تدريبه في السابعة والثلث، يأخذ حماما باردا ويذهب إلى مطعم كانتونيز المجاور لتناول الفطور. حينئذ تأتي سيارة أودي لتقلّه إلى العمل في مكتب إدارة الأمن العام. لم يكن مفهوما أن يذهب شخص إلى النادي الرياضي في هذا الوقت المبكر، لكنها الطريقة الوحيدة ليضمن أنّ لديه وقتا للتمرين. كمدير لادارة الأمن العام، يكون مشغولا للغاية أثناء النهار إذ ليس لديه وقت ليضيعه، وفي الليل عليه أن يستقبل الضيوف بالإضافة لارتباطات اجتماعية أخرى. كذلك يحضر اجتماعات بشكل مستمر ويعمل وقتا إضافيا كي يتعامل مع الحالات الطارئة، ولذا لم يكن بإمكانه أن يتمرن في غير هذا الوقت المبكر. كان صديقا لمالك النادي الرياضي الذي يعامله معاملة خاصة ويزوّده بمدرّبة علاج طبيعي جميلة كي تفتح الباب له وتحييه في الصباح الباكر ومن ثم تشرف على تدريبه وتبقى معه خلال فترة تمارينه.

بسبب التدريب على المدى الطويل، فإنّ تشي تونغ وى اكتسب لياقة بدنية تفوق فيها على أقرانه. كان يبدو كلاعب كمال أجسام بعضلات بطنه الرائعة ووضوح معالم ذراعيه وفخذيه وخصره ومؤخرته. وإلى جانبه تقوم مدربته الجميلة بكيل المديح عليه لتغذية كبريائه ولزيادة متعته. كان المثل الأعلى لرجل في متوسط العمر - لياقة بدنية هائلة وطاقة مذهلة ومنصب رفيع كلها موجودة في شخص واحد، مما جعله يشعر أنّ الحياة رائعة.

تساءل اليوم وهو يرفع الأثقال لماذا تبدو خفيفة جدا، فبإمكانه رفعها دون جهد يذكر. وكأنّ بإمكانه رؤية سخط لي داكانغ فلم يستطع سوى الرغبة بالضحك. لقد أظهر الأمين القوي معدنه الحقيقي أخيرا، وسيجد أنه من الصعب الهرب. فقد لاذ ذراعه الأيمن دينغ يجن بالفرار، وتلقّت

زوجته رشوة من تساي قونغ الذي هو الآن تحت حماية تشي تونغ وى. برأيه المهني، شكّل هذا سلفا سلسلة متكاملة تماما من الأدلة، وأثبتتْ هذه الأدلة حدوث قضية تواطؤ في جينغتشو، من الرأس المدبّر؟ ألم يكن أمين لجنة الحزب البلدية، الرفيق لي داكانغ؟ هل اعتقد أنّ بإمكانه الخروج من الوحل دون أن يلوّث؟ وحده الأحمق يصدق ذلك. ولذا غير لي داكانغ النهج المتبّع وأرسل إليه المدير تشاو دونغلاي من مكتب الأمن العام طالبا تساي قونغ.

في الواقع، كانت ماهية شعور تشي تونغ وى بلي داكانغ معقّدة نسبيا. فهو يأمل باستخدام عضو لجنة الحزب الإقليمية الدائمة كرافعة من أجل أن يصبح نائب محافظ، لكنه تطلّع قدما وبكل صدق إلى زوال لي داكانغ. لكن بحسب الوقائع، لم يكن قادرا بالضرورة على استخدام تلك الرافعة. فخلال اجتماع لجنة الحزب الإقليمية الدائمة الماضي، أفشى لي داكانغ أمام أستاذه قاو يوليانغ وبشكل غير متوقّع قصة قديمة عن بكاء تشي تونغ وى فوق قبر أحدهم، واستهزأ به أمام القيادة. كم هذا أمر مشين للغاية. لحسن الحظ، قدّم أستاذه تفسيرا بالنيابة عنه، ولم يصوّت على ترقيته بشكل واضح بما أنهم جمّدوا كل ترقيات الكوادر.

لم ينكر تشي تونغ وى أبدا أنه كان طموحا. أولئك الطموحون لديهم جرأة. قال نابوليون في إحدى المرات: "الجندي الذي لا طموح لديه بأن يكون جنرالا ليس جنديا جيدا". كان أولئك الناس من ذوي الطموح والقدرة موارد اجتماعية محدودة. مسحت الفكرة الابتسامة من على وجه تشي تونغ وى وجعلته يندم على الإصغاء لأستاذه ومساعدة زميل دراسته القرد في حماية تساي قونغ. بهذه الوتيرة، قد يتعارك مع لي داكانغ؟ هل بإمكانه تحمّل معركة في الوقت الحالي مع لي داكانغ، عضو لجنة الحزب الإقليمية الدائمة؟ كلا، لا يستطيع. يجب على مدير الإدارة القيام ببعض الحساب الذهني أولا: ما الذي سيحصل بشكل أسرع؟ سقوط عضو اللجنة الدائمة لي، أو تفتيش الكوادر الموظفين القادم؟ سوف يناضل من أجل مصلحته الفضلى مهما تكن. وبذلك، أصبح كل شيء في مكانه الصحيح داخل عقله. المكسب السياسي هو كل ما كان مهما. حتى لو سقط عضو اللجنة الدائمة لي مبكرا، فليس هناك حاجة لتشي تونغ وى كي يقف إلى جانبه السيئ ليقوم فقط بما هو في مصلحته الفضلى. ففي النهاية، يعرف الرجل الحقيقي كيف يعطي ويأخذ.

على إثر ذلك، قرر تشي تونغ وى الوصول إلى تسوية مع لي داكانغ الذي كان حتى ذلك الوقت عضوا في لجنة الحزب الإقليمية الدائمة التابعة للحزب الشيوعي الصيني في مقاطعة إيتش.

بعد دخوله مكتبه، اتصل مباشرة بمدير مكتب الأمن العام تشاو دونغلاي وأخبره أنّ النيابة الإقليمية خبّأت تساي قونغ في دار الضيافة التابع للأمن العام من دون علمه. ثم اتصل بسكرتير لي داكانغ وأخبره أن يقول للأمين لي إنّ إدارة الأمن العام الإقليمية ليست ملاذا للمجرمين على الإطلاق، كي لا يسيء الأمين لي الفهم. أخيرا، اتصل بمدير المكتب، وشرح له الوضع باقتضاب، ثم أعطاه التعليمات قائلا: "في حال أتتْ النيابة الإقليمية لأخذه، دعها تفعل ذلك، وإذا أتى مكتب الأمن العام البلدي للقبض عليه، دعه يفعل ذلك. وفي حال ظهر رجال النيابة الإقليمية ومكتب الأمن العام البلدي التابع لتشاو دونغلاي في الوقت نفسه وتصارع الطرفان، لا يسمح لأي أحد في الإدارة الإقليمية أن يحرّك ساكنا، سأجعلك مسؤولا عن هذا الوضع". بعد قوله ذلك، أغلق هاتفه وغادر المكتب كي يختبئ.

لقد أدّت التسوية التي قام بها تشي تونغ وى ومن ثم اختباؤه إلى كثير من المشاكل فيما بعد...

في الوقت الذي وقفت فيه عربة نقل النيابة أمام باب المبنى الرئيسي لدار ضيافة إدارة الأمن العام، وصلتْ سيارتي شرطة تابعتين لمكتب الأمن العام البلدي إلى الباب الخلفي لدار الضيافة. وبما أنّ لي داكانغ كان مهتما جدا بشأن تساي قونغ، الرجل المسؤول عن حريق "916"، لم يجرؤ تشاو دونغلاي على أن يكون مهملا، وأتى شخصيا للإشراف على العملية. كانت لو ييك في مقدمة فريق النيابة، ورغم أنها لم تكن تعرف من الذي يتخذ القرار من خلف الكواليس وينصب فخا، إلا أنها عرفت أنّ المهمة هذه المرة غير عادية وأنّ الوضع مضطرب. أوضح هوى ليانغ بينغ بشكل جلي قبل بدء العملية أنّ تساي قونغ مخبر وشاهد أساسي، ولذا لا يمكنه الوقوع بين يدي مكتب الأمن العام البلدي، لم يكن الوضع الحالي مطمئنا عندما وصلت سيارات مكتب الأمن العام البلدي، صعدت لو ييك ورجالها المصعد نحو الطابق الثاني عشر، ومشت بسرعة باتجاه باب غرفة تساي قونغ، ثم دخلت بعد أن أظهرت وثائق تفويضها للضابط الذي يحرس الباب.

كان تساي قونغ يجلس على السرير، وهو ملتف بالبطانيات كليا ورأسه بارز فقط، ينظر هنا وهناك مثل فأر مرتعب. ما إن دخلت لو ييك الغرفة، أشار تساي قونغ إلى خارج النافذة وقال: "جثمت بجانب النافذة منذ الفجر بانتظار قدومكم. هل تعرفون جميعكم أنّ ضباط شرطة البلدية كانوا يراقبون الباب طيلة الوقت؟". لم يكن لدى لو ييك الوقت لتتحدث، فحثّته بوجه متحجّر على

الاستعجال. رمى تساي قونغ البطانيات عنه، وقفز عن السرير لينتعل حذاءه، ثم تمتم قائلا: "هوى ليانغ بينغ هو من أرسلك، صحيح؟ أنت أملي الوحيد الآن...".

سمع دوي رعد من خلال الهواء، وارتفعت عاصفة رعدية إلى الأعلى نحو غير متوقّع. تحدّت لو بيك وفريقها المطر فعبروا الفناء ثم ركبوا في العربة. كانت العربة قد وصلتْ إلى البوابة الأمامية عندما حجزتْها سيارتا شرطة تابعتان للأمن العام.

قفزت لو بيك من السيارة كي تتفحّص سيارتي الشرطة، لكنّ أحد الضباط منعها من ذلك. عرفتْ لو بيك الضابط، كان الكابتن تشين من مكتب الأمن العام في جينغتشو. أخرجت وثائق تفويضها، كما أخرج الكابتن وثائقه أيضا. كانت بمهمة رسمية، وكذلك ادعى الكابتن أنه بمهمة رسمية أيضا. لم يتزحزح أي من الجانبين إنشا واحدا، وكلاهما حاول الخروج بشكل عقلاني. أخبر الكابتن تشين لو بيك أن تأخذ إفادة تساي قونغ في مركز الاحتجاز البلدي. لكنّ لو بيك سخرت منه قائلة: "ماذا لو غفا تساي قونغ في مركز الاحتجاز البلدي الخاص بكم وحدثت له أزمة قلبية؟ من سيتحمّل المسؤولية؟".

أوضحت لو بيك الأمر بشكل جلي بأنها تريد منع أي أحد من محاولة إسكات مخبرها وشاهدها الرئيسي عبر قتْله. كذلك أخرج الكابتن تشين كل شيء للعلن قائلا: "مخبرك وشاهدك الرئيسي هذا، متهم بجرائم تتعلّق بحادثة ذات مسؤولية أمان رئيسية ويستخدم طرقا خطيرة تعرّض الأمن العام للخطر. في الوقت الحالي، هو الرقم واحد على لائحة المطلوبين لمكتب الأمن العام، ولذا من المستحيل أن تأخذيه إلى النيابة. أيتها الرئيسة لو، أنا متأكد من أنك سمعت عن الحادثة "916"، صحيح؟. ثمة الكثير من الضحايا، وكان لها تأثير مروّع على المجتمع...".

تغطّت السماء بغيوم سوداء، وتحوّل النهار إلى الغسق في الضوء الخافت. انهمر المطر فجأة بغزارة، وكأنّ ثقوبا لا تعدّ ولا تحصى قد ثقبتْ في السماء. لم يكن هناك مارة في الشارع، فمن هو الذي يذهب للنزهة في طقس كهذا؟ انهمر المطر وانتشر رذاذه فوق الرصيف، مثل أقزام صغيرة ترقص بمرح، لكنّ مشهد أشجار الصفصاف كان مثيرا للشفقة، فقد تبعثرت وتساقطت أوراقها وغلب عليها الحزن على ما يبدو...

بدا مكتب الأمن العام والنيابة في حالة أزمة. وقفا وجها لوجه تحت الأمطار الغزيرة، وشكّلا مشهدا رائعا. كان شعر لو بيك يتقطّر ماء جراء المطر الذي ينهال على وجهها. كذلك تبلل الضابط تشين من رأسه حتى أخمص قدميه، لكنه وقف سادا سيارة النيابة دون أن يستسلم. لقد أدرك كلا الطرفين جسامة مسؤوليتهما، لذا لم يكن أي منهما مستعدا للتخلّي حتى ولو عن إنش واحد، ولا أن يدخلا في نزاع أيضا. ففي النهاية، لا يمكنهما التسبّب بمشكلة بينما يتنافسان على أحد المتهمين. لم يكن لديهما خيار سوى التماشي مع الوضع، ولبثا يأخذان حماما ممتعا في الهواء الطلق.

كاد صبر لو بيك أن ينفد، ولم يكن لديها خيار سوى أن تطلب من مرؤوسيها الاتصال بهوى ليانغ بينغ مرة بعد أخرى لطلب التعزيزات.

كان هوى ليانغ بينغ في مكتب رئيس النيابة جي يجري مناقشة ولم يتوقّع أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه بهذه الطريقة.

بعد تلّقي اتصال لو بيك لطلب المساعدة، اتصل هوى ليانغ بينغ بسرعة بهاتف تشي تونغ وى الخلوي، لكن فجأة لم يكن ممكنا إيجاده في أي مكان. قال مدير مكتبه: "لقد غادر المدير تشي إلى بكين في وقت مبكر من هذا الصباح كي يحضر احتفالا وطنيا لتقديم الجوائز الخاصة بتطبيق قوانين مكافحة المخدرات إلا أنه لم يكن متأكدا من موعد عودته". أغلق هوى ليانغ بينغ الهاتف وهو يشتم تشي تونغ وى قائلا: "النذل، أنا وذلك المدير اتفقنا بوضوح على أن نحضر تساي قونغ هذا الصباح، والآن يرتكب حماقاته. هل يحاول خداعي؟ هل من الممكن أن يخدع حتى زميل دراسة قديم، يا له من منحط".

قال جي تشانغ مينغ بلا مبالاة: "لم تأت الإدارة الإقليمية لإيقافك، إذا كيف يمكنك أن تقول إنّ المدير تشي قد خدعك؟ الرجل مختبئ لكي يتجنّب المواجهة وحسب. فلو أراد الترقية في الوظيفة، لن يجرؤ على الاصطدام مع لي داكانغ".

قطّب هوى ليانغ بينغ حاجبيه وقال: "يا رئيس النيابة جي، أليس هذا الأمر كله مستغربا جدا؟ لماذا يكون لي داكانغ مهتما جدا بتساي قونغ؟ هل للأمر علاقة بمحتوى إفادة تساي قونغ؟". بعدئذ، تساءل جي تشانغ مينغ قائلا: "يا ليانغ بينغ، هل ذكر تساي قونغ بوضوح على الهاتف أنّ

زوجة لي داكانغ قبلت رشوة؟". رفع هوى ليانغ بينغ هاتفه قائلا: "لقد سجّلت المكالمة كدليل. يا رئيس النيابة جي، هلاّ أصغيت -".

صدر صوت تساي قونغ المميز من سماعة الهاتف الخلوي.

بعد الاستماع إليه، مشى جي تشانغ مينغ نحو النافذة وهو غارق في التفكير. وبعد لحظات، اقترح على هوى ليانغ بينغ التفكير بالأمر بطريقة مختلفة. إذا كان هناك حقا مشكلة مع زوجة لي داكانغ، ونتيجة لذلك حاول لي داكانغ السيطرة على تساي قونغ لأجل إسكاته، إذا ألا يوفر ذلك فرصة لهما للتحرك قدما بالتحقيق؟ اعترف هوى ليانغ بينغ أنّ الفكرة خطرت على باله لكنها كانت خطيرة جدا. ماذا لو وقع تساي قونغ في أيديهم وقتل؟ والأكثر من ذلك، أنّ تساي قونغ هو صديق طفولته، كم سيكون الأمر صعبا عليه...

رفع جي تشانغ مينغ يده قائلا: "حسنا، انتظر لحظة، ماذا قلت؟ تساي قونغ هو صديق طفولتك؟".

"نعم، كنا زميلي دراسة في المدرسة الابتدائية..." ثم أدرك هوى ليانغ بينغ فجأة فأضاف: "أوه، يا رئيس النيابة جي، برأيك هل علي أن أبتعد عن هذه القضية؟".

أجاب جي تشانغ مينغ: "بالطبع أنت بحاجة للنأي بنفسك. ألن يكون الأمر خطيرا إذا لم تنأ نفسك عن هذا الأمر؟ ألن يثيروا ضجة حوله؟".

"حسنا، حسنا، إذا سأنأى بنفسي طبقا للقواعد. اجعل لو ييك ورجالها من الفرقة الأولى يتولون الأمر من البداية إلى النهاية".

عندما كان يقول ذلك، رنّ جرس الهاتف على الطاولة. رفع جي تشانغ مينغ السماعة وأصغى. يريد المدير تشاو دونغلاي من المكتب البلدي رؤيته، وقد وصل مسبقا إلى النيابة. ما الشيء الآخر الذي من المحتمل أن يتمكن جي تشانغ مينغ من فعله سوى أن يدعه يأتي إلى المكتب؟ ولدى سماعه هذا، لم يستطع منع نفسه من أن يكون متفاجئا فقال: "حسنا، هل يسعك الاهتمام بذلك، إنه يضغط علينا في كل خطوة". لكنّ جي تشانغ مينغ حذّره قائلا: "كن لطيفا وناقش الأمور. لا تستفزه، فتشاو دونغلاي رفيق مستقيم".

دخل تشاو دونغلاي خلال لحظات. ولدى رؤيته لجي تشانغ مينغ، وقف باستعداد وأدى إليه التحية، حتى أنه قال عبارة "المفوّض الكبير". كان جي تشانغ مينغ فيما مضى المفوض السياسي لمكتب الأمن العام البلدي في جينغتشو. تصافح المفوض الكبير والمدير الحالي. قال تشاو دونغلاي بتهذيب: "أنا آسف جدا أيها المفوض الكبير، لأن آتي وأزعجك بشأن قضية محدّدة. وبعبارة أدق، يجب علي حقا أن لا أفعل". قال جي تشانغ مينغ: "لابأس، في الحقيقة، كنت أودّ اللقاء بك منذ فترة لكي أوضّح الوضع". وبقوله ذلك، التفت وقدّمه إلى مدير مكتب مكافحة الفساد المعين حديثا، هوى ليانغ بينغ.

ما إن التقتْ أعينهما، حتى اتخذ كلاهما جانب الحذر. ففي النهاية، أتيا معا كنتيجة للقتال حول تساي قونغ. أظهر تشاو دونغلاي الكثير من الود عبر مصافحته مع هوى ليانغ بينغ فقال: "لقد سمعت الكثير عنك، ألست لوحدك من قام بحل قضية الفساد الكبيرة تلك والتي تورط فيها أحد المسؤولين الصغار في بكين؟ حتى أنها أرعبت نائب عمدتنا". أجاب هوى ليانغ بينغ بسؤال ملغوم: "ألم يتنفس الكثير من كوادر جينغتشو الصعداء مع هروب دينغ يجن؟". أجاب تشاو دونغلاي بصراحة: "ربما كذلك، لكن يجب رمي أولئك في السجن، وسيكونون هناك في نهاية المطاف، إنها مسألة وقت فقط...".

اقترح رئيس النيابة جي تشانغ مينغ عليهما العودة إلى الموضوع قيد البحث وأن يعبّر هوى ليانغ بينغ أولا عن فكرة النيابة. قبل فترة قصيرة فقط، ناقش هوى ليانغ بينغ تسوية محتملة مع جي تشانغ مينغ، فكشف عنها برمتها قائلا: "نحن في الأمن العام والنيابة العامة والأقسام القضائية، جميعنا جزء من عائلة واحدة كبيرة، ولذا لا يجب أن نكون على خلاف مع بعضنا بعضا. يستطيع تساي قونغ أن يبقى حيث هو، وسيقوم مكتب مكافحة الفساد باستجوابه في دار ضيافة الأمن العام. مدة الوقت: أربع وعشرون ساعة. عندما ينتهي الاستجواب بعد أربع وعشرين ساعة، يمكن لمكتب الأمن العام البلدي أن يتّبع الإجراءات ويضعه رهن الاعتقال". فكّر تشاو دونغلاي بالأمر للحظات ثم عبّر عن موافقته بعد ذلك بوقت قصير. سأل هوى ليانغ بينغ متعمدا فقال: "أيها المدير تشاو، هل تحتاج لطلب إذن من الأمين لي من لجنة الحزب البلدية؟". ومن دون أي تفكير، أجاب تشاو دونغلاي: "لا حاجة لذلك، فالاستمرار في هذا الطريق المسدود ليس حلا. خطّتك معقولة تماما. وعلى الأغلب سوف يتفهم الأمين لي الأمر".

حل النزاع بهذه البساطة، حلّ النزاع. كان الأمر أكثر سهولة مما توقعه هوى ليانغ بينغ، الذي تنفس الصعداء. وبينما كانا في طريقها للخروج من المكتب، نظر هوى ليانغ بينغ في عيني تشاو دونغلاي، ثم مدّ يده وصافح تشاو دونغلاي وهو يشكره. لقد ترك المدير الشاب والقدير من مكتب الأمن العام انطباعا جيدا لدى هوى ليانغ بينغ.

لم تكن التسوية خبرا جيدا بالنسبة إلى تساي قونغ الذي تمّ اصطحابه مرة أخرى عائدا إلى الغرفة في دار الضيافة. لقد تحوّل إلى شخص مختلف، وأخذ يرتجف من الخوف، وتعابير القلق والسخط بادية على وجهه. قفز إلى السرير وجلس هناك، غير مهتم أبدا بملابسه المبللة، ثم لفّ نفسه بإحدى البطانيات بشكل محكم ولم يظهر سوى وجهه المذعور. كانت عيناه تتحركان جيئة وذهابا في ترقّب لكل ما يحيط به، والشامة الكبيرة بجانب أنفه ترتعش مظهرة خوفه الداخلي. كاد رجال الشرطة التابعين للي داكانغ أن يسدّوا الباب هناك، مما أظهر أن الموقف على شيء من الخطورة. إذا لم يتمكن هوى ليانغ بينغ من أخذه أمان النيابة العامة، فقد خشي من أن يكون سائرا نحو طريق مسدود...

طالب تساي قونغ برؤية هوى ليانغ بينغ مرارا وتكرارا. فوضّحت له لو ييك بصبر أنه لكونه زميل دراسة مع هوى ليانغ بينغ، فهو ملزم بأن يظل بعيدا عن القضية. قال تساي قونغ: "إذا خذيني إلى النيابة، لا أريد البقاء هنا". قالت لو ييك بنفاد صبر: "لا أحد منا يريد البقاء هنا، لكنّ الشرطة التابعة لمكتب الأمن البلدي لن تسمح لنا بالمغادرة. هل من خيار آخر لدي؟".

أحضرت الشرطة التابعة لإدارة الأمن العام بعض الملابس الجافة من أجل تبديل ملابسهم المبللة. حثّت لو ييك تساي قونغ قائلة إنه يجب عليهم استغلال الوقت على أفضل وجه حتى يتمكنوا من أن يبدأوا على الفور. لكنها كانت تتعرّق من الداخل، فليس لديهم سوى أربع وعشرين ساعة.

حدث الاستجواب في غرفة اجتماعات صغيرة في الطابق الخامس من دار الضيافة. تمّ جلب بعض معدات الصوت والصورة بشكل مؤقت إلى هناك من النيابة وجهّزت بسرعة. وقف تساي قونغ مواجها للكاميرا وهو يتحدث مدليا بإفادة رسمية.

في البداية، بدا أنّ كل شيء يحصل بسلاسة، وعندما طلبتْ لو ييك منه الكلام، بدأ بالحديث. لكنّ عينيه كانتا دائمتي الحركة مضطرب الفكر ساهما، وكأنّ الحياة قد سحبت منه. لم يكن صوته

مستقرا فقال: "هذه قضية احتيال، فقد اتفق بنك جينغتشو سيتي ومجموعة شانشوي على تدمير مصنع دافنغ للألبسة الخاص بي. لقد خدعتْنا قاو شياو تشين، وساعدتْها أويانغ جينغ. لقد قاموا جميعهم بخداعنا...".

طلبتْ لو بيك من تساي قونغ بلطف أن يكون أكثر تحديدا فقالت: "من هم؟ ما هي الإجراءات التي اتخذوها بالضبط؟ كيف ارتكبوا عملية الاحتيال؟". لكنّ تساي قونغ لم يتكلم، وأصرّ على رؤية هوى ليانغ بينغ قائلا إنه سيتكلم فقط مع صديق طفولته، مديرهم. سكبتْ لو بيك كوبا من الماء وأعطتْه لتساي قونغ وطلبتْ منه أن يستجمع قواه.

أخذ تساي قونغ رشفة ماء من الكوب الورقي، ويده تهتز قليلا. بدا واضحا له أنه حالما ينهي الإدلاء بشهادته عن أويانغ جينغ، سوف يسلّمه رجال النيابة إلى المكتب البلدي. وعندها سوف يقع بين يدي لي داكانغ، أليس لي داكانغ عمليا هو من يدير مركز الاحتجاز التابع لمكتب الأمن العام البلدي؟ لقد بلّغ تساي قونغ للتو عن زوجة الرجل، ألن يقوم جماعة مركز الاحتجاز بقتله بمجرّد نظرة واحدة ذات مغزى باتجاهه؟ لذا كان كل ما بإمكانه فعله هو المماطلة. إذا لم تتمكن النيابة من الحصول على إفادة، عندئذ لن يسلّموه. بتلك الطريقة، هناك فرصة له كي يرى صديق طفولته هوى ليانغ بينغ. اعتقد تساي قونغ أنّ الوضع سيتحسّن في حال تمكّن من رؤية صديق طفولته.

كونه تنقل بين مكان وآخر على مرّ السنين، فقد تمكّن تساي قونغ من صقل مهاراته التمثيلية. فها هو الآن يرتجف، وأسنانه تصطك وكأنه أصيب فجأة بالملاريا: "أنا... أنا أخبرت المدير هوى ليانغ بينغ بكل شيء أردت قوله عبر الهاتف، اذهبوا... اذهبوا واسألوه، لا أستطيع فعل ذلك... أنا حقا لا أستطيع...". كانت لو بيك على وشك الجنون بسبب تصرفاته الغريبة فقالت: "تساي قونغ، ما المشكلة؟ هل تشعر بالمرض؟". مسح تساي قونغ العرق عن جبينه الذي انهمر وهو يرتجف ثم قال: "عندي ارتجاج في الدماغ... أشعر بالدوار... هل بإمكانك أن تدعيني أنام أولا؟ أنا مصاب بالدوار، دوار شديد...".

لم يكن أمام لو بيك خيار آخر، فكل ما كان بإمكانها أن تفعله هو الطلب من المحقق الآخر المشارك في الاستجواب، تشاو تشينغ، أن يرافق تساي قونغ إلى غرفته كي يرتاح. لدى دخوله الغرفة، ارتمى على السرير بثيابه. توقف تساي قونغ عن الارتجاف وواجه الجدار بعينين

مفتوحتين، مستغرقا في التفكير. لم يستطع تشاو تشينغ إبقاء عينيه مفتوحتين فأخذ يشخر خلال دقائق.

اتصلتْ لو بيك بجي تشانغ مينغ، واقترحت ترك هوى ليانغ بينغ يأخذ دورا في الاستجواب، لكنّ جي تشانغ مينغ خشي من أنّ ذلك سيعطي تساي قونغ اليد الطولى، فرفض الاقتراح مباشرة. طلب منهم التغلّب على المشكلة والبقاء في حالة الهجوم. كانت لو بيك قلقة فقالت: "تساي قونغ مستلق على السرير لينام. ما الذي يفترض بنا فعله؟ الوقت ينفد منا رويدا رويدا، وليس لدينا سوى هذه الأربع والعشرين ساعة فقط. لا يسعنا تضييعها".

تردّد جي تشانغ مينغ للحظة ثم قال بعد طول تفكير: "حسنا، دعيني أفكر بالأمر أكثر...".

بينما كان يتناول طعام الغداء ظهرا في الكافتيريا، سأل جي تشانغ مينغ، هوى ليانغ بينغ عن تساي قونغ. وضّح هوى ليانغ بينغ أنّ تساي قونغ كان شخصا ضائعا في البداية. فعائلته فقيرة وأمه ماتت في وقت مبكر، أما أبوه فقد كان عنيفا ولم يهتم بشيء، إلا أنه كان ينهال على ابنه بالضرب تأديبا. لطالما نسخ تساي قونغ فروضه المدرسية من هوى ليانغ بينغ وبالكاد نجح في التخرج من المدرسة.

كان يتعارك مع زملائه بصورة يومية، فمرة شقّ طريقه بين الطلاب وهم موجودون في الصف، وتعارك مع طلاب من الصفوف العليا. وعندما لا يستطيع ضربهم، يقوم بمسح مخاطه عليهم ثم يلوذ بالفرار. قاطعه جي تشانغ مينغ كي يختصر الحديث فقال: "إذا فطباع تساي قونغ مثل طباع مشاغب وقح؟". قال هوى ليانغ بينغ: "هذا صحيح، وأظن أنه كان من الصعب على لو بيك أن تتعامل مع مثل هذه الطباع الهمجية الفظة. نأيت عنه وخبأت وجهي وتركته أربعا وعشرين ساعة، ولم أوقظه فبإمكانه أن يبقى نائما". أبدى جي تشانغ مينغ تحفظاته قائلا: "وبإمكانك التعامل معه إذا رأيته؟". أجاب هوى ليانغ بينغ بملء الثقة: "بالطبع أستطيع. منذ أن كنا صغارا، كان الوضع دائما هو أنّ القرد يأكل الفطيرة. الأمر محسوم معه". دفع رئيس النيابة جي طبقه جانبا وقال: "حسنا إذا، دعنا نذهب. لا حاجة للقلق فيما إذا نأيت بنفسك أم لا...".

عندما وصلا إلى دار ضيافة إدارة الأمن العام، توقف مطر الخريف الذي كان يسقط طوال الصباح، وظهر قوس قزح عبر الأفق. كان منظرا نادرا... قوس قزح فعلا بعد مطر الخريف،

توقف العديد من المارة ليحدّقوا إليه، وأخذ الصغار يلتقطون الصور بهواتفهم. لم يكن قوس قزح واضحا كثيرا، ولم تكن الألوان السبعة جميعها مميزة. لكنّ اللون الأحمر والأزرق والبنفسجي والأصفر كان آخاذا، إلا أنه ظلّ يبدو مثل جسر مشاة زاهي الألوان، مبهجا وممتعا في آن واحد.

نظر هوى ليانغ بينغ نحو السماء وصفّر بإعجاب قائلا: "لم أر مثل هذا منذ سنوات، هناك آثار من ذلك في ذكريات طفولتي فقط. في إحدى المرات، ذهبت أنا وتساي الفطيرة إلى بحيرة غوانغمينغ لصيد السمك بأيدينا...". شدّه جي تشانغ مينغ إليه قليلا حتى لا يسترسل في كلامه وقال: "حسنا، دعك الآن من العاطفة. أنا أرافقك من أجل تجنّب إثارة الشكوك فقط، ولايزال لدي اجتماع هام فيما بعد". ودّع هوى ليانغ بينغ قوس قزح على مضض ثم تبع رئيس النيابة جي إلى داخل ردهة دار الضيافة.

ما إن رأى تساي قونغ، هوى ليانغ بينغ، اختفت كل أمراضه. قفز من السرير وصرخ: "أوه، أيها القرد، أتيت أخيرا، لقد كنت متأكدا من أنك ستأتي. من نحن بالنسبة لبعضنا بعض؟ أصدقاء طفولة".

قال هوى ليانغ بينغ بوجه هادئ: "لا أريد أيا من عبارات (ملك القرود) و(تساي الفطيرة) هذه. يجب أن ننفّذ العمل الرسمي بطريقة رسمية، هل تفهم ذلك؟".

أظهر تساي قونغ ضبط النفس على الفور وقال: "نعم، نعم، فهمت ذلك. بالطبع علينا تنفيذ العمل الرسمي بطريقة رسمية".

أخرج هوى ليانغ بينغ إحدى المحافظ البلاستيكية، وكان داخلها فطيرة لحم ساخنة اشتراها من كافتيريا النيابة. وضعها أمام تساي قونغ وطلب منه أن يأكل، ثم قال إنهم سيبدأون بالاستجواب بعد انتهائه من الطعام. من دون تردد، أمسك تساي قونغ بالفطيرة وأكلها. بينما كان يأكل ويشرب، صرخ قائلا (قرد) مرة أخرى. حذّره هوى ليانغ بينغ ووبّخه على الفور قائلا: "هذا ليس منزلك. في حال ظهرت حتى ولو كلمة (قرد) أو(فطيرة) مرة واحدة في فيديو الاعتراف الخاص بك، فإن ذلك سوف يفسد كل الاستجواب".

بعد الانتهاء من الغداء، عادا إلى غرفة الاجتماعات الصغيرة مرة أخرى، بدا وكأنّ تساي قونغ كان شخصا مختلفا كليا. لم يخف شيئا وهو أمام هوى ليانغ بينغ ولو بيك، وبقي يثرثر مطولا،

حتى أنه لم يتأتئ في كلماته...

بحسب كلام تساي قونغ، كان انهيار مصنع دافنغ بسبب امتناع بنك جينغتشو سيتي عن منح القرض لهم. وكان الشخص الذي لعب دورا حاسما في هذا هو الشخص المسؤول عن الائتمان في البنك، نائب الرئيس أويانغ جينغ. عندما أراد تساي قونغ أخذ قرض، كان كل ما عليه فعله هو إعطاء كمية معينة من الحوافز لأويانغ جينغ. في كل مرة، كان هناك بطاقة بنكية فيها خمسمائة ألف يوان. هناك أربع رشى بالإجمال، وصلت قيمتها إلى مليوني يوان بالضبط. وفي معظم الأحوال، كان الإطار الزمني من نهاية شباط حتى بداية آذار في كل عام، لكنه لم يستطع تذكّر التواريخ بدقة. لقد حدثت الرشوتين الأوليين في مكتب أويانغ جينغ، والأخيرتين في منزلها.

سأل هوى ليانغ بينغ: "منزل أويانغ جينغ، هل هذا منزل أمين لجنة الحزب البلدية، الرفيق لي داكانغ؟".

هزّ تساي قونغ رأسه نافيا وقال: "لم يكن منزل أمين لجنة الحزب البلدية الخاص بهما، بل الفيلا الخاصة بهما في المجمّع السكني المغلق والخاص بالحدائق الفاخرة الإمبراطورية". في الحال، وضّحت لو ييك التي حافظت على رباطة جأشها لهوى ليانغ بينغ بأنّ الحدائق الفاخرة الإمبراطورية التي ذكرها تساي قونغ هي مجمّع سكني ذو أسوار عالية في جينغتشو. كذلك حافظ هوى ليانغ بينغ على رباطة جأشه وطلب من تساي قونغ أن يتابع كلامه.

كانت البطاقات البنكية باسم والدة تساي قونغ، تشانغ غويلان، وفي كل مرة يمنح فيها أويانغ جينغ بطاقة بنكية، كان يعطيها الرقم السري. وبإمكان أويانغ جينغ استخدام الرقم السري لسحب النقود من الصراف الآلي، أو بإمكانها استخدام الرقم السري وتوقّع باسم تشانغ غويلان في أي متجر من أجل أي عملية شراء. لقد حفظ تساي قونغ بشكل واضح تفاصيل الرشى عن ظهر قلب منذ زمن طويل.

"تساي قونغ، إذا كنت ترشوها بكمية معينة كل سنة عندما تأخذ قرضا، إذا لم قد ترفض أويانغ جينغ القرض فجأة؟ هذا ليس منطقيا". أصاب سؤال هوى ليانغ بينغ لبّ الموضوع.

استقام تساي قونغ في جلسته، وبدا يطغى على صوته نوع من الرنين فجأة فقال: "هذا بالضبط ما أودّ الحديث عنه، أيها المدير هوى، أعتقد أنّ شخصا ما قدّم لها عرضا أفضل. وهذا

بسبب أنّ أويانغ جينغ أخذت رشوة تفوق الخمسمائة ألف، رشوة كبيرة جدا أشعرتْها بالقلق، فرفضت قرضي، لا يمكن لظني هذا أن يكون بعيدا جدا عن الصواب".

كان استنتاجا صادما، لكن مع ذلك، حافظ هوى ليانغ بينغ على رباطة جأشه وقال: "أعطنا حقائق، وليس تكهنات".

"حسنا، حقيقة الأمر هي أنّ قاو شياو تشين، رئيسة مجموعة شانشوي، استعملت طريقة (الجسر) من أجل أن تقرض خمسين مليونا لمصنع دافنغ الخاص بنا. ولقد اتّفق بذلك على أنه بإمكاننا استخدامها مدة ستة أيام بمعدّل فائدة يومية مقدارها 1.004 بالمئة، واستخدم مصنع دافنغ أسهم الشركة كضمان. طالما سيمنح قرض بنك سيتي، إذا بإمكان مصنع دافنغ أن يعيد قرض الخمسين مليون يوان المرحلي والخاص بمجموعة شانشوي بعد ستة أيام، وستكون أسهمنا بأمان أيضا. لكنّ أويانغ جينغ تراجعت فجأة عن وعدها، ولم تعطنا قرض الثمانين مليون يوان المتفق عليه، لقد ارتفع القرض ذو الفائدة العالية والخاص برئيسة مجموعة شانشوي، قاو شياو تشين من خمسين مليونا إلى ستين مليونا إلى سبعين مليونا إلى ثمانين مليونا. وبعد مضي نصف عام، قامت المحكمة طبقا لاتفاق الضمانة، بمنح الأسهم التي استخدمناها كضمان إلى رئيسة مجموعة شانشوي، قاو شياو تشين فوضعت مصنعنا دافنغ على قارعة الطريق كي يتدمّر...". كلما طال حديثه، أصبح تساي قونغ أكثر اهتياجا. لم يكن بإمكانه الجلوس ساكنا وحاول الوقوف وترك تصوير الفيديو.

أوقفه هوى ليانغ بينغ في اللحظة المناسبة وقال: "تساي قونغ، لا تفقد أعصابك. اجلس وتحدّث، إذا لم توافق أويانغ جينغ على طلبك القرض من بنك سيتي، ألم يكن بإمكانك الذهاب إلى بنك آخر؛ مثل بنك الصين الصناعي والتجاري أو بنك الصين؟ وهناك أيضا البنوك ذات رأس المال المشترك. هناك الكثير من البنوك التي كان بإمكانك الذهاب إليها".

هدأ تساي قونغ وقال: "أيها المدير هوى، ربما أنت لست ملمّا بحالة البنوك في جينغتشو. البنوك الكبيرة المملوكة للدولة والبنوك ذات رأس المال المشترك، لا تعطي القروض لشركات صغيرة مثل شركتنا. فطوال هذه السنين، كان بنك جينغتشو سيتي وتعاونية الائتمان الريفي الإقليمي هما البنكان الوحيدان اللذان قد يمنحانا قرضا". تدّخلت لو بيك قائلة: "إذا لم لم تذهب إلى تعاونية الائتمان الريفي الإقليمي من أجل أخذ قرض؟". أجاب تساي قونغ بقنوط: "لقد ذهبت بالفعل. تقدمت بطلب قرض قيمته ستين مليون يوان من تعاونية الائتمان الريفي الإقليمية، حتى أني ذهبت

للاجتماع. فجأة، اتصلت أويانغ جينغ ورفضوا منحي القرض قائلين إنّ قسم إدارة المخاطر لم يوافق عليه". كان هوى ليانغ بينغ يحدّق إلى تساي قونغ باهتمام فقال: "هل أنت متأكد من أنّ أويانغ جينغ هي من اتصلت؟". أجاب تساي قونغ: "أنا متأكد! لقد اتصلت بليو تيانهي، سكرتير النائب الأول ورئيس تعاونية الائتمان الريفي الإقليمية. وإذا لم تكن تصدّقني، بإمكانك التحقق من الأمر مع الرئيس ليو...".

عاد تساي قونغ إلى تكهناته السابقة وأكّد قائلا: "أويانغ جينغ ومجموعة شانشوي نصبا فخا عن عمد من أجل الحصول على أسهم مصنع دافنغ، كما أنّ حقيقة ما حصل فيما بعد ذلك تثبت أنّ قاو شياو تشين كانت تسعى وراء أرض المصنع. فبالهرب بالأسهم، هربت بالأرض، وهي كانت تعلم بمخطط المدينة منذ زمن طويل. وبسبب إعادة إعمار بحيرة غوانغمينغ، تمّ إعادة تخصيص أرض مصنع دافنغ من أجل الاستخدام العقاري الرفيع المستوى".

بدا هوى ليانغ بينغ هادئا، لكنه كان يخفي حماسته لمعرفة التفاصيل. وقد اتفق مع تحليل تساي قونغ، ففي حال ثبت أن أويانغ جينغ وقاو شيا تشين قاما بنصب فخ، ذلك يعني أننا وصلنا إلى حل لغز أسهم مصنع دافنغ. وهذا أنجاز عظيم، بدأ يظهر أصل قضية حريق "916"، وشبكة الانتهازيين، وتلاعب مجموعة شانشوي، على السطح بشكل تدريجي. سكب هوى ليانغ كأس ماء لتساي قونغ، وطلب منه أخذ رشفة ومن ثم متابعة كلامه.

شرب تساي قونغ الماء ثم وضع الكوب الورقي على الطاولة. تساءل هوى ليانغ بينغ عن وضع العمال المساهمين واستخدام حصة العمال من الأسهم كضمان. أوضح تساي قونغ أنه من المستحيل فصل الأسهم. لقد استخدم القرض من أجل الإنتاج وكان قرض سيولة، وفي ذلك الوقت، استخدم كله كضمان. بسبب مسار الأشياء بالضبط، في ليلة حريق "916"، ذهب إلى المصنع لكي يعطي المحاسب يو، شيكا فضربه العمال المضللين. بعضهم شكّ أنه كان في حلف مع مجموعة شانشوي وأنه قام بالتحويل عن عمد. كاد أن يموت جراء ذلك الإجحاف!.

قال تساي قونغ أخيرا: "أيها المدير هوى والرئيسة لو، لدي طلب الآن. لقد أعطيت زوجة أمين لجنة الحزب البلدية لي داكانغ رشوة بقيمة مليوني يوان، وهذه جريمة رشوة خطيرة، وأنا أطلب من مكتبكم الخاص بمكافحة الفساد أن يحتجزني، وكذلك لابأس أن يعتقلني، لكي أستطيع المساعدة في تحقيقاتكم عند الضرورة".

أدرك هوى ليانغ بينغ أنّ صديق طفولته يسعى للحماية، وفي حال اعتقلته النيابة بذريعة الرشوة، فإنه بهذه الطريقة يمكنه التملّص من الوقوع بين يدي مكتب الأمن العام البلدي، أي بين يدي لي داكانغ، بتعبير آخر. لقد أمل تساي قونغ بالموافقة على طلبه معتقدا، بأنه قد تمد له يد العون في لحظة الحقيقة، وربما كان هذا هو السبب الحقيقي وراء تبليغه عن أويانغ جينغ.

تبادل هوى ليانغ بينغ النظرات مع لو بيك. فهزّت رأسها وعبّرت عن رأيها قائلة: "أخشى أنْ يكون هذا الأمر صعبا، يا تساي قونغ، أنت لاتزال متهما بجرائم أخرى. فمكتب الأمن العام البلدي يبحث عنك منذ زمن طويل. لقد كانت تداعيات حريق "916" خطيرة، وكونك المسؤول الرئيسي، يجب عليك أن تقدّم تفسيرا واضحا لما حدث". ولعلمه أنّ ما قالته لو بيك ليس خاطئا، قال هوى ليانغ بينغ مواسيا إياه: "بما أنّ النيابة الإقليمية قبلتْ اعترافك، فسوف نتحمّل كامل مسؤوليتك، ومن ضمنها سلامتك الشخصية، هناك نيابة عامة موجودة في مركز الاحتجاز التابع لمكتب الأمن العام في جينغتشو، سوف تولي اهتماما خاصا بأي شيء يتعلق بمخبرينا...".

يتوجّب على النيابة، طبقا لترتيباتهم السابقة، تسليم تساي قونغ إلى عهدة مكتب الأمن العام البلدي. فرافق هوى ليانغ بينغ ولو بيك، تساي قونغ من باب غرفة الاجتماعات الصغيرة في الطريق إلى المصعد.

14

في تلك اللحظة، لم يستطع هوى ليانغ بينغ تجنّب الشعور بوجع في القلب. لقد تسكّعا معا منذ أن كانا صغيرين ويعرفان كل شيء عن بعضهما بعض. كيف أمكنه أن لا يدرك إشارة الاستغاثة الصادرة عن عيني تساي قونغ؟ لكنه ملزم بالواجب، وليس بإمكانه تجاوز القانون، حتى من أجل مساعدة صديق. خلال وقت قصير، سوف يرسل صديق طفولته إلى مكان لم يكن راغبا على الإطلاق بالذهاب إليه، إلى مكان يمكن أن يكون خطرا. كيف يمكنه ألا يقلق؟

في ذلك الوقت، كانوا على وشك الوصول إلى باب المصعد.

التفت تساي قونغ إلى الخلف وصرخ فجأة: "أيها القرد، أنا أضع حياتي الصغيرة هذه بين يديك".

لم يكن بوسع هوى ليانغ بينغ تجنّب أن يكون متزعزعا فوقف مكانه وقال: "أيها ال... الصغير، ما الذي بإمكاني قوله لك الآن؟".

بدأت الدموع تنهمر من عيني تساي قونغ بلمح البصر فقال: "أيها القرد... يا أخي القرد، أنا... أنا أصغي إليك".

قال هوى ليانغ بينغ مؤنبا: "ذلك اليوم في منزلي في بكين، لم لم تخبرني بالحقيقة؟ لقد أبلغت عن هذا وذاك دون أن تفصح عن أية تفاصيل، ولذا اعتقدت أنك تتفوّه بالترهات وتمرّر لي إحدى القصص، لو أنك أخبرتني من قبل وزوّدتني بالأدلة التي قدمتها اليوم ربما لم يكن تشن هاي ليقع ضحية إحدى المؤامرات ويلحق الأذى به، أنت ماذا، غبي؟".

أبدى تساي قونغ ندمه فقال: "أيها القرد، لم أكن أريد إهانة أحد. كيف لي أن أعرف بأنّ الأمور ستنتهي بهذا الشكل؟ لن يدعني لي داكانغ وشأني، هذه.. هذه قضية مسؤول يحضّ الناس على التمرّد، ويجبرني على التورّط في معركة يائسة...".

كان العديد من ضباط شرطة مكتب الأمن العام البلدي يقفون منتظرين أمام باب المصعد. وكونها فطنة، جذبتْ لو بيك فجأة ملابس هوى ليانغ بينغ. فهم الإشارة ولم يقل شيئا لتساي قونغ.

عندما وصلوا إلى ردهة الطابق السفلي ورأوا تشاو دونغلاي، فكّر هوى ليانغ بينغ بالأمر وقرّر قول ما يجب قوله: "أيها المدير تشاو، لقد وفيت بوعدي وها أنا أسلّمك تساي قونغ الآن. لقد أصيب تساي قونغ في ليلة حريق "916" بجرح في الرأس. أقترح عليك أن تأخذه إلى أحد المستشفيات لإجراء فحص طبي له قبل احتجازه".

قال تشاو دونغلاي بسرور: "بالتأكيد، بالنسبة إلى هذه الليلة، سنضعه في غرفة قدّمها المكتب الفرعي التابع لمنطقة غوانغمينغ. وغدا، أرجو أن تطلب من نيابتكم إرسال شخص لمرافقة تساي قونغ إلى مستشفى الأمن العام لإجراء فحص طبي عام".

لا يزال هوى ليانغ بينغ يشعر بالقلق فأوضح الأمر قائلا: "أيها المدير تشاو، إنّ تساي قونغ هو المخبر لقضية جنائية كبيرة تتضمن عمليات غش. أرجو منك ضمان سلامته الشخصية مهما كلّف الأمر، وينبغي لك ألا تسمح باقتراب أي أشخاص خطرين منه خشية وقوع أي حادث. كذلك سوف يتفحّص وكلاء نيابتنا المقيمون حالة احتجاز تساي قونغ ووضعه الصحي على مدار الساعة، فأنا لا أرغب بحدوث شيء غير سار".

ابتسم له تشاو دونغلاي ابتسامة معرفة وقال: "اطمئن أيها المدير هوى، فالمكتب البلدي وأنا لدينا طريقة التفكير ذاتها".

بإمكان تشاو دونغلاي أخيرا تقديم تقرير عن مهمته، كونه أحضر تساي قونغ أمام العدالة، وهو الشخص المسؤول بشكل رئيسي عن حريق "916". فحضر إلى مكتب أمين لجنة الحزب البلدية، وقدّم سردا موجزا لمجرى الأحداث. عندما وصل إلى الجزء المتعلق بالتسوية مع النيابة الإقليمية، نظر تشاو دونغلاي إلى الأمين بشكل محدّد، لكنّ الأمين أشعل سيجارة فحسب دون أي

تعابير على وجهه. بعد انتهاء التقرير، لم يظهر لي داكانغ رغبة في أن يطلب منه المغادرة في الحال، بل سأل بهدوء: "حسنا؟ لقد التقيت بهوى؟".

أجاب تشاو دونغلاي: "نعم، هوى ليانغ بينغ هو الشخص الذي اقترح التسوية".

وقف لي داكانغ أمام النوافذ الطويلة وهو يفكّر، والزجاج يعكس صورة وجهه المثقل بالهموم.

التفت الأمين ببطء وطرح سؤالا آخر: "ما هي انطباعاتك عن هذا الشخص؟".

أجاب تشاو دونغلاي بحذر: "إنه من نوعية الأشخاص الذين يصعب التعامل معهم، لكن مع ذلك يبقى شخصا عقلانيا إلى حد بعيد".

كان هوى ليانغ بينغ منتشيا، فاعتراف تساي قونغ قد أعطى فكرة واضحة عن الحادث بأكمله. والحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها، هي أن أرض شركة دافنغ للألبسة ذات الموقع المتميز والتي كانت تقدر قيمتها بمليار يوان تقريبا، تم شراؤها من قبل شركة أخرى، وهي مجموعة شانشوي، باستخدام أسهمها كضمان. وفي غفلة، أفلست دافنغ وزاد ثراء مجموعة شانشوي بنحو خمس أو ستمئة مليون يوان، ولم يكن ذلك طبيعيا. فأكبر المستفيدين من ذلك هي مجموعة شانشوي العائدة لقاو شياو تشين، لكن لم يستطع أحد تأكيد ذلك نظرا للخلفية الحقيقية لهذه المجموعة وللعلاقات التي تملكها قاو شياو تشين، ولم يمنع ذلك من انتشار بعض الشائعات حول القضية والتي تتحدث مثلا عن أن قاو شياو تشين هي ابنة أخ قاو يوليانغ بالرغم من أن هذا كان هراء محضا، ولأنهم استمروا في قول ذلك على الإنترنت، فقد أتاحوا المجال للتأويل.

خلال الأيام القليلة التالية، بحث هوى ليانغ بينغ بعناية عن طريقة بناء قاو شياو تشين ومجموعة شانشوي ثروتهما التي كان معظمها من وسائل خادعة. فدائما ما كانت قاو شياو تشين تملك بعد نظر غير عادي بعمليات الاستحواذ، بطريقة لا تختلف عن طريقة استحواذها على مصنع دافنغ والذي أثار فضول هوى ليانغ بينغ. لا شك أنها تملك هذه الموهبة، والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو توقيت رفض أويانغ جينغ منح القرض والذي أدى إلى سقوط أسهم شركة دافنغ في أيدي قاو شياو تشين، أويانغ جينغ زوجة أحد كبار القادة. لم يكن واضحا فيما إذا كان هناك علاقة متبادلة المنفعة. أو كان هذا الزعيم الرفيع المستوى متورطا في الشبكة المالية لمجموعة شانشوي.

أعطى هوى ليانغ بينغ تعليماته للو ييك بقيادة الضباط من الصف الأول في التحقيق بدءا من حقيقة اعتراف تساي قونغ بالرشوة، ثم بقيام أويانغ جينغ بقبول بطاقات البنك الأربعة، وانتهاء بقضية رشوة بمليوني يوان. ومما لا شك فيه، أن الأمر سيكون صعبا لأن قضية البطاقات الأربعة استمرت لأربع سنوات، ولن يكون الحصول على الأدلة سهلا، لكن يكفيهم في البداية التحقق من وجود بطاقة واحدة فقط، ولتجنب فضح أنفسهم، لم يكن عليهم الاتصال مباشرة بأويانغ جينغ، لذا لم يتمكنوا إلا أن يجروا تحقيقاتهم بشكل سري. أما بالنسبة إلى القضية، فلم يكن هناك دليل يشير مباشرة إلى قاو شياو تشين حتى الآن.

من وجهة نظر تجارية، كانت كل تصرفاتها قانونية. وبغض النظر عن عدد الشكوك التي كانت لديهم، فإنها لا تزال مجرد شكوك، لذا لم يكن لدى مكتب مكافحة الفساد التابع للنيابة العامة أي سبب للتحقيق في هذا الوقت، وكان من الطبيعي أكثر التقرب منها كصديق، ولم يكن هناك أفضل من تشي تونغ وي لمثل هذه المهمة، والذي ظهر على الساحة مرة أخرى بعد أن حلت المشكلة مع تساي قونغ وتعهد باستضافة هوى ليانغ بينغ على مأدبة غداء. لكن لم يكن هوى ليانغ بينغ سعيدا بذلك، واختلق عذرا لعدم تلبية الدعوة، لكن سرعان ما بدّل رأيه عندما علم أن الغداء سيكون في منتجع شانشوي، لقد كان ذلك هدية من السماء ليقترب من مجموعة شانشوي، ولم يكن ليطلب أكثر من ذلك.

لم يكن تساي قونغ يعرف طبيعة العلاقة بين تشي تونغ وي وقاو شياو تشين، ولكن تم فعلا إرسال قاو شياو تشين لاصطحابه. وببساطة، رأى هوى ليانغ بينغ قاو شياو تشين لأول مرة عند المدخل الرئيسي للبناية، كان جمالها لا يوصف، ساحرا بجوهره، وخصرها النحيف يخفي وراءه جرأتها، وحاجباها المقوسان والعينان اللوزيتان اللتان توحيان بالأنوثة. إنها حقا خارجة عن المألوف.

في السيارة، راح هوى ليانغ بينغ يضحك ويمزح قائلا إن قاو شياو تشين هي أسطورة جينغتشو، وأنها رمقته بعينيها المشرقتين عن غير قصد وقالت: "أيها المدير هوى، الآن وبعد أن رأيت الأسطورة، هل أصبت بخيبة أمل؟". فأجاب هوى: "بالتأكيد لا، لقد فوجئت، وشعوري تجاهك كامرأة أنيقة لا يقل أهمية عن كونك رائدة أعمال قوية". فقالت قاو شياو تشين بصوتها الرقيق: "هناك أيضا بعض الأشياء غير اللطيفة في الأساطير عني، حتى بعض القصص التي تحتوي على

دوافع خفية، أليس كذلك؟". ابتسم هوى وأومأ برأسه وقال: "بالتأكيد، هناك العديد من الآراء، لكن أنا مدّع عام، ولا تسمح لي مهنتي بالاعتقاد بالأساطير، أنا أثق فقط بعيني والأدلة. ردت قاو بطريقة تهدف بها إلى إيصال رسالة ما: "بعض الأحيان يمكن لعيون النيابة أن تخطئ، ويمكن تزوير الأدلة أيضا".

لاحظ هوى ليانغ بينغ أن هناك معنى خفيا في كلماتها وتساءل عما تعنيه. وبابتسامة جذابة أخرى، أخذت قاو زمام المبادرة مستذكرة صديق طفولته تساي قونغ وقالت: "في معظم الأحيان، يكون الأشخاص الذين تعتقد أنك تفهمهم، هم الأشخاص ذاتهم الذين لا تفهمهم، كما هو الحال مع تساي قونغ". وقتها، أصبح تساي محور المحادثة. علمت قاو بوضوح أن تساي قونغ كان صديق طفولة هوى وهذا لم يمنعه أن يستمر في وضعه في قفص الاتهام. أما اتهاماتها له فكانت تتعلق بالمصداقية، حيث كان تساي بالنسبة إليها شخصا مليئا بالأكاذيب، وأنه ببساطة عديم الفائدة.

استمع هوى محاولا عدم الدخول بجدال لتلطيف المزاج، ففي تلك اللحظة، كان بحاجة إلى الاستماع بانتباه لأي شيء مشبوه ويبحث عن أدلة، فلم يكن خائفا من كلامها بل من صمتها، فقد علمته التجارب أن الشخصيات التي يصعب التحقيق معها هي الشخصيات الصامتة.

غادرت السيارة المدينة بسرعة. وكان نهر المياه الفضية يسير بجانب الطريق. كانت مياه النهر واضحة وضوح الشمس، وبين الحين والآخر تثير بعض التموجات. وعلى الرغم من أن ذلك كان في أوائل الخريف، إلا أن غابات القصب لا تزال خضراء.

ارتعشت أوراق القصب في النسيم، وكشفت عن ثيابها الداخلية ذات اللون الأبيض الرمادي. في بعض الأحيان، كان اثنان أو ثلاثة من الطيور المائية التي لا يعرف اسمها ترفرف عبر غابات القصب وسطح النهر وتختفي في بستان بعيد من أشجار الصفصاف. ومن بعيد، يبرز جبل هورس روك منحنيا عبر الأفق، مثل فرس ناعم.

يقع منتجع شانشوي على سفح جبل هورس روك، بين الجبل والنهر، له إطلالة رائعة. ولقد بني العديد من المنازل على طول الهضاب المجاورة له، كانت كلها منازل أوروبية الطابع، منها الروسية والبريطانية والفرنسية، كان مظهرها مبهرا، تماما كما القصص الخيالية. وكانت جميع هذه المنازل الجميلة دورا للضيافة، بثلاثة أو أربعة طوابق، كل منها يحمل رقما خاصا به. وكان هنالك

مبنى طويل ذو تصميم عصري متربع عند سفح الجبل، متميز بجدرانه الزجاجية التي تتلألأ عند انعكاس ضوء الشمس عليه، هذا مبنى المنتجع الأكبر ذو الأقسام العديدة، من قسم الترفيه، إلى المطاعم والحمامات، وغالبا ما كانت ترتاده الطبقات العليا ذات النفوذ الواسع، أم الطبقات المتوسطة والفقيرة فلم تكن على علم بوجوده أصلا. حيث كان في منطقة نائية وبعيدة جدا، ولم يعلم بوجوده إلا قليل من الناس.

استقبل المضيف تشي تونغ وي رفيقه القديم بحفاوة كبيرة جدا، بعد غياب طويل. وبعد عناق مفعم بالحب، حيث كان قلب تشي تونغ وي يقفز من شدة سعادته، أمسك يد هوى ليانغ بينغ وصافحها بحراره قائلا: "وأخيرا قررت أن تتواضع وتنزل من قصرك السماوي لتلاقينا نحن معشر البشر". أجاب هوى ليانغ بينغ: "أنظر من الذي يتحدث عن التواضع، فلولا خسارتك أنت وتشين هاي، لم أنف من الأصل". فرد عليه تشي تونغ وي: لا تكن متواضعا هكذا يا صاح، كلنا نعلم أنك أتيت حاملا سيفا إمبراطوريا، ومعك الأذن بقتل من تشاء". نظر هوى ليانغ بينغ حوله وقال: "أتقصد السيف الإمبراطوري الذي أعطيتني إياه؟". ومن ثم تذمر لأن زميله في المدرسة لم يكن صديقا جيدا. فقد وافق بالفعل على تسليم تساي قونغ إلى مكتب مكافحة الفساد، ولكنه عاد وسمح لتشاو دونغلاي بأن يخرجه. طقطق تشي تونغ وي أصابعه قائلا: "لا تقلق إن خسرت تساي قونغ، فهو لم يكن يجلب لك سوى المتاعب المستمرة. ألم تخبرك قاو على الطريق؟". قالت قاو شياو تشين مقاطعة: "لقد أخبرت المدعي هوى، ولكن لا أعرف ما إن كان قد صدقني أم لا، أعتقد أنه علينا أن ننتظر لنرى بأعيننا". ارتسمت الجدية على وجه تشي تونغ وي وقال: "كيف تقولين إنه علينا أن ننتظر لكي نعرف ما إن كان صدقك أم لا، عليك أن تكوني أكثر حذرا من هذا المدعو تساي قونغ". سأل هوى ليانغ بينغ مازحا: "آه أيها الصديق القديم، لقد قمت أنت أيضا بجمع المعلومات عن تساي قونغ؟". ربت تشي تونغ وي على كتف هوى وقال له: "لا تكترث للموضوع، إنه مجرد شخص يريد أن يستفيد، وإن عاملته بإخلاص، لن تجني سوى المعاناة والمزيد من المشاكل".

انتهى الحديث، ولكن هوى ليانغ بينغ كان يعتقد أن تشي تونغ وي لا يزال لديه المزيد ليقوله، وأن كلماته كانت تحمل في طياتها معان أخرى. مشى ثلاثتهما معا إلى الجناح الرئيسي وصوت ضحكاتهم يملأ المكان. لقد كانت الغرفة الخارجية للجناح غرفة استقبال الضيوف، بينما كانت الغرفة الداخلية هي الغرفة المخصصة لتناول الطعام. كان الجناح مصمما بطريقة فاخرة جدا، وأثاثه من الخشب القديم. وأكثر الأمور جمالا، كان ذاك الصف من الكتب النادرة ذات الأغلفة الرائعة،

الممتد من الأرض إلى السقف في غرفة الاستقبال، وكانت مرتبة بطريقة أنيقة جدا، فكان هنالك صف للكتب الكلاسيكية وآخر للكتب الأكثر مبيعا، وحتى أن المجموعة الكاملة لأعمال ماركس وأنجلز، كانت موجودة في هذه المكتبة.

أمسك هوى ليانغ بينغ كتابا، وقلّب صفحاته عشوائيا ومن ثم قال: "عمل جيد أيها الرئيس قاو لقد تمكنت من أن تجمع المجد الثقافي من كل أطرافه. أتقرأ حتى وأنت تتناول الطعام؟". ضحك تشي تونغ وي وقال: لقد قام رئيسنا قاو بتصميمها على هذا الشكل ليرفه عن معلمنا السيد قاو. إن معلمنا يحب أجواء المطالعة. بدت الصدمة على وجه هوى ليانغ بينغ وقال: "ما الذي تقوله، معلمنا يأتي إلى هنا كضيف ليقرأ؟". أجابت قاو شياو تشين: لقد اعتاد أن يأتي إلى هنا كل فترة من الزمن، ولكنه توقف عن ذلك بعد صدور الحكم المركزي رقم ثمانية.

مرر تشي تونغ وى سيجارة لهوى ليانغ بينغ فرفضها، وأخبره أنه أقلع عن التدخين منذ وقت طويل. وبدأ الاثنان يتشاجران حول هذا الموضوع وكانت قاو شياو تشين تستمع إليهما وهي تبتسم. فقد بدأ تشي تونغ وي حديثا مثيرا للضحك وهو يدخن وحده قائلا: "الشخص الذي يستطيع التغلب على إدمان التبغ هو شخص قادر على القتل، هوى ليانغ بينغ أنت مذهل، لقد أقلعت عن التدخين مئة مرة وعدت مئة مرة ومرة وهذا كله لأنني رقيق القلب.. رقيق القلب جدا".

فأجابه هوى ليانغ بينغ بسخرية: "كم يمكنك أن تكون سخيفا، لكي تقلع عن التدخين، يجب فقط أن تتحكم برغباتك. هذا كل ما في الأمر". فهز تشي رأسه وقال: "هل يسهل فعلا التحكم برغبات الأشخاص بهذه السهولة؟ لو كان الأمر فعلا بهذه السهولة لما كان هناك هذا العدد الكبير من الجرائم والمجرمين ولكنا كلانا بلا عمل الآن".

كان هوى ليانغ بينغ وتشي تونغ وي دائما على خلاف، فمنذ كانا في الكلية كانا تواقين للتنافس، وكان زملاؤهما في الصف يقولون إنهما زوج من الديوك المقاتلة. ولكن وبغض النظر عن خلافاتهما فقد كان كل منهما يحمل للآخر في قلبه قدرا كبيرا من الاحترام والتبجيل. كانت درجاتهما متشابهة وكانا حريصين على اللياقة البدنية، وكانا مذهلين في نزالات المكاسرة على طول البلاد. والناس يقولون فيهما إن الموهبة تقدر الموهبة، وكان كل منهما مثالا رائعا على ذلك.

بالرغم من أن تشي وهوى كانا يتشاجران إلا أنهما كانا سعيدين وكأنهما عادا إلى أيام الكلية.

كانت قاو شياو تشين متحدثة جيدة، وأدخلت نفسها مبتسمة بين الاثنين قائلة إن كلا منهما كان منطقيا، ولكن عند مقارنة ضابط الشرطة بالنائب العام فهي لديها المزيد من الاحترام للنائب العام. فتظاهر تشي تونغ وي بالغيرة وقال متقصدا: "إنني وجه قديم والنائب العام وجه جديد، ولكن ما هذا؟ أخرجت القديم لتدخلي الجديد؟". فأجابه هوى ليانغ بينغ قائلا: "إنها ليست بهذه الخطورة، ولكن الأشخاص الجدد دائما ما يستبدلون الأشخاص القدماء. فلا تكن غيورا يا صاحبي".

فقالت قاو شياو تشين بجدية: "الموضوع لا يتعلق باستبدال أشخاص جدد بأشخاص قدماء ولكنه يتعلق بوظيفة كل منكما. فوظيفة رجل الشرطة أن يتعامل مع كل أنواع المجرمين والهمجيين وإن لم يبال فقد يصبح همجيا، وحول العالم رجال الشرطة متشابهون. بينما يتعامل النائب العام عادة مع جرائم ذوي الياقات البيضاء ومع الجرائم المالية والمخالفات، ولذلك فإن الجزء الأكبر منهم يشبه إلى حد ما بصفاته المتواضعة والمعتدلة الرجل النبيل".

فأشار هوى ليانغ بينغ إلى نفسه بسرعة وقال: "النائب العام هوى رجل نبيل". فضحكت قاو ولكنها غيرت الموضوع وقالت: "في مطلع القرن عندما أبكى النائب ستار الرئيس الأمريكي كلينتون، كنت في المدرسة المتوسطة. رؤية الرئيس يبكي على التلفاز جعلني أكره ذلك النائب". فقال هوى ليانغ بينغ: "هناك شيء ما خاطئ، أنت بالتأكيد لا تقصدين بأن النائب ستار ليس رجلا نبيلا". فقالت قاو شياو تشين بصرامة: "لم يكن يفترض به أن يجعل رئيسا يبكي، وكلينتون كان الرئيس". فقال هوى ليانغ بينغ بجدية: "ولكن لم يكن على الرئيس كلينتون أن يكذب على الشعب وهذا ما أيده النائب ستار". فأيدت قاو كلامه قائلة: "هذا صحيح، ولكن عندما فهمت مبادئ النائب ستار كنت قد أصبحت راشدة. وبالحديث عن هذا الموضوع، دعني أسألك أيها النائب هوى، من أول من ستجعله يبكي في زيارتك لجينغتشو هذه المرة؟".

فتدخل تشي تونغ وى قائلا: "أيا يكن الأمر، هو لن يجعل مديرتنا التنفيذية الجميلة تبكي، أليس كذلك يا ليانغ بينغ؟". فضحك هوى وقال: "لن أجعل أحدا يبكي، وأريد أن يبتسم الجميع، ولكن المديرة لن تبكي إذا اضطرني الأمر، أليس كذلك؟".

كان جواب قاو شياو تشين يلمح إلى شيء ما، فقالت: "من قال إنني لن أبكي؟ سأبكي وسأجعلكما تبكيان معي". فلم يرد هوى ليانغ بينغ، ولكنه أشار إلى زجاجات الخمر على طاولة العشاء وقال: "لماذا تشربين الأشياء الرخيصة؟ هل تخشين على مال الحكومة؟".

بدأ تشي تونغ وى بالحديث عن معلمهما قاو يوليانغ وقال: "لم يأت معلمنا حتى يتجنب إثارة الشبهات، ولكنه وضع شخصيا قواعد لعشاء اليوم الترحيبي بجدية كبيرة. أولا يجب عدم استخدام الأموال العامة. ثانيا لا تطلب من المطعم أن يدفع الفاتورة. ثالثا لا تشرب خمرا باهظ الثمن ولا تستخدم سيارات الحكومة. ولذلك أنت محظوظ يا هوى ليانغ بينغ لأنك وصلت بسيارة المديرة الجميلة". فقاطعته قاو شياو تشين مبتسمة: "نائب أمين اللجنة قاو شخص متبصر ويعلم بأن نائبا قد تمت دعوته، بينما المدير تشي أراد أن يقدم بضع زجاجات من الخمر العالي الجودة، ولكنه خاف أن يسبب ذلك المشاكل. لقد سمعت بأن الأمين الجديد شا روجين يشدد على سلوك الكوادر وأنه أدلى بتعليق قاس خلال اجتماع لجنة الحزب الدائمة، "أحيانا تكون شخصية كوادرنا في بعض المراكز والمناطق أسوأ بكثير من شخصية المواطن العادي"".

استغرب ليانغ بينغ من اهتمام سيدة أعمال بالسياسة بهذا الشكل، وكيف لها أن تعرف ما قاله تماما أمين لجنة الحزب بالمقاطعة خلال اجتماع للجنة، فسأل مازحا: "أيتها المديرة قاو لقد أخبرك المدير تشي عن هذا التعليق، أليس كذلك؟". فهز تونغ وى رأسه نافيا وقال: "إن المديرة قاو على علم جيد أكثر مني". وشرع في التعبير عن انزعاجه من الأمين الجديد قائلا: "يحاول الأمين شا أن يحصل على مكسب ما عن طريق الكذب. أنا لا أصدق بأن شخصية كوادرنا ليست أفضل من المواطن العادي البتة". فرد ليانغ بينغ: "يجب أن تصدق ذلك أيها المدير تشي، فقد سمعت عن الشعب الصيني العظيم فقط، ولم أسمع عن الكوادر الصينية العظيمة قط. فما رأيك أيها المدير هوى؟ ألست محقا؟". فضحك تونغ وى وقال: "لقد كسبت يا عزيزي، وقد أصبحت معجبا بك نوعا ما". فرد ليانغ بينغ: "الشعب الصيني العظيم؟ حسنا، دعني أكن مخادعا قليلا، دائما ما كان الأبطال يكتبون التاريخ، وخلال كل هذه السنوات من نتذكر منهم؟ الإمبراطور الأول لسلالة تشين أم الإمبراطور وو من سلالة هان أم الأباطرة الذين أوجدوا سلالتي تانغ وسونغ ثم أضافوا جنكيز خان لكل ذلك، صحيح؟ عذرا منك ولكن من هو الشعب؟ وأين هو؟". فرفع تشي يده فورا قائلا: "إنه أنا، إنني هنا". فحذت قاو شياو تشين حذوه ورفعت يدها وقالت: "وأنا أيضا، وهذا يتضمنك أنت أيضا أيها المدير. هل كنت تظن بأنك الإمبراطور الأول من سلالة تشين أم الامبراطور وو من سلالة هان؟ أنا لا أقصد إهانتك ولكن لماذا لا تستطيع أن تستجمع قواك؟".

في هذه الأثناء كان الظلام يحل تدريجا وقد بدأ الناس بالوصول على التوالي وأغلبهم من الكوادر السياسية والقانونية. كان هناك حكام مقاطعات ورؤساء بلديات وكبار الضباط من المقاطعة

العامة ووزارة الأمن ومكتب الأمن العام ورفاق من المحافظات والبلديات السياسية ولجان الشؤون القانونية. كان من الواضح بأن تشي تونغ وى هو القائد، وقد جعل ليانغ بينغ يصافح الجميع واحدا تلو الآخر. كان شعور هوى ليانغ بينغ غريبا، هل يمكن أن تكون هذه المجموعة من الكوادر السياسية والقانونية هي قسم السياسة والقانون الذي يتحدث عنه الناس؟ وهل المشاركة في مأدبة الترحيب يعني بأنه قد انضم إلى صفوفهم؟ ثم فكر في أنه لا عجب بأن معلمه قاو يوليانغ اضطر إلى تجنب ذلك. كان تشن هاي تلميذا لقاو يوليانغ، ولذلك فهو يعتبر على الأرجح جزءا من قسم السياسة والقانون. لم يكن هوى ليانغ بينغ متأكدا إذا ما شارك في هذا النوع من التجمعات في الماضي.

طلبت قاو شياو تشين من الخدم أن يحضروا الطعام عندما وصل جميع الضيوف. كانت الأطباق الرئيسية عبارة عن أسماك المياه العذبة. وكانت تبدو عادية، ولكنها كانت منتقاة بعناية، فروبيان الماء العذب المسلوق كان قد استخرج للتو من مياه النهر الفضي، وقد أرسل صيادو جبل هورس روك الأرانب البرية المدمسة. لقد كانت النكهات الطبيعية رائعة وأفضل الأطباق كان يدعى "وداعا يا عشيقتي" ويحوي السلاحف البرية ذات القشرة الناعمة من نهر المياه الفضي. بينما كان طبق الدجاج البري من غابات الصنوبر في جبل هورس روك يطهى في وعاء من الأعشاب المغذية العطرة ليصنع حساء لا يقاوم يجعل جميع من حول الطاولات ثملا من الطعم.

كان الجميع يعرفون قاو شياو تشين، وقد انبرت تحييهم وهم حولها وهي تقول بمرح: "علينا الحفاظ على الثقافة الزراعية بالتخفيف الزراعي والأغذية الزراعية. فليأكل الجميع ويشربون وليكونوا سعداء ولا تترددوا في التعبير عن أية نصيحة قيمة". بالرغم من أن الخمر لم يكن رائعا لأنه من الأشياء الرخيصة، إلا أن تشي تونغ وى والآخرين حظوا بنصيب جيد منه. وكان لدى الكوادر السياسية والقانونية جو خاص من التعالي الذي لا ينافسهم فيه أي إدارة أخرى. وقال هوى ليانغ بينغ بأنه كان مخمورا بدون شرب. وأدى مدير المطعم خلال ثمالته كعازف كمان لحنا من أوبرا بكين.

صفق تشي تونغ وي بيديه قائلا: "أوشك العرض أن يبدأ أيها الرفاق، إنها لعبة معركة الذكاء". انتقدته قاو شياو تشين قائلة: "من الذي ستنازله يا تشي؟ فالأمين قاو لم يأت اليوم بعد، وهكذا ستخوض معركتك، دون رئيس أركان". أشار تشي تونغ وي إلى هوى ليانغ بينغ قائلا: "يبدو أنك نسيت أن المدعي هوى في صفنا، أليس كذلك؟ سيتولى هو قيادة الأركان". لم يتسن، لهوى ليانغ

بينغ أن يرفض العرض، قبل أن يبدأ تشي تونغ وي بالتصفيق وقالت قاو شياو: "حسنا يا رفاق، إن المدعي هوى، مرسل من قبل الحكومة المركزية ليشاركنا بعض المرح. أيها الرفيق تشي، أنت ستلعب دور هوى شان كي كما جرت العادة، وأنا سألعب دور زوجة ها كينغ، فهيا نبدأ اللعب".

بدأت الفرقة بالعزف على الآلات الوترية، وكانت هذه بداية العرض. لقد غنى الجميع بشكل جيد، ولاسيما قاو شياو تشين، فبصوتها الرائع وحضورها الخلاب أسرت قلوب جميع الحاضرين. كانت تعابيرها خلابة متميزة، فقد جمعت اللطافة مع الثبات، والتواضع مع الثقة. وبهذه الشخصية الرائعة، كانت التجسيد المثالي لزوجة ها كينغ. وكان الأداء رائعا جدا لدرجة أن قائد فرقة بكين الأوبرالية توقف عن العزف ليصفق. ذهل هوى ليانغ بينغ بالأداء والحضور الساحر لقاو شياو تشين، وفي طريق العودة إلى المنزل سمح لمشاعره الداخلية بالخروج. ما الذي جاء بهذه المرأة الرائعة إلى هكذا مجلس، وبرفقة تشي تونغ وي والعديد من كبار المسؤولين السياسيين، وعلى رأسهم قاو يوليانغ كضيف شرف؟ لقد كان خائفا من أن يشترك في اللعبة معها، كي لا يظهر كل ما يكنه لها من مشاعر.

لقد ظهرت النتائج الأولية للتحقيق في قضية الحريق رقم "916"، وكانت تشير إلى أن الحريق لم يحدث بفعل فاعل، بل كان نتيجة للصدفة البحتة. حيث اندلع نتيجة لإيقاع لو سان ماو عضو الفريق الأمني لسيجارته على الأرض، وأدى هذا الحريق إلى موته على الفور. لم يحصل عراك في تلك الليلة بين فريق الهدم الخاص بتشانغ شياو وموظفي حراسة المبنى، وقرر كلا الطرفين ممارسة ضبط النفس، بدلا من إدخال الفريقين في خلافات لا نفع منها. كان رئيس مصنع دافنغ تساي قونغ هو المسؤول الرئيسي، حيث حرّض المئات من الموظفين وشجعهم على احتلال المصنع وحمايته، وأعطاهم مكافآت مالية كبيرة. وقد تم استخدام البنزين من قبل العمال، وهذا كله كان بأوامر من تساي قونغ، وهو يعلم أنه الممثل القانوني لشركة دافنغ. نظر لي داكانغ إلى التقرير، وأعطى تعليمات لتشاو دونغلاي بالقبض على تساي قونغ في أسرع وقت ممكن، ولكن تشاو دونغلاي قال إن عليهم أن يعرفوا بداية أين تقف النيابة الإقليمية من كل هذا، واستغرب لي داكانغ لما كانت النيابة الإقليمية تفعله عندما كانت تراقب تساي قونغ.

عندها، أخفى تشاي دونغلاي ضحكته وقال بصوت خافت: "هذا يتوافق مع اعتراف أدلى به تساي قونغ". قال ذلك بدون أن يفصح عن الاعتراف واكتفى بتذكيره قائلا: "أيها الأمين لي، عليك

أن تقلل من خسائرك". وجل قلب لي داكانغ وسأل بالرغم من حدسه القوي: "أقلل من خسائري، كيف ذلك؟ من الذي يتوجب علي مقاطعته؟".

تردد تشاو دونغلاي للحظة ثم قال متمتما: "بالطبع، إنها أويانغ جينغ، أيها الأمين لي". إن مشكلاتك الزوجية ليست سرا ولم تكن كذلك لفترة طويلة، إذا استمرت أكثر من ذلك فقد يترك ذلك آثارا سيئة عليك".

غادر تشاو دونغلاي ورفع لي داكانغ رأسه وأمعن النظر في المكتبة التي كانت مصنوعة بحسب الطلب، حيث كانت تصل إلى السقف وكان أحد الجدران مغطى بشكل كامل بالكتب الكبيرة المتراصة. لقد أعجبه شعور الجلوس في محل لبيع الكتب، عندما يكون منزعجا، كان ينظر إلى أغلفة الكتب وهو غارق في التفكير، وكأن الكتب كانت تملك الصيغة السحرية لحل مشاكله. لقد أعطاه تساي قونغ اعترافه بالفعل، وكان تلميح تشاو دونغلاي واضحا جدا، لم يذكر تساي قونغ شخصا آخر، ولكنه ذكر زوجة لي داكانغ. لم يعره مدير مكتب الأمن العام للبلدية أي اهتمام وكان يصب اهتمامه عليها وخشي ألا يبقى لدى أويانغ جينغ أي مهرب.

وقف لي داكانغ أمام النوافذ الضخمة الممتدة من الأرض إلى السقف وهو يدخن سيجارة تلو الأخرى. كان المساء قد حل وغروب الشمس يلقي بوهج أحمر على بعض النباتات الخضراء المورقة في المكتب. استطاع أن يرى من مكانه زاوية من بحيرة غوانغمينغ في الجنوب الغربي وكأنها جزء مكسور من مرآة. وفي الجنوب الشرقي كان يرى الخطوط المتعرجة للجبال التي تلونت بالأزرق الباهت. في مكان قريب كانت الشوارع الصاخبة مزدحمة بالناس والسيارات بشكل لا يوصف. لم يكن لي في مزاج مناسب للاستمتاع بالمناظر خارج نافذته لأنه كان مستغرقا في أفكاره. بغض النظر عن المتاعب التي أوقعت أويانغ جينغ نفسها بها فهو - كزوج - سيتورط معها. ولم تكن علاقته مع زوجته جيدة بطبيعة الحال، حيث كان مجال القطاع المالي عرضة للفساد ولم تكن أويانغ امرأة نزيهة، لا بل كانت المسؤولة عن الائتمان.

لقد وبخها لي ليلة هروب دينغ يجن، فهو لديه شعور غامض بأن أويانغ جينغ متورطة، وبأنها كانت كقنبلة موقوتة إلى جانبه. في تلك اللحظة لم يجد إلا مخرجا واحدا: أن يسرع ويحصل على الطلاق قبل أن يحصل أي شيء لأويانغ جينغ، عليه أن يرمي القنبلة.

نفى لي داكانغ كعادته وأصبحت نبرته لطيفة، وأشاد بزوجته التي لطالما دعمته بدون تردد، وذكر أن جياجيا ذهبت إلى المدرسة في ثلاث مقاطعات مختلفة فقط خلال المرحلة الابتدائية وحدها، وأن زوجته بدلت عملها ثلاث مرات خلال ست سنوات.

على مدى السنوات الست والعشرين الماضية، شق لي طريقه عمليا عبر جميع مدن مقاطعة إتش، حيث بدأ من رئيس مقاطعة إلى سكرتير لجنة الحزب البلدي، حتى انضم إلى قيادة لجنة الحزب الإقليمية، ولم يعترض بحكم طبيعة عمله المتنقل خلال سنوات عديدة على زوجته أويانغ جينغ عندما أرادت إرسال ابنتها للدراسة في الخارج.

كانت دموع زوجته تتدفق بصمت على خديها وقالت: "لي داكانغ، على الأقل أنت لم تنس". فرد عليها بصوت مليء بالأحاسيس: "كيف بإمكاني أن أنسى، لن أكون قادرا على نسيان أي شيء يا أويانغ". ومع ذلك، فإن تباين أحزان الماضي مع الأفراح الحالية يمكنه فقط أن يخفف التوتر مؤقتا إذا سارت المحادثة أبعد من ذلك، فإن الصراع سيندلع مرة أخرى كالمعتاد.

واصلت أويانغ شكواها. حيث لم يمنح لي بصفته أبا قرشا واحدا لتكاليف دراسة ومعيشة جياجيا في الخارج خلال تلك السنوات، لقد حاولت تدبر أمورها بنفسها. فقال لي حينها: "أعطيتك راتبي ومكافآتي بعد أن تزوجنا، وكنت أنت من يدير نفقاتنا طوال الوقت". فردت أويانغ ساخرة: "هل أنت حقا بهذا السوء في الحساب؟ أنت تعلم أن سياسة الحزب الشيوعي في استئصال الفساد عن طريق زيادة الأجور هي سياسة فاشلة. هل يمكن لهذا الراتب الضئيل الذي تقدمه أن يدعم ابنتك التي تدرس في الخارج؟".

لكن لي أصر على التلاعب بزوجته وقال: "أليس ذلك من واجبك أيضا؟ فأنت قادرة ودخلك السنوي جيد في الصناعة المصرفية". لكن أوليانغ نظرت إليه نظرة باردة وقالت: "هذا دخلي الخاص، ولا علاقة لك به، كيف يمكن لك كرجل أن تفكر في أموال زوجتك؟!". فغضب لي داكانغ وقال: "ثم ماذا تريدين مني أن أفعل؟ استخدام السلطة الموكلة إلي من قبل الناس للحصول على مكاسب شخصية؟ أنت أيضا عضو في الحزب الشيوعي. لقد وقفت أمام راية الحزب وأقسمت اليمين".

وقفت أوليانغ غاضبة، وكان أكثر ما يزعجها هو طريقة تعامل زوجها مع مثل هذه الأمور، وقد اعتادت سماع مثل هذا الكلام الروتيني الذي لطالما كان يكرره.

حتى عندما كان الزوجان يتشاجران، كانا يرتديان الأقنعة، فمن سيكون بمقدوره التوقف؟ التقطت حقيبة يدها وصعدت إلى الطابق العلوي، وقبل أن تصل إلى حافة الدرج، نظرت إلى الوراء وقالت بهدوء: "إذا أردت الطلاق، فلا بأس، لكن لدي شرط، وهو أن تدعو لتقديم مزاد على قطعة الأرض التي استولت عليها مجموعة شانشوي من مصنع دافنغ والتفكير في طريقة تسمح لمجموعة وانغ دالو أن تفوز به".

انفجر لي داكانغ غاضبا وقال: "لقد قمت بتحذيرك من قبل، ولكنك لم تصغي، ولا تزالين مصرة على التدخل في مشروع بحيرة غوانغمينغ لماذا تدافعين عن وانغ دالو؟ أشعر أنك تخفين عني شيئا ما". لم تشعر أويانغ جينغ بأي خوف، ونظرت مباشرة إلى عيني زوجها، وردت عليه: "لا تكن ساذجا هكذا أرجوك، لقد كان لشركة دالو فضل كبير على عائلتي، وسأرد حسن معاملة وانغ دالو هذا بالمثل، ربما ضميرك قد مات منذ زمن، ولكن ضميري لايزال حيا". عندها سألها لي داكانغ: "وماذا إن لم أسمح لك بذلك؟". فردت عليه بنبرة واثقة: "حسنا، سأرفض متابعة إجراءات الطلاق، وستظهر أنت على حقيقتك". تملك الغضب لي داكانغ لدرجة بدأ جسده كله يرتجف. مشت أويانغ جينغ عدة خطوات مقتربة من زوجها، وقالت له كلاما أشد وطأة من الذي سبق: "إنني أعرف أنك كنت خائفا جدا بعد أن وقع دينغ يجن في مصيبته، ولكن السؤال هو لماذا كنت خائفا بالأصل؟ وأنت لم تخبر دينغ يجن عن المشروع الذي أردته أنا أليس كذلك؟ من الذي كنت تمدحه طيلة الوقت إذا؟ وهل كنت تتعامل مع شخص لا أعرفه؟ أتمنى أن تتذكر هذا المثل جيدا، إذا أردت ألا تعلم الناس بشيء ما، لا تقم بفعله من الأصل".

حدق لي داكانغ إلى زوجته مرتابا وقال: "إلى أين تريدين الوصول بهذا الكلام؟ وهل وضعت شخصا لمراقبتي؟". أجابت أويانغ جين: "نعم لقد فعلت، ولهذا بدأت أشعر بأن هنالك شيئا ما غريبا في تصرفاتك، ويبدو لي أن شركة شانشوي تجني أرباحا طائلة من هذه التحركات الغريبة التي تقوم بها".

15

لطالما شعر تساي قونغ أنه منبوذ من الجميع، وكان لديه هذا الخوف المستمر من حدوث كارثة ما في أي لحظة. كان على دراية بالأساليب التي يعمل بها هذا العالم، كما كان على علم بالفرق بين مكتب الأمن العام، وفرع النيابة العامة، فبالرغم من أنهما وكالتان لتطبيق القانون وتحقيق العدالة. إلا أنه كان بالنسبة إلى النيابة العامة مخبرا، ومع ذلك لم يكن واثقا أن باستطاعة أحد أن يقدم خدمة كبيرة له بهذا الشكل، ولكنه يعتقد أن الأمر سيكون شبيها ببرامج حماية الشهود التي تظهر في الأفلام الأجنبية، أما إذا وقع بين يدي الأمن العام فسيكون الأمر مختلفا كليا، وسيتهم على الفور بجرائم كبيرة. كان جينغ تشاو هو من يعطي لي داكانغ النفوذ والسلطة، وهل يمتلك تشاو دونغلاي ومن معه من رجال شرطة الشجاعة الكافية لمخالفة أوامر لي داكانغ؟ لقد أخبر زوجة لي داكانغ أيضا. ولكن كيف استطاع أن يهرب بهذه السهولة؟ ربما يكون الخطر محدقا به الآن من كل الجهات. لحسن الحظ إن صديق طفولته هوى ليانغ بينغ كان يحميه طيلة الوقت، حيث إنه استقال من منصبة كمسؤول في الحكومة في بكين، وعاد إلى مسقط رأسه ليصبح مديرا لمكتب مكافحة الفساد. لقد كانت هذه هي رؤية تساي قونغ لمجرى الأمور. ولم يكن لي الوحيد الذي يحاول أن يمتلك نفوذا عظيما بالطبع، فصديق طفولته كان يحاول جاهدا أن يصل إلى أعلى المراتب، ففي بكين كان أمينا عاما، وعندما عاد إلى مدينته أصبح مديرا لمكافحة الفساد، لقد كان صاحب نفوذ واسع داخل الحكومة، كما أن صديق طفولته كان على علم بكل أفعاله المخزية والخارجة عن القانون. وهل كانت محاولته لجعل مكتب الأمن العام يطلب منه فحصا طبيا عاما مجرد تلميح لاختلاق مرض ما؟ ربما كان ذلك صحيحا. ونتيجة لذلك، تظاهر بأنه مريض: كان يشعر بالدوار، بألم في رأسه، وكان يشعر بالغثيان، وجميعها علامات الارتجاج.

كان الزوجان قد أثارا موضوع الطلاق عدة مرات، ولأكثر من مرة اتخذ لي داكانغ القرار بأن يفعلها ولكنه لم يتجرأ في النهاية. الآن وصل إلى نقطة فاصلة ويجب أن يضعا حدا لهذا الزواج التعيس. لقد كان لي يقدر سمعته السياسية، ولم يكن ليسمح بأن تلوث أبدا. حتى تشاو دونغلاي كان يستطيع رؤية ذلك، فاذا لم يكن حاسما بشأن الطلاق فحياته ستتجه نحو مزيد من المشاكل. أطفأ لي سيجارته الأخيرة في منفضة السجائر بقوة، ثم اتصل بمدبرة المنزل ليخبرها بأنه سيعود اليوم ليتناول العشاء، وبأنها يجب أن تتصل بأويانغ جينغ لتخبرها بأن تعود أيضا، كان يتحضر لمواجهة معها.

وهو يغادر مكتبه حاملا حقيبته، غزا قلبه شعور مفاجئ بالحزن، ففي الأيام القادمة قد يكون مكتبه هو منزله. لقد كانا زوجين لأكثر من عشرين عاما، وبالرغم من صعوبة تصديق ذلك، إلا أنهما كانا مغرمين حقا، وكان من الصعب التمييز بينهما وكأنهما جسد واحد. والآن اليد اليمنى تقطع اليد اليسرى بسكين وهذا ما يصعب عليه تحمله. لقد اعترف أنه كان مدمنا على العمل، فقد قضى وقتا قليلا مع النساء وعانق ابنته مرات معدودات، ولكنه ليس خاليا من المشاعر وشعر بأنه من المستحيل أن يلقي بعائلته بعيدا كزوج من الأحذية البالية.

كانت ابنته تدرس في الولايات المتحدة، وكانت أويانغ جينغ تخطط للسفر للخارج منذ وقت طويل، وإذا ما تحقق الطلاق هذه المرة، فهذا يعني بأنه سيخسر زوجته وابنته في الوقت نفسه. تنهد لي داكانغ وقد خيم الحزن على قلبه.

عند عودته إلى المنزل، كانت مدبرة المنزل تيان شينغ تشي قد حضرت الوجبة وسألته إذا كان عليها أن تقدمها له. فتشت عينا لي الغرفة فقرأت مدبرة المنزل أفكاره وأخبرته على عجل بأن أويانغ جينغ لن تعود لتناول العشاء، فلديها الآن لقاء مع كبار المسؤولين في الصناعة المصرفية، فأومأ لي داكانغ برأسه وقال: "حضري الطعام من فضلك".

رفع لي عصي الأكل، وتحدث مع مدبرة المنزل بينما كان يتناول طعامه. كانت مدبرة المنزل معلمة في مدرسة حكومية، ولكنها تقاعدت مبكرا بعد إعادة الهيكلة، إلا أن راتبها التقاعدي لم يبت به حتى الآن، وهذا ما دفعها مع عدد من المعلمين للاحتجاج لدى حكومة المقاطعة. لا يزال لدى تيان شينغ تشي نزعة معلمة الحضانة، فقد كانت مرحة ونشيطة وحديثها مشوق، وهذا ما جذب انتباه لي داكانغ. كانت تشرح له أن نافذة الاحتجاج في منطقة غوانغمينغ كانت منخفضة، مما

اضطر المحتجين إلى الانحناء وإمالة وجوههم للتحدث إلى موظف الاستقبال الجالس خلف النافذة، ومثلت ذلك أمامه، ففهم ما قصدت وسألها: "هل تعنين أن النافذة في مكتب الاحتجاج في منطقة غوانغمينغ منخفضة قليلا؟". فردت تيان شينغ تشي قائلة: "إنها ليست فقط منخفضة، إنهم يتقصدون إزعاج الناس".

كان لي داكانغ منزعجا في المقام الأول، وعندما سمع بهذا الكلام ازداد استياؤه وقال: "سأجد وقتا لألقي نظرة، إذا كانوا يتجرأون على إزعاج الناس عن قصد فسأزعجهم". ولأنه كان دائما ما يأخذ الأمور على محمل الجد، فقد كتب في مذكرته ملاحظة عن الموضوع.

في ذلك الوقت، أشارت ساعة الحائط إلى العاشرة، فنظر لي إليها ثم قال: "اطلبي أويانغ مرة أخرى وأخبريها أن تسرع". فاتصلت تيان بالرقم. أخبرتها أويانغ بأنها ستعود حتما اليوم، ولكنها قد تتأخر قليلا، فهناك حفلة مسائية. فانتزع لي داكانغ الهاتف من يد المدبرة فاقدا أعصابه وقال لزوجته: "هل هربت إلى الحدائق الملكية مجددا؟". فكانت أويانغ نافدة الصبر أيضا على الطرف الآخر من الهاتف: "إنني في مناسبة رسمية هنا". فأجابها لي داكانغ بغضب: "بغض النظر عما إذا كانت مناسبة عامة أو خاصة، عودي حالا من فضلك، علينا تسوية أمورنا..".

قرابة الساعة الحادية عشرة، عادت أويانغ إلى المنزل. كانت متبرجة قليلا وثيابها تعبق برائحة عطرها. رمت أويانغ حقيبتها على الأريكة، وجلست مقابل زوجها ونظرة كراهية تلوح في عينيها. كانت تعرف ما كان يريد التحدث به، ولذلك بدأت هي الحديث قائلة: "لو لم تبحث عني، كنت سأبحث عنك. يتعين علينا تسوية أمورنا، أنا أستعد للتقاعد المبكر والانتقال إلى لوس أنجلس". لم يكن زوجها متفاجئا البتة وقال: "لقد سمعت، ولهذا فإنني أتمنى أن نبدأ بإجراءات الطلاق قبل ذهابك". فسألته أويانغ بتحد: "هل هذه الإجراءات الشكلية لا بد منها؟". فلم ينكر لي داكانغ ذلك وقال: "بالطبع هو كذلك، لا يمكنني أن أكون ذلك المسؤول الحزبي الذي تقطن زوجته وابنته خارج البلاد، ولذلك لم يتبق لدي سوى هذا الخيار". فسخرت منه أويانغ قائلة: "أنا أعلم أنه بمجرد أن تصبح ذلك المسؤول سيسرحونك من منصبك، أو على الأقل لن تبقى عضوا في اللجنة الدائمة للحزب الإقليمي. أنت تقدر منصبك جدا". عندها أصبح وجه لي داكانغ صارما وقال: "أنت مخطئة يا أويانغ، إن ما أقدره هو الحزب والشعب". فبدا الإزدراء على وجه أويانغ: "ماذا تظن نفسك؟ ستبقى الأرض تدور وستظل قضيتك مستمرة". فحدق زوجها إليها مطولا وقال: "هل تريدين

رؤيتي أخسر منصبي؟" فأرجعت أويانغ ظهرها على الأريكة وقالت: "نعم، كنت أنتظر هذا اليوم منذ وقت طويل".

كان لي داكانغ غاضبا جدا وهو يحملق في وجه زوجته، ولكن الدموع بدأت تنساب على وجهها، فتردد لي قليلا قبل أن يعطيها منديلين وأصبح الجو أقل توترا. مسحت أويانغ دموعها، وعادت لاتهاماتها المعتادة، اشتكت أنه طوال هذه السنوات بالكاد تحمل أية مسؤولية بما يخصها أو يخص ابنتها أو حتى عائلتهما. كان لي منذ ست وعشرين عاما نائب رئيس مقاطعة في المنطقة الجبلية الغربية، وهناك تزوجت منه أويانغ وأنجبت ابنتهما جياجيا، بعد ذلك نقل إلى هنا وانتقلت معه الأم والابنة واضطروا للتعامل مع العديد من المشاكل.

لقد قام بهذه الخدعة مرتين سابقا، وكان يمكنه أن يعد ذلك بسهولة، ناهيك عن أن إصابته جراء السقوط. فقد كان جرحه في حجم فم طفل صغير ويحتاج إلى ثماني قطب، ولكن لم يكن لديه وقت لإزالة القطب بسبب الاختباء. عندما رأى الطبيب الندبة، شعر بالحيرة فهو بالرغم من كل الفحوصات التي أشارت إلى عدم وجود ارتجاج، إلا أنه لم يكن يجرؤ على التأكيد بعدم وجود مشكلة. ولذلك فقد جعل تساي قونغ يبقى في مستشفى الأمن العام لعدة أيام.

لم يكن مرتاحا في سرير المستشفى، ولكن مع ذلك كان قد بقي تحت المراقبة لمدة ثلاثة أيام عندما قاد تشاو دونغلاي - المدير ذو الوجه الطويل - رجلي شرطة إلى غرفة المستشفى لإجراء محادثة معه. الشيء الذي أرادوه منه جعله يشتبه بهم، لم يستطع أن يفهم ذلك مهما حاول التفكير به. وضع الشرطيان مسجل الهاتف الخليوي ومسجل القلم أمامه ثم سحب المدير تشاو ورقة وسلمه إياها وأمره بقراءة الكلمات من الورقة عدة مرات، وعندما يصبح على دراية بما هو على الورقة يجب عليه أن يقرأها بصوت عال كما يتحدث عادة.

جلس تساي قونغ على جانب السرير وهو يتأرجح، ولم يكن يريد أن يأخذ الورقة. لكن المدير دونغلاي أصر عليه بأن يأخذها، فتناولها لأنه يعرف أنه لا يستطيع التغلب عليه. حمل الورقة أمام عينيه وقرأها متوقفا بعد كل كلمة: "هل هذا المدير تشين؟ أريد الإبلاغ عن مجموعة من المسؤولين الفاسدين، لن يتركوني وحيدا، وأنا لن أجعل الأمر سهلا. لدي دفتر أريد أن أسلمك إياه شخصيا". فوقف المدير دونغلاي جانبا، وكأنه مخرج مسرحي يعطيه التعليمات قائلا: "هذا ليس صحيحا، يجب أن تتحدث بشكل طبيعي فلا تكن خجولا يا تساي. والآن تذكر ما قلته لك وجرّب مرة

أخرى". فقرأ تساي الكلمات عن الورقة مرة أخرى بصوت عال وهو يفكر "ماذا الذي يفعلونه؟ خداع أم أنهم يلفقون تهمة ما لي؟". وبسبب ذلك أصبح أقل استعدادا للتعاون، وجعل صوته يبدو غريبا عن قصد، وأحيانا حتى غير بشري، وهذا ما جعل تشاو دونغلاي غاضبا وقال: "لا يزال هذا غير صحيح، لا تتلاعب بنا"، فغضب تساو قونغ ورمى الورقة أرضا وقال: "أنا؟ كيف سأتلاعب بكم؟ أنا لم أقل الكلمات المدونة في الورقة".

قال دونغلاي: "نحن من نقرر ما إذا قلت ذلك أم لا، والآن تساي قونغ، اقرأ مجددا، ابدأ".

فظهرت همجية تساي قونغ الوقحة فرفع رقبته وصرخ: "لن أقرأ، لم أقل أيا من هذا في اعترافاتي للمدير تشن هاي ولم أذكر دفترا، فلا تتهموني بذلك". فهدده شرطي سمين قائلا: "هل تبحث عن المشاكل يا تساي قونغ؟". فانهار رأس تساي على السرير وقال: "أطلق النار علي إذا، أنا لدي ارتجاج دماغي وأشعر بالدوار مرة أخرى.." وبيد واحدة رفع الشرطي السمين رأسه وقال: "تشعر بالدوار من ماذا؟ لقد أخبرنا الطبيب أنك بخير وأنك لا تعاني من ارتجاج". فصرخ تساي قونغ: "أنا أريد أن أرى المدير هوى ليناتغ بينغ من مكتب مكافحة الفساد".

كان المدير تشاو قد تحمل ما فيه الكفاية فأمر عابسا: "خذوه إلى مركز الاعتقال وحققوا معه طوال الليل".

تقدم الضابطان وقبضا عليه، ثم أخذاه من المستشفى إلى مركز الاحتجاز في مكتب الأمن العام في البلدية. وعند دخول غرفة التحقيق في مركز الاعتقال، كان عليه أن يضع سترة صفراء قاتمة. وبعد أن عرف تساي أنه كان في ورطة كبيرة، قرر ألا يتعاون معهم على الإطلاق، وتظاهر بألم في رقبته. ثم جلس تساي بهدوء أمام طاولة الاستجواب وبدأ بقضم أظافره. أخبره الشرطي السمين أن الأمور ستكون سيئة قائلا: "بصفتك الشخص المسؤول بشكل أساسي عن الحادث "916" والذي حفّز عمال مصنع دافنغ على احتلاله وخلق اضطراب، فلن تتمكن من الهروب من تحمل مسؤولية الحريق مهما حصل". فقال تساي قونغ: "لم يكن العمال بحاجة إلي لتحريضهم. احتلوا المصنع لاسترجاع أسهمهم، أنا لم أتسبب في الحريق أبدا". غير ضابط الشرطة الموضوع وقال: "هل يمكنك إخبارنا عن دينغ يجن". فتظاهر تساي بالاندهاش وقال: "ألم يهرب دينغ يجن؟ لماذا نتحدث عنه؟". فرد ضابط الشرطة: "علينا أن نتحدث عنه حتى لو هرب. أخبرنا عن علاقتك به؟". هز تساي رأسه وقال: "لم تكن علاقتنا متينة، كانت علاقة عمل عادية".

سأل الضابط بعدها: "لماذا سمح لك دينغ بتشغل مصنع مجموعة شانشوي والاستمرار في الإنتاج حتى الآن؟". "من قال إنه مصنع مجموعة شانشوي؟" رد تساي. وتابع قائلا: "هذا المصنع هو ملك لي وللموظفين، ولكن كان هناك معاملات فاسدة، وحاولت قاو شياو تشين إلصاقها بي، لقد أبلغت للتو مكتب مكافحة الفساد في النيابة الإقليمية بذلك". ثم تابع شرطي آخر ذو جسم نحيل الموضوع وسأل: "لماذا كنت تتعاون مع مجموعة شانشوي؟ هل كان هناك صفقة سرية بينكما؟". فردّ تساي بنبرة حازمة قائلا: "كنت في تعاون مع من؟ لماذا علي أن أتعاون معها؟ إن ذلك لأمر سخيف". ثم عاد الضابط السمين إلى بداية الموضوع وقال: "بما أنك لن تعترف بأي شيء، فلنعد إلى 916". أجابه تساي: "ما الذي يمكن قوله عن916؟ لم أكن هناك". فردّ هذه المرة الشرطي النحيل قائلا: "لكنك اتفقت مع حارس المصنع، واشتريت مسدسات لفريق الأمن، ومن ثم استخدام البنزين لإيقاف الجرافات، ألم تكن هذه كلها أفكارك؟ هل تنكر ذلك؟". لم يكن أمام تساي قونغ أي خيار سوى الاعتراف، فقال: "أنا لا أنكر ذلك، لكنه كان دفاعا عن النفس. لم يخرج موظفو مصنعنا من بوابة المصنع". ضغط عليه ضابط الشرطة النحيل بقوة وقال: "كنتيجة للدفاع عن النفس الذي فعلته، أحرق ثلاثة أشخاص حتى الموت، وأصيب ثلاثون شخصا، كان للدفاع عن النفس تأثير مروع، وبناء على هذه الحقيقة وحدها، فإن الحكم عليك لمدة ثماني أو عشر سنوات سيكون مجرد.." وهنا كان هذا الشرطي قد أصاب موضعا حرجا، وتغير موقف تساي قونغ وقال: "لم أكن أتوقع أن يتحول الأمر هكذا. لم أفعل ذلك عن قصد".

قاطعهما الشرطي السمين مرة أخرى قائلا: "ما هي علاقتك بهوى ليانغ بينغ يا تساي قونغ؟". فأجاب قونغ مدافعا عن نفسه: "إننا مجرد أصدقاء عاديين حضرة الشرطي". فسأله الشرطي بأسلوب مبطن: "ولكن هذه العلاقة لا تبدو علاقة عادية بالنسبة إلي، ألا تعتقد هذا أنت أيضا يا قونغ؟ لقد كان واضحا اهتمام الأمين هوى الكبير بك، وإصراره على قيامك بالفحوصات الطبية ليطمئن على صحتك، ولكن هل تعتقد أنه كان يفعل ذلك، ليعطيك إشارة كي تتظاهر بالمرض؟". أجاب تساي قونغ: "عن أي تظاهر تتحدث؟ لقد كنت مريضا جدا في ذلك الوقت، فقد كنت أشعر بالدوار طوال الوقت، وأجزم أنه كان لدي ارتجاج في الدماغ". فجأة طرح الشرطي النحيل سؤالا: "وهل سبق لك وأن رشوت ليانغ بينغ أيها السيد قونغ؟". دب الخوف في نفس تساي قونغ، وفكّر بينه وبين نفسه: هل من المعقول أن يكون لديه علم بالهدايا التي عرضتها عليه عندما ذهبت إلى بكين؟ لا هذا غير ممكن، فهو لم يقبل الهدايا أصلا ورفضها رفضا مطلقا. ضحك

الشرطي النحيل وقال: "يبدو أننا قد وضعنا يدنا على الجرح، أليس كذلك أيها السيد قونغ؟". غضب تساي قونغ جدا وقال: "عن ماذا تتحدث أيها الشرطي؟ لا تقلل من شأن السيد هوى ليانغ بينغ بهذه التهم الزائفة". لقد نظر إليه الشرطيان كقرد أتوا به من السرك ليرفه عنهما ويقدم لهما بعض العروض البهلوانية.

بعد انتهاء عملية الاستجواب، أحضر الشرطي النحيل السجل، وطلب من تساي التوقيع على أقواله. نظر تساي قونغ إلى السجل وقال: "علي أن أرى أولا ما الذي قمتم بتسجيله قبل أن أوقع". نفد صبر الشرطي السمين وقال: "ما الذي تريد أن تراه في هذا السجل؟ لن ترى سوى الكلام الذي قلته، فنحن لم نسجل سواه، أرجوك وقّع على أقوالك". فرد عليه تساي قونغ قائلا: "إن استمررت بالتحدث معي بهذه الطريقة، لن أوقّع". لم يكن لدى الشرطي السمين من خيار سوى أن يقدم له بعض التنازلات وقال: "حسنا يا قونغ خذ كل الوقت الذي تحتاج إليه، وانظر إلى أقوالك بتمعن".

لم يقرأ تساي قونغ السجل، واكتفى بتقليب صفحاته بشكل عشوائي ثم قال: "عليك أن تضيف ملاحظة، ألا وهي أنك قمت باستجوابي طوال الليل ولم تسمح لي بالنوم". فرد عليه الشرطي السمين قائلا: "إن هذا يدعى بالتحقيق الاضطراري، وكان من الواجب علينا أن نحقق معك على وجه السرعة، أما إذا كنت تريد التحدث عن حرمانك من النوم ليوم واحد، فنحن محرومون منه طوال أيام العام". مع بزوغ الفجر أوصلت الشرطة تساي قونغ إلى غرفته وكان هو ذات الوقت الذي حصلت فيه الحادثة أو المؤامرة.

كان آخر ما يتوقعه تساي قونغ هو رؤية عدوه اللدود تشانغ تشي هاو مصادفة في غرفة الحجز التابعة للأمن العام. لقد كان هو المسؤول عن الحريق "916" وكان تشانغ تشي هاو هو من أبلغ الشرطة، وعلى الرغم من أن اللقاء داخل السجن كان غير متوقع لكليهما، لكنه لم يأت من الفراغ. كان رجلا الشرطة يأخذان كلا منهما باتجاه مختلف عن الآخر، فهو كان عائدا من جلسة الاستجواب، وكانت جلسة تشانغ على وشك البدء، وفي اللحظة التي التقيا بها داخل بهو الأمن العام، رمقه تشانغ بنظرة القاتل، ولكن تساي تفادى نظراته، وحاول تجنبه حتى تجاوزه. وفي اللحظة التي التقيا بها في المكان ذاته، وجّه تشانغ تشي هاو وبغفلة عن أعين الحراس لكمه قوية جدا إلى وجه تشانغ فبدأ الدم يسيل من وجهه، وأتبع تشانغ لكمته، بركلة إلى بطن تساي، لقد كان هاو متقنا للعديد من الفنون القتالية، وكانت هذه الركلة كفيلة برض ثلاثة من أضلاع صدره.

قبض الشرطيان على تشانغ تشي هاو في الحال، وكان وجه تساي مغطى بالدماء وهو يقبض على صدره بقوة ويترنّح على الأرض. لم يرغب تشانغ تشي هاو في الصفح والنسيان، بل بقي مصرا على موقفه وقال: "لن أرحمك يا تساي، سأضربك في كل مرة أراك فيها، ولولاك لما كنت أعاني في هذا المكان البائس".

كان هوى ليانغ بينغ غاضبا جدا بعد أن تلقى مكالمة طارئة من مكتب المدعي العام المقيم، فقد تعرض تساي قونغ للضرب المبرح في مركز الاحتجاز التابع لمكتب الأمن العام في البلدية. كيف فعل تشاو دونغلاي ذلك بحق السماء؟". بعد ذلك، هل سيقابل تساي قونغ الموت عن طريق النوم، أم بواسطة فرشاة الأسنان، أم الموت عن طريق لعبة الاختباء؟ ولا عجب أن صديق طفولته ببساطة لم يكن على استعداد للذهاب مع رجال مكتب الأمن العام في البلدية، يبدو أن هناك ما هو أكبر بكثير من التقاء الاثنين، ولم يكن من المناسب لهوى ليانغ بينغ أن يتدخل وينتقد تشاو دونغلاي بعنف، لذلك أمر لو ييك أن تأخذ تشانغ هوى هوى معها للتفاوض مع تشاو دونغلاي. وطلب منها أن تسأله كيف تم ضرب تساي، وهل كان ذلك حادثا أم مؤامرة سرية؟ وهل لا زال بإمكانه ضمان السلامة الشخصية لتساي؟ وأن على تشاو تسليمه إلى النيابة الإقليمية في حال لم يتمكن من ذلك.

التقت المرأتان مع تشاو دونغلاي في غرفة الاجتماعات في مستشفى الأمن العام. وحالما شاهدهما تشاو، اعتذر وقال إنه لم يتوقع أن يحدث هذا النوع من الحوادث. فقالت لوو ييك: "حادث! لا بد أنها كانت مؤامرة". وقالت تشانغ هوى هوى موافقة: "صحيح. بالنظر إلى الوضع الحالي، فإن كل شيء يشير إلى هجوم مخطط بدقة". وعندما كانوا على وشك البدء بالكلام، جاء الطبيب المسؤول بعد الانتهاء من العلاج وأخطرهم بالوضع: "كانت الضربة التي سددها تشانغ تشي هاو شرسة، فقد تم كسر أنف تساي قونغ، وحتى أن جرحه القديم في رأسه قد تمزق من جديد، قد يسبب ذلك ارتجاجا إلى درجة معينة، بالإضافة إلى ذلك، فإن ثلاثة من أضلاعه كانت متصدعة من الركلة، لكن حياته ليست في خطر".

وبعد أن انسحب الطبيب، جلس الثلاثة بمواجهة بعضهم البعض. وسألت لو ييك على الفور: "كيف تم ضرب تساي قونغ مباشرة بعد دخوله؟ كيف يمكن أن يكون المعتدي هو قائد فريق الهدم؟ هل كان ذلك من قبيل المصادفة أو كان شخصا يحاول تهديد تساي طوال الوقت؟". اعتقد تشاو

دونغلاي أنها مصادفة، وقال إن كلا الطرفين كانا في حالة نزاع لمدة طويلة بسبب الهدم، حيث كانت المشكلة أقدم من يوم أو يومين...

بعد ذلك، رن هاتف لو ييك الخليوي فنظرت إلى الرقم، إنه هوى ليانغ بينغ وقامت لتكلمه خارجا. سألها هوى إذا ما كانت في مستشفى الأمن العام، وبمجرد أن أجابته، أخبرها أن تفكر في طريقة للقاء تساي قونغ وحده ومعرفة ما إذا كان لديه أي شيء يريد أن يقوله. تعد هذه المسألة غريبة في نظر هوى، ويعتقد أنها قد تؤثر على اعتراف تساي، وكان للو ييك وجهة النظر ذاتها لكنها لم تقل الكثير، واكتفت بالإجابة بكلمة "مفهوم". توجهت لو ييك بخطوات كبيرة نحو غرفة المراقبة في نهاية القاعة حاملة هاتفها دون أن تدخل إلى غرفة الاجتماعات.

وقف رجلا شرطة خارج غرفة المراقبة، وأظهرت لو ييك أوراق اعتمادها لرجال الشرطة. فعرف أحد الشرطيين لو وقال: "هذه الرئيسة لو من مكتب النيابة". فقال الشرطي الآخر بصرامة: "قال المدير تشاو بألا نسمح لأحد بمقابلة تساي قونغ". فقالت لو ييك: هذا لا يشملني، فأنا أريد التحقق من إصابته". وأشارت مبتسمة إلى غرفة الاجتماعات وقالت: "إننا نعقد اجتماعا هناك". فابتعد الشرطيان ودخلت لو إلى غرفة تساي فوجدته مستلقيا على السرير. وعندما رآها تدخل حاول أن يجلس وقد بذل الكثير من الجهد، فساعدته على استعادة توازنه وقالت: "أنا آسفة لحدوث حادث كهذا معك".

كان كل شيء واضحا لتساي فسألها: "هل أرسلك المدير هوى ليانغ بينغ؟". ففتحت لو ييك مسجل صوت هاتفها قائلة: "هل لديك أي شيء تريد أن تقوله؟". فوضع فمه على الهاتف وقال: "أيها المدير هوى، لقد أجبرني المدير تشاو دونغلاي من مكتب الأمن العام في البلدية على القراءة من ورقة مرارا وتكرارا، وسجلوا ما قرأت، ربما يريدون توريطي بشيء ما". فسألته لو: "ماذا كان في الورقة؟". أجاب: "لقد كانت معلومات هاتفية عن اتصال لي مع المدير تشين هاي لأبلغ عن أويانغ جينغ وعن شيء ما يدعى دفتر حسابات".

سجلت لو ييك الصوت، وخرجت من الغرفة راكضة باتجاه تشاو دونغلاي وتشانغ هوى هوى. بدا وجه تشاو متجهما وقال بامتعاض: "كيف تقتحمين الاجتماع هكذا يا لو؟ أليس ذلك فظا؟". فردت لو ييك بكلام ساخر مأخوذ من مسرحية: "لقد حولتم كلّ ذلك اللطف إلى فظاظة منذ وقت طويل". ففهم تشاو دونغلاي ورفع حاجبيه وقال: "أرى أنك قد قرأت رواية منزل الشاي للاو شي".

فردت لو ييك: "كفاك هراء أيها المدير تشاو، إن إصابة تساي قونغ خطيرة. ابقي هنا يا هوى هوى وانتبهي إلى حالة تساي الصحية، أنا سوف أعود لأعطي المدير هوى تقريرا". وغادرت لو ييك مسرعة تحت نظرات تشاو دونغلاي المتشككة.

عند وصولها إلى مبنى النيابة، قصدت مباشرة مكتب هوى ليانغ بينغ الذي استقبلها باستغراب. فسحبت هاتفها ووضعته على المكتب، فعرف بأن مساعدته البارعة قد ربحت هذه الجولة.

استمع إلى التسجيل الصوتي مرارا وتكرارا، ولكن كلمة واحدة فقط علقت في ذهنه. فوقف أمام حوض الأسماك وهو يفرك ذقنه مفكرا. عن أي دفتر حساب يتحدث؟ لمن هو؟ هل كان دفتر الحساب الخاص بمجموعة شانشوي التي تملكها قاو شياو تشين أم كان دفتر الحساب الخاص بمصنع تساي قونغ دافنغ؟ كان هذا بالتأكيد دليلا جديدا.

لقد تم احتجاز تساي قونغ، وأفلس مصنع دافنغ، والحريق الذي اندلع في "916" أجبر الحكومة على دفع أربعين مليون يوان مؤقتا نيابة عن مجموعة شانشوي. وفي نهاية المطاف حصل الألف وثلاثمائة عامل تقريبا على مكافآت نهاية الخدمة والتي تتراوح ما بين ثلاثين إلى خمسين ألف يوان. أغلبية الناس أخذت أموالها ورحلت، أما الباقون فقد شعروا بعدم الارتياح بعد حصولهم على المال وهم لا يعرفون كيف سيعيلون أنفسهم في المستقبل. مثلا وانغ مينغ الذي كان في المستشفى بسبب إصابته بالحروق؛ كان هو وزوجته يعملان في المصنع ولا يزال ابنهما صغيرا. أخذت زوجته حوالى الستين ألفا كمكافأة نهاية الخدمة لكليهما، ثم ذهبت إلى اتحاد العمال والدموع تملأ عينيها، وسألت تشينغ شيبو ما الذي ينبغي عليهم فعله من الآن وصاعدا. فيمكن فقط للشعراء ذوي الخيال الواسع أن يجدوا حلا لأنهم مختلفون عن الناس العاديين. قالت له: "ماذا يمكننا أن نفعل؟ نبدأ من الصفر؟" فقال لها "تشينغ شيبو: "يمكننا جمع أموال المكافآت لإنشاء مصنع جديد". سيشيد مصنع دافنغ جديد من أموال هؤلاء الزوجات اللواتي لا يفعلن شيئا سوى البكاء بمرارة لأنهن يحتجن أشخاصا قادرين. مثلا المدير المساعد للمصنع *ما* العجوز كان محط ثقة لمجموعة كبيرة من العمال لأنه كان ماهرا ولديه القدرة على الترويج لمنتجه. لم تكن الحياة قصيدة بالطبع وكان لمصنع دافنغ الجديد بداية صعبة، فجمع التبرعات الذي قام به تشينغ شيبو باء بالفشل، حيث إن واحدا

وعشرون شخصا كانوا مستعدين لمتابعته وكانوا كلهم من كبار السن أو المرضى والمعوقين أو من الضعفاء.

بعد عدة أيام من العمل الجاد، لم يستطع تشينغ شيبو جمع سوى ستمئة وثلاثين ألف يوان من التبرعات، وبالتالي لم يكن قادرا على منافسة شركة أوراق ابنه. لذلك عندما رأى تشينغ العجوز *ما* متجها لصيد الأسماك في بحيرة غوانغمينغ، تبعه وهو يحمل سنارته على كتفه. رأى ظلا بجوار مجموعة من القصب، كان العجوز *ما* يحمل سنارة الصيد خاصته وهو يحدق بفرح إلى سطح الماء. انضم إليه المحاسب يو الذي كان مصلح سياج، وكان من الواضح بأن كليهما لم يأت للصيد وإنما جاءا للاستفادة من خبرة العجوز *ما*. كان يو العجوز قد وعد تشينغ شيبو أنه سيصبح أحد المساهمين في دافنغ الجديد ولكنه كان يحتاج وقتا طويلا لدفع الأموال، وإذا ما استمر العجوز *ما في هذا المشروع* فإن المحاسب *يو* سوف يتوقف عن التردد.

استغرق شيبو في التفكير قائلا لنفسه "إذا جمعنا الرؤوس الكبيرة معا في مستقبل دافنغ، وإذا استطعنا أن نحصل على اجماع، فإننا نكون قطعنا نصف الطريق". حيا تشينغ الرجلين واتكأ فقط على سنارة صيده بجانب العجوز *ما*، كانت سنارته أطول بقليل من جسمه الذي يشبه الخيزران.

رمقه العجوز *ما* بنظرة خاطفة وقال: "أخبرني ما تريد أن تقوله بسرعة. وما الذي تفعله متجولا بسنانير الصيد هذه طوال النهار؟ أليس لديك شيء أهم لتفعله؟". ضحك تشينغ شيبو قائلا: "عندما أذهب للصيد، فإنني لا أحتاج إلى سنارة أو إلى قصبة، بل إنني وبكل بساطة، أنتظر السمكة حتى تأتي إلي من تلقاء ذاتها". فأجابه العجوز *ما*: "هيا يا شيبو أخبرني الحقيقة، فنحن كنا أصدقاء مقربين منذ زمن طويل، وألاعيبك هذه لن تنطلي علي، وإن أردت أن تلعب هذه اللعبة، إذا سأبدأ أنا أولا. ولأكون صريحا معك، فأنا لأريد أن تعود صداقتنا كما كانت، وجل ما يهمني هو الحصول على أسهم دافنغ القديمة، كما أنني على علم بمجموعتك، فهم إما من ذوي الاحتياجات الخاصة أو منتسبين إلى الاتحاد النسائي، أو ربما هم قادمون من دور للعجزة، وأعتقد أن ثقتك بهم هي ضرب من الجنون، لذا لا تحاول إقناعي أن أنضم إليكم أرجوك، فإنني لا أريد أن أخفق من جديد". بعد سماعه للحديث أضاف المحاسب يو قائلا: "هذا صحيح، أنظر كم كان نفوذ السيد تساي كبيرا، وبالرغم من ذلك كان هو السبب في انهيار مصنع دافنغ. تناس الموضوع أيها العجوز شيبو، فكيف يمكنك أن تكون أفضل من تساي في الأمور التجارية، وأنت مهتم بالأمور الشعرية وكتابة القصائد".

لم يكترث تشينغ شيبو لما قاله المحاسب يو وتابع حديثه مع *ما*: "إن ذوي الاحتياجات الخاصة، والنساء، بالإضافة إلى المسنين هم إخوة وأخوات لنا، أليس كذلك؟ أيها العجوز *ما*، لقد كنت نائب المدير في المصنع، ويجب عليك أن تقدم لهم المساعدة في هذا الوقت العصيب، كما أنني أعتقد أنه حان الوقت لكلينا أن نأخذ زمام المبادرة، ونؤسس مؤسسة جديدة، بنظامها الاقتصادي المتفرد، وهكذا نكون قد قمنا بإعطاء الجميع شيئا ليثقوا به ويعتمدوا عليه، وأنت محق أنني لا أستطيع أن أنشئ مصنعا وحدي، ولهذا السبب أحضرتك إلى هنا". أقحم المحاسب يو في الحديث أيضا قائلا: "وأنت أيها العجوز يو كنز حقيقي وأعتقد أنك تدرك ذلك، وأعتقد أنه إن اجتمعنا ثلاثتنا سنكون في حال أفضل دون أدنى شك. في الحقيقة لقد كان مصنع دافنغ خارج الخدمة طوال فترة السيد تساي، ونحن الذين حافظنا عليه، فلماذا لا نستطيع فعل هذا الآن؟ وفي ذلك اليوم زار الأمين العام لي داكانغ المصنع، وقرر أنه سوف يساعد في عملية إعادة التوظيف، كما أنه سيضع سياسات جديدة للعمل. لا أعتقد أنه سيكون من الصعب الحصول على قرض من الحكومة لبناء مصنع جديد. كما أن آلات ومعدات مصنع دافنغ كلها موجودة وصالحة للاستخدام، بالإضافة إلى أن طاقم العمل كله جاهز أيضا، ومقارنة بالجهد الذي كنا سنبذله لو كنا سنقوم ببناء مصنع من الصفر، فأعتقد أننا في حالة جيدة جدا أليس كذلك؟".

طوال الحديث كان المحاسب يو ينظر إلى العجوز *ما* ليرى تعابير وجهه، ومن ثم أضاف قائلا: "هذا كلام صحيح أيها العجوز تشينغ، فإن قمنا بالتفكير بالموضوع جيدا، فإننا سنرى أنها فرصة رائعة بالنسبة إلينا، ألا تعتقد ذلك أيها المدير *ما*". استمر العجوز *ما* بهز رأسه، وكان تشينغ يريد أن يستمر في الحديث، إلى أن تحركت سنارة العجوز *ما*. وصرخ: "لقد اصطدت واحدة". أعتقد أنها سمكة تزن رطلا أو أكثر، وذهب بعدها إلى منزله مسرعا ليقوم بتحضير السمكة للعشاء.

شعر تشينغ بخيبة أمل كبيرة، وقرر أن يركب دراجته ويذهب ليأخذ نصيحة صديقه تشن يانشي. وعندما رأى تشن رفيقه تشينغ على هذه الحالة، أراد أن يأخذه إلى أحد المطاعم الفخمة، ليتناولا الطعام، ويشربا بعض الكحول لكي يهدأ تشينغ بعض الشيء. بين تشينغ سبب قدومه إليه، وطلب منه أن يساعده ويعطيه بعض الحلول والخطط. استمع تشن إليه جيدا، وبدأ بالتفكير مليا، محاولا إيجاد حل له.

على الشرفة، تكلم الببغاء وأثار بعض الضجة: "متهكم عجوز غاضب، متهكم عجوز غاضب.." فضحك تشينغ شيبو، فهو يعلم أن الكبير تشن يحب الطيور والزهور وغالبا ما كان يجلب بعض الأشياء النادرة معه عندما يأتي لرؤية الرجل العجوز. كان قد أعطى الببغاء للعجوز لأنه دائما ما كان متشائما حول الحياة، وزوجته تضحك منه لكونه متهكما عجوزا غاضبا، فالتقطها الطير ورددها طوال اليوم. أثنى تشن يانشي على شيبو وقال: "خير لك، فلديك قلب دافئ وشعور بالمسؤولية، يمكنك الآن التفكير بالمحرومين. ومع ذلك، لا تقم بلوم العجوز *ما*، فهو غير ملزم بفعل أكثر من ذلك. أنا أقترح أن تبدأ بإنشاء الشركة الجديدة وأن تنهض بها حالما ترفع شعارك عليها، عندما يحين الوقت، سأكون هناك لأهتف لك". ارتاح شيبو لهذا الكلام وقال: "حسنا أيها الكبير تشن، إذا كنت تستطيع شراء بعض الأسهم، فسيكون هذا أفضل". أجاب تشن يانشي: "حسنا، سأستثمر ثمانين ألفا أو مائة ألف. أما الآن، فسآخذك للحصول على بطاقة رابحة، هيا بنا".

كانت الورقة الرابحة التي ذكرها تشن يانشي هي رئيس مقاطعة قوانغمينغ، صن لينتشينغ، وعندما قرعا بابه، كان يعبث بمقرابه الحديث، والذي قال إنه استخدمه لمشاهدة النجوم في الليل. كان رئيس المقاطعة متحمسا لزيارتهما وطلب منهما الجلوس بينما كان يصب بعض الشاي. وفي هذه الأثناء، قدّم تشن يانشي تشينغ شيبو لرئيس المقاطعة وقال: "إن شيبو يستعد لبناء مصنع دافنغ جديد. إنه ليس بارعا فقط بكتابة القصائد، بل هو أيضا رئيس شركة". فعبّر صن لينتشينغ عن إعجابه وقال: "جيد، عمال مصنع دافنغ لديهم طموحات عالية. لا يمكن الاعتماد على الحكومة للحصول على عمل؛ يجب على العاطلين عن العمل العثور على وظائف خاصة بهم". حالا انتهز تشن يانشي الفرصة للحديث عن سبب زيارته وقال: "إن تأمين وظائف للناس هو أمر جيد؛ ولكن ذلك يعتمد على دعم رئيس المقاطعة والحكومة المحلية، يحتاج مصنع دافنغ الجديد إلى قطعة أرض تصلح لتشيد البناء عليها، ويريدون شراء بعض الآلات والمعدات الخاصة بالمصنع القديم...". لوح صن بيده بشهامة وقال: "هذه مسألة تافهة، ولم يكن عليك تكبد كل هذا العناء يا تشن، فقط اجعل شيبو يتصل بي في العمل، فأنتما مرحب بكما على الدوام، والقضايا الخاصة يلزمها معاملة خاصة". كان تشينغ شيبو متحمسا للغاية وقال: "سأتصل بك في المكتب يوم الاثنين أيها الرئيس؟". فرد عليه صن موافقا ثم قال في عتاب لطيف: "إذا صادفتك أية مشاكل من الآن فصاعدا، فتوجه إلي مباشرة دون اصطحاب الكبير تشن معك، فهو رجل هرم، لا تكن قاسيا معه هكذا". فشعر شيبو بالخجل، لكن تشن يانشي أجاب: "كان عمال مصنع دافنغ في وضع صعب، فاضطررت للتدخل".

سأل الرئيس صن شيبو قائلا: "لقد حلت الحكومة ذلك عن طريق دفع تعويض نهاية الخدمة بشكل مؤقت، وبدأتم جميعا بإنشاء مؤسسة. لن يتم احتلال المصنع بعد الآن، أليس كذلك؟".

فرد شيبو على عجل: "إلى الآن، لم يعد أحد يتحدث عن احتلال المصنع. كان تساي قونغ قد نظم احتلال المعمل، فهو قد أعطى الفريق الأمني علاوة مقابل ذلك، وعندما تم إلقاء القبض عليه، لم يهتم أحد بذلك، وانقسم عمال مصنع دافنغ إلى مجموعتين، العمال غير المساهمين والذين أخذوا مكافأة نهاية الخدمة وتركوا المصنع، والعمال المساهمون الذين استعدوا لشركة الملابس الجديدة، فهؤلاء يهتمون بحصصهم فقط. لقد رفعوا دعوى قضائية وشكواهم تم الاستماع إليها فعلا. ما لم تضيع الحكومة أي وقت في الموافقة على قطعة الأرض، فإن مصنع دافنغ الجديد سيفتتح قريبا ودون أي عوائق، وبالتالي لن يكون هناك مشاكل".

تنهد صن لينتشينغ وقال لتشن يانشي: "كل الشكر لك، لولاك لما كنا في وضع جيد الآن".

بعد الخروج من منزل صن لينتشينغ، ودع تشينغ شيبو تشن يانشي وأخذ ذلك في مزاج مرح، فقد أصبح لمعمل دافنغ أرض جديدة، وعندما يعلم الموظفون بذلك سيشترون أسهما، وهذا يثبت بأن الحكومة قد وفت بوعدها ولم يكن كلامها مجرد كلام فارغ، لكن كان حل المشكلة المالية على رأس أولوياته، فقد كان على عائلته توفير مئتي ألف يوان من حسابات التوفير. كان يمكنه سحبها والاستثمار فيها. ومع ذلك كان لديه بعض الهواجس حول هذا. فقد كان قد وعد ابنه تشينغ شينغلي بأن حساب التوفير سيستخدم لزواجه. ولكي يستخدم هذه الأموال لغرض آخر، يجب عليه أن يستشير ابنه. وزوجته كانت قد توفيت منذ وقت طويل وكانت العلاقة بينهما كعلاقة الأخوة، فهما كانا يمزحان في معظم الأوقات، وغالبا ما كانت نكاتهما تتجاوز الحدود. وبسبب ذلك، كان من الصعب سحب المئتي ألف يوان.

عند عودته إلى المنزل، وضع تشينغ شيبو اللحم المطبوخ الذي كان قد اشتراه على الطاولة، وكان ابنه قد دعا صديقته فجلس وأكل. كان ابنه شخصا سعيدا، عمل في عدة وظائف واستقال منها جميعا. الآن هو يدير شركة أسهم وقام بإنشاء متجر على الإنترنت. كان لديه صديقة جديدة كل يومين أو ثلاثة، ولكنه لم يفكر مرة بالزواج، وكان يدعي بأن لديه رهاب الزواج. صديقته الأخيرة كانت تدعى باوباو، ولكنه لم يكن يعرف ما إذا كان هذا اسمها الحقيقي، وكانت هي وابنه على ما يبدو يقضيان وقتا ممتعا معا، فقد كان يسمع اسمها بين الحين والآخر. سأل تشينغ ابنه على انفراد ما

إذا كانت من النوع الذي يمكن أن يتزوجه، فكان جواب ابنه المعتاد هو "الشباب فترة قصيرة، فلماذا نستعجل في الزواج؟".

استخدم تشينغ شيبو حساب التوفير ذي المائتي ألف يوان كطعم قائلا: "عندما تحصل على شهادة زواجك، سيصبح المال لك. وإذا لم تبدأ بتكوين عائلة فإنك لن تحصل على فلس واحد". فأجابه ابنه بامتعاض: "أنت تريد أن تشتري حريتي بمئتي ألف يوان؟ يبدو أنه مبلغ صغير". فرد تشينغ: "أنا لا أشتري حريتك، إنما أعطيك العلاج لرهاب الزواج". فقال له ابنه: "وفر على نفسك العناء، فإن مرضي صعب العلاج، لقد اعتبر مرض العصر".

وبينما كانوا يأكلون، انتقل تشينغ إلى النقطة التالية فورا فقال: "نحن بحاجة إلى مليون يوان كرأس مال لتأسيس مصنع دافنغ الجديد وأنا بحاجة لاستخدامها..." فقال ابنه بفمه المليء بأمعاء الخنزير: "ماذا؟ اسمعي يا باوباو، لقد فقد أبي عقله من أجل ذلك المصنع المتهدم، زج رئيسه تساي قونغ نفسه في السجن ولا يزال أبي يريد أن يفعل ذلك، ماذا يظن هذا الرجل العجوز نفسه؟ اسمعني أيها الرفيق شيبو، أنت لست حقيبة مالية، أنت لست سوى خاسر عجوز".

وضع تشينغ أعواد الطعام بقوة قائلا: "ماذا تعني بخاسر عجوز؟ انتبه يا تشينغ شينغلي، أنت تستفزني لأضربك". فأجابه تشينغ بسرعة: "إنها زلة لسان يا والدي، كن عقلانيا". فرد عليه والده: "عقلاني بماذا؟ أنا كسبت ذلك المال ولا يمكنني أن أقرضه لك في الوقت الحالي؟". فقال له تشينغ: "كنت أخشى ذلك يا أبي، لكن كم مرة قلت إن هذا المال لزواجي؟ بأنني عندما أتزوج ستصبح المئتي ألف لي، صحيح؟". نظر تشينغ شيبو إلى ابنه بسخرية وشرب النبيذ على مهل ثم قال: "أوه تشينغ شينغلي، يبدو أنك قد عولجت من رهاب الزواج هذا صحيح، ووالدك رجل عند كلمته وعندما تسلمني شهادة زواجك، سأسلمك بطاقة البنك".

قال تشينغ شينغلي: "حسنا". وبلمحة، طرق كأسه بكأس صديقته وقال لها: "دعينا نذهب يا باوباو للحصول على شهادة زواجنا". فقالت باوباو: "وكأن النهاية السعيدة المنتظرة قد أتت أخيرا". فغمزها تشينغ وقال: "نعم، فالنهايات السعيدة المنتظرة تأتي فجأة وعلى غير المتوقع". لم يأخذ تشينغ كلام ابنه على محمل الجد، ولكنه شرب جرعة من الخمر وذهب إلى غرفته لينام.

بعد ثلاثة أيام، تم إنشاء مصنع دافنغ الجديد في غرفة اجتماعات دافنغ القديم. لم يطلقوا ألعابا نارية ولم يقرعوا الطبول والصنوج، ولكن كثيرا من الناس جاؤوا. فبالإضافة إلى العشرين موظفا المساهمين في المصنع، كان هناك كثير من العاطلين عن العمل، بعضهم جاء للمتعة وبعضهم الآخر جاء للدعم، بينما جاء الآخرون ليروا كيف ستتطور الأمور. كان الخبر السار أن حكومة المقاطعة قد أعطت الأرض والدعم، وهذه الأخبار كانت ذات قيمة فعلا. فمنذ سنوات لم تكن أرض المصنع القديم ذات قيمة حقيقية، أما الآن فهي تساوي عدة مئات من قيمتها الأصلية. وبعد أن تمت الموافقة على قطعة أرض أخرى، فهي ستساوي الكثير أيضا.

جاء العديد من الناس بسبب النائب القديم تشن يانشي. فقد نشر تشينغ شيبو شائعات تقول إن العجوز تشن كان داعما كبيرا لمشروعهم الثاني، وبأنه لم يكن فقط مستشار الشركة، بل وكان سيستمر في توجيه الفئة المتضررة لتصبح فئة منظمة. مع العلم أن الشركة كانت تفتقر إلى رأس مال مسجل، إلا أنه استطاع أن يسحب مئة ألف يوان من المعاش الخاص به ويشتري بها أسهما.

في الجلسة الافتتاحية، شرح تشين يانشي عمله في الشركة، فهو لم يكن أحد المساهمين، بل كان داعما معنويا. فإذا خسروا المال، فسينسى الأمر. وإن نجح وأعادوا له المال، فإنه سيأخذ رأس المال فقط. وأعلن بأنه أخذ أموال زواج ابنه ليستخدمها في الوقت الراهن، ولكن لا يزال ينقصهم حوالي الثمانين ألفا ليكملوا المليون يوان. وأعرب عن أمله في أن يتمكن الجميع من جمع المبلغ الباقي. لم يظن بأن يأتي العجوز *ما* والمحاسب يو مع مجموعتهما ليصبحوا مساهمين، حيث استثمر العجوز *ما* مئة وخمسين ألفا، واستثمر المحاسب يو مئة وعشرين ألفا. وحالما وضعت النخبة استثماراتها، أصبح هناك تزايد في شراء الحصص، وخلال فترة قصيرة لم يعد الأمر يتعلق بالمليون يوان. حيث تجاوز رأس المال في ذلك اليوم الثلاثة ملايين بعد أن جاء العديد من الموظفين واشتروا حصصا الواحد تلو الآخر، وفي النهاية كان رأس المال الصافي يتجاوز التسعة ملايين يوان. وكان هذا يفوق توقعات تشينغ شيبو وتشن يانشي.

وهكذا أصبح الرئيس السابق لاتحاد العمال والشاعر تشينغ شيبو رئيسا للشركة الجديدة، وأصبح العجوز *ما* مديرا عاما بينما تولى المحاسب يو منصب المدير المالي.

لقد كان ذلك حقا يوما لا ينسى، كان يوما مثيرا للعواطف ومشوقا وذا تأثير عميق. ومع ذلك كان هناك حادث بسيط، فعندما عاد شيبو إلى المنزل، وجد زينة كبيرة حمراء معلقة على الباب،

فرك عينيه وقال لنفسه: "ما الذي يحصل؟ هل أتيت إلى المنزل الخاطئ؟". ولكن الباب فتح من الداخل. كان ابنه تشينغ شينغلي وباوباو مرتديين ملابس عريس وعروس، وكانت الأطباق التي تغطي الطاولة تشبه ما يوضع في حفلات الزفاف. كان ابنه مبتهجا وأمسك بيد والده وأعلن بصوت عال: "أبي، لقد تزوجنا". فلم يستطع تشينغ شيبو تصديق ذلك فقال: "حقا يا شينغلي؟ أنتما تمزحان، أليس كذلك؟". فتباهى ابنه بشهادة الزواج قائلا: "ألق نظرة يا أبي، هل يمكن أن تصدر الحكومة شهادات غير حقيقية؟". فنظر تشينغ إلى شهادة الزواج، ثم أعاد النظر مرة أخرى، لقد كان مجبرا على الاعتراف بأن الأمر ليس بمزحة فقال: "الأحداث السعيدة تأتي مجتمعة، فكلنا لدينا سبب للاحتفال". فتفاجأ ابنه وقال: "نحن تزوجنا، أما أنت فما الذي تحتفل به؟". ضحك تشينغ شيبو وقال: "يمكنكما أن تهنئاني على تكريمي باستلام منصب رئيس مصنع دافنغ الجديد". وفي تلك اللحظة كان ابنه يشرب الماء فبصقه من فمه وقال: "اللعنة! جعلوا شخصا مثلك رئيسا".

فامتعض تشينغ شيبو قائلا: "انتبه لكلامك يا فتى، ألا أستطيع أن أكون رئيسا؟". وبينما كان يتحدث، جلس إلى الطاولة، وسكب لنفسه بعض النبيذ الذي كان سلسا جدا، وقال: "دعني أخبرك شيئا يا فتى، نحن لسنا مثل شركة الأسهم خاصتك. ما لدي هو شركة مساهمة مناسبة، رأس مالها يتجاوز العشرة ملايين يوان".

قاطعه ابنه قائلا: "حسنا يا أبي، دعنا لا نتحدث عن الأمر الآن. وكما يقول المثل حتى الأخوة يسددون ما عليهم من ديون لبعضهم ألا تعتقد ذلك أنت أيضا؟ والأب والابن يخضعان للقاعدة نفسها، حسنا، أعطني مئتي ألف يوان، وسوف أعطيك عقد الزواج على الفور، وها هو عقد الزواج معي الآن في حال أحضرت أنت المال أيضا". لكن من أين كان سيحصل تشينغ شيبو على المال؟ رشف القليل من النبيذ ونظر إلى ابنه قائلا: "يا إلهي، لم أتوقع على الإطلاق أنكما ستقومان بحفل الزفاف بهذه السرعة، لذا وضعت المئتي ألف يوان في مشروع للاستثمار، وقد سبق لي أن ناقشت هذا الموضوع معكما منذ بضعة أيام". اغرورقت عينا ابنه بالدموع وقال غاضبا: "لم أتوقع أن تكون على هذه الدرجة الكبيرة من الانحطاط". وقالت زوجة ابنه باوباو: "نعم، لن تحصل على عقد زواج، دون أن تعطيه المال".

كان على تشينغ شيبو أن يختلق عذرا ما على الفور وقال: "إن أمك هي السبب الرئيسي لحصول كل هذه الفوضى، فهي التي كانت تقنعني طوال الوقت، وتصر كي أضع هذه الأموال في

الاستثمار". نظر إليه ابنه، وهو لا يعلم إن كان عليه أن يضحك أم يبكي من كلام والده هذا وقال: "باوباو أليس هذا هو القائد المتقاعد عديم الشفقة أم ماذا؟ من الذي يحاول أن يخدعه بحديثه هذا، أيعتقد أننا أطفال بعمر الثالثة؟ دعني أقول لك أمرا يا أبي، أنت شخص مخادع وغبي في الوقت ذاته". قرر شيبو أن يستمر بمسرحيته الرخيصة وقال: "لقد كانت أمك بوذية، ولم تكن قادرة على رؤية أصدقائها العمال يعانون بهذا الشكل، انظر إلى عمتك، لقد أخذت ثمانية وعشرون ألف يوان، وبالرغم من ذلك لم يعجبها وجاءت إلي تبكي. لقد توفي زوجها، ولديها الآن ابنها في المدرسة الابتدائية، وابنتها في المدرسة الإعدادية، ودون وجود الشركة الجديدة، ستبقى دون أي مصدر للدخل، ولن تتمكن من أن تؤمن احتياجات ولديها، وماذا أيضا عن عمك وانغ وعمك الآخر لين ألم تفكرا بهما؟".

لم يتعمق تشينغ شيبو كثيرا في التفاصيل، وشرب كأس النبيذ دفعة واحدة، وبعد أن مسح فمه بمنديل، وضع وثيقة الشراكة مع مؤسسة دافنغ على الطاولة، وقال: "انظرا ها هي وثيقة الشراكة مع مؤسسة دافنغ الجديدة، لقد أصبحت الشركة ملكنا. أيا يكن الأمر، لقد استثمرت مئتين وخمسين ألفا في المصنع الجديد، وإن كنتم تتساءلون عن الخمسين ألف الإضافية، فهي تعويضي التقاعدي، خذا سند الشراكة هذا، اعتبرا أن هذه الشركة شركتكما الخاصة، وخذا كل الأرباح التي تجنيها، ألا يرضيكما هذا؟". شعرت باوباو بالسعادة ولم تستطع إخفاء ابتسامتها ومن ثم قالت: "أنظر يا تشينغ شنغلي كم هو والدك جدير بالثقة. أعتقد أن هذا سيفي بالغرض" أخذ تشينغ شنغلي عقد الشراكة ودرسه بتمعن ثم قال: "ما الذي تقصدينه بأن هذا سوف يفي بالغرض؟ كيف يمكننا التأكد أن هذه الوثيقة ليست مزوره؟". قررت باوباو أن تلعب دور الحمقاء وقالت: "أمن الممكن أن يكون أحد ما زور العقد وأعطاه لوالدك يا تشينغ؟". فهم شيبو المعنى الذي كانت تريد أن توصله زوجة ابنه وقال: "لماذا يا باوباو هل عقد الزواج الذي بحوزتك مزور؟". فردت عليه باوباو التي كانت قد خدعت تشينغ شينغلي الذي كان لديه أصلا خوف من الزواج على عكسها تماما قائلة: "تحليل رائع يا عمي، كيف استطعت أن تكشفنا بهذه السرعة؟ لقد أنفقنا مئتي يوان لنحصل عليها، وتقول لنا إنها مزورة".

أخذ شيبو عقد الشراكة من يد ابنه وقال: "عقد الشراكة هذا مزور أيضا، أعده إلي".

16

كان شا روجين قد سبب بعض القلق وعدم الارتياح لبعض المسؤولين في الدوائر السياسية للمقاطعة إتش، وخاصة بعد وصول شا، عندما نزلت لجنة مقاطعة تابعة لأمن التفتيش التأديبي من بكين من السماء باسم تيان غوفو، والتي تحدثت مطولا لبعض المسؤولين. وكان ذاك القلق الذي تتسبب به عائلة شا يكبر شيئا فشيئا.

كان لي داكانغ أول من شعر بالنسيم البارد، فبعد وقوع حادث "916"، وبالرغم من أن شا روجين لم ينتقده خلال اجتماع اللجنة الدائمة ولم يذكر اسمه بشكل مباشر، إلا أن تقييمه للحادث لم يكن عاديا، بل كان صارما للغاية. كان حادثا عنيفا قاتلا بسبب الفساد الشديد، فقد أثار السلوك الفاسد لكثير من الكوادر العديد من المشاكل الاجتماعية. وهذا النوع من الحكم كان أكثر مما يمكن للي داكانغ احتماله، فمجرد التفكير بذلك جعله يريد الانفصال بهدوء. وكان الأكثر فظاعة، كون زوجته أويانغ جينغ موضع شبهة بتهمة الفساد ولم تكن توافق على الطلاق. ماذا يجب أن يفعل؟ هل يجبرها حتى تنفجر القنبلة؟ هل يضع حياته السياسية على المحك؟ كلا، فقد وصلت الأمور إلى هنا ويجب عليه استلام زمام المبادرة وجعل شا روجين يعرف بالحالة الحقيقية لزواجه. ربما تلك هي أفضل طريقة ليخرج نفسه من المشكلة. بالطبع قد يعتبرها قاو يوليانغ تستّرا ما يجعل الأمور أكثر وضوحا، ولكن بغض النظر عن ذلك، كان عليه اتخاذ إجراء ما.

بمجرد وصوله إلى مكتبه ذلك الصباح، اتصل لي داكانغ بشا روجين وأخبره بنيته تسليمه تقريرا بأسرع وقت ممكن. من قبيل الصدفة وفي الوقت نفسه، كان شا يتجه إلى منطقة التنمية الاقتصادية لينتشينغ، حيث كان لي داكانغ قد شغل منصب سكرتير لجنة الحزب لبلدية لينتشينغ وأشرف على تطوير منطقة التنمية الاقتصادية، وهذا كان أحد المعالم البارزة في مسيرته السياسية.

على الهاتف، بدأ الرجلان يتحدثان بسعادة عن منطقة التنمية الاقتصادية في لينتشينغ. حيث أشاد بها شا باعتبارها منطقة تنمية عالية التطور التقاني، ومساحة صناعية مشهورة. كانت واحدة من البطاقات الرابحة لمنطقة لينتشينغ ولمقاطعة إتش على حدّ سواء، ولذلك فهو ذاهب لرؤيتها بشكل خاص. قال الأمين شا بشكل عشوائي على ما يبدو: "أيها الرفيق داكانغ، أنت تفكر للمستقبل. من المذهل أن تكون قادرا على حماية البيئة والمحيط الخاص بك خلال عشر سنوات من الآن..". فقد لي داكانغ التركيز بسبب الثناء غير المتوقع، ولكنه أصبح في مزاج أفضل بكثير. فالتقط جهاز الاستقبال بيديه الاثنتين وقال ببرود: "أيها الأمين روجين لأنني أفكر للمستقبل، لذا فإن الناس لا يستطيعون فهمي الآن".

كان شا روجين في مزاج جيد أيضا فقال: "هل هذا صحيح؟ أيها الرفيق داكانغ، ألم تكن تريد أن تقدم تقريرا؟ تعال إذا، دعنا نجري محادثة جيدة. سأكون بانتظارك في منطقة التنمية الاقتصادية لينتشينغ عند الصباح الباكر، لتكون دليلي في أنحائها. كن هناك أو ستخسر عملك إلى الأبد".

بعد أن أغلق الهاتف، طلب لي داكانغ من أمين مكتبه أن يجد مادة منطقة التنمية الاقتصادية في لينشينغ بسرعة، أراد أن ينظر إليها مجددا. احتار أمين مكتبه، فالأمين لي كان أكثر الأشخاص معرفة بمادة منطقة التنمية الاقتصادية فلماذا يريد تفقدها؟ فشرح له لي داكانغ وهو يمسح نظاراته انه وبمرور السنوات لا يستطيع تذكر بعض المعلومات، فهو بالتأكيد لا يريد أن يترك انطباعا لدى شا روجين بأنه أحمق. فوعده أمين مكتبه مرارا بأن يحضّر المادة وذهب باتجاه الباب عندما تذكر بأن زائرا ما قد وصل في الصباح الباكر ولا يزال ينتظره في الخارج، هذا الشخص كان وانغ دالو.

عندها تذكر لي بأنه قد طلب من وانغ دالو أن يأتي، تغير مزاجه مجددا. وضع نظارته، وأمر بإدخال وانغ دالو الذي دخل بقلق من الباب وقال: "أردت رؤيتي أيها الأمين لي؟". فجعله لي يجلس على الأريكة وقال له: "دالو، أنت تدعى وانغ دالو وليس وانغ شياولو صحيح؟ ولذلك أنا أنصحك: خذ الطريق الرئيسية وابتعد عن الطرق المختصرة". فنظر وانغ إليه مرتبكا وقال: "حضرة الأمين لي، أنا لا أفهم إلى ماذا تريد أن تصل". فضحك الأمين قائلا: "لا تفهم؟ إذا سأكون أكثر وضوحا، الطرق المختصرة ليست سهلة فهي مليئة بالأشواك والفخاخ. وإذا وقعت في أحدها، فسيوصلك ذلك إلى مصير كارثي غير متوقّع". فرد وانغ بتردد: "هل تقصد مشروع بحيرة

غوانغمينغ؟". فأجابه داكانغ: "هل قلت شيئا عن هذا الموضوع؟ أنا فقط أعطيك تذكيرا كصديق قديم عمل معك بنفس الفريق في وقت سابق".

حاول وانغ دالو جاهدا أن يشرح بأن مجموعته أرادت بالفعل أن تشارك في مشروع البناء الجديد لبحيرة غوانغمينغ، ولكن المدير العام دينغ يجن كان غامضا، وكل المزايدة على المشروع كانت مزيفة. فهو قال عدة كلمات أمام الرئيسة أويانغ جينغ يرثي فيها حظه السيئ، ولكن لم يكن لديه أي نوايا أخرى. وشدد وانغ دالو بأنه وأويانغ جينغ كانا زميلين في الجامعة ولكن لم تجمعهما علاقة حب من أي نوع.

وقف لي داكانغ وقاطع دالو بعد أن فقد صبره: "علاقة حب؟! لا تنحرف عن الموضوع، صفحة دينغ يجن طويت والمدير العام الحالي هو صن لينتشينغ. ولينتشينغ سيدير الأمور وفقا للقانون". فقال وانغ رأيه بصراحة: "صحيح أن صن لينتشينغ يقوم بالأمور حسب الأصول، ولكنه لا يفعل شيئا". فأصبح وجه لي داكانغ أكثر صرامة وقال: "من قال إنه لا يقوم بأي شيء؟ عندما تستلم مكتبا، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار القوانين. لقد استلم منصب المدير العام منذ وقت قصير". شعر لي داكانغ بأنه قد انحرف عن الموضوع كثيرا بقوله ذلك وقال وهو يلوّح بيده: "لا أزال أرجو يا دالو بأن تبتعد عن الطرق المختصرة، أو على الأقل إن الطريق المختصرة عبر زوجتي لا يمكن عبورها، ودعنا نترك الأمور عند هذه النقطة".

مسح وانغ دالو العرق المتصبب على وجهه، وأجبر نفسه على الابتسام وقال: "لقد فهمت. وأنا بالتأكيد لم أفكر في اتخاذ طرق مختصرة".

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، هرع لي داكانغ إلى لينتشينغ كما هو مخطط له بأن يغادروا عند السادسة والنصف ويصلوا عند الثامنة. وبمجرد دخولهم حدود المدينة، كانت لافتات تحمل شعارات سباق خريف البحيرة للدراجات 2014 تظهر بشكل مستمر، والتي كان يزداد عددها كلما اقتربوا من منطقة التنمية الاقتصادية. وكان المتسابقون يجرون عمليات الإحماء في كل مكان، والشرطة أحاطت بعض الطرق بالفعل.

بدأ سباق البحيرة هذا سابقا بناء على اقتراحه، حيث كان في بدايته يهدف فقط لتسلية شعب لينتشينغ. أما الآن، تحول إلى منافسة مثيرة بين الناس، حتى إن المنافسين من جميع أنحاء البلاد

وحتى من جميع أنحاء العالم انضموا للمشاركة به. بمجرد وصول لي داكانغ إلى ساحة منطقة التطوير، ترجّل من سيارته، وتوجه إليه الأمين تيان من لجنة الحزب لبلدية لينتشينغ ليخبره بعض الأخبار غير المتوقعة، فالأمين شا روجين يريد منافسته في السباق. وحالما التقى لي بالأمين شا روجين وجها لوجه قال له الأمين: "لن يكون الوقت مناسبا أكثر من الآن، وبما أنه حدث واجتمعنا هنا في هذا السباق، دعنا نتنافس قليلا". قال لي داكانغ: "جولة واحدة حول البحيرة هي سبعة وأربعون كيلومترا. هل أنت مستعد لهذا؟". فضرب أمين لجنة الحزب في المقاطعة على صدره وقال: "لماذا تظن يا داكانغ أن لياقتي البدنية أضعف من لياقتك؟". لم يملك حينها لي داكانغ ما يقوله، فقد كان شا روجين في الواقع لائقا، وحتى لو لم يكن كذلك، فهذا أمر لن يجاهر لي داكانغ به.

أخبر شا روجين لي داكانغ أن يعطي أمر انطلاق سباق الدراجات. لكن لي رفض ذلك وقال: "بوجود سكرتير لجنة الحزب في المقاطعة، يجب عليه إعطاء الأمر بنفسه. فأنت لديك السلطة". فلم يعجب شا روجين بذلك قائلا: "أيها الرفيق داكانغ، أنت ستعطي الأمر، فلا حاجة للسلطة هنا. هذا شيء تجيده وأنت أكثر المؤهلين". شعر لي داكانغ بالراحة ولم يحاول الاستمرار بالرفض. وبتقلده للسلطة، رفع شارة البداية، وأطلق بمسدسه أمر البدء.

نسيم لطيف داعب وجهه، والشمس كانت عالية في السماء. كان وجه لي داكانغ متوهجا. كم من الوقت مضى منذ أن شعر بهذا النوع من التعظيم. بعد طلقة البداية، اندفع راكبو الدراجات على خط البداية بشغف إلى الأمام، وحدث تدفق من الدراجات الهوائية. وبمجرد أن يمر جميع راكبي الدراجات، ينطلق شا روجين ولي داكانغ كل منهما على دراجته. حينها كان لي مبتهجا، فهذا يشير إلى أن شا كان ينوي أن يكون صديقا له. والآن بعد أن أصبحا صديقين وقائدين في الوقت ذاته، كان على لي داكانغ أن يعطيه كل ما لديه، ومن ثم، أطلق العنان لنفسه محاولا التقرب من زعيم مقاطعة إتش الأعلى مرتبة، وقدم تقريرا ذكيا عن تاريخ الإصلاح في لينتشينغ.

لقد كان اسم البحيرة في قسم التنمية والتطوير بحيرة بان أن. وعلى كل حال لم تكن بحيرة طبيعية، بل كانت ناتجة عن المنخفض الكبير في الأرض الذي نتج بدوره عن عملية التعدين. كان صن لينتشينج احتياطيا هائلا من الفحم، كما أن له تاريخا طويلا يمتد لثلاثمئة عام في مجال التعدين. كما أن أكبر منخفض أرضي حدث نتيجة التعدين كان في هذه المنطقة بالتحديد. في الماضي كانت منطقة المنخفض تسبب الكثير من المشاكل، وقد فكر كثيرا، بأن يستولي على العديد من الأراضي

الزراعية الخصبة، من أجل منطقة التنمية، ولكن كانت تكلفة هذه العملية كبيرة جدا. وإن نظرنا إلى الموضوع من الناحية الأخرى، فإن استخدامنا لهذه الأرض المهجورة بشكل كلي، سيترك للأجيال القادمة مشهدا رائعا، بالإضافة إلى أننا سوف نحصل على دعم مالي كبير من الحكومة. ولكن عندما قرر الاستقرار هنا ليبدأ بالعمل على منطقة التنمية والتطوير، واجه مقاومة كبيرة، ووقف العمدة ونائبه في وجه مخططه واتهموه بالجنون. وقد أخبر تشاو ليتشون سكرتير لجنة الحزب الإقليمية بالموضوع، وأبلغه بأنه يمكن لنقاط الضعف في منطقة المنخفض أن تتحول دون أي شك إلى نقاط قوة. لم تكن منطقة المنخفض الخاصة بعملية التعدين منشأة كيمائية، لذلك لم يكن هنالك أية مخاوف من تلوث بيئي، وإن عملية ربط المجاري أحدها بالآخر، سيشكل بحيرة قريبة من المنخفض، وعلى ضفاف هذه البحيرة ستنبت الأزهار، وسيتم زراعة الكثير من الأشجار، مما سيجعل من محيط البحيرة منتزها رائعا، وبعد سماع تشاو ليتشون لهذا التقرير دعمه بشدة وقرر مساعدته.

أفلت شا روجين يده عن المقود، وأعطاه إشارة الموافقة بإبهامه قائلا: "لديك بصيرة ثاقبة يا داكانغ فلو كنت أنا في مكانه، لكنت فعلت الأمر ذاته وقمت بمساعدتك، لقد رأيت بعض الصور القديمة لمنطقة المنخفض قبل أن يتم تجريفها، وكان منظرها سيئا جدا". لوح لي داكانغ بيده مشيرا إلى البحيرة وقال: "الآن وبما أنني تلقيت الدعم من لجنة الحزب الإقليمي، فيمكنك القول إننا نملك الآن البحيرة ومعها مسار ممتد لسبعة وأربعين كيلو مترا حولها، بالإضافة لهذه المنطقة التطويرية التي تبلغ مساحتها ثمانين كيلو مترا مربعا".

تملك منطقة التنمية عشرة معالم جذب رئيسية. حيث تم تحديث حديقة الألف زهرة أيم يو فايف قبل عشر سنوات من قبل مستثمر تايواني، أما الآن فقد تم توسيعها بشكل كبير لتصبح حديقة زراعة تايوانية. وكانت الحديقة التكنلوجية الحيوية بالاشتراك مع منتزه البرمجيات الصناعية، هما المشرفان الرئيسيان على مصانع ومشاتل النباتات. كما كان هنالك العديد من الشركات الكبيرة التي دخلت سوق الأسهم المحلي والدولي. لم ينكر لي داكانغ أنه كان هنالك الكثير من العواقب التي تواجه عملية التقدم. حيث كان هنالك العديد من الفاسدين في المنشأة أمثال لي وي مين نائب العمدة، ودينغ يجن مدير منطقة التنمية والتطوير في ذلك الوقت. حيث كان لاعتقال لي وي مين سبب من الواضح بأن شا روجين كان يعرف شيئا عن ذلك ومدحه قائلا: "حسنا أيها الرفيق داكانغ، إذا أنت مستعد للتضحية بفرصة للتقدم مقابل التضحية بالمبادئ التاريخية لصانعي السياسة".

أصبحت نغمة لي داكانغ أكثر جدية وتلألأت عيناه بالدموع، فعندما كان طفلا، نشأ في الريف. وقبل ذهابه إلى الكلية، كان جائعا على الدوام. وكان على دراية تامة بما يعنيه التلوث للمناطق الريفية وللمزارعين. كانت الأراضي شريان الحياة لأهله وللمزارعين الآخرين، فكيف سيتخلى عن مبادئه؟ ومع ذلك، كان عليه أن يضحي بنفسه للتشبث بمبادئه، ولذلك فقد فرصة الترقية. كان ذلك هو الوقت الذي يحدّد فيه الأبطال من الناتج المحلي الاجمالي، وكان هذا الناتج يعد إنجازا سياسيا، وعندما يهبط هذا الناتج يمكنك أن تنسى فكرة الترقية. ونتيجة لذلك، فإن نائب أمين لجنة الحزب الاقليمية قاو يوليانغ عندما انضم إلى دائرة اللجنة الدائمة للحزب لم يحرز أي تقدم.

سأل شا روجين باهتمام شديد: "يبدو أنك والرفيق يوليانغ كان لديكما الكثير من التقاطعات في عملكما خلال فترة من الزمن". فأجابه لي بصدق أنه مرت فترة قصيرة كان لديهما فيها تقاطعات في العمل، فقد عملا كفريق في لوتشو وعملا معا لمدة عام وثلاثة أشهر. كان قاو يوليانغ نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية هو العمدة في ذلك الوقت، وعند إعطائه لتقييم عمل داكانغ أجاب بصراحة: "طريقة عمل لي القديمة ثابتة، وهو يفكر بوضوح. مستوى نظرياته تتجاوز مستويات الكوادر العادية، ولكنه يضع سلامته الشخصية فوق المبادئ. وهو شخص يفتقر للريادة وخاصة فيما يتعلق بالتخطيط الحضري...".

ابتسم شا روجين عند سماع ذلك وقال: "دخلتما في صراع من أجل التخطيط الحضري، أخبرني عن ذلك الرفيق القديم تشاو ليتشون في بكين". لم ينكر لي داكانغ ذلك قائلا: "نعم، لقد ساند الأمين تشاو ليتشون الرفيق قاو وأمر بنقلي". ثم تنهد بحسرة قائلا: "الأمين ليتشون شخص منصف نوعا ما، بالرغم من أنني كنت أمين مكتبه الإداري، إلا أنه لم يظهر أي تمييز عندما نشأ النزاع. لقد اصطحبني شخصيا إلى لينتشينغ لاستلام مكتبي. كان يحاول إرضائي بهذه الطريقة وقال: "أنت ويوليانغ مختلفان، فأنت قائد يستكشف ويتوسع. لذلك عليك أن تبقني على اطلاع بأسرع وقت ممكن عمّا يحصل في لينتشينغ المعزولة. إن لدى لوتشو أساسا جيدا، دع يوليانغ والبقية يقومون بالأشياء بطريقة منهجية". فأومأ الأمين شا برأسه وأطرى على طريقة الأمين تشاو في وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

بعد أن تولى لي داكانغ منصبه، تولى مسؤولية منطقة تنمية الاقتصاد والتكنولوجيا. كان يعلم تماما بأن لينتشينغ لم تكن تملك نفس الأساس الذي تملكه لوتشو، ولذلك لم يستطع أن يقوم بالأمور

بطريقة منهجية مثل قاو يوليانغ، فطرح شعارا يقول: "الحرية هي كل ما لا يمنعه القانون، تجرأ على المحاولة وتجرأ على التقدم". وشعاره أيضا كان مثيرا للجدل.

نزل شا روجين ولي داكانغ عن دراجتيهما بعد أن بذلا جهدا كبيرا ووقفا على ضفة البحيرة ونظرا إلى الأفق. كان هذا المكان أحد عوامل جذب السياح وكان معروفا مثل بحيرة تين ثاوزند مو سويت لوتس. لقد نمت على سطح البحيرة الواسع باقات من أزهار اللوتس، وبالرغم من أن موسم الإزهار كان قد مضى عليه وقت، إلا أن أوراق اللوتس نمت بلون أخضر بهي وبشكل يشبه المظلة. هب نسيم عليل، حرّك أوراق اللوتس ونشر رائحة جميلة تجعل المرء يشعر بأنه سعيد وخال من الهموم. كانت قطرات الندى تدور حول الأزهار حية وجذابة كحفنة من الأطفال الصغار. ولهذا السبب كانت بحيرة بان أن في لينتشينغ مشهورة.

عندها تذكر شا روجين أن يسأل: "ألم ترغب في تقديم تقرير يا لي؟ ماذا كنت تريد أن تقول؟". دهش داكانغ للحظة ثم قال: "إنها مسألة شخصية، ولكنني أظن بأنه يجب أن تكون أنت والحزب على دراية بها". فابتسم روجين وقال: "هل تخص طلاقك من زوجتك أويانغ جينغ؟." ففوجئ لي وقال: "لقد وصلت للتوّ أيها الأمين روجين، فكيف علمت بمشاكلي الزوجية؟". فأجابه روجين قائلا: "الرفقاء في نفس الفريق يجب أن يهتموا ببعضهم البعض وأن يتفهموا بعضهم الآخر".

قال لي داكانغ: "نحن منفصلان فعليا منذ ثماني سنوات، لقد كان ذلك يشبه الكابوس". فهزّ شا روجين رأسه وتنهد قائلا: "حرب مقاومة لثماني سنوات، إذا كانت مشاعركما قد اختفت، كان يجدر بكما أن تحصلا على الطلاق منذ وقت طويل". تغيرت تعابير وجه لي داكانغ وقال: "المشكلة هي بأن أويانغ جينغ لم ترد مطلقا الطلاق مني، ولكن، ولحفظ ماء الوجه، لم أقم بإجبارها على ذلك، وهذا ما حدث لي خلال كل تلك السنوات. الآن، لا تستمع أويانغ إلى نداءاتي، فهي تصّر على السفر إلى أميركا لتعيش مع ابنتها. وتبعا لقوانين الحكومة المركزية، وإذا لم نحصل على الطلاق، فتتم إقالتي من منصبي". قال شا: "حسنا، أنا أفهم المشكلة الآن. إذا لم ينجح شيء، تقدم بطلب للطلاق".

كان لي داكانغ يتحضر للتقدم بطلب للطلاق ولكنه لم يتوقع بأن يعرض شا الفكرة أولا. فوقف متصلبا للحظة ثم أمسك بيد شا روجين بكلتا يديه وبدا وكأن صوته قد خانه عندما قال: "شكرا

لك أيها الرفيق روجين لتفهّمك ودعمك لي. سأذهب إلى المحكمة بأسرع وقت ممكن لأتقدم بطلب الطلاق".

17

كان هوى ليانغ بينغ شخصا مألوفا في منزل قاو يوليانغ. وبعد كل هذه السنوات دقّ جرس الباب حاملا بيده باقة من الأزهار. ففتح باب جانبي صغير إلى جانب الباب الأمامي المطلي بالأسود. وعندما رأته وو هويفن، زوجة يوليانغ، بدت سعيدة جدا وقالت: "احتجت كل هذا الوقت لتتصل بمعلمك؟ أخشى بأن تكون الحياة الرغيدة قد جعلتك تنسى طعامي". فضحك هوى ليانغ بينغ، وقدّم لها الأزهار بحركة استعراضية وقال: "كيف لك أن تبقي كما أنت منذ عشرين عاما؟ أنت الوردة التي لا تذبل أبدا".

وبينما كانا يتبادلان الحديث ويضحكان، أخرج قاو يوليانغ رأسه من نافذة قاعة الدراسة في الطابق الثاني وقال: "ها أنت ذا أيها القرد الصغير، تعال إليّ لقد كنت في انتظارك".

دخلا إلى غرفة المعيشة، وبعد فترة من الزمن نزل معلمه من الطابق الثاني وانضم إليهما، وفوجئ عندما رأى وو هوفين حاملة باقة من الزهور الجميلة وقال لهوى ليانغ بينغ: "أيها المحتال إن كل ما تريده هو أن تتودد إليها أليس كذلك؟ قل لي الآن أليست هذه الورود من منطقة لينتشينغ؟". قال هوى ليانغ بينغ: "نعم هذا صحيح، لقد قال لي بائع الورود أن هذه الباقة من هناك بالفعل، يبدو أنك تعرف كل شيء أيها البروفيسور". فرد عليه قاو يوليانغ قائلا: "منذ عدة سنوات، قام لي داكانغ ببناء حديقة الألف زهرة في لينتشينغ". فقال هوى ليانغ بينغ: "أيها البروفيسور، هل تشتري الزهور لزوجتك عادة؟". فتدخلت وو هوفين بعد أن وضعت الزهور في المزهرية قائلة: "لا يوجد زوج يفعل ذلك يا بينغ، لقد كنت أنت الوحيد الذي أعطاني ورودا في حياتي وكان هذا عندما كنت لا أزال في المدرسة، وكي لا أنسى، أعتقد أن تونغ وي أعطاني ورودا في مناسبتين أيضا". قال قاو يوليانغ على الفور: "لهذا عندما كنت تذهب أنت وتونغ وي إلى منزل الأستاذة وو كانت تضع كبرياءها

جانبا وتتناسى أنها أستاذتكما، وتدخل على المطبخ وتحضر لكما المأكولات الشهية. بينما كانت عندما أطلب منها أنا أن تريني بعضا من مواهبها في فن الطبخ تقوم بتجاهلي بشكل كلي". فقال ليانغ بينغ متعجبا: "هكذا بكل بساطة تريد أن تتناول وجباتها الشهية دون أن تكون قد أحضرت لها الورود ولو لمرة واحده؟ إنني أشد على يدك سيدتي". ضحكت وو هوفين وقالت: "هل تقوم زوجتك بملاحقتك وإزعاجك على الدوام يا ليانغ بينغ؟". أجابها ليانغ بينغ ضاحكا: "على الإطلاق، إنها متفهمة جدا، فقد ابتعت لها باقة في إحدى المرات، ولم تقم بشكري على أقل تقدير، بل قامت بتوبيخي وإلقاء اللوم علي، وقمت في ذلك اليوم بتبديلها ببطة مشوية. وبختني قائلة لماذا تبتاع لي الزهور، فنحن نعيش في المنزل ذاته، ماذا سأفعل الآن بهذه الزهور فهي لا تصلح للأكل أو للشرب". فضحك معلمه وزوجته كثيرا.

لقد كانت غرفة قاو يوليانغ متميزة جدا، فلم يكن معلما وحسب، بل كان قائدا أيضا، وكان مهتما بالبستنة، ويحب جمع لوحات لمناظر طبيعية، وكان باستطاعة أي أحد أن يلاحظ هذا الأمر من جمالية الألوان ونصاعتها داخل غرفته. وكانت شجرة البونساي بإبرها الصنوبرية الجميلة مقابلة للمدخل، كان أحد أصدقائه قد جلبها من الجبل الأصفر وقدمها له كهدية. كما قام بوضع لوحات لمناظر طبيعية خلابة وثبتها على حافة النوافذ بأحجار كريمة نادرة ووضع على حوافها أعشابا نادرة بألوان مختلفة. أبدى هوى ليانغ بينغ إعجابه الشديد بأعمال معلمه، وأطلق صافرة ذهول لما شاهده، وقف قاو يوليانغ وأشار إلى بضعة أشياء مبتسما، وبعدها، عاد المعلم وتلميذه لمناقشة أمور العمل. ذكر قاو يوليانغ بحزن شديد الحادث المروري الذي أصاب تشن هاي، لقد كانوا جميعا تلاميذه، وكان يعتبرهم كلهم كأبنائه تماما. وسأل هوى ليانغ بينغ: "لقد قال تونغ وي أنك عدت إلى جينغزوو على حساب تشن هاي هل كان لهذا الأمر علاقة بك؟". لم ينكر هوى ليانغ بينغ الأمر وقال: "لأكون صريحا، لقد كان هذا أحد العوامل، فلو لم أساعد تشن هاي في القبض على دينغ يجن لما حاول أحد قتل تشن هاي". ثم حول قاو يوليانغ نظره بانتباه إلى هوى ليانغ بينغ وقال: "أهي محاولة قتل إذا؟ هل تعتقد أن حادث مرور تشن هاي كانت محاولة من أحد ما لارتكاب جريمة قتل؟ هل تملك الدليل على ذلك؟". أجابه هوى ليانغ بينغ: "أنا في طور البحث عن أدلة". فرد قاو يوليانغ محذرا إياه: "إذا كان هذا محاولة قتل، فعليك أن تكون حذرا، وعليك أيضا أن تتنبه لسلامة تشن هاي، فلن يسمح خصمك لتشن هاي بالاستيقاظ إذا كان الأمر كذلك فعلا".

عندما وجد هوى ليانغ بينغ أن الوقت مناسب، زار معلمه وفي ذهنه تراكمات من أسئلة عديدة طرحها عليه قائلا: "لقد كنت قائدا لعملية اعتقال دينغ يجن في تلك الليلة، لكنه هرب خلال الاجتماع، هل وشى أحد له بذلك، ألا تشك بأي شخص يا أستاذ؟". تنهد قاو وقال: "إن وجود شكوك هو أمر جيد، لكن لا يمكنني التحدث بلا مبالاة بدون وجود دليل". لكن بقي هوى ليانغ بينغ يستفسر باهتمام: "في تلك الليلة، هل حدث أي شيء غير عادي؟ هل غادر أي شخص لإجراء مكالمة هاتفية؟". نظر قاو يوليانغ إلى تلميذه وقد حجب عينيه بعض الشيء وقال: "نعم، لقد غادر الرفاق الحاضرون في الاجتماع جميعهم لإجراء مكالمات، وأكثر من مرة في ذلك الاجتماع. وفي وقت لاحق، فكرت في ذلك من البداية إلى النهاية، فقد خرج لي داكانغ ثلاث مرات، وخرج تشي تونغ وى مرتين، بينما ذهب تشن هاي أربع مرات، وخرج جي تشانغ مينغ مرة واحدة. وأجريت أنا أيضا مكالمة هاتفية، فقد طلبت من سكرتيرتي استدعاء سكرتير شا روجين للإبلاغ عن الوضع...".

وقف قاو يوليانغ وتجول داخل غرفة المعيشة شابكا يديه خلف ظهره وقال: "عند التفكير في الأمر نجد بعض الأشياء الغريبة حقا. لنأخذ على سبيل المثال العجوز جي، كانت هذه قضية تم إصدارها من بكين. لم يكن هناك أي حاجة على الإطلاق لحضوره وتقديم تقرير عنه لي ولجنة الحزب الإقليمية". نظر هوى ليانغ بينغ باهتمام إلى هذا المعلم السابق والقائد الحالي وقال بشكل بديهي: "لكن المدعي العام جي أصر على الإبلاغ عنها مهما كان الأمر؟". فرد قاو يوليانغ يديه وقال: "نعم، أراد العجوز جي تقديم تقرير، لذلك لم أستطع تجاهله، فقد شمل نائب عمدة من جينغتشو، لذا لم أستطع إخطار لي داكانغ الذي كان في اللجنة الدائمة للحزب في المقاطعة، أما بالنسبة لتشي تونغ وى، فيمكن اعتباره استثناء، فقد جاء ليقدم تقريرا عن العمل وحدث أن كان هناك في ذلك الوقت. كان هناك مجموعة توجيهية لترميم الأمن العام للحماية من الحريق في المقاطعة بأكملها. وباعتباري قائد المجموعة، توجب على تشي تونغ وى إبلاغي مباشرة. وعندما وصل جي العجوز، لم يكن تشي تونغ وى قد انتهى بعد، لذا فإنه بطبيعة الحال لم يستطع المغادرة. علاوة على ذلك، فقد اضطروا إلى اعتقال شخص ما، لذا كان علي أن أبقيه هنا".

تشجع هوى ليانغ بينغ وطمع في زيادة المعرفة والاستفسار وقال: "ولكن وفقا لما قاله المدعي العام جي، في تلك الليلة كنت حقا تستدرج الأمور، تتداول في هذا وتطلب تعليمات بشأن ذلك...".

لم يكن قاو يوليانغ سعيدا، فقد كان طوال الوقت يحوم وبيده مروحة يابانية، لكنه ألقى المروحة على طاولة القهوة حيث هبطت مصدرة صوتا مرتفعا وواضحا وقال: "ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟ ما الذي يحاول العجوز جي قوله؟ إنها مسألة لم نكن بحاجة إلى الإبلاغ عنها، إلا أنه أصر على الإبلاغ، وأنت، إذا أبلغت عن شيء ما، فلا بد لك من التداول بالأمر وطلب التعليمات. كيف انتهى المطاف وإلى أين سارت الأمور؟".

خرج هوى ليانغ بينغ من المطبخ، ورأى معلمه مستلقيا على الأريكة غارقا في تفكير عميق. كان يعلم أن قاو يوليانغ صار لديه مشتبه. ومع ذلك، لم يكن على استعداد للإفصاح عنه. كان هوى ليانغ بينغ خائب الأمل دائما، ودائما ما كان يكنّ لمعلمه قاو يوليانغ احتراما شديدا، فهو من عرّفه على مجال الدراسات القانونية. وكانت براهين المعلم البليغة وحركات اليد القوية في الصف تترك انطباعا لا يمحى من ذاكرة هوى ليانغ بينغ، وقد أتى اليوم على أمل أن يجيب معلمه على أسئلته، ويشرح بوضوح قضية جينغتشو الغامضة مثلما كان يفعل في الماضي، حيث كان يعتقد أن معلمه قادر تماما على فعل ذلك. لكن البروفيسور قاو كان الآن سكرتيرا، ولن يضع الإجابة أمام تلميذه مثلما كان يفعل عندما كان مدرّسا. كان المعلم أكثر نضجا وذكاء، وبالتالي أكثر مراوغة.

رأى خدي معلمه الورديين ثم تنهد هوى ليانغ بينغ وشعر بالعاطفة تجاه نفسه.

لكن وبعد تفكير، أعطى المعلم صوتا لأفكاره العميقة وربت على الأريكة وأجلس هوى بجانبه وقال: "دعني أوسع منظورك قليلا، من المستفيد الأكبر من هرب دينغ يجن؟".

عرف هوى ليانغ بينغ أن معلمه قد أعطى المسألة اهتماما كاملا وسأله ردا على ذلك: "إذا ما رأيك يا أستاذ؟". تردد قاو يوليانغ لحظة قبل شرح ما كان يعنيه لكنه أجاب: "من المحتمل أن لي داكانغ قد سرّب المعلومات. على الأقل، لديه الدافع". ومع هذا التفكير العميق، بدأ قاو يوليانغ يتحدث عن جسور تواصل مع لي أثناء العمل في لوتشو، وقال إنه من الأسهل تمييز طباع الشخص عندما تعمل معه في الفريق ذاته، خاصة بين الشخصين الأول والثاني في القيادة. واليوم، كانوا يحللون القضية، ولم يكن هناك أي ضرر في شرح كامل لما قيل من قبل.

كان الوزير لي ليفعل أي شيء من أجل الإنجازات السياسية، بغض النظر عما إذا كان في لوتشو أو في لينتشينغ، فقد كان يملك مؤيدين من خلف الكواليس، والذين كانوا يعرفون أيضا باسم

"الموارد السياسية". وعندما وصلوا إلى خلاف في لوتشو، علم السكرتير القديم، تشاو ليتشون، أن قاو يوليانغ كان على حق، ومع ذلك قام لي داكانغ بنقله إلى لينتشينغ بصفته سكرتير لجنة الحزب البلدي، وبالتالي ترقيته لتولي منصبه كدوق للمنطقة. وتخلى لي داكانغ عن الحذر وكان على استعداد لفعل أي شيء واستخدام أي شخص من أجل منطقة التنمية الاقتصادية في لينتشينغ. فقد تعرض نائب العمدة الذي كان يعمل لديه لقضية فساد وتم اعتقاله، مخيفا بذلك مجموعة من المطورين في تلك المنطقة. فتوقف قاو للحظة وابتسم ملمّحا لشيء ما وقال: "ألم يكن الأمر مثيرا للاهتمام أيضا هذه المرة؟ انسحب نائب عمدة آخر، ومع ذلك لم ينسحب أي من المطورين".

لم يوافق قاو على كلامه وقال: "لم تكن التكلفة كبيرة على الإطلاق، ربما كان قد اختلف الأمر كليا لو تم القبض على دينغ يجن وأصبح الوضع خطيرا فعلا. الآن هنالك ثقل جديد يصب في كفة لي داكانغ هل تعتقد أن أويانغ جينغ ستقوم بتصرف أرعن من أجل زوجها؟ وهل تعتقد أن لي داكانغ منخرط في مشاكل دينغ يجن؟ حسنا، أعتقد أنك قد ذكرت هذه المعلومة أمامي من قبل، ما هو كم المعلومات التي استطعت الحصول عليه من رئيس مصنع دافنغ تساي قونغ؟". أجابه هوى ليانغ بينغ: "حسنا نحن لم نقم سوى بالتحقيق الأولي إلى الآن، ولم نتحقق من جميع الأدلة ذات الصلة المباشرة بالحدث بعد". فكّر قاو يوليانغ مليا ثم قال: "إذا حقق في الأمر بأسرع وقت ممكن، وبما أننا وصلنا إلى هذه المرحلة، لن أقوم بإخفاء أي شيء عنك بعد الآن وسأخبرك بكل شيء، وسأخبر الأمين شا روجين عن الموضوع في الوقت المناسب، وبصفتي نائب سكرتير لجنة الحزب الإقليمية، علي أن أبلغ القيادة على وجه السرعة عندما يتعلق الأمر بمسألة خطيرة كهذه، إن لي داكانغ ليس ساذجا، فهو شخص محنك ولديه باع طويلة في السياسة، وأعتقد أنه سيخرج نفسه من الموضوع بسهولة شديدة، وذلك عن طريق بدأه بإجراءات معاملة الطلاق في المستقبل القريب".

أجابه هوى ليانغ بينغ بتردد: "أعتقد أنه عليك أن تتريث قليلا لترى ما ستؤول إليه الأمور أيها البروفيسور قاو". ورد عليه قاو قائلا: "حسنا سأتريث قليلا، وسنبقي هذا الحديث الذي دار اليوم بيننا فقط، وحتى نرى نتائج التحقيق لا تخبر أحدا عن هذا الحديث حتى العجوز جي من الأفضل ألاّ يكون للي داكانغ أية علاقة في الموضوع، وحتى إن كان متورطا بالأمر فعلا، فعلينا أن نترك الموضوع للرفيق روجين ليخبر الحكومة المركزية والتي بدورها ستقوم بعملية التحقيق وتهتم بالموضوع بشكل كامل". أومأ هوى ليانغ بينغ إيجابا وقال: "فهمت أيها البروفيسور". وقام قاو بتذكيره مجددا: "احرص جيدا على سلامة تشن هاي ولا تسمح لأية حوادث جديده بالوقوع". أجابه

هوى ليانغ بينغ: بالطبع أيها البروفيسور، لقد قمت بكل الترتيبات اللازمة في المستشفى". وفي تلك اللحظة دخلت وو هوفين حاملة معها الطعام والشراب، مقاطعة الحديث بين المعلم وتلميذه.

قال هوى ليانغ بينغ بسرعة: "لا تغضب أيها البروفيسور، ما كان يقصده العجوز جي هو أنك متحذلق قليلا". فأصبح قاو يوليانغ أكثر غضبا وقال: "كيف أكون متحذلقا؟ لقد مضى حوالى العشرين عاما منذ تركت التدريس في جامعة إيتش وذهبت الحذلقة منذ فترة طويلة. إن رجلك العجوز جي شخص أحمق وغير مسؤول. لا أحد يعرف ثقل وزن الآخر. ليانغ بينغ، إنني رئيس إدارة الشؤون السياسية والقانونية في المقاطعة، وعندما يحصل شيء كهذا، فأنا الذي سأعاقب". أضاف ليانغ بينغ الماء إلى كأس المعلم وهو يقول: "بالطبع أيها البروفيسور قاو، هذا أمر مفهوم. لقد سمعت بأنك كنت تحقق في الأمر طوال الوقت؟". احتسى قاو يوليانغ الشاي خاصته وقد بدأ وجهه يسترخي تدريجيا وقال: "بالطبع سنقوم بالتحقيق، وما زلنا نحقق حتى الآن. لا شكّ لدي بأننا سنقبض على ذلك الوغد".

أحضرت وو هوافن لوح الشطرنج، واقترحت بأن يلعب المعلم وتلميذه جولة من الشطرنج. فعندما كان هوى ليانغ بينغ يذهب إلى المدرسة، كان يأتي غالبا إلى منزل المعلم قاو ليلعب الشطرنج وكان يحصل على وجبة مجانية. كان هو ومعلمه متساويين من حيث السرعة والرد والتحركات الجديدة. حيث كان الشاب هوى قويا، ولكن كان البروفيسور قاو متفوقا عليه من حيث المهارة والتوقيت الدقيق. وعند الهزيمة، كان المعلم والتلميذ يفقدان أعصابهما ويحاولان استعادة تحركاتهما، وكان الشخص المتفوق لا يستسلم أبدا. ولذلك كانا يرميان كل قواعد اللياقة ويتجادلان مثل الديوك المتقاتلة.

كانت زوجة قاو تجلس بجانبهما وتبتسم وهي تحاول التوسط بينهما، وتأمل برؤية مشهد من الماضي، ولكن لم يكن كلّ من قاو وهوى في مزاج مناسب للعب الشطرنج، فوضعا حجارة الشطرنج بشكل عشوائي وتحول موضوع المحادثة إلى تحليل للحالة.

ثبت قاو يوليانغ نظره على هوى ليانغ بينغ وقال: "هل مكتب مكافحة الفساد يحقق أيضا في الاجتماع؟". فأستقام هوى في جلسته وحرك حجر شطرنج وقال: "رتبت لذلك التحقيق في اليوم الذي وصلت فيه. أيها البروفيسور قاو في الوقت الذي كنا جميعا في الاجتماع، تلقى دينغ يجن أربعة اتصالات مثيرة للشبهات، ثلاثة منها كان مصدرها محطة قاعدة الاتصالات القريبة...". أخذ قاو

حجرين من حجارة خصمه بهدوء وهو يقول: "أنت لم تكتشف شيئا جديدا يا ليانغ بينغ، لقد عرف تشي تونغ وى بذلك منذ وقت طويل وهو يستبعد إمكانية وجود تسريب داخلي، أنا لا أتفق مع ذلك. هل يمكن استبعاد أمر كهذا بكل هذه السهولة؟". وافق هوى على كلام معلمه وهو يأخذ ثلاث أحجار منه وقال: "بالضبط، ماذا لو سرّب أحد المطلعين لدينا المعلومات ودبّر شخص آخر هروب دينغ يجن. فقد تكون منظمة متشدّدة". لم يكن المعلم ولا التلميذ مهتمين باستعادة حركاتهما، لأنهما كانا منشغلين وقد وضعا أحجارهما بشكل عشوائي. وقاما بحركات سريعة في اللعبة، ولم يكن من السهل تحديد من هو المتفوق في هذه اللحظة.

قال قاو يوليانغ: "كلانا يفكر في الشيء نفسه يا هوى، لذا جعلت تشي تونغ وى يدقق في كل المكالمات الهاتفية الصادرة عن محطة قاعدة اللجنة الإقليمية لحزب المقاطعة". فنظر إليه هوى بترقب وقال: "وهل وجد شيئا؟". فهزّ قاو رأسه بأسى وقال: "أكثر من ألف اتصال، ومع العديد من الناس، ماذا يمكننا أن نجد؟ في الوقت الحالي ليس لدينا أي دليل".

لم يخرجه هوى ليانغ بينغ من المأزق بل قال: "أنت لم تفكر في إجراء تحقيق مركّز أيها البروفيسور قاو؟ مثلا، بمن اتصل جي تشانغ مينغ؟ وعمّا كانت مكالمات لي داكانغ الثلاثة تدور؟ وبطبيعة الحال، هناك أيضا زميلي تشي تونغ وى". أخذ قاو أحد زوايا تلميذه والتقط أحد أحجاره بهدوء ثم قال: "أتظن بأنني لم أتحقق؟ لقد فعلت، ولدي شكوكي ولكن لا يمكنني التأكد". وصل ليانغ بينغ إلى لبّ الموضوع فسأل: "من هو الأكثر إثارة للريبة؟". كان قاو داهية ومتنبّها في أجابته حيث قال: "لا يمكنني التحدث بتهوّر عن الموضوع، إن هذا الموضوع يتطلب المزيد من التحقيق الدقيق".

أخذ هوى أحد أحجار معلّمه الرئيسية وكشف أحد الأوراق الرئيسية بيده الأخرى في نفس الوقت وقال: "في الحقيقة لقد وجدت بأن قاو شياو تشين من مجموعة شانشوي قد تلقت اتصالا من قاعدة لجنة الحزب المركزية خلال ذلك الوقت. الغريب في الموضوع بأن الرقم استخدم لمرة واحدة فقط ولم يستخدم مجدّدا أبدا". اهتمّ قاو بالموضوع وسأل: "اذا لم يكن رقم الهاتف ذاك لواحد ممن كانوا في الاجتماع في ذلك الوقت؟". فهزّ هوى رأسه وقال: "صحيح، لقد تم الأمر بحرفية كبيرة. لذلك أظن أيها البروفيسور قاو بأن هذه المكالمة هي الأكثر إثارة للشبهات، يمكننا التحقيق في الأمر بشكل معاكس. منْ لديه علاقات وثيقة مع قاو تشاو تشين؟".

فكّر يوليانغ للحظة وهزّ رأسه بحذر: "لا يمكننا أن نبدي ملاحظات مبهمة عن ذلك. بشكل عام، من الممكن القول بأن منتجع قاو تشاو تشين شانشوي هو كافيتريا كل المسؤولين في جينغتشو. وقبل أن يصدر قانون النقطة الثامنة من الحكومة المركزية، قصدت ذلك المكان أنا بنفسي عدّة مرّات". ضحك هوى ليانغ بينغ وقال: "ذلك ما سمعته أيها المعلم قاو. قبل بضعة أيام من العشاء الترحيبي، أخذت أنا مكانك وغنيت جزءا من أغنية دياو ديى". وأخذ قطعة أخرى من معلمه وحصد أحجار الشطرنج ببراعة عن الرقعة. قال قاو يوليانغ: "إن قاو شياو تشين لديها دائرة واسعة من المعارف، ولكن هل تظن بأن لديها القدرة على ترتيب هروب دينغ يجن من البلاد؟ وماذا عن الدافع؟ يجب أن تتذكر بأن دينغ يجن كان يحمي تساي قونغ". فجأة أدرك بأنه قد تعرض لهزيمة ساحقة فصرخ بشكل لا إرادي: "ما الذي حصل هنا؟ أيها القرد الصغير، لقد قمت بالهجوم متسللا! إن هذا لا يحتسب..".

في تلك اللحظة، دخلت وو هوى فن وهي ترتدي مئزرا ونادت هوى ليتذوق الطعام، فوافق بسعادة وتبعها إلى المطبخ. كانت تفوح رائحة عطرة من القدر، فألصق ليانغ بينغ أنفه بجشع وقال: "رائحة لذيذة". دائما ما كانت زوجة قاو يوليانغ تحبّ هوى ليانغ بينغ وقد مدحت مرّة فكرة تزويج ابنتها منه. رفعت وو هويفن الغطاء عن القدر، والتقطت قطعة من اللحم ووضعتها في فم ليانغ بينغ، وهي توبّخه بمودّة: "قرد شره". أكل القرد الشره اللحم متذوقا الطعم، وقال: "جيد جدا، فقط أضيفي قليلا من السكر وسوف يكون الطعم أفضل..".

18

كان هوى ليان بينغ يتردد على زيارة تشن هاي في المستشفى. وفي كل مرة كان يجده فيها فاقدا الوعي، كان قلبه يتألم. كانت هذه العواطف كالزيت السميك الذي يغطي قلب الإنسان ويترك بصمة عميقة في حياته. الآن وفقط، يمكنه أن يأمل في حدوث معجزة طبية، لكن المعجزة لن تظهر.

في غرفة المراقبة، ناقشت لو ييك الوضع معه. وكان كبير المدعين العامين جي قد قال إن مكتب الأمن العام في البلدية اقترح الحصول على إذن بتوقيف تساي قونغ. وفجأة، شعرت بقلق لا يمكن تفسيره وقالت: "أخشى أنهم يفوضون اعتقال تساي قونغ إعلانا لنضالهم من أجل إظهار الحق في هذه القضية، يجب أن نجعل جي يوقفهم، لكن الآن، لا تعطهم الإذن بذلك".

كانت لو ييك تدرك تماما أن تساي قونغ كان مخبرا متكاملا في قضية جنائية تتعلق بمخالفة القانون والشخص الرئيسي المتورط في الحادث "916". وكان على النيابة أن تحتفظ بالحق في التعامل مع القضية بأيديها. ومع ذلك، ترددت للحظة وقالت: "لكن حضرة المدير هوى، إذا طلبنا من المدعي العام جي إيقافهم، هل سيقوم بذلك؟ وسيضعف موقفنا إذ سنصبح في موقف المتهمين ما لم نحقق اختراقا سريعا في قضية تحقيق أويانغ جينغ".

نظر هوى ليانغ بينغ إلى الشاشة التي تظهر غرفة تشن هاي وقال: "ما رأيك يا سيدة لو أنك تعملين وتشانغ هوى هوى لوقت إضافي، وتضاعفا جهدكما لتنظيم قضية تساي قونغ وتقديمها في أقرب وقت ممكن، فمكتب مكافحة الفساد لدينا سيطالب بعملية الاعتقال، وإذا فقدنا حقنا في التعامل مع القضية، فإن تشاو دونغلاي سيجرّنا من أنفنا، وما زلنا لا نعرف ما الذي سيقدم تشاو دونغلاي على فعله". فقالت لو ييك: "هذا صحيح تماما. إنهم يبدون بعض السرية، ويبدو الأمر مريبا. وليس

لدينا ما يكفي من الأسباب لطلب الاعتقال، فتهمة تساي الوحيدة هي الرشوة. علاوة على ذلك، فقد سلّم نفسه، وقدّم خدمة جليلة بذلك. ولم يعد ممكنا لنا القبض عليه بطبيعة الحال...". فوضح هوى لرئيسه ما كان يقصده قائلا: "هذا هو الحال في ظل الظروف العادية، ولكن لدينا هنا وضع خاص، فمن أجل سلامة المخبر والحفاظ على سير عملية التحقيق ومحاكمة كل من أويانغ جينغ وديغ يجن، علينا ألا نطلب إذن الاعتقال فقط، وإنما القيام بعمل جاد على المادة، كما يجب أن تتجاوز التهم التي نحملها ضده عند طلب الاعتقال التهم الموجهة من مكتب البلدية. بهذه الطريقة، يمكن للنيابة العامة التعامل مع جميع قضايا تساي قونغ في الوقت نفسه. بالإضافة إلى ذلك، هناك وضع خاص يجب أخذه بعين الاعتبار. فلا يزال تساي موجودا في مستشفى الأمن العام حيث يخضع حاليا للعلاج، ويمكننا أيضا محاولة العمل على هذه النقطة".

في تلك الأثناء، وصل المحقق تشاو تشينغ لاستلام نوبته، وغادر هوى ليانغ بينغ ولو ييك المستشفى، ولم ترفض دعوته على كوب من القهوة ليتابعا مناقشة العمل.

وصل الاثنان إلى زاوية من زوايا الشارع وفتحا باب أول مقهى صادفاه. كانت الإضاءة قاتمة، والموسيقى تنتشر في الهواء، بينما كانت رائحة القهوة تملأ المكان. جلسا إلى طاولة بجانب النوافذ، وطلب لها شرابا وقطعة من الحلوى، بينما طلب لنفسه كوبا من القهوة الممزوجة بالحليب. كانت إنارة الطريق تنعكس على وجه لو ييك، وكان رأسها ينحني كلما حرّكت كوبها بحزن. وعندما التقت أعينهما، تنهدت وقالت: "في تلك الليلة، تناولت أنا وتشن هاي أيضا كوبا من القهوة هنا". أراد عندها هوى ليانغ بينغ أن يتحدث ببعض الكلمات اللطيفة لكن سرعان ما حلّت شعرها القصير بعنف وبدأت تتحدث بسرعة فائقة حيث قدمت له تقريرا عن تفاصيل حالة أويانغ جينغ وقالت: "لقد قمنا بفحص كل بطاقة من البطاقات المصرفية الأربعة التي قدمها تساي لأويانغ جينغ، وكانت ثلاثة منها فارغة تماما، وواحدة لا تزال قيد الاستخدام. تم تفعيل تلك البطاقة في آذار من عام 2013. وفي ذات اليوم الذي تم فيه فتح الحساب، تم إيداع خمسمائة ألف يوان في الحساب تحت اسم تشانغ غوليان. وخلال الأشهر الثلاثة التي أعقبت فتح الحساب، أي من آذار إلى حزيران من العام نفسه، قام شخص ما بسحب مائتين وخمسة وعشرين ألف يوان على دفعات".. "شخص ما؟". سأل هوى باهتمام. "نعم، لا يمكننا قول غير ذلك. في الوقت الحالي، ليس من دليل ملموس حتى الآن على أن أويانغ جينغ قد سحبت الأموال". واصلت لو ييك كلامها: "وفي الفترة ما بين شهري آب وأيلول من العام ذاته، قام شخص ما مرة أخرى بسحب مئتين وسبعين ألف يوان بدوره، وهذا ما يصل

مجموعه إلى أربعمائة وخمسة وتسعين ألف يوان. لقد تم سحب كل هذه الأموال من جهاز الصراف الآلي". فكّر هوى ليانغ بينغ قليلا ثم قال: "حسنا، يجب أن يكون هناك شريط تسجيل من أجهزة الصراف الآلي". "إنهم يحتفظون بتلك الأشرطة فقط لثلاثة أشهر، ولم تعد موجودة الآن. لم يتم استخدام هذه البطاقة للإنفاق، بل فقط لسحب النقود. والشخص الذي سحب المال لم يترك صورة ولم يترك توقيعه".

يعتقد هوى ليانغ بينغ أن أويانغ جينغ لن تعترف بما قامت به فقط بناء على هذا النوع من الأدلة، لكن لو بيك طرحت فكرة جديدة. يمكن أن نفكر في الاستفادة من الخمسة آلاف يوان المتبقية في البطاقة لإجبارها على الكشف عن نفسها، ألا تملك هي جواز سفر؟ ألا يمكنها المغادرة في أي لحظة؟ سنخيفها قليلا ونجعلها تغادر في الحال. فهي تقدمت بالفعل بطلب استقالتها، وأعتقد أنها لن تعود بسهولة بمجرد مغادرتها، ستستغل وقتها أفضل من خلال ترتيب الأشياء الثمينة الخاصة بها، وحزم حقيبتها، والرحيل. وعندما ترتب أشياءها الثمينة، ستدرك أن البطاقة لا تزال تحتوي خمسة آلاف يوان، وستخرج المال منها. وطالما أن هناك نشاطا على البطاقة، سنحصل على الدليل".

لم يوافق هوى ليانغ بينغ وقال بلفتة رافضة: "هذا كلام ساذج، لن تفكر في سحب الخمسة آلاف يوان المتبقية في وقت كهذا، ولا تنسي أيضا أي نوع من الأشخاص هي، إنها نائب رئيس بنك جينغتشو سيتي، وزوجة مسؤول كبير، لي داكانغ. لا يمكننا التعامل معها كأنها شخص عادي. ربما خمسة آلاف يوان هو مبلغ كبير بالنسبة إلى العموم، ولكن بالنسبة إلى أويانغ سيكون مبلغا يمكن تجاهله بكل بساطة".

قالت لو بيك: "هذا صحيح، أعتقد أن أويانغ جينغ تشبهني في هذه الحالة". ورغم تحول الحديث إلى منحى آخر، قالت رئيسة النساء بعناد: "ومع ذلك، سأستغل فرصتي، أراهن أن أويانغ جينغ هي إنسانة فارغة وأنها تحب المال بقدر الحياة نفسها، إذا لم تكن حقا بقدر وضاعتي، فسأعترف بالهزيمة".

سأل هوى ساخرا: "عذرا يا سيدة لو، لكن هل يمكننا تحمل الهزيمة؟". تنفست لو الصعداء وقالت: "بالطبع لا، فالعجوز جي سيقضم رؤوسنا، فكيف يمكننا أن نستدعي زوجة أحد أعضاء اللجنة الدائمة لحزب المقاطعة وأحد أعضاء لجنة الحزب البلدي بتلك العشوائية؟ ماذا لو جعلنا العجوز نقر بذلك؟". "لا لا، فهذا سيجعل الأمور صعبة عليه. فهو رجل حكيم وسيوقفنا عن فعل

ذلك بكل تأكيد". ثم لمعت فكرة في رأس هوى وقال: "مهلا، ماذا عن هذا؟ لا أنت ولا أنا سنقحم أنفسنا في ذلك. دعينا نجعل من تشانغ هوى هوى تقوم بزيارة أويانغ جينغ وسؤالها عن حالة القروض لبعض الشركات ومنحها وكزة رقيقة". أضاءت عينا لو وصفقت بيديها وقالت: "هذه فكرة جيدة. تخشى أويانغ جينغ أن يتم اكتشاف أمرها، لذلك فهي بالتأكيد ستتخذ إجراء. وبهذه الطريقة، سنحقق هدفنا، ولن نكون في موقف دفاعي...".

في اليوم التالي، عندما وصلت المدعية العامة تشانغ هوى هوى إلى سيتي بانك لزيارتها، كانت أويانغ جينغ في اجتماع. فأخرجها نائب مدير المكتب لي من قاعة الاجتماع، وقال لها إن امرأة من مكتب مكافحة الفساد في النيابة الإقليمية قد تعرفت على حالة القروض لبعض المؤسسات الخاصة. فسألت أويانغ جينغ على الفور لماذا أتوا يبحثون عنها تحديدا وليس عن شخص آخر. ولم يعلم النائب لي السبب. ثم سألت أويانغ بحذر عن أسماء هذه الشركات، وفيما إذا كان مصنع دافنغ أحدها. فأجاب النائب لي أنها لم تذكر مؤسسة محددة، إلا أنها أرادت التحدث إلى أويانغ. ارتسم على وجه أويانغ الضيق وقالت: "ما الذي يمكن الحديث عنه؟ لن أراها. لدي الكثير من الأشياء التي يجب القيام بها، ولا وقت لدي، ومهما كانت الأمور التي تود الاطلاع عليها، فباستطاعة أي أحد منا مساعدتها، لكن يجب الأخذ بالاعتبار أن المعلومات المتعلقة بقروض عملائنا سرية. وبغض النظر عن حالة قرض المؤسسة التي ترغب في الاطلاع عليها، يجب عليها تقديم طلب رسمي من النيابة".

لم تعد أويانغ جينغ في مزاج جيد للاستماع إلى تقرير الرئيس وانغ الطويل بعد عودتها إلى قاعة الاجتماع، فحنت رأسها وتظاهرت بتدوين ملاحظاتها على دفترها، لكنها كانت مضطربة داخليا. لماذا يأتي أشخاص من مكتب مكافحة الفساد لرؤيتها في هذا الوقت؟ هل حصلوا على أي معلومات يمكن استخدامها ضدها؟ هل حدث خطأ ما مع شركة وانغ دالو؟ أو هل ذهب شخص ما إلى أبعد من ذلك ليصل إلى لي داكانغ عبرها؟ مهما كان الوضع، لن تستطيع البقاء في هذه البلاد لفترة أطول، وسيتعين عليها المغادرة إلى أمريكا في الحال، لكن لي داكانغ كان يضغط عليها لاستكمال إجراءات الطلاق قبل مغادرة البلاد. ماذا لو لم توافق على الطلاق في الوقت الذي تملك فيه حرية الذهاب؟ كيف يمكن أن تعارض الزوج الذي يملك مثل هذا النفوذ؟ في تلك اللحظة، طلب منها الرئيس وانغ التحدث عن مشكلة فنية.

ناداها عدّة مرات، لكنها لم تسمعه. كانت كل العيون عليها، ولكن أويانغ جينغ وقفت وهي تتظاهر بالتعب وقالت: "إنني آسفة فعلا أيها الرئيس وانغ، ولكن لدي صداع حاد، أشعر أن رأسي سينفجر...". فطلب منها المدير وانغ أن تذهب إلى المنزل وترتاح، ولذلك حملت حقيبتها وغادرت غرفة الاجتماع.

كانت فيلاّ الحدائق الإمبراطورية التي أعطاه إياها وانغ دالو ملجأ لها. وكانت في كثير من الأحيان تقف في الحديقة تباعد بين الأزهار أو تنظر إلى الزهور المشرقة على شجرة المانيوليا، أو إلى الأزهار المزهرة بشكل كامل تحت سياج البامبو. كانت تقف هناك لوقت طويل، تستمتع بالأزهار التي تجعلها تنسى مؤقتا همومها، فقد كانت روحها تطفو خارج جسدها لتتحد مع الأزهار. من حين لآخر، كانت تصلها ضوضاء عالية، فتشعر كأنها استيقظت من حلم. ثم تجرّ قدميها بخمول لتعود إلى الفيلاّ الكبيرة وحيدة.

كانت حالتها العقلية غير متناسبة مع عمرها الجسدي. كانت مصرّة على الحب كما لو أنها شابّة، وكانت تنغمس في أحلام يقظة لا تريد الاستيقاظ منها. بالرغم من أنه يقال إنها اعتنت بنفسها جيدا بالنسبة إلى امرأة في الخمسين من عمرها، وكانت بشرتها نقية وجسدها نحيلا كما كان سابقا، إلا أن التجاعيد بدأت تظهر على جبهتها كخطوط عميقة وواضحة. كانت تعشق مسلسل الدراما الكورية (أنت الذي أتيت من النجوم)، وكانت تشاهده مرارا وتكرارا وكأنها أصبحت مدمنة عليه، فقصة الحبّ الرومانسية الموجودة فيه وأحلام يقظتها أصبحا شيئا واحدا. كانت تحبّ أن تحمل كأسا من النبيذ في الطابق الثاني من الفيلاّ وتقضي فترة طويلة لوحدها متكوّمة على الأريكة الجلدية. ومع ذلك، هي لم تكن تشعر بالوحدة. كانت تضحك مع البروفيسور دو، محبوبها، وتذرف الدموع معه. حولت نفسها إلى بطلة في الدراما.

قال وانغ دالو إن هذه الدراما المملّة والخيالية كانت مجرد مخدرات عقلية. فوافقت أويانغ جينغ، لكن ما احتاجت إليه لم يكن سوى هذا النوع من المخدرات. حثها وانغ دالو على الذهاب لرؤية طبيب نفسي. في المجمل، لم يعط زوج أويانغ جينغ الحب الذي حلمت به كامرأة، مما جعلها تقع في البؤس.

في الطريق إلى البيت، فكرت أويانغ جينغ في محنتها، ولم تستطع الشعور بأي إحساس بالشوق. فهي في الأصل، لا تكن المشاعر لزميلها في الكلية، وانغ دالو الذي كان يشعر بالقلق

تجاهها، إلا أنه حافظ على المسافة بينهما طوال الوقت. حتى أنه ألمح إلى أنه لم يكن البروفيسور دو الذي أحزن أويانغ جينغ، لكن عندما تصبح الأمور على غير ما يرام، كان عليها البحث عن وانغ دالو. وعندما كانت تنتظره، كان قد حلّ الظلام، وقفت أويانغ جينغ في حديقة الزهور في حالة ذهول لفترة طويلة. كان قلبها يرتعد، والدموع رطّبت عينيها.

عندما وصل وانغ دالو، كان قد حل الليل تماما، وأطل القمر بنصفه من الشرق عاكسا ضوءه على وجهيهما، نظرت أويانغ إليه ببؤس ساردة له ما حدث عندما جاءت تلك الشابة من النيابة الإقليمية إلى البنك اليوم وأرادت أن تراها لتطلع بنفسها على حالة القروض لبعض الشركات. لم تكن تعرف ماذا تعني.

اعتقد وانغ دالو أن هذا دليل على اقتراب الخطر، وكان قد سبق له وأخبر أويانغ جينغ أن لي داكانغ قد حذره سابقا، والآن هنالك مسألتان يجب حلهما بسرعة قصوى، المسألة الأولى هي قضية طلاق لي داكانغ، حيث يجب أن تتم إجراءات الطلاق بالسرعة القصوى، والمسألة الأخرى هي سفرها مباشرة إلى أمريكا بعد الانتهاء من معاملة الطلاق، لئلا يتسبب بقاؤها بمشاكل كان يمكن تفاديها.

فكرت أويانغ جينغ أنها لن تتخلى عن زوجها بهذه السهولة، وذكرت أن لي داكانغ سوف يأخذها إلى المحكمة، لذا سوف تنتظر إلى أن تصدر نتيجة المحاكمة، وحاول وانغ دالو أن يهدئ من روعها ببعض الكلمات اللطيفة وقال: "لا تكوني عنيدة بهذا الشكل، فإن قامت النيابة بطلبكما، فهذه ستكون إشارة جيدة لا محالة، لا أعتقد أنه من مصلحتك إضاعة المزيد من الوقت، وأقترح أن تتحدثي إلى لي داكانغ الليلة من تلقاء نفسك، لا أريد أن يكون حديثي هذا هو السبب الوحيد فقط، أريدك أن تكوني مقتنعة بشكل كلي". انهمرت الدموع من عيني أويانغ جينغ وقالت وهي تتنفس الصعداء: "حسنا يا دالو سأفعل ما تنصحني به، وسأقبل بهذا الطلاق، ولكن هنالك بعض الأشياء التي يجب أن أوضحها له قبل ذلك".

فوجئ لي داكانغ عند تلقيه لمكالمة هاتفية من زوجته أويانغ جينغ، وكان في ذلك الوقت يقوم بمعاينة مفاجئة في مركز المؤتمرات الدولية، هكذا كانت تصرفاته على الدوام، يظهر ويختفي فجأة دون أن يشعر أحد، كان دائما ما يظهر في أماكن غير متوقعة، وفي الأوقات غير المتوقعة، مما جعل جميع الكوادر التي تعمل تحت إدارته متوترة على الدوام، واقترح عليها لي داكانغ أن يؤجلا

حديثهما إلى أن يعودا إلى المنزل. لقد كانت على علم بالأمر الذي يخشى من سماعه، وقالت: "لا تقلق، لن أجادلك بأي شيء بعد الآن، لنفترق دون أن يحمل أحدنا أي ضغينة تجاه الآخر، ولنقم بإجراءات معاملة الطلاق اليوم". بعد أن علم بأمر موافقتها على الطلاق غمرته السعادة، لقد كانت هذه مجموعة من أسعد الأخبار بالنسبة إليه منذ زمن طويل، فإن جرت الأمور على هذا النحو، فلن يضطر إلى أن يأخذها إلى المحكمة، مما يجعل الأمور أفضل بالنسبة إليه. وعلى الفور، طلب من زوجته أن يلتقيا عند الضفة البحيرة الشرقية لمركز المؤتمرات، داخل باحة المبنى رقم اثنان.

كان الطقس رائعا جدا في تلك الليلة، وكان ضوء القمر منعكسا على مياه البحيرة بهدوء خلاب، جلس لي داكانغ على كرسي من القش، يحتسي كوبا من الشاي تحت ضوء القمر، كانت السماء صافية جدا، وإشعاع النجوم مبهر، وكان القمر بلونه الفضي يبدو وكأنه معلق كالزينة في السماء، ولشدة صفاء الطقس ونقاوته كانت الرؤية واضحة كما النهار.

وصلت زوجته في الموعد المحدد، وكان يبدو على كليهما الهدوء والاسترخاء، كما لو أن نقاوة ماء البحيرة وضوء نجوم الربيع قد غسلا كل تفاهات العالم السطحية، وأخذتهما إلى عالم آخر. طلب منها لي داكانغ الجلوس وصب لها كوبا من الشاي ثم قال: "لقد مضى زمن طويل منذ أخر مرة جئت بها إلى هذا المكان يا أويانغ أليس كذلك؟". خلعت أويانغ جينغ معطفها وأجابته: "نعم هذا صحيح، ففي أخر مرة جئت بها إلى هنا كانت هذه الأرض لاتزال قاحلة". ورد لي داكانغ مؤكدا: "نعم بالفعل، لقد كانت أرضا ملوثة جدا". رفعت أويانغ جينغ صوتها قليلا وقالت: "لا أحد في جينغ تزو لا يعرف أن هذه الأرض كانت معملا كيماويا لسنوات عديدة".

بعدها جلست أويانغ جينغ وارتشفت القليل من الشاي، كان الطليقان المستقبليان يشعران بالراحة الكبيرة تجاه بعضهما، دون أن يشعرا بأي نوع من التوتر، ولكن لي داكانغ كان مدمنا على العمل، ولم يستطع أن يمنع نفسه من الحديث المتواصل عن الأمور التي تخص عمله وقال: "لهذا اتخذت القرار النهائي ببناء مركز المؤتمرات في هذا المكان بالتحديد. فإن لم تقم الحكومة باتخاذ قرارات مهمة كهذه فمن سيفعل إذا؟ وفي الوقت الحالي أصبحت الحكومة مهتمة بهذا المكان، وقامت بإرسال عدد من الخبراء للحد من ظاهرة التلوث، وهكذا أصبحت الأجيال الحالية والقادمة قادرة على الاستمتاع بهذه المساحة الخضراء الخلابة". قاطعت أويانغ جينغ حديثه المتواصل عن العمل وقالت: "إنك لا تتوقف مطلقا عندما يكون الحديث متعلقا بعملك أليس كذلك؟". غير لي الموضوع

على الفور وقال: "حسنا إذا لنتحدث عن مواضيعنا". ارتشفت جينغ القليل من الشاي ونظرت مباشرة إلى عينيه قائلة: "قبل أن نتحدث عن موضوعنا، أريد أن أتحدث قليلا عن وانغ دالو. شعر لي داكانغ بشيء من عدم الارتياح ونظر إلى سطح البحيرة ثم سألها: "ما علاقة موضوع طلاقنا بوانغ دالو". التمعت عينا أويانغ جينغ وقالت: "لو لم يقنعني وانغ دالو بالمجيء إلى هنا، لما رأيتني واقفة أمامك الآن". هدأ لي داكانغ وطلب من زوجته أن تقول كل ما تريد قوله دون أن تشعر بأي قلق أو ارتباك. وبعد أن غرقت أويانغ في أفكارها ذكرت حادثة من الماضي. قبل واحد وعشرين عاما، كان وانغ دالو نائب قاضي المقاطعة في ذلك الوقت، لقد كان اليد اليمنى والصديق المخلص لقاضي المقاطعة لي داكانغ، ومن أجل بناء شبكة الطرقات، طلب من المقاطعة كلها أن تساهم، فكان على كل قرية أن تدفع مبلغا من المال، وكل شخص عليه أن يساهم بشيء ما، وفي إحدى المرات أجبر أحد المزارعين على شرب مبيد حشري من أجل مبلغ وقدره خمسة يوانات، وقامت حينها العشائر الريفية بإحداث ضجة كبيرة حول الموضوع، واجتمع المئات من الرجال بثيابهم الرثة واضعين الجثة أمام الباب الرئيسي لمبنى الحكومة، أجبر وانغ دالو في ذلك الوقت على تحمل المسؤولية نيابة عن لي داكانغ وحكومة المقاطعة وقدّم استقالته، وبعد أن قدّم دالو استقالته قام كل من لي داكانغ وأمين لجنة الحزب في المقاطعة آنذاك يي تشوتشي بإخراج خمسين ألف يوان وإعطائها لدالو كي يبدأ عمله الخاص، وناضل بعدها دالو لسنوات طوال ليؤسس مجموعة دالو التجارية.

استرجع لي داكانغ بعضا من ذكريات الماضي وقال: "نعم إن دالو شخص جيد بالفعل، ولكن يا أويانغ لقد كنت أنت التي ترفضين فكرة إعطائه للخمسين ألف يوان، فبغض النظر عن الذي قلته، فقد صرخت في وجهي حينها، وفي النهاية يي تشوتشي هو من قام بإقناعك، ولم يستطع فعل ذاك إلى أن أكد لك أنك ستحصلين على الخمسين ألف يوان خاصتك بعد فترة من الزمن. لكن هل قمت بسحب دفتر الحساب...". قاطعته في تلك اللحظة وقالت: "نعم أعترف بتفاهة موقفي في تلك الفترة، فأنا مجرد امرأة في نهاية الأمر، لقد شعرت بندم كبير جدا في ذلك الوقت، وشعرت بالخجل الكبير مما فعلته". ثم غيرت الموضوع بشكل مفاجئ وقالت: "وأنت؟ ألست خجلا من نفسك الآن؟ يبدو أنك نسيت كيف ضحى وانغ دالو بمستقبله من أجلك، أليس كذلك؟ فلولاه لكنت واجهت نهايتك، وقل لي الآن، أين كان سيكون عضو اللجنة الدائمة للحزب وأمين لجنة الحزب البلدي الآن لولا وانغ دالو؟ لا يمكن للناس أن يتنكروا لأصلهم بهذه الطريقة، لقد توسلت إليك مرارا أن تمنح قطعة الأرض

التابعة لمصنع دافنغ إلى مؤسسة دالو، لماذا ترفض هذا الموضوع كما لو أن كل حياتك متوقفة على ذلك؟".

ابتسم لي داكانغ مجبرا نفسه وقال: "هذا غير صحيح يا أويانغ، في ذلك الوقت، كان مبلغ الخمسين ألف يوان الذي استخدمناه لمساعدة وانغ دالو هو من مدخرات عائلتنا. كان بإمكاني منحه كله له. لكن في الوقت الحاضر، لم تعد أي من هذه المشاريع تنتمي لعائلتنا، لذا أنا، لي داكانغ، لا يحق لي منحه إياه، وإذا عارضت مبادئي ومنحتها له، سيعود ذلك بالضرر علينا كلينا. لقد قلت له بالضبط أن مجموعته هي بالأساس شركة خمور ومواد غذائية. وأن عليه ألاّ يخلق مشكلة لنفسه بدخول سوق العقارات. وإذا كان يريد فعل ذلك حقا، فعليه أن يدخل بعرض قانوني، لقد ذهبت للتحدث معه وأخبرته ألا يسلك الطرق المختصرة". غضبت أويانغ وقالت: "أعلم، لقد أخبرني وانغ دالو بذلك، وشعرت أن هذا الكلام موجّه إلي، أليس ذلك صحيحا؟ لكن يا لي، أريد اليوم أن أوضح لك أن وانغ دالو لم يطلب مني الاتصال بك لطلب مشروع. كنت أرغب في مساعدته ومساعدة مجموعة دالو في ذلك الوقت، لكن اليوم، أنا وأنت سنتفق على إنهاء علاقتنا. هل يمكنك يا لي إعطائي فرصة لرد الدّين لوانغ دالو؟". هز لي داكانغ رأسه ببطء قائلا: "دعينا لا نتحدث عن هذا الأمر بعد الآن، موافقة؟".

مسحت أويانغ دموعها وقالت: "حسنا، لن نتحدث عن ذلك، لكن لدي شيء أخير أخبرك إياه، لو لم يقنعني وانغ دالو بالتحدث إليك، لما أعطيتك هذا الطلاق بسهولة، اهتم بنفسك جيدا".

عندها، حملت أويانغ جينغ حقيبتها، وقفت ثم غادرت، وكعبها العالي يطقطق على الجرانيت وهي تمشي.

اعترت لي داكانغ مشاعر مختلطة. فمع موافقة أويانغ جينغ فجأة على الطلاق، أحس بشعور من الراحة، لكنه شعر أيضا أن هناك شيئا ما مفقود. كان يشعر بتأنيب الضمير الذي كان يمر عليه كسحابة من الحبر الكثيف الذي ينتشر تدريجا ويملأ قلبه.

بعد أن غادرت أويانغ، نهض وتجول حول البحيرة، كان هناك نسيم لطيف يهب، وانكسر انعكاس القمر الهلالي على سطح البحيرة إلى شظايا فضية، في حين كانت الأمواج تلف الشاطئ موجة بعد موجة. لقد أدرك أنه كان غير منصف مع زميله وصديقه القديم، خاصة بعد أن أقنع أويانغ

بالطلاق. لقد أصبح حساسا فجأة. لم يكن قد تواصل مع وانغ دالو طوال هذه السنوات. كان يعامله ببرود. وكان ذلك بصراحة غير مقبول.

غرق لي داكانغ في أفكاره للحظة، وتغلغلت نظراته بسطح البحيرة، ثم أخرج هاتفه بصمت: "هل هذا دالو؟ شكرا لك، بما أننا كنّا في فريق العمل ذاته، أتمنى أن تتمكن من إظهار بعض التفهم". لكن وانغ دالو لم يقل أي كلمة، وأقفل الخط. استجمع لي داكانغ صبره وطلب رقم الهاتف مرة أخرى. إلى أن أجاب وانغ دالو. "ما بك يا دالو، أنت غير مستعد حتى للرد على مكالماتي الآن؟". "أخبرتني من قبل ألا أخوض أي مسارات مختصرة. وها أنا أقطعها الآن". "دالو، ربما هنالك سوء فهم، قد أكون أذيت مشاعرك عن غير قصد. اسمع، لقد فكرت في الأمر، وخلال السنوات الواحدة والعشرين الماضية، لم تطلب مني أبدا فعل أي شيء من أجلك. إلا تلك المرة من أجل افتتاح بحيرة غوانغمينغ...". "حضرة الأمين، لقد كان افتتاح بحيرة غوانغمينغ هذه المرة غير عادل أبدا، وأبديت تحفظي حيال ذلك أمام أويانغ جينغ لمجرد أنني كنت آمل بمنافسة عادلة. كنت أتمنى ألا يذهب دينغ يجن بعيدا في ذلك، هل تعرف يا حضرة الأمين لي ما فعله دينغ يجن من وراء ظهرك؟ بناء على الحقائق الحالية، فقد ثبت أنك استخدمت الشخص الخطأ، إن مشروع إعادة إعمار بحيرة غوانغمينغ الذي كنت مسؤولا عنه ليس واضحا أبدا، بل غامض جدا، فقد كان هناك الكثير من الصفقات المشبوهة، ولم يكن أي منا يملك بيئة تنافسية عادلة". "نعم، أنت على حق، لقد أدركت بالفعل خطأي...". "أنت تؤذي مشاعري حقا يا داكانغ، فأنت بدأت بالتفكير في الأمر الآن، وأنت تعلم أنني لم أقترب منك خلال هذه السنين بعد دخولك في العمل. هل تعرف لماذا؟ لأنك خشيت أن أوقعك أنا بصفتي رجل أعمال وبصفتك أنت كمسؤول رفيع المستوى في الوحل. كما خشيت أن أقع أنا في المتاعب أيضا بسبب رجل رفيع المستوى مثلك. فلقد شاهدت بما فيه الكفاية كيف كان بعض رجال الدولة يوقعون معهم بعض رجال الأعمال عندما تسحب السلطة منهم".

تلمّس لي داكانغ هاتفه المحمول وتنفس الصعداء وقال: "نعم، يبدو أنني قد أخطأت بحقك. ولكي نتدارك الأمر، سأدعوك لتناول المشروب في وقت ما. أوه، هذا صحيح، دعنا نتصل أيضا ببي شويشي في لوتشو، ونمضي ثلاثتنا وقتا ممتعا". أجابه وانغ دالو موافقا: "حسنا يا داكانغ، سأفكر في ذلك".

19

كانت لو ييك غاضبة، وذلك بسبب الموقف المتعنت الذي صدر عن زوجة أحد المسؤولين، فقد تركت أويانغ جينغ النائب تشانغ هوى هوى وحيدة في غرفة الاستقبال في جينغتشو سيتي بانك لفترة طويلة حتى أنها أخفت وجهها، كان ذلك الموقف مهينا للغاية. وكلما فكرت في الأمر أكثر، أصبحت غاضبة أكثر فأكثر، فقد أرادت أن تخيف العدو. ولدهشتها، لم يكن العدو خائفا وربما كان يضحك سرا. لقد كان ذلك شنيعا حقا.

في وقت مبكر من الصباح، كان هوى ليانغ بينغ في الساحة الرياضية في النيابة يتأرجح حول القضبان المتوازية. كان يرتدي سترة بيضاء، وعضلات ذراعه وصدره منتفخة. عندما وصلت لو ييك، التي كانت تعمل طوال الليل، إلى الساحة الرياضية، اقترحت استدعاء أويانغ جينغ مباشرة وإجراء استجواب بناء على اعتراف تساي قونغ فقط، وبالتالي حثّها على التفكير بالسفر حالا. فكر هوى بالأمر، ووجد أنه ينبغي اتخاذ إجراءات في هذه الحالة. فقد كانت أويانغ جينغ تحمل جواز سفر ولديها مسبقا تأشيرة خروج. ماذا لو لم يتخذوا إجراء قريبا، وهربت بدون أثر مثلما فعل دينغ يجن؟ عندها سيكون وحده المسؤول. وبناء على ذلك، أمر لو ييك بمنع أويانغ جينغ من مغادرة البلاد فورا.

أكدت لو ييك مرة أخرى على ذلك قائلة: "حسنا، سنلتقي بأويانغ اليوم يا حضرة المدير هوى؟". فقفز عن القضبان المتوازية ومشى في الوقت ذاته وقال: "نعم، اطلبي من فريق تشانغ هوى هوى أن يتحرك".

هكذا بدأت المواجهة مع أويانغ جينغ، حيث لم يتوقع هوى ليانغ بينغ ولو بيك على الإطلاق أنهما بإقحامهما لها في هذا الموضوع، سيدخلان في مواجهة مباشرة مع لي داكانغ، وستخرج الأمور عن إطار المتوقع بطريقة درامية لا يرغبون بها. أثارت هذه الحادثة بلبلة داخل الأوساط السياسية في مقاطعة إيتش، وأسدلت الستارة عن أحداث جديدة لم تكن ظاهرة للجميع. مصادفة في ذلك الصباح، كانت تشانغ هوى هوى ذاهبة مع اثنتين من الرفيقات إلى بنك مدينة تشينغ زاو لاستدعاء أويانغ جينغ وفجأة حدث أمر ما أثار دهشة الجميع، فهنالك من يستخدم البطاقة المصرفية لأويانغ جينغ لقد تلقى العاملون في مجال المراقبة إشعارا بأنه قد تم استخدام البطاقة قبل بضع دقائق في أحد المراكز التجارية الفاخرة وتم سحب مبلغ خمسة آلاف وثلاثين يوان منها.

طلبت لو بيك التي كانت تشرف على الأمور من مكتبها من تشانغ هوى هوى أن تذهب مباشرة إلى السوق التجارية حيث تم استخدام البطاقة للمرة الأخيرة، والقبض على أويانغ جينغ فورا إن كانت في المكان ذاته. انطلقت تشانغ هوى هوى بالسرعة القصوى بعد تلقيها للتعليمات على الفور، متوجهة نحو المركز التجاري، كان المركز مزدحما جدا، ولن يكون من السهل العثور على شخص ما في هذا الازدحام الخانق، قسّمت تشانغ فريقها إلى قسمين، وطلبت منهم أن يفتشوا الطابق الأول للمركز التجاري كاملا. وبينما كانت تأخذ المصعد المتوجه إلى الطابق الثاني، شاهدت أويانغ جينغ وبيدها العديد من الحقائب تركب المصعد المواجه لها، في تلك اللحظة تقابلا وجها لوجه. تعرفت أويانغ جينغ إلى وجهها مباشرة، وخرجت على الفور من المصعد محاولة الهرب بسرعة.

علمت تشانغ هوى هوى أن هذا الأمر سيزيد من صعوبة مهمتها، وانطلقت مسرعة مخاطرة بحياتها وهي تحاول الخروج من المصعد أثناء تحركه، وبدأت تدفع المارة قربها محاولة اللحاق بأويانغ جينغ. ولكنها كانت متأخرة جدا عنها، حيث وصلت أويانغ جينغ إلى سيارتها البي أم دبليو وانطلقت بها بسرعة هائلة. استقلت تشانغ هوى هوى إحدى سيارات الشرطة وانطلقت بالسرعة القصوى محاولة اللحاق بها على الفور، وأخبرت لو بيك من خلال جهاز اللاسلكي: "أيها الرئيس لو لقد تعرفت إلى أويانغ جينغ وهي الآن تقود بسرعة جنونية محاولة الهرب، إنني ألاحقها الآن، ولكنني وحيدة دون أي دعم، فلا يزال العنصران اللذان كانا برفقتي في المركز التجاري".

في تلك اللحظة كانت لو بيك متجهة بسرعة كبيرة إلى مكتب هوى ليانغ بينغ لتخبره بآخر التطورات، وكانت تتحدث عبر جهاز اللاسلكي مع هوى هوى في الوقت ذاته: "لا تدعيها تفلت

مهما كان الثمن، سأرسل التعزيزات على الفور". دخل جي تشانغ مينغ في تلك اللحظة وقال: "من الذي يحتاج لتعزيزات يا بيك؟". لم تستطع بيك أن تخفي ارتباكها، فمازال هوى ليانغ بينغ لم يحصل على الموافقة من المدعي العام لملاحقة زوجة مسؤول كبير، فحاولت أن تتلاعب على الموضوع وقالت: "لا شيء مهم يا جي". لم يقتنع جي تشانغ مينغ بما سمعه، ونظر إليها نظرة ملؤها الشك، ومشى مبتعدا عنها.

بعد دخولها إلى المكتب مباشرة أطلعت هوى ليانغ بينغ على أحدث التفاصيل قائلة: "إن الهدف منطلق الآن بسيارته على الطريق السريع، واحتمال كبير جدا أنها سوف تتوجه إلى مقر لجنة الحزب البلدي التابعة له، لتطلب الإرشادات حول ما يجب عليها فعله الآن، هل أقوم بإرسال التعزيزات إلى هوى هوى ونطلب منهم الانتظار أمام منزل لي داكانغ حتى تحين الفرصة المناسبة؟". اصطنع هوى ليانغ بينغ ابتسامة وسألها: "هل حقا ستقومين باقتحام منزل عضو اللجنة الدائمة للحزب في المقاطعة وأمين لجنة الحزب البلدي لتقومي باعتقال شخص ما؟". أجابت بيك: "إنني هنا لأسألك عما يجب علي فعله، فقد رأيت النائب العام جي منذ قليل وسألني عن الموضوع". نظر إليها هوى ليانغ بينغ متأهبا وسألها: "وماذا أخبرت العجوز جي؟". ابتسمت بيك وقالت: "وكأنني سأجرؤ على قول أي شيء يثير مخاوف قائدنا". أومأ ليانغ بينغ برأسه وقال: "فتاة ذكية". وبدأ المشي في أنحاء الغرفة إلى أن وقف أمام حوض الأسماك متأملا الأسماك الذهبية في داخله، ومحركا رأسه من جهة إلى أخرى مع حركتها. فبتولّيه منصب تشن هاي استلم مكتبه أيضا كما هو عليه، ومقارنة بالطريقة التي كان يهتم بها تشن بالأسماك والنباتات، لم يكن هوى على نفس القدر من المسؤولية. أصبح الماء داخل حوض الأسماك عكرا جدا، ويشبه وعاء لحساء الميسو، وأصبح لون النباتات الخضراء أصفر، لقد تحول الربيع إلى خريف قاحل، أخذ ليانغ بينغ بعضا من طعام الأسماك ووضعه في الحوض، وبدأ يراقبها كيف تتنافس للحصول على الطعام. وبعد كل هذا قال هوى ليانغ بينغ: "حاولي التأكد من أنها استخدمت بالفعل البطاقة المصرفية التي أعطاها إياها تساي قونغ". "لقد استخدمتها بالفعل، والآن هنالك اثنان من فريق هوى هوى في المركز التجاري يعانيان الأدلة".

أخيرا قرر هوى ليانغ بينغ ما عليه فعله، ووضع آخر قطعة من طعام الأسماك في الحوض. بعدها فرك راحتي يديه، وارتدى زيه الرسمي ثم قال: "حسنا، لنذهب لمساعدة تشانغ هوى هوى".

اتسعت حدقتا عيني لو بيك وقالت متفاجئة: "ستذهب بنفسك أيها الرئيس؟". انطلق ليانغ بينغ إلى الباب مسرعا وقال: "نعم، سأذهب شخصيا، وأعتقد أننا سنشكل دعما جيدا لها".

صعدا في سيارة النيابة، وأسرعا إلى منطقة السكن الخاصة بالحزب البلدي. كان الوقت قد اقترب من الظهيرة، وعلى الرغم من أن حركة المرور لم تكن مزدحمة مثل وقت الذروة، إلا أنه كان أمامهما وخلفهما قافلة من السيارات لا نهاية لها. في هذه الأيام كانت السيارات تزداد يوما بعد يوم، مثلما يظهر الفطر في الغابة بعد عاصفة مطرية، قد ينمو حقل منها بين عشية وضحاها.

كانت لو بيك قلقة حين سألت: "نحن لن نقدّم تقريرا عن هذا للعجوز جي، أليس كذلك؟". أجابها هوى ليانغ بينغ: "نقدم تقريرا عن ماذا؟ ونصل بعد فوات الأوان مرة أخرى؟ دعينا ننتظر حتى نتأكد من سير الأمور". فابتسمت لو بيك بصعوبة وسألت: "هل ستقوم فعلا بتوجيه الاتهام إلى منزل زعيم لجنة الحزب في المقاطعة لاعتقال شخص ما؟". استقام ليانغ بينغ في جلسته وأجابها: "إذا كان هناك دليل، فلم لا؟". عندما ارتدينا هذه البذلات الرسمية، أقسمنا يمينا أن نكون أوفياء للبلد وللشعب وللدستور والقانون".

في الوقت الحالي، التثبيت من الأدلة كان أمرا أساسيا ولذلك حثّ هوى ليانغ بينغ لو بيك على السؤال عن الوضع مرة أخرى، فكان الردّ على طلب لو بيك غير مبشّر. لم يكن هناك شريط مراقبة يظهر أويانغ جينغ وهي تمرر بطاقتها، وبالتالي فإن الدليل لم يؤكّد بعد. كان الرفيقان في الموقع يبذلان قصارى جهدهما. تجهّم وجه ليانغ بينغ وتمتم بكلمة واحدة: "اللعنة".

كان مزاج أويانغ جينغ في تلك اللحظة أسوأ بألف مرة من مزاج هوى ليانغ بينغ. لو كان هناك كبسولة للشفاء من الندم في العالم، كانت ستشتريها مهما كان الثمن. في الواقع، كانت هي وداكانغ قد اتفقا على الخضوع لإجراءات الطلاق في فترة ما بعد الظهر، ولديهما عشاء وداعي في تلك الليلة. ثم ستستقل طائرة وتغادر الصين. بدأت طبيعتها الأنثوية تظهر بعد أن مرّت بوقت عصيب صباحا، وكانت ترغب في شراء بعض الملابس الجميلة لتأخذها معها. لم تجرؤ على أن تغالي في الشراء في الخارج، لأن الملابس الأنيقة كانت غالية جدا. ولكن النساء يبقين نساء، فقد وصلت إلى المركز التجاري الباهظ الذي كانت تعرفه حق المعرفة.

كان هناك ثوب خريفي أنيق يبلغ ثمنه أكثر من عشرين ألف يوان، وقد رغبت بشرائه منذ فترة طويلة. بعد أن أفرغت بطاقة تساي قونغ ذات الخمسة آلاف وثلاثين يوانا، استخدمت بطاقتها الخاصة لتدفع الستة عشر ألفا الباقية. مرر المحاسب الإيصال فوقعته باسم تشانغ غوليان، وبهذا ارتكبت خطأ جسيما لم تكن تعلم به. حتى صادفت فتاة في المصعد، كانت فتاة النيابة التي انتظرتها في البنك البارحة، هل أحست أويانغ جينغ فجأة بأنها ملاحقة؟ في البداية خطر لها شيء واحد فقط: الهرب. إذا هربت من الكارثة الحالية، يمكنها أن تطير خارج البلاد إلى مكان بعيد في تلك الليلة.

كانت أويانغ تسير بسرعة هائلة، وتتصل في الوقت ذاته بلي داكانغ ليعود إلى المنزل لإنهاء الطلاق. كانا قد اتفقا على إنهاء الطلاق في تلك الظهيرة، وكان لديهما موعد عشاء في المساء ولكن الأمور تغيرت الآن. بدا هذا الموضوع مزعجا لداكانغ، الذي قال إن لديه اجتماعا في وقت قريب، فتحوّل مزاج أويانغ إلى مزاج بغيض وقالت: "هل ستأتي أم لا؟ إذا لم تأت، فيمكنك نسيان الموضوع". فخاف لي داكانغ وقال على الهاتف: "حسنا، سأعود فورا".

عادت أويانغ إلى المنزل ووضّبت حقائبها منفعلة بمساعدة تيان تشينغ تشي التي كانت تعارض هذه المشاركة وقالت: "هل ستغادرين في هذا الوقت يا أويانغ؟". فأجابتها أويانغ: "سأغادر فعلا، ويمكنك الحصول على كل هذه الملابس يا تشينغ تشي". فقالت مدبرة المنزل: "لم تتح لي الفرصة لأرتدي الملابس التي أعطيتني إياها في المرة السابقة".

20

عندما تم توضيب الحقائب، وصل لي داكانغ إلى المنزل. كان الزعيم دقيقا في تعامله مع الأشياء، فقد اتصل بمدير مكتب الإدارة المدنية مقدّما وأحضر عضوين من كوادر مكتب الإدارة المدنية معه لينهي الطلاق. حملت أويانغ جينغ اتفاق الطلاق، وهزّت رأسها وتنهدت قائلة: "اتفاق الطلاق هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يجعلك تتنحى عن العمل الرسمي أو أن تعود إليه فورا يا لي داكانغ. تفضل لقد وقعت". فأخذ داكانغ اتفاق الطلاق، وألقى عليه نظرة واحدة، ثم أخرج قلما ووقّع. ثم مرره لعضوي مكتب الإدارة المدنية. فقال أحدهم: "أيها الأمين لي والمديرة أويانغ، هل لديكما الصور؟". فأعطته أويانغ الصور المجهّزة. وبناء على ذلك، ملأ عضوا مكتب الإدارة المدنية أوراق الطلاق.

عندما ختم الرجلان الأوراق، سأل لي داكانغ: "لماذا يجب أن تغادري بهذه السرعة يا أويانغ؟". فتملصت من الإجابة بقولها: "لقد وجدت تذكرة سفر رخيصة اليوم". فقال داكانغ بدون أي شك: "لا عجب، إذا دعينا نتناول الغداء معا". فقالت أويانغ جينغ وكأنها أدركت حقيقة ما: "حسنا يا داكانغ فلتأخذني إلى المطار ولنتناول الغداء هناك". فقال لي بازدراء: "وما نوع الأطعمة المقدمة في المطار؟ إنها أطعمة بنوعية رديئة وبأسعار عالية، كما أن الجوّ هناك ليس جميلا". أجابته أويانغ على عجل: "حسنا، لن نتناول الطعام هناك. لا بأس إذا أوصلتني إلى المطار فقط". عندها تنبّه داكانغ وألقى نظرة عليها وقال: "ما المشكلة الآن يا أويانغ؟ هل يحدث شيء ما؟". فأخفت أويانغ قلقها الداخلي وقالت: "لا شيء يذكر، أنا فقط افتقدت ابنتنا".

في وقت لاحق، كانت السيارة الرسمية للي داكانغ، عضو اللجنة الدائمة للحزب الشيوعي الصيني وأمين لجنة الحزب البلدي الدائمة في جينغتشو، تحمل طليقته إلى مطار جينغتشو الدولي.

وفي هذه الأثناء، لم يكن يعرف لي داكانغ أن سيارة النيابة لم تكن بعيدة جدا تلاحق سيارته الرسمية، ولكن سلوك طليقته جعله غير مرتاح نوعا ما. كانت أويانغ جينغ طوال الطريق تنظر عبر مرآة الرؤية الخلفية، ووجهها يظهر قلقها بوضوح. شعر لي داكانغ أن شيئا غير مريح يجري بمجرد النظر إليها، وظنّ بأن طلبها الأخير بالأخص قد تجاوز الحدود فقد قالت: "لقد كنا يا داكانغ زوجا وزوجة، هل يمكنك أن ترافقني إلى الطائرة قبل المغادرة؟".

قال لي: "هل تخفين شيئا عني يا أويانغ؟". فتظاهرت أويانغ بأنها مرتاحة وقالت: "ما الذي يدور في رأسك يا داكانغ؟ هل يمكن أن أخفي شيئا؟ وحتى لو كنت أخفي شيئا، فهو ليس من شأنك، نحن مطلقان الآن".

اتخذ هوى ليانغ بينغ قرارا حاسما في اللحظة الأخيرة بأن يعترضهما في المطار، وذلك قبل أن يتلقى شريط المراقبة من تشانغ هوى هوى. وفي ذلك الوقت، كانت سيارة الشرطة الخاصة بليانغ بينغ تسير في شارع زونغشين، وعلى الفور غيرت اتجاهها وسارعت باتجاه طريق المطار. في الطريق الريفي لم يكن هوى متأكدا مما حصل، لكن جميع المركبات كانت قد علقت في زحمة خانقة، وكان ليانغ بينغ يعصر يديه بفارغ الصبر. لحسن الحظ، كان السائق على دراية بالطرق المحلية، فأخذ بعض الأزقة الخلفية والطرق الالتفافية. وبالرغم كل شيء، فقد وصلا إلى المطار في الوقت المناسب، فتنفس كلّ من هوى ليانغ بينغ ولو ييك الصعداء.

لم تخف لو ييك إعجابها بأويانغ جينغ، وخاصة عند استخدامها سيارة لي داكانغ كمرافقة لها، وجعله يوصلها بنفسه إلى المطار وقالت: "كان هروب دينغ يجن حيلة ماهرة، ولكنها اليوم تهرب في منتصف النهار". فسألها ليانغ بينغ: "يبدو أنك تتهمين لي داكانغ بمساعدة دينغ يجن بالهروب؟". فقالت لو ييك بثقة: "من غيره يمكنه فعل ذلك؟". فهز هوى ليانغ بينغ رأسه وقال: "لا أظن ذلك، يبدو أن وضع اليوم والوضع في تلك الليلة مسألتان منفصلتان تماما". فقالت لو ييك: "هل نعطي النائب جي تقريرا وهو يخبر لجنة الحزب بالمقاطعة؟". رفض ليانغ بينغ اقتراحها فورا قائلا: "لا يمكننا الإبلاغ عن ذلك الآن حتما، فإذا أردنا مجرد لمس لي داكانغ، يجب أن نأخذ موافقة الحكومة المركزية، وهي خارج نطاق سيطرتنا واختصاصنا. وللتعامل مع هذه المسألة يجب أن نعتبر بأن لي داكانغ ليس له أي علاقة في جريمة المشتبه بها أويانغ جينغ. نحن نلاحق المشتبه بها فقط".

في ذلك الحين، اتصل الرفاق من مركز التسوق ليوصلوا الأخبار الجيدة قائلين إنهم قد تحققوا بالفعل من الدليل، فقد تعرّف المحاسب إلى صورة أويانغ جينغ. وأكد بأنها قد وقعت باسمين مختلفين؛ أحدهما تشانغ غوليان والآخر كان أويانغ جينغ، حيث كانت قد اشترت زيا أنيقا غالي الثمن بأكثر من عشرين ألف يوان. ولم يكن رصيدها الذي حصلت عليه من مال الرشوة كافيا، فقامت باستخدام بطاقتها لتكمل النقص.

كان هوى ليانغ بينغ سعيدا وقال: "عظيم، الآن لدينا أدلة قوية". فسألت لو بيك: "هل نلقي القبض على شخص في سيارة لي داكانغ الرسمية؟". فقال لها هوى ليانغ بينغ: "نعم، ولذلك جئت أنا شخصيا".

توقفت سيارة الشرطة في محطة المطار. قالت لو بيك: "أيها المدير هوى امنح الموضوع مزيدا من التفكير، هل من المناسب أن نقوم بهذا؟". فأجابها هوى ليانغ بينغ: "لا شيء غير لائق حيال ذلك. نحن نلقي القبض على أويانغ جينغ وفقا للقانون". فسألت لو بيك: "وإذا لم يسمح لنا الأمين لي بالقيام بهذا؟ ألن نكون في مأزق؟". أجابها هوى ليانغ بينغ بعد تفكير عميق: "هل تظنين بأن ذلك ممكنا؟ إن لي داكانغ سياسي ويجب أن يأخذ التأثير السياسي بالحسبان. لا أعتقد أن عضو اللجنة الدائمة وأمين لجنة الحزب البلدية لمقاطعة جينغتشو قد يضع نفسه في مأزق معي. بالرغم من ذلك، إن كان يريد إنقاذ زوجته فسيقوم بذلك من خلف الكواليس ولن يعارضنا بتهور. أنا أظن بأنه حتى لن يخرج من السيارة". كانت لو بيك قلقة فسألت: "ماذا لو كان لي داكانغ متورطا أيضا؟". فأجاب ليانغ بينغ: "هذا سيكون سهلا أيضا، سأتصل بأمين لجنة الحزب الإقليمية شا روجين مباشرة وأبلغه بذلك". حاولت لو بيك أن تقول شيئا ولكن هوى ليانغ بينغ أوقفها رافعا سبابته وقال: "لا أريد أن أسمع شيئا، وسأتحمل المسؤولية إذا ما حدث شيء خاطئ".

عند ذلك توقفت سيارة لي داكانغ في المحطة. خرج هوى ليانغ بينغ من السيارة ووقف في منتصف الطريق، ورفع يده مشيرا إليها بالتوقف، فتوقفت سيارة لي داكانغ ببطء. توقفت سيارة الشرطة الخاصة بتشانغ هوى هوى إلى يسار سيارة داكانغ الرسمية بعد أن كانت تلحق بها من الخلف. خرج سائق لي داكانغ من السيارة ومشى باتجاه هوى ليانغ بينغ ولو بيك وسأله: "ما الذي تحاول فعله؟ هل تعرف من هذا؟". فقال ليانغ بينغ: "كل ما أعرفه أن أويانغ جينغ المطلوب القبض عليها موجودة في تلك السيارة". فامتلأ وجه السائق بالازدراء وسأله: "أيها الرفيق هل تعرف من

هو زوج أويانغ جينغ؟". فأجابه هوى ليانغ بينغ: "إن زوجها ليس له علاقة بالتحقيق الذي تجريه النيابة". ووضحت لو ييك قائلة: "أبلغ أحد ما عن نائبة المدير أويانغ جينغ ونحن نريد أن تذهب معنا للتحدث بالموضوع".

نظر هوى ليانغ بينغ إلى السيارة الرسمية التي كانت على مسافة قريبة وقال: "لا أعلم إذا كان الأمين لي في السيارة الآن. إذا كان في السيارة، أخبره بأن هذه مسألة روتينية بالنسبة إلينا ونحن نطلب تفهّمه وتعاونه". وأظهر للسائق أوراق اعتماده وأوراق الاستدعاء قائلا: "هذه أوراق اعتمادي، أنا هوى ليانغ بينغ، مدير مكتب المدعي العام لمكافحة الفساد، وهذا هو الاستدعاء. أرجو بأن يلقي الأمين لي والمديرة أويانغ نظرة عليها".

بينما كان الطرفان يتفاوضان، بقيت نافذة سيارة لي داكانغ الرسمية مغلقة، وكان بإمكان ليانغ بينغ رؤية وجهي داكانغ وجينغ الحزينين من خلال زجاجها الملون. بعد ذلك، قالت لو ييك إنه في ذلك اليوم كان المدير هوى يبدو في بذلة النيابة الرسمية وهو يحمل بيده الوثائق الرسمية، أنيقا ومخيفا في الوقت نفسه، كان يبدو كإله للقانون. كانت هذه الصورة ستبقى محفورة في ذهن لي داكانغ لبقية حياته.

ورغم ذلك، هنالك حقيقة لا يمكننا التغاضي عنها إطلاقا، أنه في تلك اللحظة، تصرف لي داكانغ بطريقة يجعل بها هوى ليانغ بينغ يتذكره طوال حياته، لم يتوقع ليانغ بينغ على الإطلاق أنه سيقوم بإنزال زجاج نافذة سيارة حكومية رفيعة المستوى. كان لي داكانغ جالسا في المقعد الخلفي للسيارة، محدقا به دون أن ينطق بكلمة واحدة. فهو سياسي محنك، ومسؤول رفيع الشأن في الدولة، بصلاحيات ونفوذ رافقاه منذ زمن طويل، ما جعل منه شخصية مرهوبة الجانب. كان وجهه خاليا من أي تعبير، ولكن النظرة التي كانت وراء النظارة كانت تظهر أنه يكبت غضبا كبيرا في داخله. كانت نظراته حادة، وتحمل في طياتها معان كثيره. تعرف السلطة دائما الطريقة الأنسب لتعبر عن نفسها، في جميع الحالات التي تواجهها، وكان الصمت المطبق هو أفضل وسيلة للتعبير في تلك اللحظة. ونظر هوى ليانغ بينغ هو الآخر إلى عيني لي، ولم يحاول أن يتجنب نظراته، لأنه يعرف حق المعرفة، أنه سيكون خطأ فادحا لو فعل ذلك، لأن الأمر كان عبارة عن تحد بين السلطة والقانون، وإن كانت نظراته يجتاحها ولو القليل من الخوف، فستنقض السلطة على الفور وتهمش القانون. ثانية، ثانيتان، ثلاث ثوان، أربع ثوان....

في نهاية المطاف كسرت أويانغ جينغ هذا الحاجز الجليدي، وفتحت باب السيارة ثم نزلت بهدوء، ذهبت تشانغ هوى هوى برفقة شرطيتين للقبض عليها، وقالت تشانغ بجمود: "هيا معنا من فضلك أيتها المديرة أويانغ". استدارت أويانغ جينغ ملقية النظرة الأخيرة إلى زوجها في سيارته الحكومية، ولوحت له بيدها قبل أن تدخل سيارة الشرطة، على الفور قامت تشانغ ومعها شرطية أخرى بوضعها بينهما في المقعد الخلفي، وأخذتاها بعيدا عن المكان. وفي طريق العودة تنفست لو بيك الصعداء وقالت: "لقد كان توقعك صحيحا أيها القائد هوى فلم يخرج لي داكانغ من سيارته بالفعل". فرد ليانغ بينغ قائلا: "ولكنني لم أتوقعه على الإطلاق أن يقوم بإنزال نافذة سيارته ويحدق إلي بهذه الطريقة، وكأنه يوجه تحذيرا صريحا لي". صمت للحظات وتابع قائلا: "إنني خائف من أن يكون هذا أكثر من مجرد تحذير. أعتقد الآن أنه سيبحث عن العجوز جي كما علينا نحن أن نخبره الآن". وافقت لو بيك واستخدم هاتفها ليتصل بمكتب جي تشانغ مينغ، ولكنه وجد الخط مشغولا. وشك هوى ليانغ بينغ على الفور أنه يتحدث مع لي داكانغ في هذا الوقت. وكان هذا ما يحدث فعلا، فقد اتصل لي داكانغ بجي تشانغ مينغ غاضبا، استغرب جي الموضوع وسأله عن ماذا يتحدث، أجاب لي داكانغ: "لقد قام عناصرك باعتقال أويانغ جينغ أمام عيني وأخذوها من سيارتي، لقد أوقفتنا سيارتا شرطة على طريق المطار بطريقة هوليودية". صدم جي تشانغ مينغ وقال: "إنه لا يعلم شيئا عن العملية التي قام بها مكتب مكافحة الفساد اليوم، وأنه لم يتلق أي تقرير منهم بخصوص قضية أويانغ جينغ، ولذلك لم يستطع التأكد من طبيعة الحادث غير المتوقع الذي حدث اليوم.

بعد فترة من الوقت علم ليانغ بينغ وبيك أن جي لم يقل ذلك ليحافظ على صورته أمام داكانغ وعلما أن العجوز جي كان بطلا في ذلك اليوم وأخذ موقفا صارما. "أيها الأمين لي لقد قلت لي أن هوى ليانغ بينغ لاحقك إلى طريق المطار، وهذا يضع مشكلة أمام أعيننا، هل كانت أويانغ جينغ على وشك الهروب خارج البلاد؟ وإن كان فعلا هذا ما كان سيحدث، كنت سأفعل الأمر نفسه، وأعطي الأوامر بإيقافها، على كل حال إن كان هنالك تقرير، فعلينا أن نجري التحقيقات اللازمة في القضية". فرد عليه لي داكانغ قائلا: "لو افترضا أن أويانغ جينغ مذنبة بالفعل، ألا تأخذون التبعات السياسية للموضوع بعين الاعتبار؟ لا بد وأنك سمعت عن طبيعة العلاقة بيني وبين أويانغ جينغ حاليا، وأريد أن أقول لك أننا مطلقان، وبعد أن أجرينا معاملة الطلاق، طلبت مني أن أرسلها خارج البلاد، فكيف لي أن أرفض طلبها هذا؟". فأجابه جي تشانغ مينغ وقال: "حسنا، لقد استغلت منصبك

وسيارتك الحكومية أيها الأمين لي". قال لي داكانغ: "حسنا، هل كنت أنا السبب بعرقلة الأمور؟ لا يوجد شيء لنتحدث عنه هنا إذا، أرجوك قم بعملك على أكمل وجه، ولا تتأثر بالسياسة، أو بأي عوامل أخرى، وقاضوا طليقتي أويانغ جينغ بنزاهة وعدل".

لم يخف جي تشانغ مينغ أي شيء وقال بصراحة تامة: "ألست قلقا بخصوص هوى ليانغ بينغ؟ أريد أن أجعل الأمور واضحة بالنسبة إليك، فإن هوى ليانغ بينغ هو تلميذ الأمين قاو يوليانغ، ولم يكن الأمين قاو هو من نقل هوى ليانغ بينغ إلى النيابة العامة. فهو لم يحمل أية ضغينة تجاه أويانغ جينغ". فقال لي داكانغ: "هذا جيد، فعلى الأقل أنت لست تابعا لقسم السياسة والقانون ذاك أنني أصدقك". فرد عليه جي تشانغ مينغ بجديه قائلا: "أرجوك أيها الأمين لي أن تؤمن بليانغ بينغ ومكتب مكافحة الفساد، فهم لن يقوموا على الإطلاق بمخالفة القانون أو الانحياز لأي شخص، وسأطلب من هوى ليانغ بينغ ومكتب مكافحة الفساد أن يعطوك كل التفاصيل والتوضيحات اللازمة لما حدث اليوم". رفع لي داكانغ الراية البيضاء وقال: "لا داع، أيها الرفيق تشانغ مينغ فقد قلت كل ما أريد قوله".

بعد انتهاء المكالمة الهاتفية على الفور، جاء اتصال من لو ييك وقالت إنها تريد تسليم التقرير، فرد عليها جي تشينغ مينغ: "ألم تفكري بالإبلاغ حتى الآن؟ ما الذي أخرّك حتى الآن؟". فسّرت له لو ييك قائلة: "لقد حدث الأمر فجأة، وكان الجميع يقفون مكتوفي الأيدي تجاه الموضوع". وأضافت أيضا: "ما رأيك أن تسمع التقرير من الرئيس ليانغ بينغ بنفسه؟". فأجاب جي تشانغ مينغ بصرامة: "ماذا تريدون إخباري أيضا؟ تعالا إلى مكتبي حالا".

بعد فترة وجيزة وصلا إلى مكتب رئيس المدعين العامين، كان هوى ليانغ بينغ متخوفا من ردة فعل جي تشانغ مينغ بعد حدوث أمر كبير بهذه الدرجة دون معرفته، وكان يعرف أنه فعل لا يغتفر. وكان هوى ليانغ بينغ يحترم ويحب تشانغ مينغ من أعماق قلبه، بعد كل هذا الوقت الذي قضاه إلى جانبه في هذا العمل، فقد كان العجوز صادقا ورصينا كأخ أكبر بالنسبة إليهم، وكان متحفظا جدا عندما يتعلق الأمر بليانغ بينغ إلى درجة كبيرة، حيث من الصعب جدا أن يقوم أحد بإخماد نيرانه عندما يغضب، لذا قرر هوى ليانغ بينغ بأنه لو قام رئيسه بالتلفظ بأقسى العبارات نحوه وحتى لو شتمه، فإنه سيبتسم ويوجه النقد الذاتي لنفسه.

لم يوبخه جي تشانغ مينغ، لكنه فقط قال بسخرية أنهم كانوا في قائمة مشاهير هوليوود. فردت لو بيك باهتمام قليل وقالت: "إذن نأتي بأويانغ جينغ نجمة هوليوود. ألا تبالغ بذلك يا حضرة المدعي العام جي؟". فهزّ هوى لين بينغ رأسه وقال بكل جدية: "بالضبط، كنا نفعل الأشياء فقط وفقا للقانون". لكن جي تشانغ مينغ تابع أسلوب سخريته وقال: "لا تكن متواضعا. ماذا كان الأمر إذن إن لم يكن فيلما أمريكيا؟ لقد طاردت سيارتان للشرطة السيارة الرسمية للي داكانغ على طول الطريق، وصولا إلى مدخل المطار السريع". ثم سأل لو بيك ساخرا أيضا: "هل ذاك من قلت أنك ألقيت القبض عليه؟". فقال هوى ليانغ بينغ ناقدا ذاته: "لم تكن لو بيك الملامة. إنه خطأي لأنني تصرفت بناء على مبادرتي الخاصة". فأجاب جي تشانغ مينغ بسخط: "يمكنني القول حتى من دون استخدام عقلي أنك استخدمت حيلة مجنونة، أليس كذلك؟ ورغم كل شيء، يبقى لي داكانغ عضوا حاليا في اللجنة الدائمة لحزب المقاطعة، وسكرتيرا للجنة الحزب لبلدية جينغتشو. هل فكرت بالتأثير السياسي لعملية المطاردة تلك؟". فأوضح هوى ليانغ بينغ ذلك وقال: "من أجل ذلك تحديدا، فإننا لم نتحرك عند مدخل المناطق السكنية التابعة للجنة الحزب البلدي". ولتوضيح الأمور أكثر، طلب جي تشانغ مينغ من هوى ليانغ بينغ أن يبلغ لجنة الحزب الإقليمية والأمين شا روجين في أقرب وقت ممكن.

عندها، أعاد هوى ليانغ بينغ سرد خطة أويانغ جينغ للفرار وخطتهم في ذلك الصباح. كان هناك دليل قوي على أن أويانغ جينغ كانت قد أخذت رشوة. فقد ذكر تساي تشينغ قونغ أن أويانغ جينغ أخذت مليوني يوان رشاوي، وتم التحقق بالفعل من خمسمائة ألف منها.

21

حرص مكتب مكافحة الفساد بشكل استثنائي على قضية أويانغ جينغ، وذلك بسبب وضعها الخاص، وثابر في التحقيق في القضية حتى في غياب اعتراف من المشتبه به. وبعد أن سمع جي تشانغ مينغ ذلك، أشرق وجهه، واعتقد أن الوضع لم يكن سيئا للغاية. فمع هذه الأدلة القوية، يجب أن يكونوا قادرين على جعل قضية أويانغ جينغ أمرا لا يمكن دحضه. انتهزت لو ييك الفرصة لتقول: "حضرة النائب جي، سيكون من السهل عليك في هذه الحالة إعطاء لي داكانغ تفسيرا". لكن لم يكن جي تشانغ مينغ سعيدا عند سماع ذلك وقال: "ما الذي يتعين شرحه؟". ثم لوّح بيده وتابع: "انصرفا وافعلا ما يتوجب عليكما فعله".

غادر هوى ليانغ بينغ ولو ييك مكتب المدعي العام، وعادا إلى مكتب مكافحة الفساد لمواصلة مناقشة القضية. لم تصدق لو ييك أن لي داكانغ لم يكن على علم بمشاكل زوجته وتساءلت عن سبب حصوله على الطلاق في هذا الوقت ما لم يكن قد تحسّس شيئا ما. فقال هوى ليانغ بينغ: "في الوقت الحالي، ليس لدينا أي تفسير، ولكن بناء على حدسي وتجربتي الاستقصائية، ربما لم يكن لي داكانغ يعلم شيئا عنها. لو كان على علم، لما كان سيرافق طليقته إلى المطار. فهو سياسي عقلاني. إنه ليس بلا حنكة مثل كازانوفا". لم تقتنع لو ييك وقالت: "لم يرافقها لي داكانغ فحسب، بل أنزل أيضا نافذة السيارة كاستعراض للقوة أمامك". أجاب هوى ضاحكا: "هذا دليل إضافي على أن لي لم يكن يعلم شيئا عن ذلك. أشعر وكأنه لا يزال مرتاحا إلى حد ما، وهذا هو سبب عدم فراره كالفأر عندما يندفع إلى ثقبه فجأة. كان هذا التحرك من لي داكانغ استعراضا لسلطته أمامي، فضلا عن إظهار كبريائه". فقالت لو بنوع من التحذير: "حضرة المدير هوى، عليك الحذر من الآن فصاعدا. فهو سيحقد عليك بعد كل ذلك". فكّر هوى بذلك وأجاب: "ليس بالضرورة، ربما على العكس، سيشكرني لي داكانغ.

سيشكرني من أعماق قلبه، رغم أنه قد لا يقول ذلك". أثار ذلك استغراب لو وقالت: "هوى، لماذا قد يفعل ذلك؟". فارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة وقال: "فقط شاهدي ما سيحصل...".

في ذات الوقت تقريبا الذي توقفت فيه سيارة لي داكانغ الرسمية، قدم قاو يوليانغ تقريرا عن زميله إلى سكرتير لجنة الحزب في المقاطعة، شا روجين. وعلى الرغم من أنه لم يكن يعلم أن تلميذه قد سبق له توجيه ضربة حاسمة لزميله، إلا أنه انتهز الفرصة لرميه بحجر، وكشف عن موقفه الخاص بطريقة صريحة ومباشرة.

جلس الرجلان في مكتب شا روجين على آريكتين منفصلتين. وكالعادة، كانت البداية بالأحاديث القصيرة، قال قاو يوليناغ مبتسما: "حسنا يا حضرة الأمين روجين. لقد قمت برحلة إلى لينتشينغ الأسبوع الماضي. سمعت أنها كانت مثمرة". لم يخف شا روجين إعجابه وتقديره للمنطقة التنموية في لينتشينغ. وأثنى على لي داكانغ وقال إن استخدامه الشامل للأراضي المتضررة بسبب التعدين من أجل التنمية كان عملا سابقا لعصره. وقد اضطر قاو يوليانغ للرد بالموافقة فقال: "لا يمكن إغفال مساهمات لي داكانغ في إنشاء منطقة لينتشينغ التنموية". أما شا روجين فقد أشاد بالأمين السابق للجنة الحزب في المقاطعة، تشاو ليتشون وذلك لاختياره الأشخاص المناسبين في الأماكن المناسبة. "في تلك الفترة، لو لم يقم بنقل لي داكانغ من لوتشو في أقرب وقت ممكن، وسمح لكل منهما أن يغني لحنه الخاص ويحتكان بطريقة خاطئة، لكان قد أفسد فرصته". تنهد شا روجين بعاطفة وقال: "أيها الرفيق يوليانغ، إذا سألتني عن رأيي، في بعض الأحيان، واحد زائد واحد لا يساويان اثنين على الإطلاق". وافقه قاو يوليانغ: "هذا صحيح، وأحيانا ينتج عن ذلك عدد سلبي أيضا". ضحك شا روجين وقال: "هذا هو فن استخدام الكوادر الفنية". ثم غير الموضوع وأخذ قاو على حين غرّة بسؤاله: "الآن، أيها الرفيق يوليانغ، لن توصي لي بطالبك النجيب تشي تونغ وى، أليس كذلك؟".

كان الأمر كما لو كان هناك شوكة في خاصرة قاو تحكه وتؤلمه، لكنه غير قادر أن يخدشها. "أوه، لا، لا، أود الإبلاغ عن حالة الرفيق داكانغ". فوجئ شا بذلك وقال مذهولا: "تقرير عن الرفيق داكانغ؟ حسنا، تفضل بالكلام، تفضل...".

لم يبدأ قاو يوليانغ في التحدث على الفور. ومن قبيل الصدفة، حضر رئيس شعبة باي ليتناول كوبا من الشاي، رفع الغطاء عن فنجان الشاي، ونفخ فيه ببطء، متسببا في خلق جو من

التأمل. في الواقع، كان متحضرا لذلك، فلدى وصوله إلى العمل، كان قد أقفل على نفسه باب مكتبه وفكّر في مشاكل لي داكانغ من عدة جوانب مرارا وتكرارا.

كان عليه أن يكون منطقيا ونزيها ويملك أدلة قوية لكي يبلغ القيادة بالأمر، لكن الكلمات الأولى التي خرجت من فم شا روجين كانت مديحا للي داكانغ، وهذا ما فاجأه ووضعه تحت ضغط نفسي كبير. يبدو أن هذا الأمين الجديد لديه انطباع جيد عن لي داكانغ. وتقريره هذه المرة سيكون أكثر صعوبة مما كان متوقعا. ومع ذلك، يعلّق أمين لجنة الحزب للمقاطعة آمالا كبيرة على تقرير نائب أمين لجنة الحزب لمقاطعة. علاوة على ذلك، فإن المستهدف في التقرير لم يكن شخصا عاديا، فهو عضو في اللجنة الدائمة للحزب بالمقاطعة، وأمينا بارزا في لجنة الحزب البلدي في عاصمة المقاطعة.

ثبت شا روجين نظره على قاو يوليانغ وقال بنوع من فقدان الصبر: "حسنا يا رفيق يوليانغ، قل شيئا. مهما كان، فقط قل". وضع قاو يوليانغ فنجانه جانبا، واختار كلماته بعناية، وأثار موضوع ليلة هروب دينغ يجن، وكيف حدث تسرب معلومات غريب خلال الاجتماع الذي ترأسه. ثم حلل تصرفات كل من شارك في الاجتماع من الرفاق واحدا تلو الآخر. وكان استنتاجه أن لي داكانغ مشتبها به بقوة، وربما كان قد وجه إنذارا إلى دينغ يجن.

بعد سماعه لذلك، نظر شا روجين إلى قاو بعناية وقال: "لقد سمعت بالفعل عن بعض الأحداث التي وقعت في ليلة هروب دينغ يجن. لقد ثبت الآن أن شخصا ما قد سرّب المعلومات؟ هل هذا صحيح؟". فارتسم على وجه قاو يوليانغ تعبير قاتم وقال: "نعم، لقد وصلت كل من إدارة الأمن العام والنيابة العامة إلى هذا الاستنتاج". ضرب شا روجين مسند ذراع الأريكة: بما أن الطرفين توصلا إلى هذا الاستنتاج، فعليهما التحقيق في ذلك، والوصول إلى أعمق نقطة منه".

استرسل قاو في شرحه أكثر: "من الممكن أن تكون زوجة الرفيق داكانغ، أويانغ جينغ، متهمة بالفساد، فقبل أن يتولى هوى ليانغ بينغ منصبه، اتصل من بكين وأراد مني مساعدته في حماية أحد المخبرين". "ما الذي كان يقلقه؟". "كان يشعر بالقلق من أن شخصا ما من جينغتشو سيتدخل. كان الأمر يبدو كما لو أن هناك الكثير مما لا يمكن فهمه". لم يوضح شا روجين على الفور مكان وقوفه، لكنه بدأ باحتساء الشاي. ارتطم غطاء الخزف بطرف الفنجان وأصدر طنينا ناعما، ثم قال: "وقد أبلغتُ لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة عن كل هذه الظروف. فبالنسبة إلي،

فقد لاحظت ذلك بشكل مباشر في لينتشينغ، عندما ضرب لي داكانغ على صدره، وتعهد أن ظروف زوجته لن تؤثر عليه". وعند النظر إلى شا روجين، هز قاو يوليانغ رأسه وأجبر ابتسامة على وجهه وقال: أيها الرفيق روجين، ما مدى موثوقية هذا التعهد؟". فلم يجب شا بشكل مباشر واكتفى بالقول: "هل يعقل أنك لا تعلم عن حالة الانفصال الطويل بين لي وزوجته؟" قال قاو يوليانغ: "بالطبع أعلم، استمرت هذه الفترة لبضع سنوات بينهما". غطى شا روجين فنجانه، ثم وضعه على الطاولة، وطرح سؤالا مبطنًا مع ابتسامة: "هل تعتقد بعد كل ذلك أن لي داكانغ سوف يخاطر لمصلحة زوجته التي فقد بالفعل كل عواطفه تجاهها منذ فترة طويلة، بغض النظر عن تطلعاته المستقبلية؟ هل حقا هو حنون هكذا؟ هل هو كازانوفا؟".

بقي قاو صامتا، فمن الواضح أن الأمين الجديد كان يحمي لي داكانغ على عكس توقعاته. والآن أمامه خياران: إما أن يتعاون مع القيادة ويقلب الاتجاهات، ويترك تقريره يضيع، أو يتمسك به ويترك انطباعا سيئا عنه لدى القيادة. ارتشف فنجان الشاي، واتخذ الخيار الثاني بالتمسك بالتقرير، فالمسؤولون عليهم أن يتنافسوا، لكن ليس باستطاعتهم فعل ذلك دائما، فهم كشيوعيين، كان عليهم أن يقفوا صامدين في القضايا المبدئية، ويعبّروا عن شخصيتهم المتفردة في الوقت نفسه. تلك هي العقيدة السياسية التي كان قد سلّح نفسه بها طوال هذه السنوات، وكانت تعمل بشكل جيد. ولم يكن نائب الأمين الذي بدأ كأستاذ خصما سهلا على الإطلاق في الأوساط السياسية. بعد ذلك، استأنف قاو يوليانغ الحديث مرة أخرى: "أيها الرفيق روجين، أنا اليوم أبلغك وأبلغ لجنة الحزب الإقليمية، لذا يجب أن أكون صريحا وأن أقول الحقيقة كاملة. من حيث المنطق، وبموازنة محاسن ومساوئ لي داكانغ، فإنه لن يتورط في فوضى زوجته، لكن لا يمكننا الجزم تماما. لي داكانغ هو لي داكانغ على كل حال لديه طريقة مختلفة في التفكير، وغالبا لا تخضع طريقته للقواعد".

بدا الأمر كما لو أن شا روجين لم يفهم قصده، بل تبنى طريقة تفكير مختلفة تماما فقال: "هذا صحيح، انظر إلى التصرف الغريب الذي لعبه بمجرد وصوله إلى لينتشينغ. عندما فكّر في الاستخدام الشامل للأراضي المتضررة الناجمة عن التعدين لمنطقة التنمية، يا لها من خطوة غريبة، ألا تظن ذلك؟". تنهد قاو يوليانغ وهز رأسه، ثم بدأ يتحدث عن كمية الفضائح المتعلقة بمنطقة التنمية في لينتشينغ ذلك الوقت، حيث اقتيد نائب رئيس البلدية المسؤول عن المنطقة وقتها للتحقيق في قضية الشروط المزدوجة، واختفى عدة عشرات من رجال الأعمال دون أن يتركوا أي أثر بين عشية وضحاها. ومن الغريب أن هذه المرة هرب دينغ يجن، ولكن لم يهرب معه أحد المطورين

المسؤولين في مشروع بحيرة غوانغمينغ، أيها الرفيق روجين، هل يعتبر ذلك خطوة غريبة؟ كان قد استل سيفه، وكانت كلماته تحمل معان خفية، مما يجعل من المستحيل على القيادة أن تتجنب القضية.

لم يستطع شا روجين التهرب من القضية ونظر إليه باهتمام وقال: "حضرة الرفيق يوليانغ، هل ذلك صحيح حقا؟ أنه لم يهرب أحد البتة؟". أجاب قاو يوليانغ: "نعم، وهناك تفاصيل أكثر أهمية، ففي ليلة 916 بعد اندلاع الحريق، كان لي داكانغ لا يزال يحاول هدم مصنع دافنغ...". أخذ قاو يوليانغ رشفة من الشاي، ثم وضع فنجانه، وأثار نقطة بأسلوب شبه عشوائي قائلا: "إن الحاكم ليو يتقدم في السن، والجميع يعلم أن عليه التنحي في وقت قريب. لذا، بالتأكيد، سيأخذ الرفيق داكانغ الأمور بعيدا، وذلك حرصا منه على الإنجازات السياسية".

غرق الأمين في أفكاره، فهو يعتقد أن تقريره قد أعطى نتيجة جيدة. ربما يكون أمين لجنة الحزب في المقاطعة متعطشا لبعض الإنجازات السياسية، ويجب عليه أن يضع في الحسبان مخاطر هذه الإنجازات. وهذا صحيح، فباعتباره أمين لجنة الحزب الإقليمية، سيكون مدركا لوجود أشخاص كلي داكانغ بكل تأكيد. وعلى أي حال، كان هذا الرفيق يمتلك نفوذا كبيرا. وبالرغم من أن كلا منهما ينتمي لتيار معارض للآخر، كان لا بد وأن يبدي إعجابه بلي داكانغ. وكانت الأولوية حينها تنصبّ على مكافحة الفساد، وبناء حكومة نزيهة، ولم يكن أحد يتجرأ على إهمال عمله، وفجأة أصدر الأمين أمرا بإجراء تحقيق بخصوص تسريب المعلومات، بغض النظر عن ماهية الأشخاص المتورطين في هذا العمل، فإن كانت نتائج التحقيق تفيد أن لي داكانغ قد سرّب المعلومات، وأنه كان السبب بهروب دينغ يجن فسيذهب على الفور إلى بكين ويخبر الحكومة المركزية بكل ما فعله. وإلى أن تظهر نتائج التحقيق، يجب أن لا يتحدث أحد بهذا الموضوع حتى لا يرمي التهم بشكل عشوائي، فهذا الأمر لن يلحق الأذى برئيسهم فقط، بل سيخلق حالة من الفوضى غير المرغوب بها أيضا.

بعد أن كان لتقريره تأثير إيجابي واضح، قال قاو يوليانغ محاولا إيضاح موقفه: "حسنا أيها الرفيق روجين، لقد فهمت، إن كل ما أردته هو أن أوصل لكم تقريري عن الحادثة". رد عليه شا روجين: "لنبق الموضوع بيننا أيها الرفيق قاو، فأنت المسؤول عن الشؤون السياسة والقانونية، وعملك يقتضي بإخباري عن أي مشكلة أو خلل تجده، ولم أكن أقصد أن أضع اللوم عليك على الإطلاق". أومأ قاو يوليانغ برأسه عدة مرات وقال لنفسه: إن هذا الأمين الجديد يبدو مختلفا أيضا. ويبدو أنه قلق من أن يقع في مشكلة مع لي داكانغ، وألا يكون قادرا على تبرئة نفسه أمامه إن تواجها

مستقبلا. قام شا روجين بتغيير الموضوع، وقال بطريقة نصفها مزاح ونصفها الآخر جاد: "والآن، كيف لم تشك بتلميذك المفضل تشي تونغ وي؟ فعلى حد علمي، كان مدير إدارة الأمن العام حاضرا في تلك الليلة، أليس كذلك؟ هل من الممكن أن يكون هو من قام بتسريب المعلومات؟". أجابه قاو يوليانغ قائلا: "من قال لك إنني لم أشتبه به من قبل؟ لقد سبق وفكرت في الأمر عدة مرات، ورأيت أن لا علاقة تربط بينه وبين دينغ يجن، بالإضافة إلى أنه لا يملك الدافع ليفعل أمرا كهذا. إن كل ما يريده هو أن يصبح نائبا للحاكم ولن يخاطر بكل شيء في حياته من أجل أمر كهذا". حاول شا روجين استيعاب الفكرة جيدا وقال متعجبا: "نائبا للحاكم؟ لا أعتقد أنه يفكر بشكل سليم وأعتقد أن هذا يعتبر جنونا تبعا للظروف الحالية. وأتمنى أن توصل له هذه الرسالة نيابة عني وتقول له، أن يلغي هذه الفكرة من باله. فهذا أمر تحدده الحكومة المركزية، وعليه أن يقوم بعمله على أحسن وجه، وعلى الأقل فليحضر لنا دينغ يجن أولا". فقال قاو يوليانغ وهو على عجلة من أمره "إن هذا هو الأمر الذي كان سيبلغ عنه مباشرة بعد القضية التي كانا يتحدثان عنها، وفي طبيعة الحال، فقد كانوا يطاردون يجن طوال هذا الوقت. كما أظهر تونغ وي تقدما ملحوظا في هذه القضية بعد استلامها. وقد قامت القنصلية العامة لتورنتو بالاتصال البارحة وأخبرونا أنهم اكتشفوا مكان وجود دينغ يجن. كما تم تشكيل فريق تقصي رسمي تابع للأمن العام في المقاطعة، وكان تونغ وي هو المسؤول الأول عنه".

أومأ شا روجين برأسه عدة مرات موافقا. وفي تلك اللحظة كان قاو يوليانغ يتأمل مكتب أمين لجنة الحزب في المقاطعة، ولفت نظره كتابات جديدة على الحائط مكتوبة بخط هونغ يان وإحدى هذه الكتابات كانت *إن القوي ليس لديه أية رغبات*، يبدو أن جزءا جديدا من شخصية الأمين الجديد أصبح واضحا بالنسبة إليه، كما أنه استوحى شيئا ما من هذه العبارة. وبما أن شا روجين قد بدأ بذكر مساوئ تونغ وي، فكان بالنسبة إليه هذا هو الوقت المثالي للتحدث عن موضوع الترقيات وتغيير مواقع الكوادر ومناصبها، بالإضافة إلى ذكر آرائه الخاصة عن المواضيع التي تصب في المصلحة العامة. ففي النهاية الرجل القوي هو من ليس له رغبات وبصفته مساعد أمين لجنة الحزب الإقليمي المعين حديثا، كان عليه أن يكون صريحا ويتحدث عن كل ما يجول في ذهنه. فقال قاو يوليانغ بتأن شديد أن لديه اقتراح جديد آخر، ولم يكن يعرف إن كان عليه أن يدلو به أم لا. وقال شا روجين بصوت رخم: "وهل هنالك شيء لا يستطيع الرفاق في نفس الفريق أن يقولوه لبعضهم؟ يمكنك أن تقول ما تشاء أيها الرفيق". اقترب قاو يوليانغ نحو شا وقال له: "أعتقد أنه علينا

الاستعجال في عملية التحقيق بقضية تجميد المائة وخمسة وعشرين عاملا في مناصبهم، لا يمكننا أن نؤجل الأمور دائما على هذا النحو، قبل أن نحصل على نتائج واضحة فمن الناحية العمرية هنالك العديد من هؤلاء الرفاق على بعد نصف عام أو بضعة أشهر من أن يصلوا إلى العمر الذي لا يسمح لهم بالحصول على ترقية بعد ذلك، ولا أعتقد أنه يمكنهم الانتظار أكثر من ذلك". فقال شا روجين: "إنني على دراية تامة بهذه القضية، وقد قمت بإعطاء الأوامر لوزارة التنظيم ووزارة التفتيش طالبا منهم دراسة أوضاع هؤلاء الرفاق بالسرعة القصوى". رد يوليانغ بامتنان: "هذا رائع، فلا يمكننا أن نكرر مأساة تشن يانشي".

قام شا روجين بتغيير الموضوع وحوله إلى درس في أمور الحزب. يتعين على لجنة الحزب الإقليمية التفكير في المستقبل السياسي لجميع الرفاق، ولكن عليها أيضا أن تكون صارمة في موضوع استخدام الموظفين. فخلال العامين الفائتين تم تصنيف العديد من الكوادر على أنها كوادر يجب ترقيتها بالرغم من أنها كوادر تمت معاقبتها وأخلّت بالقوانين، كما تم توظيف كوادر أخرى لمدة عشرة إلى عشرين عاما بالرغم من سوء إنتاجيتها، ولكن بدلا من الاستغناء عنها تمت ترقيتها إلى مناصب مهمة، إنها قضية خطيرة أيها الرفيق يوليانغ ويجب أن لا نتهاون معها على الإطلاق. أومأ قاو برأسه إيجابا وقال: "هذا صحيح بالفعل، علينا أن نتعلم جيدا من دروس الماضي".

بعد مغادرة قاو يوليانغ لمكتبه، وقف شا روجين أمام نافذته المطلة إلى الخارج وغرق في بحر أفكاره، فقد كان وزن هذه المحادثة ثقيلا على كاهله، حيث كان قاو شخصا ذكيا جدا، وما كان يبدو تقريرا، كان إعلانا لوجود سياسي في مضمونه ولا يجب أن يتم إهماله على الإطلاق. كان قد سبق وسمع تقارير إدارة الأمن العام والنيابة العامة التي تفيد بهروب دينغ يجن، وكلاهما كانا قد ذكرا وجود تسريب للمعلومات، ولم يذكر أي منهما لي داكانغ.

قام اليوم قاو يوليانغ بطلبه شخصيا. لكن ما الذي كان يحاول قاو يوليانغ فعله عندما قام برمي لي داكانغ تحت الباص؟ هل فعل ذلك من أجل المصلحة العامة، أم بسبب صراعهما السياسي الدائم على السلطة؟ وكان قد ذكر يوليانغ ذات مرة مسألة المشاكل الشخصية للكوادر. لو أنه أعطاه فائدة الشك، فسيكون ذلك تذكيرا وديا. وبأسوأ الأحوال، هو كان يتخطى حدوده. وتساءلت كوادر القيادة كيف لم يفهم قاو ذلك؟

لقد اعتبر بأن قاو يوليانغ يقوم بذلك من أجل الخبير في هذه الأمور، تشي تونغ وى، وكان يظن بأن الرجل لن يتقبل الأمر إذا لم يستطع أن يعطي تلميذه المفضل دفعة.

22

وبينما كان يفكر بذلك، دخل وزير التنظيم وو تشونلين، يرافقه أمين لجنة التفتيش التأديبي تيان غوفو. حينها، كان هناك اجتماع تم ترتيبه مسبقا للتداول في قضايا موظفي الكوادر.

قال وو تشونلين: "وفقا لطلب كل من لجنة الحزب الإقليمية وشا روجين، فقد عملت وزارة التنظيم ولجنة التفتيش التأديبي بتعاون وثيق لفحص هذه الدفعة من الكوادر التي تنتظر التعيين، واكتشفنا عددا هائلا من المشاكل. فقد تم تصنيف بعض الكوادر على أنه تمت ترقيتها بالرغم من العيوب. لحسن الحظ بأننا في حالة تأهب الآن. أكمل تيان توفو قائلا: "تلقت لجنة التفتيش التأديبي عشرات التقارير خلال فترة إعادة النظر، فرأينا بأن المسألة لا تتعلق بترقية بعض الكوادر فحسب، وإنما تتعلق بالخطوات التي ربما يتم اتخاذها لتنفيذ (الشروط المزدوجة) عليهم". وأردف متنهدا: "ومن يعرف كيف حصلوا على قائمة الأسماء هذه؟ بكل الأحوال، لا وجود لأي حسّ بالمسؤولية".

كان شا روجين نوعا ما مفعما بالحيوية فقال: "حسنا يجب أن يكون لدينا شعور بالمسؤولية، وألاّ نخشى من توجيه الاتهام ضد أي شخص، وألا يتم ترقية الأشخاص بهذا الشكل. أولئك يجب على الحزب أن يتخذ خطوات ضدهم، فعندما لا ترغب في الإساءة إلى هذا الفصيل أو تلك المجموعة، فإنك تسيء للشعب. دعني أعترف بصخب وجرأة: لقد أخطأت بحق الحزب". وقام بضرب الطاولة ليؤكد وجهة نظره قائلا: "الحزب ليست مكانا لجمع الخارجين على القانون، ولكن البعض قد حوّله إلى ذلك. وإذا لم تكن واحدا منهم، فإنك مرفوض بدون أي استثناء. إنهم يفضلون ترك مقعد شاغر بانتظار أن يملأه أحد هؤلاء الفاسدين، على أن يشغله أحد الرفاق".

فقال تيان غوفو: "إن أمين لجنة الحزب البلدية ليو كايي الذي خضع لشروط مزدوجة هو مثال واضح على ذلك". ومن فوره أصدر شا روجين تعليماته على الفور قائلا: "حسنا، اجعل لجنة التفتيش التأديبي تحقق بالقضية بالشكل الصحيح. هذا بالإضافة إلى المشاكل المالية، وتحقق أيضا بشكل شامل من المشاكل المتعلقة بالانضباط السياسي والقواعد السياسية. ثم قال لوزير التنظيم: "أريد أن أؤكد مجددا على تنحية الذين ليسوا بحسب المقاييس تبعا للفحص الذي تم القيام به، أيها الرفيق تشويلن. وإذا حاول أحد التوسط، أبلغه بأن يأتي لرؤيتي. يجب ترقية الرفاق غير المدرجين على لائحة الأسماء بدون أي تأخير. قال وو تشويلن فورا: "هناك رفيق تم الإشادة به بشدة من مدينة لوتشو وهو يي تشوتشي، أمين لجنة الحزب في منطقة التنمية ومدير لجنة الإدارة في منطقة لوتشو".

كان شا روجين جاهزا لهدم الهيكل السياسي القديم في المقاطعة وبناء كتلة متينة وغير قابلة للفساد خطوة بخطوة. فأضاءت عيناه عندما سمع بأنهم اكتشفوا كوادر جديدة، وطلب من وزير التنظيم أن يخبرهم عن الوضع. عندها بدأ وو تشويلن بإعطائه لمحة موجزة، حيث كان يقول بأنه منذ خمسة وعشرين عاما مضت، كان يي تشوتشي هو أمين لجنة حزب المقاطعة، والذي وضع في نفس الفريق مع لي داكانغ في مقاطعة جينشان المتخلفة، وكان أيضا عضوا في القيادة. كانت تلك المجموعة صادقة وقادرة، ولكنه كان يعيش في دوامة من الضياع في محطته الحالية طوال الخمس والعشرين سنة الماضية بسبب الافتقار إلى ما يسمى الموارد السياسية. والآن هو أمين لجنة حزب المقاطعة لمنطقة التنمية العالية التقنية بالمدينة ومدير اللجنة الادارية، ولكن وعلى عكس ما تقتضيه الأعراف، لم يقم سكرتير الحزب البلدي الفاسد ليو كايي بترقيته. كان ليو صريحا حول هذا الموضوع، فهو كان يريد أن يعطي الموقع لنائب عمدة في لجنة حزب المقاطعة الذي أعطاه المال. ولكن أمين لجنة حزب المقاطعة لم يكن لديه وقت طويل، فقد تبقى لديه سنة وثلاثة أشهر فقط.

فقاطعه شار ويجين وسأله: "هل كان لي داكانغ يتوسط من أجل يي تشوتشي؟". فهزّ تشويلن رأسه وقال: "لا، باستثناء أنهما كانا في نفس الفريق في ذلك الوقت، فهما لم يعملا معا بعد ذلك". فأصبح روجين فضوليا وقال: "هل تشاجرا؟". فداكانغ دخل في صراع مع قاو يوليانغ في لوتشو؟ فأجابه وو تشونلين: "إن تشوتشي ليس من النوع الذي يحارب من أجل السلطة. ولكن بينما كانا في نفس الفريق، حصل حادث على ما أذكر. فخلال جمع الأموال لبناء الطرق، لجأ داكانغ وحكومة المقاطعة إلى الإكراه، وطاردوا رجلا حتى الموت من أجل خمسة يوان. عند ذلك تحمّل أمين لجنة

حزب المقاطعة يي تشوتشي مسؤولية الأمر من تلقاء نفسه وحمى قاضي المقاطعة آنذاك لي داكانغ".

صدم شا روجين وقال: "أنا أوصي بأن يضاف الرفيق تشوتشي إلى قائمة أسماء الفحص، ما رأيكما؟" فنظر الرفيقان إلى بعضهما وضحكا معا وقال وو تشونلين: "هذا ما قامت به وزارة التنظيم ولجنة التفتيش التأديبي، فهو رفيق جيد". فاقترح تيان غوفو قائلا: "لماذا لا تقابل الرفيق تشوتشي بنفسك فيعطيك مباشرة تقريره؟". فتحمس روجين وقال: "كلا أيها الرفيق غوفو دعنا نذهب لمقابلته الآن بأنفسنا".

لم يكن بالامكان تجنب تشي تونغ وى، فقد كان واحدا من الشخصيات المحورية في وزارة التنظيم وفي تحقيق لجنة التفتيش التأديبي. وكان هناك وجهتا نظر عنه خلال التحقيق، الأولى تقول إن الرفيق كان نائب النائب العام في جينغتشو ورئيس قضاة محكمة الشعب الوسطى في لينتشينغ، ثم أصبح نائب المدير ومدير إدارة الأمن العام في المقاطعة لثماني سنوات. وكانت تجربته في النظام السياسي والقانوني واسعة وغنية، ولذلك كان مرشحا مناسبا في المستقبل لمنصب أمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية. كان روجين يدرك هذا الوضع تماما، وتلك كانت في الحقيقة وجهة نظر قاو يوليانغ.

كانت وجهة النظر الأخرى قوية أيضا وكانت تشير إلى وجود مشكلة في شخصية تشي تونغ وى، الذي لم يكن مكرسا نفسه للحزب، كما أنه كان ذا وجهين، كما أنه كان يقوم ببعض التجارة مع أصحاب الممتلكات. عقد شا روجين حاجبيه وقال: "لا تكن مبهما هكذا، أعط أمثلة دقيقة". كان تيان غوفو يلقي نظرة إلى دفتره بين الفينة والأخرى وهو يقول: "مثلا، إن العلاقة بين تونغ وى ومديرة مجموعة شانشوي قاو شياو تشين ليست عادية وفقا للتقارير، فقد كان تونغ وى غالبا ما يأخذ معه أشخاصا إلى النادي الخاص بمجموعة شانشوي لتناول النبيذ والعشاء، وكان يشاركهم جلساتهم تلك نائب الوزير قاو يوليانغ أحيانا، كما كان دينغ يجن وكوادر أخرى من جينغتشو يذهبون إلى هناك أيضا. لقد تحول ذلك المكان إلى مكان ترفيهي حصري لبعض الكوادر، وبعد صدور قانون الثمان نقاط من قبل الحكومة المركزية، طبقت سياسة ضبط النفس إلى حدّ ما. ولم يجرؤ أحد على الذهاب بشكل علني، لكن لم يكن من الممكن التأكد من ذلك بشكل قاطع". أضاف وو تشونلين: "لأن تشي تونغ وى كادر من إدارة الشؤون السياسية، استمعنا مرة أخرى وبجدية إلى رأي نائب الأمين العام

قاو يوليانغ، والذي كان مسؤولا عن الشؤون السياسية والقانونية. وهو لا يزال مصرا على توصيته القديمة ويقول إنه أعدّ تشي تونغ وى ليكون خليفته، واقترح تعيينه كنائب أمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية، وبأن تكون الخطوة التالية تعيينه بمنصب أمين اللجنة ذاتها في المقاطعة بأكملها".

ابتسم روجين ابتسامة ساخرة وقال: "نعم، فلنعينه أمينا للجنة الشؤون السياسية والقانونية وبذلك ينجح قاو يوليانغ بأن يكون نائب سكرتير لجنة الحزب الإقليمية، وبعد ذلك يصبح كل شيء في النهاية لصالح تونغ وى. لم يتجنب قاو يوليانغ شعبه، ولم يدخر جهدا في التوصية بتلميذه. ما رأي وزارة التنظيم أيها الرفيق تشويلن؟". نظر تشويلن إلى غوفو وقال: "نرى بأنه من الأفضل إعطاء الموضوع مزيدا من البحث؟".

طرح تيان غوفو موضوعا آخر حيث إن العلاقة بين قاو يوليانغ وتشي تونغ وى ليست فقط علاقة معلم بتلميذه، فإن والد زوجة تونغ وى هو من اختار قاو يوليانغ للترقية. فهل يوجد لدى يوليانغ دوافع أنانية بإعداده تونغ وى ليكون خليفته؟ ألا يشتبه في أن ذلك نقل للسلطة بشكل غير قانوني؟

أوضح شا روجين موقفه عند ذلك قائلا: "إن تذكيرك مهم جدا أيها الرفيق غوفو، الشعب منحنا السلطة ونحن لا نستطيع نقلها بشكل غير قانوني بين الأفراد. هذه مسألة مبدأ، وهي من قواعد السياسة".

رحل وزير التنظيم وأمين لجنة التفتيش التأديبي، ولكن شا روجين لا يزال يفكر في قاو يوليانغ، مساعدا بالاسم فقط. كانت مياه المقاطعة إتش عميقة فعلا، وكانت العلاقات بين الكوادر تشبه نظاما كثير التشابك في الجذور، ولم يكن ممكنا تجاهل مشاكل الروابط الاجتماعية والأصول التاريخية. كان هو وافدا جديدا، وبالرغم من أنه كان مسترخيا على السطح، إلا أنه كان يشعر بأنه يسير عبر جليد رقيق. لم يعترف أحد بوجود عصابة دائرة الشؤون القانونية والسياسية، ولكنهم كانوا يتمازحون حولهم. لم يستطع أن يرى أدلة على وجودها ولكن كان قسم قاو يوليانغ الخاص بقسم الشؤون السياسية والقانونية على وشك إظهار نفسه. وكان في طليعته تشي تونغ وى الذي وصل عنه الكثير من ردود الأفعال والتقارير على مستوى كوادر المقاطعة.

كان شا روجين جالسا عند وصول النائب العام جي تشانغ مينغ، الذي قال إن لديه تقريرا مهما يريد إيصاله. ذهل روجين عند سماعه بأن لي داكانغ كان قد رافق زوجته السابقة إلى المطار. تذكر على الفور تقرير قاو يوليانغ ولم يستطع الامتناع عن السؤال قائلا: "كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا؟" فضحك تشانغ مينغ بمرارة وقال: "لقد حصل ما حصل. لقد عرف مدير مكتب مكافحة الفساد هوى ليانغ بينغ بهذا الموقف غير المتوقع، واضطر أن يقوم بالتدابير الاحترازية. لقد أوقف سيارة الرفيق داكانغ في مخرج المطار".

تذكر روجين هوى ليانغ بينغ، فهو عضو آخر في قسم السياسة والقانون، وتلميذ قاو يوليانغ. حاول الحفاظ على رباطة جأشه وسأل: "أليس هو الرفيق الذي تم نقله من بكين منذ وقت قصير؟". فأجابه تشانغ مينغ: "نعم أيها الأمين شا، وقد تحدثت معه شخصيا". فقال روجين: "إنني أتذكره، إنه من الكوادر ذات القدرات العالية". وبينما كان يتحدث، توقف ومشى باتجاه جي تشانغ مينغ وقاده للجلوس على الأريكة. وقال وهو يصب بعض الماء: "أنا أعلم بطلاق لي داكانغ وأويانغ جينغ أيها الرفيق تشانغ مينغ، لقد جاء داكانغ ليخبرني بالأمر بنفسه. وأنا الذي اقترحت تعجيل الإجراءات". ففوجئ تشانغ مينغ وقال: "حقا أيها الأمين شا؟ بصراحة لم أكن على علم بذلك".

وضع شا روجين كوبا من الماء أمام جي تشانغ مينغ وقال: "من الطبيعي أن يحصلوا على الطلاق. لقد انفصلا لأكثر من ثماني سنوات، وليس لديهما الكثير من المشاعر تجاه بعضهما. كان عليهما اتخاذ قرار الطلاق منذ فترة طويلة، ومع ذلك، استخدم لي داكانغ سيارته الخاصة لمرافقة طليقته إلى المطار، لم أكن أتوقع ذلك". رد جي تشانغ مينغ بعد أن أخذ شربة ماء: "نعم، لم يكن مجبرا على فعل ذلك". بعد ذلك انتقلا للحديث عن أويانغ جينغ، زوجة لي، فسأل شا روجين: "ما هو بالضبط حجم مشكلة هذه المرأة، أويانغ جينغ؟". "في الوقت الحالي، تمكّنا من التحقق من حصولها على رشوة بخمسمائة ألف يوان. ما زلنا نتحقق من قضايا أخرى. أقترح عليك أيها الأمين شا أن تذهب إلى لي داكانغ في أقرب وقت ممكن". "ما الذي يمكن الحديث عنه الآن؟ انتظر حتى يأتي لرؤيتي. فعليه أن يبين موقفه أمامي وأمام لجنة الحزب في المقاطعة. شبك جي تشانغ مينغ يديه، وبدا مرتعبا للغاية وقال: "لقد أثار الرفيق لي داكانغ مسألة قسم الشؤون السياسية والقانونية". ضحك شا وقال: "هل تقصد قسم الرفيق يوليانغ الأسطوري؟". أومأ جي تشانغ مينغ رأسه. "نعم، فمثلا كان كل من تونغ ووي وهوى ليانغ بينغ وتشن هاي من طلاب الرفيق قاو يوليانغ في سنواتهم الأولى". ضاع شا في تفكيره للحظة، ثمّ سأل بجدية عاقدا حاجبيه: "أنت رفيق قديم يا تشانغ مينغ،

فهل تعتقد أن مقاطعة إتش لديها مثل قسم الشؤون السياسية والقانونية هذا؟ دعك من المراوغة. فقط قل الحقيقة كما هي". ردّ جي تشانغ مينغ بحذر: "من الصعب معرفة ذلك. فالأمور غامضة وغير واضحة. وعلى سبيل المثال، إذا قلت إن هوى ليانغ بينغ ومدير مكتب مكافحة الفساد تشن هاي، هما من قسم الشؤون السياسية والقانونية، فلن أصدّق ذلك". لم يذكر شا موقفه، لكنه قال: "يرقد تشن هاي في المستشفى، لذلك دعه خارج اللعبة الآن. ويجب عليك تذكير هوى ليانغ بينغ بأن يتوخى الحذر في هذه القضية". قال جي تشانغ مينغ: "لقد حذرته من ذلك عندما وصل إلى منصبه، وهو إلى الآن حذر جدا من ذلك. لكن، حضرة الأمين، أخشى أن نكون قد أخطأنا إذا قلنا إن هذه المجموعة الصغيرة من الكوادر السياسية والقانونية غير موجودة على الإطلاق. بل هي مجموعة يتزعمها مدير إدارة الأمن العام، تشي تونغ وى، والذي غالبا ما يجتمع مع زملائه في إطار النظام السياسي والقانوني".

قال شا بعد أن فهم الوضع: "حسنا، أنا أفهم الوضع الآن. لا تترك مكانا للشكوك في قضية أويانغ جينغ. افعل ما يتوجب فعله ولا تقلق من ردة فعل لي داكانغ ولا عما سيدور في ذهن قاو يوليانغ. فقط فكّر بهذه الكلمات - ابحث عن الحقيقة اعتمادا على الوقائع، وتعامل مع القضايا وفقا للقانون، بالإضافة إلى ذلك، مرر هذا إلى الرفيق هوى ليانغ بينغ: أنا وشا روجين، ولجنة الحزب الإقليمية نشكره كمدير لمكتب مكافحة الفساد".

ذهل جي تشانغ مينغ وقال: "على ماذا تشكره أيها الأمين شا؟ ما الفعل الجيد الذي فعله؟".

قال شا روجين بجدية بينما كان ينظر من النافذة: "بإيقافه لسيارة لي داكانغ أنقذ بفعلته هذه مستقبل داكانغ السياسي". كان حديثه نابعا من القلب، وكان يشعر بامتنان عميق لمدير مكتب مكافحة الفساد، هذا الشاب الصغير الذي لم تغره لا سلطة ولا نفوذ الشخص، الذي دافع عنه وحماه من الاتهامات والإزعاجات التي تعرض لها نتيجة لمغادرة المقاطعة. كانت النافذة تطل على مجموعة من أشجار الحور بأوراقها الغضة، وبالقرب منها مجموعة من الغربان السود التي تزين أذيالها الريشية نقاط بيض تتراقص جيئة وذهابا، كان الجو نضرا ويحفز على الحياة مما أثر أيضا في مزاج شا روجين وبعث فيه الحيوية والسلام.

23

كان تشاو دونغلاي حاصلا على شهادة الماجستير في علوم التحقيق الجنائي. وذلك لأن مكتب الأمن العام قام بتكريمه ذات مرة لأنه حل قضية جنائية خطيرة، عندما كان ضابط شرطة عاديا، ولقد حظي بشهرة عالية جدا ضمن الوسط الجنائي. وكان لديه طريقة تفكير مميزة ومختلفة عن الجميع، ولم يكن من السهل معرفة ما يجري داخل رأسه. وهو حاليا ينكب على دراسة التسجيل الذي حصلت علية قوى الأمن من الهاتف الخلوي الذي وجد في مسرح حادثة تشن هاي، وقد يكون لهذا التسجيل صلة مباشرة بعملية القتل. ووفقا للتخمينات التي قام بها تشاو دونغلاي فإن الصوت في التسجيل هو صوت تساي قونغ، الذي كان قد سبق لتساي قونغ أن اعترف أنه اتصل بتشن هاي ليخبره عن الفاعل، ولكن جهاز التعرف إلى الأصوات لم يتبين له أن هذا هو صوت تساي قونغ، كما أظهر تحليل تشابه الأصوات، أن صوت قونغ وهذا المخبر المجهول متشابهان بنسبة ثلاثين في المئة. فإن لم يكن المخبر هو تساي قونغ فمن يكون إذا؟ وبما أن تساي قونغ لم يكن متعاونا في آخر جلسة تسجيل، فقد قرر تشاو دونغلاي أن يعيد الجلسة معه كاملة. وفي اللحظة التي اتخذ بها هذا القرار، كان هنالك من يقوم بالقرع على باب مكتبه، كان هذا أمين لجنة الحزب البلدي لي داكانغ الذي دخل شاحب الوجه واقترب منه لخطوات.

وقف تشاو دونغلاي مذهولا وقال: "الأمين لي؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟". جلس لي داكانغ على الكرسي المقابل لمكتب تشاو وقال: "لكي أحصل على بعض المعلومات منك". وقف تشاو ومشى مبتعدا عن مكتبه ليحضر بعض الشاي للي داكانغ وسأله: "أي نوع من المعلومات تريد أن تعرف؟". أشعل لي داكانغ سيجارة وأطلق سحابة من الدخان أمامه ثم قال: "معلومات عن طليقتي".

وضع كوب الشاي أمام لي داكانغ وقال: "طليقتك؟ وأخيرا قمت بهجرها؟ شكرا للسماوات على فعلك هذا".

شعر لي داكانغ بالضيق ورد عليه: "دونغلاي، أريد أن أعرف ما إذا كانت أويانغ جينغ متورطة بأمر خطير أم لا". لم يتردد تشاو بأن يجيبه: "نعم أعتقد ذلك". فلم يكن تقرير تساي قونغ صحيحا بالمطلق. أجاب لي داكانغ بنبرة من الأسى: "لكن لماذا لم يخبر قونغ سوى عن أويانغ جينغ، وما هي علاقته بدينغ يجن وقاو يوليانغ؟ وماذا عن علاقته بالمدعو هوى ليانغ بينغ في بكين؟".

قال تشاو دونغلاي: "لقد فكرت أيضا بهذه الأسئلة". سحب كرسي من أمام لي داكانغ، وجلس وراح يقدم تقريره لسكرتير لجنة الحزب البلدي. وذكر أن فرقة العمل المعنية بالتحقيقات المالية التابعة لمكتب البلدية، قامت في الآونة الأخيرة بالتحقيق في مجموعة من عمليات جمع الأموال غير المشروعة وملاحقتها، لكنها تعثرت بقضية تساي قونغ الذي حصل على قرض عالي الفائدة بقيمة ستين مليون يوان وذلك من صناديق المال المجمّعة بشكل غير قانوني من الناس، وتعاون مع دينغ يجن لشراء منجم للفحم حيث عملا سوية في هذه التجارة. لكن الأمر الأكثر غرابة كان قد حصل أثناء محاولة اعتقال دينغ يجن خارج البلاد، حيث حدث خطأ ما وفقدوا معه أثره في تورنتو".

فقال لي داكانغ: "لكن كيف ذلك؟ لقد كان تشي تونغ وى وقتها رئيس فريق المطاردة، وأنت مساعده". ضحك تشاو دونغلاي بمرارة وقال: "هذا ما حدث، كان تشي تونغ وى على اتصال مباشر بالقنصلية العامة لتورونتو، لذا كان هو أول من يعلم. لكن من هو المدير تشي بالضبط؟ هل هو تشيانغ أم وانغ؟ فقال لي وهو يلقي سيجارته نصف المنتهية في منفضة السجائر: "سؤال جيد يا دونغلاي، فإذا كان هو وانغ، فسيكون من الصعب عليه القبض على دينغ جين". ثم نهض ودار حول مكتبه واتجه نحو دونغلاي وقال: "يجب على أويانغ جينغ تحمل مسؤولية مشاكلها، لكنها لن تستطيع التستر على مشكلات دينغ ومن معه مهما كانت مشاكلها عظيمة. راقبْ عن كثب منتجع شانشوي التابع لمجموعة شانشوي. فغالبا ما كان دينغ يذهب إلى هناك حسب ما أخبرني به أحد الرفاق في لجنة التفتيش التأديبي في البلدية، لا يزال هذا المدير غالبا ما يقصد هذا المكان في هذه الأيام، أود أن أسأل ما الذي يحاول الجميع فعله؟ احتساء النبيذ وتناول الطعام فقط؟". أجاب تشاو دونغلاي بصراحة: "ما زلنا غير

متأكدين حتى هذه اللحظة. ومع ذلك يا حضرة الأمين لي، فإنني سأحيطك علما بالأمور". ضاقت عينا لي داكانغ، وحدق خارج النافذة. يبدو أن سكرتير لجنة الحزب البلدي أراد أن يتحادث مع رئيسه في أمور كثيرة، مدير مكتب الأمن العام.

غير لي داكانغ الموضوع مرة أخرى وقال: "بالنسبة إلى موضوع التمسك بالمبادئ، يمكنك يا دونغلاي أن تتعلم شيئا من الرجل الذي جاء من بكين، هوى ليانغ بينغ، بصراحة، أنا لا أحبه، لكني معجب بروحه، شغفه، هذا النوع من النزاهة، أغضبني كثيرا إيقافه لسيارتي على مرأى الآخرين، لكن رغم ذلك، يتوجب علي شكره لتصرفه بتلك الطريقة، فلو لم يلاحقني بهذه الطريقة، ولو أن أويانغ تمكنت من خداعي وهربت من المطار مستغلة في الظاهر نفوذي، فكيف كان لي أن أبرئ نفسي أمام لجنة الحزب والحكومة المركزية؟ وهل كان بإمكاني أن أوضح الأمور مع الرفيق روجين؟".

قال تشاو دونغلاي بجدية: "هذا صحيح، فمن النادر جدا أن تجد مدير مكافحة فساد بشخصية كهذه". التفت لي داكانغ إلى الخلف، ورمقه بنظرة خاطفة بطرف عينيه، وكأنه يحاول أن يستكشف مدى صدق كلامه هذا، ثم سأله سؤالا مفاجئا: "لو كنت مكانه يا دونغلاي هل كنت ستطاردني حتى النهاية، وتحاول إيقافي مهما كانت العواقب؟." ارتبك دونغلاي لبعض الوقت، وحاول أن ينتقي كلماته بعناية قبل أن يجاوب بأي شيء ثم قال: "لا أستطيع أن أجزم حقيقة، فربما كنت سأفعل ذلك، وربما لا". لوح لي داكانغ بيده رافضا ما سمعه وقال: "دعك من هذه الحيرة، لا أعتقد أنك كنت ستلاحقني، وحتى لو قمت بمطاردتي فعلا، فلن تتجرأ على إيقافي بالقوة. وستستعين بلجنة الحزب الإقليمية. وخلال الوقت الذي سوف يستغرقه وصول تقريرك إلى لجنة الحزب، وهو الذي سيكون الفرصة التي ستستغلها أويانغ جينغ لتسافر خارج البلاد". اعترف تشاو دونغلاي بأن ما قاله لي كان صحيحا وقال: "هذا صحيح، فلو كنت أريد أن أقدم لك خدمة، كنت سأبلغ عن الحادثة بعد أن تكون أويانغ جينغ قد سافرت بالفعل". أطلق لي داكانغ زفيرا طويلا وقال: "لو فعلت ذلك لكنت تركتني وسط النيران لتلتهمني". بعد انتهائهما من الحديث، خرج لي من مكتب دونغلاي بخطوات متثاقلة. وفي تلك اللحظة، لاحظ تشاو دونغلاي أن ظهر لي داكانغ محني بطريقة لم يرها من قبل فهو لم يره في هذه الحالة السيئة طوال فترة معرفتهما.

كان لي داكانغ متأثرا جدا بما حصل لأويانغ جينغ حيث كان يحاول التحدث مع الجميع حول الموضوع محاولا بهذه الطريقة تنظيم أفكاره. ولم يكن تشاو دونغلاي مدير مكتب الأمن العام هو الشخص الأنسب لهذا الموضوع، وبالأخص لأن لي هو رئيسه، بالإضافة إلى أنه هو من يقوم بالتحقيق بقضية أويانغ ولذلك لم يستطع لي أن يكون صريحا إلى درجة أن يقول كل ما يريد قوله أمامه. لقد كان الوغد تساي قونغ هو من أخبر عن أويانغ جينغ وهو أيضا من قلب كل مجريات حياته رأسا على عقب.

كان وانغ دالو أكثر شخص معني للحديث بهذا الموضوع، فهو صديقه منذ أيام الدراسة. فقام بدعوة وانغ إلى منزله ليحتسيا بعض المشروب سوية، وقد كانت تيان شينغ تشي قد حضرت العديد من الأطباق الشهية وأفضل أنواع المشروبات الكحولية. فلا أحد يقدّر معنى الصداقة الحقيقية مثل الذي يمكن أن يقف القدر في مواجهته. كان لي داكانغ يعيش حياته تقريبا دون أي أصدقاء، ووانغ كان أحد الأشخاص القليلين الجديرين بأن يثق بهم في الظرف العصيب الذي ألم به في الوقت الحالي. كان يقيم حاجزا بينهما طوال الوقت، لأنه كان يخشى من تأثير وانغ دالو إذا كان في وسط عمله نفسه والذي بطريقة أو بأخرى، كما أنه كان يعتقد أنه معجب بأويانغ جينغ بشكل ما. والآن عندما احتاج لمن ليتكلم معه بكل صدق لم يجد سوى وانغ دالو، صديقه القديم.

ارتشف لي داكانغ القليل من النبيذ وبدأ حديثه مع وانغ دالو. وقال له إن أويانغ جينغ لم تعد متهمة فقط، بل أصبحت مدانة وقد تم اعتقالها. فقد اتصل جي تشانغ مينغ وأخبرني أن أويانغ جينغ قد أخذت مبلغا ضخما من الرشاوي يصل إلى الخمسمائة ألف يوان، وأنه يملك أدلة تثبت كلامه هذا. نظر لي إلى وانغ دالو وسأله: "ما رأيك بهذا الكلام يا وانغ؟". تنفس دالو عميقا وأجاب: "ماذا تظن أيها الأمين لي أعتقد أن الأمر ليس مفاجئا لكلينا أليس كذلك؟". رد عليه لي داكانغ قائلا: "أرجوك يا وانغ، دعك من الألقاب ونادني باسمي فقط، فنحن أصدقاء منذ زمن طويل جدا". بدأ وانغ دالو بإخباره الحقيقة. لقد كان بنك سيتي بنكا محليا، وكان هنالك قواعد غير مكتوبة بالنسبة إلى القروض، فبالإضافة إلى الفائدة الطبيعية على القرض، كان هنالك رسم أو رسمين لا يعلم بهما أحد، وكانت هذه الرسوم هي بمثابة الرشوة بالنسبة إلى شركات القروض، ولكنهم كانوا يضعونها تحت اسم الحسومات في لغتهم التجارية الخاصة. بالطبع لم تكن أويانغ جينغ هي الشخص الوحيد الذي كان يأخذ هذه الأموال، فقد كان الجميع مشاركا في العملية، من ضباط القروض إلى مجموعة من شركات التأمين والمكتتبين، وصولا إلى أشخاص من قسم إدارة المخاطر، الجميع حصل على

حصته كاملة". سأل لي داكانغ: "وهل يحصل رئيسهم على نسبته أيضا؟". أجاب وانغ دالو: "نعم بالطبع، هو يحصل على نسبته أيضا". سبق وقالت لي أويانغ جينغ أنها لم تكن بحاجة إلى هذه الأموال، ولم ترد أخذها، ولكن إن لم تفعل ذلك فسيكون من الصعب على الآخرين أن يأخذوا أيضا، بمن فيهم رئيسها شخصيا. ولذلك قررت أن تقدم استقالتها وتسافر خارج البلاد لأنها كانت تشعر بخوف كبير". وضع لي داكانغ عيدان الطعام بقوة على الطاولة وقال غاضبا: "لماذا لم تخبرني أويانغ بكل هذه الأمور؟" أجابه وانغ دالو: "أعتقد أنك لم تكن مستعدا لسماعها لهذا لم تخبرك بأي شيء عن حياتها". شعر لي داكانغ بالصدمة ولم يجب بأي شيء. بعد مرور دقيقة من الصمت سأل دالو: "ما صحة ما كانت تقوله أويانغ عن أنك كنت تقدم المساعدة المالية لابنتي جياجيا طوال السنوات القليلة الماضية؟".

لم يكن وانغ دالو يريد التحدث بهذا الموضوع وقال: "لنحتس بعض الشراب يا لي، فبعد كل هذه السنين دعوتني لنحتسي الخمر وليس لكي تستجوبني أليس كذلك؟". لم يشرب داكانغ من كأسه وقال: "ألديك جواب على سؤالي هذا يا دالو؟". أجاب وانغ دالو: "ما رأيك أن نؤجل الحديث في هذا الموضوع إلى وقت لاحق؟ فقد كنت أنا وأويانغ جينغ زملاء دراسة، ومساعدتي لها لن تكون بسبب معرفتي وعلاقتي بك". أجاب لي داكانغ: "وأنت أيضا ستبقى صديقنا أنا ويي تشوتشي المقرب منذ أيام الدراسة" أجابه وانغ دالو بينما كان يحتسي ما تبقى من الكحول في كأسه: "هذا صحيح، فقد قمت أنت والأمين يي بمساعدتي حينها، وقدمتما لي بعضا من أموال عائلتك لأنهض وأقوم بعملي التجاري الخاص، إنني أشعر بالتوتر بمجرد أن أفكر في الموضوع". قال لي داكانغ ممسكا بعيدان الطعام: "هذا ما أردت أن أعرفه بالضبط، بعد أن أعدت المال الذي أعطيناك إياه أنا ويي تشوتشي، هل قمت بإعطاء المزيد من المال للرفيقة أويانغ جينغ أو لزوجة تشوتشي؟". وضع وانغ دالو كأسه جانبا ورمق داكانغ بنظرة جدية ثم قال: "بالتأكيد لم أفعل ذلك" وبعد مرور بضع ثوان سأل لي داكانغ بنبرة حزينة: "هل دعوتني لاحتساء الشراب أم لتسألني هذا السؤال؟ وأنا اعتقدت أنها دعوة من صديق حميم، يريد استرجاع بعض اللحظات الجميلة التي قضيناها سوية". قال داكانغ: "إنها كذلك بالفعل يا دالو فأنت من أقرب الأصدقاء وأحبهم إلى قلبي، ولكن أرجوك أن تفهم مشاعري في هذه الظروف، أنني حزين جدا وأشعر بالضيق الشديد، وخاصة عندما أفكر بجياجيا".

أفرغ الرجلان ما ملآه من خمر في كأسيهما، وهز لي داكانغ رأسه وهو يضع كأسه على الطاولة بعد أن أفرغه في جوفه وقال بصعوبة: "بالحديث عن جياجيا، عليك إسداء خدمة لي يا دالو،

لقد تم اقتياد أويانغ، وبالتأكيد سيتم اعتقالها بعد ذلك، كيف سأخبر جياجيا بذلك؟ كانت والدتها متوجهة إلى أميركا، ثم فجأة فقدت اتصالها بها، وهي لم ترد على مكالماتي ورسائلي رغم اتصالي بها مرات عديدة، لا بد أنها تلومني، كيف لي أن أوضح لها؟ اتصل بها يا دالو وأخبرها عن وضع والدتها".

أثناء ذلك الحديث، تلاشى السياسي القوي فجأة وتحول إلى أب حنون. كانت ابنته تنتقده، وكانت تكرهه أحيانا لأنها كانت تجد فيه سبب عذاب والدتها. هكذا هم البشر، يريدون دائما أن يتعلموا درسا من انتكاساتهم، ودائما ما تظهر طبيعتهم البشرية عندما يعانون من سوء الحظ.

تنهد وانغ دالو وقال الحقيقة: "لقد تحدثت للتو إلى جياجيا مرتين اليوم. لا أخفي أنها لم تستطع فهم ما حدث تماما وهي تعتقد أنك قمت بإلقاء القبض على والدتها. ولكن كن مطمئنا، سأبذل قصارى جهدي لإحضارها، وإذا لم ينجح الأمر، فسأذهب في رحلة إلى أمريكا. هذا أقصى ما أستطيع فعله يا داكانغ". أحاط لي كأسه بكلتا يديه ثم نهض وقال: "حسنا، شكرا لك".

اجتمع الرجلان على نخب واحد، وعلى قلب واحد أيضا.

24

في تلك الليلة، رافق لي وانغ دالو طوال الطريق، وهو الذي كان نادرا ما يخرج لملاقاة شخص ما، رافقه بعيدا جدا، وكان الهواء النقي يلفح وجهيهما مساعدا إياهما على الاستفاقة.

لكن وقبل أن يحظى دالو بسيارة أجرة من موقف السيارات القائم عند التقاطع الكبير، حضّه لي مجددا وقال: "أخبر جياجيا أني لا أزال آمل أن تعود، حتى لو لبعض الوقت، وألا تحمل على الدولة، فالدولة لم تخذل والدتها، بل هي من كانت مستخفة وغير جدية في عملها، مما جعلها تتعثر وتقع". "لا تقلق يا داكانغ، سأقول ما يمكن قوله، استرح ولا تفكر كثيرا". وجد لي ذلك صعبا، فهو لا يستطيع كبح أفكاره. وبعد توديعه لوانغ دالو، كان قلبه غير مطمئن. كان يفكر كثيرا كما لو كان يعاني من الوسواس القهري، فتارة يفكر بأويانغ جينغ، وتارة أخرى بدينغ جين. يفكر مرارا وتكرارا. كيف تحول إلى ذاك الشخص؟ لم يستطع مسامحة نفسه، أراد أن يعمل طوال الوقت حتى يشغل نفسه ويبعدها عن تلك الوساوس.

حامت تيان شينغ تشي أمام ناظريه، وتنقلت بين تنظيف الطاولة ومسح الأرضية، ثم تذكر لي فجأة ذات مرة عندما قالت له تيان أن النافذة في مكتب الالتماس في مقاطعة قوانغمينغ منخفضة للغاية. في اليوم التالي، أعطى تعليماته لصن لينتشينغ ليقوم بإصلاحه، ولم يعرف كيف كانت تسير عملية الإصلاح. ثم سأل لي داكانغ تيان شينغ تشي: "هل حدثت تغييرات على النوافذ في مكتب الالتماس بالمقاطعة؟".

كانت تيان شينغ تشي من الأشخاص الذين يفصحون عن رأيهم بصراحة فقالت: "أي تغييرات؟ لم يتغير أي شيء. لا تزال النافذة منخفضة كما كانت. لا يمكنك الوقوف ولا يمكنك

القرفصاء. وإذا تكلمت طويلا، ستتخدر قدماك ولا يمكنك النهوض".

وقبل أن تنهي تيان كلامها، انفجر لي من الغضب. مشى باتجاه مكتبه بخطوات سريعة، واتصل بالهاتف الخليوي الخاص بصن ليتنشينغ وقال له: "أراك غدا في بهو مكتب الالتماسات".

استهوى علم الفلك صن ليتنشينغ، وعندما تلقى الاتصال من أمين لجنة الحزب البلدي، كان يقف على شرفته يراقب فينوس بتلسكوبه، لم يستطع التعرف إلى هذا الكوكب. وفي اليوم التالي عندما بدأ عمله، دخل إلى بهو مكتب الالتماسات في عجلة ونظر حوله في ذهول. كان البهو مليئا بالملتمسين، والشخص الوحيد الذي لم يستطع رؤيته هو أمين لجنة الحزب البلدي. وبقي يجول بنظره حتى سمع صوتا مألوفا في نافذة الاستقبال رقم 5 يقول: "أيها الرفيق ليتنشينغ، أنا هنا".

فألقى صن لينتشينغ نظرة فاحصة، وأدرك أن لي داكانغ كان يجلس على كرسي الاستقبال. أخرج لي داكانغ إحدى يديه من النافذة ومدها إليه قائلا: "اقترب، أريد التحدث معك".

امتثل لينتشينغ واستمع باهتمام لتوجيهات أمين الحزب البلدي وهو جالس القرفصاء أمام نافذة صغيرة. تحدث أمين لجنة الحزب البلدي بثقة قائلا: "ما زلت أقول لكم يا لينتشينغ إن القضايا التي تهم الشعب ليست بالأمر البسيط، ويجب حل ما يمكن حله بأسرع وقت ممكن. عند سحبها، سيحدث نزاع. على سبيل المثال، حلت مدينتنا المؤسسات الاجتماعية منذ زمن طويل. وتم تسليم المدارس والمستشفيات ودور الحضانة التي أنشأتها الشركات إلى الحكومة، أليس كذلك؟".

حاول تيان لينتشينغ جاهدا أن يومئ برأسه دليلا على الاحترام، لكن جسده كان في حالة ألم عظيم، ملتويا. طلب من الأمين أن يسمح له بالدخول ليعطيه تقريرا فأجابه الأمين بمرح: "تقرير؟ لا أريد تقريرا، أريد فقط التحدث معك". كان لينتشينغ يئن من الداخل، متابعا حديثه عبر النافذة ما جعله بين جموع الملتمسين يبدو أضحوكة.

سأله لي داكانغ: "كيف تسير قضية المؤسسات الاجتماعية؟ هل كانت مقاطعة غوانغمينغ بطيئة وغير نشطة؟ وفقا لما تعرفه المدينة فإن المكافأة المؤسسية لحوالى ثلاثمئة شخص لم توزع. وإن لم توزعها، فسيتبع ذلك سيل من الاحتجاجات. ولدى كل من المقاطعة والمدينة الوثائق كاملة، فلماذا لا تنفذها؟ هل ذلك أمر عرض قوة متعمد أم ماذا؟".

لم يكن بإمكان لينتشينغ جلوس القرفصاء، لذلك ركع على ركبة واحدة وهو يميل رأسه أكثر وقال: "ليس هذا هو الأمر. السبب الرئيس هو التمويل. فبعد إعادة الهيكلة هذه، صار جزء من التمويل يأتي من أموال المنطقة.. لن أنسى الموضوع".

تعرف بعض الناس إلى لينتشينغ وألقوا عليه نظرات متفاجئة.

عندما ركع لينتشينغ على ركبته، استطاع رؤية نصف وجه داكانغ من النافذة الصغيرة. نظر إلى أمين لجنة الحزب البلدي على أمل أن يشعر بمعاناته. ولكن القائد لم ينتبه ولم يهتم أو أنه كان يتقصد أن يجعله يتألم، وبروح عالية، استمر في الحديث قائلا: "لا تظن بأن مسألة عدة مئات من الأشخاص مسألة تافهة. فإذا لم تستطع التعامل مع شيء تافه، فإن تبعات الموضوع ستكون كافية لتدمير العديد من الأشياء الجيدة التي قمت بها وستؤثر على صورة الحكومة".

نزل لينتشينغ في ألم على ركبته الأخرى، عند ذلك خطر له بأن الركوع في الأماكن العامة ليس شيئا صحيحا، كان تسوّلا. خبّأ العديد من الرجال والنساء ضحكاتهم فعاد إلى جلسة القرفصاء السابقة.

فكّر لي داكانغ بسؤال آخر وقال: "ما الذي حدث في يوم الاستقبال عندما كان سكرتير لجنة حزب المقاطعة يستقبل الزوار ليجيب عن أسئلتهم؟ ما الذي كان يفعله كل رجال الشرطة أولئك؟ إذا كنت تخاف من الحشود، فما عليك إلا أن تغيب عن مكتب الإلتماسات وهكذا تمتنع عن الظهور وتواصل تجاهل تلك الالتماسات. إن كنت ستأتي، فلا تعامل أفرادنا كالأعداء، هذا ليس جيدا. فإن تصرفك هذا سيسيئ لصورة حكومة الشعب". فتلعثم صن لينتشينغ وهو يقول: "تلك كانت فكرة دينغ يجن الذي قال إنه يمكن أن يسبب بعض الأشخاص المشاكل..." فقاطعه داكانغ قائلا: "عزيزي الرفيق، يأتي الناس للاحتجاج لإبلاغك احتجاجهم كي تحل مشاكلهم. فمن الذي يعمد إلى وضع وخلق المشاكل؟". تحولت لهجة القائد فجأة إلى لهجة صارمة وقال: "خذ نافذة الاحتجاج هذه كمثال، كم يجب أن يعاني الجمهور لإيصال أصواتهم وأفكارهم الخاصة؟ ألا تشعر بالخجل؟ هل تملك ما يلزم لتصبح رئيس الحزب الشيوعي في المقاطعة؟ لقد طلبت منك أن تغير النافذة، ولكنك لم تفعل ذلك. لقد تذوقت ما اقترفته يداك اليوم، أليس كذلك؟ ألا تكره البيروقراطية الآن؟".

انهار صن لينتشينغ على الأرض وقال: "أيها الأمين لي، سأغيرها.. سأغيرها حالا".

عندها قال داكانغ: "لك الخيار في ذلك، افعل ما تراه مناسبا، هذا كل ما علي قوله اليوم". ثم خرج من غرفة الاستقبال مع سكرتيرته ورحل.

انتظر صن لينتشينغ حتى غادر لي داكانغ ثم نهض بصعوبة، وفرك ركبتيه، ثم دخل في حالة ذهول لفترة طويلة قبل أن يدخل مكتب مدير قسم الالتماسات. قال له بلهجة صاخبة قاصدا المدير الأصلع تشن: "من ذاك الأبله الذي صمم النافذة المقابلة للجماهير بذاك الحجم الصغير؟ فإنه بالتأكيد كان يقصد إزعاج الناس، أليس كذلك؟". فأجابه تشن بحذر: "هل حقا لا تعلم؟ لقد صممها دينغ يجن شخصيا في ذلك الوقت". فسأل صن لينتشينغ ثانية: "لماذا صممها بهذه الطريقة؟ كيف يمكن لهذا المسؤول الفاسد أن يكون شريرا هكذا؟". قال المدير تشن: "حضرة الرئيس صن، أنت تدرك ذلك، لكن لدينا بعض الملتمسين الذين يظلون بجانب النوافذ ويطرحون أسئلة لا تنتهي. فوضع دينغ يجن مخططا وصمم هذه النافذة، والهدف هو أن يجد الناس صعوبة في الوقوف والقرفصاء، وسيغادرون بعد بضع جمل فقط". فكر صن قليلا ثم قال: "كانت نواياه حسنة إذا". فأضاف المدير تشن بابتسامة غير متعمدة وقال: "لقد كانت فعالة أيضا، وزادت بشكل كبير من كفاءتنا في تلقي الإلتماسات". ففتح صن فمه مذهولا من ذلك وقال: "إنها طريقة قاسية جدا، ركبتاي تؤلماني من الركوع". فقال تشن مسايرا: "ما رأيك أن نقوم بعمل صالح ونبدلها؟ إذا وافقت على التكاليف فأنا سأبدلها على الفور".

بدا صن لينتشينغ وكأنه يعاني من وجع في أسنانه وقال عابسا: "مرة أخرى تكاليف، هل أنا طابعة نقود؟ دعنا نتصرف فقط. على أي حال، فإن الأمين لي لديه الكثير ليفعله. وبعد بضعة أيام، سينسى الأمر". بعد التوقف للحظة، شعر بشيء ما خاطئ، فقال: "أيها العجوز تشن، اكتب تقريرا تذكر فيه حاجتنا لتخصيص سبعمائة إلى ثمانمائة ألف يوان في الشؤون المالية للبلدية للقيام بإعادة التصميم، ومن ناحية أخرى، دعنا نجمعها حتى تصل إلى مليون، وسأبلغ الأمين لي، وسنقوم بتغيير النوافذ إذا أعطونا المال. وإذا لم يفعلوا ذلك، فسنفكر في شيء آخر". أومأ المدير تشن برأسه وقال: "حسنا، سأقدم التقرير اليوم، فإذا لم يوافقوا على الأمر، فلن نبدل النافذة". نكزه صن لينتشينغ على رأسه الأصلع بإصبعه وقال: "لقد ولدتم جميعا في سنة الخنزير. ما لم يأخذك شخص ما بيدك، فلن تتحرك. أنا لا أنتقدك أيها العجوز. لكن أنت لا تستخدم عقلك، لن تقوم بإبدالها ما لم يعطوك المال، يا إلهي، هل أنت عاجز عن فعل أي شيء بدون أموال؟ يا لهذه الحكومة المتقاعسة، لا أستطيع تصديقها ولو لمرة، فمثلا، لديك ست نوافذ استقبال فقط، أليس كذلك؟ ألا يمكنك شراء ستة مقاعد

صغيرة؟ ألا يمكنك وضع قطعتين من الحلوى كما في البنوك؟ أنت لا تنفق الكثير، ورغم ذلك فإنك تحصل على ما تريد". فمسح المدير تشن على رأسه المتعرّق وقال مكررا: "حسنا، حسنا أيها الرئيس صن".

أوضح صن الأمر أكثر وقال: "بطبيعة الحال، لا يمكنك وضع الكثير من الحلوى، يكفي عدة قطع كل يوم لكل نافذة. من الجيد أن تفعل ذلك كبادرة حسن نية. لكن قد يؤدي ذلك إلى استقبال المزيد من الطلبات، وقد يسرق لص ما جميع ما تعرض في حفنة واحدة. إن شعبنا الصيني، وخاصة شعب جينغتشو، عاداته السيئة عميقة، ولا يمكن علاجها بسهولة".

أبدى الأمين تشن موافقته التامة وقال: "هذا صحيح أيها الرئيس صن، إن شعبنا الصيني غير قابل للإصلاح". كثير من الناس لم يفهموا حقيقة ما كان يفعله صن لينتشينغ كان يبدو شخصا ودودا وسعيدا من الخارج، ولكنه في الحقيقة كان يملك قلبا حزينا ومستاء، كانت بداية مسيرته ناجحة جدا، فقد تمت ترقيته إلى منصبه الحالي على الفور، ولكنه لم يحرز أي تقدم خلال السنوات العشرين التي تلتها، وبدا الإحباط يتسلل إلى قلبه تدريجا. ولكنه خلال السنوات القليلة الماضية، أبدى حبا كبيرا للعلوم الفلكية وبدأ يدرك اتساع هذا الكون وعظمته، كما بدأ يهتم بأسئلة لم يسبق له أن فكر بها من قبل، ماذا كنا قبل أن نصبح بشرا؟ هل كنا نملا؟ أم كنا غبارا؟ ربما كانت هذه الأسئلة أعمق من مستوى تفكيره. هل هناك بالفعل أية كائنات فضائية؟ كان لينتشينغ يؤمن بوجود كائنات فضائية بالفعل، فهنالك مئات الملايين من الكواكب الشبيهة بالأرض في هذا الكون الفسيح. فلا يمكننا الجزم بأن ننفي جازمين وجود شعوب تعيش على كواكب أخرى في أبعاد مختلفة وقد سبقت الجنس البشري بأشواط وأصبحت أكثر تطورا، ولو قررت تلك الشعوب التي تعيش في تلك الكواكب أن تسيطر على الأرض لأمكنها ذلك فورا ودون أية معاناة. فمن هو لي داكانغ هذا؟ ومن هو قاو يوليانغ وشا روجين؟ إنهم مجرد مجموعة من النمل، أو حفنة من الغبار الذي لا قيمة له. كان لينتشينغ شخصا مستنيرا ويملك قلبا عرف السلام، فبعد أن وصل إلى هذه المرحلة لم يعد مكترثا بكل أمور الحياة السطحية، وكان يوافق على كل الأمور دون أي جدال أو خصومات مع أي أحد، ولكن لمجرد أنه لم يكن مهتما بعمله بشكل كبير، لم يكن باستطاعة أحد أن يؤذيه، حتى أنه كان قد اتخذ قرارا صارما بينه وبين نفسه أنه لا يريد الحصول على أية ترقية مهما كان حجمها. لذا لم يكن لينتشينغ يشعر بأي خوف من لي داكانغ، وكما يقولون: "فقط الذين يعرفون أنفسهم بحق، هم الذين لا يخافون أي شيء في هذا الكون". كما أن صن لم يكن الشخص الذي تهمه الأموال، فهو لم يأخذ

الرشاوي على الإطلاق ولم يرد أن يكون في موقع المروج لها، فماذا سيخيفه إذا؟ إضافة إلى ذلك، كان لديه الكون بأكمله ليفكر بعظمته، لم يكن الأمين ذو النفوذ الواسع لي يفهم جوهر هذه الأشياء، وربما لن يفهما طوال حياته.

25

من دهشته، وضع تشينغ شيبو نفسه في موقف المحاصر، وبعد أن سحب لينتشينغ من يده قال شيبو: "لقد جئت لأراك مرات عديدة أيها الرئيس صن ولكن لم يحصل ذلك، وفي الوقت الحالي ليس لدينا أية مطالب أخرى، فجل ما نريده هو الحصول على قطعة الأرض هذه لبناء المصنع. إنهم يقومون بتدمير المصنع القديم، ونحن بحاجة إلى مصنع جديد كي يستمر الإنتاج، إن الأمر ملح للغاية أيها الرئيس".

أجابه صن لينتشينغ: "إنني متفهم لمشاعرك هذه أيها العجوز تشينغ، ولكن من الصعب أن نأخذ قرارا كهذا في الوقت الحالي. رد عليه شيبو قائلا: "وما الصعوبة في أمر كهذا؟ إن كل ما نريده مساحة من الأراضي الصناعية". لم يستطع صن أن يحافظ على سوية الحديث ذاتها التي كان يوجه بها كلامه لشيبو وقال: "ألم تفكر أيها السيد العزيز شيبو أن منطقة غوانغمينغ تقع في وسط المدينة تماما، ليس من أرض متاحة غيرها في الوقت الحالي؟ علي أن أكون صريحا معك، فالمقاطعة لم يتبق لها أي أراض، وكان مصنعك القديم هو آخر قطعة أرض صناعية. وأعتقد أنها بعد الهدم ستصبح أرضا للاستثمارات العقارية".

كان تشينغ شيبو منزعجا وقال: "إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم تقل شيئا قبل الآن؟ فلطالما كنت أزورك بين الفينة والأخرى، لم يكن لديك من جديد، فلقد كنت تعيد على سماعي المواضيع ذاتها. أيها القاضي صن، إذا لم يكن هناك من أرض لبناء المصنع الجديد، فلن يكون بإمكانك أن تهدم معمل بحيرة غوانغمينغ القديم".

فحذره صن لينتشينغ قائلا: "لا تكوّن مع تساي قونغ فريق أمن للمصنع، لقد تم احتجاز ذلك الشخص المثير للاشمئزاز، ومن المحتمل أن يحكم لمدة ثماني إلى عشر سنوات".

فقال شيبو وهو غاضب: "إن المسؤول الذي لا يدعم الشعب، قد يعود إلى المنزل ويبيع البطاطا الحلوة". فأجابه لينتشينغ مبتسما: "إذا كان علي أن أبيع البطاطا الحلوة، فسأبيعها، هذه وسيلة لكسب العيش، فقد حان الوقت للعودة إلى المنزل، أنا سأذهب لأبيع البطاطا الحلوة، وأنت اذهب لتملأ معدتك".

كانت الأمور تتطور على نحو يمكن التنبؤ به، فقد حققت أويانغ جينغ تقدما ملحوظا. وكان هوى ليانغ بينغ يظن بأن سر أسهم مصانع دافنغ سوف يتم حله، والدلائل التالية سوف تقود إلى سلسلة كاملة من الجناة بمن فيهم مجموعة شانشوي. ومنذ أن تم التحقق من الرشوة التي تبلغ خمسمئة ألف يوان والتي قبلتها أويانغ جينغ فإنها لم تعد مركز اهتمامهم. الشيء الذي أرادوا توضيحه الآن كيف أدى رفض القرض المفرد من قبل نائب الرئيس المسؤول عن ائتمان البنك، إلى نقل أسهم مصنع دافنغ والحادثة "916"؟ وقد حضّر اليوم بعناية لتحقيق مشترك بثلاثة اتجاهات: خلال التحقيق مع أويانغ جينغ، كانوا قد جلبوا تساي قونغ للاستجواب في آن واحد مع قاو تشياو تشين.

عندما دخل جي تشانغ مينغ وسأل عن الوضع، كان هوى ليانغ بينغ مليئا بالثقة وقال له: "نحن نطلق اليوم حملة ضخمة مع ثلاثة فرق تعمل بتنسيق وثيق، وسنناضل إلى أن نحرز تقدما". فنظر إليه جي بشك وسأله: "تقدم؟ ستقومون بإحراز تقدم بهذه البساطة؟". فقال له هوى: "نعم، بهذه البساطة".

لم يعلق جي تشانغ مينغ ولكنه جلس على الكرسي المقابل له في غرفة التحكم. كان هوى يعلم بأن التحقيق مع أويانغ جينغ كان مسألة حساسة، لذا كان على القائد أن يراقب.

جلس القائد ووضع الكوب الساخن الذي أحضره معه على الطاولة، وقبل أن يبدأ، أخبره بأن الأمين شا، مدير مكتب مكافحة الفساد، أشاد به وأراد شكره، فإيقاف سيارة لي داكانغ أنقذ مستقبله. لم يفاجأ ليانغ بينغ بسماع ذلك وأدرك على الفور بأن روجين استطاع التمييز بين لي داكانغ وأويانغ جينغ فورا، فعلق بشكل عرضي: "الشخص الوحيد القادر على إنقاذ لي داكانغ هو لي داكانغ نفسه،

وإذا كان فاسدا، لن يستطيع أحد إنقاذه". ذهل تشانغ مينغ للحظة ثم قال: "لا تدل بكلام فارغ يا ليانغ بينغ، سنحكم على الأمر كما هو".

وصلت في تلك اللحظة أويانغ جينغ إلى مقعدها، فدقّ تشانغ مينغ على الطاولة مشيرا إليهم أن يبدأوا، فأخذ ليانغ بينغ مكبر الصوت عن الطاولة وأعطى الأمر. كانت المعدات في غرفة القيادة متطورة جدا، وأظهرت شاشة العرض الكبيرة غرفة الاستجواب مباشرة. وكان يمكن للعمال الانتقال إلى الاستجوابات الأخرى بسهولة كبيرة، كما كان يمكنهم وضع غرف التحقيق المختلفة على شاشة واحدة. بهذه الطريقة كان يمكن للقادة أن يراقبوا كل تطورات التحقيقات بالوقت نفسه وكأنهم يشاهدون فيلما.

كانت تشانغ هوى هوى مع محققة أخرى تستجوبان أويانغ جينغ، التي تصرفت بشكل عاطفي نوعا ما ولم تعترف بوجود مشاكل مع القرض. وقد أكدت بأن جميع تحويلات سيتي بانك المالية لمصنع دافنغ كانت صفقات تجارية عادية تبعا للقوانين واللوائح. اقترحت هوى هوى أنه في بداية العام 2012 تم رفض أحد قروض تساي قونغ العادية بشكل غير معهود، إلى أن سقطت أسهم معمل دافنغ في جيب مجموعة شانشوي. لم تفاجأ أويانغ بالسؤال، وقالت إنها كانت على استعداد للموافقة على القرض وفقا للخطة. ولكن وخلال التقييم الروتيني الذي قام به قسم إدارة المخاطر في البنك، اكتشفوا بشكل غير متوقع بأن تساي قونغ متورط في قضية جمع تبرعات. فقد استخدم مئة وخمسين مليون يوان في رأس المال الاجتماعي ذي الفائدة العالية..

تبادل هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ النظرات، فما قالته أويانغ كان معلومات جديدة، وعليهما أن يتأكدا من صحتها فورا. طلب ليانغ بينغ من الموظفين أن يحولوا الشاشة إلى مركز احتجاز أمين المكتب البلدي. ظهر تساي قونغ على الشاشة وهو يدافع عن نفسه قائلا: "سواء أخذت قرضا ذا فوائد عالية أم لا، ومقدار ما حصلت عليه، ليس له علاقة بقروض السيولة في المؤسسة. وتبعا للقانون، أنا شخص عادي. وبأي حال، فمصنع دافنغ هو كيان تجاري، وهو ليس ملكي فقط، فالعمال مالكو أسهم أيضا".

فهم ليانغ بينغ ما كان يقال، لم تكن أويانغ جينغ كاذبة، فقد كان تساي قونغ متورطا فعلا في قضية جمع تبرعات غير قانونية. بعدها، تم إعادة الشاشة إلى غرفة الاستجواب وكانت أويانغ جينغ توضح أكثر قائلة: "بالنسبة إلى المستفيد الذي تم القبض عليه في دوامة القروض ذات الفوائد

العالية، أي بانك سيكون مستعدا لمنحه قرضا؟". ثم قالت بنوع من العاطفة: "دعيني أحذرك، لا تدعي المستفيد يخدعك. لم يكن عمال دافنغ هم الوحيدون الذين تم خداعهم من قبل تساي قونغ في جينغتشو، لقد كان هناك بعض الناس الذين أقرضوه قروضا عالية الفوائد. ففي الشهور الستة الماضية، انتحر شخصان قفزا من على مبنى، يمكنكم التحقق من ذلك بسؤال قسم التحقيق المالي في مكتب الأمن البلدي العام".

وجد هوى ليانغ بينغ ذلك مدهشا، فلم يذكر تساي قونغ أي شيء عن تورط أويانغ جينغ بالكثير من القروض ذات الفائدة العالية عندما أبلغ عنها، شتمه هوى في قلبه وقال: "ذلك الوغد، هو فقط يسعى من أجل ذلك". كان جي تشانغ مينغ يحدّق إلى الشاشة الكبيرة وأجابه ببطء: "يبدو أنه لم يكن هناك أي خطأ في رفض أويانغ جينغ للقرض".

أخذت المؤامرة منعطفا حادا، وخرجت القصة عن المسار المتوقع، واتجهت في اتجاه غير معروف. يبدو أنه كان على خطأ. كان حلق هوى ليانغ بينغ جافا، وكان هناك طعم مرّ في فمه. أخذ كوبه، وارتشف بضع جرعات كبيرة من الماء.

عندها فقط، جاءت الإشارة من فريق لو بيك، وقام الموظفون بتحويل الشاشة دون تأخير.

في غرفة استقبال منتجع شانشوي، كانت قاو تشياو تشين ترتدي لباسا رسميا وتتحدث إلى لو بيك بكل ثقة، وتحدثت عن فكرة تطوير أخرى جديدة، حيث قالت إنه في عام 2010، رأى تساي قونغ أن هناك سوقا جيدة للفحم. ورغبة منه في بناء ثروة سريعة، فقد حصل على قرض مرتفع الفائدة بقيمة ثمانين مليون يوان وذهب إلى لينتشينغ لشراء حقوق الملكية لمنجم فحم جينشيو. عندها كان دينغ يجن قد استعان ببعض معارفه للحصول على الموافقة واستحوذ على ثلاثين في المائة من أسهم الأداء، لذلك كان هذان الرجلان شريكين تجاريين بالفعل منذ البداية.

أشار جي تشانغ مينغ إلى الشاشة وقال بانفعال استثنائي: "يا للهول، هلاّ ألقيت نظرة على هذا؟ صديق طفولتك كان شريكا دينغ يجن منذ زمن بعيد، هذا غريب، أليس كذلك؟!". صمت هوى قليلا، وكان محرجا للغاية وقال ضاحكا بمرارة: "أوه، نعم، غير متوقع أبدا" في تلك اللحظة، كان قادرا حقا على البكاء. استرجع تلك اللحظة عندما كان في منزله في بكين، عندها أبلغ تساي عن دينغ بشكل غير متوقع، ولم يكن لديه أدنى فكرة عما كان يفكر به صديق طفولته في ذلك الوقت. أما

الآن، فقد توضح كل شيء، ويبدو أن قاو تشياو تشين كانت على حق. لقد كانت حياته مليئة بالأكاذيب، فعندما خسر وشعر بالقلق، هاجم كل من حوله، ومنهم صديق طفولته تساي بون الذي كان يساعده في واجباته المنزلية ويتبعه أينما ذهب، والذي أيضا، ربطت ذاكرته بين صديق طفولته والمرح، لكنه اختفى منذ وقت طويل. لقد حولت السنوات صديق طفولته إلى ماكر وانتهازي كبير...

على شاشة المراقبة، كانت قاو تشياو تشين تنتقد تساي قونغ وتقول: "هذا الشرير الغادر يقول ما يريد الناس سماعه، ومعظمه غير صحيح. إنه واحد من أكثر رجال الأعمال المخادعين وعديمي الضمير في مجتمع الأعمال في جينغتشو، ولا أحد منّا يتعامل معه". فسألتها لو بيك: "حسنا، كيف لا تزالين تتعاملين معه؟". ابتسمت قاو تشياو تشين ابتسامة مصطنعة وقالت: "ألم يكن كل ذلك بسبب دينغ يجن؟ فقد وضع الاثنان أموالهما في منجم الفحم، وكانا يريدان الانتظار حتى يتحسن السوق ليعوضا خسائرهما. ثم اتصلا بي واقترضا خمسين مليون يوان لتمويل رأس المال بمعدل فائدة يومي 1. 004بالمئة. لقد طلب مني دينغ المساعدة، فكيف أرفض؟ لقد وافقت، خاصة بعد تقديم أسهم مصنع دافنغ كضمان بالإضافة إلى الفائدة المكتسبة". فقالت لو محاولة التلميح إلى شيء ما: "ألم يكن هناك المزيد من الفائدة المكتسبة؟ مثلا أرض مصنع دافنغ الذهبية". فردّت قاو سائلة: "من قال إنها أرض ذهبية؟ لم يتم هدم المصنع حتى الآن، ولم يبدأوا حتى بطلب عروض أسعار، أو إدراجها، أو بيعها بالمزاد العلني. إنها لا تمثل سوى كومة من المتاعب. في الوقت الحالي، لن تعترف الحكومة المحلية بالعقد الذي وقعه دينغ يجن في ذلك الوقت، وتريد منا أن نمنحهم مكافأة إنهاء الخدمة مرة أخرى. نحن الآن في صدد التفاوض بشأن ذلك". سألت لو بيك بانتباه: "ما قصدك بمنحهم مكافأة إنهاء الخدمة مرة أخرى؟ هل يعني ذلك أنك أعطيتهم مكافأة نهاية الخدمة من قبل؟".

استمر تساي في تلك الفترة بسلوكه المخزي، فينبغي الآن نقل ملكية مصنع دافنغ بشكل قانوني إلى مجموعة شانشوي، وذلك بسبب عدم قدرته على سداد قرض الخمسين مليونا أو حتى المبلغ الضخم المتراكم جراء الفائدة. في ذلك الوقت، اتصل شريكه دينغ يجن بقاو تشياو تشين مرة أخرى، وقال إن تساي قونغ كان في وضع صعب للغاية. وأنه غارق بالديون حتى أذنيه. لذا كان على مجموعة شانشوي تقديم تعويض نهاية الخدمة. أشارت قاو تشياو تشين إلى الأريكة التي كانت تجلس عليها لو بيك وقالت: "هناك تماما جلس دينغ عندما قال ذلك، وكان هو حينها المدير العام لمشروع بحيرة غوانغمينغ. أأتجرأ على عصيان ما قاله؟! لذلك تفاوضت مع تساي قونغ. وقعنا على

عقد إضافي، وأنا قدمت خمسة وثلاثين مليونا كمكافأة نهاية الخدمة. عندها فقط نقلوا حقوق ملكية المصنع". سألت لو بيك: "ثم ماذا فعل تساي بهذا المال؟". رسمت قاو بإصبعها الطويل النحيل دائرة في الهواء وقالت: "تم نقله من الحساب من قبل بنك مينشنغ في اليوم نفسه. وعندما نقل تساي الأموال لنا، لم يكن يعلم أن المحكمة قد استولت على حسابه المصرفي". فردت لو بيك: "لكن تساي قال إن أيا من البنوك الكبرى لن تقدم له قرضا؟". عندها أجابت قاو تشياو تشين: "هل تصدقين كل ما يقوله ذلك الشخص؟". لقد خدع جميع البنوك هنا. على حد علمي، فهو مدين لبنك مينشنغ وبنك الصين التجاري، بالإضافة إلى البنوك الرئيسية الأربعة بما لا يقل عن خمس أو ستمئة مليون كقروض، لقد كانت تلك خطته مع دينغ يجن للاستيلاء على مجموعة شانشوي".

داخل غرفة الاستجواب، كانت أويانغ جينغ أكثر ثقة بالنفس. وقالت: "لحسن الحظ، أنهينا القرض بشكل نهائي في ذلك الوقت؛ وإلا لكان مصرفنا جينغتشو سيتي في مشكلة كبيرة. فقمت قبل بضعة أيام من التحقق من معلومات التصنيف الائتماني للبنك على وجه التحديد. لقد بلغ أصل القرض والفوائد على القروض المتأخرة لتساي والشركات القائمة تحت قيادته أكثر من خمسمائة وستين مليونا، أضيفي إلى ذلك، الأصل والفوائد التي لا يمكنه ردها على قروض رأس المال الاجتماعي ذات الفائدة المرتفعة والتي تقارب المليار".

بدت أويانغ كأنها توجه حديثها مباشرة لهوى ليانغ بينغ وتابعت قائلة: "آمل أن تحققوا في الدافع وراء اعتراف تساي قونغ. لماذا قام هذا الانتهازي بالإبلاغ عني فجأة، كأنه يريد وضع حيلة لحماية نفسه من خلال مدير مكتب مكافحة الفساد الذي عينتموه مؤخرا. أما الآن، فإنه لا يشعر بالأمان إطلاقا. لأن أولئك الذين منحوه قروضا ذات فوائد عالية، كانوا يطاردونه لقتله. لقد اختطفوه مرة وحبسوه في قفص كلب لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال وكاد أن يجنّ".

كانت قاو تشياو تشين قد ذكرت قفص الكلب وتساي قونغ، وقالت إن أيامه كانت لا تحتمل وكانت مؤلمة أكثر من التعرض للتعذيب. لم يكن ارتفاع القفص وعرضه أكثر من نصف متر، وطوله لم يكن أكثر من متر، وخلال حبسه فيه، لم يكن باستطاعة تساي قونغ الجلوس أو الاستلقاء. لا يستطيع عضو سري للحزب تحمل ذلك المكان أكثر من أربع وعشرين ساعة، ولكن قونغ تمكن من تحمل ذلك لثلاثة أيام بلياليها.

كان هوى ليانغ بينغ مقتنعا بأن أويانغ جينغ وقاو تشاو تشين كانتا تقولان الحقيقة، والآن لديه منظور آخر يرى فيه تساي قونغ، فصديق طفولته كان أصل كل المشاكل، وكانت أويانغ جينغ تزداد استياء، ولم تنكر ما قالته قاو تشياو تشين أيضا. الأهم من ذلك هو أن قاو تشياو تشين كانت بريئة لدرجة أنها تبدو كزهرة اللوتس التي لم تتلوث رغم القذارة حولها. لقد كانت أفكاره حيال القضية قبل الآن كلها خاطئة، وترك تساي قونغ يقوده إلى طريق مسدود. لم يكن يعرف ما إذا كان عليه توبيخ نفسه أو توبيخ تساي، ولكن صوتا في داخله كان يقول: "تمهل، لا عليك".

في مركز الاحتجاز، بدأ تساي قونغ بالتمثيل وبالقول إنه لا يستطيع التحمل. فالجرح في جبهته لا يزال يزعجه، لكن مكتب الأمن العام البلدي كان يحبسه هنا. كان يطالب برؤية هوى ليانغ بينغ، فقد كان يريد أن يخبره شيئا ما وجها لوجه.

بعد مشاهدته يقوم بذلك على الشاشة، بدأ هوى ليانغ بينغ محادثة مع تساي قونغ قائلا: "أنا الشخص الذي أكلمك الآن، لا يمكنك رؤيتي لكني أستطيع، استمع إلي، أنا بالفعل في موقف الدفاع بسببك أنت وبسبب فمك المليء بالكذب والثرثرة. أتمنى أن يتوقف الموضوع هنا، وأن يكون لديك تفسيرات للمشاكل تبعا للحقائق. بكم تدين بالضبط لبنك مينشينغ وللبنوك الأخرى؟ وبكم للقروض ذات الفوائد العالية؟". فقال تساي قونغ على الشاشة: "إذا كنت تعرف كل شيء أيها المدير هوى، لماذا تسألني؟ الديون التي في ذمتي كبيرة جدا، ولن أستطيع سدادها في هذا العمر. ولن يتركني جامعو الديون من عالم الجريمة حيا، لذلك فكرت بأن أكون في السجن هنا معك. إنني في خطر هناك، ولا يمكنك رميي إلى أسماك القرش..".

لقد تم تضليلهم في التحقيقات، ومن الواضح بأن تساي قونغ ودينغ يجن هما من وضعا الجميع في حفرة عميقة، لكن قونغ تنكر بزي الضحية. فكر ليانغ بينغ بالماضي وفهم ما كان يحصل، لقد كان لدى تساي قونغ أجندة خفية في الإبلاغ عن دينغ يجن في منزله في بكين وفي الإبلاغ عن أويانغ جينغ الآن. كان دينغ يجن نائب العمدة، وأويانغ جينغ كانت زوجة لي داكانغ، لقد كان تساي قونغ يحاول لفت انتباههم وإجبار مكتب مكافحة الفساد على اتخاذ إجراءات معينة. وبعد هذا الوضع، أراد أن يوفر له صديق طفولته هوى ليانغ بينغ عطلة في السجن بعد أن كان مرتعبا وغارقا في الديون.

كشف التحقيق الأولي الحقيقة، ولم يكن هناك حاجة لطلب القبض على تساي قونغ وذلك من أجل حمايته. وبعد انتهاء التحقيق، اقترح هوى ليانغ بينغ قائلا: "بما أن الأمور تحولت إلى هذا الشكل، دعونا نسلم قضية تساي قونغ إلى مكتب الأمن البلدي للتحقيق". فوافق جي تشانغ مينغ قائلا: "حسنا، سأوافق على الاعتقال اليوم. لقد كان تشاو دونغلاي يدفعني لذلك منذ البداية". عند ذلك، شعر هوى بشعور مريع، وأحس بأنه يريد أن ينتقده رئيسه، ولكنه لم يفعل. بدلا من ذلك، عرض الرئيس عليه حفلة شواء في ذلك اليوم. فرفض هوى ليانغ بينغ وقال إنه يحتاج ورفاقه للتفكير في الأمور بشكل صحيح.

قال هوى ليانغ بينغ بينما كانا يفترقان: "هل خيبت أملك أيها النائب جي؟". فربت تشانغ مينغ على كتفه قائلا: "على ماذا أشعر بخيبة الأمل؟ انظر إلى الجانب المشرق. لقد عرفنا حقيقة الحادث 916، ووجدنا أدلة تثبت بأن أويانغ جينغ قد أخذت رشوة بقيمة خمسمئة ألف يوان. وكان هناك نتيجة غير متوقعة، كجرائم المخالفات من قبل الموظفين غير المدنيين في البنك، بالتأكيد أن أويانغ جينغ ليست الوحيدة التي رشاها تساي قونغ. وبالتأكيد هناك ضحايا آخرون. علاوة على ذلك، بوجود هذا العدد الكبير من البنوك التي تعطي قروضا، كيف استطاع المستفيد أن يأخذ بين الخمسمئة إلى الستمئة مليون يوان؟ يجب التحقق من الموضوع تماما والوصول إلى أعماق الأمور".

أمسك هوى ليانغ بينغ بيد هذا القائد الذي كان مثل الأخ الأكبر وهزها بقوة.

عند الغسق، ذهب هوى ليانغ بينغ وحده إلى الملعب الرياضي، فقد كانت المنطقة المفتوحة خلف مبنى النيابة مكانا جيدا للضباط لممارسة الرياضة. كان العديد من الشباب يلعبون كرة السلة، فذهب ليانغ بينغ إلى القضبان المتوازية. كان ذلك تمرينه المفضل، فقد كان مثل تشي تونغ وي، يهتم جدا ببناء جسمه. خلع سترته ورفع جسده على القضبان المتوازية مع قفزة خفيفة وبدأ يتأرجح إلى الأمام والخلف. عندما كان يشعر بضغط على دماغه، كان يكثف تدريباته، وكأنه يريد التنفيس أو إيذاء نفسه حتى يموت من التعب. غرق ليانغ بينغ في شعور بالإحباط، فهو لم يتخيل بأن يخسر هذه الجولة بهذا الشكل السيئ بسبب تساي قونغ. كل التهم وصلت فجأة إلى نهايات مسدودة، وقد أصبح ذلك العجوز تساي بون حامي خصومهم، ما أدى إلى فقدانه كل الخيوط والافتراضات التي كان يعتبرها في حوزته. واختفى عدوهم القوي والماكر فجأة بدون أثر، ترى ما هي الحركة التالية؟

توقف الشبان الذين كانوا يلعبون كرة السلة عن اللعب وهم يحدقون إلى هوى ليانغ بينغ مندهشين، فقد كان مدير مكتب مكافحة الفساد المعين جديدا يبدو كرقّاص الساعة. وبدا كما أنه سيتأرجح للأمام والخلف على القضبان المتوازية بلا توقف.

26

كانت يينغجو نابضة بالحياة ليلا أكثر منها نهارا. وكان حينها منظر مصابيح المتاجر فيها مبهرا، والأرصفة مزدحمة بالمشاة، في حين أن الشوارع الرئيسية مختنقة بزحمة السير. إن مهرجان منتصف الخريف قد اقترب، والناس مشغولون بشراء ما يتهادونه، كانت الحياة الروتينية تبدو بعيدة في ظل هذه الأجواء الاحتفالية.

كان هوى ليانغ بينغ في طريقه إلى المستشفى ليطمئن على تشن هاي، وأثناء تجواله كان يراقب كل المشاهد المحيطة به محاولا الاستمتاع بها. نظر إلى القمر قليلا متأملا جماله، وعلى الرغم من أنه لم يكن بدرا يومها لكن لمعانه البراق كان يضيء المدينة كلها.

كان تشن هاي قد نقل من غرفة العناية المركزة إلى غرفة منفردة. نظر هوى ليانغ بينغ إلى صديقه الفاقد للوعي، وبدأ يبوح له بكل مكنونات قلبه كما اعتاد أن يفعل دائما.

"كنت محظوظا جدا اليوم يا تشن هاي، يبدو لي أن تساي قونغ قد نسي الماضي. كنت أدور في دوامة لا نهائية من الشكوك يا صديقي. كل الدلائل أثبتت أن تساي قونغ لا يصلح لفعل أي شيء، ومهما كان إنسانا سيئا وذا نفوذ واسع، فليس بمقدوره أن يرتب تهريب دينغ يجن إلى كندا أليس كذلك؟ فمن هو المستفيد الحقيقي إن هرب دينغ يجن بالفعل؟ قد تكون زوجة أه تشينغ هي المستفيدة الوحيدة من هذا الأمر، ولكنها شخص ذو مبادئ وأخلاق عالية، ومن المستحيل أن أصدق أنها قد تقدم على شيء كهذا. أعتقد أنني خذلت العجوز جي، إنه شخص رائع بالفعل، ولم يستغل ضعفي ليشعرني بالخزي والعار، بل على العكس من ذلك، فقد دعاني إلى حفل عشاء في منزله ليخفف عني. ولكن بأي وجه سأقابله؟ وماذا سأقول له؟ قبل أن يبدأ الاستجواب الثلاثي، قلت للعجوز جي

إننا قد نحقق نتائج مبهرة، لكن، انظر إلى أين وصلنا الآن. أه كم أتمنى لو كنت أملك المزيد من الوقت فقط".

كان باب الغرفة في المستشفى مفتوحا بعض الشيء، وظلال الناس في الخارج تتحرك طوال الوقت، لم يعر ليانغ بينغ كل هذا الضجيج اهتماما، وظل منغمسا في حديثه مع صديقه العزيز. كانت ذبابتان تطيران في الغرفة وتحاولان أن تحطا على وجه تشن هاي بين الحين والآخر، مما أثار غضب ليانغ بينغ وقطع عليه سلسلة أفكاره. وقف هوى ليانغ بينغ وبدأ يبحث عن مرشة الماء في كل مكان، وعندما لم يجد واحدة، حاول إبعادهما بيديه. وفي تلك اللحظة دخل اثنان بزيهما الرسمي بسرعة البرق دافعين الباب بقوة كبيرة. وقبل أن يعرف هوى ليانغ بينغ ما الذي يحصل، قبضا عليه وأخرجاه من المستشفى. لم يكن ليانغ بينغ مدركا لما يحصل، حتى أدخله الرجلان إلى سيارة الشرطة، فقال لهما: "هل أنتم من قسم الشرطة المركزية؟".

دفع أحد رجال الشرطة ليانغ بينغ بقوة إلى داخل سيارة الشرطة وقال له: "اخرس وادخل إلى السيارة حالا". انطلقت السيارة بسرعة كبيرة، خالقة حالة من الضوضاء والتوتر في كل الشارع. كان الشرطيان ممسكين بيدي ليانغ بينغ الذي كان محشورا بينهما بشكل غير مريح على الإطلاق. وكان يعلم أنه لابد وأن يكون هنالك سوء فهم لا محالة، وسأل اثنين من رجال الشرطة المدنيين: "لأي قسم تتبعون أيها الرفاق؟ إدارة المقاطعة العامة أم المكتب البلدي؟". فإن كانا من إدارة المقاطعة فإنه سيسأل عن تونغ وي وإن كانا من المكتب البلدي فإنه سيطلب تشاو دونغلاي. تجاهل الشرطيان سؤاله كليا. لذلك لم يكن أمامه خيار سوى أن يكشف عن هويته وقال لهم: "هل تعرفون من أكون؟ أنني مدير مكتب مكافحة الفساد الجديد في النيابة العامة" بدا أن الشرطيين قد استنتجا شيئا ما، وقال أحدهما: "حسنا، المدير المعين حديثا، يريد أن يقتل المدير السابق؟". وقال الشرطي الآخر مساندا زميله: "كنا نراقبك منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى الغرفة" وأكد زميله: "هذا صحيح لقد دخلت ولم تخرج، هل كنت تنتظر اللحظة المناسبة لتقوم بفعلتك؟" ثم أضاف الشرطي الآخر: "كنت تنظر حولك بشكل خفي للتأكد من عدم وجود أحد يراقبك، لتظهر عن مخالبك بعدها وتقوم بقتله". لم يكن هوى ليانغ بينغ يعرف ما إذا كان عليه أن يضحك أم أن يبكي، وقال لهما: "ما الذي تفعلانه بالضبط، هل تقومان بالتدرب على حوار ما؟ إن كل ما كنت أحاول فعله هو البحث عن مرشة مياه لإبعاد الذباب عن وجه تشن هاي وماذا قلت أيضا؟ مخالب؟ هيا قم بإرسال تقرير عن الحادثة إلى رئيسك بسرعة".

فكر أحدهما بالأمر واتصل بالفعل برئيسه وأخبره بتفاصيل الحادثة، ولم يسمح لليانغ بينغ بأن يقول أي شيء أثناء المحادثة وأنهى المكالمة على الفور. وبعد مرور بعض الوقت، وقفت سيارة الشرطة أمام فيلا صغيرة مبنية ذات تصميم أوروبي، متخفية بين مجموعة من الأشجار الضخمة. لم يسبق لليانغ بينغ أن رأى هذا المكان من قبل، فقد كانت هذا الفيلا في ضواحي المدينة. كان المكان جميلا جدا ويعمه السكون وكأنه الجنة. لم يكن هوى ليانغ بينغ يعرف السبب الذي جعل هذين الشرطيين يأتيان به إلى مكان كهذا.

وفجأة ظهر تشاو دونغلاي ليقابل عناصره، مما جعل الأمور تبدو أوضح بالنسبة إلى هوى ليانغ بينغ ووجه الحديث إليه قائلا: "استرخ يا ليانغ بينغ هذا هو المكتب رقم "916" وأحد فرق التحقيق الخاصة التابعة للمكتب البلدي تعمل هنا" وبعد قوله هذا مد يده ليصافح هوى ليانغ بينغ محاولا أن يظهر له حسن نيته. شعر ليانغ بينغ بغضب شديد وهز يد دونغلاي بقوة وهو يصافحه ثم قال: "هل تحاول أن تجعل مني أضحوكة أيها الأمين تشاو؟". رد عليه تشاو قائلا: "قمت بعمل مثير للريبة يا ليانغ بينغ، وقبض رجالي عليك لأنهم اشتبهوا بأن يكون لديك نية لقتل تشن هاي". وعندها سألهم هوى ليانغ بينغ: "إذا أنتم من كنتم تقومون بحماية تشن هاي طوال هذا الوقت؟". رد عليه دونغلاي: "نعم، سبق لي وأن عينت أربعة رجال لحمايته، ولكني سحبت اثنين منهم بعد أن شدد الجميع الطوق الأمني حول المستشفى، وأعتقد أن الأمور باتت واضحة بالنسبة إليك الآن بعد لقائنا هذا".

كان المكتب رقم "921" عبارة عن مبنى صغير، ذا تصميم خارجي جميل، وتصميم داخلي بسيط. حتى أن بعض الغرف في الطابق الأرضي كانت متروكة دون أي إكساء، أما الطابق الثاني فهو أفضل إلى حد ما. ولكن المبنى بشكل عام لم يكن على ما يرام، وبعض الأرضيات كانت قابلة للانهيار بمجرد الدوس فوقها.

قال دونغلاي: "كان هذا المبنى مرهونا لدى البنك. ولا يستطيع صاحبه أن يسدد ما عليه من ديون، إضافة إلى أن البنك لم يستطع بيعه، وبما أن البنك لا يستطيع أن يفعل أي شيء بهذا العقار، فقد أعاره إلى مكتب البلدية ليعمل على قضية هذا المبنى.

عندما دخلا المكتب، وقف الضابطان اللذان كانا ينتظران هناك على الفور. أشار تشاو دونغلاي إلى الضابطين وقدّمهما إلى هوى ليانغ بينغ: "الرئيس هوى نغ من قسم التحقيقات الجنائية،

والنقيب تشين من مفرزة التحقيقات المالية. لقد كان في الآونة الأخيرة يعمل على بعض القضايا الضخمة بخصوص جمع التبرعات غير المشروعة، والتي تشمل قضية جمع الأموال غير المشروعة المتعلقة بتساي قونغ". تقدم هوى ليانغ بينغ وصافح الضابطين. ثم طلب تشاو من ضابط قسم التحقيقات الجنائية أن يقوم باطلاعهم على كيفية سير التحقيق في القضية "921". أومأ الرئيس هوى نغ برأسه موافقا ثم فتح مجلدا، وبدأ الحديث بوضوح ومنطق...

تمت تسمية القضية "921" نسبة إلى اليوم الذي ضرب فيه تشن هاي في الواحد والعشرين من شهر أيلول. لم يعتقد أحد أنه مجرد حادث مروري، واشتبهوا بمحاولة قتل، وقد تحققوا بالفعل من أن السائق المذنب لديه تاريخ إجرامي. فقبل أربع سنوات، ضرب حتى الموت شخصا أثناء القيادة تحت تأثير الكحول وحكم عليه بالسجن لمدة عامين. وعاد مجددا لاستخدام نفس الحيلة وأصبح مشتبها به في عملية قتل تشن هاي. في الحقيقة، لم تكن كمية الكحول التي تناولها الرجل كافية للتسبب بحادث، لكن كان لديه كمية أكبر من الإنزيمات المهيجة للكحول في دمه مقارنة بالشخص العادي. بعد أن تم احتجازه، وبغض النظر عن كيفية استجوابه، لم يتفوه سوى بعبارة واحدة، "لقد أسرفت في الشرب". كانت هذه المرة الثانية التي يتم فيها القبض على الرجل، وكرر التصرف نفسه، لذلك كان من ذوي الخبرة. كان يعلم تماما أن عقوبة القيادة تحت تأثير الكحول لن تتجاوز ثلاث سنوات، في حين أن عقوبة القتل المتعمد هي الإعدام".

سأل هوى ليانغ بينغ: "أنا من استخدم هذا القاتل؟". أجاب تشاو دونغلاي: "هذا بالضبط ما نريد أن نعرفه. ونتيجة لذلك، أصبحنا على دراية بتساي قونغ".

شغّل تشاو دونغلاي آلة القهوة ووضع قالب القهوة بشكل غير متوازن. ثم قال بلهجة ساخرة: "منذ أن بدأنا بتعقب تساي قونغ، كان ظلك يرافقه ويحميه خوفا من أن يقع صديق طفولتك في أيدينا وأن يتعرض لسوء المعاملة. أنا لا أظلمك بكلامي هذا. أليس كذلك؟". قال هوى ليانغ بينغ: "هذا طبيعي. فقد أبلغ تساي قونغ عن أويانغ جينغ بتهمة تلقي رشوة". فردّ تشاو دونغلاي بقوله: "لقد كانت أويانغ جينغ زوجة لي داكانغ، اعترف بذلك، كنتم جميعا تعتقدون أن لي داكانغ سيستخدمنا للتخلص من تساي كمخبر، أليس كذلك؟". ضحك هوى ليانغ بينغ لإخفاء حرجه وقال: "حسنا، يا حضرة المدير تشاو، لكن لا تحاولوا الآن اختلاق القصص، وبما أننا في الموضوع، أنا أيضا أريد أن أسأل. ما هي الصفقة التي أجبرت بها تساي على قراءة بلاغ بصوت مرتفع على الهاتف مرارا

وتكرارا؟ اعتقد تساي أنك تحاول تحجيمه، ولم نفهم لماذا". أجاب تشاو دونغلاي بجدية: "هذا بالضبط ما أريد التحدث إليك به اليوم، حضرة الرئيس هوى نغ، شغّل تسجيل تساي والتسجيل الذي تم استرداده من هاتف تشن هاي أمام المدير هوى، فهو الوحيد القادر على التمييز فيما إذا كان الصوت يعود إلى الشخص ذاته".

وافق رئيس قسم التحقيقات الجنائية هوى نغ على الفور، وبدأ بتشغيل المعدات والتسجيلات الصوتية.

"هل حضرتك المدير تشن؟ أريد الإبلاغ عن مجموعة من المسؤولين الفاسدين، لن يتركوني وشأني، لذلك لن أسمح بأن يكون الأمر سهلا، لدي دفتر حسابات أريد أن أقدمه لك شخصيا...".

لم يحتو التسجيل سوى على بضع جمل، وقاموا بإعادة عرضه ثلاث مرات. وبعد أن استمع هوى ليانغ بينغ إليه بعناية، قرر قائلا: "هذا ليس تساي قونغ، بالتأكيد ليس هو. من الواضح أن التسجيلين لا يعودان إلى الشخص ذاته".

أومأ تشاو رأسه وقال: "جاءت معظم الاستنتاجات الصادرة عن إدارات مختلفة متطابقة مع هذا الاستنتاج. وهذا يعني أن تشن هاي تلقى مكالمتين هاتفيتين قبل الحادث، واحدة منها كانت من تساي ولكن لم يتم تسجيلها، أما الأخرى التي تم تسجيلها فقد كانت في الواقع من مخبر مختلف، وهو الذي بيده حل هذا اللغز، فمن هو هذا الشخص؟ هل وقع أيضا فريسة لمؤامرة ما؟ لدينا شعور أن هذا المخبر على الأرجح لم يعد بين الأحياء". تنهد هوى ليانغ بينغ وقال: "دونغلاي، لقد أبهرتني كثيرا، لم أتوقع ذلك منك. فقد كنت تقوم بحماية تشن هاي بدءا من يوم الحادث، وإن تحديد ما إذا كانت العملية في ذلك الوقت هي مجرد حادث مروري كان أيضا تمويها منك، أليس كذلك؟".

أجاب تشاو دونغلاي فخورا بنفسه: "كيف يمكنني تجاهل أنه كان هناك تسجيل لبلاغ هاتفي على الهاتف الخلوي؟ إن إرباك الخصم فقط عبر مشاركته أفكاره، من شأنه أن يربحنا وقتا لجمع الأدلة اللازمة".

أدرك هوى ليانغ بينغ مدى حب تشاو للحياة، فلم تؤثر تلك القضية على مزاجه أثناء تحضير القهوة. حتى أنه شغّل بعض الموسيقى في الخلفية، وطافت أنغام مقطوعة شوبان الجميلة أنحاء

الغرفة. مع ذلك، كانت تدل صناديق بينتو الفارغة المكدسة في سلة المهملات خلف الباب على أنه عادة ما يأكل وجبات بسيطة على عجل.

"حبوب البن هذه لها نكهة جيدة، إنها كولومبية، ما رأيك بفنجان؟". وضع تشاو فنجان القهوة أمام هوى وراح عبقه يصعد إلى أنفاسه، ثم شرح له كيف اعتاد على شرب القهوة لأنه اعتاد أن يعمل طوال الليل. أخذ هوى رشفة صغيرة وارتسمت على وجهه ملامح المرارة ثم قال: "أنا من الطراز القديم، ولم أعتد على شرب هذه الأشياء". أضاف تشاو دونغلاي الحليب حتى يستطيع هوى تناول فنجانه، ثم قال هوى ليانغ بينغ إنه بقي الليلة الماضية مستيقظا إلى وقت متأخر وأن بعض الشاي سيكون خيارا مناسبا له.

هز تشاو دونغلاي رأسه وقال: "ضباط الشرطة لديهم عبء عمل ثقيل، والشاي لا يؤثر فينا. فقط القهوة القوية تعمل". رفض هوى ليانغ بينغ الاستسلام وسأله: "هل تعتقد أن عبء العمل خفيف في قسم التحقيقات الجنائية في مكتب مكافحة الفساد؟ ومع ذلك، لم نبتكر مثل هذه العادة". استمر الرجلان بتبادل الحديث وكانا منسجمين بشكل جيد.

اقترح هوى ليانغ بينغ بأن يبحثوا في حوادث الموت أو الاختفاء غير الطبيعية في جينغتشو قبل وبعد حادث مرور تشن هاي في 21 أيلول، فعمليات الانتحار وحوادث المرور كانت ميتات غير طبيعية، ويمكن أن تعتبر النوبات القلبية المفاجئة ميتة غير طبيعية أيضا. وكان تشاو دونغلاي يفكر بنفس الموضوع، وأخبره بأنه كان قد بدأ بالبحث في الموضوع. كان هدفهم معرفة المخبر السرّي الذي اتصل بتشين هاي، سواء كان حيا أو ميتا. وكانت حوادث الموت والاختفاء في جينغتشو خلال أيام 21 و22 و23 من أيلول هي محور اهتمامهم، وخاصة للمدراء الماليين في المؤسسات، لأن الاتصال الذي كشف عن المعلومات كان يتحدث عن دفتر حساب غامض.

ارتاح هوى ليانغ بينغ بعد تسليم قضية تساي قونغ إلى مكتب البلدية ليتعاملوا معها، وقد انضم فريقا التحقيق بشكل غير متوقع إلى الفرق المشاركة بحيث يتمكنون لاحقا من تبادل المعلومات.

بادر هوى ليانغ بينغ بإخبار تشاو دونغلاي بالمعلومات الخاصة بقضية أويانغ جينغ، فقد كانت قضية الرشوة بين أويانغ جينغ وتساي قونغ قضية منفصلة ومختلفة عن كل الأخبار اللاحقة.

حيث لم يكن هناك صلة بينها وبين الحادث 916، وحادث تشين هاي وهروب دينغ يجن. كان يظن بأن محاولة قتل مدير مكتب مكافحة الفساد تشين هاي، والتدبير لهروب دينغ يجن أمام أعين القادة العديدين، ليس شيئا يمكن لشخص عادي القيام به. هذه القضية كانت معقدة لما فيها من احتيال بالإضافة إلى جنح إجرامية وجرائم مالية.

وافق تشاو دونغلاي وقال محللا: "هذه القضية معقدة فعلا، ولكن انقشع عنها بعض الضباب. فمثلا النائب البلدي خاصتك شكّ في أحد قادتنا، وأنت شككت بأنه يهرب زوجته وبأنه سمح بهروب دينغ يجن، حتى أنك شككت بأن له علاقة في محاولة اغتيال تشن هاي. يبدو الآن أنك كنت مخطئا بكل ذلك، فقائدنا في الحقيقة بريء، أو على الأقل بريء حتى الآن".

لم يقل هوى ليانغ بينغ شيئا وحول المحادثة إلى قاو تشياو تشين. لقد كان منتجع شانشوي مكانا مذهلا، وكان دينغ يجن يقصد ذلك المكان قبل هروبه، وكان معظم المسؤولين من ذوي المراكز العالية يتوجهون إليه كمكان للترفيه الخاص. علاوة على ذلك، كان كلّ من قاو تشياو تشين ودينغ يجن مرتبطين بالحادثة 916، ووقعت أرض مصنع دافنغ في يدي زوجة آه تشينغ أيضا. بالطبع لا تزال قاو تشياو تشين تبدو بريئة حتى الآن، ولكنه لا يدري ما الذي كان يحصل خلف الكواليس في مجموعة شانشوي. بدا أن تشاو دونغلاي يحتاج إلى كثير من الوقت ليتخذ قرارا للإفصاح عن بعض المعلومات، ولكنه قال: "بما أننا نناقش تفاصيل القضية اليوم، فلن أخفي شيئا. لقد وجدت دليلا، وهو يخص محاسبا من مجموعة شانشوي يدعى ليو تشينغ زو إنه شخص مثير للاهتمام، فقد ذهب وحده في إجازة حول جنوب شرق آسيا، ورحل منذ ثمانية وعشرين يوما. وقد ذهب في يوم حادث تشن هاي". فقال هوى ليانغ بينغ: "هذا هو الرجل المنشود، يستمتع في جنوب شرق آسيا لمدة ثمانية وعشرين يوما؟ ربما تم إسكاته".

قال تشاو دونغلاي: "لا يمكننا القفز في التوقعات بدون أدلة دامغة. ولكن إذا تم إسكات المحاسب من مجموعة شانشوي فعلا، فمن الممكن أن يكون الاتصال الذي أفشى معلومات لتشن هاي وأخبره عن دفتر الحساب له علاقة بمجموعة شانشوي". خطرت لليانغ بينغ فكرة عظيمة وقال: "مهلا، يمكن لمكتب الأمن العام الخاص بك البحث في حدوث انتهاك في منتجع شانشوي وكشف الوضع الفعلي". وافق تشاو دونغلاي على الفكرة، وقال إنه كان يراقب المنتجع وقد زرع جاسوسا بالفعل.

كان الوقت متأخرا عندما انتهى الاجتماع، وكان كل شيء هادئا في الحديقة. مشى تشاو دونغلاي وهوى ليانغ بينغ معا إلى الخارج، ولدى كلّ منهما شعور بالندم لأنهما لم يكونا صديقين قبل الآن. تذكر ليانغ بينغ تقييم جي تشانغ مينغ، وابتهج لأنه استطاع أن يكسب صديقا جديدا قادرا على أن يكون حليفا. لقد فشل الاستجواب المشترك، ووصلت دلائلهما إلى طريق مسدود. لم يتوقع ظهور تشاو دونغلاي فجأة. بدون شك، حاول أحد ما قتل تشن هاي، وقد ألقوا القبض على المعتدي بهذا التسجيل. وعندما يجدون دفتر الحساب، ستظهر الحقيقة، وسيصلون إلى نهاية هذه الأحداث الغريبة.

كان ظهور تشن يانشي المفاجئ في مكتب مكافحة الفساد أكثر غرابة بعد ثلاثة أيام من تقرير الجاني.

27

كان تشن يانشي زميلا هزليا قديما، تقاعد بمنصب رئيس النيابة. إنه يعرف الجميع بدءا من جي تشانغ مينغ إلى أكبر وأصغر قادة في مكتب مكافحة الفساد، ولكنه أصرّ على الذهاب إلى البهو ليقدم تقريره. اتصل الشاب الجديد المسؤول عن التسجيل بالمدير الحالي، عندما أدرك هوى ليانغ بينغ أنه رئيس النيابة القديم. لم يستطع تجاهل الأمر، وترك كل ما كان يفعله ونزل لاستقبال الرجل بنفسه.

استقبل تشن يانشي في غرفة الاستقبال رقم 6، كان يجلس على الأريكة ينظر إلى بعض المواد. مشى هوى ليانغ بينغ إلى الباب واشتكى قائلا: "أيها العم تشن، هل من شيء لا يمكنك أن تقوله لي في مكتبي؟ هل يرضيك أن تسجل ما تريده دون أن تقوله لي. إذا لم تكن تثق بي، يمكنك سؤال العجوز جي". خلع تشن يانشي نظارة القراءة خاصته وقال: "لا تصرخ أيها المدير هوى، أنا أسجل شيئا هنا، وأقوم بأعمال رسمية وفقا لمبادئ رسمية، حتى لا ينتهي بك الأمر مثل تشن هاي، هذا ما اقترحه تشاو دونغلاي". جلس هوى ليانغ بينغ وقال: "لماذا يقدم تشاو دونغلاي اقتراحات لك؟ هل أرسلك لتعذيبي؟". هز تشن يانشي يديه رافضا وقال: "طريقة تصرفك هذه خاطئة، وتشبه إلى حدّ كبير طريقة تصرف المدير تشن قبلك. كيف يعد هذا عذابا؟ أنا أقدم تقريرا عن معتد، لذلك قم بعمل رسمي وفقا للمبادئ الرسمية. في الحقيقة، جئت للتو من مكتب الأمن العام في جينغتشو. لقد أعطيت تشاو دونغلاي كل المعلومات التي تهمهم. حاول أن تجد من بينها المعلومات التي تهمكم جميعا، رجاء".

لم يكن هوى ليانغ بينغ يعرف ما إن كان عليه الضحك أم البكاء وقال: "أيها العم تشن لا عجب أن يدعم تشن هاي ولايتك النيابية الثانية، فقد كان عملك مبهرا طوال الفترات الماضية". بدا

الغضب على وجه تشن يانشي وقال: "لذلك عليكم أن تكونوا متيقظين على الدوام، وأن تحققوا في جميع التفاصيل والدلائل التي هي بحوزتكم لتصلوا إلى الحقيقة". أظهر ليانغ بينغ ابتسامة ساخرة بعض الشيء وقال: "لا تقلق، سنقوم بكل ما في وسعنا، وسنحقق بكل التفاصيل دون أدنى شك". وضع تشن يانشي يده على الأريكة، وأسند نفسه ثم قال بنبرة تنبيهيه: "لا تنادني بالعم تشن هنا يا ليانغ بينغ، فالمكتب مليء بآلات تسجيل الصوت والفيديو".

بعد أن أنهى قوله هذا، سحب مجلدا ضخما يحتوي على أشرطة فيديو وأعطاه لليانغ بينغ. عاين ليانغ بينغ غلاف أحد أشرطة الفيديو بتمعن، حيث كان الغلاف الرئيسي للشريط مثيرا للاهتمام بشكل كبير، ومكتوب عليه بالخط العريض "اثنتا عشرة قضية تتعلق بالأنشطة غير القانونية لأمين لجنة الحزب الإقليمية السابق في المقاطعة إيتش تشاو ليتشون". شعر هوى ليانغ بينغ بالصدمة وأطفئ الفيديو على الفور. وأعاد الملف إلى تشن يانشي راسما ابتسامة مزيفة على وجهه قائلا: "هل تعتقد أنك أتيت إلى المكان الخاطئ أيها العم تشن؟ فأنت تعرف أنه ليس لدى النيابة الإقليمية الصلاحية للتحقيق مع قادة الحزب والدولة أليس كذلك؟". وحتى تلك اللحظة لم يكن تشن يانشي مدركا أن المواد التي بحوزته هي مواد لا قيمة لها. استعاد المادة من ليانغ بينغ وقال بهدوء: "عليك أن تبقي هذا الأمر سرا بيني وبينك يا ليانغ بينغ". أومأ هوى ليانغ بينغ إيجابا وقال له: "عليك أن تهدئ من روعك قليلا أيها العم تشن فشخص في عمرك عليه أن يمتنع عن الدخول في صراعات الماضي. ألم تقل إنك تجاوزت هذه المواضيع ومضيت قدما في حياتك؟ حتى أنك قمت ببيع منزلك، وتبرعت بمعظم أموالك، وثم تقاعدت لتحظى بحياة هادئة".

غضب تشن يانشي ورد قائلا: "يبدو لي أنك تتحدث بنفس أسلوب الأمين السابق تشن هاي يا ليانغ بينغ، فأنت تعلم بأنه ليس لدي أية مشاكل شخصية لأسويها مع تشاو ليشون، نحن مجرد خصمان سياسيان لا أكثر، وتعلم أنني لا أكترث للمناصب ولا لهذه الأمور الشكلية، ولكن إن بقي شخص مثل تشاو ليشون مستلما لأمور السلطة وممتلكا لهذا النفوذ السياسي الكبير، فإن حزبنا وبلدنا سيكونان في مشكلة حقيقية". لم يكن هوى ليانغ بينغ مستعدا لخوض جدال طويل مع العجوز تشن فاقترح: "ما رأيك أن نذهب إلى مكتبي ونكمل حديثنا هناك؟". رد تشن يانشي قائلا: "ليس لدي وقت كاف للقيام بهذا الأمر يا ليانغ بينغ، فقد جاءت منذ بضعة أيام أخت تشن هاي الكبرى، وسنقصد بكين غدا لقضاء العطلة سوية. إنني أرفض كل ما تقوله عن أنه لا يمكن الإطاحة بتشاو ليشون".

وبعد قوله هذا، أعطى شريطا آخر لهوى ليانغ بينغ وقال: "شغّل الشريط من فضلك أيها الأمين هوى".

احتوى الشريط على صور وأدلة وحقائق، وكانت جميع القضايا موجهة مباشرة إلى قاو شياو تشين ومجموعة شانشوي.

كانت الروح المعنوية لقاو شياو تشين عالية جدا في الآونة الأخيرة، وكان هذا ظاهرا في نظراتها الواثقة وخطواتها الجريئة. لقد سبق لهم أن خاضوا معركة عقول "معركة الذكاء" الدراماتيكية، التي اعتقدت أنها تركت انطباعا عميقا لدى هوى ليانغ بينغ. وعلى الرغم من أن مدير مكتب مكافحة الفساد كان شخصية قوية ومن الصعب الوصول إليه، إلا أنه امتلك جانبا لطيفا أيضا، مما جعل علاقتهما جيدة إلى حد ما. ولتبعد نفسها عن التوترات والضغوط كانت تمضي جزءا من وقتها في الأعمال المنزلية والتبرج المطول أمام المرآة، وهي عادات طورتها واستخدمتها طوال سنين عديدة. تحت ضوء القمر اللطيف والنجوم الساطعة اعتادت قاو شياو تشين أن تمشي وحيدة على العشب الأخضر، وتستمع بمنظر الفيلات الخيالية وملعب الغولف الشاسع، وقربهما المبنى الشاهق في قلب المنتجع، كانت تجوب المكان كالملكة، وهذه كانت جنتها الخاصة.

تخطاها شخصان مترنحان كليا وكل منهما يستند إلى الآخر، كانا يتكلمان بصوت عال وغير متزن. فقد كانا زبونين دائمين في ناديها، كما أنهما من أهم الشخصيات المتواجدة في المنتجع، نائب الأمين العام كين من الحكومة البلدية ونائب كبير القضاة تشن تشينغ تشيوان في محكمة الشعب المتوسطة. ذهبت قاو لمقابلتهما على الفور، ورسمت على وجهها ابتسامة عريضة. سأل نائب الأمين العام كين مبتسما: "هل الفتاة الروسية الجميلة كاتيوشا في الداخل؟ أجابته قاو: "نعم بالطبع، إنها في المبنى رقم ثلاثة بانتظار نائب الأمين العام ليأتي ويدرس الروسية معها" رد عليها كين مخمورا: "إن هذا كله خطأ رئيس القضاة تشن. فهو من استمر بدفعي لأشرب المزيد من الخمر، لا مزيد من الدراسة لي اليوم، سأذهب إلى المنزل". فقال تشن تشينغ تشيوان مازحا: "إن غادر نائب الأمين العام، سأقوم بتغيير اختصاصي اليوم إلى الروسية" لم يشعر كين بالغيرة وقال: "افعل ما يحلو لك". طلبت قاو سيارة أجرة لتقل كين وحاولت إقناع تشن أن يذهب ليستريح الليلة. ردّ عليها تشن قائلا: "ماذا تقصدين أن أذهب وأستريح؟ أريد أن أتعلم الروسية بشكل ضروري اليوم. خورشوا...".

وبعد أن دخل تشن تشينغ تشيوان إلى المبنى رقم ثلاثة، وكان على وشك أن يحظى بليلة رائعة مع الفتاة الروسية ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين المدعوة كاتيوشا، اقتحمت سيارة شرطة ساحة النادي، ونزل منها العديد من رجال الشرطة ودخلوا المبنى رقم ثلاثة. في ذلك الوقت كانت قاو تشياو تشين تقرأ كتابا في مكتب الإدارة، كانت معتادة على الدوام أن تقرأ قبل أن تخلد إلى النوم، وكانت قراءة كتاب بشكل يومي أمر ضروري جدا لتطورها الشخصي، وفجأة بدأ الهاتف بالرنين. بدا تشن تشينغ تشيوان أنه على وشك البكاء وطلب مساعدتها على الفور قائلا: "إننا في ورطة، لقد اقتحم الرئيس قاو المبنى وسيعتقلوننا لقيامنا بأفعال مخلة بالأخلاق". كانت قاو تشياو تشين مذهولة، وتبدل مزاجها الجيد بلمح البصر، ثم رفعت سماعة الهاتف على وجه السرعة واتصلت بتونغ وي متذمرة من أن الرئيس لم يخبرها قبل قيامه بعملية الاقتحام هذه. كان تونغ وي مصعوقا كليا بما سمعه وقال لها: "كيف حصلت هذه الأفعال المخلة بالأخلاق؟". أجابته قاو أنها لا تعرف شيئا. طلب منها تونغ وي أن لا تقلق وتنتظر قليلا حتى يستكشف ما الذي كان يجري. وبعد مرور بضع دقائق حصل تونغ وي على بعض المعلومات من كيان اللواء الأمني لمكتب الأمن العام في منطقة غوانغمينغ الذي قاد فريق الاقتحام. فقد أخبر الكابتن كيان المدير على الهاتف أن الأمر ليس اقتحاما من أجل أمور مخلة بالأخلاق.

كانوا قد تلقوا بيانا أن شخصا ما قد تورط. هو قال أيضا بأنهم كانوا يراقبون هؤلاء البغايا الأجانب منذ فترة، وكانوا يحضرون للهجوم منذ وقت طويل. قال تشي تونغ وي بنبرة بيروقراطية: "هل أنت متأكد من هذا؟". قالت مديرة منتجع شانشوي قاو بأن العديد من الباحثين الشباب جاؤوا إلى الصين كطلاب تبادل وهم يعملون كمدرسين بدوام جزئي. حتى أن نائب رئيس القضاة تشن تشينغ تشيوان من محكمة الشعب الوسطى المحلية كان يدرس معهم لغات أجنبية لوقت طويل". رفض الكابتن كيان الاستسلام وصرخ في هاتفه الخلوي قائلا: "أيها المدير تشي، هل يدرس الناس اللغات الأجنبية وهم عراة في السرير؟ يا له من موقف محرج". فقال تشي تونغ وي: "كلا، إنه ليس كذلك. دع الرجل يذهب فقط". لم يعرف تحت أي مرسوم إمبراطوري كان الكابتن كيان يعمل، ولكنه كان عنيدا بشكل مذهل ورفض الأوامر قائلا: "لا يمكن فعل ذلك، في الوقت الحالي مكتب البلدية ينهار، وإطلاق سراح متهم بشكل غير قانوني يستدعي عقوبة أيها المدير تشي. ما لم يعط المدير تشاو أمرا...".

بهذه البساطة وصل الموقف إلى طريق مسدود. كانت قاو تشاو تشين تنتظر على أحر من الجمر، وكانت تدور في أنحاء الحديقة. فعلى حد علمها، كان تشن تشينغ تشيوان أساسيا. فقد كان نائب رئيس القضاة الذي منح أسهم معمل دافنغ لها ولمجموعة شانشوي. إنها تخشى أن تتعقد الأمور إذا حدث شيء ما لتشن تشينغ تشيوان. وكان لديها حدس بأن حملة اليوم لها علاقة بالصراعات في المناصب العليا للمقاطعات والبلديات، وتراءى لها ظل لي داكانغ بشكل غير واضح.

أدرك أمين اللجنة البلدية للتفتيش التأديبي تشانغ شولي بشكل ملموس بأن لي داكانغ كان يرفع يده ضد مجموعة كاملة من الكوادر القانونية والسياسية من مرؤوسي قاو يوليانغ، وبأن هدف الهجوم كان منتجع شانشوي. كان الأمين يتحدث باسم العدالة، وكان فمه يقطر بالحديث البيروقراطي، وأعطى تشانغ شولي ولجنة التفتيش التأديبية معلومات محددة تقول: "يجب التحقيق بانتهاكات الانضباط بين الكوادر. فبعد إطلاق قانون النقاط الثمانية والممنوعات الستة، كان بعض من كوادر مدينتنا المنتسبين للحزب يقولون شيئا ويفعلون شيئا آخر. فهم مازالوا يأكلون ما يريدون، ويركضون أينما أرادوا، وينامون في أي سرير يختارونه. إن رد الشعب قوي، فهم يقولون إن (الأفضلية) تحولت الآن إلى (تسلية الكوادر). هناك منتجع يسمى شانشوي، يطلق عليه الناس أيضا اسم (الأفضلية)، فهو يحوي ملعب غولف وبغايا أجانب من درجات عالية. ولا يزال العديد من كوادر مدينتنا القانونية والسياسية يذهبون إلى هناك حتى الآن. وهناك يتخلون عن أنفسهم من أجل المتعة، ويفقدون كل إحساس بالخزي، ولهذا أثر ضار جدا..".

بذلك أصبح تشن تشينغ تشيوان على خط النار، فلم يكن بإمكان تشانغ شولي حمايته حتى لو أراد ذلك. لقد كان نائب رئيس القضاة شخصا لطيفا، وقد كان الأمين الإداري السابق لرئيس لجنة الحزب قاو يوليانغ، ولم تكن هناك حاجة للإساءة إليه. ولكن لي داكانغ كان يريد الإساءة إليه، فما الذي يمكن فعله؟ كان يجب عليه التحقيق في الأمر، وإذا لم يفعل ذلك، فإن لي داكانغ سيعين شخصا آخر ليحقق بهذا الموضوع ويحقق معه أيضا. لقد كان الصراع السياسي قاسيا وبلا رحمة، فهم لم يتأقلموا مع رغباته الشخصية. ووفقا لذلك تناولوا قضية تشن تشينغ تشيوان وآخرين في اجتماع اللجنة الدائمة في تلك الليلة، وقد أعلن لي داكانغ الحقائق الخاصة بانتهاكات الانضباط باسم لجنة التفتيش التأديبية. وأصدر الحكم بإسهاب قائلا: "ارتكب تشن تشينغ تشيوان وخمسة رفاق آخرين خرقا خطيرا لانضباط الحزب. كانت بعض المعلومات بلاغات عامة، والبعض الآخر سبب هياجا صادما على الإنترنت. يجب التعامل معهم بقسوة، وهذا هو الوضع".

28

حدّق لي داكانغ، الذي كان يرأس الاجتماع، بحشد اللجنة الدائمة وقال: "أيها الرفاق، لا يمكننا حمايتهم حتما. هذه المرة يجب على لجنة الحزب الشيوعي البلدي لجينغتشو أن تدافع عن الانضباط وأن تعرف أين ترسم الحدود".

فوجئ نائب العمدة التنفيذي يينغ العجوز، فقد كان هو وتشن تشينغ تشيوان أنسباء، فلم يستطع ألا يتحدث في وقت كهذا قائلا: "أيها الأمين لي وأيها الرفاق، تشن تشينغ تشيوان هو نائب رئيس قضاة محكمة الشعب الوسطى، وأحد الرفاق الآخرين هو نائب الأمين العام لحكومة البلدية. يجب أن نكون أكثر حكمة".

فضحك لي داكانغ وقال: "أيها العجوز يينغ، أنا لا أفهم ماذا تقصد. هل يمكنك أن تشرح أكثر؟". فهز العجوز يينغ رأسه وابتسم ابتسامة مريرة وقال: "أيها الأمين لي، أحقا لا تفهم؟".

فاختفت الابتسامة عن وجه داكانغ وقال محذّرا: "لا تمارس المحسوبيات أيها العجوز يينغ".

فغضب يينغ وقال: "هل أجرؤ على ذلك؟ أنا خائف فقط من إثارة نزاع".

تدخل الأمين صن من لجنة الشؤون السياسية والقانونية البلدية باستياء واضح قائلا: "هذا صحيح، من هو تشن تشينغ تشيوان؟ لقد كان الأمين المفضل لدى الأمين قاو يوليانغ، ولو لم يتحدث عنه الأمين قاو يوليانغ مرارا وتكرارا، لما أصبح نائب رئيس القضاة. أيها الأمين لي، أنت لست على علم بالموضوع".

أجاب لي داكانغ ببرود: "ولكن لا يملك أحد منهم الحق في خرق القوانين وانتهاك الانضباط. لا تكن عاطفيا أيها الأمين صن، ولا تدر حول موضوع قاو يوليانغ. احكم على المسألة كما هي. حسنا؟".

فانزعج الأمين صن وقال: "أنا لست عاطفيا، خلال اجتماع اللجنة الدائمة في العام الماضي الذي ناقشنا فيه العمل السياسي والقانوني، أثرت اعتراضات ضد تشن تشينغ تشيوان، لقد طلبت مني أيها الأمين لي أن أنظر إلى الصورة الكاملة، والآن أنت لا تسمح لي بتوضيح المسألة، اعذرني لسؤالك مقدما، ولكن هل تعطيني الإذن بالتعبير عن رأيي؟".

أصبح الجو مشحونا جدا في غرفة الاجتماع. كان تشانغ شولي يعلم بأن الأمين صن سيتقاعد في المستقبل القريب، وقد يكون اجتماع اللجنة الدائمة هذا هو آخر اجتماع يحضره، وقد تندلع أيضا صراعات كامنة، فمهنة صن الرسمية لم تكن تسير بشكل جيد، وكان مستاء جدا من قاو يوليانغ ومن لي داكانغ.

من الواضح أن لي داكانغ كان مدركا جيدا لأهمية الوضع، وبعد مرور لحظات من الصمت المريب نظر إلى الأمين صن وقال له: "حسنا أيها الأمين صن يمكنك أن تقول ما تريده الآن، ولكنني أريد التأكيد مجددا على أننا نريد أن نسمع الحقيقة ولا شيء غيرها، وأن نرى الأمور بتجرد كما هي عليه ثم نعطي حكمنا. لكن عليك ألا تستمر بالتشهير بالأمين قاو والأمين وانغ وهذه العصابة وذلك القسم وتلك الناحية، إنك تدور في الدائرة ذاتها على الدوام، وهذا لن ينفع مجريات التحقيق. ألا تعتقد ذلك؟". استخدم الأمين صن لهجة أكثر هدوءا وردّ قائلا: "هذا صحيح أيها الأمين لي. أيها الرفاق لقد وصلنا الآن تقرير الأمين تشانغ شولي التابع للجنة التفتيش التأديبية عن الخروقات السلوكية التي يقوم بها تشن تشينغ تشيوان. وليس هذا هو الموضوع الرئيسي الذي أريد التحدث عنه، بل أريد أن أتحدث عن الشبهات التي تدور حول تشيوان وخرقه للقوانين الرئيسية. لكن الأمر الذي لست واثقا تمام الثقة منه، هو هل كانت لجنة الفحص التأديبي على علم بهذه الخروقات؟ وما حجم المعلومات التي كانت لديهم عن الموضوع؟". غاص تشانغ شولي في بحر من الأفكار لبضع لحظات ثم قال: "لقد وصلتنا الكثير من رسائل التلميح إلى هذا الموضوع، كما كان هنالك كثير من الأخبار التي وصلت عبر الإنترنت. وكنا نعتزم إيصال تقرير مفصل عن هذا الموضوع إلى اللجنة الدائمة للحزب البلدي بعد أن نتأكد من جميع الدلائل التي بحوزتنا".

أبدى الأمين صن استعدادا وحماسة كبيرين ثم قال: "حسنا، أيها الرفيق شولي سأحاول أنا أيضا الطلب من لجنة الفحص التأديبي التحقيق بالأمر. هنالك الآن قضيتان رئيسيتان تتم مناقشتهما في محكمة الشعب المتوسطة بالمدينة التي لها مصالح مشتركة مع تشين تشينغ تشيوان، فقد عين تشيوان قاضي أنثى في المحكمة، كان اسمها يجن يويمي، وكانت الشائعات عبر الإنترنت تقول إنه حبيبها. لا بد وأن تكون هذه الجين يويمي هي التي قامت بتلك الإجراءات وسمحت لمجموعة شانشوي بأخذ جزء الأسهم الذي كان بالأصل ملكا لعمال مصنع دافنغ، والذي كان السبب الرئيسي في الحادث "916". ضرب الأمين صن بيده على الطاولة وقال: "ليس هذا فقط، فلم يكتف تشن تشينغ تشيوان بخرق قواعد الانضباط، ولكنه خرق القانون على نحو خطير، وعلى الأرجح أنه ارتكب مخالفات أخرى، فبعض الحالات لا تحتاج إلى كثير من التحليل والتقصي لكي تعرف ما إن كانت صحيحة أم خاطئة. إن تشن تشينغ تشيوان والقضاة الذين هم تحت قيادته أصدروا كثيرا من الأحكام الظالمة. حيث كان تشيوان يعطي الأموال للقضاة الذين تشترك مصالحه معهم لكي يمرر أحكاما معينة ويفوز هو بالقضايا، فحتى لو كنت صاحب حق، لكن ليس لديك أية أموال فمن المستحيل فوزك بالقضية، بالإضافة إلى أنه تم انضمام محاميين تابعان لشركتين مختلفتين، إلى مجموعة قضاة تشيوان واتفقا معهم على توزيع الأرباح فيما بينهم.

نظر لي داكانغ إلى تشانغ شولي بوجه متجهم وقال له: "هل أبلغ الناس عن هذه التصرفات؟". إن كل ما قاله الأمين صن صحيحا، وبصفته أمين لجنة التفتيش التأديبي، لم يكن يجرؤ سوى أن يقول الحقيقة كما هي وقال: "نعم أيها الأمين لي، لقد أبلغ الناس عن هذه الحوادث مرات عديدة، ولكن لسبب معروف للجميع، لم يتم اتخاذ قرارات حيال الموضوع".

نهض لي داكانغ ببطء. وفجأة، ضرب الطاولة واستشاط غضبا وقال: "إذا استمرت الأمور على هذا النحو، فأين تكمن العدالة والحق؟ أين تكمن حرمة القانون؟ هل كنا جميعا مهملين لواجبنا؟ حسنا؟ أولا وقبل كل شيء، أنا، بصفتي قائد الفريق وبصفتي أمين لجنة الحزب البلدي، أهمل واجبي، أيها الرفاق".

كانت قاعة الاجتماع هادئة بما يكفي لسماع رنة دبوس على الأرض. كان كل من تشانغ شولي وأعضاء اللجنة الدائمة ينظرون إلى لي داكانغ الغاضب.

بدا الحزن واضحا على وجه لي داكانغ، وكان نادرا ما يكون مهذبا جدا أمام الأمين صن الذي بدأ بشن الهجوم وقال له: "حضرة الأمين صن، لم أكن أفهم مدى خطورة المشكلة عندما تحدثت عن تشن تشينغ تشيوان في آخر اجتماع للجنة الدائمة. كنت أعلم دخولكما في صراع حول العمل في الماضي، لكني منعتك من الاستمرار في ذلك وطلبت منك وقتها أن تهدأ وتنظر إلى الصورة بكاملها، وتبين فيما بعد أني كنت شخصا مهملا ويتصرف بعقائدية. إنني ألوم نفسي الآن".

نهض الأمين صن أيضا احتراما للي وقال: "لا تلم نفسك هنا يا لي. أتفهم شكوكك، وها أنا بعد كل شيء، وصلت إلى سنّ حيث علي أن أتنحى قريبا. لا يزال عليك المضي قدما، عليك دائما أن تنظر إلى الصورة الكاملة". قال لي داكانغ بجدية: "لكن الرفاق يعتبرون أن الصورة الكاملة لا يمكن أن تصبح ذريعة وخيبة أمل لبعض الأشرار ليخالفوا القانون وينتهكوا الانضباط". أنا على ثقة أنه حتى الأمين قاو يوليانغ، لن يتمكن من حماية تشن تشينغ تشوان في حال كان مشتبها جنائيا. نحن الذين يجب عليهم نقد ذاتهم. قبل كل الآخرين، كنت كقائد فريق مترددا دائما. رجال القاعدة دائما ما يقيسون مكانة الناس المحترمين بمقاييس ضيق الأفق. لقد خففت من التعليمات عمليات المراقبة على تشن تشينغ تشيوان، وهو الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأمين قاو يوليانغ. لقد تعلمت درسا قاسيا".

دخل أمين لي داكانغ بشكل غير متوقع في تلك اللحظة وهمس بضع كلمات في أذنه. ثم أخبره لي بعدها بتعبير كئيب: "أخبر تشي تونغ وي أنني ولجنة الحزب البلدي نناقش مشكلة تشن تشينغ تشيوان في الوقت الحاضر، واطلب منه عدم التدخل بعد الآن، فلا علاقة لهذا بحفظ ماء الوجه. إنه الانضباط الحزبي وقانون الولاية الذي لا يسمح بذلك".

تابع لي الاجتماع بعد مغادرة الأمين وقال: "أترون أيها الرفاق؟ هذه هي الحقيقة التي علينا مواجهتها اليوم، ما طبيعة اجتماعنا هذا، إنه اجتماع لمناقشة التعامل مع الكوادر الذين انتهكوا الانضباط، واجتماع لتنفيذ لائحة النقاط الثماني والمحظورات الستة، لكن في هذا الوقت بالذات، ذهب نائب رئيس المحكمة العليا، تشن تشينغ تشيوان، إلى منتجع شانشوي مرة أخرى ومارس الدعارة هناك، وأبلغ الناس عنه، وتم اعتقاله على الفور من قبل قسم الأمن العام على مستوى القاعدة لدينا". أخذ تشانغ شولي نفسا بصعوبة وقال: "يا إلهي، كم هو جريء، هل كان الوقت مناسبا لذلك؟". لكنه يعتقد أيضا أن لي داكانغ كان غير متهاون للغاية. يبدو أن الأمر لم يتعلق فقط بلجنة التفتيش التأديبي والنيابة العامة، بل بمكتب الأمن العام أيضا، وإلا، كيف كان لكل هذا أن يحدث.

كانت الأمور تسير بالشكل التالي، لم يعد تشن تشينغ تشيوان محصنا ضد العقاب التأديبي للحزب. فوفقا للقوانين، يجب أن يفصل من الحزب ويطرد من منصبه، ذكر أحدهم هذا الشيء، فسأل الأمين صن بقسوة: "هل يمكن أن يفصل؟ ألم يأت المدير تشي لالتماس الرحمة له؟". فقال لي داكانغ: "هذا صحيح، ربما يكون لدى المدير تشي نوايا حسنة، ونتمنى أن تؤخذ هذه المبادرة بعين الاعتبار. فما الذي ستفكر به الجماهير عندما تعرف أن نائب رئيس المحكمة العليا يمارس الدعارة؟".

كان نائب العمدة التنفيذي العجوز يينغ يعلم ما هو مصير تشن تشينغ تشيوان، لكنه بذل جهدا أخيرا قائلا: "أظن أيها الرفاق أنه يجب أن نأخذ التأثير السلبي بعين الاعتبار. ألا يؤذي هذا صورة الحزب والحكومة؟". لوح الأمين صن بيديه قائلا: "خلال فترة يانان، أعدم حزبنا المسؤول الفاسد تشياو يوبي والقاتل هوى نغ كيغونغ، الذي كان له مآثر عسكرية واضحة. وخلال أيام الجمهورية الأولى، قاموا بتصفية تشانغ تشيشان وليو تشينغ شان. فإذا سمحتم لي أيها الرفاق، هل أضر ذلك بصورة حزبنا أم دعمها؟".

استغل لي داكانغ الفرصة ليوضح موقفه: "أنا أوافق على كلام الأمين صن. تبعا للقوانين، يجب أن يفصل تشن تشينغ تشيوان من الحزب ويطرد من منصبه. أنا أقترح بأن تعفي اللجنة البلدية الدائمة التابعة لمجلس الشعب الوطني نائب رئيس القضاة من منصبه، ويمكن للجنة التفتيش التأديبية التعامل مع الكوادر الأخرى الذين ارتكبوا انتهاكات للانضباط بشكل منفصل تبعا للظروف. ستعلن النتائج بشكل علني، وسنضع أنفسنا تحت تصرف الجماهير، هل لدى أي أحد شيء آخر يقوله؟ لا أحد؟ حسنا، فضت الجلسة".

هكذا انتهى اجتماع اللجنة الدائمة، فشعر تشانغ شولي بالبرد يغزو جسده. لم يتخيل قط أن يكون مصير صديقه وزميل الدراسة في الحزب تشن تشينغ تشيوان هكذا. لقد كان لي داكانغ مستبدا جدا، ولم يجرؤ أحد على معارضته. عندما واجه دينغ يجن المتاعب، لم يوجه له لي داكانغ نقدا ذاتيا، بل أحضره ووبخه. فهل يتجرأ على التكلم لو بكلمة دفاعا عن تشن تشينغ تشيوان اليوم؟ حتى لو كان الأمر يتعلق بالبروتوكول فقط، كان لي داكانغ سيضعه تحت المجهر فورا. في الحقيقة، فإن البروتوكول مهم، فبالرغم من أنه تم إلقاء القبض على تشن تشينغ تشيوان متلبسا، إلا أنه كان عليهم اتباع البروتوكول. كان يجب أن ينتظروا نتائج تحقيقات الشرطة حتى يقوم الحزب بالتصرف. لم يهتم لي داكانغ بذلك كثيرا، وتجرأ على اتخاذ القرار. لم يكن ذلك مفاجئا عندما فكر به، فقد كان تشن

تشينغ تشيوان أمين قاو يوليانغ المفضل. كان تشانغ شولي واثقا بأن اعتقال قسم القانون والسياسة لزوجة داكانغ قد أثار لي داكانغ ليضع قاو يوليانغ والأشخاص من قسم القانون والسياسة نصب عينيه. كان يخشى أن نوبة من الاقتتال السياسي كانت ستبدأ لا محالة.

29

جلس هوى ليانغ بينغ في مطعم ليك فيو تيهاوس ينتظر معلمه قاو يوليانغ. كان يريد دعوة معلمه على العشاء، ولكن معلمه كان حكيما وذكره بأنه ليس فقط معلمه، ولكنه قائده أيضا. فقد يجعلهما العشاء والنبيذ هدفا سهلا للقيل والقال، وسيعود الناس للحديث عن قسم السياسة والقانون مجددا.

لم يستطيعا تناول النبيذ، ولكن تناول الشاي كان مقبولا. اختار هوى ليانغ بينغ هذا المكان على شواطئ بحيرة غوانغمينغ، وأحضر الشاي الأخضر الذي كان معلمه مولعا به، فقد وافق معلمه في النهاية. يجب أن يظهر أولئك الذين كانوا طلابا بعض الامتنان، ولم ينس هوى ذلك حتى بعد انتقاله إلى المقاطعة إتش للعمل فيها. بالإضافة إلى ذلك، كان في مهمة رسمية، فهو لا يزال يريد الإبلاغ بشكل خاص عن المشكلة الخطيرة لنائب رئيس القضاة تشن تشينغ تشيوان، وهي خرق القانون وانتهاك للانضباط. فقد كان الرجل أمينا لقاو يوليانغ مسبقا، ويجب أن يعطي معلمه إشعارا مسبقا قبل أن يلقي القبض على نائب رئيس القضاة.

لم يكن معلمه قاو يوليانغ قد وصل بعد، وكان هوى ليانغ بينغ جالسا قبالة نافذة تطل على البحيرة المضاءة بضوء القمر. كانت وسيلة الترويج للمطعم هذا هي الإطلالة على البحيرة مع شرفة ونوافذ قرب البحيرة تماما. جلس مستمتعا بالمنظر وهو يحتسي الشاي، لكن جلسته هذه قوطعت بسرعة باتصال من حليفه الجديد تشاو دونغلاي، يخبره فيه بسرور بالحدث الجديد: "لقد دوهم منتجع شانشوي وفضح تشن تشينغ تشيوان بالوقت نفسه، ويمكن أن تعتبر معركتهم الأولى انتصارا". هنأه هوى ليانغ بينغ، ولكنه كان يئن من الداخل. كان شيئا جيدا أن ينتصر حلفه في معركتهم الأولى، ولكن كيف كان سيبلغ معلمه وقائده؟ كان خائفا من ألا يصدق هذا النوع من

الصدفة الغريبة، وخائفا من أن يفترض بأنه وتشاو دونغلاي يتواطآن معا. عندما يفكر بأن تسريب المعلومات الخاص بتشن يانشي كان بإيعاز من تشاو دونغلاي كان يشعر بأن شيئا ما خاطئ..

وبينما كان يفكر في هذا، ظهر معلمه من المدخل، يقوده خادم. رآه هوى ليانغ بينغ فوقف بسرعة لتقديم مقعده له احتراما، وقد بالغ في الانحناء أمامه وهو يقول: "مرحبا أيها البروفيسور قاو"، فردّ قاو يوليانغ بمرح: "أيها القرد الصغير، ما الذي جعلك فجأة تدعوني لتناول فنجان شاي معك؟". فقال هوى ليانغ بينغ: "أولا كنوع من الامتنان، وثانيا لأنني جئت لأبلغك بأمر عاجل". فضحك قاو يوليانغ وقال: "لقد علمت بأن شيئا ما قد حصل معك. هيا، أخبرني، من وضعت نصب عينيك في مكتب مكافحة الفساد هذه المرة؟". فتحول إلى شيء من الرصانة وقال: "إنه أحد أمنائك السابقين، أيها الأمين قاو". عندها التفت قاو يوليانغ بكل رصانة وقال: "لدي العديد من الأمناء السابقين، من منهم وقع في مشكلة؟". فتردد هوى ليانغ بينغ للحظة ثم قال: تشن تشينغ تشيوان".

شعر قاو يوليانغ بالصدمة وقال: "هل هنالك مشكلة ما مع تشن الصغير؟". أومأ ليانغ بينغ برأسه وأجابه قائلا: "نعم فقد كان تشن يانشي هو من أخبر عن الموضوع". نظر قاو يوليانغ إلى ليانغ بينغ نظرة تملؤها الريبة وقال: "تشن يانشي حقا؟ النيابة الشعبية الثانية هي من قامت بذلك؟". فهم هوى ليانغ بينغ ما الذي كان معلمه يحاول أن يقوله، ولكنه لم يقم بتفسيره، بل أخرج على الفور صورتين من دفتر ملاحظاته وأعطاهما لقاو يوليانغ ليلقي نظرة عليهما. كانت الصورة الأولى لتشين تشينغ تشيوان وهو يحمل امرأة أجنبية بين ذراعيه وهما يقضيان وقتا حميما. أما الصورة الأخرى فكانت لتشن تشينغ تشيوان مع قاو تشياو تشين وهما يلعبان الجولف في منتجع شانشوي. وضع قاو يوليانغ نظارة القراءة الخاصة به، وأمعن النظر في الصور ثم سأل: "من أين قمت بتحميل هذه الصور؟". أجابه هوى ليانغ بينغ قائلا: "حملها تشن يانشي من الإنترنت في الفترة الماضية، فقد كانت هذه الصور موجودة منذ عامين، في الوقت الذي صدر فيه الحكم بقضية مصنع دافنغ ولم يكترث بها أحد حينها، وتم حذفها على الفور، لكن أحدا ما وضعها من جديد على الإنترنت، وقمت بعدها بإجراء بعض التحريات عن الموضوع، واستنتجت أن معلومات تشن يانشي صحيحة بالفعل.

وضع قاو يوليانغ الصور جانبا وبدا الحزن على وجهه، التفت بعدها وغرق في تأمل بحيرة غوانغمينغ، كان الضوء منعكسا على مياه البحيرة بهدوء رائع، وكان صوت مجاذيف القوارب مسموعا والقوارب تبتعد إلى أن تختفي أخيرا في نهاية البحيرة. تنهد قاو يوليانغ عميقا وقال: "كيف

تحول تشن تشينغ تشيوان إلى شخص كهذا؟ أخبرني يا ليانغ بينغ عن تفاصيل التقرير الذي أرسله تشن هاي". بدأ ليانغ بينغ بسرد تفاصيل التقرير كاملة: "وفقا لتشن يانشي فإن قضية أسهم شركة دافنغ تم التلاعب بها، وحصلت خلالها الكثير من حالات الفساد، فالحكم الذي صدر عن المحكمة البلدية والحكم النهائي الذي صدر المحكمة العليا في المقاطعة، كانا خاطئين ومشكوكا في نزاهتهما. فغالبا ما كان تشن تشينغ تشيوان يتدخل في أمور العمل الخاصة برئيس المحكمة البلدية المتوسطة الذي كان مسؤولا عن القضية، وقد شوهد عدة مرات يدخل إلى منتجع قاو تشياو تشين السياحي، كما قال أن تساي قونغ قد سبق له واستخدم أسهم شركة دافنغ بشكل غير قانوني كضمان، كما كانت رسالة التفويض لتسجيل الضمانات في جمعية المساهمين الخاصة بالموظفين مزورة، وبالرغم من كل هذه الخروقات، كانت المحكمة المتوسطة تغض النظر وكأن شيئا لم يحدث، فكان هنالك قاضيان على اتفاق مع رئيس القضاة بحيث يتم تقاسم الأرباح فيما بينهم، كما كان لقاضي أنثى علاقة مشبوهة مع تشن تشينغ تشيوان، التي سمحت وبحسب تعليمات تشيوان لمجموعة شانشوي بأخذ حصة الأسهم التي كانت بالأصل ملكا لعمال مصنع دافنغ، مما زاد من الصراعات الاجتماعية داخل المدينة".

دخلت السكرتيرة لتصب لهم بعض الشاي. طلب منها ليانغ بينغ الخروج، وصب بنفسه الشاي في كأسه وكأس قاو يوليانغ ورش بعض العطر اللطيف في الغرفة ثم واصل حديثة قائلا: "كان تشن تشينغ تشيوان على دراية تامة بعملية تزوير الضمانات، ولكنه لم يحقق بالأمر على الإطلاق، وتجاهل الحكم تماما، وعوضا عن ذلك استمر بلعب الجولف والغناء في منتجع قاو شياو تشين متجاوزا قانون الرشاوي". مازال قاو يوليانغ لا يصدق ما يسمعه وقال: "أصدرت الحكومة المركزية أوامر متكررة وصارمة، ورغم ذلك فقد بقي تشن تشينغ تشيوان مصرا على الذهاب إلى منتجع شانشوي؟". استغل ليانغ بينغ الفرصة ليخبر يوليانغ عن تقرير وصله مؤخرا: "ذهب بشكل متواصل لممارسة الدعارة، حتى قبض عليه من قبل مكتب البلدية". كان قاو يوليانغ مذهولا كليا وقال: "ما الذي تقوله؟ قبض عليه بتهمة ممارسة الدعارة؟". لم يكن هوى ليانغ بينغ يريد أن يخفف من وتيرته الهجومية وقال: "وردني الآن اتصال من تشاو دونغلاي مدير مكتب الأمن العام في البلدية وأخبرني بهذه المعلومة صدفة بينما كنا نناقش أمور العمل".

نظر قاو يوليانغ إلى مياه البحيرة، وبدا غارقا في التفكير وقال: "للمحيط حقا تأثير كبير على الفرد، ففي بداية وجودي، عملت على إخضاعه وتذكيره باستمرار، أن هناك من على تشن تشينغ

تشيوان أن يخاف منه إلى حد ما. وعندما وصل إلى المحكمة البلدية الوسطى، وعندما أصبح قاضيا رئيسا ثم رئيس محكمة، تملكه شعور مختلف، خاصة عندما صار بإمكانه أن يطلق الأحكام في الحياة والموت والمال، إلى أن أصابه الغرور".

لم يتمكن معلمه من إخفاء رفضه ولم يكن مستعدا لمواصلة النقاش وقال: "بالنسبة إلى مسألة تشن تشينغ تشيوان، أستطيع تفهم ما قام به تشن يانشي عندما أبلغ عنه كمخبر. كما تم القبض عليه في السرير بتهمة الدعارة. هل هناك شيء آخر؟ عليك أن تقوم بالتحقيق في هذه القضية بغض النظر عن صفته كأمين. لكن المهم هنا. هل خرق القانون؟ إذا كان قد خرقه، فعاقبه وفقا للقانون".

فهم هوى تماما ما قاله قاو وقال: "حضرة الأمين قاو، سأنفذ تعليماتك".

نظر قاو يوليانغ إليه وقال: "اجلس، ودعنا لا نتحدث أكثر عن تشن تشينغ تشيوان. لنتحدث عنك. فقد كنت بالأصل بحاجة لمناقشة بعض الأمور معك. كانت الطريقة التي تعاملت بها مع قضية رشوة زوجة لي داكانغ مذهلة وخارقة". رد هوى بتواضع كبير: "أنت تبالغ كثيرا يا حضرة الأمين، لقد نفذت الإجراء القانوني فقط، وأي شخص عادي كان سيفعل الشيء نفسه". فأشار قاو إليه بإصبعه وقال: "ليس بالضرورة، فلو كان زميلك في المدرسة تونغ وي مكانك، لما كان ليوقف سيارة لي داكانغ، ناهيك عن طلبك من أويانغ جينغ الخروج من السيارة في حضرة لي داكانغ، وما زال تشي تونغ وي يأمل أن يصوت لي داكانغ له خلال اجتماع اللجنة الدائمة للحزب بالمقاطعة ويدعمه في الارتقاء بخطوة على السلم".

أجاب هوى ليانغ بينغ: "هذا صحيح. يمكن للمدير أن يقرأ الوضع بشكل أفضل مني". تنهد قاو يوليانغ وقال: "لكن لا أنكر أنه يملك ذات الروح الحزبية المتوفرة لديك، إلا أنه لا يمتلك نزاهتك". كان هوى سعيد وقال: "لقد شعرت بالأمر ذاته. شكرا لمديحك يا أستاذ".

ومع ذلك، غير قاو يوليانغ الموضوع وكشف عن شيء آخر. صارحه بأن تشي تونغ وي انتقد هوى ليانغ بينغ وألقى باللائمة عليه في اتهامه بإحباط نوع معين من التوازن السياسي والتفاهم الضمني، وهو ما قد يؤدي إلى هجوم مضاد من لي داكانغ ويعقد الوضع.

سأل هوى ليانغ بينغ: "ماذا يعني التفاهم الضمني السياسي؟ لماذا يمكن أن يعقّد الأمور؟". فردّ عليه قاو يوليانغ باستغراب: "هل حقا لا تفهم، أم أنك تتظاهر بالجهل؟".

في تلك اللحظة، رن هاتف هوى. كان المتصل تشي تونغ وي، وكان يريده منه أن يدفع كفالة من أجل الإفراج عن تشن تشينغ تشيوان.

كان تشي تونغ وي محتدا جدا على الهاتف، وقال: "هل تعلم أنك سببت الكثير من الفوضى؟ لقد ألقيت القبض على زوجة لي داكانغ دون اعتبار لأي شيء، حتى أن لي قاتل للانضمام إلى قسم السياسة والقانون لدينا. وفجأة الليلة، أطلقوا حملة اعتقال شرسة وداهموا الأمين تشن تشينغ تشيوان المحبب لمعلمنا. تظاهر هوى بالجهل وقال: "هل حدث هذا حقا؟ هل الأمر فعلا مرتبط بلي داكانغ؟". فقال تشي تونغ وي بشراسة: "من يجرؤ على القيام بعملية اعتقال همجية من منتجع شانشوي بدون أوامر من لي داكانغ؟ اتصل بي رئيس شركة منتجع شانشوي قاو وتوسل إلي لإخراج الرجل، لكني عاجز عن ذلك، وأنا لا أعرف أين يختبئ تشاو دونغلاي".

أجاب هوى ليانغ بينغ: "إذا لم تتمكن أنت من إخراجه، فلماذا تطلب ذلك مني؟". فردّ تونغ وي: "تحدثْ إلى معلمنا واطلب منه أن يدعو إلى هدنة مع لي داكانغ. لأنك الشخص الوحيد الآن المقرب من المعلم، حتى أنه قال لي أن أتعلم منك".

ألقى هوى نظرة سريعة على معلمه أمامه وقال: "ما الذي ستتعلمه مني؟ كنت أقول لمعلمنا أن لديك كفاءة عالية. وأنا من عليه أن يتعلم منك، أما بالنسبة إلى كفالة تشن تشينغ تشيوان، فيمكنك التحدث مباشرة مع معلمنا حول هذا الموضوع". أخذ قاو يوليانغ الهاتف وقال: "حضرة المدير تشي، امض قدما. قل ماذا يحدث؟". وبينما كان يستمع، أخذ وجه المعلم يرتسم بتعابير مروعة بالتدريج، وأصبح صوته صارما وقال: "لا تذكر هذا مرة أخرى، انس أنه كان أميني. فحتى لو كان تشن تشينغ تشيوان ابنا لي، فإنه لا يستطيع أن يخالف القانون وينتهك الانضباط على هذا النحو، لا أعتقد أن لي داكانغ أو تشاو دونغلاي سيجرؤان على وضع تشن تشينغ تشيوان دون أي دليل، وماذا عن منتجع شانشوي؟ هل هو فوق القانون؟ لا تتدخل في هذا الأمر بعد الآن يا تشي. إذا كان الأمر يستدعي احتجازه فاحتجزه. وإذا كان يجب تجريده من عضوية الحزب والمكتب العام، فافعل ذلك. فهو من جلب كل ذلك لنفسه...".

أنهى المكالمة، وأعطى الهاتف إلى هوى ليانغ بينغ. بدا إن قاو يوليانغ لا يزال غاضبا جدا، ومن الصعب جدا إخماد غضبه هذا. حينها كان القمر قد ارتفع مزينا السماء بضوئه الفضي الرائع، وكانت فروع أشجار الصفصاف متدلية على طول الشاطئ بأوراقها التي تطفو فوق سطح البحيرة.

كانت أضواء المباني المجاورة منعكسة فوق سطح البحيرة مشكلة لوحة رائعة الجمال مع كل تموج لمياهها، كما كان هنالك سفينة صغيرة تشق مياه البحيرة وأصوات ضحكات وأحاديث ركابها مسموع لمسافة بعيدة. وبعد تأمله لمنظر البحيرة الجميل لفترة من الوقت قال: "يا لهذا اليوم الجميل، ماذا أريد أكثر من كأس من الشاي اللذيذ مع هذا المنظر الرائع، إنني أعيش الحياة المثالية بفضل تلميذي". وبينما كان هوى ليانغ بينغ على وشك أن يقول شيئا، رفع يوليانغ يده مقاطعا وقال: "افعل كل ما تستطيع فعله دون أي تردد. وإن واجهت أية مقاومة أخبرني على الفور، وإياك أن تستمع لما يقوله تونغ وي أو أي أحد آخر. وتذكر جيدا يا ليانغ بينغ إن اسم محكمتنا هو محكمة الشعب، والأمن العام هو أمن عام الشعب، ولهذا يجب علينا أن نضع مصلحة الشعب في قلوبنا على الدوام". كان قلب هوى ليانغ بينغ ممتلئا بالحب والاحترام لمعلمه، ووقف من شدة حماسته قائلا: "كلامك مفهوم أيها الأستاذ".

30

لقد علم تشي تونغ وي أن ذلك لم ينته بعد، ففي تلك الأثناء، كان يجري طرد تشن تشينغ تشيوان من منصبه في الحزب ووضعه تحت الاعتقال الإداري، وكل ذلك كان مجرد بداية الكابوس، فكان عليه بذل قصارى جهده ليعيد الأمور إلى نصابها. فقد كان تشن تشينغ تشيوان من وجهة نظر تشي تونغ وي مجرد تضحية في صراع النضال السياسي، وأنه من الممكن الحفاظ على الوضع الراهن إذا كان معلمه مستعدا لبدء وقف إطلاق النار وعقد مصالحة مع لي داكانغ والتعويض له.

في صباح اليوم التالي، وعلى غير عادته، توجه تشي تونغ وي مبكرا إلى مكتبه بدلا من النادي الرياضي، وعندما حان وقت العمل، لم يكن معلمه قد أتى بعد. بدا ذلك غريبا كون معلمه كان دائما شخصا ملتزما. لا بد أن هناك خطب ما. وبين الحين والآخر، كان تشي تونغ وي ينظر إلى ساعة يده، بينما راحت تظهر اثنان من التجاعيد العميقة على جبهته الملساء اللامعة حيث كان يحيك حواجبه بعناية.

لقد ظهر تشن تشينغ تشيوان بحد ذاته نتيجة سلسلة من الأحداث. أما تشاو رويلونغ، وهو نجل تشاو ليتشون السكرتير السابق للجنة مقاطعة إيتش، فقد انتقل من بكين للوساطة، لقد كان في تلك الأثناء في مكتب لي داكانغ يجري محادثة معه، وفي حال تمكن تشي تونغ وي من إقناع البروفيسور بالتراجع قليلا، فلا بد له أن يصلي ويشكر السماوات مطولا.

كان سكرتير قاو يوليانغ قد نزل إلى القاعة وكان مندهشا للغاية لرؤية تشي تونغ وي وقال: "حضرة المدير تشي، ألم تعلم أن الأمين قاو مريض؟ لن يأتي اليوم". شكره تشي تونغ وي وغادر

مسرعا. وعندما وصل إلى منزل معلمه قاو يوليانغ، وجده مستلقيا على أريكته وخده الأيمن مغطى بقطعة قماش رطبة، وفي ذلك الوقت قالت وو هوفين: "كان معلمك يجلس على الشرفة لنصف الليل تقريبا وربما يكون قد أصيب بنزلة برد، ولم تساعده مسكنات الألم عندما كانت أسنانه تزعجه صباح اليوم". علم تشي تونغ وي على الفور أن معلمه يعاني من مرض مزمن، يظهر ذلك كألم في أسنانه عندما يعاني من القلق الشديد. لم يكن ألم الأسنان مرضا، لكنه كان مؤلما جدا، فحالما كان يصاب به، يتم الإعلان عن وفاته. بدا الأمر كما لو أن تشن تشينغ تشيوان لا يزال لديه مكان في قلب المعلم، وتساءل تشي تونغ وي في نفسه عن كيفية طرح الموضوع إلى أن أشار إليه قاو يوليانغ وقال بشكل غير مباشر: "فقط قل ما تريد أن تقوله يا تونغ وي، فإني قد عرفت أنك لن تدع الأمر يمر. لقد كنت بانتظارك". سعل تشي تونغ وي مرتين وقال مراوغا إنه لم يكن يريد أصلا أن يزعج معلمه، ولكن بعد التفكير قليلا، سيكون من الأسوأ فعلا ألا يزعجه. فقال له: "إن الهجوم المضاد للرجل قد أتى على شكل انتقام. كان من الصعب قراءة تعابير وجه قاو شياو تشين تحت القماش الذي يغطيه". ثم مالبث أن قال: "أي رجل؟ وأي هجوم مضاد؟". لا يزال تشي تونغ وي يرغب في إطلاق سراح تشن تشينغ تشيوان، وقال: "إنه كان قد تم اعتقاله في منتجع شانشوي بتهمة الدعارة. وكانا يدرسان وفقا لما صرحت به قاو شياو تشين لغة أجنبية سوية". فوبخه قاو يوليانغ بسبب لجوئه إلى السفسطة وقال: "هل ستجرؤ إحدى وحدات الأمن العام الشعبية في جينغتشو على اعتقال نائب رئيس القضاة لأنه كان يدرس اللغات الأجنبية في فندق؟ من سيصدق ذلك؟ هل أنت غبي؟". وبالطبع لم يكن تشي تونغ وي ليصدق ذلك. وبالتالي ما أراد المعلم التأكيد عليه هو أنه بدون دعم لي داكانغ، لم يكن لدى قسم الأمن العام الشعبي في جينغتشو الشجاعة لفعل ذلك، وأنه في الليلة التي اعتقل فيها تشن تشينغ تشيوان، اتخذ لي داكانغ قرارا خلال اجتماع اللجنة الدائمة، وأعلن أنه سيتم تجريد تشن تشينغ تشيوان من عضوية الحزب والمكتب الحكومي، وكان قد اتصل هاتفيا أثناء ذلك الاجتماع دون جدوى. ثم حملق قاو يوليانغ بوجه تشي تونغ وي للحظة وقال: "ما الذي يثبت ذلك؟". بعدها، لم يحاول تشي تونغ وي إخفاء الحقيقة وقال: "هذا يثبت أن كل ذلك كان متعمدا ومقصودا، إنه قاسي القلب ولا يترك أي مجال للتأويل". رمى قاو يوليانغ منشفته الرطبة جانبا، ونهض غاضبا، والتقط المواد من تقارير تشن يانشي، ولوّح بها في يده، ثم سأل تشي تونغ وي: "هل بإمكان لي داكانغ التواجد في نفس الرابطة مع تشن يانشي وهوي ليانغ بينغ؟". دهش تشي تونغ وي من ذلك بقي على إصراره وقال: "إن سبب هذه الكارثة في نهاية المطاف هو هوي ليانغ بينغ، فلو

لم يطاردهم إلى المطار وألقى القبض على زوجة لي داكانغ، لما واجهنا بهذا الهجوم المضاد". بعد ذلك وضع قاو يوليانغ مادة التقرير على الطاولة مستسلما لغضبه وقال: "لا يوجد دخان بلا نار، وتشن تشينغ تشيوان هو من أشعل النار. إنه كالبيضة الفاسدة". "تقصد أن تقول إنه لا ينبغي التعامل معه؟ ومن ناحية أخرى، أنت تخدعهم طوال الوقت ولم تكتشف هذه المشكلات. كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ ماذا تفكر بحق السماء؟ ماذا عن روح الحزب؟ ماذا عن المبادئ؟ هل عليك أن تتنحى عن منصبك كمدير إدارة الأمن العام؟". التمحت على وجه تشي تونغ وي نظرة من المرارة الخفية وقال: "في الوقت الراهن، يريد ذلك الرجل أن يجعلني أتنحى". غضب قاو يوليانغ سريعا، فطالبه قد فشل في الارتقاء إلى مستوى التوقعات. وقال: "هل عليك أن تتنحى؟. منذ يومين، جاءت زوجتك ليانغ لو إلى هنا مرة أخرى، كانت تشكو وتبكي، قالت إنك تتسكع طوال اليوم مع قاو شياو تشين حول منتجع شانشوي". فقد تشي تونغ وي أعصابه وقال: "إن كلامها فارغ، يا لها من عجوز منحرفة". فأجابه قاو يوليانغ ساخرا: "هل أصبحت ليانغ لو امرأة عجوزا الآن؟ ماذا عن ذلك الحين؟ في الكلية؟ من الذي ركع بصفاقة في باحة الرياضة وترجاها بشدة؟ لقد ركعت هناك لمدة طويلة من ذلك اليوم وشاهدك ذلك كل من في الكلية". لم يتوقف قاو يوليانغ رغم مشاهدته مقدار الحرج على وجه تلميذه وتابع قائلا: "وبما أننا في صلب الموضوع، أخبرني الحقيقة. هل تجني ثروة من مجموعة شانشوي؟". أنكر تشي تونغ وي ذلك بشكل قاطع وقال: "ما هذا الذي تتحدث عنه؟ ليس لدي الشجاعة لفعل ذلك".

بدا تشي تونغ وي أنه يخفي شيئا، كان يرتشف بعض الشاي، ثم يضع فنجانه جانبا. ثم قال: "حسنا، لن أحاول الالتفاف على الموضوع بحضورك يا معلم، ليس لدي أي تعاملات تجارية مع قاو شياو تشين، ولكن ابن سكرتيرنا القديم تشاو جونيور كان يعمل مع قاو شياو تشين طوال الوقت. يملك تشاو جونيور أسهم كثيرة في مجموعة شانشوي. الليلة الماضية، جاء تشاو جونيور من بكين وأخبرني أن أسلم رسالة إليك، يريد ترتيب موعد للقائك وقال إن السكرتير القديم تشاو ليتشون يرسل تحياته". تفاجأ قاو يوليانغ وقال: "عاد تشاو جونيور مرة أخرى؟ كيف لا يزال لا يشعر بالاعتدال؟".

وفي تلك اللحظة، دخلت وو هوفين، وبدّلت منشفة زوجها بواحدة أبرد. ثم أخذ قاو يوليانغ يضغط بها على وجهه وقال متمتما: "كيف يمكن أن يكون وجع الأسنان هذا من نزلة برد؟ لا شك أن عدم تقديركم للشيء الجيد هو أمر مزعج، أتمنى أن توفروا عليّ بعض المشاكل".

عندها قال تشي تونغ وي بجدية، أنه عرف أن معلمه شخص ذو مبادئ، وأنه لم يكن ينوي التعامل مع تشاو جونيور صاحب السمعة السيئة، لذا لم يتجرأ أن يخبر معلمه عن معظم شؤون وأعمال عائلة تشاو جونيور. لقد عارض بعض الأشياء باسم معلمه، ووافق على أشياء أخرى باسم معلمه أيضا. في الليلة الماضية وبسبب حالة تشن تشينغ تشيوان، جاء تشاو رويلونغ من بكين وطلب منه أن يتواصل مع لي داكانغ، ولم يستطع رفض ذلك.

اتسعت عينا قاو يوليانغ وقال: "حسنا، ماهي النتيجة؟ لقد جعلت من نفسك فرجة للجميع". عندها حنى تشي تونغ وي رأسه وقال: "أعترف أني جعلت من نفسي أضحوكة، لذلك، أريد أن نعقد هدنة، لا يجب أن يكون كلا الطرفين على خلاف بهذا الشكل، حاول أن تحضر جي تشانغ مينغ معك أيضا، وحاول قدر المستطاع أن تحصل على نتيجة أفضل لزوجة لي داكانغ السابقة أويانغ جينغ". لم يعجب هذا الكلام قاو يوليانغ وصرخ قائلا: "أتعتقد حقا أني قادر أن أعطي أمرا لجي تشانغ مينغ أو للنيابة؟ هل تعتقد حقا أني كنائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية، أستطيع أن أحجب السماء بيد واحدة؟ أنت لا تفهم شيئا".

فرد عليه تشي تونغ وي بقليل من الجدية وقال: "حسنا، ماذا عن تلميذك هوي ليانغ بينغ، بالتأكيد يمكنك أن تطلب منه، أليس كذلك؟". فردّ عليه قاو يوليانغ بازدراء: "هل تعتقد أنه سيكون مثلك؟".

غادر تشي تونغ وي متألما، بينما كان ألم أسنان معلمه قد زال تقريبا. رمى قاو يوليانغ المنشفة أرضا، ونهض عن أريكته، ثم غرق في أفكاره للحظة، وأثناء ذلك كانت وو هوفين قد عادت بعد رؤيتها لتشي تونغ وي. وسألها: "هل سمعت كل شيء يا أستاذة وو؟". فأجابته: "نعم، سمعت كل شيء، يستطيع تشاو رويلونغ التلاعب بمدير إدارة الأمن العام بهذه الطريقة، لم أسمع بأمر كهذا من قبل، أعتقد أنهم ملأوا جيوبهم جيدا من مؤسسة شانشوي، عليك أن تكون أكثر حذرا". رد عليها قاو يوليانغ ساخرا: "هذا صحيح، إن تشاو رويلونغ لديه والد جيد، وكل ما يفعله في هذه الأيام يعتمد على نفوذ والده". تنهدت وو وقالت: "إنني قلقة من أن يسبب لوالده المتاعب في يوم من الأيام". فأجابها قاو يوليانغ: "ربما قد تسبب له بالكثير من المشاكل منذ الآن، فإنني سمعت بعض الناس يقولون إن فريق التقصي والتفتيش للحكومة المركزية آت". فردت عليه وو قائلة: "أليس هذا

من صلاحيات الفريق الحكومي؟". هز قاو يوليانغ رأسه وقال: "أهذا طبيعي؟". ولم يقل شيئا بعدها وذهب ليمشي في فناء المنزل إلى أن وقف أمام حزمة من أزهار الفاوانيا.

تم إرسال شا روجين أمين سر لجنة الحزب بمقاطعة إتش، وتيان جوفو أمين لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة من قبل الحكومة المركزية. وهذا يدل على أنهم يدرسون الموضوع بتأن، وإن كان شاو رويلونغ قد وقع في مشكلة حقيقية في جينغتشو، فلن يكون قادرا على الفرار وتوريط شخص ما، كما كان يفعل مع لي داكانغ ويتركه لتلقي العواقب. لقد كان تشاو جونيور الطفل المدلل الوحيد لزعيمه القديم، وكان لي داكانغ الرفيق النائم على الدوام. متى دافع لي داكانغ عن شيء لأحد ما؟ لقد أخذت زوجته أويانغ جينغ أمام عينيه من قبل هوى ليانغ بينغ ولم يحرك ساكنا. وأتذكر عندما كان هو ولي داكانغ في الفريق ذاته، كان تشاو رويلونغ يتوسع في لوتشو وأراد أن يفتتح مطعما راقيا، ولكن لي داكانغ استخدم كل الوسائل والأعذار ليحول دون الموافقة له على هذا المركز، وبعد فترة من الزمن، وضع لي داكانغ المشكلة أمامه، مما جعله في موقف لا يستطيع تداركه، والآن كل ما تبقى هو كم هائل من المشاكل بينهما.

أمسك معولا، ومن ثم نظر إلى الفاوانيا الذابلة، ثم تساءل بينه وبين نفسه عن سبب مجيء تشاو رويلونغ في هذا الوقت. وإذا كان قادما من أجل موضوع هدم المطعم في لوتشو. وعندما عاد إلى لوتشو سمع من أمين لجنة الحزب البلدي في الوزارة، أنهم قد قاموا فعلا بهدم المطعم الخاص بتشاو رويلونغ هذه المرة، ذلك العجوز يي زوشي الذي كان يعمل على مستوى القسم، ولم يحصل على ترقيه، ولم يكن يريد ترقية بالأصل، كان سيرفع يده معترضا ضد عائلة تشاو، وبعدما حصل ما حصل، كان قاو يوليانغ هو الشخص الذي أعطى الموافقة لتشاو جونيور ليبني المطعم في ذلك الوقت.

والآن وبعدما أصبحت الأمور في حالة من الفوضى العارمة، كان حقا قد جعل من نفسه أضحوكة أمام الناس وكشف نفسه، وعلاوة على ذلك ذهب شا روجين أمين سر لجنة الحزب في المقاطعة إتش وتيان جوفو أمين لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة ذاتها، إلى لوتشو ليقوما بعملية التفتيش، هل من الممكن أن يكون مركز عائلة تشاو للطعام الفاخر هو أحد أهدافهم؟

أخذ قاو يوليانغ المعول بيده وبدأ بحفر الفاوانيا. كان ذلك في أواخر فصل الخريف، وكانت الزهور قد ذبلت منذ فترة طويلة، كل البتلات ماتت وسقطت على الأرض، ولم يبق منها سوى

سيقانها الذابلة، وفي الربيع عندما أعادهم أحد أصدقائهم من هيزه، ليوصلهم إليه، كانوا قد جمعوا محصولا رائعا من الأزهار الجميلة، لقد كانت وو هوفين تشاهد ذلك من النافذة وهرعت إلى زوجها وقالت له: "لماذا تقوم بحفر هذه الفاوانيا؟" فأجابها قاو يوليانغ: "أريد أن أغير أسلوب حياتي قليلا، لا أريد أن أزرع الأزهار بعد الآن". فسألته زوجته: "إذا ماذا سوف تزرع؟". فأجاب: "لم أقرر بعد، إن الشتاء قادم ولدي الوقت الكافي لأفكر في الموضوع".

عندما قال ذلك، تأجج ألم أسنانه مرة أخرى إلا أن ذلك لم يمنع تشي تونغ وي من المتابعة وبوتيرة أشد، إلى أن عاد قاو يوليانغ إلى الداخل واستلقى على الأريكة، ممسكا بخده وأخذ يئنّ دون توقف. ثم سارعت وو هوفين لاستبدال المنشفة بأخرى باردة وضغط على وجهه، وبدا قاو يوليانغ قلقا ومتذمرا وقال: "هذه الفوضى العارمة، إنها صعبة هل فهمت الآن يا أستاذة وو لماذا وقفت على الشرفة لمدة نصف ليلة البارحة؟". أجابت وو هوفين: "نعم، هذا ليس ألم أسنان، بل إنه قلق حاد".

في أواخر الخريف، وعلى متن قارب صغير، قام أمين سر لجنة الحزب بالمقاطعة إيتش شا روجين وسكرتير لجنة التفتيش التأديبي تيان جوفو بتفتيش المنطقة الإدارية للبحيرة برفقة يي زوشي.

وصل الموظفان دون أي ضجة، وبدون تنسيق مع لجنة الحزب البلدي في مدينة ليوتشو، وتوجهوا إلى البحيرة مباشرة بحثا عن سكرتير لجنة الحزب في المقاطعة يي زوشي. فوجئت المدينة بذلك وكان يي زوشي مضطربا. كانت إدارة منطقة البحيرة تابعة لسكرتير لجنة الحزب الإقليمية السابق تشاو ليتشون، وهو الآن أحد قادة الحزب والدولة، فماذا يعني قدوم شا روجين وتيان جوفو في هذا الوقت؟

لا شك أن البحيرة كانت معلما سياحيا هاما ليس فقط بالنسبة إلى لوتشو وإنما لمقاطعة إتش بأكملها، كانت ذات منظر خلاب ومعروفة على نطاق واسع بجمالها. لكن في السنوات القليلة الماضية وبسبب التلوث، تحولت إلى نقطة انتقاد هامة للمسؤولين المحليين، حيث كانت العديد من المطاعم والمصانع والمباني السكنية على طول حافة البحيرة تلقي بمياهها الملوثة في البحيرة إلى أن تحولت إلى مستنقع قذر. في هذه المرة، كان سكرتير لجنة الحزب المحلي المعين حديثا يي تشوتشي، يبذل جهودا كبيرة لترتيب الأمور، حيث تم هدم مائة وثمانين مطعما على الشاطئ الغربي أدت إلى نشوب العديد من النزاعات، حتى أن يي تشوتشي تعرض شخصيا للضرب من قبل

المحتشدين. لكن بعض المطاعم لم يكن من الممكن هدمها، وأشار يي تشوتشي إلى المشهد على طول الشاطئ وشرح الوضع: "على سبيل المثال، مركز ليك فرونت للطعام الفاخر". أبعد شا روجين منظاره عن عينيه ونظر إلى يي تشوتشي وقال: "كيف لا يمكنك هدمه وهو يملك هذه الأنابيب الضخمة التي تصب في البحيرة؟". تنهد يي تشوتشي ووضح وجهة نظره بقوله: "كيف يمكن أن يكون صرح تشاو جونيور الكبير هذا سهل التفكيك؟". فأجاب شا روجين بشكل غير واضح تماما عما إذا كان ينم عن جهل أو تظاهرا به وقال: "أي تشاو جونيور؟". فرد عليه جوفو بكل صراحة وقال: "من قد يكون تشاو جونيو؟ إنه تشاو رويلونغ ابن تشاو ليتشون.

حتى ذلك الحين لم يكن يي تشوتشي صريحا إلى أن قال: "يا سيد شا، كان تشاو ليتشون السكرتير السابق للجنة الحزب في المقاطعة. من يستطيع تحمل غضب ابنه؟ انظر إلى مدى ضخامة مطعم عائلتهم الفاخر. إن حجم التلوث الذي ينتجه لا يقل عن عشرة مطاعم صغيرة كيف يمكن للناس ألا يتذمروا عندما ندمر المطاعم الصغيرة بسرعة وسهولة ولا نفعل الشيء ذاته مع المطاعم الفاخرة لكبار الشخصيات مثل تشاو رويلونغ؟ إني لا أجرؤ على لوم الناس على الرغم من مهاجمتهم لي، فلم نقم لا أنا ولا الحكومة بعملنا بشكل جيد".

اصفر وجه شا حينها وقال: "لم يكن الأمر سهلا أبدا أيها الرفيق يي تشوتشي". فرد تيان جوفو قائلا: "بغض النظر عن مدى صعوبة الأمر، كان لا يزال يتعين عليه القيام بذلك. لقد قدّم يي السابق تصريحا للشعب على شاشة التلفاز وتعهد بهدم المطعم وفقا للقانون وأنه سيقدم استقالته كأمين سر لجنة الحزب بالمقاطعة في حال لم يتمكن من ذلك.

ألقى شا روجين نظرة خاطفة على تيان جوفو وقال: "كيف يمكنك معرفة كل شيء يا جوفو؟". فرد عليه: "هذا طبيعي، فلو لم أكن على علم، ما تجرأت على إحضار سكرتير لجنة الحزب الإقليمية هنا للتفتيش؟". وعندئذ فقط، أدرك يي تشوتشي أن لجنة التفتيش التأديبي لعبت دورا في هذه الجولة. فاستغل هذه الفرصة الذهبية وسلّم سكرتير لجنة الحزب الإقليمية تقريرا جاء فيه: "إن عملية هدم المطعم جوبهت بكثير من المقاومة وجلبت العديد من المشاكل، ولو لم يكن هذا المطعم الفاخر عائقا، لتم تسوية قضية هذه البحيرة منذ وقت طويل. ولكن بسبب الابن العظيم لعائلة تشاو، اختفت هيبة الحزب والحكومة وتوقعات الشعب لذلك، ولإزالة هذه العقبة الهائلة، سارعت

بالتوجه إلى جينغتشو، وأبلغت لجنة التفتيش التأديبية والسكرتير تيان جوفو بهذه القضية. وعزمت على فضح هذه الشخصيات الكبيرة والتي كانت تعرقل سير الأمور وتتوسل العفو...".

توجه الجميع في تلك الأثناء تدريجيا نحو مبنى مجاور للبحيرة كان شا روجين قد أعلم به سابقا وقال: "وماذا عن هذا؟ من يقدر على بناء هذا الامتداد الضخم من المباني التجارية على شواطئ البحيرة؟". فأجاب يي تشوتشي بفتور: "ومن غيرهم، عائلة تشاو القديمة ثانية وهذه حدائق ليكسايد المشهورة في لوتشو التي تقدر مساحتها بثمانمائة ألف متر مربع، لقد جنى تشاو رويلونغ حوالي مليار يوان منها، لذا فإن جميع الكوادر والجماهير في لوتشو يقولون إن عائلة تشاو، بل تشاو رويلونغ على وجه التحديد، قد أصبحت من أغنياء مدينة لوتشو من خلال هذه البحيرة".

تنهد تيان جوفو وقال: "إن ابن عائلة تشاو مثير للإعجاب، فقد كانت هذه الحدائق أول وعاء ذهب لديه، وذاك المطعم الفاخر كان شجرة أمواله". وسرعان ما سأل شا عن ذلك قائلا: "متى حدث كل هذا؟ هل كان تشاو ليشون أمين لجنة الحزب الإقليمية؟". أجابه تيان جوفو: "في ذلك الوقت كان تشاو ليتشون بالفعل محافظا لمدة ثماني سنوات، وأصبح الآن أمين لجنة الحزب في المقاطعة". فردّ عندها يي تشوتشي قائلا: "صحيح، كان قاو يوليانغ وقتها أمين لوتشو وكان لي داكانغ العمدة".

نظر شا روجين إلى يي تشوتشي بانتباه وقال: "هل تقصد أن لي داكانغ وافق على حدائق ليكسايد ومطعم ليك فرونت لصالح ابن العائلة تشاو؟". أجاب يي تشوتشي: "في الواقع، قاو يوليانغ هو من وافق على ذلك، حتى قبل أن يتم نقل لي داكانغ". تعجب شا روجين من ذلك وقال: "ألم يكن لي داكانغ هو سكرتير الرئيس تشاو ليتشون؟ لماذا لم يوافق له عليها؟". فقال يي تشوتشي: "دائما ما تختلف الخيارات في هذه الحالة، إن القصة الحقيقية لا تزال مخفية".

نظر شا روجين إلى سطح البحيرة وبدأ الحديث مع تيان جوفو مرة أخرى وقال له: "ألا تعتقد أن هذا الأمر مثير للاهتمام؟ كان لي داكانغ هو العمدة وسكرتير تشاو ليشون في نفس الوقت، ولكنه لم يوافق على الحدائق والمطعم، بل كان الرفيق يوليانغ هو من وافق عليها لصالح ابن تشاو. ألا تجد ذلك غريبا؟".

قال تيان جوفو: "إن الرفيق روجين مثير للاهتمام فعلا، ووفقا لفهمي لمجريات التحقيق حتى الآن، كان ذلك عندما بدأت عملية أمين لجنة الحزب البلدي في لوتشو للدخول إلى اللجنة الدائمة

تتحول إلى اتفاقية، وذلك بعد أن دخل الرفيق قاو يوليانغ إلى اللجنة الدائمة في لوتشو، وأصبح سكرتير لجنة الشؤون السياسية والقانونية ونائب أمين لجنة الحزب الإقليمية". كان تيان جوفو عاجزا عن الكلام، وحاول أن يغير الموضوع على الفور.

لقد كان على علم أن يي زوشي ولي داكانغ في الفريق ذاته في ذلك الحين، وسأل: "أيها الرفيق زوشي ألم تكن أنت قائد فريق لي داكانغ؟ أخبرنا عن تقييمك له خلال تلك الفترة". فكّر يي زوشي مليا وشعر ببعض الارتباك ومن ثم قال: "لقد تمتع لي داكانغ بشخصية رائدة وروح معنوية عالية بالإضافة إلى أنه كان مكرسا لعمله، كما اتسم بمرونته، وعندما كنا نعمل في الفريق ذاته، وعلى الرغم من كوني سكرتير لجنة الحزب في المقاطعة، كان هو قاضيا وكنت أطيع أوامره على الدوام". فسأل شا روجين: "هل كان ذلك لأن لي داكانغ كان سكرتير تشاو ليتشون، وكان يملك نفوذا وصلاحيات سياسية كبيرة؟". أرجوك أن تكون صريحا وتخبرنا الحقيقة، فكّر يي زوشي بالموضوع وقرر أن يعترف ببعض الأمور: "حسنا لقد كان هذا أحد الأسباب، ولكن في ذلك الوقت لم يكن يسمى ذلك بالنفوذ السياسي، يمكنك أن تسميه دعما من أشخاص يملكون نفوذا معينا، ولكن الأمر ليس كذلك فقط، ففي حقيقة الأمر أنني أحب لي داكانغ جدا، إنه شخص يحب مساعدة الآخرين، فبمجرد توليه لمنصبه، عمل على الفور على ربط القرى والبلدات الرئيسية بمركز المقاطعة بواسطة شبكة من الطرقات الحديثة. لقد كنت أخشى أن تكون تكاليف البناء كبيرة، وأن تخلق مشكلات للمواطنين لذلك لم أوافق على رفع تكاليف البناء، وكان يقول لي على الدوام أن الموارد الطبيعية قليلة في المقاطعة، يمكننا أن نتستر على الموضوع لعامين أو أكثر، ولكن هل تعتقد أن ضميرنا سيكون مرتاحا؟ فمهما كانت الأمور خطيرة، كان علينا أن نتحمل المسؤولية بشكل كامل، حتى لو كان الأمر يستدعي أن نضع حياتنا على المحك". ضحك شا روجين وقال: "حسنا، لقد أقنعك لي داكانغ في نهاية الأمر؟". أجاب يي زوشي: "نعم فقد كان لي داكانغ شخصا باردا، وقليل الكلام، فلم أكن أراه يتكلم بحماس سوى عندما يذكر أحد ما موضوعا يخص العمل. وكان يمازحني على الدوام قائلا: أيها العجوز يي، حتى لو كان علي أن أضع البندقية في رأسك سأجعلك تحمل الراية وتقود الهجوم على معقل الجبل".

أجاب شا روجين: "لقد سمعت عن الذي حدث بعد ذلك، هل نتج عنه موت أحد ما؟". قال يي زوشي: "نعم، لقد حدث هذا الأمر خلال المرحلة الثانية من تنفيذ المشروع، فلم يدعى وانغ دالو، نائب قاضي المقاطعة الذي كان مسؤولا عن الموضوع ولا أنا عندما حدث الأمر. لا يمكننا أن

نستنزف الموارد المالية للناس، فعلينا أن نتريث قليلا، لم يستمع لي داكانغ وقرر أن يشق طريقة إلى الجبال مستقلا سيارة الجيب الوحيدة في المقاطعة، ليشرف على مجرى العمليات بنفسه". فسأل شا روجين مذهولا: "يا إلهي، كيف لا يوجد سوى سيارة جيب واحدة في كل المقاطعة؟". قال يي زوشي: "لقد كانت مقاطعة فقيرة، وكانت سيارة الجيب هذه مخصصة لقاضي المقاطعة لي داكانغ. أما أنا وباقي الرفقاء كنا نقود الدرجات الهوائية". فتساءل شا روجين: "ألم يكن لي داكانغ على علم بمبادئ المنظمة الأساسية؟ من كان المسؤول الأول في تلك الفترة؟". خلال الحديث أراد تيان جوفو أن يضيف شيئا ما إلى الحديث قائلا: "أيها الرفيق روجين، وفقا للمعلومات والبيانات التي أتتنا، أعتقد أن لي داكانغ هو من كان مسيطرا في تلك الفترة، وطالما أنه هو القاضي الأول في المقاطعة، سيكون هو السلطة الأعلى فيها نظر شا روجين إلى جوفو وقال بنبرة جدية: "وماذا إن أصبح هو الحاكم، أيصبح من المفترض أن أستمع لكل ما يقوله لي؟". رد علية تيان جوفو: "أما زال يسعى لأن يصبح حاكما؟ بغض النظر كيف ترى الموضوع من وجهة نظرك، هنالك مشكلة ما مع زوجته". وعلى الفور قام شا روجين بتصحيحه قائلا: "طليقته، إن أويانغ جينغ هي طليقته". لقد مر الزورق من تحت جسر فايف بافليون بريدج، ووقف عند الرصيف رقم اثنان، ونزل منه ثلاثة رجال إلى الشاطئ. وبينما كانوا يشربون الشاي على ضفاف الشاطئ، قال تيان جوفو ليي زوشي: "أيها العجوز يي، أخبرنا أنا والرفيق شا الحقيقة. لماذا كنت مصرا على حماية لي داكانغ بعد ذلك الحادث المميت؟. هذا صحيح أيها الوزير يي كيف وصلت إلى المستوى الرفيع؟، إن الأمر هو كالتالي، إن لم تقم بحماية قاضي البلاد ذو النفوذ الكبير فسوف تفوز". ضحك يي زوشي وأجاب قائلا: "حسنا كان علي أن أتعامل مع الموضوع بمرونة كبيرة، فلم تكن طرق المقاطعة جاهزة بعد. ولم يكن باستطاعة أحد سوى لي داكانغ أن يكمل تجهيز هذه الطرق، فقد كان مستشار تشاو ليتشون، وهو الوحيد القادر على الذهاب إلى المقاطعة وإحضار المال. فكان باستطاعته بالتأكيد أن يحصل على قرض. وكان لديه حلول أخرى بالتأكيد، لذلك طلبت منه أن يقوم ببناء الطرق". فهم شا روجين الأمر. "حسنا أنت تحملت المسؤولية نيابة عن لي داكانغ؟". قال يي زوشي: "لم أفعل ذلك من أجل لي داكانغ لقد فعلت ذلك من أجل أهالي المقاطعة، وذلك بحمايتي للي داكانغ، وبقائه على رأس عمله، وتحملي للمسؤولية كاملة، لقد خسرت فعلا، ولكن أهالي المقاطعة ربحوا. شعر شا روجين بالذهول وقال: "هذا رائع فعلا، لقد كان أهالي جين شان محظوظين فعلا لأنهم يملكون كادرا من أمثالك، لقد قدمت منفعة كبيرة للأهالي بتضحيتك هذه". شعر يي زوشي بالخجل وقال: "إذا أردت

التحدث عن التضحية فلم أكن أنا الشخص الوحيد الذي قدم تضحية، لقد تلقيت تحذيرا بالنقل إلى محافظة أخرى لأصبح قاضيا، ولكن على الأقل كنت سأحافظ على موقعي كموظف حكومي. ولكن القاضي وانغ دالو أجبر على تحمل المسؤولية ووضع كامل اللوم على نفسه، ومن ثم قدم استقالته. قمت أنا ولي داكانغ بإعطائه بعض المال ليستطيع أن يتابع حياته ويفتتح عملا خاصا به". قال شا روجين: "لقد قدمت له المساعدة بالرغم من أنك تملك القليل جدا من المال. هذا ليس شيئا جيدا. كم من المال قمت بإعطائه أنت ولي داكانغ في ذلك الوقت؟ كيف أعتبر تيان جوفو الموضوع حينها؟ هل قمت بإقراضه هذا المال أم كنت تعتبره استثمارا؟". قال يي زوشي: "لم نفكر بهذا الموضوع مطلقا، لقد قمنا بإعطائه المال لأنه كان بحاجة إليه، هذا هو الأمر".

31

"في ذلك الوقت، كان الجميع فقراء. ولم يترك وانغ دالو مكانا إلا وذهب إليه لاقتراض المال لتجميع مبلغ خمسين ألف يوان، بينما قمت أنا وداكانغ بتجميع خمسين ألف يوان لكل واحد منا. وهل كانت نتيجة ذلك هي إنشاء مجموعة دالو؟". سأل شا روجين.

فأجاب يي زوشي: "هذا صحيح، لقد كان ذلك لصالح وانغ دالو الذي عرف تماما كيف يدير تجارته". فردّ شا على يي زوشي قائلا: "يتحدث الناس عنك وعن لي داكانغ كثيرا هذه الأيام، يقولون إنكما بنيتما ثروة لا بأس بها معه".

قال يي زوشي: "هذا هراء وانغ دالو شخص وجداني ويعرف كيف يكون ممتنا. لقد طلب بالفعل من زوجتي وزوجة لي داكانغ، أويانغ جينغ التوقيع على عقد استثماري إضافي، وقال إنه سيعطي كل واحد من عائلاتنا خمسة وعشرين في المائة من أسهم الشركة، لكنني ولي داكانغ رفضنا بكل لطف". قال تيان جوفو: "أيها العجوز يي، لقد رفضت ذلك أنت، ولكن هل رفض لي داكانغ أو زوجته ذلك حقا؟ ألم تكن أويانغ جينغ قد قبلت ب فيلا من وانغ دالو؟". قال يي زوشي: "إنها تستخدمها فقط، لكن ملكيتها لا تزال تعود إلى وانغ دالو، كما دعا وانغ دالو عائلتي للعيش هناك، لكني رفضت ذلك. وعلاوة على ذلك، فإن لي داكانغ هو لي داكانغ، وأويانغ جينغ هي أويانغ جينغ. ليسا ببساطة شخصا واحدا. كان زواجهما بحد ذاته خطأ".

غير شا روجين الموضوع وقال: "لماذا لم تعمل يا يي زوشي مع لي داكانغ؟ فقد كانت الأمور تسير لصالحه في تلك الفترة، وأصبح عضوا في اللجنة الدائمة لحزب المقاطعة. ألم تكن لتتقدم بشكل أسرع لو عملت معه؟".

استنكر العجوز ذلك وقال ملوحا بيده: "أنا؟ أعمل معه؟ سيكون الأمر مزعجا لكلينا. أصبح شا في حيرة من أمره" وقال: "كيف ذلك؟ لقد قمت أنت ووانغ بمساعدته للخروج من ورطته كان ذلك واجبا رسميا". أجاب يي زوشي.

وقف شا روجين مكتوف الأيدي ناظرا إليه وقال: "حسنا، لا أحد منكما لديه علاقة شخصية معه؟". هز يي زوشي رأسه وقال: "علاقة شخصية؟ لي داكانغ متمرس في أمور العمل، لكنه لا يعرف كيف يعيش الحياة، إنه لا يعرف حتى كيف يلعب البوكر. ويزعج الكثير من الناس بسبب عمله الكثيف. ودائما ما يخضع للحراسة، ويخاف من أن يحتشد الناس حوله. كما أنه قاس بشكل خاص على الأشخاص المقربين منه وعلى معارفه، لذا فهو شخص وحيد للغاية.

تنهد شا وقال: "أفهم ذلك جيدا. لا عجب أن زوجته أرادت أن تطلقه". بعد أن قال ذلك نهض ومشى مبتعدا وقال: "حسنا، لننتقل إلى البند التالي: إلقاء نظرة حول مقر الأمين يي العجوز".

في كل مرة يتم فيها مناقشة هذا الموضوع، كان يي زوشي ينصدم، حيث قال: "لماذا يا حضرة الأمين شا؟ أنا لست جاهزا يا حضرة الأمين تيان". فرد تيان جوفو مع ابتسامة: "لو كنت مستعدا، ما كنا لنذهب..".

عاش يي زوشي في شقة بسيطة بدائية مؤلفة من غرفتين، وكانت خريطة إدارية لبحيرة الهلال معلقة على أحد جدران غرفة المعيشة. تفاجأ شا روجين وتيان جوفو عندما سارا باتجاه الباب وشاهدا الخريطة الإدارية التي كانت تغطي الجدار تماما. "يا للهول هل هذا منزل أو مكتب؟". سأل شا روجين. أجاب يي: "إنه منزل بالطبع. منزل يحتاج للإصلاح، مساحته ثمانين مترا مربعا كما هو الحال في جميع المنازل الخاصة بمستوى الشعبة".

قال شا روجين: "إن ما قصدته هو تلك الخريطة، كيف انتهى بها الأمر في منزلك؟".

فأوضح يي زوشي بالقول: "حضرة الأمين شا، عادة ما أقوم بتعليق جميع الخرائط التي أعمل عليها. إذا فكرت في شيء ما، يمكنني وضع علامة على الخريطة متى أردت. انظر، هذا هو الشاطئ الشرقي للبحيرة الذي يخضع حاليا للتجديد. هذا هو المكان الذي يقع فيه مطعم تشاو رويلونغ للمأكولات الفاخرة...".

ناظرا إلى الخريطة المليئة بالدبابيس الحمراء والخضراء، كان شا روجين متأثرا جدا. فعقل هذا الرفيق لعمله وقلبه لبلده قال: "ماذا عن الخرائط التي استخدمتها من قبل؟ أخرجها لنا لنراها". تردد يي للحظة ثم أحضر سبع أو ثماني خرائط لمناطق وبلدات المقاطعة إيتش من تحت السرير الكبير في الغرفة الداخلية. كانت الخرائط ممزقة ومغطاة بالغبار، واستخدم يي زوشي قطعة قماش لمسحها، ثم فردها أمام شا روجين وسأل: "حضرة الأمين شا، ما المثير في هذه الخرائط القديمة؟". نظر إليها شا روجين واحدة تلو الأخرى، وقال: "لماذا لا تكون مثيرة للاهتمام؟ أستطيع أن أرى في هذه الخرائط سنوات عملك، أرى شخصية قوية في هذه الموجة من الإصلاح. لقد كان الأمر صعبا".

ضحك يي زوشي وقال: "ألا ينطبق هذا على الجميع؟ من المؤكد أننا لا نستطيع أن ندع الناس يطعموننا ويكسوننا عبثا". أجاب شا روجين: "هذا صحيح، نحن موظفون حكوميون ونقوم بخدمة الناس. لا يمكننا أن ندع الناس يطعموننا ويكسوننا عبثا. لكن بعض كوادرنا تفشل في فهم أبسط هذه المبادئ. ولا يقتصر الأمر على خدمة الناس لهم فحسب، بل هم أيضا يضرون بالناس". فقال تيان جوفو: "بالضبط، مثل مطعم ليكفرونت الراقي الذي يضر بالناس. كيف تمت الموافقة عليه هكذا بكل بساطة؟".

قال شا روجين لتيان جوفو: "يجب علينا الوصول إلى لبّ قضية المطعم الراقي. وإذا كانت المسألة هي مسألة وعي، فارفع مستوى الوعي. وإذا كانت مشكلة أخرى، فكن حازما في حلها". فسأله تيان جوفو: "هل ينبغي عليك يا رفيق روجين أن تخطو إلى الأمام وتتواصل مع الرفيق تشاو لينتشون؟". فأجاب روجين: "لا داعي لذلك، فقد تواصل معه الرفيق يي زوشي للتّو، تعامل مع الموضوع فقط وفقا للقانون، وإذا كانت هناك مشكلة، فابحث عن لجنة الحزب الإقليمية". تأثر يي زوشي بهذا الكلام وقال: "حضرة الأمين شا، شكرا لك وللجنة الحزب الإقليمية على دعمكم لعملي". قبض شا على يد يي زوشي وقال: "كلا يا يي، نحن من علينا أن نشكرك خمسة وعشرون عاما قضيتها كرئيس قسم، وبغض النظر عن الوظيفة التي شاركت بها، فقد عملت بجد ولم تتأثر بالنقد". لقد أثرت اعجابنا أنا والأمين تيان بشدة أما الآن، أيها الرفيق يي، فلدي طلب، وكنت أتساءل إذا كنت قادرا عليه؟".

تفاجأ يي زوشي للمرة الثانية وقال: "تفضل يا حضرة الأمين، سأنفذه بالتأكيد إن كان بإمكاني ذلك". فأشار شا روجين إلى الخرائط الموضوعة أمامه وقال: "أريد الحصول على هذه الخرائط منك كهدية".

ضحك يي وقال: "هذه كانت في الأصل ممتلكات عامة، بإمكانك أن تأخذها معك". أجاب شا: "حسنا، سنأخذها ونضعها في مركز معرض النجاح في الإصلاح. دع الكوادر والجماهير يرون كيف يعمل كادرنا هذا على مستوى الشعبة، وما يفكر فيه ليل نهار".

في تلك الليلة، وفي طريق عودتهم إلى جينغتشو، كان خبر نقل شا روجين قد أصبح شبه مؤكد، وطلب حينها من تيان جوفو أن يكون متعاونا ويقدم المساعدة لوزارة التنظيم في التقصي عن يي زوشي ثم قال: "لم يكن يملك أي نفوذ سياسي، لأنه لا يحب هذه الأساليب الملتوية في التعامل، وكان جل ما يهمه هو مساعدة الناس وتحقيق مطالبهم، وبالفعل كان يفعل ذلك بكل إخلاص. لقد تم التغاضي عن كثيرين في العامين الماضيين من الذين ارتكبوا الكثير من الخروقات في المقاطعة إتش وطالما أنهم موجودون حتى الآن، انكشف الغطاء عنهم دفعة واحدة، لنرى ما الذي سيفعلونه".

أبدى تيان جوفو موافقته على كلام شا وأضاف قائلا: "هذا هو تماما ما يجب علينا القيام به على وجه السرعة، لأنه باعتقادي أنه كان من المفترض تصحيح الممارسات الشائعة التي تقوم بها كوادر الطوارئ منذ وقت طويل".

أجاب شا روجين مصرحا عما يجول في رأسه قائلا: "دعونا نبدأ بموضوع الترقيات الخاص بإدارة الأقسام وصولا لموظفي المكاتب، ولنجعل من يي زوشي مثلا يحتذى به كي يرى الجميع أنه ليس مهما أن يكون لديك نفوذ سياسي كبير وأشخاص تدعمك طوال الوقت. فطالما كنت شخصا مليئا بالحماس ولن تبخل بأي شيء تقدر على القيام به لمساعدة الشعب، سيضعك الحزب في منصب مهم ومناسب لقدراتك".

أضاف تيان جوفو مؤكدا كلام زميله: "نعم هذا صحيح، فإننا نرى الأشخاص الذين يملكون نفوذا سياسيا كبيرا ولديهم كثير من الارتباطات هم الأشخاص الأقل إخلاصا، وأعتقد أنه يجب علينا أن نكون حذرين من التعامل معهم، وتونغ وي هو مثال واضح على هذا، ويجب أن يبقى تحت المراقبة على الدوام".

فهم تشي تونغ وي أن قاو يوليانغ كان هو من يقدم له الدعم السياسي، كما كان زوج أمه المتوفي هو الذي يدعم معلمه في الماضي. حيث كان سبب تطوره الملحوظ هو الأساس الثابت الذي كانت مبنية عليه علاقته مع معلمه، بالإضافة إلى زوجته التي كانت تدعمه وتسانده على الدوام، وبوجود كل هذه الأساسات القوية والدعامات التي كان يستند عليها، كان منصب نائب الحاكم أمرا سهل الوصول بالنسبة إليه. ولكن الأمر الذي لم يكن متوقعا، هو إرسال الحكومة المركزية لشا روجين ليحول ما كان شبه مؤكدا إلى مجرد احتمال قد يحدث في المستقبل.

كان معلمه قد تغير بعض الشيء، حتى أنه لم يكن يبدي أي اهتمام بأمور مهمة جدا تتعلق به. ولم يقم فقط بالتراجع عن عقد هدنة مع لي داكانغ، بل قام فوق ذلك بتغيير الموضوع وبدأ بالحديث عن مشاكله الزوجية. إن الزواج من عائلة ليانغ الفاحشة الثراء وذات الصيت الواسع، كان جرحا دائما في قلبه. وبعد مغادرته لمنزل معلمه في ذلك اليوم، كان تونغ وي تائها ويسير على غير هدى، إلى أن وجد نفسه قد وصل إلى ميدان الرماية.

كانت إدارة الأمن العام والنيابة العامة قد أقامت ميدان الرماية الحديث هذا في أكاديمية الشرطة لكي يقوم الضباط والطلاب بالتدرب فيه بشكل يومي، وكان المدير يحب أن يتردد عليه بشكل دائم. كان تشي تونغ وي يحب ممارسة رياضة كمال الأجسام عندما يكون في مزاج جيد، بينما كان يمارس الرماية عندما يمر بمزاج سيئ. ومن الأمور الغريبة هي أن قلب تونغ وي كان هادئا كالماء أثناء رفعه للبندقية ومن ثم التسديد، وكان يسلم نفسه تماما لما يفعله لدرجة يصبح هو والتسديد شيئا واحدا. كان رقيبا خبيرا جدا بالفعل. فبعد مرور بعض الوقت يكون قد أصبح كآلة لإطلاق النار ولا يمكن إيقافه، وبمرور جولتين أو أكثر يكون وجه تونغ وي مضيئا والبهجة تملأ وجهه بمعنويات عالية جدا. لكن اليوم كان غريبا جدا، فقد غير ملابسه، وارتدى الملابس الخاصة بميدان الرماية ووضع السماعات لحماية أذنيه، لكنه لم يستطع أن يهدأ على الإطلاق، فقد كانت ذكريات الماضي تلاحقه وتظهر مشاهد منها أمام عينه بين الحين والآخر. وتذكر ليانغ لو منسقة الصف في أيام دراسته الجامعية، التي كانت تحاول التقرب منه طوال فترة دراسته الجامعية وكان يتجنبها طوال هذا الوقت لسبب بسيط جدا هو أنها كانت أكبر منه بعشر سنوات.

إن تقبل الواقع أمر صعب للغاية، فعندما بدأت الجامعة بتسليم الوظائف، كان محبطا للغاية. حيث كان معظم الناس التابعين للنظام السياسي والإقليمي والبلدي حينها يعيشون في المدينة بالقرب

من مراكزهم الرئيسية، وعلى عكسهم تماما، فقد تم تعيين الطالب المجدّ في الإدارة السياسية والقانونية داخل هيئة قضائية في منطقة جبل يانتاي كمساعد قضائي. تحدثت بعض الشائعات أن ليانغ لو كانت تعاقبه بطريقة أو بأخرى، ولكن تونغ وي لم يصدق هذه الشائعات، لأن أصوله كانت بسيطة وطيبة جدا، فقد كان والده يحرث الأرض طوال اليوم بواسطة ثوره وينجز أعماله الريفية كل أيام حياته ربما لهذا السبب لم يكن لتونغ وي أية علاقات وروابط مع مسؤولين وأصحاب سلطة، فمن الطبيعي أن يكون شخصا دون أي أفاق وأحلام بعيدة. لكن لو قال نعم لليانغ لو كانت ستطلب من أبيها الأمين ليانغ كونفنغ الذي كان قادرا على فعل ما يشاء بمجرد حركة من أصبعه أن يساعده ويضعه في مناصب عليا.

كان المكتب القضائي في البلدة يضم ثلاثة أشخاص فقط بمن فيهم هو، ويترأسهم طالب من جامعة الصين للعلوم السياسية والقانون، حيث سبق له أن عمل في الجبال لمدة ثلاثين عاما، كان شعره أبيض اللون ويمتلك وجها مليئا بالتجاعيد. وفور رؤيته لرئيسه تخيل مستقبله يقف أمامه وحيدا ويعيش حياة صعبة مثله، دون أي شعور بطعم الحياة، وقرر أن عليه الهروب من هذا المكان على الفور.

فجأة لمعت برأس تشي تونغ وي فكرة للتحدث مع ليانغ لو، لكن النساء يملكن حاسة سادسة، فقد كانت ليانغ لو مدركة للدوافع الحقيقية التي جاء من أجلها. فهم لم يكن يتقرب منها سوى ليساعده الأمين ليانغ ولذلك رفضته على الفور وقامت بإبعاده. ولكنه بالرغم من ذلك استمر بالتودد والتقرب إليها، لأنه كان يعرف أنها هي حجر الأساس الرئيس الذي تعتمد عليه حياتها كلها، وقرر أن لا يتوقف إلى أن يحقق هدفه، فكان يرسل لها الورود مرارا وتكرارا، وفي كل مرة كانت تضعها في سلة المهملات. ذات يوم قرر أن ينفذ خطة لم يسبق له أن قام بها، فانتقى مجموعة من الزهور البرية من الجبال ونسقها على شكل قلب ووضعها في منتصف الساحة الرياضية الخاصة بالمدرسة، ووقف في منتصف القلب، فعل كل شيء ممكن ليحصل عليها هذه المرة وفي اللحظة المناسبة، ركع أمام جميع المعلمين والطلاب مواجها لنافذة مكتب ليانغ لو وبدأ بالصراخ: "أحبك يا ليانغ لو أرجوك تزوجيني". إلى أن بدأ صوته يختفي تدريجيا ولم يتمكن من مواصلة الكلام، لقد جعل موقفه هذا الجميع في حالة من التأثر الشديد، وبعد مرور بعض الوقت، ظهرت ليانغ لو أمامه.

وبعد أن تزوج هو وليانغ لو نقل من المكتب القضائي للبلدة على الفور، ليستلم منصبا مهما جدا في الأمن العام، كان يثبت في كل مرة أنه يستحق جميع الفرص التي تمنح له، ويظهر تفانيا كبيرا في كل مهمة تمنح له، فذات مرة عندما كان عنصرا في شعبة مكافحة المخدرات، كان على وشك الموت في إحدى العمليات داخل قرية صغيرة تدعى لون أيغل ريدج. وكان أمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية في ذلك الوقت الذي يكون والد زوجته ليانغ كونفنغ فخورا جدا به، وحاول قدر المستطاع أن يستخدم نفوذه وعلاقاته لمساعدته، بالإضافة إلى أن معلمه قاو يوليانغ كان داعما له بشكل كلي، وكان يحصل له على التأييد الكامل باسم الحزب، وهكذا تمت ترقية تشي تونغ وي خطوة بخطوة ليصبح أخيرا مدير إدارة الأمن العام.

شعر تونغ وي بفخر كبير كلما نظر إلى تاريخه، وكيف انتقل من حياته المتواضعة وأصوله البسيطة ليصل إلى ما هو عليه الآن، كان شخصا ناجحا من دون أدنى شك، لكن حياته العاطفية كانت قاحلة جدا، لدرجة أنه لم يسبق له وأن لامس هذ المشاعر في داخله، فقد كان متعطشا للحب ومفتقدا له في حياته الزوجية، على الرغم من أنه كان شخصا لطيفا ومحترما، وحريصا على علاقته مع زوجته، كما أنه كان يهتم بجميع المشاكل التي كانت تواجه عائلته وعائلة والدها أيضا ويقوم بحلها على الفور، فقد كان صهرا مثاليا من وجهة نظر الناس الخارجية، لكن هنالك بعض الأشياء التي لا يمكن تحقيقها بالعمل الشاق والجهد المضاعف، فمهما حاول أن يفعل في السرير مع زوجته لإرضائها، لم يكن قادرا على الشعور بشيء على الإطلاق، وبعد أن وصل إلى مرحلة منتصف العمر، فقد القدرة على ممارسة الحب مع زوجته بشكل شبه كلي، وكان هذا مرضا ينسب إلى فئة من الأمراض المتعلقة بالعجز الجنسي. كان هنالك العديد من زملائه داخل الحزب يعانون من المشكلة ذاتها، فهو لم يكن واثقا بشكل مؤكد في بداية الأمر، ولكنه بدأ بشكل تدريجي يشعر بأنه لا يرغب بالنوم في نفس السرير الذي تنام به ليانغ لو ويذهب للنوم في غرفة أخرى، كان يشعر بالخجل والخزي ويقوم بتوبيخ نفسه على الدوام، لكن أمرا كهذا لا أحد يستطيع إجباره عليه على الإطلاق، فهو لم يكن قادرا على حب هذه المرأة مهما حاول وأجبر نفسه على ذلك.

هذه كانت التكلفة بالنسبة إليه، فقد حقق نجاحا مبهرا في مجال عمله، ولكنه دفع ثمنا باهظا لهذا النجاح، وكان هو التخلي كليا عن الحب في حياته، وهل يعتبر هذا النمط من الحياة التي يعيشها نجاحا بالفعل؟. فقد كان أسيرا لمرض الاكتئاب، وسبق له وأن فكر في موضوع الطلاق مرات عديدة، لكنه كان يخشى من التبعات التي سوف تترتب نتيجة لهذا القرار، كما كان يعلم أن ردة فعل

عائلة ليانغ لن تكون جيدة على الإطلاق ومن المحتمل جدا أن يخسر كل ما بناه طوال هذه السنين. ولكن الحياة بدأت تبتسم له مجددا بعد أن التقى بقاو شياو تشين وهو الذي كان يعتقد أنه لن يشعر بالحب مجددا طوال حياته، وفجأة بدأ يحصل مع قاو شياو تشين على كل ما يشتهيه ويريده أي رجل على الإطلاق، فكلما يكون بالقرب من قاو كان يشعر أنه كقطعة من الخشب الجاف المرمي في حريق تلتهمه النيران، كانت مشاعرهما تجاه بعضهما جامحة ومن الصعب ترويضها، ولكن الأمر الأهم الذي كان يقوم به في هذه العلاقة هو سد كل هذه الثغرات الموجودة في حياته، فقد أصبح الآن لا يبدي اهتماما كبيرا لانتقادات قاو يوليانغ أو لكل الأحاديث والشائعات التي يتداولها زملائه عنه، فلطالما كان يقول إن الرغبة والنجاح أمران متلازمان على الدوام، وبما أنه شرب كأس المرارة ومر بصعوبات كبيرة جدا ليصل إلى منصبه الحالي، فلن يقوم بعد الآن بقمع رغباته الشخصية. وهو يفكر بهذه الأمور، جاء شخص وربت على كتفه كان هوى ليانغ بينغ وسأله قائلا: "ما الذي تفكر به يا صديقي القديم؟ هل هنالك شيء ما يزعجك؟". وعلى الفور أخفى تونغ وي وجهه الحزين وحاول أن يرسم وجها سعيدا مكانه، وأجابه: "إنني بخير، ولكن ما الذي تفعله هنا الآن؟ لقد مضى وقت طويل منذ أن قمنا بمسابقة رماية أليس كذلك؟ هيا لذهب ونرى من هو الرامي الأمهر بيننا".

32

كان ليانغ بينغ وتونغ وي متشابهان في نواح كثيرة، فكلاهما كانا طموحين، كما كانا مهووسين بممارسة الرياضة البدنية والرماية، فعندما كانا في مرحلة التدريب العسكري داخل الكلية، كانا يحصلان على جائزة الرامي الأمهر، وكي يقوما بتقوية معاصمهما، اعتادا على تقطيع الطوب تحت الشمس الحارقة لفترات طويلة، كان كل منهما يسعى بشكل أو بآخر أن يتفوق على زميله، وكانت نتائجهما متقاربتان على الدوام، حيث كانا يتجادلان لساعات من هو الأفضل بينهما، وبالرغم من كل هذا التنافس الشديد فيما بينهما، كان كل منهما يكن احتراما وحبا كبيرا للآخر. لم يستغرق هوى ليانغ بينغ كثيرا من الوقت ليكتشف ميدان الرماية في المقاطعة إيتش بعد أن تم نقله إليها حديثا، واليوم سيلتقي هو وصديقه في مواجهة مباشرة.

كانت المسابقة مخيبة للآمال بعض الشيء، فقد أصاب كلاهما عين الثور تقريبا في كل رمية قاما بها، وبعد إطلاق كل منهما لعدة مخازن من الرصاص، كانت النتيجة متقاربة جدا، وكان الملل ظاهرا على وجوه الجماهير، ولكنهما لم يكترثا لأي من هذه الأحداث، وكان التنافس لا يزال يغلي داخلهما، وبعد انتهائهما من التصويب عانقا بعضهما بحرارة وأثنى كل منهما على أداء زميله.

وبينما كانا جالسان بالقرب من ميدان الرماية ويشربان بعض المياه المعدنية قال تشي تونغ وي: "من المؤسف يا ليانغ بينغ أنك سلكت طريق النيابة، ولم تعد بحاجة لاستخدام البندقية بعد الآن، فلو أنك سلكت طريق الأمن العام كما فعلت بعد تخرجي، لكانت سنحت لك كثير من الفرص لاستلام مناصب مهمة جدا في الحكومة". رد عليه ليانغ بينغ قائلا: "هذا صحيح فقد تمت الإشادة بك من قبل وزارة الأمن، لعملك الجبار الذي تقوم به كعميل لمكافحة المخدرات، وكدت أموت من الحسد عندما أشاهد أعمالك البطولية على الأخبار، ومنذ ذلك الوقت وأنا أراك كقدوة لي". نظر تونغ وي إلى

ليانغ بينغ وقال له: "هل أنت جدي بما تقوله فعلا؟". أجابه ليانغ بينغ بصرامة: "نعم يا تونغ وي، فأنت بطل حقيقي في نظري". قام تونغ وي بدفعه قليلا ممازحا وقال: "دعك من ذلك يا رجل، وتوقف عن مجاملتي بهذه الطريقة، فإنني أعلم جيدا أنك لا تحبني مطلقا". ضحك هوى ليانغ بينغ وأجابه قائلا: "في المرة الوحيدة التي أقوم بها بالتحدث عنك بطريقة حسنة، لا تصدقني، هل تريدني أن أقسم لك إنني عنيت ما أقوله؟". ضحك تشي تونغ وي أيضا وقال: "حسنا أنني أصدقك". صمتا لثوان، ثم وجه تونغ وي سؤلا لليانغ بينغ وقال له: "هل ستصطاد جميع الفاسدين في حربك التي تشنها هذه، كما أقوم أنا باصطياد جميع تجار المخدرات ولن تدع أحدا يفلت؟". نظر ليانغ بينغ إلى عيني تونغ وي وقال: "لماذا تسأل؟ هل خاب أملك بي؟". أجاب تشي تونغ وي بصراحة: "نعم، فقيامك مثلا باعتقال زوجة لي داكانغ سبب لنا كثيرا من المتاعب. أنت لا تعترف بانتمائك لقسم السياسة والقانون، إلا أن البعض يؤكدون ذلك، وبطبيعة الحال سيرد لي بالتأكيد، وحالما يردّ، فسنكون أنا والمعلم وكل من له علاقة، سنكون جميعا في موقف دفاعي". تنهد هوى ليانغ بينغ وأخذ نفسا عميقا وقال: "دعك من ذلك، هذا ليس موضوعا للنقاش الآن، فسوف ندخل في جدال آخر في حال استمررنا في ذلك، وفي حال كنت تتساءل كيف أتبع أمثالك، وكيف أقوم بعملي بحماسة، فمن المفروض أنك فهمت الآن، أليس كذلك؟". قال تشي تونغ وي: "حقا تفكيرك محدود جدا هل تعلم بموضوع المقالة التي انتشرت عنك مؤخرا على الإنترنت؟". لم يكن هوى ليانغ بينغ ليصدق ذلك وقال: "هناك مقالة عني؟ هل كنت تبتكر قصصا عن عيوبي؟".

أظهر المقالة على هاتفه ليراها هوى بنفسه.

في الحقيقة، كانت مقالة ساخرة عن شخص يحمل اسم القرد الملك، وتحكي هذه المقالة كيف حظي كل واحد من الشياطين والأرواح التي واجهها في رحلته للحصول على الكتب المقدسة في السماء الغربية، على مساندين أقوياء. فإذا لم يكن كالفرس الخالد، فقد كان كالحيوان الأليف، لذا، فقد مر القرد بكل أنواع الصعوبات، وبدون مكافأة. ألمحت كلمات تشي تونغ وي إلى شيء ما عندما قال "عندما كنت أقوم بعملي بمكافحة المخدرات، تعاملت مع العديد من التجار الذين كان أغلبهم من عالم الجريمة، ولم يكونوا بهذه البساطة، هل تعلم لمن تنتمي هذه الجياد القوية؟". وعلى الفور، سأل هوى ليانغ بينغ مازحا: "تماما مثل رئيستنا قاو، قاو شياو تشين، هل هي فرسك المفضل؟ أم أنها فرس لشخصية أكبر؟". وقف تشي تونغ وي منزعجا وقال: "أنت حقا ممل انتهى الحديث الآن، لنذهب لتناول مشروب".

قضى الاثنان وقتا ممتعا. تناولا البيرة والطعام المشوي عند كشك لبيع الطعام في الشارع، وبمجرد أن أصبحا ثملين، بدأا يتحدثان عن تشن هاي كما لو اتفقا مسبقا على ذلك، كلاهما عاطفي قليلا. الفرسان الثلاثة من قسم السياسة والقانون، فقدوا الآن واحدا منهم، لقد كان تشن هاي شخصا لطيفا وصادقا، يا له من أمر سيئ نظر هوى ليانغ بينغ إلى تشي تونغ وي وقال له: "أنت مدير إدارة الأمن العام وخبير في التعامل مع القضايا الجنائية، لكنك لم تكتشف أي شيء مهم وراء الحادث المروري ابتسم تشي تونغ وي ابتسامة خفيفة وحاول تجنب القضية بطرحه سؤالا مقابلا. لقد كنت يا هوى مدير مكتب مكافحة الفساد في جينغتشو لفترة من الوقت، ولديك بالتأكيد العديد من الخيوط الجديدة، أليس كذلك؟ استمر، فزملاء الدراسة السابقين يمكنهم مشاركة الأشياء". فضحك هوى على الفور وضحك أيضا تشي بشكل طبيعي.

بعد أن ضحكا، استفاقا وأدركا أنه لا يمكن لمدير إدارة الأمن العام ومدير مكتب مكافحة الفساد أن يستفيدا من بعضهما وهما متعارضان بشراسة فلنتوقف عن التفكير بذلك، ولنشرب ونتوقف عن القلق. ونتيجة لذلك بدأا يتحدثان عن الماضي وذكريات شبابهما. وانسجم الرجلان بالحديث وشربا كثيرا.

سأل تشي تونغ وي فجأة قائلا: "لنتخيل أننا في مبارزة أسلحة سريعة مصوبين على شرائح، من تظن بأنه سيسقط أولا؟". عدّل هوى ليانغ بينغ جلسته وقال: "هل تسأل حقا؟ بالطبع سيكون أنا". نظر تشي تونغ وي إلى ليانغ بينغ ضاحكا وقال: "لماذا؟". فضحك ليانغ بينغ أيضا وأشار إلى جبهة تونغ وي قائلا: "لأنك قاسي القلب وثقيل الوطأة. هز تشي تونغ وي رأسه وقال: "أنت مخطئ، ربما سأكون أنا أول من يقع". احتار ليانغ بينغ وقال: "كيف يمكن لهذا أن يحصل؟". شرب تشي تونغ وي على مهل ثم أجاب بعد وقت طويل: "حتى لو كنت قاسي القلب وثقيل الوطأة، لا أستطيع فعل ذلك، أنت ذكي جدا".

شربا لوقت طويل، حتى منتصف الليل. لقد مضت سنوات منذ شرب هوى ليانغ بينغ هذا القدر من المشروب، وهذه المرة كان ثملا فعلا. أخذه تشي تونغ وي إلى دار ضيافة النائب. وبينما كانا يتودعان، سأل هوى ليانغ بينغ فجأة: "سنبقى هكذا يا تونغ وي ولن يفرقنا شيء، أليس كذلك؟". تفاجأ تشي وذرف دموعا بصمت، وصافح يد هوى ولم يتفوه بكلمة، ثم أدار ظهره ومضى، لم يستطع إخفاء إحباطه..

في ذلك اليوم بالذات، كانت لو بيك تعمل بالصدفة لوقت إضافي، وقبل مغادرة المكتب، صادفت هوى ليانغ بينغ. كانت خطوات المدير مترنحة، وكان واضحا بأنه شرب كثيرا. قلقت لو بيك عليه ورافقته إلى الطابق العلوي، وحضرت له كوبا من الشاي.

سأل هوى ليانغ بينغ عن سير عملية التحقيق الخاصة بأويانغ جينغ، فقالت لو بيك بأنه كان كالمعتاد، فقد كانت أويانغ جينغ ترفض التعاون، وكان الجميع يفقدون صبرهم. فقال هوى ليانغ بينغ: "لا تفقدي صبرك، ابحثي عن خصمك بجد وخذي وقتك". بدا وكأنه لدى لو بيك ما تقوله، ولكن ليانغ بينغ رفع يده ليوقفها قائلا: "أعلم أنك قمت بذلك مسبقا، ولكن هل بحثت في أعماقها؟ عميقا بما يكفي لفهم طريقة تفكيرها؟".

قالت لو بيك: "ما الذي يفترض أن نبحث عنه أيضا؟ لقد حفظنا ملف أويانغ جينغ عن ظهر قلب". بعد أن شرب ليانغ بينغ كل ذلك القدر من المشروب، أصبح عديم الجدية وقال ببال طويل: "اتركي الملف جانبا ودعيني أسألك: ما نوع مساحيق التجميل التي تستخدمها أويانغ جينغ؟ ما نوع ملابسها؟ ماذا تحب أن تأكل؟ أين تذهب عادة لتأكل؟ أين تقضي وقت فراغها؟ لماذا تداعى زواجها من لي داكانغ؟ ولماذا تحب مسلسل الدراما الكورية (أنت الذي أتيت من النجوم) لهذا الحد؟". كانت لو بيك محتارة نوعا ما وقالت: "هناك بالفعل كثير من الأسئلة التي لا أعرف إجاباتها". فقال هوى ليانغ بينغ بهدوء: "إليك اقتراحي، استفيدي من الوقت وشاهدي بضعة مسلسلات كورية مشهورة، وخاصة مسلسل أويانغ جينغ المفضل. شاهدي النقاط الأساسية وأنا واثق من أنك ستحصلين على شيء ما".

يبدو أنه أصاب وترا حساسا في هذه النقطة، فوقفت لو بيك ونسّقت شعرها القصير وقالت: "مفهوم، أتمنى لك ليلة سعيدة".

بعد أن غادرت لو بيك، رمى هوى ليانغ بينغ نفسه على السرير.

لم تكن أويانغ جينغ على استعداد للاعتراف، ولا يزال مكان وجود دفتر الحساب الغامض لتشاو دونغلاي مجهولا. يبدو أنهم وصلوا إلى طريق مسدود في هذه القضية. فأين الثغرة يا ترى؟

في تلك الليلة، حلم هوى ليانغ بينغ حلما غريبا. كان يدور حول قلعة قديمة ويريد الدخول إليها، لكنه لم يستطع العثور على الباب. كانت القلعة كقلاع العصور الوسطى في أوروبا، ذات قمة

طولانية وجدران سميكة وصخور ملساء خالية من الثقوب، كان يدور حولها عبثا دون أن يجد مدخلا..

بعد أن تم اعتقال أويانغ جينغ، تبنت موقف عدم الالتزام ولم تقل شيئا. وواصلت إخبار المحققين بالتعامل مع القضية فقط من دون الاعتماد على اعتراف منها. ومع ذلك، عندما جلبت لو بيك الأعمال الدرامية الكورية، بدأت بشكل غير متوقع في الحديث مع أويانغ جينغ، لكنها بدأت تتحدث عن مسلسل "أنت الذي أتيت من النجوم" وعن قصة حب امرأة وزواجها. لكن لم تتمكن لو بيك في البداية من جرّ أويانغ للحديث خارج نطاق القضية، لكنها استمرت إلى أن نجحت في ذلك ودخلا في النقاش.

كان هوى ليانغ بينغ يشرف على الاستجواب من مركز القيادة مع جي تشانغ مينغ، وكان بإمكانهم رؤية كل شيء على الشاشة الكبيرة. تحولت أويانغ جينغ من الحديث عن الأعمال الدرامية الكورية إلى الحديث عن نفسها، وكان لا يسعها هنا إلا أن تتنفس الصعداء. تحدثتْ عن كيس المحار الذي أفسد حياتها، فبعد أن عرف لي داكانغ أنها تحب أكل المحار، حمل كيسا كبيرا من المحار على كتفه وذهب به إلى غرفتها ومن ثم سرق قلبها.

تزوج الاثنان بعد تخرجهما من الكلية، وبعد الزواج، قام لي داكانغ بجميع الأعمال المنزلية بنفسه وحول راتبه بالكامل إليها، ولم يكن يحظى بوقت ممتع خارج منزله. وعلى الرغم من أنه كان مملا بعض الشيء، لكنه كان جيدا معها، لذا فلم تتكلم كثيرا عن الأمر.

ولكن مع ارتقاء لي داكانغ أعلى وأعلى في منصبه، تجلت أنانيته بشكل واضح، ولم يكن مستعدا لمساعدة أخو أويانغ جينغ الأصغر، وابنتهما، وإخوة أصدقاءه القدامى بأي شيء. وكان تبريره دائما بالنزاهة. لكنها كانت في الواقع أنانية شديدة. مع مرور الوقت، فقدت أويانغ الأمل مع لي داكانغ. كانت تظهر بمظهر المرأة المتزوجة من مسؤول رفيع المستوى، لكن لا أحد يشعر بمعاناتها. وحتى الآن، وبالرغم من زواجهما طيلة خمسة وعشرين عاما، لم يحتفل لي داكانغ مرة واحدة معها بذكرى ميلادها.

قامت لو بيك بالفعل بتحضيرات دقيقة، وقالت في اللحظة المناسبة: "أويانغ، أعلم أن اليوم هو عيد ميلادك الرابع والأربعين. دعينا نرافقك في هذه المناسبة". بعد ذلك، طلبت من مساعديها

إحضار الكعكة الكبيرة التي طلبتها، ثم غرزت لو بيك خمس شموع كبيرة وأربع صغيرة على الكعكة. وعندما أضيئت الشموع التسع، أضاءت ألسنة اللهب وجه أويانغ جينغ الملطخ بالدموع. ثم وضعت لو بيك الكعكة أمام أويانغ جينغ وقالت بصدق: "لن نناقش تفاصيل القضية اليوم. دعينا نحتفل بعيد ميلادك الجميل". لكن رغم ذلك، مسحت أويانغ دموعها وقالت للو بيك: "حضرة الرئيس لو، دعيني أحظى ببعض الشرف لقد كنت لطيفة معي، لذا سأكون لطيفة معك ألا تريدين أن تعرفي ما قصة صفقة الخمسمائة ألف على تلك البطاقة؟ سأخبرك في الواقع أن المال لم يكن من تساي قونغ، وإنما من مجموعة النفط والغاز في مقاطعة إيتش".

أخبرتهم أويانغ جينغ قصة داخلية بعلاقات معقدة. فقد كانت شركة تساي تبحث عن رأس مال لتسديد القروض القديمة والتقدم بطلب للحصول على قروض جديدة. وفي السنوات القليلة الماضية، قام باستخدام قرض مجموعة النفط والغاز الإقليمية. كانت البطاقات المصرفية الأربعة التي قدمها تساي لأويانغ جينغ هي أموال الفائدة التي كان من المفترض أن يدفعها على قروض مجموعة النفط والغاز الإقليمية. لم تكن أويانغ جينغ تحتكر المال الذي حصلت عليه، بل وزعته على الجميع في قسم القروض كمكافآت. زادت الأموال التي وزعتها إلى أكثر من سبعمائة ألف يوان. ثم أرسل تساي الجزء الأكبر من الفائدة إلى مجموعة شانشوي التابعة لقاو شياو تشين لأنها ساعدته في تحصيل جميع القروض المقدمة من مجموعة النفط والغاز الإقليمية، لذا اتهمت أويانغ تساي قونغ بأنه دنيء، وكان من المفترض أن يدفع فوائد القرض في المقام الأول، وبعد أن خرجت الأمور عن السيطرة، بدأ بمهاجمة الناس واتهامهم". سألتها لو بيك: "هل أنت متأكدة أن تساي أرسل الفوائد إلى مجموعة شانشوي؟". أجابت أويانغ: "أنا متأكدة، هذه هي الحقيقة وإلا لماذا سيخبرني تساي بذلك بدون أن يخبر ليو تشنغجو؟". كانت مجموعة النفط والغاز، ومعها ليو تشنغجو بنفسه لديهم تعاملات تجارية مع مجموعة شانشوي وقد ملأوا جيوبهم منها وبمشاركة من قاو شياو تشين عندما رأى هوى ليانغ بينغ هذا، عرف أن باب القلعة القديمة التي شاهدها في حلمه كان مفتوحا على مصراعيه كان توقيت ظهور ليو تشنغجو من مجموعة النفط والغاز مناسبا وحاسما للغاية. إلى جانب التذكير الهام الذي أعطاه جي تشانغ مينغ إياه والذي يقول: "ليو ليس شخصية عادية، فقد كان سكرتير الأمين السابق للجنة الحزب الإقليمي تشاو ليتشون والذي ساعده ليصبح رئيسا ومديرا تنفيذيا لمجموعة النفط والغاز المملوكة من قبل الدولة".

كان هوى ليانغ بينغ يدرك ذلك جيدا وقال: "هذا صحيح، لقد قمت بالتقصي عنه، وهو يكون الأخ الشقيق لنجل، تشاو رويلونغ، الذي يملك كل أنواع العلاقات التجارية مع قاو شياو تشين ومجموعة شانشوي". كان عليهم إحضار تساي قونغ للاستجواب على الفور والتحقق بسرعة من هذا الاعتراف الحاسم لأويانغ جينغ.

33

بعد أن قاموا بإعطاء الأمر، قامت مجموعة تشاو تشينغ بطلب تساي قونغ إلى الاستجواب مجددا، وكان هوى ليانغ بينغ يشاهد من مركز القيادة على شاشة كبيرة تساي قونغ وهو يجلس على كرسي التحقيق ولا يزال هنالك بريق أمل في عينيه ثم قال: "هل هوى ليانغ بينغ هو الذي أرسلك؟ كنت أعرف أنه لن يتخلى عني بهذه السهولة، أرجوك أخبره أن حياتي معرضة للخطر هنا، فيوجد في زنزانتي اثنان من أخطر المجرمين على الإطلاق".

كان المدعي العام تشاو تشينغ رئيس لجنة التحقيق قد طلب من تساي قونغ أن يقدم تقريره إلى النيابة المرابطة هناك في ذلك الحين، وكان تساي قونغ قد قدّم التقرير بالفعل، لكن النيابة تجاهلته. كانت الدموع على وشك أن تنهمر من عيني تساي قونغ، وعاد وأكد مرات عديده أن حياته في خطر حقيقي بالفعل، كان هوى ليانغ بينغ شخصا حكيما وحاول أن يتصرف بحذر، ولكن تساي قونغ لايزال صديق طفولته وشاهدا مهما جدا، لذا أمسك بجهاز اللاسلكي وقال لتشاو تشينغ: "دعه يخبرنا ما الذي يعرض حياته للخطر؟".

بدأ تساي قونغ بالحديث عن أن السجناء في زنزانته يراقبونه خلسة على الدوام، حيث كان السجين الذي ينام على يساره والذي يملك وشم تنين على جسده ينظر إليه نظرات وكأنه سوف يقدم على قتله في أي لحظة، أما السجين الآخر فقد كان قاتلا ومغتصبا وكان يسخر منه طوال الوقت، حاول تساي تونغ قدر استطاعته أن يتجنب النظر مباشرة في عيني أحدهما، خوفا من أن يغضبا. طلب تشاو تشينغ من تساي قونغ أن يكون أكثر وضوحا وقال له: "ماذا يفعل هذان السجينان لك بالضبط؟ هل هدداك بالقتل مباشرة؟". أجاب تساي قونغ أنهما لم يقوما بتهديده بشكل مباشر، ولكنه كان يشعر بأنه في خطر حقيقي، وأنهما قد يقدمان على قتله دون أن يشعر أحد، لم تكن ادعاءاته

تستند إلى أي أدلة ملموسة، وعندما سمع ليانغ بينغ حديثه أمسك بجهاز اللاسلكي وطلب من تشينغ أن يعود إلى التحقيق، نفذ تشينغ الأوامر على الفور وقال: "هيا يا تساي قونغ أخبرني البطاقات الأربعة التي رشوت بها أويانغ جينغ تحت أي اسم أرسلتها؟ هل يمكنك أخبارنا مرة أخرى؟".

لم يكن تساي قونغ يريد أن يفصح عن كل ما يملكه من معلومات، لأنه كان يعتقد أن النيابة ستحميه من الخطر الذي كان يزعم أنه يهدده، وبعد أن استنتج أن هذه الطريقة لن تنجح، قرر أن يقول كل شيء، وأقر على الفور أن المدير المالي لشانشوي ليو تشينغ تشو قد ساعده في الحصول على جميع أموال الخاصة بقرض رأس المال، كانت كل هذه الأموال ملكا لشركات النفط والغاز الإقليمية، التي بدورها كانت محتكرة من قبل الدولة، وعاما بعد عام كانت تضع مليارات في دفاتر حسابات البنوك، فإذا استطاعوا أن يضعوا قرضا على الدفاتر، سيجنون الملايين، فلم لا إذا؟ استخدم أموال رأس المال ليقوم بتسديد ما يترتب عليه لأحد القروض، وليسجل في الوقت ذاته على قرض آخر ويوفر بعض المال عن طريق ما يسمونه الحسومات. اقتسمت أويانغ جينغ والبنك نسبة صغيرة من الأرباح، وابتلع الأشخاص التابعون لمجموعة النفط والغاز القسم الأكبر، لكن الجميع كان راضيا ولم يخرج أحد خاسرا... كان كلامه هذا متوافقا مع الكلام الذي اعترفت به أويانغ جينغ.

بعد انتهاء التحقيق، كان تساي قونغ قلقا بشأن سلامته، وأصر على رؤية هوى ليانغ بينغ، لكن تشاو تشينغ أخبره أن النيابة ستكون مسؤولة عن سلامته الشخصية، وطلب منه أن لا يقلق تجاه الموضوع. لاحظ ليانغ بينغ وهو يتابع عبر شاشته أن تساي قونغ لا يزال مذعورا وحتى أنه يرتعش قليلا من شدة توتره، وكان واضحا هذه المرة أنه لم يكن يفتعل هذه المشاعر. كان يطلب أن تصدر النيابة حكمها النهائي عليه، وتريحه من هذه المعاناة مهما كانت العقوبة التي يجب عليه تحمله، فكل ما كان يريده هو أن يقضي فترة محكوميته، وينتهي من هذا المرحلة القاسية، وكان الشك يزيد عند ليانغ بينغ بخصوص وجود شيء مريب داخل مركز الاحتجاز.

انتهى التحقيق وأعيد تساي قونغ إلى زنزانته، ولكن هوى ليانغ بينغ ظل قلقا حيال الموضوع، وطلب من تشاو تشينغ أن يذهب إلى غرفة المدعي العام ويسأل حارس الزنزانة إن هدد أي شخص تساي قونغ، حيث كان عليهم توخي الحذر من أي حادث غير متوقع. كان تأثير الاستجوابان المتعاقبان واضحا على جي تشانغ مينغ فبعد انتهاء التحقيق لم يكن رئيس النيابة في عجلة من أمره ليغادر المقر وقال لليانغ بينغ متنهدا: "كما كان متوقعا بالضبط، إنها عملية تواطؤ

كبيرة، وعملية فساد هائلة في بنك سيتي، ويبدو أن مجموعة النفط والغاز متورطة أيضا". كان قد سبق لهوى ليانغ بينغ أن أرسل نخبة من رجاله إلى البنك، فكّر جي تشانغ مينغ مليا بالموضوع ورد قائلا: "أما بالنسبة إلى مجموعة النفط والغاز، فاستعد لبدء التحقيق معهم بشأن القضية". رد ليانغ بينغ قائلا: "ولكن إن فعلنا ذلك سيصبح لدينا نقص في العناصر". أجابه مينغ قائلا: "إذا سنستعين ببعض المحققين من مختلف النيابات البلدية لمساعدتنا".

أثناء تناولهم للطعام في الكافتيريا، أشار هوى ليانغ بينغ إلى الخوف الذي أظهره تساي قونغ، وبدا عليه القلق حيال هذا الموضوع، فلو كان باستطاعته أن يذهب إلى مركز الاستجواب ويكلمه وجها لوجه ربما كان ليتجنب وقوع كارثة غير متوقعة، ولكن مكالمة طارئة شتت فكره عن الموضوع، وكانت هذه المكالمة من حليفه تشاو دونغلاي الذي كان على وشك أن يخبره أخبارا رائعة، فقد استطاعوا أخيرا أن يحصلوا على المعلومات التي يريدونها من هاتف تشين هاي المحمول عن طريق المدير المالي لمجموعة شانشوي المدعو ليو تشنغجو الذي فارق الحياة للأسف.

اجتمع ليانغ بينغ مع دونغلاي لمناقشة الموضوع، وشرح دونغلاي بعض التفاصيل قائلا: "كان المخبر هو ليو تشنغجو الذي توفي بسبب ذبحة قلبية أثناء قيامه بجولة في جبال يانتاي، ولأنه توفي في الجزء الآخر من البلاد وكنا نعتقد بالأصل أنه سافر خارجا لقضاء عطلته، واجهنا كثيرا من العقبات لنحصل على المعلومات التي نريدها، فقد توفي في ذات اليوم الذي حصل فيه الحادث لتشن هاي إنه أمر غريب للغاية". أراد دونغلاي أن يضيف ملاحظة وقال: "استمعت زوجة ليو وو كايكسيا إلى تسجيل الهاتف الذي حصلنا عليه، ولم تعترف أن هذا هو صوت زوجها، بعدها طاقم التحقيق بالطلب من أسرة ليو أن تحضر إلى التحقيق كل على حدة.

وعندما اتفق الجميع على أن هذا هو صوت ليو تشنغجو الذي سمعوه في التسجيل الصوتي، لم تستطع وو كايكسيا أن تنكر الأمر أكثر من ذلك. فقد أسكتتها مجموعة شانشوي وحسب أقوالها، فإن قاو يوليانغ قد جاء إليها وأعطاها مليوني يوان بشرط ألا تتحدث عن حادثة موت زوجها، وأكدت بأنها لم تعرف مطلقا بدفتر الحسابات الذي تحدث عنه ليو تشنغجو على الهاتف. كانت تعلم حينها أن زوجها كان مذعورا بالفعل، فعندما عرف بهروب دينغ يجن أصابه الجنون، وكان يقول بأنه لم يهرب بل قاموا بالتخلص منه، كما كان يقول أيضا بأنه عاجلا أم آجلا سيحصل شيء ما لقاو

يوليانغ ولمجموعة شانشوي. كان قد سبق لليو تشنغجو وتحدث أمام زوجته عن تحويله لمبالغ مالية كبيرة لرجال ذوي مناصب كبيرة، وأنه حوّل هذه الأموال شخصيا دون أن يستعين بأحد، وكان أحد أهم الشخصيات هو الهارب دينغ يجن، كان يشعر بالذعر بمجرد التفكير بهذه المبالغ الكبيرة التي كان يحولها.

تذكر هوى ليانغ بينغ مجموعة النفط والغاز في المقاطعة وليو تشنغجو فسأل تشاو دونغلاي: "هل ذكرت وو كايكسيا ليو تشنغجو أثناء التحقيق معها؟". فكّر دونغلاي قليلا وهز رأسه قائلا: "كلا، ولكنها قالت بأن أبناء تشاو ليتشون يملكون حصصا في مجموعة شانشوي، وكانوا يتقاسمون الأموال التي يرسلها ليو تشنغجو فيما بينهم. وحسب أقوالها أيضا فقد عمل ليو تشنغجو في مجموعة شانشوي لعدة سنوات، واستمر بتحويل الأموال لهم لحوالي ثماني أو تسع سنوات".

كان هذا الموضوع بالإضافة لوو كايكسيا هما المحوران الرئيسيان للقضية، ولذلك تم تسليم قضية القتل لتشاو دونغلاي من مكتب الأمن العام في المقاطعة إيتش، وقضية المخالفات إلى مكتب مكافحة الفساد. كان يمكن اعتبار كل ما قالته وو كايكسيا دليلا واحدا فقط وكان يجب عليهم أن يجدوا دفتر الحسابات الغامض على الفور ليصبح بحوزتهم دليل مقنع. كان الأمر غريبا بالفعل، فقد كانت وو تعرف الكثير عن زوجها، ولكن كيف لم يكن لديها أية معلومة ولو كانت بسيطة عن دفتر الحسابات؟ ولماذا لم تقر منذ البداية بأن هذا كان صوته في الذي سمع في التسجيل؟ كانت تحاول إخفاء شيء ما بلا شك، ولذلك قرر هوى ليانغ بينغ مقابلتها شخصيا ليبدد جميع الشكوك.

كانت وو كايكسيا من الفتيات الصينيات اللواتي تقابلهن ولكنك تنساهنّ بمجرد أن تودعهنّ، لم تكن كبيرة في العمر، ولكن طريقة اختيارها للباس تعطيك شعورا بذلك. كانت شخصا مرحا جدا، بشعرها المجعد ووجهها الناصع البياض. وعندما رآها هوى ليانغ بينغ ولو بيك، كانت ترقص في الساحة العامة على موسيقى صاخبة جدا، وعندما ناداها أحد العناصر، التفتت وملامح الامتعاض تبدو على وجهها ثم قالت: "من أنتم؟".

أظهرت لو بيك هويتها الأمنية فأدركت وو حالا ما يجري، لكن كانت تتوقع لهجة ألطف وقالت: "ماذا تريد النيابة مني؟" أجابت لو بيك: "أتينا للحصول على بعض المعلومات".

مسحت وو كايكسيا جبينها وقالت: "لقد أخبرت مكتب الأمن العام بكل شيء لدي بالأمس". فأجاب هوى ليانغ بينغ: "لم تكوني واضحة بشأن دفتر الحسابات". نفت وو ذلك على الفور وقالت: "ما هو دفتر الحسابات؟ لا أعرف شيئا عن هذا الشيء".

كانت ساحة الحي عبارة عن فوضى، ولم تكن مكانا جيدا للتحدث. بدا الأمر كما لو كانت وو خائفة من أن يعرف أبناء حيها عن أمور عائلتها، واقترحت أن يتوجهوا سوية إلى منزلها لإكمال الحوار. وسرعان ما وافق هوى ليانغ بينغ على ذلك رغبة منه في التعرف إلى البيئة التي عاش فيها الضحية ليو تشنغجو.

عاشت وو كايكسيا وليو تشنغجو في شقة مساحتها أربعون أو خمسون مترا مربعا مؤلفة من غرفتي نوم. كان تصميم الشقة باليا والأثاث قديم الطراز.

هذا جعل هوى يتعجب. فلماذا يسكن رئيس مجموعة شانشوي الذي يحصل على راتب سنوي من خمس إلى ست مئة ألف يوان على منزل غير لائق بهذه الطريقة؟ وسرعان ما اكتشف هوى ليانغ بينغ مشكلة أخرى، فعلى الحائط صور لوو كايكسيا في كل مكان، من سنوات مراهقتها حتى هذه الأيام كامرأة في منتصف العمر. ولم تكن هناك صورة واحدة للمتوفى ليو، ولا حتى صورة لزفافهما. يبدو أن العلاقة بين الزوج والزوجة لم تكن جيدة.

جلس هوى ليانغ بينغ على كرسي قديم بذراعين في غرفة المعيشة الصغيرة. وجلست لو ييك قبالته أيضا على كرسي قابل للطي. دخل هوى مباشرة في الموضوع. مثبتا نظره على وجه وو كايكسيا الكبير الأبيض قائلا بدون تردد: "اسمحي لي يا وو أن أوضح ذلك. ذكر ليو تشنغجو في التقرير الذي حصلنا عليه من هاتفه شيئا عن دفتر حسابات". تجنبت وو كايكسيا نظرة هوى ليانغ بينغ وسارعت لتصب بعض الماء وقالت: "هل هذا صحيح؟ طالما أن ليو ذكر هذا في التقرير، ربما يكون هناك حقا مثل هذا الدفتر".

قال هوى ليانغ بينغ بصراحة: "ربما؟ هل حقا لا تعلمين شيئا عن هذا الدفتر؟". وضعت وو كوبين من الماء أمامهما وقالت: "هذا الشيطان بالتأكيد ما كان ليخبرني عن شيء من هذا القبيل".

تفاجأ هوى ليانغ بينغ عند سماع ذلك وفكّر في نفسه: "هل كان ليو تشنغجو في الواقع شخصا كتوما؟ إذا كان هكذا، فكيف تعرف وو كايكسيا كثيرا عن أسرار مجموعة شانشوي؟".

بدأت وو تدرك تلميحات هوى وأوضحت: "عليك أن تصدقني الآن، لقد كنا أنا وليو على علاقة سيئة منذ فترة طويلة. لقد كان كل منا يمارس نشاطه التجاري الخاص، وكلانا أنفق ماله الذي تحصّل عليه. لم يكن يسمح لي بأن أحصل على فلس واحد منه، ولم أمنحه بالمقابل فلسا واحدا مني. أخشى أنك لن تصدقني بقولي هذا، لكنه مات وحرقت جثته، ولم أكن حتى معه...".

وعلى الفور، تنبّه هوى ليانغ بينغ لأمر ما وقال: "لماذا يا وو؟ ماذا قلت للتو؟

حركت وو عينيها بشكل غريب وقالت: "لقد قلت بأنني وزوجي نعتني بأنفسنا...".

أجاب هوى ليانغ بينغ: "كلا، لقد قلت إنه مات في هذه المناسبة وحرقت جثته، ولم تكوني هناك معه؟ أليس كذلك؟".

ردت وو بارتباكها المعتاد أثناء الحديث وقالت: أنا.. هل قلت ذلك؟ أنا.. أنا لم أقل ذلك.. كلا".

أعادت لو بيك التسجيل على الفور، بعد أن كانت تسجل كل شيء بهاتفها طوال الوقت، ولم يعد بإمكان وو أن تنكر ببساطة وابتسمت بصعوبة أمام هوى ولو وقالت: "حسنا، لقد قلت ذلك".

"أين حرقت جثة ليو؟ هل حدث ذلك في مدينة يانتاي؟". "نعم، لم أكن أعلم بذلك إلا بعد أن حدث الأمر". "وضحي أكثر رجاء، متى اكتشفت ذلك تماما؟". "منذ خمسة أو ستة أيام لقد اكتشفت ذلك فقط بعدما طلبت مني قاو شياو تشين أن أوقع على استمارة إحراق الجثة". بعد قولها ذلك، كان الأمر كما لو أن عبئا ثقيلا زال عن كاهلها وقالت: "حسنا، هل هذا كل شيء؟ هل أستطيع الذهاب للرقص الآن؟". غضبت لو بيك وقالت: "الرقص؟ كيف بإمكانك عدم الاكتراث أبدا؟".

لم تكن وو كايكسيا سعيدة أيضا وقالت: "لقد أخبرتك الآن، أليس كذلك؟ علينا التفكير بالأعمال التجارية الخاصة بنا". أجاب هوى ليانغ بينغ: "حسنا، حسنا هذا يعني أنه تم حرق جثة ليو في وقت مبكر؟".

حركت وو أصابعها ذات الأظافر المطلية باللون الأحمر القادم وقالت بشكل عرضي: "حسنا، لقد تحملت مجموعة شانشوي جميع تكاليف جنازة ليو تشنغجو. في نهاية الأمر، أصرت

المحرقة في يانتاي على أن أوقع باسمي، قائلة إنهم كانوا قلقين من أن ينظر كبار المسؤولين في ذلك. ولو لم يكن الأمر كذلك، لم يكن لدي أي فكرة عن أن ليو تشنغجو، ذلك البائس، قد مات".

سألتها لو ييك: "كيف مات ليو تشنغجو؟ هل مات فعلا بنوبة قلبية؟".

فأجابت وو: "كيف لي أن أعرف ذلك؟ لقد أخبرتني قاو شياو تشين بذلك، وأنا صدقت الأمر".

لم يقتنع هوى بذلك، واعتقد أنه هناك أكثر مما تراه العين وقال: "ماذا؟ هل صدقتي الأمر لمجرد أن قاو أخبرتك به؟".

زمّت وو شفتيها وقالت: "على أي حال، إنه ميت الآن بغض النظر عن الطريقة هذا كل شيء لهذه القضية التافهة، أليس كذلك؟ يجب أن أذهب للرقص. لدينا منافسة غدا".

ربت هوى ليانغ بينغ على ذراع الأريكة وقال: "لا تكوني على عجلة هكذا. نحن لن نتدخل في منافستك غدا، لكن هناك بعض الأشياء التي لا نزال بحاجة إلى معلومات عنها ما المشكلة بينك وبين ليو تشنغجو بالضبط يا وو؟ لماذا لا تكنّين له الاحترام؟ اشرحي لنا بوضوح. إذا لم يكن ذلك جيدا، فيمكنك إخبارنا بذلك في النيابة".

لم ترغب وو كايكسيا في الذهاب إلى النيابة العامة، خوفا من أن تصبح موضع شك، وكانت صريحة تماما معهم، فالأمر ليس أنها لا تكن له أي احترام لكن ليو تشنغجو كان وغدا بالفعل فعندما تزوجته لم يكن يملك شيئا على الإطلاق، وكان المنزل الذي يسكنان فيه هو تعويض قدمته الحكومة لوالدها بعد أن هدمت منزله، وبالرغم من ذلك لم يكن يساهم ولو بجزء صغير من مرتبه في مصاريف المنزل، وأرادها أن تتحمل جميع المصاريف وحدها، فقط لأنها حصلت على ملكية العقار قبل زواجهما، كما كانت ترغب بشدة بإنجاب طفل لكنهما لم يتفقا على أسلوب تربية مشترك لتربيته سوية، فكان يريدها أن تتحمل مسؤولية تربيته كاملة أيضا، وفي لحظة غضب قالت له أنها لا تريد أن تنجب طفلا منه مطلقا وأنها تريد الطلاق، لكنه لم يوافق على ذلك وتجاهل الموضوع، بالإضافة إلى أن راتبه كان ضئيلا جدا ولم يكن يملك مكانا آخر ليسكن فيه، فلم يستطع سوى أن يكون عالة عليها، ولكن بعد مرور عدة سنوات بدأ حظ ليو بالتغير نحو الأفضل، وأصبح عضوا في مجموعة شانشوي وأصبح يحصل على راتب ضخم جدا يزيد عن المئة ألف يوان، وأصبح وقتها يريد

الطلاق على الفور، لكنها لم توافق على ذلك، فبعد مرور كل هذا الوقت وبعد أن أصبح يملك هذا الكم الهائل من الأموال، لم تكن لتوافق على الطلاق حتى يقوم بإعطائها مليون يوان تعويضا عن شبابها الذي أهدرته معه، لكن ليو لم يكن يشعر يوما أنه متزوج من شابة صغيرة، ولم يكن مستعدا لإعطائها ولو حتى مئة يوان وهي تطلب الآن مليونا، ومنذ ذلك الحين كان يبقي راتبه معه دون أن يظهر منه أي مبلغ ولو كان زهيدا ويبدده على عشيقاته الكثيرات، وإحدى تلك العشيقات التي كان يخرج معهن قبل أن يموت كانت وانغ التي لم تكن قد بلغت العشرين من عمرها بعد.

قالت وو كايكسيا والمرارة تظهر على ملامحها: "كل شيء بخير الآن، فقد مات أخيرا، لأنه عندما كان حيا لم أستطع الاستمتاع بثروته الهائلة هذه ولو لدقيقة واحدة، والآن أخيرا أستطيع القول إنه ساعدني بشيء بعد موته، فقد قام قاو يوليانغ بإعطائي مليوني يوان على الفور تعويضا لعائلة المتوفى.

كان هوى ليانغ بينغ يتسأل بعد أن سمع حديثها مطولا ويقول لنفسه: "كيف له أن يخبرها بهذا الكم الكبير من الأسرار، وعلاقتهما سيئة إلى هذا الحد، وقرر أن يسألها هذا السؤال الذي وضعها في موقف محرج وأجبرها على الاعتراف أنها لا تملك أية أسرار وأنه لم يخبرها بشيء على الإطلاق، ولكنها قالت إنه ربما قام بإخبار عشيقته وانغ بعض الأشياء، فقد كان العشيقان يعيشان في غرفة داخل مزرعة على أطراف مدينة جينغتشو، وبعد أن كشفت أمرهما استأجرت غرفة مجاورة لغرفتهما وتنصتت على جميع أحاديثهما وسجلت جميع الأسرار التي كان يقولها لوانغ. ظهر لمعة في عيني لو بيك وقالت: "هل قمت بتسجيل كل ما قالاه؟". أجابت وو: "نعم، فقد أردت أن أعرف جميع أسرارهما، وما هو مقدار الأموال التي جمعها خلال كل هذه السنين، وكم عليه أن يدفع لي في حال حصلت على الطلاق، كنت أريد أن أحصل على دليل موثق، فقد قمت بدراسة جميع قوانين الطلاق في بلادنا بتمعن، ورأيت أنه بعد عقد الزواج تصبح جميع الأملاك العقارية ملكا للطرفين بالتساوي ويجب أن توزع بالتساوي أليس كذلك؟". أجابت لو بيك: "لكن هذا قانون الزواج، وليس قانون الطلاق". ردت وو كايكسيا: "نعم، هذا صحيح، فهذا قانون الزواج في جمهورية الصين الشعبية، من لا يعرف ذلك؟ ولكن حسب معرفتي، إنه قانون الطلاق، فبمجرد أن تزوجته، بدأت بجميع التحضيرات لعملية الطلاق، لقد كان هذا الطلاق بمثابة الحرب العالمية بالنسبة إلي".

لم يدع هوى ليانغ بينغ الموضوع يتشعب كثيرا وقال: "لا تخرجي عن سياق الموضوع يا وو، فنحن لسنا هنا لنتحدث عن أمور الطلاق، فأرجو منك أن تخبرينا المزيد عن التسجيلات، فقد كنت تسكنين بجوارهما طوال الوقت، وكان يفصل بينكما جدار أليس كذلك؟ فكيف حصلت على هذه التسجيلات؟ هل وضعت جهاز تسجيل في غرفتهما؟" أنكرت وو كايكسيا التهمة التي وجهها بينغ لها وقالت: "بالطبع لا، فأنا لست العميل جيمس بوند في نهاية الأمر، ولا أملك الجرأة للقيام بأفعال كهذه، لكن ليو تشنغجو ولشدة بخله استأجر مكانا شبه متهدم، جدرانه خشبية لم تكن عازلة للصوت على الإطلاق، فحتى لو أطلق أو عشيقته وانغ الريح كنت قادرة على سماعهما كأنني معهما في الغرفة، حتى أنني كنت أسمع الأصوات المريبة التي كانا يصدرانها أثناء ممارستهما الجنس". لم يكن هوى ليانغ بينغ يعرف ما إن كان عليه الضحك أم البكاء وقال: "حسنا، حسنا لا تخبرينا عن الأصوات التي كانا يصدرانها أثناء ممارستهما للجنس أرجوك، أخبرينا عن ليو تشنغجو ومجموعة شانشوي".

بدأت وو كايكسيا بالحديث عن مجموعة شانشوي وقالت إنها عندما بدأت بتسجيل أحاديثهما، لم تكن تتوقع أن ليو يعرف كل هذه الأسرار عن مجموعة شانشوي، وبعد أن سجلت كل هذه المعلومات الخطيرة، أصبح الخوف يتسلل إلى داخلها شيئا فشيئا، لكنها استجمعت قواها، وقررت أن تخاطر بكل ما تملك وتخبر ليو تشنغجو بالذي تعرفه وقالت له حينها: "إنني على علم بكل ما تفعله يا ليو، فإذا أردت، يمكننا الاتفاق على صيغة معينة لنتفاهم بها، وسأقوم بالتخلص من جميع التسجيلات التي أملكها، وإذا لم توافق على شروطي سأقوم بتسليمها إلى الجهات المختصة". لم يشعر ليو تشنغجو بالخوف على الإطلاق وحتى أنه نصحها بأن تسلم التسجيلات إلى مدير مكافحة الفساد في المقاطعة إيتش تشن هاي مباشرة. أضافت وو كايكسيا قائلة: "لست بهذه الدرجة من الغباء، فإنني أعرف أن ليو كان يحوّل أموال طائلة إلى كبار المسؤولين في الحكومة، وأنني لو قمت بالإخبار عن هذه التسجيلات سيقوم أحد هؤلاء المسؤولين بتصفيتي. وعلمتْ بعد مرور فترة من الزمن أن ليو تشنغجو كان يريد أن يخبر تشن هاي عن الموضوع، كما كان يأمل أن تكون المبادرة منها، وتبدأ هي بشن الهجوم.

فهم هوى ليانغ بينغ ما الذي كانت تحاول أن تقوله ووجه الحديث إليها قائلا: "حسنا يا وو، إذا بمجرد أن وصل إليك قاو يوليانغ، بدأ الشك يتسلل إليك بأن الحادثة كانت جريمة قتل ولم تكن مجرد سكتة قلبية طبيعية يمكن أن تحدث لأي شخص أليس كذلك؟". كانت الصدمة واضحة على

وجه وو كايكسيا للحظات ثم أجابت قائلة: "نعم هذا صحيح، حتى إنني فكّرت في ذلك الوقت أنه من حسن حظي أن أحدا ما غيري قد قام بقتله، أعتقد أنها الشياطين التي في داخلي التي كانت تقول هذا". سألتها لو بيك متعجبة: "لماذا لم تخبري الشرطة بشكوك هذه؟". حرّكت وو عينيها بشكل دائري وأجابت: "هذا سؤال غريب فعلا، لماذا قد أخبر الشرطة؟ ألا تعتقدين أنني أريد الانتقام من ليو تشنغجو؟ لا أعتقد أنني أكره شخصا على وجه هذه الأرض أكثر من كرهي له". أجاب ليانغ بينغ ساخرا: "بالفعل، إنه عدوك اللدود، الذي حصلت نتيجة لموته على مليوني يوان".

تنفست وو كايكسيا الصعداء وقالت: "حسنا كما تريد، وأريد أن أضيف أنني لست أنا التي قتلته، والآن وبعد أن أخبرتكما بكل ما تريدان معرفته هل يمكنني أن أذهب لأكمل رقصتي؟". وضع ليانغ بينغ ابتسامة مزيفة على وجهه وقال: "بالطبع يمكنك ذلك، لكن أرجو منك قبل ذلك أن تسلمينا جميع التسجيلات التي بحوزتك". أجابت وو قائلة: "حسنا، لا مشكلة على الإطلاق، فأنا قمت بتسجيل كل هذه المحادثات لأحصل على الطلاق، ولا أعتقد أنني سأحتاجها بعد الآن، لا بل قد تجلب لي كثيرا من المشاكل إن أبقيتها بحوزتي، فأرجوك خذها وخلصني من هذا الثقل". وبعد أن انتهت من قولها هذا دخلت إلى غرفة نومها، وخرجت بعد قليل حاملة صندوقا مليئا بأشرطة التسجيل وقالت: "هذه هي الأشرطة، يمكنك أن تأخذها كلها، ولكن عليك أن تدفع لي ثمنها قبل ذلك، مائة وأربعين يوانا وستين سنتا". ارتبك هوى ليانغ بينغ للحظات ولم يعلم ماذا عليه أن يفعل ثم أخرج مائتي يوان وأعطاها لوو كايكسيا وقال: "حسنا، لا مشكلة، وبإمكانك الاحتفاظ بالباقي".

بينما كانا ينزلان الدرج ليغادرا المكان، كانت وو كايكسيا قد انضمت إلى مجموعة من النساء اللواتي يرقصن في الحي، وكأن شيئا لم يحدث. صعد بعدها هوى ليانغ بينغ ولو بيك في السيارة النيابة، وانطلقا مبتعدين، وفي اللحظة التي اجتازت بها السيارة مجموعة النساء الراقصات، نظرت لو بيك إلى وو كايكسيا وهي ترقص مندمجة بكل حواسها وقالت: "قل أيها الأمين هوى أي نوع من الزواج هذا؟". ابتسم ليانغ بينغ وقال لها بينما كان يقود السيارة: "إنه نوع من الزواج الذي يبقا فيه كلا الطرفين حذرا من الآخر ويحاول الإيقاع به، كم أنه نوع نادر جدا من الزواج". وأعتقد أنه أصبح لدينا فكرة واضحة عن هذه الأنواع من الزيجات أليس كذلك. أجابته لو بيك قائلة: "لكن هذه الأنواع من الزيجات لم تعد نادرة أيها الرئيس، فقد ازدادت نسبتها بشكل ملحوظ في السنوات القليلة الماضية خصوصا بعد بداية حقبة تكديس المنازل في المدن الكبيرة. فإن وضع بيت الزوجية تحت اسمك، ويصبح ملكا شخصيا لك هو نوع من أنواع الحيطة والحذر". قامت لو بيك بأخذ أحد

أصدقائها المقربين كمثال، وقالت إنها عندما تزوجت، قام أهل العريس بشراء منزل ولم يضعوه تحت اسمها، وتحول الأمر إلى عقدة بالنسبة إليها، فبعد زواجهما، حصل زوجها على مهنة بسيطة، واعتمد عليها طوال الوقت في الحصول على المال له ولعائلته، ولهذا قامت بطلب الطلاق ولم تستطع التحمل، وقالت إنها لو لم تطلب الطلاق ستشعر بالحزن لأنها أفشلت خطة أهل زوجها، ثم طلبت منه أخذ العقار والابتعاد عنها. كان هوى انغ بينغ صامتا طوال هذا الوقت يستمع إلى القصة ويفكر ما إن كانت الأشرطة التي دفع ثمنها مائتي يوان تحمل أي معلومات قيمة بحق، ويبدو أن وو كايكسيا كانت على حق، فكانت أصواته هو وعشيقته وهما يمارسان الجنس تملأ معظم مساحة الأشرطة، ويبدو أن وو قد قالت كل الأشياء المهمة فعلا لمكتب الأمن العام، بدأت لو ييك بالضحك وسخرت من مديرها مازحة لأنه تسبب بخسارة مائتي يوان من أموال الدولة.

على الرغم من أنهم لم يحصلوا على دفتر الحسابات الخاص بليو تشنغجو ولا حتى على أي دليل ملموس يمكنه أن يدين خصمهم، لكن الحظ وقف إلى جانبهم في مواقف عديدة، وبالرغم من أن الخوف كان قد تسلل إلى قلوبهم، ففي فترة قصيرة من الزمن أحرزوا تقدما ملحوظا في سياق التحقيق، ونتيجة للجهود الكبيرة والمثابرة المستمرة التي قاموا بها، بدأ الضباب ينقشع عن وجوه المتهمين شيئا فشيئا وأصبح القبض عليهم مسألة وقت لا أكثر.

34

اليوم طلب شا روجين اجتماعا لجميع العناصر، ولم يخبر أحدا عن فحوى هذا الاجتماع. سارع لي داكانغ وقاو يوليانغ للوصول إلى المبنى رقم واحد، والتقيا صدفة أمام المبنى. ذكر لي داكانغ تشاو رويلونغ من تلقاء نفسه وقال إن هذا الرجل يمتلك قدرا كبيرا من الشجاعة ليأتي إلى جينغتشو في هذه الظروف الحرجة، فقط ليقوم بكفالة نائب رئيس المحكمة الذي كان معروفا بسمعته السيئة، أعتقد أن السبب الرئيسي لقدومه هو وجود ممتلكات مهمة خاصة به في مجموعة شانشوي، حتى إنه أصدر أوامر صارمة وقال إن الأمين السابق تشاو ليتشون يريدهم أن يتوقفوا عن إقحام أنفسهم في هذه الحرب. كانت كلمات لي داكانغ تحمل معنى خفيا داخلها وقال أيضا: "أيها الأمين يوليانغ بالنسبة إلينا فإن مبادئ الحزب الرئيسية هي الأمر الأهم على الإطلاق، أما القوانين التي يبتدعها الأفراد فتأخذ جزء صغيرا من اهتمامنا، باعتقادك من أين تأتي هذه الحروب؟ هل أنا على حق في ذلك؟".

ابتسم قاو يوليانغ ابتسامة ودية، وأومأ مرارا وتكرارا باتزان وقال: "هذا صحيح يا داكانغ، إن الوضع السياسي الآن لمحافظتنا عظيم في رأيي. يمكن القول إنها أفضل فترة في التاريخ. إن تشاو جونيور هو ببساطة شخص يفوق الخيال".

في تلك اللحظة، جاء شا روجين من خلفهما وسألهما بابتهاج: "عن أي تشاو جونيور تتحدثان؟ هل تقصدان تشاو رويلونغ ابن الرفيق تشاو ليتشون؟ كنت أنوي أن أسألكما كيف لدى تشاو رويلونغ الكثير من الشركات في مقاطعتنا؟ كانت ردة فعل الناس قوية، خاصة بالنسبة لمركز ليكفرونت للطعام الفاخر، الذي تسبب بظهور موجة كبيرة من السخط والاستياء. هل يعقل أنكم لم تسمعوا عن هذا طوال هذه السنوات؟". ابتسم قاو يوليانغ بمرارة وقال: "حتى لو سمعنا، لم نكن

قادرين على فعل شيء، وكما يقولون لا تحرق بيتك لتخليصه من الفأر". وأضاف لي داكانغ: "لا أحد يجرؤ أن يحرك ساكنا في وجه شجرة أموال عائلة تشاو".

لم يوافق شا روجين على الكلام وقال: "ليس بالضرورة، فها هو أمين لجنة الحزب المحلية في لوتشو المدعو يي زوشي قد تجرأ على ذلك، واتصل بالرفيق تشاو ليتشون في منزله في بكين وذكر أنهم يستعدون لخطوة جدية مقبلة. ومنذ عدة أيام، قمت والرفيق جوفو برحلة خاصة لرؤيته وأعطانا محاضرة حية، ومن ثم قمنا بجلب كومة من المواد التعليمية من تلك المحاضرة مرة أخرى من لوتشو، وعما قريب، سينالون إعجابكم أيها السادة، وبعد ذلك سنمنحهم لمركز النجاح في الإصلاح ليضيفوهم إلى المجموعة الخاصة بهم".

لم يفهم كل من لي داكانغ وقاو يوليانغ أن اجتماع اليوم كان حقيقة من أجل يي زوشي إلا بعد أن قال شا روجين ذلك. وإلى جانبهما، كان هناك العديد من الرفاق القدامى الذين تمت دعوتهم إلى الاجتماع والذين التقوا يوما بيي زوشي ومن بينهم أمين لجنة التفتيش التأديبية تيان جوفو ووو تشون لين.

وصل الجميع، ودخل شا روجين مباشرة في صلب الموضوع وقال إن الاجتماع اليوم كان فكرته. سيركزون نسبيا على فعل شيء واحد: فحص طائر. وبينما كان شا روجين يتحدث، قام الأمين المسؤول عن العمل السري بتعليق خريطة لشوارع المقاطعة على الجدار. فوجئ لي داكانغ برؤية خريطة الطرق في المقاطعة المألوفة لديه وكان مدهوشا للغاية. وطرق شا روجين على الطاولة ونظر إلى الحاضرين وقال: "أي رفيق يجد هذه الخريطة مألوفة لديه؟". وقف لي داكانغ وقال إنه كان كذلك. كيف يمكن ألا يكون؟ كانت هذه خريطة المقاطعة منذ سنوات. وقد علقت على الحائط في الغرفة رقم 101 من دار ضيافة لجنة الحزب في المقاطعة. كان مالك الخريطة هو أمين لجنة الحزب في المقاطعة آنذاك، يي زوشي. وفي ذلك الوقت، كان لي داكانغ قاضي المقاطعة وعاش في الغرفة 103 المجاورة. قال شا روجين دون أن يلفت الأنظار: "حسنا أيها الرفيق داكانغ، أرجوك أخبرنا القصة وراء هذه الخريطة، دعونا ننظر إلى الأيام الأولى الشاقة من مسيرة الإصلاح والانفتاح".

هيأ لي داكانغ نفسه وشرع في تقديم تقرير عن بناء الطرق في ذلك الوقت. كانت قصة تضحية يي زوشي معروفة بالنسبة إلى معظم المشاركين في الاجتماع، لكنهم كانوا لا يزالون

متأثرين بسرد لي داكانغ الذي كان متأثرا على غير طبيعته، وعيناه تتلألأ بالدموع وتعابيره العميقة وصوته المليء بالعاطفة. وعندما انتهى من الكلام، قال وهو مفعم بالمشاعر: أنا محظوظ حقا لأنني واجهت قائد فريق جيد مثل يي زوشي في ذلك الوقت.

اقترح شا روجين على لي داكانغ الجلوس وقال أمام الجميع: "خلال سنوات الحرب، حمل الرفيق القديم تشن يانشي حقيبة ديناميت من أجل مهاجمة مدينة. وخلال عهد الإصلاح، حمل يي زوشي أيضا حقيبة ديناميت. وعندما حدث أمر خاطئ، تحمل مسؤوليته الخاصة، وخرج سكان المقاطعة فائزين، وحافظ لنا على عضو لجنة دائم في الحزب المحلي".

بعد ذلك، قام الأمين المسؤول عن العمل السري بتعليق خريطة أخرى ممزقة على الحائط. نظر شا إلى الحضور وسأل: "من منكم يجد هذه الخريطة مألوفة لديه؟".

رفع الأمين العام تشيان من المؤتمر الاستشاري السياسي للمقاطعة يده للمطالبة باعتراف. وقال إنه منذ 22 عاما عندما كان أمين لجنة الحزب المحافظ في لينتشنغ، كانت الخريطة معلقة في منزل يي زوشي، قاضي مقاطعة داوكو آنذاك. كان هذا مخطط عمل لتخفيف حدة الفقر في محافظة داوكو. في ذلك الوقت، كانت داوكو أفقر مقاطعة في منطقة لينتشنغ. وخلال فترة عمل يي زوشي، قام بتفتيش كل قرية ومنطقة على الخريطة وأمر فريق البناء في داوكو بالخروج وتطبيق العمل مع القوى العاملة، وهذا ما حوّل داوكو إلى نموذج لمقاطعة جيدة. والآن، أصبحت مقاطعة داوكو الشهيرة مهد الهندسة المعمارية.

تم تعليق الخرائط واحدة تلو الأخرى، وتوالت القصص البطولية ليي زوشي. كانت إحدى الخرائط متصلة بشكل غير متوقع بقاو يوليانغ. فعندما كان قاو يوليانغ أمين لجنة الحزب البلدي في لوتشو، كان يي زوشي أيضا تابعا له، ومكلفا بمكافحة الفساد وبناء حكومة نظيفة في مكتب النقل المحلي.

وكما الجميع، تنهد قاو يوليانغ أيضا وأثنى على يي زوشي لكونه رفيق جيد. وفي تلك اللحظة، أدرك الجميع النقطة التالية: "كان شا روجين يتجه ليصبح بو لي الجديد. وبدون تأخير، تنهد لي وقال: "ثماني خرائط، وضعت مع دموع مريرة".

بعدما شاهد شا روجين لي داكانغ يتحرك قليلا، حاول مشاركته أفكاره.

تحدث لي داكانغ بحماس وقال: "أين كان خطأنا في نظام الكوادر البشرية في السنوات القليلة الماضية؟ لماذا لم تتم ترقية الرفاق أمثال يي زوشي لسنوات عديدة؟ سأقدم خبرتي للجميع لاستخدامها كمرجع. الجميع يعلم أن ترقية الكوادر هي المهمة الأصعب بالنسبة إلى قادة الصف الأول. جميع الكوادر على نفس القدر من الأهمية. وعندما تقوم بترقية واحد منهم، تخشى من معاملته بشكل غير منصف. إن عملية تصنيف الكوادر تشبه نظام المعبد، كلما ترقيت، كلما قل عدد الناس. من الصعب للغاية اتخاذ الترتيبات اللازمة ورعاية الكوادر حول القيادة. فلا أحد لديه الوقت للتفكير في يي زوشي؟ والأكثر من ذلك، أنه لا يدير المهمات أو يقدم الهدايا، هو فقط يعمل".

أكمل شا روجين كلامه حيث توقف لي داكانغ وقال: "استمر يي زوشي في العمل ظنا منه أن المنظمة بإمكانها أن تلاحظ جهوده. فهل يعقل ذلك؟ فالحزب يتكون من أشخاص معينين وتتم إدارته على مستوى المنطقة أو القيادة من الصف الأول. إن السياسة الصينية هي سياسة الصف الأول في القيادة، فإن لم تتقرب منهم، فلا تظهر إنجازاتك ضمن نطاق رؤيتهم".

صاح لي داكانغ بصوت تردد صداه أمام الجميع: "إن الأمين شا على حق إذا استمرت الإيكولوجيا السياسية في التدهور أكثر، فماذا بإمكاننا أن نفعل عندها؟ إذا أراد شخص من القيادة أن يتصرف بنوايا شريرة، كأن يبيع المناصب الرسمية، فكيف بإمكاننا أن نطمح في الترقية والتطور؟ وعندما لا تملك القدرة على فعل شيء، فعندها تتحول البيئة السياسية إلى بيئة فاسدة مما يدفع الكوادر من المستويات الأدنى إلى تنفيذ المهمات وتقديم الهبات، كما تفعل بعد الكوادر من الإناث عندما يقدمن أنفسهن في السرير لكوادر القيادة. وشيئا فشيئا، ينحرف سلوك الأحزاب والحكومات والميول المجتمعية العامة إلى درجة يتعذر تقويمها".

في تلك اللحظة، تكلم قاو يوليانغ وفي وجهه نوع من البهجة قائلا: "ما قاله الرفيق داكانغ ليس خطأ، ولكن لا يمكننا التعويل بشكل زائد. هناك حالات قليلة كحالة يي زوشي، وبطبيعة الأمر، لا يمكننا إبطال العمل التنظيمي لهذا السبب. وفيما يتعلق بأمور تعيين الكوادر، فهناك قواعد وأنظمة داخل الحزب ومعايير للاختيار وطرق التفتيش". تدخّل تيان جوفو في الحديث وقال: "تكمن المشكلة في تنفيذ هذه القواعد، فقد تم ترقية العديد من الكوادر على الرغم من رفضها من قبل الجماهير، فلماذا ذلك؟ هم يملكون موارد سياسية ويي زوشي ليس حالة نادرة، بل يوجد العديد منها في مقاطعتنا. لم يكن بوسعنا أن نكتشف هذا الرفيق الصالح إلا بعدما نفذنا قوانين تنظيم الكوادر

بصرامة". عندها قال قاو: "إن الموارد السياسية يمكن استغلالها بكلا الاتجاهين، فإن كانت الشخصيات الهامة هي الموارد السياسية للكوادر التابعة لها، فبالتالي ستكون هذه الكوادر هي الموارد السياسية لتلك الشخصيات أيضا، أليس كذلك؟ فعندما تم تعيين يي زوشي مديرا لمكتب النقل في لوتشو، اعتبرته حينها موردا سياسيا لي لذا، فيما يتعلق بتنظيم أمور الكوادر، فمن المفهوم أن القادة المسؤولين سيوظفون بعض الكوادر الذين هم على دراية بهم وبخلفياتهم ومزاجهم وقدراتهم، ويمكن للمرء أن يطمئن عند استخدامهم".

في فترة من الفترات، كان الأمين العام تشيان معارضا لقاو يوليانغ وينتقده دائما، ولما كان يقترب من التقاعد ولم يتمكن من الوصول إلى مستوى المقاطعات الفرعية، لذا انتهز الفرصة لشن هجوم على قاو يوليانغ وقال: "بما أنك تعرف يي زوشي جيدا، لدرجة أنك اعتبرته موردا سياسيا لك، لماذا لم توصي به؟ أعتقد أن هناك نوع من التحزّب والفئوية في السنوات القليلة الماضية بشكل لا يمكن إنكاره". فقال قاو يوليانغ مبتسما: "من أين تأتي الأحزاب ومقاطعتنا هي في الغالب سهول مسطحة؟ علاوة على ذلك، هل ينبغي بالضرورة ترقية الرفاق الجيدين ليكونوا مسؤولين رفيعي المستوى؟". في ذلك الوقت، قال الرفيق شاو كي لعامل التنظيف شي تشوان شيانغ: "أنا رئيس الأمة، وأنت تقوم بتنظيف التربة الليلية. وكلانا يخدم الناس".

غضب الأمين العالم تشيان وضرب على الطاولة وقال: "أيها العجوز قاو، توقف عن هذا الكلام السامي". لكن قاو استمر مبتسما وتكلم بنبرة أكثر سامية وقال: "سأعطيكم مثالا آخر، أي نوع من المسؤولين كان لي فينغ؟ وفي أي مستوى؟ جندي يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما في جيش التحرير الشعبي، وقائد فرقة في وحدة النقل، لكن الرفيق لي فينغ هو نموذج يحتذى به للحزب والجيش والأمة. وما زال نموذجا يحتذى به حتى اليوم".

لم يستطع لي داكانغ حقا أن يواصل سماع هذا الكلام، وقال معارضا لكلام قاو يوليانغ: "ما تتم مناقشته الآن هو قضايا الكوادر. نحن نلخص الدروس المستفادة، ولا نقيم مسيرة حياة لي فينغ. مرة أخرى، أثار الأمين العام تشيان أمرا إيجابيا بحقيقة بسيطة قائلا: "إن هذا الأستاذ العظيم مليء بالأفكار المزيفة، فمن ناحية، يطلب من يي زوشي ومن معه بحمل الدلاء والذهاب للتعلم من لي فينغ. ومن ناحية أخرى، يبذل قصارى جهده للتوصية بطالبه لترقيته إلى مستوى المقاطعات الفرعية. فهل يقتنع الناس بذلك؟".

عندها فقط أدرك قاو يوليانغ أنه ارتكب خطأ ما، فجدالاته السامية تحولت إلى مغالطات، ويبدو أنه تكبد ضغطا من الرأي العام. فما هو الخطأ الذي ارتكبه؟ وكيف أمكن للنظريات الدقيقة التي أيدها أن تكون بعيدة هكذا عن الصحة. يبدو أنه كان يحتاج إلى أن يقوم بالنقد الذاتي وبعض التقييمات. ومن ناحية أخرى، شعر أنه لم يكن خطأه. بل كان تأثير السلطة فما قاله لم يكن يحمل وزنا كافيا لأنه لم يكن عضوا في القيادة ولو كان شا روجين هو من أدلى بكل تلك الملاحظات، لكان من الممكن أن يكون حوارا مفتوحا وقابلا للجدال.

في تلك اللحظة، تولى شا روجين زمام الأمور، حيث كان موقفه واضحا وقال: "أيها الرفيق يوليانغ، لقد كانت حججك كلها جيدة، ولكن من الصعب إقناع الناس عند استخدامهم في المكان الخطأ أما بالنسبة إلى عملية تعيين الكوادر، فلدينا دائما القواعد واللوائح الواضحة ومعايير الاختيار وطرق الفحص المناسبة، ولكننا لم نحقق التنفيذ الجيد لها منذ فترة طويلة. لماذا؟ لأنه خلال فترة معينة من الزمن، لم تكن وزارة التنظيم هي وزارة تنظيم الحزب، بل أصبحت وزارة خاصة بالقيادة.

كانت هذه الملاحظة ثقيلة، وكان واضحا من يستهدف بكلامه هذا. كان خجلا من ذكر تشاو ليتشون بالاسم.

التفت شا روجين موجها الكلام للجميع وقال: "اليوم تحولت وزارة التنظيم التي نتبع لها، إلى وزارة تابعة للحزب، حيث قامت بتخريج الرفيق يي زوشي ومجموعة أخرى من الرفاق الشجعان الذين عرفوا بإخلاصهم ونزاهتهم، فعندما ذهبنا إلى لوتشو لنقوم بعملية البحث في المرة الأخيرة، قضيت بعض الوقت برفقة يي زوشي، حيث ذهبت إلى منزله وتناقشنا في مواضيع عديدة حول كثير من الأشياء، كنت أشعر براحة كبيرة وأنا أستمع إلى حديثه ولكيفية نظره إلى الأمر، وأعتقد أنه من الرائع أن يكون لدي رفيق مثله لأكتسب منه الخبرات.

في تلك اللحظة تماما بدأ قاو يوليانغ يشعر بأن أمين لجنة الحزب في المقاطعة يحاول التصرف كبو لي مما سيجعل يي زوشي يبدو كالفرس في المجلس، وبالتأكيد تابع شا روجين حديثه متفاخرا وقال: "أقترح إعطاء يي زوشي المركز الأول، فهذه المرة تمت الإشادة بقرابة العشرة من المناطق والكوادر المحلية التي كان مسؤولا عنها من قبل لجنة الحزب الإقليمية، والخطة التالية التي اقترحها هي أن نقوم بترشيحه لاستلام منصب نائب أمين لجنة الحزب البلدي في لوتشو ونائبا

للعمدة في الوقت ذاته، بالطبع هذه الأمور كلها سنناقشها بشكل جدي في اجتماع اللجنة الدائمة، ومن ثم نخرج بالنتائج النهائية ونعلنها للجميع". وبعد أن أنهى قوله هذا، أعلن شا روجين نهاية الاجتماع، متجاهلا لي داكانغ وقاو يوليانغ.

وأثناء ترتيبه للمستندات الموجودة على المكتب، أخبر الرجلين الواقفين إلى جانبه أنه مر وقت طويل منذ أن تم نقله إلى هنا، وإلى الآن لم يتم عقد أي اجتماع يخص الحياة الديمقراطية، واقترح أن يقوم فريقهم بخطوة استباقية ويعقد هذا الاجتماع، اعتذر قاو يوليانغ ولي داكانغ عن هذا النشاط وقالا أن لديهما عملا كثيرا يجب أن يقوما به ولا يستطيعان تأجيله مطلقا، لكن شا روجين لم يسمح لهما بالفرار بهذه السهولة، وقال ملمحا لشيء ما: "ألا تعتقدان أنه سيكون من السيئ تأجيل هذا الموضوع أكثر من ذلك؟ كنت آمل أن تكونا قدوة لجميع الحاضرين في الاجتماع". شعر لي داكانغ بالتوتر، وأعلن على الفور أنه يريد أن يكون أول المتحدثين في اجتماع الحياة الديمقراطية، وكان يخطط لأن يبدأ حديثه بالنكسة التي وقعت بها زوجته السابقة أويانغ جينغ، ويتحدث عن تفاصيل الحادثة والأمور التي علم بها، ليوضح موقفه أمام المنظمة ويبرئ نفسه كليا. احتد شا روجين ووجه له انتقادا قائلا: "انتظرتك لوقت طويل لتأتي وتخبرني عن الموضوع بنفسك، لكنك لم تفعل، فقمنا بمناقشة الموضوع في اجتماع الحياة الذي أقيم حينها". وأشار شا روجين أيضا، أن حصوله على الطلاق لم يكن خطأ، ولكن استخدامه للسيارة الحكومية وإيصال زوجته السابقة بواسطتها إلى المطار الدولي على الرغم من معرفته أنها تحت الشبهات لقيامها بجريمة ما، كان خطا دون أدنى شك.

تقبل لي داكانغ الانتقاد برحابة صدر، واعترف أنه يمتلك قلبا قاسيا، ولكن عندما وضع على المحك ضعف وحن قلبه لذلك قرر مساعدة طليقته، قال قاو يوليانغ كطرف محايد: "هذا صحيح فعلا، فقد كانا زوجا وزوجة لعدة عقود من الزمن وتشاركا كل تفاصيل حياتهما، ربما مرا بظروف قاسية بعض الشيء ولكن عندما يطلب منك الطرف الآخر المساعدة وهو في موقف كهذا سيكون من الصعب عليك أن ترفض، بالإضافة إلى أنه لم يكن يعلم في ذلك الوقت أن أويانغ جينغ متهمة بالقيام بجريمة". رد شا روجين على ما قاله يوليانغ برصانة: "حسنا، بما أنك ذكرت الأمر، فلو لم يكن هوى ليانغ بينغ هناك حينها ماهي العواقب التي كانت ستؤول إليها القضية؟". اعترف لي داكانغ بصراحة تامة وقال: "أعتقد أن العواقب كانت ستكون خطيرة للغاية لو لم يأت ليانغ بينغ في

ذلك الوقت. ولن أكون قادرا على تبرير ما فعلته أمام لجنة الحزب في المقاطعة وأمام الحكومة المركزية".

دون أن ترف له عين، بدأ شا روجين بالحديث مع قاو يوليانغ وقال: "وماذا عنك أيها الرفيق قاو؟ كيف تسير أمور المطعم الفاخر في لوتشو؟ علمت أنك قمت بالموافقة على بنائه، هل قمت بذلك لتحقيق بعض المأرب السياسية حينها؟". اصطنع قاو يوليانغ ابتسامة مزيفة وأجاب قائلا: "حسنا أيها الأمين شا لقد قمت بكشفي هذه المرة، فقد كان الهدف الرئيسي من المشروع هو تحقيق بعض المكاسب السياسية، وكنا في حالة من العجز الاقتصادي، فاقترح حينها الرفيق تشاو ليتشون ولجنة الحزب الإقليمية أن نقوم بتوسيع عملنا في مجال الخدمات، وبالفعل بدأنا في العمل على مشروع المطعم على الفور، ولم أكن على دراية أنه سيتسبب بهذا التلوث البيئي الكبير، لقد كان درسا قاسيا بالنسبة إلي". رد شا روجين قائلا: "كان درسا قاسيا بالفعل يا قاو، وقد قمت أيضا بالموافقة على مشروع بيغ ويغ بلمح البصر ودون أية دراسة، مما حول بحيرة لوتشو إلى بالوعة نفايات، ألا تعتقد أن التكلفة كانت كبيرة جدا؟".

تصبب قاو يوليانغ عرقا وقال: "هذا صحيح بالفعل، ولكنني لم أكن أتوقع أن تؤول الأمور لهذه المرحلة أيها الرفيق شا، بالإضافة إلى أنني كنت مقيدا ولم أعتقد أنني أملك كل الصلاحيات في تلك الفترة". لم يدع شا روجين الموضوع ينتهي بهذه السهولة فأجاب قائلا: "لم أقتنع بكلامك هذا أيها الرفيق قاو، لماذا لم يفعل داكانغ أمورا كهذه، ولم يدع أنه لا يملك الصلاحيات؟ فهو لم يوافق على هذا المشروع عندما كان عمدة لوتشو، وعندما وصل إلى لينتشينغ حوّل منطقة المنخفض الناجمة عن التعدين إلى منطقة تنموية، وقد رأيت بنفسي النتائج الإيجابية والسلبية للمشروع، وكنت مذهولا مما رأيت حقيقة". أشار لي داكانغ إلى صلب المشكلة على الفور وقال: "إن كلمة السر هي بيغ ويغ، فلو لم يكن أحد أفراد عائلة تشاو هو من أراد بناء هذا المطعم، فأنا على ثقة أن الرفيق يوليانغ كان ليتصرف بشكل آخر".

اضطر قاو يوليانغ أن يبتلع كل الانتقادات التي سمعها، وبدأ بتوجيه النقد الذاتي لنفسه قائلا: "إن الرفيق داكانغ محق تماما، هذا هو تماما ما أردت أن أشير إليه، فبعدم امتلاكي لوعي كاف عن المشروع والنتائج الكارثية التي سوف يسببها، قمت بتنفيذ ما طلبه مني رؤسائي دون أن أدرس الوقائع التي كانت أمامي بتمعن، وبذلك ارتكبت أكبر خطأ في مسيرتي. قال شا روجين ضاحكا: "يا

للهول، انظر إلى صديقنا يوليانغ يتصبب عرقا، يبدو أن مؤتمر الحياة الديموقراطية له بعض المنافع في نهاية الأمر".

35

كان الوقت قد حان ليعتمدوا على أنفسهم، حيث كان هوى ليانغ بينغ ولو ييك غارقين في أفكارهما ويحاولان الوصول إلى خطة عمل محكمة، ووصلوا أخيرا إلى خطة أسموها بخطة السيف ذي الحدين، ووفقا لهذه الخطة فإن مكتب مكافحة الفساد سيطلق حربا خاطفة لا هوادة فيها ويقوم باحتجاز جميع المشتبه بهم جنائيا، كانت كمية المسؤولين الفاسدين والمجموعات الصناعية المتورطة كبيرة جدا لدرجة لم يسبق للمقاطعة إيتش أن وصلت إليها.

لم يتردد جي تشانغ مينغ بالموافقة على الخطة، التي وضعها هوى ليانغ بينغ ولو ييك فوقّع عليها مباشرة، لكنه تجاوز اسم قاو شياو تشين قائلا إنه يجب تأجيل موضوعها الآن، لكن ليانغ بينغ أصر على استدعائها للتحقيق وقال إنه مهما حاول تساي قونغ أن يجعل الأشياء تبدو غامضة، لا بد أن تكون قاو شياو تشين ومجموعة شانشوي لهم صلة بالموضوع بشكل أو بآخر، كما أن حادثة تشن تشينغ تشيوان أثبتت نقطة مهمة ألا وهي أن هنالك شبكة عنكبوتية كبيرة متورطة في هذه القضية، وفي أي لحظة يمكن لنا أن نكشف عن العنكبوت الكبير الذي يقوم بكل التحركات الخطيرة، علق جي تشانغ مينغ قائلا: "بما أنك على علم أن هنالك عنكبوتا كبيرا، فعليك أن تكون أكثر حذرا في الوقت الحالي، هل قامت لو ييك باسترجاع دفاتر الحسابات الخاصة بمجموعة شانشوي لنقوم بدراستها؟". كان ليانغ بينغ متحمسا جدا بشأن القضية ويحاول استعجال الأمور، لكن جي تشانغ مينغ أشار له بيده معارضا وقال: "استرخ ودع العملية تجري بهدوء، اعتبر هذا أمرا".

كان على هوى ليانغ بينغ تنفيذ الأوامر كما هي، وحسب ما كانت تنص عليه الخطة، فإن ليانغ بينغ كان عليه أن يتعامل شخصيا مع ليو تشنغجو، أما قاو شياو تشين، أهم شخص يجب أن يتم استدعائه، للتحقيق لم يقم أحد باستدعائها، لكنهم ظلوا على اتصال بشكل ما مع مجموعة شانشوي،

واستمروا بمعاينة حساباتهم والتحقق منها، وكما كانت الأمور في السابق، ستكون لو بيك هي المسؤولة عن تنفيذ الخطة، وعندما سمعت لو بيك الرسالة نظرت إلى جي تشانغ مينغ وسألت ليانغ بينغ دون أن يشعر أحد: "هل يذهب المدعي العام جي عادة إلى منتجع شانشوي ليغني ويلعب الغولف؟". نظر هوى تجاهها نظرة جدية وقال: "كيف يمكنك إلقاء النكات ونحن في وقت حرج كهذا، إننا بحاجة إلى أدلة قاطعة لنستطيع أن نلقي القبض على زوجة أه تشينغ".

لم يكن من السهل على الإطلاق الحصول على أدلة تدين زوجة أه تشينغ، حيث تم إرسال سيارة شرطة تابعة للنيابة إلى منتجع شانشوي، وكانت قاو شياو تشين ومعها مجموعة من الرجال والنساء بزيهم الأنيق يقفون منتظرين نزول العناصر من السيارة ليقوموا بالترحيب بهم، ابتسمت لو بيك ابتسامة ساخرة وتقدمت إلى الأمام بخطوات واثقة والاسترخاء يبدو على وجهها، وعندما أوشكت على الوصول إليهم اقتربت قاو شياو تشين خطوتين إلى الأمام كرمز للترحيب وقالت: "أهلا بكم". فردت عليها لو بيك: "لا داعي لأن تكوني مهذبة لهذه الدرجة. فنحن سنأتي سواء رحبتم بنا أم لم ترحبوا".

تم وضع كمية كبيرة من الأكياس التي تحتوي على دفاتر الحسابات أمام لو بيك وضباط النيابة، ثم ابتسمت قاو شياو تشين قائلة: "كنا نعلم بقدومكم، ولذلك حضّرنا كل شيء مسبقا". أجابت لو بيك بكلمات حادة وقالت: "هل تقومين بالسخرية منا؟ أم تعتقدين أنك تسخرين من النيابة العامة؟". رفعت قاو حاجبيها وقالت مدافعة عن نفسها: "ما الذي تقصدينه تماما بكلامك هذا؟ فأنا لن أجرؤ على السخرية منك، وبالتأكيد لن أجرؤ على الاستهزاء بالنيابة العامة، فأنا أمقت الفساد تماما كما تفعلين تماما". أجابتها لو بيك قائلة: "حسنا إذا، لنبدأ التخلص من الفساد سوية".

قام موظفو مجموعة شانشوي بتسليم دفاتر الحسابات إلى ضباط النيابة واحدا تلو الآخر، وتحقق الضباط من تواقيعهم على كل دفتر، كان هنالك ثلاث كاميرات من كلا الطرفين تراقب مجرى العملية القانونية، وفجأة قالت قاو شياو تشين مخاطبة لو: "يبدو أن الأمر سيستغرق بعض الوقت أيتها الرئيس لو فما رأيك أن نذهب في نزهة صغيرة إلى الخارج؟". لم تعترض لو بيك وأجابت قائلة: "حسنا، سمعت أنه يمكنك أن تحققي كل ما يمكنك أن تتخيله في منتجعك هذا، وفقط الأشياء التي لا يمكنك تحقيقها هي الأشياء التي لا يمكن تخيلها، حتى أنه يوجد عاهرات أجنبيات أليس كذلك؟ أعتقد أن أحد قضاة مدينة جينغتشو تم القبض عليه هنا أيضا كما سمعت". هزت قاو

شياو تشين رأسها وأجابت: "لست متأكدة من صحة الموضوع، لكنني سمعت من المشرف أن نائب رئيس القضاة اتهم زورا، وكل ما كان يفعله هو تعلم الروسية".

أثناء مسيرهما وصلتا إلى ملعب الغولف ومشتا على عشبه الأخضر، وكانت السماء يومها صافية والهواء الخريفي لطيف جدا، كما كان جبل هورس روك واضحا بمنظره الرائع، وأزهار الأقحوان البرية منتشرة في كل أرجاء الملعب بمنظرها الخلاب عند انعكاس أشعة الشمس عليها، وبدا على السيدتين أن حسهما الأنثوي تأثر بهذه المناظر الطبيعية الخلابة واقتطفا بعض الأزهار ونسقتاها على شكل باقات جميلة أثناء تنزههما.

كان هذا الجو اللطيف يسمح بحديث صريح وعميق حتى بين ألد الأعداء، وابتدأت لو ييك الحديث قائلة: "نحن تقريبا في نفس العمر أيتها الرئيسة قاو فكيف أصبحت محنكة هكذا في أمور الحياة؟". أجابت قو تشاو تشين: "حسنا، هذا لأنني لم أولد تحت ذات النجم المحظوظ الذي ولدتي تحته، وكان علي أن أفعل كل شيء بنفسي". أجابت لو ييك: "ومن الذي يمكنه أن لا يفعل كل شيء بنفسه أيتها الرئيسة قاو؟". فردت قاو عليها قائلة: "أنت لم تقومي بذلك، فوالدتك كانت قاضية، ووالدك كان عنصرا سابقا في الجيش، لقد ولدت في عائلة بارزة وساعدتك في الوصول إلى كثير من الأشياء، أليس هذا صحيحا؟" ضحكت لو ييك وأجابت: "أتعتقدين أنني شخصية مهمة بالفعل؟ هل تقومين بمجاملتي أم بالسخرية مني أيتها الرئيسة قاو؟ فلو كنت شخصا مهما بالفعل، ألا تعتقدين أنني كنت لأملك بعض الأسهم في مجموعة شانشوي التي تملكينها؟ إن تشاو جونيور وتشاو رويلونغ يملكان حصصا أليس كذلك؟". رمقتها قاو شياو تشين بنظرة خاطفة وقالت: "ليصبح لديك أملاك، عليك أن تخاطري، فهل أنت مستعدة للمخاطرة؟". صدمت لو ييك بما سمعته، وعرفت أن كلمات قاو كانت تحمل معنا خفيا خلفها.

لاحظت قاو شياو تشين أن لو ييك لم تتابع الحديث في الموضوع ذاته، فبدأت الحديث عن تاريخها المهني، وبدأت بالحديث أنها جاءت من عائلة متواضعة، وكل ما قامت بتحقيقه هو نتيجة لجهدها الشخصي، ولهذا السبب تشعر بالفخر كلما نظرت إلى الخلف، ضحكت لو ييك ساخرة وقالت: "وماذا عن إنشائك لمؤسسة تقدر بمليارات الدولارات بفترة لا تتجاوز العشر سنوات؟ أعتقد أن أمرا كهذا يبدو كمعجزة خارقة". ردت قاو بنوع من الجدية وقالت: "لذلك أنا ممتنة لهذا العصر العظيم من الإصلاح والانفتاح ودائما ما أخبر موظفي أنه طالما كان لديك القدرة والمثابرة وكنت

مستعدا للقتال على الدوام، فسيكون بإمكانك اجتراح المعجزات". عندها سألت لو بيك مستغربة: "وهل كانت هذه المعجزة نتيجة للسلطة، أم كانت نتيجة لإرادتك وتصميمك؟". أجابت قاو بصرامة: "دون أدنى شك، كان هذا نتيجة لمجهودي الشخصي، فلطالما كنت أومن أن المال وحده لا يمكنه أن يفعل شيئا دون التصميم والإرادة".

أثبتت هذه الجرأة اللامحدودة الاستقرار النفسي لخصمها، وشعرت لو بيك أن هذا الجمال الذي يقف أمامها لا يمكن الاستهانة به.

سألت لو بيك محاولة تغيير الموضوع: "لقد اعتقلت حملة مكافحة الفضائح نائب رئيس المحكمة العليا. ألا تشعرين بالقلق على الإطلاق؟". قالت قاو شياو تشين: "لا يمكنك التحكم في أخلاق الأشخاص في عالم الأعمال. إلى جانب ذلك، لا يوجد فندق لا تحدث به هذه الأمور. ولايزال الجميع يتركون أبوابهم مفتوحة على مصراعيها لتحية الزبائن. ليس هناك ما يدعو للقلق. انظري إلى هذا المنظر الجميل، تلك السماء الزرقاء والغيوم البيضاء، كم هي الحياة رائعة". وأضافت وهي تنظر إلى لو بيك: "أنا صغيرة على القلق، والشي الوحيد الذي من الممكن أن يقلقني هو أن تكون الحياة قصيرة إلى حد ما".

نظرت لو بيك إلى السماء وقالت: "يا لسخائك يا حضرة الرئيسة قاو، لو كنت مكانك، لفكرت في الأخطاء التي ارتكبتها أثناء تجميع ثروتي. وهل حصلت على أي شيء عبر الخداع؟ وهل كانت ثروتي عن طريق جعل الناس تبكي دما؟" فسألت قاو شياو تشين: "تبكي دما؟ يا له من كلام في هذا الزمن، لا تستطيع أن تربح بدون أن تتألم، وإذا كنت لا تجعل الآخرين يبكون دما، فإنهم قد يجعلوك كذلك...".

فقاطعتها لو بيك وقالت: "حضرة الرئيسة قاو، ألست قلقة بشأن هؤلاء المزارعين الذين تم طردهم، والعمال الذين تم تسريحهم؟". فقلبت قاو عينيها بانزعاج وقالت: "ماذا يمكن أن يؤثر ذلك علي؟ لقد تم نقل كل متر من الأراضي التي تنتمي إلى مجموعة شانشوي إلينا من خلال إجراءات قانونية، وتم منح المزارعين التعويض المناسب. أما بالنسبة للعمال الذين تم الاستغناء عنهم، فلم أكتف بعدم الاستغناء عنهم، بل قدمت أيضا عدة مئات من الوظائف لهم". حنتْ لو بيك رأسها وشمّت الزهور البرية في يدها وقالت: "هل لي أن أسأل، ماذا عن العمال الألف الإضافيين مصنع

دافنغ للملابس؟ كيف يفقدون وظائفهم؟". فعلقت قاو شياو تشين باستخفاف قائلة: "يجب عليك أن تسألي الاستغلالي تساي قونغ عن ذلك. إنه الشخص الذي تسبب في انهيار مصنع دافنغ".

"نعم، أنت على حق، تساي هو شخص استغلالي، لكن ماذا عنك وعن مجموعة شانشوي الخاصة بك؟ ألست استغلالية أيضا؟ هل أنت حقا بتلك البراءة؟". قالت لو بيك هذا وهي تنظر بحدة إلى قاو شياو تشين. ثم تابعت قائلة وهي تلمح لشي ما: "إذا كنت حقا بهذه البراءة، فماذا عن مديرك المالي؟".

تظاهرت قاو بالجهل وقالت: "مديري المالي؟ حسنا، لقد رأيته منذ لحظات، وحضر إلى عملية التسليم مع رجالك". فردت لو بيك: "أنت كثيرة النسيان على ما يبدو، كان هذا كبيرا من كبار المسئولين الماليين الذي كان معك لمدة اثني عشر عاما، وتوفي منذ فترة ليست بالطويلة في كهوف التنقيط في جبل يانتاي، هل حقا نسيت هذا الرجل؟". فبدت الصحوة على وجه قاو فجأة وقالت: "أنت تقصدين ليو تشنغجو لقد كان رجلا جيدا". فضغطت عليها لو بيك وسألت: "هل يمكنك التحدث عن سبب موت هذا الرجل الطيب؟ فلم يكن خائفا من الموت إطلاقا، أليس كذلك؟".

أجابت قاو شياو تشين ببرود: "إنه رجل لا يخشى شيئا. توفي إثر نوبة قلبية وقد كان ذلك غير متوقع". فسألت لو بيك: "سمعت أنك ذهبت إلى منزل ليو للتعبير عن تعازيكم. هل ذهبت بالنيابة عن الأمين قاو يوليانغ؟". دحضت قاو شياو تشين هذا الكلام على الفور وقالت: "كلا، من أين سمعت بذلك، لم أذهب كي أمثل أحدا، من أنا كي أمثل قاو يوليانغ أساسا؟". ضحكت لو بيك وقالت: "بالضبط، هذا تماما ما كان يحيرني، فأنت الرئيسة قاو. كيف بإمكانك تمثيله".

في تلك اللحظة، جاء وكيل النيابة وقال: "لو، لقد تم تنفيذ عملية التسليم". وعندما باشرت لو بيك بتوديع قاو شياو تشين، شدت قاو على يدها كما لو أنها تطلب منها البقاء وقالت: "حضرة الرئيسة لو، دعينا نلتقي كلما سنحت الفرصة، فقد استمتعت بالحديث إليك".

إذا كان طريق لو بيك عبارة عن مسرحية مليئة بالمعاني الخفية دون أن يكشف أحد عن ألوانها الحقيقية، فإن الطريق الذي يتّبعه هوى ليانغ بينغ كان خطيرا، حيث ظهرت المظاهر المدنية والعسكرية على المسرح في وقت واحد، وتسببت في وقوع حادث كبير.

بمجرد وصولهم إلى الطابق الثامن والعشرين من مبنى مجموعة شركات النفط والغاز بالمقاطعة، شعر هوى ليانغ بينغ أن هناك خطب ما. لم يكن هناك أي شخص يشغل مكتب الاستقبال، ولم تكن هناك روح في المكان. كان الباب المؤدي إلى مكتبي الرئيس والمدير التنفيذي مقفلا من الخارج على غير العادة، ثم وجد عن طريق الصدفة عاملة النظافة وبيدها ممسحة، فأوقفها هوى ليانغ بينغ وسألها: "أين ليو تشنغجو والرئيس ليو؟". فأجابت بعصبية وقالت: "لا أعلم، لا أعلم". ثم اندفعت إلى المصعد بخطوات سريعة وذهبت إلى الطابق السفلي. لم تبد الأمور جيدة بالنسبة إلى هوى. ربما قفلت هذه الموظفة على ليو تشنغجو من الخارج نظرا لأن ليو كان رجلا أساسيا واستثنائيا. أمر هوى الموظفين القضائيين بكسر القفل وأبقى على الباب مفتوحا.

تقدم جميع الضباط القضائيين لكسر القفل. وبعد كسره، ركلوا الباب بقوة وهرع جميع الضباط القضائيين إلى الداخل يتبعهم هوى ليانغ بينغ. وعند دخولهم، كان المشهد ينذر بالخطر...

كان رئيس مجلس إدارة مجموعة النفط والغاز في المقاطعة، السيد ليو تشنغجو، والذي بدأ عمله ككشاف عسكري، مسلّحا بسكين ويقف على مكتب كبير بالقرب من النافذة.

كان يضغط على شريان رقبته بشفرة السكين وقال: "لا أحد يقترب... تراجعوا جميعكم إن اقترب أحدكم سأقتل نفسي...".

اعتصر قلب هوى ليانغ بينغ. يا لها من حماقة فقد كان ليو تشنغجو لاعبا أساسيا في هذه القضية. وإذا حدث أي خطأ، فإن كل عملهم الشاق سيذهب سدا يجب أن يكون حذرا.

ومع أخذ ذلك في الاعتبار، اقترب هوى ليانغ بينغ ببطء من المكتب وقال بثبات: "الآن، حضرة الرئيس ليو، أرجوك اهدأ وضعْ السكين جانبا".

استمر ليو تشنغجو في الصراخ وقال: "إذا أردتموني أن أهدأ، فاخرجوا جميعا الآن".

حاول هوى التقدم قليلا إلى الأمام ثم قال: "سنفعل ذلك، لكن أنزل السكين وضعها جانبا من فضلك". فأجاب: "كلا، اخرجوا أولا، اخرجوا جميعكم الآن".

تردد هوى ليانغ بينغ للحظة، ثم أجبر على التراجع بضع خطوات إلى الوراء وقال: "حضرة الرئيس ليو، بما أن الأمور قد وصلت إلى هذه المرحلة، أرجوك أن تكون أكثر عقلانية لقد

بدأت كجندي، وعملت في وقت ما بجانب أمين لجنة الحزب الإقليمي الرفيق تشاو ليتشون لسنوات عديدة. يجب أن تتفهم ذلك. لا تسئ لنفسك هكذا، ولا تعقد الأمور علينا. نحن نقوم فقط باستدعاء روتيني للاستجواب".

قال ليو تشنغجو ساخرا: "توقف عن هذه الحماقة، أعلم ما ستؤول إليه الأمور، اخرج من هنا حالا".

تراجع هوى ليانغ بينغ خطوتين إضافيتين وألمح لضباطه بالتراجع أيضا.

في تلك اللحظة، أومض الضوء الأحمر في الكاميرا المثبتة على اللباس الخاص بفريق تطبيق القانون على صدر هوى ليانغ بينغ والذي يدل على بدء عملية التسجيل في الكاميرا. وقال هوى حينها: "إن هذه الكاميرا يا سيد ليو مهمتها الإشراف على عملية تطبيق القانون، وسيتم توثيق جميع أفعالك على الفيديو. لذا أعتقد أنك ستندم على ما جرى بعد أن تهدأ وتشاهد مرة أخرى هذا التسجيل يوما ما". تنهد ليو وقال: أنا أشعر للتو بالندم في الوقت الحالي. فقد قام أحد الأشخاص مسبقا بإعطائي تلميحا بوجوب مغادرة البلاد والتواري عن الأنظار، لكنني لم أصغ". واصل هوى الحديث على الفور تجنبا لانقطاعه وقال: "حقا؟ طلبوا من منك أن تغادر كما حصل مع دينغ يجن؟ حضرة الرئيس لو، في الواقع، عاش دينغ حياة صعبة في الخارج، كان يغسل الأطباق لحساب مطعم صيني في كندا، ودائما ما يتعرض للتهديد من قبل المجرمين". فقال ليو تشنغجو: "هذا كلام فارغ، يدير دينغ يجن شركة لحفر منجم ذهب في غانا، في إفريقيا".

كان هوى ليانغ بينغ يعيش في حالة تأهب دائم: "حضرة الرئيس ليو، ممن سمعت ذلك؟ إذا أخبرتنا، فستقدم لنا خدمة جليلة". سخر ليو تشنغجو من هذا الكلام وقال: "ماذا تقصد بالخدمة الجليلة؟ أولا، أقوم بشق جسدي، وأميل إلى الوراء، وأسقط ثمانية وعشرين طابقا. وستكون هذه نهاية كل شيء".

ثم صرخ ليو مشيرا إلى السكين "لقد سمعت كثيرا عنك يا هوى. أخبرني أحد الأشخاص عنك في وقت سابق قائلا إنك لا ترحم أحدا حتى لو كان أحد أفردا عائلتك، وأن أولئك الذين يقعون بين يديك قد انتهوا". ابتسم هوى بلطف وقال: "على العكس تماما، فقد أحميك أيضا إذا وقعت بين

يدي ضع السكين أولا". "حسنا؟". صرخ ليو تشنغجو ولوح بالسكين وقال: "دع ضباطك يغادرون أولا".

انتبه هوى ليانغ بينغ أن المكتب كان بجوار النافذة التي كانت مفتوحة على مصراعيها. وكما قال للتو، ستكون نهاية كل شيء في حال سقط على ارتفاع ثمانية وعشرين طابقا.

وإذا أراد أن يبقيه هادئا، فعليه تقديم تنازلات. لذا، طلب من الضباط القضائيين مغادرة المكان، لأنه يريد أن يقوم بدردشة مع الرئيس ليو على انفراد. نفّذ الضباط أوامره وتراجعوا وبقي هوى ليانغ بينغ وحيدا في الغرفة.

كان ليو تشنغجو مترددا إلى حد ما، ثم ألقى بالسكين على الأرض. فتنفس هوى ليانغ بينغ الصعداء وخطط لانتهاز الفرصة للاقتراب والتعامل مع هذا الكشاف السابق. لكن الأخير قرأ على ما يبدو أفكار المحقق وبدون تأخير أخرج إحدى ساقيه من النافذة وقال: "حسنا، دعنا نتحدث". بدا الكشاف السابق ليو تشنغجو مسترخيا، لكن قلب المحقق هوى ليانغ بينغ كان يدق بسرعة.

لم يكن هوى ليانغ ليانغ ليتوقع أن يقوم أحدهم بمراقبة ليو تشنغجو مترقبا سقوطه. ولو أن هوى ليانغ بينغ كان يملك حاسة رؤية خارقة ونظر إلى خارج شارع تشونغشان نورث الصاخب، لكان قد اكتشف أن هناك شخصا في مبنى هاييتي الدولي المقابل يمسك بمنظار ويراقب نافذة مبنى مجموعة النفط والغاز. وعندما شاهد أن ليو تشنغجو يتدلى جزء منه خارج النافذة، قال بحماس على الهاتف: "لقد أخرج ساقه من النافذة". وكان الرد من الطرف الآخر بحماس أيضا: "جيد، إن كان يستطيع القفز، سيكون ذلك رائعا...".

طلب هوى ليانغ بينغ من ليو تشنغجو عدم القفز قائلا: "حضرة الرئيس ليو، أعرف أنك لست خائفا من الموت. فعندما كنت كشافا في الجيش، كنت قد أنقذت أطفال بعض الرفاق من حريق حيث كنت متمركزا وتم منحك وساما من الدرجة الثالثة. ولكن إن قاومتنا وأصررت على الانتحار، فإنك ستجلب كثيرا من العار لنفسك. أخشى أنك ستشعر بالخجل الشديد من مواجهة أسلافك الذين رحلوا قبلك، أليس كذلك؟". حدث تحول واضح في وجه ليو تشنغجو وقال: "أنت تعرف القليل عني يا هوى".

قال هوى ليانغ بينغ: "سأترك مهنتي إن لم أكن أعرف أي شيء عنك أثناء التعامل مع قضيتك. هل تعرف لماذا جئت شخصيا؟ كنت قلقا من حدوث خطب ما، وهذا ما يحدث فعلا..." فردّ ليو بسخرية قائلا: "كلامك يدل على أنك لا تفهمني". فأجاب هوى معترفا: "ربما، لكن لا بد أن نحظى بدردشة في وقت مناسب لكي نفهم بعضنا بشكل أفضل ما رأيك بهذا؟ هل علينا التحدث كجنديين أو كشخصين متحضرين وتتراجع عن مكانك أمام النافذة؟".

كان ليو تشنغجو مرتبكا إلى حد ما، لكنه كان مترددا في الاعتراف بالهزيمة وقال: "لكن أنا مرتاح هكذا". هز هوى رأسه وقال: "لكنه غير لائق حقا. أعلم أنك حريص على حفظ ماء وجهك وكرامتك. وها هي الكاميرا توثق كل شيء الآن، وعندما ستنظر إلى الأمر لاحقا، ستندم على ذلك بكل تأكيد".

تردد ليو تشنغجو للحظة ثم أدخل قدمه إلى الداخل.

محافظا على مزاجه الجيد، مشى هوى ليانغ بينغ في جميع أنحاء الغرفة متأملا جميع الأرجاء بهدوء، ولم يكن يشعر بالأمان تماما لأن ليو كان متوترا وواقفا على مكتبه ومستعدا للقفز في أي لحظة. حينها قال هوى: "حضرة الرئيس، أعرف أن أصولك تنحدر من الثوريين القدامى، فجدك من والدك قد قضى حياته محاربا جماعة الجابز أليس كذلك؟". اتسعت عينا ليو تشنغجو وقال: "هذا صحيح، فإن جدي يبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاما، ومنذ عامين بثت محطة التلفزيون الإقليمية دراما تلفزيونية تتحدث عن حياة جدي". قال هوى ليانغ بينغ مضيفا: "وكانت جدتك هي الابنة الكبرى لإحدى أشهر العائلات الرأسمالية الثرية في جينغتشو، حيث ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب، لكنها لم تكترث لهذا كله أليس كذلك؟". فوجئ ليو تشنغجو وقال: "أنت على علم بهذا أيضا؟ نعم أنت محق تماما، فكثيرا ما كانت هذه العجوز تقوم بسرقة سبائك الذهب من منزل أهلها وتحول النقود من حساباتهم لتسلمها تحت الأرض إلى أفراد من عناصر حزب جينغتشو".. رد عليه ليانغ بينغ: "كانت جدتك تمول المنظمة في أصعب الأوقات وأشدها، وأعتقد أنها إن رأتك الآن على هذه الحالة ستقوم بتوبيخك على أفعالك". بعد قوله هذا وضع هوى ليانغ بينغ يده على طاولة المكتب وقال: "انزل لنتحدث، فأنني أشعر بالدوار أثناء حديثي معك وأنت على هذا الارتفاع".

قفز ليو تشنغجو عن المكتب وجلس على كرسي مقابل لليانغ بينغ، وبدأ التوتر يخف شيئا فشيئا داخل الجلسة، تنهد هوى ليانغ بينغ وتابع الحديث قائلا: "منذ جيلين وإلى الآن، كان كل فرد

من أفراد عائلتك عضوا في الحزب، وأنت الآن طبعا بموقعك الحالي المهم، ماذا فعلت باعتقادك الأجيال التي سبقتك من أشياء تفتقر لوجودها ويجب عليك تطبيقها؟ هل تعتقد أنك تفتقد للإيمان والقناعات؟".

أصر ليو تشنغجو أنه لم يفقد إيمانه بقناعته مطلقا، وقال إنه يستطيع أن يقرأ البيان الشيوعي عن ظهر قلب حتى الآن، وبعد قوله هذا، فتح فمه وبدأ يهمهم: "شبح يطارد أوروبا، إنه شبح الشيوعية، لقد تحالفت كل أوروبا للقضاء على هذا الشبح، من البابا إلى القيصر ومترنخ ووالراديكاليون الفرنسيون ومعهم الشرطة الألمانية".

بينما كان ليانغ بينغ يشاهد ويستمع بصمت للعرض الذي يقدمه ليو تشنغجو بدأ يفكر بينه وبين نفسه قائلا: "إن هذا الليو غريب الأطوار فعلا، فهو يقوم بتلاوة البيان الشيوعي بسهولة كبيرة وكأنه مطبوع في رأسه". كانت خزائن الكتب في مكتبه ممتلئة بمجلدات كارل ماركس ولينين، بالإضافة أن شكل صفوف الكتب واحدا تلو الآخر كان يبدو كمنظر سور الصين العظيم، وكان يدعي هذا الرفيق القديم أنه يذرف الدموع كلما شاهد فيلما ثوريا قديما، وكان فيلمه المفضل هو لينين في أكتوبر. كان ليو تشنغجو مغرما بالثورة وبنظريات المعلمين الثوريين، ولم يكن يبدو أنه يصطنع ذلك، فقد كان مدربا جيدا في الجيش بالفعل، كما أنه بذل مجهودا كبيرا عندما كان الأمين الأول لتشاو ليتشون، وكان جميع رفقائه الجامعيين يشيدون بذاكرته الخارقة، ولهذا كان قادرا على حفظ البيان الشيوعي عن ظهر قلب، كما كان باستطاعته قراءة مقاطع كاملة من كتاب رأس المال.

توقف ليو تشنغجو فجأة عن الانفعال وتنهد قائلا: "ليس لدى الكادحين ما يخسرونه إلا قيودهم، ولديهم العالم كله ليفوزوا به" كم كان المعلم حكيما عندما قال ذلك. في تلك اللحظة، تدخل الضباط القضائيون، الذين كانوا ينتظرون في الخارج لوقت طويل، وألقوا القبض على ليو تشنغجو وكبلوا يديه بالأصفاد. عند ذلك فقط هدأ قلب هوى ليانغ بينغ وقال: "أيها الرئيس ليو هل ما زلت من الكادحين الآن؟ لقد فزت بالقيود ولديك حياة كاملة لتخسرها دعنا نذهب، لقد تسببت بعذاب كاف ليوم واحد".

أغلق هوى ليانغ بينغ النافذة الكبيرة التي أبقته متوترا طوال الوقت، خلال خروجه من الباب.

منذ أن سحب هوى ليانغ بينغ قدمه المتدلية من النافذة، أصبح الضابط الذي كان يتجسس عليهما منذ البداية عبر الشارع في مأزق، وقال: "مهلا، أين ذهبت الساق التي كانت متدلية من النافذة؟". تنقل بمنظاره صعودا وهبوطا، ثم يمينا ويسارا، وهو يبحث عنها باستمرار. كان قد أزعجه ضوء الشمس الذي انعكس على زجاج النوافذ الكثيرة الموجودة في المبنى، فقد ظهرت هناك قدم متدلية، ثم اختفت فجأة، فأرهقه ذلك. فهم الضابط بأن شيئا لم يستطع مشاهدته قد حدث في تلك الغرفة عندما أغلقت نافذتها، لكنه لم يكن قادرا على الرؤية، فأنزل الضابط منظاره بخيبة أمل وبدأ بالسباب.

عند ذلك خرج صوت الضابط المسؤول من الهاتف الخلوي قائلا: "حسنا، ما الخطب؟". فرد الضابط على عجل قائلا: لقد اختفت قدمه ذلك الضعيف لم يقفز في النهاية.

36

اتصل تشي تونغ وي بهوى ليانغ بينغ في فترة ما بعد الظهر من اليوم الذي ألقي القبض فيه على ليو تشنغجو، ودعاه لتناول العشاء في منتجع شانشوي، وكان هذا غريبا. لكن ما كان أكثر غرابة، هو أن هوى ليانغ بينغ قال إنه كان يراجع قضية ولا يستطيع الذهاب، فقال تشي تونغ وي بصراحة: "ألست تستجوب ليو تشنغجو من مجموعة الغاز والنفط؟ جاء ابن الأمين تشاو ليتشون، تشاو رويلونغ، بسبب هذا الموضوع ويريد أن يقابلك. أنا أعتقد بأن هذه فكرة الأمين العجوز".

لمعت مجموعة أفكار في ذهن هوى ليانغ بينغ: "كانت تلك استجابة سريعة فعلا، وهو بالتأكيد لم ينبس ببنت شفة، فتبين له أن هناك أمل ما. ولكن تظاهر بشيء من الصدمة وقال: "هل هو قادم لإخراجه؟ وهل هذه وجبة أستطيع أكلها؟". فقال تشي تونغ وي: "لماذا لا تستطيع أكلها؟ أنا سأرافقك، فما الذي تخاف منه؟". فأجابه هوى ليانغ بينغ بوضوح: "مسألة ليو تشنغجو مسببة للمشاكل. لقد تم القبض على الرجل، وتم رفع القضية". فقال تشي تونغ وى بشكل اعتيادي: "الأشخاص الذين يتم القبض عليهم، يتم إطلاق سراحهم. والقضايا التي يتم رفعها، يمكن سحبها". فتنهد هوى ليانغ بينغ وهو يقول: "هل الموضوع بهذه البساطة أيها الصديق القديم؟ أنا لست أنت، وقد مضى عدة أشهر منذ نقلت إلى هنا. ولا أجرؤ على إفساد كل شيء، ولذلك من الأفضل ألا أتناول هذه الوجبة".

لم يسمح له تشي تونغ وي بالتهرب وقال: "تعال إذا وغني أغنية، وزوجة تشينغ تريد أن تسألك ما إذا كنت شيانغ أو وانغ".

سرّ هوى ليانغ بينغ في داخله بعد إنهاء المكالمة، فهذه كانت النتيجة التي يرجوها. لقد تسببت عملية السيف باستحضار الورقة الرابحة في رأسه، حيث لم تعد الأرملة السوداء تحيك أكاذيبها، لكن الغامض تشاو الابن، الذي كان يظهر تارة ويختفي تارة أخرى، جاء لإطلاق سراح ليو تشنغجو وكان يطبق قرار والده، أمين لجنة الحزب البلدي السابق وكان مدير إدارة الأمن العام تشي تونغ وي يقوم بالترتيبات بشكل شخصي بغض النظر عن مصيره. كم كان حجم السمكة التي سحبها؟ ألا يجب عليه أن يذهب ويتأكد؟ من المرجح أنه ضرب كعب أخيل من خلال القبض على ليو تشنغجو".

ذهب هوى ليانغ بينغ إلى مكتب رئيس النيابة، وأعطى جي تشانغ مينغ إحاطة عن الحالة الطارئة. صدم تشانغ مينغ أيضا بأنهم قد باغتوا تشاو ليتشون بهذه السرعة، وبأن مدير إدارة الأمن العام يقوم علنا بإطلاق سراح الأشخاص، في هذه الحال سوف يظهر دوره بسرعة. نتيجة لذلك، كان تقييم جي تشانغ مينغ بأن هذه مأدبة هونغمين التي يتم فيها قتل الضيف. ونصح هوى ليانغ بينغ أن من الأفضل له ألا يذهب. لكن ليانغ بينغ كان يظن بأنها فرصته الوحيدة لرؤية تشيانغ زوانغ وهو يؤدي رقصة السيف في مأدبة هونغمين، والتي كانت سببا إضافيا لذهابه.

كان جي تشانغ مينغ يجول الغرفة جيئة وذهابا وهو يفكر، ولم يكن ينظر إلى هوى ليانغ بينغ أبدا وهو يقول: "لكن هذه مخاطرة إننا نقترب من الحقيقة شيئا فشيئا. فحادث سير تشن هاي لم يعد محيرا، ولدينا تفسير معقول لموت ليو تشنغجو في عطلته. يمكنك القول إن لدينا عموما نظرة واضحة على خصومنا، فنحن نعرف كم هم خطرون، كم هم منسجمون مع الشرطة والمجرمين. إنهم قساة القلوب ومتشددون للغاية". قال هوى ليانغ بينغ ما كان يدور في ذهنه، أحد أخطر الشخصيات بينهم هو زميل دراسته تشي تونغ وى. ركز جي نظره على هوى وقال: "هذا جيد طالما أنت على علم به. إن تشي تونغ وى هو مدير إدارة الأمن العام، وإذا أصبح هو تشيانغ زوانغ في مأدبة هونغمين، فإن رقصة السيف المعاصرة ستكون بموتك أنت لقد كلفت تشن هاي الكثير، وأنا لن أسمح لك بالتعرض لنفس الخطر".

سعى هوى ليانغ بينغ لإقناع رئيس النيابة قائلا: "الوضع مختلف، فأنا لست تشن هاي، إنني القرد الملك في الواقع". وبمجرد أن وقع الحادث المؤسف لشن هاي، فإن المشتبه به الأول الذي خطر في ذهن هوى ليانغ بينغ كان تشي تونغ وي، لقد أخذ دور جوليان سوريل عندما قال هذه المقولة: عليك أن تتوخى الحذر إن أردت التفوق على الجميع. ومن أجل حفاظه على سمعته وثروته

التي قضى عمره كله يكافح للحصول عليها، كان عليه أن يظل حذرا على الدوام، وهذا هو السبب الذي كان يدفع هوى ليانغ بينغ لحماية صديقه كل هذه الفترة الطويلة.

في تلك اللحظة قام جي تشانغ مينغ بوضع جميع أوراقه على الطاولة أيضا وقال إنه كان يشتبه بتشي تونغ وي منذ لحظة هروب دينغ يجن غير المتوقعة، لكنه لم يشك مطلقا بلي داكانغ، فهو لم يكن يملك أية خبرة في مجال الأمن أو العمل السياسي والقانوني ولهذا لم يكن باستطاعته ترتيب هروب كهذا، ضحك هوى ليانغ بينغ وقال: "حسنا، إذا بما أننا جميعا متفقون على الأمور ذاتها، لنذهب إلى الوليمة سويا، ومع توفر هذه الأجواء الجيدة للتحقيق، لا يمكننا أن نضيع فرصة كهذه على الإطلاق، حتى لو عرضنا أنفسنا لبعض المخاطر، أعتقد أن الأمر يستحق ذلك". وافق جي تشانغ مينغ على الاقتراح، وطلب من ليانغ بينغ أن يأخذ معه بعض معدات التسجيل، ويسجل الجلسة كاملة لتكون دليلا قويا فيما بعد.

كان الشخص الذي يفترض به أن يقل هوى ليانغ بينغ هو قاو شياو تشين، التي قادت السيارة بسرعة وخرجت من مركز المدينة لتقود في أزقة الضواحي مسرعة وكانت الليلة يومها ضبابية وعاصفة، كما كان النهر الفضي واضحا على جانبي الطريق وجبل هورس روك أمامهما يغطيه الضباب، كان الندم واضحا على وجه هوى ليانغ بينغ، فقد كان يحب هذه المناظر الطبيعية الخلابة المحيطة بمنتجع شانشوي وعلى وجه الخصوص كان يحب الاستمتاع بصوت تدفق مياه النهر الفضي، لكنه لم يكن قادرا على سماعه في تلك الليلة، فربما كان صوت السيارات يغطي عليه، لأنهم وصلوا يومها في ساعة الذروة والسيارات تدخل وتخرج من المدينة بأعداد كبيرة جدا.

على الطريق سأل هوى ليانغ بينغ قاو شياو تشين: "هل فعلا جاء ابن الأمين السابق تشاو ليتشون فقط من أجل ليو تشنغجو التابع لمجموعة الغاز والنفط؟". وتماما كما اعتاد تشي تونغ وي أن يجيب قالت قاو شياو تشين أن ليو كان نائب الأمين العام لمدة ثماني سنوات وهذا هو سبب قدومه الحقيقي، ومن غير الممكن أن يكون غير مبال حقا، فمنذ أن تم القبض على ليو تشنغجو لم يستطع أن يجبر مكتب مكافحة الفساد على سحب القضية أو على إطلاق سراحه، فقد كان يأمل أن يتم إطلاق الحكم على المسألة بأسرع وقت، وعندها لن يكون نطاق أولئك المتورطين في العملية واسعا جدا.

قال هوى ليانغ بينغ بجدية: "أعتقد أن ليو تشنغجو متورط بمشاكل كبيرة جدا، ويبدو لي أن هنالك من كان يقنعه بمغادرة البلاد، لكي يذهب إلى أفريقيا ويدير شركة تنقيب عن الذهب هناك، أهذا صحيح فعلا؟ إنني فضولي حقا، فمن هو هذا الشخص الذي كان يحاول إقناعه طوال هذه المدة؟ وما هدفه من هذه العملية؟". نظرت قاو شياو تشين إلى ليانغ بينغ بطرف عينيها وقالت له: "حسنا أيها الأمين هوى بما أنك فضولي إلى هذه الدرجة سأقوم بإخبارك، لقد كان هذا الرجل هو تشاو جونيور". وبعد قولها هذا سألت ليانغ بينغ بنبرة ساخرة: "هل تحاول اصطياد بعض الفرائس هنا أيها الأمين هوى؟". أجابها ليانغ بينغ: "نعم هذا صحيح، فبصفتي مدير مكتب مكافحة الفساد، فأنني أتصرف بشكل غريزي وهذا واجبي". قامت قاو شياو تشين بالاقتراب من ليانغ بينغ ليصبح رأسها بجوار رأسه ثم سألت: "وهل تعتقد الآن أنك أصبحت قريبا من اكتشاف جوهر سرنا؟".

ابتسم هوى ليانغ بينغ، لكنه لم يستجب. وفي تلك اللحظة، دخلت سيارتهم منطقة المنتجع، وتوقفت عند المبنى رقم (1). أحس هوى ليانغ بينغ بشعور غريب حالما خرج من السيارة، كانوا دائما ما يقيمون حفلات العشاء في المبنى متعدد الأغراض. وهو نفس المكان الذي يأكلون ويشربون ويقضون أوقاتهم به. لكن لماذا قاموا بتحويل وجهتهم إلى هذا المكان؟ كان المبنى رقم (1) عبارة عن فيلا على النمط الفرنسي ومظللة بالأشجار والهدوء يعم المكان. وخلفها، تنحدر تلة بشكل تدريجي، بينما إلى اليمين كان ملعب الجولف الواسع. بالإضافة إلى العديد من الفيلات المنتشرة حوله. لاحظ هوى ليانغ بينغ أن الفيلا البريطانية المقابلة لها كانت أطول من المبنى (1)، وكانت قمة هذه العمارة الكلاسيكية على الطراز القوطي. حفظ هوى ليانغ بينغ خلسة كل هذه التفاصيل عن المحيط بذاكرته. من المؤكد أن هناك شيئا ما غريبا. خرج من السيارة ووضع قدمه على الممر الحجري، ثم دخل ردهة المبنى رقم (1) مع قاو شياو تشين، استقبلهما خادم تشي تونغ وي العجوز تشينغ وقال: "حضرة الرئيس قاو، حضرة المدير هوى، أستميحكما عذرا، ولكن المدير أوضح أن اجتماع اليوم هو اجتماع خاص. هو والرئيس تشاو من بكين لا يريدان أن يزعجها أحد. يرجى تسليم الهواتف المحمولة والأجهزة الالكترونية، وستكون في خزانتي في الوقت الحالي. هل بإمكانكما تفهّم؟".

أخرجت قاو شياو تشين هاتفين خلويين من حقيبتها وسلمتهما إلى العجوز تشينغ وقالت: "بما أنها تعليمات المدير، فسوف ألتزم بها". ضحك هوى ليانغ بينغ وقال أيضا: "بما أن الرئيسة قاو امتثلت للتعليمات، يجب أن ألتزم بها أيضا".

سلّم هاتفه رغم ذلك، وتابع السير إلى الأمام. وفجأة، بعد أن سار بضع خطوات فقط، أعطى الماسح الضوئي الإلكتروني إنذارا مما أثار غضب العجوز تشينغ الذي قال باحترام: "عفوا حضرة المدير هوى، لكن هل تملك هاتفا آخر؟". فنفى هوى ذلك بعد تفكير قصير. فنظر إليه العجوز وقال بلباقة: "الماسح الضوئي لا يكذب". فرد عليه هوى ليانغ بينغ قائلا "هل تقصد أني كاذب؟". لكن العجوز تشينغ لم يدعْ الأمر يمر وقال: "هل تملك أية أجهزة أخرى غير الهاتف؟ مكبر صوت أو مسجل فيديو؟". ضرب هوى ليانغ بينغ نفسه على جبهته وقال: "معي قلم مسجل". فأخرجه وسلمه إلى تشينغ وقال: "احتفظ به في مكان آمن ولا تفقده. فهو ملكية عامة".

وعندما غادرا اللوبي، شعر هوى وكأنه قد تم نزع سلاحه. فبدون هاتفه، لم تكن لديه وسيلة للتواصل مع جي تشانغ مينغ الذي قد يكون في وضع غير مستقر. ولم يتمكن من التسجيل وتوثيق المقابلة أيضا، لذا بغض النظر عما يقولوه اليوم، لا يمكن استخدامه كدليل. كان مستوى هذه المجموعة من الناس في الواقع أعلى من المتوسط. ولحسن الحظ، لم يحضر معه مسدسه إلى المأدبة، وإلا لكان من الممكن أن يسلمه قبل دخوله فيكشف عن نفسه في وقت مبكر جدا. وفي الوقت الذي اقترح فيه جي تشانغ مينغ أن يحصل على مسدس ويأخذه معه، فكر في ذلك مرة أخرى ثم قرر التراجع عن ذلك. لكن الآن، ما الذي كان هؤلاء الزملاء بالضبط يحاولون فعله؟ كان عقل هوى ليانغ بينغ لا يهدأ، ويحسب كل أنواع الاحتمالات والسيناريوهات المتخلفة المحفوفة بالمخاطر...

احتوى الطابق الأول من الفيلا غرفة المعيشة وقاعة الولائم التي كانت فخمة وواسعة، وجلس على الأريكة رجل يضع نظارة ذهبية مزخرفة، رقيقة لكنها راقية. وكان تشي تونغ وي يجلس إلى جانبه ويرافقه كالجمل القوي الذي يرافق الماعز.

كان من الواضح أن هذا الرجل الشاحب الوجه كان تشاو جونيور. كان هوى ليانغ بينغ مندهشا بعض الشيء. فلم يبد هذا الرجل بتلك الشخصية الأسطورية الماكرة التي جاءت من عائلة تبلغ ثروتها عشرة مليارات. لقد بدا كمربّ هزيل. نعم، كان مربيا لعدد لا بأس به من الرجال.

أمام الأريكة، أخذ تشي تونغ وي هوى ليانغ بينغ بيده وقدمه إلى تشاو جونيور. "هوى ليانغ بينغ، زميلي في المدرسة، ومدير مكتب مكافحة الفساد في المقاطعة، سيف جينغتشو الحاد في مكافحة الفساد، حاد بشكل مخيف".

"لقد سمعت عنه، لقد سمعت عنه". وبعد أن قال ذلك، سلمه تشاو جونيور بطاقة عمل بكلتا يديه. فأخذها هوى ليانغ بينغ وألقى نظرة عليها وقال: "تشاو رويلونغ، الرئيس تشاو، أنت من المشاهير". ابتسم تشاو رويلونغ بخنوع وقال: "حضرة المدير هوى، لابدّ أنك تشير هنا إلى والدي. ذلك الرجل العجوز كان حاكما لثماني سنوات وأمينا للجنة الحزب الإقليمية لمدة عشر سنوات. لذلك بصراحة، إنه من المشاهير. أما أنا مجرد رجل أعمال عادي ولست مشهورا".

فردّ هوى ليانغ بينغ قائلا: "أنت متواضع جدا. فمن الصعب عليك أن تكون رجلا ناجحا في مجال الأعمال ومتواضعا في نفس الوقت". ثم استدار وألقى نظرة على تشي تونغ وي وقال: "حسنا يا رفيق الدراسة، يمكنك تعلم أمرا أو أمرين ها هو الرئيس تشاو متواضع للغاية، وأنت تصبح أكثر ظهورا وتجلب ضباط الشرطة خاصتك إلى الاجتماع الخاص ألا تخاف أن أكتب تقريرا صغيرا للسلطات العليا وأزيحك من مكانك؟".

فردّ تشي تونغ وي بكلمات تحمل تهديدات مبطنة قائلا: "ربما لن تتمكن من إزاحتي من منصبي حتى لو كتبت تقريرا صغيرا، وهذا من مصلحتك على كل حال، انظر إلى نفسك، انظر إلى عدد الأشخاص الذين أسأت إليهم في الأشهر الثلاث الأولى من وصولك إلى جينغشو. أستطيع أن أقول لك أن ما لا يقل عن اثني عشر شخصا يريدون أن...". فانفجر هوى من الضحك فجأة وقال مقاطعا: "أوه، عندها سأشكرك كثيرا على حمايتك لي يا صديقي القديم".

كانت الحفلة على وشك أن تبدأ، وأخذ الجميع مقاعدهم. ربما لم يكن تشاو رويلونغ شخصا صبورا، أو ربما لم يعط اهتماما لأي شخص آخر. ولم يلبث الجميع أن جلسوا حتى دخل في صلب الموضوع وأثار قضية ليو تشنغجو. في الظاهر كان مثقفا ولطيفا، لكنه كان مغرورا، حيث قال إن ليو تشنغجو كان الأمين الأول لوالده لمدة ثماني سنوات.

كانت علاقة الرجلين كالابن وأبيه. لذلك، عندما علموا بقضية ليو تشنغجو، كان والده قلقا وأرسله خصيصا لمعرفة ما يجري. لكن لم يكن الوضع خطيرا جدا. ورد هو ليانغ بينغ بحكمة قائلا: "من الصعب القول في الوقت الحاضر. لم يبدأ التحقيق بعد".

تدخل تشي تونغ وي قائلا: "لكن ألم تقم باستجوابه فعلا؟ لقد قلت ذلك عبر الهاتف". أوضح ليانغ بينغ الموقف قائلا: "لقد توقف الاستجواب عندما تلقيت مكالمة هاتفية من أحد زملائي

القدامى". بجانبهم، كانت قاو شياو تشين مسرورة، وقالت: "ذلك يعني أن المدير هوى كان يحاول حفظ ماء وجه زميله، اقترب تشي تونغ وي أكثر إلى هوى ليانغ بينغ وسأله: "هل هذا يعني أنه لا يزال لدي وجه لإنقاذ؟". مال هوى ليانغ بينغ بكرسيه إلى الخلف وقال بشكل متعمد: "أنا أيضا قلق من أن ليو تشنغجو سيفشي بكل شيء بشكل عشوائي، وإذا حدث ذلك، فكيف يمكنني أن أحكم على الأمر كما هو؟". وأكد هوى ليانغ بينغ ذلك بالتحديد قائلا: "أستطيع أن أقول إن ليو تشنغجو ليس رجلا قويا، فقد حاول القفز من المبنى. ومن المرجح أن يتحدث في أي لحظة...".

قال تشي تونغ وي لليانغ بينغ وهو ينظر إلى تشاو رويلونغ: "لدي أنا والبروفسور قاو شعور بالقلق من أن يقوم ليو تشنغجو بإفشاء الأمور وتوجيه اتهامات طائشة. فلو قام مثلا بتوريط الأمين تشاو ليتشون، فلن نكون قادرين على تبرير أنفسنا أمامه. لذا يأمل البروفيسور قاو أن نتمكن اليوم من التحدث معكم". أضاف تشاو رويلونغ قائلا: "لقد أوضح والدي بشكل خاص للأمين العام قاو يوليانغ أنه لا يمكن الحكم على هذه المسألة إلا كما هي ليس أكثر".

على الرغم من أن ذلك كان متوقعا، إلا أن هوى ليانغ بينغ كان مصدوما. وهو يبقى معلمه في نهاية المطاف، ودرس الأمس لا يزال حيا في ذاكرته. قبل بضعة أيام فقط، تحديدا عندما اخترق السيف الحاد الموجه ضد الفساد الأمين العام السابق للأستاذ، ظل الأستاذ يخبره أن يفعل كل ما كان عليه أن يفعله، وأخبره ألا يستمع إلى تونغ وي أو أي شخص آخر. وكان يريده أن يضع في اعتباره أن النيابة العامة كانت تسمى في السابق النيابة الشعبية، وكانت محكمتهم تسمى محكمة الشعب. بينما كان أمنهم العام يسمى الأمن الشعبي العام. لذلك كان عليهم أن يضعوا مصالح الشعب فوق كل اعتبار لكن ماذا حدث هنا؟ لقد أراد حقا أن يعطي معلمه مكالمة فورا ويؤكد أن ما قاله تشي تونغ وي وتشاو رويلونغ كان صحيحا، لكنه تخلى عن الفكرة بعد التفكير فيها. ونظرا لوضع معلمه الصعب، لم يكن لديه خيار آخر سوى الصمت.

سكبت قاو شياو تشين الكحول للجميع وقالت: "حسنا، دعونا نأكل بينما نتحدث. سأقدم لكم اليوم زجاجة ماوتاي ذات الثلاثين عاما". قال هوى ليانغ بينغ على الفور: "سأحصل على بعض البيرة فقط. يعلم زميل دراستي أنها المشروب المفضل لدي". التقط تشي تونغ وي كأسه وشربها بجرعة واحدة ثم قال: "فقط تعامل معها على أنها كأس من البيرة. والآن يا ليانغ بينغ، سأخبرك بشيء من أعماق قلبي يا زميل ولا أقدر على إخفائه". تظاهر هوى ليانغ بينغ بالهدوء بينما يتناول

طعامه ثم قال: "هذه هي النتيجة يا صديقي القديم، فأنت تفكر في الموضوع أكثر من اللازم، ويبدو أنني خاطرت كثيرا بدوري، فإن لم نقل نحن الأخوة لبعضنا البعض كلاما حقيقيا ونابعا من القلب، ألن تظن أن الجميع سيخيب ظنه؟". ضحك تونغ وي كثيرا وأجابه: "ما المخاطر التي أخذتها يا ليانغ بينغ؟ وهل أنا من أقوم باستضافة مأدبة هونغمين؟". ضحك ليانغ بينغ بالمقابل ثم قال: "حسنا أنت تعترف أنك من تقوم باستضافة هذه الوليمة إذا؟ اطلب من شيانغ تشوانغ أن يحضر في الحال". تبادل عندها تشاو رويلونغ وقاو شياو تشين نظرات مريبة فيما بينهما وبدا عليهما الحرج.

وبعد ذلك مباشرة، تم تقديم المأكولات البحرية، بدأ ليانغ بينغ بتناول الطعام وقال مازحا: "كم مر من الوقت منذ أن شاهد أحد منكم محارا جنوب أفريقيا كبيرا كهذا؟ فأنا لست كالرئيس تشاو، وأعتبر قدومي إلى هذه الوليمة لتناول هذه الأنواع من الأطعمة معكم مخاطرة حقيقية، فإن حصل خلاف بيني وبين شخص ما في هذا المجلس في أحد الأيام سيضع كامل الحق علي، وفي اللحظة التي ستوضع بها صور هذا المحار الجنوب أفريقي وزجاجة المواتي التي تبلغ من العمر ثلاثين عاما على الأنترنت، سيكون علي تقديم استقالتي كمدير مكافحة الفساد على الفور". أجابته قاو شياو تشين وفي كلامها نوع من التوبيخ: "أي نوع من الأشخاص تعتقد أنني والرفيق تونغ وي أيها الأمين هوى؟ فنحن لم نأخذ أية احتياطات أثناء جلوسنا معك، وكنا نتحدث بكامل حريتنا طوال هذه الأمسية، حتى أنه أصبح لديك بعض الدلائل إن أردت أن تأخذنا إلى التحقيق يوما ما". انفجر هوى ليانغ بينغ ضاحكا وقال: "وكيف يمكنني أن أفعل هذا؟ أتعتقدون أنني لا أعلم مع من أتعامل حاليا؟ فقد قمتما بأخذ هاتفي الخلوي وقلمي المسجل، فكيف لي أن أحصل على الأدلة إذا؟ أما أنتم فباستطاعتكما تسجيل صوتي الآن والإيقاع بي بسهولة شديدة". كان تشاو رويلونغ صامتا طوال الجلسة ويقوم بمراقبة هوى ليانغ بينغ عن بعد، لكنه لم يستطع إلا أن يفتح فمه ويرد قائلا: "إن هذه ملاحظة ممتازة أيها الأمين هوى ومن الرائع فعلا التعامل مع شخص ذكي مثلك بالفعل". وبعد قوله هذا اقترح ليانغ بينغ نخبا على شرف تشاو رويلونغ.

كان الجميع مشغولا بتناول الطعام واحتساء المشروب والجو العام كان مليئا بالحياة والطاقة، حيث كان ليانغ بينغ يتفحص محيطه كل فترة والأخرى، كانت القاعة تملك تصميما خاصا، فكان الجانب الجنوبي عبارة عن نوافذ فخمة بإطلالة واسعة ولكن هذا خلق مشكلة بسيطة، وهي أن الصالة تصبح مكشوفة على أي شخص ينظر من الخارج وكأنها مسرح كبير، ولكن إن أسدلوا الستائر ستحل المشكلة على الفور، وما كان غريبا بالفعل هو وجود إطارات لتعليق الستائر، لكنهم

لم يقوموا بإسدال ولا حتى واحدة منها، أو أنهم قاموا بإزالتها مؤقتا مما جعل الخوف يدخل إلى قلب ليانغ بينغ وأصبح ينظر إلى الموقف بوجهة نظر تشاؤمية، فهذه الصالة لم تكن مجرد صالة طبيعة، وكان داخلها هدفا سائغا وعليه أن يجد ملجئ على الفور وباستثناء طاولة الطعام والأريكة، لم يكن هنالك أي مكان ليختبئ فيه، وبعد أن فكر جيدا استنتج أن طاولة الأشخاص المهمين هذه هي أفضل مخبئ على الإطلاق.

كانت قاو شياو تشين مخمورة بعض الشيء، حيث كانت تغني طوال الوقت للرجل العجوز من عائلة تشاو الذي كان يتحدث عن ليانغ بينغ ويقول: "لقد تخرج ليانغ بينغ أيضا من جامعة إيتش لكنه ذهب مباشرة بعد تخرجه إلى العاصمة بكين ولم يبق في مدينته، إن الفضل في نمو وتطور المقاطعة إيتش يعود إلى الأمين المناضل والمحبوب من قبل الجميع تشاو ليشون، الذي قام بالعديد من الإنجازات التي لا يمكن لأحد نسيانها، فقد كان حاكما للمقاطعة لمدة ثماني سنوات، وأمينا عاما لمدة عشرة أعوام، كما أنه استمر بإدارة الدوائر السياسية لمدة ثمانية عشر عاما، وأعتقد أن البروفيسور قاو والرفيق لي داكانغ كان كلاهما جنرالات تحت قيادته كلما كان تشاو يشرب المزيد من الكحول كان وجهه يزداد بياضا ويصبح مزاجه عاليا مما يجعله يتحدث أكثر.

"رقّى والدي الأمين قاو والأمين لي ودفعات من جنرالات الإصلاح. يمكنه أن يسيء اختيار بعض الأشخاص، لقد أساء اختيار كادر أو اثنين وتحولت هذه الكوادر إلى كوادر فاسدة شيئا فشيئا.." تدخل تشي تونغ وى قائلا: "هذا صحيح، على سبيل المثال مجموعة ليو تشنغجو للنفط والغاز". فقال تشاو رويلونغ: "لقد تسبب الوغد ليو تشنغجو بنوبة قلبية لوالدي، ومازال في المستشفى حتى الآن". فنظر هوى ليانغ بينغ إليه بحيرة وقال: "كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ لا تقل لي بأن أميننا القديم كان يحصل على شيء جيد من ليو تشنغجو، فهذا غير ممكن لقد كان كل شيء علنيا. بأية حال لا يوجد تسجيلات صوت أو فيديو".

سكب تشي تونغ وي كأسا آخر من الموتاي، وقال هائجا: "هل تعلم كم تبلغ قيمة ثروة عائلة المدير تشاو؟ حوالي العشرة مليارات يوان تقريبا. هل تظن بأن الأمين العجوز سيهتم بالاستفادة من ليو تشنغجو؟ لقد كان الأمين العجوز قلقا من أن يتم استخدام ليو تشنغجو لخلق ضجة وتخريب الوحدة في صفوف كوادر مقاطعتنا".

أدار هوى ليانغ بينغ وجهه نحو تشاو رويلونغ وقال بكل صدق: "كيف أمكنك جمع أموالك التجارية أيها المدير تشاو؟ إنها بالتأكيد أسطورة من الزمن وأرجو أن تغفر لي فضولي". كان تشاو رويلونغ غير مرتاح نوعا ما، ولكنه حاول إبقاء ابتسامة على وجهه وقال: "أعرف بما تفكر أيها المدير هوى، فأنت كمدير مكتب مكافحة الفساد من المحتم أن تنظر للأشخاص بعيون مشبوهة. ولكن هذا لا يهم، فأنا ضميري مرتاح. وكل قرش في شركاتي، سواء في البورصة أو في غيره، كسبته بشرف وفي وضح النهار".

بعد سماع ذلك تنفس هوى ليانغ بينغ الصعداء ورفع كأسه وقال: "حسنا دعنا نشرب كأس الإيرادات النظيفة بما أنك نظيف، فلن تخشى أن يحقق أحد بأمرك، ولا أظن بأن ليو تشنغجو سيقول شيئا". عند ذلك قامت قاو شياو تشين بإعطائه كأسا جديدة وقال بأنه يريد بعض الخمر أيضا: "إنه موتاي معتق منذ ثلاثين عاما، وسيكون من الخطيئة عدم احتساء البعض منه".

شرب هوى ليانغ بينغ الخمر وتلمظ، ثم طلب منهم أداء بعض أوبرا "معركة الذكاء" وقال إنه جاء إلى هنا من أجل هذا الأمر تحديدا. أدرك تشاو رويلونغ بأن شيئا ما كان خاطئا فوقف وهو متجهم، لكنه لم ينس الآداب فودعهم وأخبرهم أن يغنوا ما يريدون، فهو لا يعرف كيف يغني ولا يستطيع البقاء معهم.

بمجرد أن غادر تشاو رويلونغ، جلس تشي تونغ وي أمام هوى ليانغ بينغ بجو من الحزن، فقد كان لديه ما يقوله وقد خبأه لوقت طويل. حيث قال إنه ليس من السهل أن تصل إلى هنا في هذه الحياة، وخاصة بالنسبة إليه. فلكي يصل إلى منصبه الحالي، لم يتردد في الزواج من امرأة عجوز وإحضارها إلى منزله وتملقها حتى وقت قريب.. فقاطعه هوى ليانغ بينغ قائلا: "كانت البروفيسورة ليانغ لو شابة أيضا، وكانت من الجميلات، وعندما تقدمت لخطبتها لم تكن عجوزا يا صديقي القديم". كان تونغ وي منزعجا، ولكنه كان صادقا عندما أجاب: "لماذا لا تستطيع فهمي يا ليانغ بينغ حتى لو قليلا؟ أنا لا أريد أن أؤذيك عندما كنا نشرب في كشك الطعام، كان لدينا لحظة من القلب إلى القلب، وأنت تعرف ذلك".

أصبح هوى ليانغ بينغ عاطفيا أيضا وقال: "وهل أريد إيذائك أنا يا تونغ وى؟ أنا فعلا أتمنى ألا يصيبك مكروه وعندما كنت في حالة سكر، كنت صادقا عندما قلت إنك كنت ذات يوم بطلا في كتابي".

أمسك تشي بيد هوى وقال: "أعرف ذلك يا أخي، وبالرغم من أننا كنا نتشاجر ونتحارب عندما كنا زملاء دراسة، إلا أننا كنا معجبين ببعضنا الآخر ضمنيا، أليس كذلك؟ دعنا نحمل أرواحنا كأخوين حقيقيين. وانحنى تشي مقتربا من هوى وهمس في أذنه: "المدير تشاو ليس هنا الآن، قل سعرك فقط قل المبلغ الذي تريده".

صدم هوى ليانغ بينغ وكأن جسده صعق بالكهرباء، توقف للحظة ثم سأل ببطء: "ماذا تعني؟". فقالت قاو شياو تشين التي كانت جالسة إلى جانبه: "لقد قلت لك في السيارة، دعنا نحرك هذا الركود". سرح هوى ليانغ بينغ بنظراته المتجهة نحو تشي تونغ وي وسأل: "هل هذه النحن تتضمن المدير تشي؟". لم تخف قاو شياو تشين الأمر وقالت: "نعم، سأكون صريحة، المدير تشي لديه أسهم في مجموعة شانشوي". وقف ليانغ بينغ مذهولا وقال: "يا للسماوات أيها الصديق القديم لقد دخلت في العمل فعلا".

فنظر تشي تونغ وي إلى هوى ليانغ بينغ ببرود وقال: "لا يسعني أن أكون خاسرا يخشى الفقر كما في حيواته الثلاث السابقة". فانحنى هوى ليانغ بينغ نحو تونغ وي وقال: "حسنا، هل يملك معلمنا قاو أسهما؟". هز تشي تونغ وي رأسه وقال: "كلا، فما يريده البروفيسور قاو هو مساحة شاسعة من الأرض أقرب إلى سلطة لا نهائية. حتى لو أعطيت معلمنا جبلا من الذهب، فسوف يستبدله بالسلطة".

لم يسأل هوى ليانغ بينغ أي أسئلة إضافية، ولكنه تمدد وتثاءب ثم قال: "مفهوم هل نبدأ الغناء يا صديقي القديم؟". فبدأت قاو شياو تشين بالقلق وقالت: "لم تجب عن سؤالنا أيها المدير هوى". فقال تشي تونغ وي بعد أن فهم ما يجري: "لا داعي لأن تسألي. لقد أجاب عليه بالفعل. ناد المرافق الموسيقي ودعونا نبدأ بالغناء".

دخل المرافق الموسيقي وجلس على كرسي، وبدأ العزف على كمان ذي وترين بوجه مليء بالرضا.

لم تتخل قاو شياو تشين عن محاولتها ولم تستسلم حتى الآن، فقالت بصوت عذب وهي تتأبط ذراع هوى ليانغ بينغ: "أيها المدير هوى إذا كنت لا تريد قول ذلك، فما رأيك أن أقترح أنا سعرا؟".

بدا وكأن هوى دخل في الشخصية، فهز يد قاو الصغيرة الناعمة بعيدا عنه وهو يشير إلى تشي تونغ وي قائلا: "الماذا، إن غناء صديقي القديم جيد جدا. إنه يملك روحا، يملك روحا أكثر من سنوات خلت".

فنظرت قاو شياو تشين إلى الداخل وقد فقدت بريقها ثم قالت: "نعم، في غنائه روح فعلا..".

وقف تشاو رويلونغ في الفناء يدخن السيجار، فهو يعرف تمام المعرفة بأن مدير مكتب مكافحة الفساد صريح جدا وبأنه كان عنيدا ويصعب شراؤه. بدا تشاو رويلونغ لطيفا وهادئا، ولكنه كان في الحقيقة متعجرفا وغير منضبط، وقد جاء هذا لأنه كبر في بيئة غنية. وكان لدى الابن المدلل قول مشهور: (من يتجرأ على التحديق في وجهي، سأقتلع عينيه).

كان الهواء كثيفا ورطبا، بينما أخذ الضباب يستقر. وكانت رائحة التبغ قد علقت في ملابسه، كما علقت مخاوفه التي تقض مضجعه ليلة بعد أخرى، فلم يجر شيء بسلاسة هذه المرة في المقاطعة إتش. هو لم يتمكن من إخراج رئيس القضاة، وقبل أن يدري، كان قد ألقي القبض على ليو تشنغجو الذي كان رئيس شركة النفط والغاز واسعة النطاق والمملوكة من الدولة، وكان أمين والده القديم. وفي السنوات الماضية، كان قد استخدم كل السبل لتحقيق الأرباح لعائلة تشاو من خلال استغلال منصبه. وطالما حصل شيء لهذا الرجل، فمن الأكيد أن الحقيقة ستظهر. وقد حذره تشي تونغ وي قائلا: "عندما يتحدث ليو تشنغجو، فسنكون جميعنا بدءا من والدك وقاو يوليانغ وانتهاء بمجموعة أصدقائنا في مشكلة". ناقش الرجلان المسألة عدة مرات، وفي النهاية قررا أن يخاطرا. وضعا اليوم كل أوراقهما على الطاولة، كان من الأفضل أن يكسبا هوى ليانغ بينغ إلى طرفهما. وإذا لم يستطيعا، سيخنقواه وسيكون هذا اليوم من السنة القادمة هو ذكرى وفاته.

ظهر تشينغ العجوز فجأة من الظلام كشبح، وقدم لتشاو رويلونغ تقريرا، فقد وجدوا الجاسوس واستدرجوه إلى منتجع شانشوي، وإذا اضطر الأمر فستكون هذه قصتهم: أطلق الجاسوس النار على هوى ليانغ بينغ مدير مكتب مكافحة الفساد، وبعد ذلك أردي قتيلا من قبل رجال الشرطة، وستكون بصمات الجاسوس المميزة على بندقية القناص عندما أسس تشاو رويلونغ المطعم الفاخر على شواطئ البحيرة، وكان تشينغ شرطيا متواضعا، كان يتسكع معه في السر والعلن. كان بالتأكيد مخلصا، ولذلك رتبوا له عملية القنص هذه المرة. لكنه لا يزال مترددا في تلك اللحظة، فهو سيقوم بقنص مدير مكتب مكافحة الفساد. سواء أنجح أم لا، فسيكون هذا مسببا للمشاكل. طلب تشاو

رويلونغ من العجوز تشينغ الانسحاب، وركز عينيه على المبنى رقم 3، الفيلا البريطانية عبر قاعة الولائم. كان الضباب يتزايد، وبدأت الزهور والنباتات بالاختفاء. رمى تشاو رويلونغ نصف سيجارة وتنهد بصوت عال، فنجاحهم يتوقف على هذا، ولذلك كان متوترا.

لم يتوقع أن يرن هاتفه في تلك اللحظة، ونظر إلى هوية المتصل ولم يرد. استمر الهاتف في الرنين، فأجاب على المكالمة قائلا: "أيتها الأخت الثالثة".

لم يخف تشاو رويلونغ من أحد منذ طفولته، ما عدا أخته الثالثة. فقد كانت عصبية وذكية، وكانت أكثر شخص يعرفه، إنها عمليا تعرفه أكثر من نفسه الآن اتصلت أخته الثالثة وقالت باستخدام نبرة متسلطة: "أنا أعرف بالضبط إلى أين قادك غرورك لا تسمح لأفكار غبية بالاستحواذ عليك، يجب أن تكون عقلانيا وأن تعرف متى تتوقف. لقد دعاك والدنا إلى التوقف عن كل العمليات الحمقاء. انسحب بسرعة من تلك المناوشة الكبيرة لا تذهب للموت في المقاطعة إتش أنت الابن الوحيد لوالدك والأخ الوحيد لأخواتك الثلاث".

امتلأت عينا رويلونغ بالدموع وأصبح محيطه ضبابيا. في تلك اللحظة بدأت صفارات سيارات الشرطة تدوي، وكانت تتوضح كلما اقتربت. كان من الواضح أن شخصا ما قد نبه الأخت الكبيرة، ولذلك استطاعت أن تتصل به في ذلك الوقت بالذات. بعد التفكير بذلك، لم يعد الأمر مفاجئا. ففي النهاية كان والده حاكم المقاطعة إتش وأمين لجنة الحزب الاقليمية لسنوات عديدة، لقد كان شجرة قديمة ذات جذور عميقة.

سار تشاو رويلونغ إلى الفيلا البريطانية وتسلق الدرج الضيق بخطى ثقيلة. وقف أمام النافذة النصف دائرية المواجهة لقاعة الولائم في المبنى 1. كانت قاعة الولائم مشتعلة بالأضواء، مثل المسرح، أو مثل مجموعة مستهدفة، كان الجميع تحت مرمى النظر. أشعل تشاو رويلونغ سيجارا آخر، وأخذ سحبة عميقة ثم نفث الدخان. كان القناص المرشح قد اتخذ مكانه مسبقا في زاوية الفيلا البريطانية، منتظرا إياه ليعطيه الأمر.

لم يعط تشاو رويلونغ أمر الاغتيال في النهاية. لقد جعل القناص ينسحب بحركة من يده، لكنه لم يرد الرحيل. رفع يديه مشكّلا بهما بندقية قناص وصوب ناحية هوى ليانغ بينغ، الذي كان يرقص في قاعة الولائم، ممثلا صوت إطلاق النار بانغ بانغ بانغ.

في هذه الليلة غير العادية، كانت سيارات النيابة والشرطة تأتي تباعا.

كان قلب جي تشانغ مينغ يرتعد خوفا بسبب مأدبة هونغمين الخطرة. فبعد أن أخذ الهاتف الخلوي لهوى ليانغ بينغ وفقد الاتصال بالخطوط الأمامية، اتصل جي تشانغ مينغ بتشاو دونغلاي على الفور، الذي اندفع بسرعة. رأى تشاو دونغلاي هوى ليانغ بينغ عبر قاعة الولائم، فتنفس الصعداء وقال: "أيها القدير، يا مديري العزيز هوى، أنت مرتاح فعلا، وما زلت تغني؟ لقد كان النائب العام جي يبحث في كل مكان عنك، ويقول بأنه سيعقد اجتماعا. ألا يجب أن نتحرك ونعود إلى الاجتماع؟" ففهم هوى ليانغ بينغ وضرب جبينه قائلا: "كيف يمكنني أن أنسى؟ ما إن رأيت زوجة آه تشينغ حتى نسيت كل شيء آخر دعنا نذهب...".

في تلك المرحلة، وصل جي تشانغ مينغ ولو بيك إلى مكان الحادث في منتجع شانشوي. وحالما صعد ليانغ بينغ إلى سيارة جي تشانغ مينغ، قدم له تقريرا على الفور، فقال: "حضرة النائب جي، اكتشفت هذه المرة نواياهم الحقيقية. هذا المكان هو وكر للذئاب - عصابة إجرامية مشبوهة وبتواطؤ بين القطاعين العام والخاص".

بعدما سمع ذلك، كان أول ما نطق به جي مينغ هو: "هل يشمل ذلك زميل دراستك القديم، تونغ وي؟". أجاب ليانغ بينغ: "نعم، لقد تأكد ذلك، فقد اعترف تشي تونغ وي بحيازته أسهما في مجموعة شانشوي". حدّق جي تشانغ مينغ في هوى ليانغ بينغ وقال: "ماذا عن الأدلة؟ هل حصلت عليها؟".

هز ليانغ بينغ رأسه. "لا، لقد كانوا يقظين، فقد أخذوا هاتفي الخلوي ومسجل القلم". تنهد جي مينغ وقال: "لا تقل أي شيء الآن إذا لم يوجد دليل...".

فهم هوى ليانغ بينغ ذلك بالطبع. وكان تحليله أن ليو تشنغجو سيكون نقطة انطلاق مهمة، فلم يكن هذا الرجل يعاني من مشاكله الخاصة فحسب، بل كان أيضا الرابط الذي يربط عائلة تشاو ومجموعة شانشوي. في هذه اللحظة، كانوا يخشون أن يقوم ليو تشنغجو بالاعتراف وإفشاء كل شيء، فاقترح هوى ليانغ بينغ أن يقوموا باستجوابه بسرعة في تلك الليلة وحثه على الاعتراف في أقرب وقت ممكن، وعدم إعطاء خصومهم فرصة لالتقاط أنفاسهم. نظر جي تشانغ مينغ إلى ساعته وقال: "حسنا، دعونا نعمل بجد".

حالما هدأ، خرج ليانغ بينغ ونظر إلى السماء القاتمة، وشعر كما لو أن أحدا ما يصوب فوهة مسدسه الحالكة السواد إلى رأسه. هكذا هم الناس. في أي وقت، وفي طرفة عين، الحياة يمكن أن تزول. لكن المخاطرة في حضور المأدبة الليلة كانت تستحق العناء. وقد اضطر تشي تونغ وي إلى كشف نواياه، وعلى الرغم من عدم وجود أدلة حاسمة وراءه، فقد تم الكشف عن العديد من الأدلة. أما تشاو رويلونغ وقاو شياو تشين، هل يمكن لأي منهما الهروب؟ بدت ملامح انهيار قلعة مجموعة شانشوي تلوح في الأفق.

ومع ذلك، فقد تفاجأ ليانغ بينغ ببهجة خصومه. فلم يحرز استجواب ليو الكثير من التقدم. وعندما عاد إلى غرفة الضيافة ليأخذ قيلولة، اتصل به تشاو دونغلاي ليخبره أن تشاو رويلونغ اختفى في ظروف غامضة. وبينما كان ضباط شرطة البلدية يبحثون في الفيلا البريطانية، غادر البلاد بسرعة. وعندما استدعى تشاو دونغلاي قاو شياو تشين لاستجوابها في قضية وفاة ليو تشينغ زو، علم حينها فقط أن زوجة آه تشينغ ذهبت إلى هونج كونج في عمل عاجل. وكان من الواضح أنها قد تخطت المدينة. لم يلبثوا أن أوقعوا بهم في الشباك، حتى انزلقت منهم سمكتان كبيرتان.

وضع هوى ليانغ بينغ هاتفه الخلوي، وقام بإبعاده عن النافذة لا إراديا وبسرعة كبيرة، كان هذا تصرفا دقيقا واحترافيا للغاية، فقد قاموا بالإعداد لخطة طوارئ في حال حدوث حالات كهذه، لكن ليانغ بينغ كان يشعر بالأسف لوصوله إلى هذه المرحلة، فلم يكن من السهل عليه التعامل مع خصومه والتصارع معهم بشكل مباشر، حيث لم يكن الأمر بحاجة إلى الدهاء والشجاعة فقط، بل كانت السرعة أمرا ضروريا جدا للفوز في مجابهات كهذه أيضا لأن الأمر ليس سهلا على الإطلاق. كان صديق طفولته تونغ وي واقفا أمام النافذة واضعا على وجهه الجميل ابتسامة ملئها الغرور.

كان الأمين العام للجنة الحزب الإقليمية شا روجين يأخذ كل الأمور التي تنشر على مواقع الإنترنت بشكل جدي جدا، وكان دائما ما يضع تعليقاته على القضايا الاجتماعية الساخنة التي يتناقش بها الناس على صفحات الإنترنت، وكان يصله تقرير دائم من نائبه ورئيس الشعبة باي عن الملاحظات وجميع المستجدات التي يضعها مستخدمي مواقع الإنترنت وأحد التقارير كان كالتالي: "أيها الوزير شا اليوم وجدت خبرين على صفحات الإنترنت أعتقد أنهما سيثيران اهتمامك، أولهما يتحدث عن قضية العمال في مصنع دافنغ بمدينة جينغتشو، فالأخبار تفيد أنهم يعملون كالصوص

فهم يستلقون النوافذ ليدخلوا إلى المعمل ويخرجون عند انتهائهم من العمل بنفس الطريقة، ونتيجة لذلك سقطت عاملة تبلغ من العمر خمسين عاما وتعرضت لإصابة خطيرة.

عند سماعه للخبر كان شا روجين يمارس الرياضة على آلة المشي، وسأل وهو يتنفس بصعوبة كبيرة: "هل تقصد مصنع دافنغ الذي سيتم هدمه قريبا ومكان وقوع الحادثة "916"؟ ولماذا قد يحدث شيء كهذا الأمر في هذا المصنع؟". لم يستطع باي أن يجيب بأي شيء وقال: "كيف لي أن أعرف أيها الرئيس؟ وأريد أن أخبرك عن حادثة أخرى تتعلق بمدينة جينغتشو، فمكتب الشكاوى في مقاطعة غوانغمينغ متهم بالإهمال الكبير، فتصميم النوافذ غريب جدا ولهذا السبب يواجه المراجعون وقتا عصيبا في عملياتهم".

نزل شا روجين عن جهاز المشي وقام بمسح عرقه ثم قال: "اليوم هو عطلة نهاية الأسبوع، ما رأيك بأن نقوم بمفاجأتهم ونذهب لإلقاء نظرة عن كثب، أبلغ لي داكانغ أننا سنلتقيه في مكتب الشكاوى بمقاطعة غوانغمينغ، ومحطتنا التالية ستكون مصنع دافنغ، واطلب من السائق أن يقل تشن هاي أيضا فهو يعرف المصنع عن ظهر قلب".

37

بعد أن تلقى لي داكانغ الأمر من الرئيس باي شعر بنوع من الخوف، وبدأ يفكر بالأخطاء التي قد يكون ارتكبها في الفترة الماضية، وما هو السبب الذي جعل الأمين شا يأتي لزيارة مكتب الشكاوى في يوم كهذا، وازداد قلقه بعد أن تذكر أنه مر وقت طويل منذ أن ذهب بزيارة إلى مكتب الشكاوى بسبب انشغاله الكبير، كانت مدبرة المنزل تيان شينغ تشي إلى جانبه وقالت له محاولة التخفيف عنه: "هل يمكن أن يكون قد جاء لرؤية النوافذ الجديدة بعد أن تم تعديلها بنجاح، ويريد أن يستخدمها في جميع الدوائر الأخرى؟". أجاب لي داكانغ بوجه خال من أي تعبير: "لنأمل ذلك، ولنأمل أن يكون صن لينتشينغ قد فعل شيئا جيدا هذه المرة وبعد وصوله إلى مكتب الشكاوى، ركض مسرعا تجاه الباب وألقى نظرة سريعة إلى نوافذ الشكاوى، واكتشف أن صن لينتشينغ لم يقم بأي تحسينات على النوافذ، وكانت منخفضة كما كانت عليه دوما، وأمام النوافذ الستة كان قد وضع بعضا من قصب الخيزران فقط التي كانت تنهار عندما يستند عليها المراجعين.

وما كان يدعو للسخرية أكثر من ذلك، هو وجود أكياس قذرة معلقة عند كل نافذة من نوافذ الشكاوى، بالإضافة لوجود بعض القطع الصغيرة من الحلوى التي كانوا يتركونها للمراجعين، وكاد رأس لي داكانغ على وشك الانفجار بعد رؤيته لهذا المشهد، فهو لم يتوقع على الإطلاق أن يكون صن لينتشينغ مهملا إلى هذه الدرجة الكبيرة وأن يخدعه هكذا. كانت صالة الاستقبال فارغة عند وصوله، ولم يكن هنالك أي أثر لأمين لجنة حزب المقاطعة، وكان لي داكانغ على وشك الاتصال بباي قبل أن يسمع صوت شا روجين يناديه قائلا: "تعال أيها الرفيق داكانغ، إنني هنا". ولاحظ حينها لي داكانغ أن شا يجلس على كرسي الاستقبال ذاته الذي كان جالسا عليه منذ فترة قريبة من الزمن ويتحدث إلى صن لينتشينغ. اقترب لي داكانغ باتجاه نافذة الشكاوى بخطوات سريعة،

وسرعان ما اقترب من النافذة مد شا روجين يده البيضاء الضخمة من فتحة النافذة وقال: "تعال إلى هنا أيها الرفيق داكانغ لدينا حديث طويل اليوم".

مد لي داكانغ يده وصافح شا روجين بحرارة، ثم وقف يستمع باحترام لما سوف يقوله رئيسه. وقال شا روجين بسخرية موجها الكلام لداكانغ: "إن تصميم نوافذ مكتب الشكاوى في منطقة قوانغمينغ رائع جدا وذو لمسة فنية واضحة، لذا نشر الناس صورها على الانترنت، لذا جئت اليوم خصيصا لألقي نظرة عليها بنفسي، ويبدو لي أنها بالفعل كما توقعتها أن تكون، فهي مميزة بالفعل، وفريدة من نوعها وليس فقط في مدينة جينغتشو بل في المقاطعة إيتش بأكملها وبعد انتهائه من حديثه هذا وجه سؤالا لي داكانغ قائلا: "لماذا لا تجلس يا لي اجلس لنتحدث قليلا عن هذا الموضوع، ألا يوجد خلفك مقعد صغير من الخيزران؟". حتى أن الأمين العام للجنة الحزب في المقاطعة أشار إلى كيس القمامة القذر وقال: "كما يمكنك الحصول على قطعة حلوى عندما يجف حلقك، لا تتركها للذباب فقط". قام لي داكانغ برفع نظارته إلى أعلى وجهه وحاول أن يحرك رأسه قليلا وينظر باتجاه شا روجين الذي كان يرمقه بنظرات ملؤها اللوم من خلف النافذة الصغيرة ثم قال: "أرجوك أيها الأمين شا أن تسمعني قليلا، فإني أتحمل مسؤولية وصول الأمور إلى هذه المرحلة، وأريد اطلاعك على مجريات الأمور".

شعر شا روجين ببعض الشفقة عليه، وطلب منه الاقتراب ليتحدثا قليلا ثم قال له: "إنني أشعر بالحزن لمجرد رؤيتي لك تجلس القرفصاء هكذا". أجابه لي داكانغ قائلا: "لا أيها الأمين شا أرجوك لا تظهر تجاهي مشاعر الشفقة هذه، فهذا الأمر يساعدني بشكل أكبر على أن أكون مشرفا أفضل على أعمال هذه الحكومة الكسولة، كما يجعلني أشعر بالصعوبات التي يعاني منها المراجعون وأتعلم الدرس جيدا". جعله شا روجين يجلس على مقعد صغير من الخيزران خلفه وقال له: "نتحدث ونحن جالسان سيكون أكثر راحة لكلينا". لذا قام داكانغ بالجلوس على كرسي الخيزران وقال غاضبا: "إنني غاضب جدا بشأن قضية النوافذ هذه، فقد أتيت إلى هنا وطلبت منه شخصيا أن يقوم بتغييرها، وقد مر على هذا الأمر أكثر من شهرين، لكنه لم يفعل شيئا تجاه الموضوع". أجابه شا روجين ساخرا: "لا يمكنك أن تقول إنه لم يحدث تغييرا على الإطلاق، فقد قاموا بوضع مقاعد خيزران جديدة بالإضافة إلى بعض من قطع الحلوى الصغيرة". هز لي داكانغ رأسه وقال: "الأمر هو مجرد عملية تغيير للواجهة، فقد طلبت من رئيس المقاطعة صن لينتشينغ الذي كان المسؤول المباشر عن العمل أن يأخذ نماذج النوافذ الأطر الموجودة في البنك ويصنع مثلها، لكنه خدعني ولم يفعل شيئا، وقد سمعت من

بعض الأشخاص أنه كان يقول: فقط من عرف نفسه بحق، لا يخاف أحدا على الإطلاق، فأنا لا أريد أي ترقية لذا لماذا علي الاهتمام بهذه الأمور". أجاب شا روجين بحماس: "إن ظاهرة الكسل تتفشى في الحكومة وليس فقط في جينغتشو، فيجب علينا أن نكون في أقصى حالات التأهب لنستطيع التعامل معها على أحسن صورة".

في طريقهم إلى مصنع دافنغ، أشار شا روجين إلى أنهم بحاجة إلى تعزيز التحقيقات في قضية الإهمال. ولم يكن هناك حقا أي شيء يمكن القيام به مع أشخاص مثل صن لينتشينغ. لكنه سأل أحد الرفاق في وزارة التنظيم سؤالا: "عندما يقوم مصنع بتصنيع سلع لا تصل إلى مستوى معياري، فيجب اجراء عملية استدعاء. وعندما لا تكون الكوادر التي تعينها وزارة التنظيم على المستوى المطلوب، ماذا نفعل؟ هل ينبغي علينا أيضا أن نستدعيهم؟". ثم قال شا روجين أن لديه فكرة مؤقتة. ستقوم لجنة الحزب في المحافظات باستدعاء الكوادر المهملة على مستوى الإدارة وعلى مستوى المكاتب، وستقوم لجان الحزب البلدي في البلديات المختلفة باستدعاء الكوادر المهملة على مستوى الشعبة والقسم، وذلك لكي تتحدث عن الأمور ودراسة دستور الحزب للتعرف إلى مهمة الحزب الشيوعي في خدمة الشعب

وافق لي داكانغ بشدة، واقترح أن يتم تخفيض رتبة الكوادر الحكومية المهملة بعد الانتهاء من دراستهم. ثم قال شار ويجين بشكل مدروس ويدل على تفكير سابق في هذا الموضوع: "يمكننا النظر في خفض رتبهم من واحد إلى ثلاثة مستويات، وإذا تم استدعائهم مرة أخرى، فسيتم إعفاؤهم نهائيا مثلا الرئيس صن لا يريد أن تتم ترقيته، ولا يهتم بالأمر أساسا. لكن هل سيبقى كذلك لو تم تخفيض رتبته ثلاثة مستويات؟". سأل لي داكانغ بحماس عن خطوات تنفيذ هذه الخطة فقال: "حضرة الأمين شا، دعنا نطبق هذه الخطة أولا على مدينة جينغشو". قال شا روجين موافقا: "حسنا، سنجرب ذلك، وبعد أن نكتسب بعض الخبرة، سنوسع ذلك ليشمل كامل المقاطعة".

عندما وصل شا روجين وسريته إلى مصنع دافنغ، كان الرفيق القديم تشن يانشي وتشنغ شيبو وما العجوز ينتظرون هناك بالفعل. لاحظ لي داكانغ أن هناك بعض التغييرات قد حدثت في مظهر المصنع. لقد تم مسح آثار الحادث 916، وتم ملء الخنادق وتسويتها، كما أزيلت أكياس الرمل وهدم برج المراقبة، ولم يبق سوى العلم الوطني القديم معلقا على السارية ويرفرف مع الرياح الشمالية المرافقة لبداية فصل الشتاء. ثم تحدث تشن يانشي عن التطورات الحاصلة في

المصنع قائلا: "قام العمال بتجميع مواردهم لإعادة مصنع دافنغ إلى الحياة مجددا. ووقع نجل تشنغ شيبو، تشنغ شنغلي، عقدا مع مصنع دافنغ الجديد لمساعدته على بيع الملابس عبر الإنترنت. فالشباب هم أمهر بهذه الأمور وفهم اتجاهات الموضة. وبدأت عجلة العمل بالدوران بسرعة ووقع عقدا جزئيا مع شركة من كوريا الجنوبية. لكن كان تفكير رئيس المقاطعة صن لينتشنغ شيطانيا ووحشيا، فلم يحل مشكلة موقع الإنتاج في المصنع وجعل محكمة المقاطعة تقوم بختم مدخل ورشة العمل، فلم يعودوا قادرين على فعل أي شيء للدخول إلى موقع الإنتاج. إلا أن تشنغ شنغلي كان بحاجة ماسّة للبضائع، فخطرت له فكرة أن يجعل العمال يفتحون نافذة الورشة ووضع لوح خشبي لتصبح النافذة مكانا للعبور". توجه لي داكانغ وشا روجين والآخرون نحو النافذة، من المؤكد أنهم رأوا بعض العمال يقفزون من وعلى الألواح الخشبية كمجموعة من القرود إلى أن فقدت إحدى العاملات توازنها فسقطت وأذت نفسها.

بدا شا روجين مستاء وغاضبا، حيث قال للي داكانغ: "أترى؟ هل مازال هذا الصن لينتشينغ أحد كوادر الحزب الشيوعي؟ هل لديه أي إحساس بالمسؤولية؟ لا يريد أن يحصل على ترقية وليس مهتما بها. يبدو لي أيها الرفيق داكانغ بأنه يجب أن يرحل، مستويات الحزب والحكومة المختلفة ليست مزارع خنازير، ولا يمكننا تربية هذا النوع الكسول من الخنازير المهملة، الذين يدوسون فقط على طعام العامة. عليك أن ترتب الأمور بشكل صحيح".

هز لي داكانغ رأسه وأجاب: "سوف أدعو إلى اجتماع للّجنة الدائمة في أقرب وقت ممكن لتنفيذ تعليماتك أيها الأمين شا، وسأجعل صن لينتشينغ عبرة لأمثاله، وسنتعامل معه ومع المجموعة المهملة من كوادر الحكومة الكسالى بقسوة".

أشار شا روجين بيده وقال: "أزل الشمع الأحمر وافتح الباب، فالعمال لديهم الحق في العمل ولا يمكن هدم المعمل إلى أن تحل حكومة مقاطعة قوانغمينغ مشكلة مساحة عمل العمال بجدية. يجب أن نضمن أن يشارك العمال بالإنتاج بشكل فعلي العمل ليس سرقة في الصين الشعبية".

أزال تشنغ شيبو والعجوز ما والعمال الشمع الأحمر بسعادة وساعدهم الجميع.

تم فتح الباب الكبير من قبل سلطة الأمين العام للجنة الحزب البلدي، واحتشد العمال في ورشات العمل مع صيحات السعادة.

وقف لي داكانغ إلى جانب شا روجين وهو يشاهد أمين لجنة الحزب البلدي ويصفق لتفانيه في إحقاق الحق، ولكنه كان يفكر بأن شا روجين كان عليه أن يطلب من محكمة مقاطعة قوانغمينغ أن تزيل الشمع الأحمر. لم يكن يجب أن يستخدم سلطته للقيام بذلك بالقوة، كان عليهم القيام بذلك وفقا للقانون، ولكنه قال بدلا عن ذلك: "أنت بالتأكيد لا تغض الطرف أيها الأمين شا".

قال شا روجين: "يجب أن يملك الشيوعيون عيونا ثاقبة". ثم قال لداكانغ وحشد الموظفين: "أيها الرفاق، يجب أن نتذكر جميعا بأن الصين تمر بمرحلة من التطور الكبير، والتي تتطلب سرعة كبيرة. ولكن عندما تتعارض سرعة التنمية مع حق الشعب في الحياة، فإن حق الشعب في البقاء دائما ما يأتي أولا".

قال لي داكانغ: "لقد قمت بإجراءات حاسمة اليوم أيها الأمين شا".

اتخذ أمين لجنة الحزب الإقليمي اليوم قرارا حاسما، ورفع أمين لجنة الحزب البلدي السقف، لقد انتهت الأيام الجيدة لكوادر حكومة مقاطعة جينغتشو الكسالى. بعد عدة أيام ترأس لي داكانغ دورة تدريبية لكسالى الحكومة، وعقدت هذه الدورة التدريبية في مدرسة لجنة الحزب. أقيل مئة وأربعة وثلاثين كادرا من قادة الحكومة الكسالى على مستوى الأقسام والكوادر، بما فيهم صن لينتشينغ، من مناصبهم وأحضروا ليتعلموا.

ألقى لي داكانغ خطابا غير مسجل يخلو من أي أثر للمجاملة قائلا: "هناك سبب لجمع الرفاق من مختلف المناطق والمقاطعات هنا، وهو كسل الحكومة والإهمال والخمول. يوجد فقط رغبة في الأكل وفقدان رغبة في العمل الكوادر الحاضرين كانوا في حالة حرج وهيجان. جلس صن لينتشينغ في آخر صف من الفصل الدراسي وتعابير الازدراء وعدم الرضا تملأ وجهه. كانت نبرة صوت لي داكانغ صارمة للغاية وهو يقول: "أنتم لا تريدون الترقية ولستم مهتمين بها أساسا، ولكن الحزب والشعب يهتمون. لا يمكنهم التغاضي عن تبديد الوقت وإضاعة الفرص الثمينة لصعود البلاد وإحياء الأمة. ولا تظنوا أنكم شيء مميز، فالأرض لن تتوقف عن الدوران لمجرد رحيل أحدكم في الوقت الحاضر، لقد تركتم مناصبكم القيادية المختلفة وجلستم هنا للتعلم، هل تعلمون كيف رد السكان المحليون؟ لقد خرجوا جميعا وهم يطلقون الألعاب النارية ويصرخون بأن السماوات ليست عمياء قال الناس: (طوبى لنا لأن الكثير منكم قد تم تسريحه)".

وجه لي داكانغ دعوة خاصة اليوم إلى وزير التنظيم وقال علانية: "أي رفيق لا يقبل بهذا يمكنه الاستقالة الآن، وستقوم لجنة الحزب الشيوعي الصيني لمقاطعة جينغتشو بإكمال إجراءات الاستقالة الآن وهنا وبالطبع، وبالنيابة عن لجنة الحزب البلدي، فنحن نرحب بأولئك المستعدين لقبول إجراءات إعادة تعليم المنظمة والذين ما زالوا جاهزين للقيام بشيء لمصلحة الجماهير في وقت لاحق. ولكن دعوني أكون واضحا: نظرا لأن هذا تذكير بأنكم لستم على مستوى قياسي، فإنه عندما يتم توظيفكم في المستقبل، سيتم نقلكم. وبعد انتهاء الدورة، سيتم تخفيض مستوى الجميع ثلاث مستويات. عند رؤيته لصن لينتشينغ حاضرا، قام لي داكانغ بذكره شخصيا وأكد قائلا: "فيما يتعلق بالكوادر الفردية، يتعين علينا توظيف موهبة كل واحد على أكمل وجه. فعلى سبيل المثال رئيس منطقتنا، صن لينتشينغ، أليس مغرما بمراقبة النجوم في السماء ليلا؟ حسنا، يمكننا جعله معلما في قصر الأطفال في البلدية بغرض تعليمهم كيفية مراقبة النجوم ما هو مستوى معلم الأطفال؟ ليس لديه مستوى، مجرد كادر عادي، ولكنه يتطابق مع مجال لينتشينغ التخصصي".

وقف صن لينتشينغ بصخب وقال: "أنا.. أنا أستقيل يا لي داكانغ".

فضحك داكانغ وقال: "هل فكرت بهذا الأمر مليا يا صن؟ فلا يوجد شيء اسمه حبة ندم في هذا العالم".

قال صن لينتشينغ وقد احمرّ وجهه من الغضب: "لن أندم بالتأكيد فالرجل النبيل يفضل الموت على الإهانة".

انحنى لي داكانغ فورا ل صن لينتشينغ وقال: "أنا أشكرك يا صن لينتشينغ. أشكرك نيابة عن لجنة حزب بلدية جينغتشو للحزب الشيوعي الصيني ونيابة عن ثمانمائة وثلاثين ألف مواطن من مقاطعة قوانغمينغ. سيكون من الأفضل أن تنسحب من الحزب".

فرفع صن لينتشينغ قدمه وخرج من الباب قائلا: "سأكون بانتظارك لتطردني من الحزب يا لي داكانغ".

في الصباح الباكر، اتصلت زوجة البروفيسور، وو هوفين، بهوى ليانغ بينغ، ودعته لتناول وجبة السلطعون الصينية ولعب بعض الشطرنج.

عرف هوى ليانغ بينغ بأن هذه ربما تكون فكرة البروفيسور قاو. فقد تم اعتقال ليو تشنغجو، وتعرض منتجع شانشوي لحادث مؤسف، وبدأ تلميذاه بقتال فعلي. ولن يجلس المعلم ساكنا بلا شك، فماذا يا ترى أخبر تشي تونغ وي المعلم؟ وبجانب من يقف؟ وبالطبع أراد هوى ليانغ بينغ أن يعرف، ومن الممتع لعب الشطرنج وأكل السلطعون مع المعلم الآن. فهو يجب أن يتخذ موقفا من القتال الذي كان يشتد يوما بعد يوم، ليس بسبب علاقته بالتلميذين فحسب، إنما لأنه أمين لجنة الحزب في المقاطعة المسؤول عن الشؤون السياسية والقانونية.

خذ المعركة إلى ساحة القتال أيها البروفيسور، أيها المارشال القديم، فهذا الأمر أكثر أهمية الآن فرك هوى ليانغ بينغ عينيه المتعبتين، وحدق بنفسه في المرآة لوقت طويل جدا، غارقا في أفكاره.

سيكون لديهم اليوم بالتأكيد حديث طويل، فربما كلاهما، المعلم والتلميذ، سيتحدثان من القلب إلى القلب. كان هوى ليانغ بينغ يبجّل معلمه الذي كان زعيمه أيضا، وكان يتفق معه بشكل كبير. ولكن كان لديه شعور بأن المعلم قاو يشبه شخصية من رواية لفيكتور هوغو تدعى الرجل الضاحك، وأحيانا أخرى يكون أقرب إلى شخصية من رواية لأنطوني تشيخوف تدعى الرجل المعلب. أيا يكن الأمر، كان المعلم يرتدي قناعا غير واضح، ملفوفا بالدروع، ما يجعل من الصعب أن تكتشف نواياه الحقيقية.

كانت السيارات والناس يسيرون ذهابا وإيابا كالمعتاد في الشارع. وبالرغم من أن الغبار كان يملأ الجو، إلا أنه لا يزال يحوي نوعا من الانتعاش لا يمكن إيجاده في الداخل، كان هذا بالنسبة إلى هوى ليانغ بينغ علاجا ثمينا، بعد أن عمل طوال الليل في الاستجواب. استمر بالمشي إلى الأمام، وهو غارق في التفكير، لكن حواسه لم تكن كذلك.

توقف ليانغ بينغ في سوق الطيور والأزهار، لكنه شعر بالأسف لأنه يأخذ لمعلمه الأزهار دائما. أراد أن يأخذ له هدية أخرى، ووجد بأن المنظر الطبيعي هو الأفضل، ولكنه لم يجد شيئا لائقا يناسب الديكورات الموجودة في منزل معلمه.

عندما خرج من الباب الخلفي للسوق، رأى رجلا عجوزا يبيع حجارة من جبل تاي أعجبته. كان الحجر طويلا ورفيعا ومخددا، يشبه عجوزا شهد العديد من التقلبات، وقد امتلك نوعا من

الأصالة. وكتب عليه بعض الكلمات الكبيرة: (حجر تذكاري من جبل تاي). كانت الشقوق قوية ومذهلة. هذه هي، فلأشترها دفع هوى ليانغ بينغ ثمنها، وصعد في سيارة أجرة ورحل. كان يأمل أن يكون معلمه يشبه حجرا تذكاريا من جبل تاي أيضا.

عند دخوله إلى منزل معلمه، قابلته زوجة معلمه ومسحت عرقه بمنشفة وقالت موبخة: "أيها الصبي السخيف، ما الذي تفعله بهذا الحجر الثقيل؟". جلس قاو يوليانغ القرفصاء حاملا عدسته المكبرة وهو يتفحص الحجر بجدية. مر وقت طويل قبل أن يقف وهو ينفض يديه ولخص قائلا: "إنه مزيف، هذا ليس حجرا من جبل تاي. كم دفعت ثمنها؟" ضحك ليانغ بينغ وقال: "ليس الكثير..".

ما إن جلسوا في أماكنهم، حتى هز قاو يوليانغ يده وتحدث وهو مكشر. فهو كان يعرف أن ليانغ بينغ كان يعمل وقتا إضافيا ولم ينم طوال الليل، فأخبره قاو يوليانغ بأن يذهب إلى الأعلى وينام قليلا. فجمع هوى ليانغ بينغ قوته وقال: "أنام؟ يجب أن ألعب الشطرنج مع معلمي". فصرخ يوليانغ قائلا: "اذهب وخذ قيلولة أولا". عند ذلك قال هوى ما كان يخطر بباله: "أيها البروفيسور قاو، لم آت إلى هنا اليوم لآكل السلطعون، ولا لألعب الشطرنج معك أيضا. لدي أشياء أريد إخبارك إياها، وأخشى بأن عدم إخبارك بها سيكون ظلما لك". اختفت الابتسامة من على وجه قاو يوليانغ وقال: "ماذا حصل يا ليانغ بينغ؟". بدا وجه ليانغ بينغ قاتما حين قال: "ربما حصل شيء كبير".

أعطى ليانغ بينغ تقريرا مفصلا للحقائق ولما حصل في منتجع شانشوي، وأعطاه تقييمه الخاص لتشي تونغ وي. فنظر قاو يوليانغ إليه في دهشة وقال: "هل تقول إن زميلك القديم تشي تونغ وي قد أصبح فاسدا؟ وربما قام عمدا بتدبير حادث السير الذي تآمر فيه على تشن هاي؟". فقال هوى ليانغ بينغ: "نعم، وأنا أظن أن وفاة المدير المالي لمجموعة شانشوي ليو تشينغجو مرتبطة به أيضا". عبس يوليانغ وقطب حاجبيه وقال: "أنت تخمن؟ هل هذه أشياء يمكن التخمين بها؟ هل لديك دليل؟". هز هوى ليانغ بينغ رأسه قائلا: "ليس لدي دليل في الوقت الحالي، ولكن تخميناتي قائمة على وقائع". فقال قاو يوليانغ بقسوة: "لا تقل شيئا بدون دليل قتل متعمد ومؤامرات سرية، ألا يشبه هذا قصة الديك والثور؟".

ارتشف هوى ليانغ بينغ القليل من الشاي وقال محاولا إيضاح الأمور: "إن تشي تونغ وي يملك أسهما في مجموعة شانشوي، فلو لم تقل لي قاو شياو تشين هذا مباشرة بالإضافة لاعتراف تونغ وي بذلك بنفسه لما صدقت ذلك". كان ليانغ بينغ يراقب وجه معلمه ليرى ما إن كان قد صدم

من الذي أخبره إياه، لكن وجهه كان هادئا تماما وكأنه على علم بهذا الموضوع ورد بطريقة لطيفة: "في الحقيقة أنني أعلم منذ مدة طويلة أنه أصبح أحد المساهمين، وعندما علمت بذلك، كان له خمس إلى ست سنوات يشارك في عملية الاستثمار داخل المؤسسة، بالإضافة لأن ثمانية من عائلته قاموا باستثمار ما يقارب سبعة أو ثمانمائة ألف، ماذا عساي أن أفعل حينها؟ فأنت على علم بالحالة الاجتماعية التي نشأ داخلها تونغ وي، فقد عاش طفولة قاسية جدا، وقبل أن يلتحق بالكلية لم يكن يعرف ما هو شعور المعدة الممتلئة".

فهم هوى ليانغ بينغ ما الذي كان يقصده معلمه، فهو كان إلى جانب تونغ وي ويبدو أنه قد تقدم في العمر حقا، فكان يشكي على الدوام من صعوبة الحياة وينظر بعين الشفقة لأحوال الناس وبعد مرور بضع الوقت قال والدموع توشك على الانهمار من عينيه: "إن مدير إدارة الأمن العام إنسان أيضا وعليه أن يعيل عائلته وهم عائلة كبيرة جدا فهل تعتقد أنه يمكن له أن يعيلهم بهذا المرتب الذي يتقاضه؟ أريد منك أن تتفهم حالته جيدا يا ليانغ بينغ فأنت صديقه في نهاية الأمر". لم يستطع ليانغ بينغ أن يكبت الكلام الذي يريد قوله وأجاب: "إن الأمر يفوق حدود تفهمي، هل تعتقد أنه من الصحيح لمدير إدارة الأمن العام الانخراط في صفقات تجارية كهذه؟ إن هذا انتهاك خطير للقواعد وللانضباط، وحسب معرفتي في السنوات القليلة الماضية وخصوصا بعد أن أصبح مديرا للأمن العام، قام بتسليم سبعة من زوجات إخوته وثمانية عمات ناهيك عن الأقارب الأخرين لمناصب مختلفة داخل الحكومة". اصفر وجه قو يوليانغ وقال: "من أين تأتي بكل هذه المعلومات يا ليانغ بينغ؟ هل تقوم بملاحقة تونغ وي على وجه الخصوص؟". أجاب ليانغ بينغ: "وهل تعتقد إنني أحتاج لأقوم بتحقيق لأحصل على هذه المعلومات؟ إن جميع العاملين في الدوائر السياسية والقانونية يعلمون بهذا الموضوع". كان قاو يوليانغ غاضبا جدا ووضع فنجان الشاي بقوة على الطاولة، وبدا متألما بحق ولا يرغب بمتابعة الحديث.

وفي ذلك الوقت دخلت وو هوفين وقالت بطريقة لطيفة: "إنك يا ليانغ بينغ ومعك تونغ وي وتشن هاي أكثر ثلاثة تلاميذ يحبهم البروفيسور قاو على الإطلاق، فأنتم بمثابة أبنائه، وأقرب الأشخاص إلى قلبه وهو يعاملكم جميعكم بالطريقة ذاتها، وأشعر أحيانا أنه يصبح كالدجاجة التي تقوم بحماية أطفالها بكل ما تملك. أجاب هوى ليانغ بينغ: "إنني على علم بهذا سيدتي، فخلال دراستي الجامعية، كان البروفيسور قاو يقوم بحمايتنا على الدوام، ولكن هذا لا يعني..." لم يسمح له قاو يوليانغ بمتابعة حديثة وقال: عليك أن تحمي الصيصان التي تحتاج إلى حماية، فالصيصان التي

لا تتم حمايتها قد تموت وهي صغيرة، فإن لم تدوس عليها الحيوانات الكبيرة، قد يتم التهامها من الحيوانات المفترسة.

بدأ معلمه بالحديث عن تشي تونغ وي مجددا: "عندما كان رئيسا لقسم الأمن السياسي في تشاو ليتشون منذ بضع سنوات، كان قريبا جدا من أن يتورط في مشكلة كبيرة جدا، ومازالت نتائج هذه الحادثة مستمر إلى اليوم، فلي داكانغ لا يزال يحاول خلق المشاكل من هذا الموضوع، ويقوم بإيصال فكرة سيئة عن تونغ وي إلى أمين لجنة الحزب الإقليمي محاولا التخلص منه، هل تعتقد أن هذا الأمر كان سهلا بالنسبة له طوال تلك السنين؟ وفي ذلك الوقت، تم نقله إلى المكتب القضائي في أحد الجبال، ومع ذلك كان يخاطر بحياته لتحقيق العدالة وتطبيق القانون، حتى أنه حصل على لقب البطل المغوار لشعبة مكافحة المخدرات، فقد أصيب بثلاثة رصاصات كادت تودي بحياته، وتم بعدها نقله إلى العمل السياسي. كان يشغل في وقت سابق منصب مدير مكتب الأمن العام، ورئيس القضاة، ونائب مدير إدارة الأمن العام ومن ثم المدير. كان رجلا يعمل بضمير حي بغض النظر عن المنصب الذي كان يشغله. إنه لأمر مؤسف حقا ألاّ تتم ترقيته إلى منصب نائب المحافظ هذه المرة".

كان هوى ليانغ بينغ صامتا بينما تحدث قاو يوليانغ ناظرا إليه: "لماذا لا تقول أي شيء". تنهد ليانغ بينغ بعمق ثم قال: "ماذا تريد أن أقول يا أستاذ؟ يملك الناس القدرة على التغيير. لم يعد تونغ وي اليوم ذلك القائد البطولي من فرقة مكافحة المخدرات والذي يتحدى الموت".

أيد قاو يوليانغ ذلك بشدة وقال: "هذا أمر طبيعي أيضا. فالشيوعيون يؤمنون بالمادية والمنطق... إن التغيير موضوع نسبي كما نمت قدرات تونغ وي واستطاع تسلق الصفوف وتغير كثيرا، حيث كانت بعض التغييرات جيدة، وبعضها الآخر سيئا. لم أكن متساهلا معه أبدا بشأن التغيرات السيئة، فأشرت إليها حالا وانتقدته بشدة، حتى أنني أخبرته أنه بحاجة للتعلم منك، أن يتعلم صمودك، تخطيطك وتحليك بإحساس عال بالمبادئ. إن تشي تونغ وي يا ليانغ بينغ هو أقل شأنا منك في هذه الأمور، فهو ينحرف أحيانا عن مبادئه".

ابتسم هوى ليانغ بينغ مجبرا نفسه وقال: "بما أنك تعرف أن تشي تونغ وي ينحرف عن مبادئه، فلماذا أيها الأستاذ ما زلت توصي بترقيته إلى نائب الحاكم؟". فأجاب قاو يوليانغ: "أوصيت به بناء على إنجازاته السياسية وقدراته. لديه الكثير من العيوب، لكن جوهره ثابت لم يتغير". ثم فتح ليانغ بينغ جدالا آخر قائلا: "أستاذ يوليانغ، أنت مدين لوالد تونغ وي، الأمين ليانغ من لجنة الشؤون

السياسية والقانونية، بامتنان لتقديره قدراتك. فهل تقوم الآن بردّ الدين؟". اعترف قاو يوليانغ بصراحة قائلا: "إن لم يأمر ليانغ بتعييني شخصيا في ذلك الوقت، ربما كنت أقوم اليوم بالتدريس في جامعة إتش، ولكن في أي حال من الأحوال، لن أقوم بترقية صهر الأمين العام ليانغ لردّ هذا الامتنان فأنا لم أستغل لمرة واحدة منصبي لتحقيق مكاسب شخصية على مدى السنوات العشرين الماضية التي كان يتطور بها تشي تونغ وي ويحقق الإنجازات. لم يكن بمقدور تشي تونغ وي ببساطة أن يشق طريقه ما لم يتمتع بالموهبة والأخلاق". كان هناك لمسة من السخرية في تصريح هوى ليانغ بينغ فقال: "أنت على حق، إنه موهوب فعلا، ولكنه ليس خلوقا؟". غضب قاو يوليانغ وقال: "هل بإمكانك التوقف عن انتقادك المتكرر لزميلك؟". ثم احتدّ ليانغ بينغ بشدة وقال: "حضرة الأستاذ، هل يمكنك النظر إلى الواقع القاتم كما هو والتوقف عن حماية تلميذك بعناد؟".

للحظة، كان بإمكانك قطع التوتر في الغرفة بسكين. فحملت وو هوفين لوح الشطرنج، وبذلت جهدا كبيرا للتخفيف من التوتر وقالت: "حسنا، حسنا. لا تدخلوا في هذا النقاش، أنتما الاثنان بارعان في لعبة الشطرنج. هيا يا ليانغ بينغ، قم بتجهيز اللعبة". ثم قالت ليوليانغ: "دعك من هذا التوتر يا أستاذ وابدأ جولتك مع ليانغ بينغ". التقط هوى ليانغ بينغ حجرة شطرنج سوداء ووضعها في الزاوية اليمنى العليا. كما جلس قاو يوليانغ أمام رقعة الشطرنج وبدءا اللعب.

تنفس قاو يوليانغ الصعداء وقال: "أعلم أنك تفعل ذلك لأجلي يا ليانغ بينغ، وأعلم أنك قلق علي". هذا بالضبط كان السبب الرئيسي لقدومه، فلو لم يكن قاو معلمه، لما تفوه بأي شيء. كما ذكر ليانغ بينغ أيضا أن تشي تونغ وي ذكر إحدى الصفات الشخصية لمعلمه ووصفه بأنه واسع الأفق وليس جشعا على الإطلاق، وكل ما أراده هو التوسع والامتداد. صحح له قاو يوليانغ قائلا: "ليس التوسع والامتداد، ولكن العمل والمسؤولية المعطاة لي من قبل الحزب والشعب". كان هوى ليانغ بينغ صادقا وأراد أن يوضح النقطة: "لهذا السبب بالتحديد، آمل أن تتحمل المسؤولية وألا ترتكب خطأ فادحا فيما يتعلق بقضايا تشي تونغ وي...". بدا قاو يوليانغ وكأنه يتحرك قليلا، ثم أمسك بجبهته في يديه وقال بعد أن تنهد: "إن معلمك يا ليانغ بينغ لديه مشكلة، فهو لا يستطيع التوقف عن حماية تشي تونغ وي". فسأله هوى ليانغ بينغ باستغراب: لماذا؟ لا تقل لي بأنك تحصل على حوافز من تشي تونغ وي؟". أجاب قاو يوليانغ بدون تردد: "على ماذا سأحصل؟ إن السبب الحقيقي هو عائلة تشاو، الرفيق تشاو ليتشون إن أميننا القديم، الرفيق تشاو ليتشون، قلق الآن، إنه خائف من أن يقوم شخص ما باستغلالك، كمدير مكتب مكافحة الفساد، الذي لا يملك أي إحساس بالأولويات، وأنك

ستصبح أداة لأشخاص معينين لإنكار إنجازات مقاطعتنا من الإصلاح والانفتاح". وضّح هوى ليانغ بينغ موقفه رسميا لمعلمه. فهو لم يكن ليسمح لأي شخص باستغلاله، لكنه أيضا لم يؤيد بعض الشخصيات الكبيرة، كان تشاو ليتشون من كوادر المستوى دون الوطني. ولم يكن لدى النيابة الإقليمية ومكتب مكافحة الفساد سلطة قضائية عليه لإجراء تحقيق، ولكن ابن تشاو ليتشون، تشاو رويلونغ لم يكن يتمتع بهذا الامتياز، ولا حتى أمينه السابق، ليو تشنغجو. في الوقت الحاضر، كان مكتب مكافحة الفساد يحقق معهما سوية

حرّك قاو يوليانغ حجرة شطرنج، وأشار إلى جوهر المشكلة قائلا: "ألا تعتقد يا هوى أن هناك شيئا غريبا حول هذه المسألة؟ كيف انتهى الأمر بأويانغ جينغ لأخذ رشوة لليو تشنغجو وتشاو رويلونغ؟ هل لعب لي داكانغ دورا في ذلك؟". أجاب ليانغ بينغ بحركة شطرنج أخرى قائلا: "من فضلك صدقني يا معلمي. لا يمكن لأي شيء ولا لأي أحد باستثناء القانون أن يلعب دورا في هذا، لي داكانغ ليس بهذا السوء. وحتى الآن هو لم يتدخل أبدا". حرّك قاو يوليانغ حجره وبصورة عشوائية وذكر هوى ليانغ بينغ قائلا: "يجب أن تكون حذرا واستمع لكلا الجانبين. لا تستمع فقط إلى جانب واحد فتصبح متحاملا. فها هو تشاو رويلونغ على سبيل المثال، هل هو حقا بهذا السوء؟ ليس بالضرورة سيتم هدم مطعم لوتشو للطعام الفاخر في وقت قريب. ومنحت الحكومة مائة وثمانين مليون يوان كتعويض، وقد تبرع بها تشاو رويلونغ لإنشاء صندوق حماية بحيرة الهلال". قال ليانغ بينغ: "لقد صنعت عائلة تشاو هذا القدر من المال من تلويث بحيرة الهلال لسنوات عديدة، ويجب عليهم التعويض عن ذلك بطريقة ما". أنزل قاو يوليانغ حجره بقوة على الرقعة ودوى الصوت في أنحاء الغرفة وقال بحدة: "تشاو رويلونغ هو تشاو رويلونغ". فقال هوى ليانغ بينغ: "حسنا، نحن مسؤولون عن عملية التحقيق مع ليو تشنغجو. هذا الرجل لديه مشاكل خطيرة. لقد قلت ذلك منذ لحظة...".

دفع قاو يوليانغ رقعة الشطرنج قليلا وضغط على ليانغ بينغ بشكل واضح قائلا: "حسنا، سأوضح ذلك لك أيضا. بصرف النظر عن مدى خطورة مشكلات ليو تشنغجو، يمكنك التغاضي عنها هنا ولا تقم بجرّ تشاو رويلونغ وتشي تونغ وي في هذا، لقد أخبرك تشي تونغ وي أن لديه حصصا في مجموعة شانشوي؟ هل وصلتك فكرتي؟ لا تقم بملاحقته. انظر إلى الكوادر الموجودة هنا. جميعهم يملكون سجلا حافلا بالمشاكل. هل شا روجين جريء بما فيه الكفاية ليقول إنه ليس لديه مشاكل؟ توقف عن ذلك يا ليانغ بينغ ولا تكن مسدسا في يد ذلك الرجل وتستمر في فعل الأشياء التي

تؤذي أصدقاءك وترضي أعداءك". تفاجأ هوى ليانغ بينغ ووقف في لمح البصر، ونظر إلى قاو يوليانغ بدهشة وقال: "أستاذ قاو، كيف يمكنك أن تتحدث هكذا؟ فأنت لست معلمي فقط، بل نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية الحالية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية".

غضب قاو يوليانغ كالمجنون وقلب رقعة الشطرنج وقال: "حسنا أنت لا تزال على علم بأنني قائدك يا هوى ليانغ بينغ".

كان المعلم والتلميذ متوهجين غضبا، ووقفا ندّين لبعضهما كالديكة المتقاتلة حتى تدخلت وو هوفين مرة أخرى بابتسامتها ولعبت دور صانع السلام وقالت: "ها هما المعلم وتلميذه يختلفان مجددا، سأقدم لكما وجبة سرطان البحر الآن. تعالا الآن لنتناول هذه الوجبة المميزة.

اغتسل الخوف من على وجه هوى ليانغ بينغ وقال: "انس الأمر يا سيدتي، لن أتناول أيا منها لأني سأعود". فردّ قاو يوليانغ: "هكذا بكل بساطة تقول إنك لن تتناول أي شيء منها؟ اجلس وكل، فقد تم إعدادها على شرفك، بعدها يمكنك أن تغادر".

ابتسمت وو هوفين وقالت: "لا تصب غضبك علي يا ليانغ بينغ، بل على معلمك". فتردد ليانغ بينغ للحظة ثم جلس على المائدة وقال: "دعونا نأكل ولا نضيع الوقت". سحبت هوفين زجاجة ماوتاي وقالت: "ها نحن ذا، وكالعادة، كأس واحد للمعلم، وثلاثة للتلميذ".

شرب هوى ليانغ بينغ الخمر وشكا إلى أستاذه بصوت مكتوم: "هذا غير عادل إطلاقا. أنت متحيز للغاية لتلميذك تشي تونغ وي، ولكن تشن هاي وأنا أيضا تلاميذك. لا يمكنك فقط التفكير به التقط قاو يوليانغ سرطانا كبيرا ووضعه بقوة أمام هوى ليانغ بينغ وقال: "عندما يتعلق الأمر بالتحيز، فمن بين الطلاب الثلاثة، أميل إليك أكثر من البقية، ولقد اعتبرتك وو كصهر يعيش مع أهل زوجته". بعد قوله ذلك، أخذ رشفة أخرى من الكحول. وبدأت تختفي حدة التوتر بينهما.

قام هوى ليانغ بينغ بتغيير الموضوع وبدأ يسأل عن أخبار ابنة معلمه شيو شيو. كانت مصدر الفخر الأكبر لوو هوفين التي كانت تتحدث عنها دائما وتقول إنها شخص مميز جدا، فقد أنهت دراستها للدكتوراه بمنحة كاملة، ولم تطلب من عائلتها فلسا واحدا طوال فترة دراستها، حيث كانت تعمل بدوام جزئي أثناء فترة دراستها وأعطت عائلتها ألف دولار أمريكي، تنفست وو هوفين عميقا، وبدأت تتحدث عن قصة شباب شيو شيو وقالت: "كانت تريد أن تصبح مغنية وكانت معجبة

بك بشدة، لكن أتعلم ماذا؟ بسبب رفضك لها تخلت عن حلمها بأن تصبح مغنية وذهبت إلى الولايات المتحدة بعد تخرجها من المدرسة الثانوية، لقد أذيتها يا ليانغ بينغ لكنك أنت أيضا من صنعها". ابتسم ليانغ بينغ ابتسامة ساخرة وأجاب: "في ذلك الوقت لم تكن شيو سوى في المرحلة الأولى من الثانوية، كيف كان لي أن أوافق وأقول لها نعم؟". ذهبت وو هوفين لتحضر يوميات شيو وتريها لليانغ بينغ، لكن ليانغ بينغ شعر أنه من غير اللائق أن يرى مذكراتها، لكن وو هوفين ردت عليه قائلة: "لا تخف يا ليانغ بينغ، فلا يوجد أشياء خصوصية في مذكرات شيو شيو".

وقف قاو يوليانغ وقال لهما: "حسنا أكملا وحدكما فأنا قد اكتفيت". وقف هوى ليانغ بينغ أيضا وقال له: "أيها البروفيسور قاو هل أستطيع أن أسألك سؤالا أخيرا قبل أن تغادر؟". كان لا يزال وجه قاو هادئا وجاوبه: "لا يزال لديك أسئلة يا هوى؟ تفضل واسأل الذي تريده وسأبذل قصارى جهدي لأجيبك". قال هوى ليانغ بينغ بهدوء: "قمت بإخبارك منذ فترة ليست بالبعيدة عن الانتهاكات والخروقات التي كان يقوم بها تشن تشينغ تشيوان عندما كنا في مقهى بحيرة قوانغمينغ، وعندها قمت بتشجيعي وطلبت مني أن أحقق في الأمور أكثر دون أن أشعر بأي خوف، وأن أتذكر على الدوام أن النيابة العامة هي نيابة الشعب، وأن محكمتنا تسمى محكمة الشعب، والأمن العام هو أمن عام الشعب أيضا، كما أخبرتني أن مصلحة الشعب هي في القلب دوما، هل كنت تعني ذلك حقا؟".

كان قاو يوليانغ يشعر بالضيق من الكلام الذي وجهه له ليانغ بينغ وقال: "بالطبع كنت أقصد كل كلمة كنت أقولها، هل كنت تشكك في كلامي طوال هذا الوقت؟". أجابه هوى ليانغ بينغ: "حسنا أيها البروفيسور قاو لقد فهمت ما تقوله إذا، وسأقوم بكل مهامي وفقا لتعليماتك هذه".

في طريق عودته من منزل معلمه عبر ليانغ بينغ حديقة صغيرة داخل المدينة وجلس على أحد المقاعد، كان متوترا من الداخل والمشاعر في داخله تتخبط كأنها إعصار مدمر، وكان عليه الاعتراف أن الموضوع الذي فتحته زوجة معلمه من الماضي أثر فيه بشدة، أغمض عينيه قليلا وإذ به يرى الفتاة الشابة شيو شيو تقترب منه، لقد كانت نقية كالملاك ومفعمة بالحياة تغني له الأغاني الجميلة التي كانا يسمعانها في ذلك الوقت، كان قد سبق لها واعترفت له بحبها بكل براءة ورقة، لكنه رفضها بسبب فارق العمر الكبير بينهما، لقد حطم هذا الرفض قلبها، افترض وقتها ليانغ بينغ أنها ستكون على ما يرام بعد مرور بعض الوقت إلى أن أخبرته اليوم وو هوفين أن طريق حياتها تغير بشكل جذري نتيجة

لهذه الحادثة، من هو هذا الرجل الذي لن يتأثر بحب امرأة له بهذا الشكل؟ كان ليانغ بينغ قد قرأ دفتر مذكرات شيو وشاهد الصور القديمة واحدة تلو الأخرى، وشاهد صور شيو الشابة الصغيرة، ومعها صور لوي وهاي وصور له أيضا، وهو يتذكر هذه الصور بدأت عيناه تدمع تدريجيا.

من غير الممكن إنكار حقيقة مشاعر البروفيسور قاو وزوجته تجاه ليانغ بينغ، ولكنه كان متعجبا من سلوكهما في هذا الوقت بالذات وبهذه الطريقة. هل فعلا ليقنعاه بالتنازل؟ وأي تنازل؟ بأن يدع تشي تونغ وى وليو تشنغجو وتشاو رويلونغ يفلتون من العقاب؟ ومضى هذا المشهد أمام عيني هوى في تلك اللحظة، ورمى معلمه حجر الشطرنج وقال بحزم: "لا يهم مدى خطورة مشاكل ليو تشنغجو، توقف عن ذلك". الآن كان هذا هو المفتاح لقد أعطى المعلم والقائد أمرا لفظيا لمرؤوسه وتلميذه بأن يدع هذه الشركة المدرة للأرباح، التي كانت قيد التحقيق منذ وقت طويل والتي ستقع قريبا في أيدي القانون، تفلت من العقاب لقد انذهل من طلب معلمه له مثل طلب تشي تونغ وي أليس اليوم مجرد مأدبة هونغمين أخرى، ولكن خلف ستار عاطفي؟

دار هوى ليانغ بينغ حول مساكب الأزهار، كان الأقحوان قد أزهر بشكل كامل. بالرغم من أنها ليس نادرة كتلك الموجودة في منزل معلمه، إلا أنها كانت تملأ الهواء برائحة رقيقة وكان يمكن الاحتفاظ بها في أي مسابقة جمال. وصل الآن لاستنتاج خطير وهو أن معلمه قد يكون مشبوها أيضا وقد يكون واحدا منهم أيضا لقد تجاوز تشي تونغ وى الحدود، فكيف يمكن ألا يعلم المعلم قاو بذلك وهو رجل بحكمة الملك سليمان؟ لو لم يكن هناك تقرير طارئ من تونغ وي، لما كانت زوجة المعلم قد اتصلت به بلا مبالاة ودعته للعب الشطرنج وتناول سرطان البحر؟ لقد أحزنه ذلك، فقد كان يحمل بسذاجة حجره وهو يظن بأن معلمه يشبه حجارة جبل تاي مهما حاول أن يفكر هوى ليانغ بينغ بالأمر، لم يستطع فهمه، فمعلمه لم يكن محبا للمال ولم يكن فاسقا، وهو في منصب مرموق برغم أنه مهووس بالسلطة، فلماذا قد يختلط بهذا الحشد؟ هل يمكن أن يكون هناك سر أكثر خطورة؟ هل يمكن حقا أن يكون لدى تشن يانشي ثأر شخصي مع تشاو ليتشون؟ ربما حتى البر والاستنكار العام جزء من الأمر أيضا.

اختفت الشمس خلف غيمة كثيفة، وكانت الرياح الشمالية الغربية لأوائل الشتاء باردة حقا، فارتجف هوى ليانغ بينغ. بدت الأمور واضحة الآن، كان يجب أن يتخذوا إجراءات وقائية لحادث لا يعرفون متى أو أين يمكن أن يحصل، أو حتى كيف..

علم قاو يوليانغ بأن هناك مصيبة كبرى ستحصل، فقد فشل في إقناع هوى ليانغ بينغ، وحتى استغلال عواطف وو هوفين لم ينجح، لقد كان هذا خطيرا. قال تشي تونغ وى عبر الهاتف بقلق: "إذا لم نتخذ خطوة حاسمة الآن، سنصل إلى نقطة اللاعودة. كما اتصل الأمين العجوز تشاو ليتشون ليقول بأن ابنه تشاو رويليونغ اضطر أن يبقى في هونغ كونغ، ولم يستطع العودة. وطلب بصوت حزين بأن يرى قاو ما يمكن فعله حول هذا الأمر. لقد كان الأمين العجوز مستعدا لدفع أي ثمن.

38

تم هدم المطعم الفاخر، وكان الأمين القديم قد أعطى تعليماته لتشاو رويلونغ بالتبرع بتعويض للحكومة لإنشاء صندوق حماية البيئة. كان صوت الأمين العجوز مليئا بحزن أبوي وهو يقول: "لدي ابن واحد فقط يا يوليانغ لم يكن قاو قد سمع الزعيم يتحدث بهذه النبرة من قبل، فلم يسعه إلا الشعور بالحزن عليه".

بالرغم من ذلك، لم يستطع أن يتخذ قرارا، كان يجب أن يتحدث مع تشي تونغ وي ويلقي نظرة على كل الأوراق الفاسدة التي يملكها تلميذه. فهو حتى وإن خسر، فلن يخسر بهذا الشكل. جرت المحادثة في بهو مركز المؤتمرات الدولي، ذلك المكان الواسع والمفتوح، ومن الصعب أن يكون هناك تسجيلات صوت أو فيديو. حالما دخل قاو يوليانغ وتشي تونغ وي إلى البهو، شعرا بشعور ساخط على عكس ما يمكن أن تسببه القاعة عالية الهيبة.

كان قاو يوليانغ في مزاج مريع، وكان ينتقد تشي تونغ وى منذ لحظة لقائه قائلا: "لقد قمت بأفعال شنيعة أيها المدير تشي، لقد جعلت من مزارع، لا يستطيع حتى قراءة كلمة (كبير)، أن يصبح شرطيا يراقب مواقف السيارات؟" فلوح تونغ وي بيده وقال: "هيا، فالصين مجتمع محب للأقارب. وبغض النظر عن أي شيء، أنا لا يمكنني أن أنسى زملائي القرويين". قال قاو يوليانغ: "لهذا السبب كانت زوجتك تقول إنه وبمجرد وصول أحدهم إلى القمة، فإن جميع أصدقائه وعلاقاته يصلون أيضا، وقد أثبتّ أنت ذلك وهل تخطط بعد ذلك إلى جمع كل الكلاب الشاردة في قريتك، وإحضارهم إلى إدارة الأمن العام لتكون كلاب شرطة تأكل من خزينة الحكومة؟". ضحك تشي تونغ وي وقال: "أيها البروفيسور قاو، أنت تعرف فعلا كيف تلقي الدعابات". أصبح وجه قاو يوليانغ صارما وقال: "ألقي الدعابات؟! لقد خيبت ظني يا تشي تونغ وي".

تلعثم تشي تونغ وي وهو يقول: "في الحقيقة أيها البروفيسور، كنت دائم النضال خلال السنوات الماضية، وأنت تعرف ذلك". فسخر يوليانغ منه قائلا: "النضال؟ هل تستحق تلك الكلمة؟ ما عليك سوى المضي قدما والقول إنك تتدرج في المراتب". قال تونغ وي: "هذا صحيح، إنني أتدرج في المراتب من لا يريد أن يتدرج في المراتب في الدوائر البيروقراطية؟ (الجندي الذي لا يرغب في أن يصبح جنرالا، ليس جنديا جيدا). أليس التدرج في المراتب والنضال شيئا واحدا؟". قال قاو يوليانغ: "لا يهم كيف تناضل، المهم أن تتبع القوانين، لا يمكنك الركض على نحو جامح". بدا تشي تونغ وي جادا وقال: "أيها البروفيسور قاو، أنا لا أريد الركض بجموح أيضا، ولكن في بعض الأحيان لا يكون لديك خيار آخر خذ ليلة الثاني عشر من أيلول كمثال". كشف هذا التلميذ عن أول بطاقاته الفاسدة. فقد كان هو من قام بالاتصال لتحذير دينغ يجن ليلة القبض عليه. بعد أن تحدث مع قاو شياو تشين على الهاتف الخلوي، قامت هي بتحذير دينغ يجن ورتبت لهروبه. قال تشي تونغ وي: "أيها البروفيسور قاو، لو لم أتصل وأحذر قاو شياو تشين بهذه الحالة الطارئة وبمساعدتها لهروب دينغ يجن من البلاد، لكنت أنت وقاو شياو تشين عرضة للمشاكل لم يكن لدي خيار سوى القيام بخطوة متهورة كهذه".

فهم قاو يوليانغ المعنى وراء كلمات تلميذه، حيث كان يجعل الأمر يبدو وكأنه لمصلحته هو أيضا. فأطلق تنهيدة وقال: "لقد أخبرتك بأنك رجل قاعدة، لكنك لا تريد الاعتراف بذلك لقد أثبتت الحقائق الآن بأنك رجل قاعدة لديه أجندة خفية لماذا لم تبلغني عندما حذرت دينغ يجن؟ لماذا تبلغني الآن؟ لتوقع بي؟ أنت تريد ببساطة سحبي إلى سفينة القراصنة الخاصة بك".

أجبر تشي تونغ وي نفسه على الابتسام وقال: "لقد أسأت فهمي أيها البروفيسور".

لم يسئ قاو يوليانغ فهمه، كان يعلم بأن تشي تونغ وي قد فكر بالأمر كثيرا. لقد وضعت علاقة المنفعة المتبادلة الطويلة الأمد التلميذ والمعلم على نفس القارب، والآن وباقتراب الكارثة، لم يكن أحد محصنا. ولكن قاو يوليانغ لم يكن ليقبل بالسقوط هذه المرة. استمر بتوبيخ تلميذه وهو يشير إليه بإصبعه قائلا: "حسنا يا تشي تونغ وي، أنت قادر لأنك لا تملك قلبا. لقد قمت بإحداث نسخة معاصرة من (المزارع والخبيث)".

عند ذلك، دخل المدير ليو من مركز المؤتمرات العالمي راكضا من الباب البعيد، فتوقف قاو يوليانغ عن التحدث، وتوقف تشي تونغ وي بلباقة عن التحدث أيضا. دعا المدير ليو الزعيمين

لشرب الشاي في قاعة كبار الشخصيات. قال قاو يوليانغ وهو يحرك يده: "لا حاجة لذلك، أنا والمدير تشي نتباحث في العمل".

بعد أن ذهب المدير ليو قال تشي تونغ وي: "هذا مؤلم أيها المدير قاو، فأنت لست المزارع اللطيف في القصص الخرافية، وأنا لست الأفعى كيف يمكنني أن أخبرك بأنني قد حذرت دينغ يجن؟ في ليلة الثاني عشر من أيلول، كنت تترأس الاجتماع، وكان كل من لي داكانغ وجي تشانغمينغ وتشن هاي يوجهون انتباههم لك هل كان من المفترض أن أهمس في أذنك بينما هم يراقبونك؟". فصرخ قاو يوليانغ في وجهه قائلا: "ماذا لو أخبرتني بعد الاجتماع؟ أو على الأقل قمت بالتلميح لقد سألتك مرارا وتكرارا، وخدعتني مرارا وتكرارا". فرد تشي تونغ وي: "ألم أحميك بعدم التلميح لك؟".

كان قاو يوليانغ عاجزا عن الكلام، وأدار وجهه بعيدا، وهو ينظر شزرا. تنهد تشي تونغ وى وقال: "لو لم يأت هوى ليانغ بينغ، ولو لم يضغطنا لاتخاذ خطوة كهذه، لما أخبرتك بهذا النوع من الأمور، مثل خرق القانون وارتكاب انتهاكات الانضباط. لو لم يكن هناك مشكلة، لكنت حملتها بنفسي؟". أدار قاو يوليانغ وجهه مرة أخرى ورد ببرود: "هل يمكنك حملها؟ أنت جريء جدا". بدا وجه تشي تونغ وي قاتما وقال: "لم يكن لدي خيار آخر، لقد كان دينغ يجن يعرف الكثير من الأسرار وعندما يقع، سيفقد الجميع حظهم. فتوزيعات الأرباح التي وزعتها قاو شياو تشين خلال السنوات الماضية للكثير من المسؤولين كافية لتدمير قسم القانون والسياسة...".

بدا وكأن تشي تونغ وى قد لمس بقعة ملتهبة عند قاو يوليانغ، لدرجة أن فمه ارتعش من الجانب "قاو شياو تشين" أخذ نفسا عميقا، ثم عبس وسأل: "هل هي تقف في صفي بينما تفسد كل شيء؟ أخبرني بالأمر بشكل مباشر".

قال تشي تونغ وي ساخرا: "هل كان عليها أن تدعمك؟ لقد تم تعليق صورة لك ولقاو شياو تشين في مجموعة شانشوي طوال الوقت عداك عن اللقاء الودّي الذي جمع نائب أمين لجنة الحزب الإقليمية وأمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية، قاو يوليانغ، مع رائدة الأعمال الشهيرة في منطقتنا، قاو شياو تشين..." فقال يوليانغ وهو يلوّح بيده: "اطلب منها أن تزيل هذه الصورة حالا". أجاب تشي تونغ وي: "أستاذ قاو، من الأفضل أن نتركها هناك في الوقت الحالي، لأن قاو شياو تشين في هونغ كونغ الآن، وستكون الأمور على ما يرام إلى حينها لا تجعل الناس يعتقدون أن قاو

شياو تشين لديها مشكلة بالفعل. يجب عليك التمييز بوضوح بينك وبينها...". قاطع قاو يوليانغ تلميذه: "توقف عن إدخال قاو شياو تشين في كل شيء". أجاب تشي تونغ وي: "حسنا، حسنا يا معلم".

خيم القلق على قاو يوليانغ، فطالما اعتبر تونغ وي نفسه على حق، وكان يدرك تماما أن هوى ليانغ بينغ كان أكثر خبرة وكان يراقبه منذ فترة طويلة، لكنه لم يمارس ضبط النفس بعد وقد انضم كل من هوى ليانغ بينغ وتشاو دونغلاي إلى التحقيق في حادث تشن هاي وقضية مقتل ليو تشينغجو، وكانت هناك فرصة جيدة للتقارب بينهما بعد أن أغلقا هذه القضايا سوية. بدا الأمر الآن كما لو أن حادث مرور تشن هاي على وجه الخصوص كان مرتبطا بهذا التلميذ الذي يقف أمامه الآن، مرتبط إلى حد أنه كان من تدبير تشي تونغ وي شخصيا، لكنه لم يسأله عن ذلك لأنه بلا فائدة. وبعد كل شيء، يبقى تونغ وي رجلا نبيلا رغم كل شيء.

كان تشي تونغ وي شديد الحقد، فعلى الرغم من تجنب المعلم لمواجهته، ظلّ تونغ وي يشحن الأجواء وقال لمعلمه: "بروفسور قاو، في ظل هذه الظروف، هناك بعض الأشياء التي علي إخبارك بها. في الواقع، الأزمة التي نواجهها تفوق الخيال. إن دينغ يجن هو شخصية خطيرة. وذات الأمر بالنسبة إلى تشن هاي. لقد قام رئيس مكتب قاو شياو تشين، المدير المالي ليو تشنغجو، بالإبلاغ عنا إلى تشن هاي. فاضطررت إلى اتخاذ تدابير جذرية". بدا قاو يوليانغ غير قادر على التهرب من هذه القضية، ونظر إلى تونغ وي ببرودة وقال: "مات هذا المدير المالي خلال إجازته؟ وتعرض تشن هاي لحادث مروري؟ أخبرني يا تونغ وي، كيف تستطيع أن تقف في وجه زميلك في الدراسة وصديقك تشن هاي؟".

على الرغم من أن قاو يوليانغ كان شخصا ماكرا، إلا أن التلاميذ الثلاثة ما زالوا عزيزين على قلبه. ارتجف صوته، واغرورقت عيناه بالدموع. بحيث يمكن للمرء أن يرى بوضوح أن حزنه كان حقيقيا، وأنه كان غاضبا. شعر تشي تونغ وي بالارتباك. تمتم قائلا: "أيها المعلم قاو، أنا... أنا حقا لم يكن أمامي خيار آخر...". لم يتح المعلم لتلميذه الفرصة لإكمال كلامه، وصفعه على وجهه وقال: "أيها الوحش، ألا تخجل من فعلتك؟ ألا يؤلمك قلبك؟ عندما كنت في الجامعة، ما مقدار المساعدات المالية التي قدمتها لك أسرة تشن؟ لقد كنت تستخدم تذاكر وجبات تشن هاي وترتدي ملابسه. هل تتذكر عندما قامت شقيقة تشن هاي الكبرى، تشن يانغ، بشراء الزوج الأول من أحذية كرة المضرب لك. أنت نفسك أخبرتني بكل هذا لقد قلت حتى أن أخته كانت المرأة الوحيدة التي تحبها حقا في هذه

الحياة، أتلك هي الطريقة المناسبة لرد الجميل لها؟". قال تونغ وي ببرودة: "من أجل الصداقة التي أظهرها لي تشن هاي، أنا... أستطيع أن أرد الجميل في الحياة القادمة فقط...".

نظر قاو يوليانغ إلى قبة البهو الجميلة والمفرغة، وأحس في تلك اللحظة بأن قلبه فارغ مثلها تماما، ثم رمق تلميذه بنظرة تملؤها الريبة وقال له: "بما أنك أخبرتني بكل شيء، وأصبحت الآن على علم بكل ما فعلته يا تونغ وي، هل ستقوم باتخاذ التدابير الطارئة ضدي أنا أيضا في يوم من الأيام؟". ضحك تشي تونغ وي ضحكة يتخللها الحزن وقال: "هل تعتقد أنه من الممكن أن أفعل شيئا كهذا لك حقا أيها البروفيسور؟ أنت لست تشن هاي وكنا أنا وأنت سوية في القارب ذاته طوال الوقت، وقد فعلت ما فعلته من أجل أن يبقى قاربنا عائما". أجابه قاو: تريد أن يبقى القارب عائما؟ ولم تأخذ بعين الاعتبار أنه بمجرد اتخاذك للإجراءات الطارئة بحق تشن هاي سيقوم هوى ليانغ بينغ بملاحقتك على الفور؟ وبما أنك تعرف تشن هاي كيف لك أن لا تعرف ليانغ بينغ والأمور التي يفعلها؟ إنك تقوم بخلق كارثة كبيرة هنا يا تونغ وي".

بدأ قاو يوليانغ يهدأ تدريجيا، فبغض النظر عن مدى قبح الحقيقة فعلى المرء أن يواجهها على الدوام، وبدأ ينظر إلى لعبة الشطرنج الواقعية التي أمامه ويحللها بعيون محنكة سياسيا ثم قال: "لا يمكن لقاو شياو تشين وتشاو رويلونغ أن يعودا إلى البلاد في الوقت الحالي ستكون مجازفة خطيرة لو فعلا أليس كذلك؟".

هز تشي تونغ وي رأسه وقال: "إن الأمر ليس خطيرا إلى هذه الدرجة بالنسبة إليهما، لكن المشكلة تكمن عند ليو تشنغجو، لأنه بمجرد أن وصل إلى المرحلة التي لا يستطيع فيها التحمل، سيضعف ويقوم بالاعتراف بكل جرائمه ويوقع الجميع معه". أجاب قاو يوليانغ والقلق واضح على وجهه: "ألا توجد وسيلة لمنع ليو تشنغجو من الاعتراف أو مساعدته بشكل ما على عدم الانهيار؟". فكر تونغ وي قليلا ثم قال: "إن المفتاح الوحيد لهذه المشكلة هو هوى ليانغ بينغ ولكن ليانغ بينغ لا ينفع معه الإقناع ولا الإكراه".

علم قاو يوليانغ ماهي الرسالة التي كان يريد أن يوصلها وقام بإيقافه بنظرة ثاقبة، توقف بعدها تونغ وي عن الحديث، لكنه اعتبر أن الصفعة التي وجهها قد أوصلت رسالتها.

بعدها قال تونغ وي: "أيها البروفيسور قاو جميعنا يعلم أنك أنت سيد لعبة الشطرنج في السياسة، وأنت تعلم أنه لا أحد يستطيع أن يتحرك خطوة واحدة الآن، وما لم نتخلص من هوى ليانغ بينغ لن نستطيع العودة إلى اللعبة".

كان قاو يوليانغ يعلم أن تلميذه هذا يقول الحقيقة، وبغض النظر عن مدى تردده كان متورطا مع عصابة القراصنة هذه، وفي تلك اللحظة كان مصير سفينة القراصنة متوقفا على قراراته الحاسمة، لكن قرارا كهذا لم يكن سهلا على الإطلاق، فهوى ليانغ بينغ هو من أعز التلاميذ إليه، ماذا يكمن أن يفعلوا أكثر من ذلك؟ فقد قاموا بتشويه تشن هاي قبل هذه الحادثة أيضا، وبعد تفكيره للحظات رد قاو يوليانغ ساخرا: "قمت بالتخلص من مدير مكافحة الفساد دون أن تخبرني أنك سوف تفعل ذلك، وهل حللت المسألة بذلك؟ أليس من المفترض أن تكون قد انتهت الآن؟ ألم تكن تقل لي على الدوام أنك ستهتم بجميع المشاكل وحدك ودون طلب مساعدة؟".

وضع تشي تونغ وي ابتسامة مزيفة على وجهه وقال لمعلمه: "إن الوضع مختلف تماما في حالة هوى ليانغ بينغ أيها البروفيسور، فتشن هاي كان على علم بسرنا وهذا الأمر فرض علينا أن نجبره على الصمت بالقوة، أما هوى ليانغ بينغ لايزال ولهذه اللحظة لم يقم بالضغط الكبير على ليو تشنغجو ولا زلنا بأمان، ولهذا يجب علينا أن نتخلص على الفور من ليانغ بينغ قبل فوات الأوان، وبقولي نتخلص منه فأنا لا أقصد أن نقتله". فكر قاو يوليانغ كثيرا إلى أنه اتخذ قراره وقال: "اذهب لرؤية شياو غانغيو من النيابة العامة لبلدية جينغتشو، أعتقد أنه سيساعدنا في هذا الموضوع، ناقش الموضوع معه، وحاول أن ترى ما إن كان باستطاعتنا التخلص من هوى ليانغ بينغ ضمن القانون، وتذكر جيدا أنه يحظر تماما عليك استخدام أي إجراء تعسفي، لن نستخدم سوى الحقائق والقانون لنتعامل مع القضية".

بعد انتهاء اللقاء مع تشي تونغ وي شعر قاو يوليانغ أنه قام باتخاذ قرار في مسألة حاسمة خلال وقت ضئيل جدا، وكان يشعر أن قلبه ثقيل جدا وأن السم الذي يرميه باتجاه الآخرين يؤذيه هو أيضا بالمقدار نفسه، ومع هذه الأفكار الثقيلة التي كانت تراوده لم يستطع سوى أن يتوقف ليأخذ عدة أنفاس عميقة ويهدأ.

39

في حقيقة الأمر، لم يكن ليو تشنغجو ينتمي للحلقة التابعة لمجموعة شانشوي، ولم يمش في الطرق نفسها التي اتبعها قاو يوليانغ وتشي تونغ وي حيث قام تشاو ليشون بنقله من المنطقة العسكرية الإقليمية منذ بضعة سنوات، وعندما أصبح تشاو ليشون أمين لجنة الحزب الإقليمية، كانت له الصلاحيات الكاملة في المقاطعة العسكرية وأصبح المفوض السياسي الأول فيها، وعندها نقل ليو ليصبح مدير الأمن الخاص به، كان ليو تشنغجو في ذلك الوقت مجرد ضابط صغير لا شأن له، ولكن هذا الضابط البسيط كان قادرا على قراءة البيان الشيوعي عن ظهر قلب، لذا أحبه تشاو ليتشون وتبناه، ثم رقاه من رئيس الأمن إلى أمين الشؤون السياسية، إلى أن أصبح نائب شاو الأول أي نائب مدير المكتب العام للجنة الحزب الإقليمية. كان جميع نواب تشاو ليتشون ناشطين في مجال السياسة وكانوا يشغلون مناصب رسمية رفيعة المستوى، ولي داكانغ هو أفضل مثال على ذلك، لكن ليو تشنغجو اتجه لمجال التجارة وأغلب الظن أنها كانت رغبة عائلة تشاو أو حتى رغبة تشاو جونيور بالتحديد، بينما كان تشاو رويلونغ يريد أن يصل إلى مجموعة النفط والغاز في المقاطعة إيتش ليحصل على كنز المال المتواجد هناك، وبحسب ما ورد من أخبار، فإن ليو تشنغجو وتشاو رويلونغ كانا كالأخوة لكن حسب الأخبار التي وردت في الأيام القليلة الماضية فإن ليو تشنغجو نفى هذه الأخبار كليا خلال التحقيق قائلا إنها إشاعات لا أساس لها من الصحة.

لم يكن التعامل مع ليو تشنغجو أمرا سهلا على الإطلاق، وفي نهاية المطاف قام هوى ليانغ بينغ بعصف ذهني وأمسك رأس ليو وضربه في الحائط بطريقة غير متوقعة على الإطلاق معتقدا أن ليو تشنغجو لن يستطيع الاحتمال أكثر من ذلك، لكن يبدو الأمر الآن كما أنهم قد أضاعوا فرصة

مهمة، فلو فعلوا الأمر كله دفعة واحدة في اللحظة التي ألقوا القبض عليه لكان كل شيء على ما يرام الآن.

عندما سحب ليو تشنغجو قدمه التي كانت تتدلى من النافذة إلى الداخل كان يبدو وكأنه في أضعف حالاته، وكان يمكن أن يهزم بسهولة شديدة، فجميع التجارب مع الحالات السابقة أثبتت أن خط الدفاع النفسي للشخص عادة ما ينهار في ثانية واحدة، كان لا بد من عملية انتهاك جديدة، ولكن إن لم تنجح العملية هذه المرة ستجعل الأمور أصعب لاحقا مهما كانت المحاولات التي تليها جادة، لكن في ذلك الحين كان قد تم إلقاء القبض عليه على حين غرة ووضعه في الطابق الثامن والعشرين، وكانت الأولوية حينها بأن لا يدع هذا المتهم يقفز مهما كلف الأمر، فلو قفز ليو تشنغجو فعلا لكان أصبح هذا الحدث الأكبر في المنطقة على الإطلاق وعندها لن يستطيعوا متابعة التحقيق في القضية أيضا.

استمر ليو تشنغجو بعناده ولم يعترف بأي شيء، بل استمر بالحديث عن أن الإصلاح كان ثورة عظيمة وأشاد بالأمين القديم تشاو ليشون ووصفه ببطل الإصلاح في المقاطعة إيتش، كنت تسمعه في إحدى اللحظات يتلو مقطعا من البيان الشيوعي، وفي اللحظة التي تليها يقول مقطعا من كتاب لينين الدولة والثورة وبهذا كان يعتقد أنه يعرض موهبته كرئيس سابق للأمناء في لجنة الحزب الإقليمية، وكلما كانوا يسألونه عن أمور تتعلق بالأمور المالية كان يحاول أن يضيعهم بمواضيع أخرى ليتهرب من الإجابة، حيث إنه حول مبلغ قدره سبع مئة مليون إلى مجموعة شانشوي وكان متهما بأنه استخدم منصبه ليحصل على هذه الأرباح، ولكن جوابه كان أنه يقوم باستثمار هذه الأموال في مشروع، وقبل ذلك كان قد وافق على مبلغ قدره ست مئة مليون لصالح شركة لونغين التابعة لتشاو رويلونغ، وكان جوابه أنه استثمار للأسهم قام به معه في شركة أيس تي للبطاقات الكهربائية وهي شركة مدرجة في البورصة لكن مجموعة النفط والغاز لم يكن لديها في دفاترها أي دليل على ذلك، وفسر ليو تشنجيان ذلك بأن تغييرا حصل في ما بعد حيث أصبحت شركة تشاو رويلونغ ثرية بعد دخولها في السوق التجارية بعامين ولم تسمح لمجموعتهم أن تدخل في عملية الاستثمار، ولكن عندما خاطروا واستثمروا في شركة تشاو رويلونغ كانت شركة الغاز والنفط قد أهدرت ثلاثمائة مليون، وكانت عملية إعادة التنظيم ناجحة فقد ارتفعت أسهم بطاقات الكهرباء من اثنين إلى اثنين وثلاثين يوانا وبالرغم من ذلك سحبوا استثمارهم وكسبت شركة لونغين تسعمائة مليون مقابل لا شيء. سأل المحققون ليو تشنغجو: "كيف يمكنه أن يكون أحمق إلى هذه الدرجة؟".

أجابهم ليو وقال: "الأمر ليس أنني أحمق أم لا، فببساطة كان السوق غير مستقر ولا يمكن توقعه، وحتى الآلهة لا يمكنها توقع ما الذي كان ممكن أن يحدث.

كان كل من ليانغ بينغ ولو ييك يتابعان مجريات التحقيق عبر الشاشة الإلكترونية في غرفة القيادة، ولم يكن بوسعهما التوقف عن هز رأسيهما والضحك.

ردّ ليو تشنغجو بصوت مرتفع وقال: "هذا صحيح، لقد خسرنا المال في بعض الاستثمارات التي جاءت نتيجة لبعض الأخطاء أثناء عملية الإصلاح. وفي ذلك الوقت، قال الأمين السابق تشاو ليتشون، "يمكنك دائما أن تجرب وتخطئ، ولكن لا يمكنك أن تصلح، فالإصلاح يشبه عبور النهر عبر التشبث بالصخور، وستتلقى حتما بعض المياه إن لم تجد ما تمسك به"...".

قال المحقق: "حسنا، لقد ارتكبت الأخطاء بوقاحة، ثم ألقيت باللوم على عملية الإصلاح؟". فرد ليو تشنغجو بحزم قائلا: "إذا غرقت، فأكون قد غرقت. هذا هو الإصلاح بالنسبة إليك، ثورة كبيرة، وهناك دائما جزء من الناس الذين يضطرون لتقديم التضحيات وبعد كل شيء، فقد أحضرتموني إلى هنا".

كان تفسير هوى ليانغ بينغ بأن ليو تشنغجو كان يعلم بأن خطاياه كبيرة، وإلا لما قاوم الاعتقال وحاول القفز من المبنى والانتحار في ذلك اليوم. ولكن بعد اعتقاله، ولسبب غير معروف، تم تعزيز دفاعاته النفسية. فهل أعطاه أحد ما بعض المعلومات؟ أو هل أخبروه أمرا هدأ من روعه؟ هل كان ليو يعرف مسبقا بأن قاو شياو تشين وتشاو رويلونغ قد تخطيا الحدود؟ كان خوف هوى ليانغ بينغ الأكبر الآن هو هجوم من عدو متخفّ داخل صفوفهم فخصومهم أقوياء ولديهم نظام متجذر بشدة، ولهم يد في كل شيء. لذا وجب عليهم أن يحترسوا.

كان هناك ما يثقل كاهل هوى ليانغ بينغ اليوم بينما كان يسقي الأزهار التي كانت قد ذبلت في معظمها، وكانت مساكبها مليئة بالأغصان الميتة والأوراق الجافة. كان تشن هاي يحاول أن يقوم بعمل غير معتاد عندما استيقظ، ولكن لم يكن هناك ما يمكن فعله. فهو لم يكن شخصا مهتما بالأزهار وبإطعام الأسماك. فقد كانت الأسماك الذهبية في الحوض قد ماتت منذ وقت طويل، ولم يعرف سبب موتها سواء مات جوعا أم من الإفراط في الأكل. كان رأي لو ييك أنها ماتت من الإفراط في الأكل، لأنه كان يحب إطعام أسماكه كلما كان يفكر في شيء ما.

طرقت لو ييك الباب في نفس اللحظة التي كان يفكر بها. وأخبرت هوى ليانغ بينغ خبرا مفاجئا فور دخولها. كان صديق طفولته تساي قونغ قد أبلغ عنه.

ذهل ليانغ بينغ للحظات ونظر إلى لو ييك قائلا: "ماذا؟ تساي قونغ بلغ عني؟".

أومأت لو ييك برأسها وردت بأن المعلومات كانت سرية وموثوقة، فقد جاءت من مكتب الأمن العام البلدي في مقاطعة جينغتشو. فالبارحة في مركز احتجاز مكتب الأمن العام، أصبح تساي قونغ فجأة مذعورا وقلقا، وقرر الإبلاغ عن هوى ليانغ بينغ. وحالما سمع الحارس المناوب بأنه كان يريد الإبلاغ عن مدير مكتب مكافحة الفساد، أخبر رؤسائه فورا، وتولى نائب بلدية جينغتشو الأمر في نفس الليلة. حضر رئيس النيابة شياو غانجيو شخصيا من أجل الموضوع، وأمر بفتح تحقيق سريع مع تساي قونغ طوال الليل. كان تشاو دونغلاي قد سرب المعلومة وأخبر هوى ليانغ بينغ أن يتوخى الحذر.

كان هذا مفاجئا وغريبا، وكان هوى ليانغ بينغ يجول في أرجاء الغرفة وهو يفكر بالأمر بعناية.

لماذا سيبلغ تساي قونغ عنه فجأة؟ ولماذا كان نائب البلدية في جينغتشو مهتما جدا بوضع أنظارهم عليه؟ ولم قاموا بتحقيق مستعجل؟ أيا يكن الأمر، هو المدير الحالي لمكتب مكافحة الفساد، وعضو في مجموعة قيادة الحزب. هل علم جي تشانغ مينغ رئيس النيابة وأمين مجموعة قيادة الحزب بهذا الأمر؟ هل كان هذا من أفعال معلمه قاو يوليانغ؟ لا بد أن ما حدث يعتبر ضربة كبيرة لقاو يوليانغ وصديق طفولته الشقي وربما لم يكن لهما علاقة ببعضهما البعض.

لم يكن هوى ليانغ بينغ قد التقى برئيس النيابة العامة لجينغتشو شياو غانجيو من قبل، ولم يكن يعرف شيئا عن الرجل. لذلك سأل لو ييك: "أي نوع من الأشخاص يكون شياو غانجيو؟ هل من الممكن التحدث معه أم لا؟". قالت لو ييك: "كان شياو غانجيو نائبا لمدير النيابة الإقليمية وتم نقله لاحقا. لديه سمعة سيئة ومن الصعب التعامل معه. إذا كنت تريد التحدث، فإن على جي العجوز القيام بذلك فسأل هوى ليانغ بينغ: "هل كان تساي قونغ مهددا أو مكرها من قبل المجرمين، وهل تم ابتزازه من قبل خصومنا؟". ظنت لو ييك أن ذلك ممكنا، فتساي قونغ كان شخصا متقلبا منذ البداية اتصلت

بتشاو دونغلاي عازمة على إحضار فيديو المراقبة من مركز الاحتجاز، للتأكد مما إذا كان شخص ما قد هدد تساي قونغ.

كانت لو بيك قلقة وأرادت الرحيل بعد إنهاء مكالمتها، ولكن هوى ليانغ بينغ أوقفها، وقال: "مهما حصل يا بيك وحتى لو تم احتجازي والتحقيق معي واعتقالي، يجب عليك اقتحام حصن مجموعة الغاز والنفط بأسرع وقت ممكن. فبمجرد اقتحامها، سوف تتهاوى إلى قطع". كانت لو بيك حزينة وقالت: "أخشى أن يفكر خصومنا بذلك أيضا، فهم مستمرون باستخدام ليو تشنغجو لهذا الغرض". أومأ هوى برأسه قائلا: "هذا صحيح. ولذلك يجب التحقيق معه فورا. سأقوم بذلك بنفسي".

شعرت لو بيك بأن بلاغ تساي قونغ لم يكن مزحة، وبأنهم يجب أن يخبروا جي تشانغ مينغ أولا. فرفض هوى ذلك بحركة من يده وقال: "لا حاجة لذلك، هذه حرب ويجب استغلال كل لحظة فيها". عند رؤيتها له هكذا، شعرت ببعض الطمأنينة فسألته بحذر: "يبدو كأنك تعرف من هو خصمنا أيها المدير هوى". فضحك هوى ليانغ بينغ بهدوء وقال: "بالطبع أعرف، أنا لا أعرف من هو شياو غانغيو، ولكنني أعرف من يدعمه".

بعد رحيل لو بيك، بدأ هوى ليانغ بينغ يرتب الأزهار والنباتات في الغرفة. في هذا اليوم بالذات، كان صبورا جدا؛ فقد أزال الأوراق الميتة واحدة تلو الأخرى ووضعها في سلة المهملات. ثم شذّب الأغصان المنحرفة وسوّى التربة، ثم سقاها بدقة. كان مثل بستاني حقيقي، يتعامل بطريقة منهجية مع العمل الطائش أمامه. لقد كان قلبه يحذره بأن كل مسألة مهمة تتطلب الهدوء، وفي وقت كهذا لا يمكنه أن يشعر بالذعر. كان قد تعلم من معلمه قاو يوليانغ، الذي كان مولعا بالبستنة، وكان يمكنه تحويل حديقة صغيرة إلى مكان مطرز بالألوان. ربما كان هذا أيضا عرضا فنيا للصراعات السياسية المعقدة".

تذكر هوى ليانغ بينغ طريقة تصرف تساي قونغ خلال التحقيق، فقد كان في غرفة القيادة في ذلك الوقت. قال تساي قونغ بأنه كان يخشى على حياته، وبأنه كان هناك رجلا عصابات في زنزانته. لماذا أهمل ذلك؟ ربما لأن تساي قونغ كان كاذبا وغير جدير بالثقة. الآن ربما يوجد شخص ما يجبر تساي قونغ على لدغ الآخرين وصب الاتهامات بشكل عشوائي. فجأة تذكر هوى ليانغ بينغ بأنه عندما جاء تشن يانشي إلى مكتب مكافحة الفساد للإبلاغ عن تشين تشينغوان، كان قد أخبر ليانغ

بينغ بشيء ما سهوا. فقد قال الرجل العجوز بأنه كان لدى مصنع دافنغ قائد للفريق الأمني يدعى وانغ وينغ، وبأنه في ليلة 916، عانى من حروق شديدة. كان لديه عائلة فقيرة، وطفلهم كان صغيرا، وكانت زوجته تطالب بالطلاق.

كان وانغ وينغ قد أكد لزوجته أنه سيستعيد الأسهم ويشتري منزلا جديدا للعائلة. لذلك، سعى خلف تساي قونغ للمطالبة بأسهمه كالمجنون. وفي الوقت الذي كان فيه تساي قونغ في مركز الاحتجاز، كان وانغ وينغ قد حاول بالفعل خطف ابن تساي قونغ. ولكن لحسن الحظ، تم اكتشافه من قبل معلمه، تشنغ شيبو، الذي أعاده إلى رشده بعد أن منحه الطمأنينة. الآن، وبعد أن فكر فيما حدث، كان تساي قونغ حقا في وضع خطير فلو قام شخص ما باستغلال دوافع وانغ وينغ الخفية، فإنه يمكن أن يشكل تهديدا جديا له. فليس له سوى ذلك الابن الوحيد والذي أنجبه بعد أن بلغ الأربعين. كان ابنه قرّة عينه، ولو قاموا بتهديده به، لكان بالتأكيد سيفعل كل ما يطلبونه منه. لذلك كان عليه ألا يغفل لثانية، ولكن الأوان كان قد فات بالنسبة إلى ليانغ بينغ ليندم على ذلك.

والسؤال المطروح الآن، ما الذي أبلغه به تساي قونغ بالضبط؟ لم يستطع ليانغ بينغ إيجاد أي رابط مع تساي قونغ. لكنه جاء إلى بكين وأعطى الخمور والسجائر كهدايا، لكنه طلب من السائق أن يزيلها على الفور. يمكن للسائق أن يشهد.

بخلاف ذلك، لم يقبل ليانغ بينغ أي هدية ثمينة من تساي قونغ. وبصفته رجلا محترفا، كان مقتنعا تماما أنه لا يمكنه تقديم دعوى والتحقيق معه استنادا إلى كلام تساي قونغ الفارغ وحده. وبعبارة أخرى، لا يمكن لأحد أن يفعل أي شيء له.

انتهى هوى ليانغ بينغ من ترتيب الزهور والنباتات وبدّل الماء في حوض الأسماك التي كانت قد ماتت وأعاد ملأه بماء نظيف. وبمجرد أن تختفي رائحة الكلور منها، كان يشتري بضعة أسماك أخرى ويضعها في الحوض. كان يفعل ذلك ليشغل نفسه عن التفكير والتنفيس عن الضغط، لكن ما زال يرتسم على وجهه القلق كما لو أنه فعل شيئا خاطئا. كان حدسه ينبئه باقتراب حدوث أمر خطير بشكل لا يمكن تفسيره.

جلس ليانغ بينغ على كرسيه، أخذ نفسا عميقا وراح يتأمل. وشيئا فشيئا، طافت صورة قاو يوليانغ أمام عينيه. لقد فهم أن معلمه كان الشخص الوحيد الذي يخاف منه. فكان معلمه دائما كريما

جدا، وغامضا جدا. وكرجل كامل الصفات، كان سعيدا ومكتفيا بتشذيب فروع النباتات في حديقة منزله الصغيرة وتنظيم الأثاث في الداخل، على عكس الطريقة التي كان يهتم بها ليانغ بينغ بنباتاته التي كانت في حالة من الفوضى. يا لك من إنسان رائع يا معلمي، كيف بإمكانك أن تكون ملهما هكذا؟

كان البروفيسور قاو يوليانغ في تلك اللحظة جالسا على كرسيه مغمضا عينيه، ويحاول أن يهدئ أفكاره ويسترخي عن طريق ممارسته لبعض التأمل منتظرا أن تأتي ساعة الصفر، فحتى لو كان هو المعلم بوذا لما استطاع أن يهدئ نفسه ويتعامل مع تلميذه هذا الذي وصل به إلى حافة الهاوية. في الليلة الماضية وقف قاو يوليانغ على الشرفة واستمر بتدخين السجائر حتى الفجر، شاهدته حينها وو هوفين مصادفة وهي ذاهبة إلى الحمام وصرخت بصدمة: "ألم تقلع عن التدخين منذ عشرين عاما؟ ما هذا الحدث العظيم الذي جعلك تعود إلى التدخين هكذا؟". لا تعرف المرأة كم هي الهموم التي يحملها الرجل، إلا عندما يبدأ بالتصرف بشكل غريب تماما عن المعتاد وبعيد عن سلوكه الطبيعي.

كان البروفيسور قاو واقفا على شرفته يتأمل السماء ويدخن سيجارة تلو الأخرى وقلبه يملئوه الحزن على تلميذه الذي كان يعتبره من أقرب الأشخاص إليه ويقول لنفسه: لم أكن أريد أن تصل الأمور إلى هذه المرحلة يا ليانغ بينغ، أيها القرد الصغير كانت أمورك جيدة في بكين فما الذي جاء بك إلى جينغتشو تستخدم حيلك وقدراتك الكبيرة في التحقيق، وحتى أنك لم تتغير ولو قليلا لتصبح مرنا ومتساهلا، هل هذه هي طريقتك في مغازلة الموت؟ فقد نتج عن تحقيقاتك وعدم رغبتك في التغاضي عن الأمور عاصفة لا يمكن السيطرة عليها في المقاطعة إيتش، وبالرغم من رؤيتك للورقة المخفية التي في يد معلمك لم تسكت وقمت بإجباره على استخدامها لذا لا تلقي اللوم على معلمك إن كان أسلوبه قاسيا فالجميع يريد الحفاظ على حياته في نهاية الأمر...

في تلك اللحظة، كان البروفيسور قاو ينتظر تنفيذ تعليمات ورقته الرابحة، وبينما كان على وشك الانتهاء من عمله، جاء أحد موظفيه القدامى شاو غانغيو وأحضر ما كانوا يسمونه بالورقة الرابحة، ووضع المواد التي تتعلق بتحقيق تساي قونغ على الطاولة وقال: "يجب علينا أن نقبض على هوى ليانغ بينغ على الفور. أيها البروفيسور قاو، أعتقد أنه تلقى الرشاوى ويقوم بالتلاعب بالحقائق". وبعد أن أنهى حديثه دخل سكرتير قاو وبيده وثيقة ما ليعطيها له، وبينما كان شياو على

وشك الذهاب أوقفه قاو وطلب منه البقاء قليلا، بعد أن وقّع الوثيقة وأعادها إلى السكرتير قام السكرتير بتذكيره قائلا: "لديك موعد مهم الليلة أيها الأمين قاو". أجابه قاو يوليانغ: "كنت على وشك أن أنسى أخبارك أن تلغيه، فسوف أذهب أنا وشياو غانغيو لنتنشق بعض الهواء النقي".

وبعد مرور بعض الوقت على انطلاقهما من المكتب، وصلا إلى معبد فنوغوانغ الجميل في الضواحي الشرقية، وطلب من سائقه إيقاف السيارة أمام مدخل المعبد، ثم مشى هو وشياو إلى أن وصلا إلى بهو المعبد، كسر بعدها قاو يوليانغ الصمت وقال: "يمكنك التحدث الآن حضرة النائب". بدأ شياو غانغيو الحديث وهو يشعر بحماس كبير وقال: "هنالك شبهات حول تورط هوى ليانغ بينغ في خروقات قانونية، فقد كان على شراكة مع تساي قونغ ودينغ يجن في أعمال خاصة بتجارة الفحم، كان تساي قونغ يملك سبعين بالمئة من مجمل الأسهم، ودينغ مع هوى يملكون خمسة عشر بالمئة من الأسهم، وهما متهمان الآن باستخدامها لمنصبهما للوصول إلى مآرب شخصية، فقد قام تساي قونغ بتحويل مبلغ وقدره أربعمائة ألف يوان من الأرباح إلى حساب ليانغ بينغ البنكي. لقد تم التحقق من ذلك. بالإضافة إلى أنه، وقبل عدة أيام من حصول الحادث 916، ذهب تساي قونغ إلى منزل هوى ليانغ بينغ في بكين. وأهداه علبة من سجائر تشونغهوا، وعلبتين من خمر موتاي وبذلة رسمية ذات علامة تجارية تبلغ قيمتها ثلاثة وعشرين ألف يوان".

كان هناك أشجار صنوبر قديمة في الفناء، وكانت الصنوبريات متناثرة على الأرض. وكان قاو يوليانغ يلتقط مخروطا صنوبريا بين الفينة والأخرى، ويرميه في سلة المهملات. وقبل رميه، كان البستاني المتحمس يحمله في يده ويدرسه، كما لو أنه يدرس عن أنماط نموه. رمى المتحمس كوز صنوبر آخر وقال بهدوء: "أيها النائب شياو، لا يمكنك الاستماع فقط إلى ما يقوله تساي قونغ. فما يهم هو الدليل. قال شياو غانغيو إن النيابة البلدية كانت تتعامل معه بحرص، وبأنه كان قد ذهب شخصيا إلى مكتب الصناعة والتجارة ليتحقق من ذلك. ومن الثلاثة المسجلين كمالكي أسهم، كان هوى ليانغ بينغ ودينغ يجن، بالإضافة إلى تساي قونغ بالطبع. كان قد حصل على نسخة من هوية هوى ليانغ بينغ وتوقيعه. أدار قاو يوليانغ وجهه وحدق في شياو غانغيو وقال وهو يمسح الأوساخ عن يديه: المهم هو هل بإمكانك التحقق من تلك الأربعمئة ألف في أداء أسهم هوى ليانغ بينغ؟". كان شياو غانغيو إيجابيا وقال: "لقد تم التحقق من ذلك فعلا، فقد وجدنا إيصال التحويل من آذار من العام الماضي". لدى تساي قونغ ذاكرة جيدة حقا مشى قاو يوليانغ نحو القاعة الرئيسية للمعبد، وقال وهو يسير: "نظرا إلى أن تساي قونغ كان قادرا على تخصيص أربعمئة ألف إلى هوى ليانغ بينغ، فماذا

عن الرشاوى الأخرى التي أخذت؟". كان شياو غانغيو مواكبا له وقال: "ربما لا يزال هناك خيوط جديدة للرشوة...".

أخذ قاو يوليانغ بعد دخوله القاعة الرئيسية، عود بخور وأشعله أمام المبخرة. لم يكن عقله في العبادة، وانما كان مأخوذا بطالبه المتميز والمتدين، فقال: "أيها النائب شياو، جمعت من تقريرك ما هو واضح. لقد أخذ هوى ليانغ بينغ رشوة من تساي قونغ في وقت مبكر، كما دخل في شراكة مع دينغ يجن للعمل في الفحم. تولى أداء الأسهم، وهذا ما حمى تساي قونغ بأية حال".

أكمل شياو غانغيو التفاصيل فورا قائلا: "هذا صحيح أيها الأمين قاو. وفقا لما كشفه تساي قونغ البارحة، فإن هوى ليانغ بينغ أخبره في بكين بألا يخاف، وبأنه سيتحمل المسؤولية بعد ذلك، تم نقل هوى ليانغ بينغ من بكين، وفعل كل ما يستطيع فعله لحماية تساي قونغ. لقد ترك تلميحا لتساي قونغ بأن يتظاهر بالمرض في حضور الشرطة".

أشعل قاو يوليانغ عود البخور خاصته، وانحنى لتمثال بوذا ويداه ممدودتان أمامه بهدوء، أما شياو غانغيو، فانحنى بلا مبالاة. وعندما انتهى الطقس، وضع قاو يوليانغ ورقة من فئة المئة يوان في صندوق المعبد. رأى راهب عجوز ذلك، فضم يديه وردد: "سيكون بوذا ممتنا، وأعطاه نعلا متمنيا له ترقية".

انتقل الرجلان إلى الفناء الخارجي للمعبد البوذي، بعد خروجهما من القاعة الرئيسية. كان هناك بستان واسع من الخيزران لم يكن فيه أحد. وكان فيه مجموعة من الغربان يملأ صوتها هواء الغسق.

تنفس قاو يوليانغ الصعداء وقال لشياو غانغيو: "أعرف الآن من هو الأكثر قلقا في القبض على دينغ يجن". سأل غانغيو: "هل تتحدث عن هوى ليانغ بينغ أيها الأمين قاو؟". قال قاو يوليانغ بنبرة مسترخية: "من يكون غير هوى ليانغ بينغ؟ يا له من أمر عجيب إن هوى ليانغ بينغ هو مدير قسم التحقيقات في بكين، وكان مسؤولا عن العملية في تلك الليلة. وكان يقوم بعمل جيد، فهو يتصل باستمرار بصديقه تشن هاي من بكين ليطلب منه السير في طريق بينما يتقدم هو في طريق آخر". لم يتوقع شياو غانغيو أن يحل معلمه طريقة هجوم هوى ليانغ بينغ بهذه الطريقة، فسحب بشكل لا إرادي نفسا عميقا من بين أسنانه. لم يكن قاو سعيدا فسأله: "هل تؤلمك أسنانك؟". وقال بعد أن توقف

للحظات: "أظن أيها النائب شياو بأن هوى ليانغ بينغ دبر حادث سير تشن هاي لكي يمنع الكشف عن أسراره". أظهر شياو غانغيو علامات تردد وقال: "أنا.. أنا.. ألن يكون ذلك صعب التنفيذ أيها الأمين قاو؟ ففي ذلك الوقت كان هوى ليانغ بينغ في بكين، فكيف يمكنه أن يدفع سائقا في جينغتشو ليقوم بحادث مروري؟". تغير وجه قاو يوليانغ وقال: "لماذا أنت موضوعي جدا يا شياو؟ إذا لم تتحقق من الأمر، كيف يمكنك أن تقول إنه غير ممكن؟ ضع يديك معا وقم بتحقيق مناسب. دع الحقائق تتحدث عن نفسها"..

مسح شياو غانغيو العرق من على جبهته ووافق على مضض، قائلا إنه سيفعل الأشياء التالية تبعا لتسلسل الأفكار.

لم يكن قاو يوليانغ متأكدا، فقال وهو يلوح بالنعل بيده محذرا: "دعني أكون واضحا يا شياو، هذه مسألة حياة أو موت، وليس هناك نقطة عودة لأحد لقد قتل تشين تشينغوان، وقد تخطى دينغ يجن وتشاو رويلونغ وقاو شياو تشين الحدود. فهل يمكن أن يترك أحد الأمور للصدف؟". قال شياو غانغيو: "أنا أعرف أيها الأمين قاو، فقد أعلمني المدير تشي بكل شيء". سلم قاو يوليانغ النعل لشياو غانغيو وقال: "بما أنك تعرف، فهذا جيد، يمكنك الحصول على هذا". رفض شياو غانغيو أخذ النعل وقال: "لماذا أيها الأمين قاو؟ لقد أعطاها الراهب لك، ويمكنك أنت أن تحصل على الترقية". فضحك قاو يوليانغ وقال: "في هذا العمر؟ ولأجل ماذا سأترقى؟ أنا أنتظر أن أتقاعد وآخذ الأمر ببساطة بينما أنت على العكس تماما، قم بعمل جيد لأجلي، وسينتهي وقت جي تشانغ مينغ قريبا. اربح القتال، ويمكنك أن تكون المدير العام للنيابة في المقاطعة. أنت تملك المؤهلات".

كان شياو غانغيو ممتنا، ولكنه كان قلقا بشأن تجاوز جي تشانغ مينغ. فقال له قاو بأنه يجب أن يحصل على رضا جي بأسرع وقت ممكن. فهم لن يستطيعوا إغلاق قضية هوى ليانغ بينغ من النيابة الإقليمية. وبمجرد أن يتم الانتهاء منها، ينبغي عليه إبلاغ تشانغ مينغ. رغم ذلك، كان لدى شياو غانغيو بعض المخاوف حيث قال: "حضرة الأمين قاو، هل تعتقد أن رئيس النيابة سيحمي هوى ليانغ بينغ؟". فأجاب قاو ببعض الشك: "ليس لديه الشجاعة بالإضافة إلى أنه سيتقاعد قريبا، لذا فإن احتمالية ذلك أقل".. قال شياو غانغيو وهو ما يزال قلقا: "يقول الجميع إن ليانغ بينغ مجنون. هذا صحيح، وأنتم جننتم معه أيضا، ما أشبه الأمر بالقتال للوصول إلى القمة، لكن حالما تتأخر خطوة واحدة، فإنك ستخسر". قال قاو يوليانغ.

في تلك الأثناء، فزعت الغربان فجأة، وملأت نصف السماء بأجنحتها السوداء.

40

في تلك الليلة، عمل هوى ليانغ بينغ ولو بيك خلال الليل مرة أخرى. وسارعوا إلى مركز القيادة للقيام باستجواب متسرع لليو تشنغجو. كان واضحا لليانغ بينغ أن هناك شبكة سوداء كبيرة تلوح فوق رأسه ويمكن أن تسقط في أي وقت. كان في سباق ضد الزمن معها.

وبمجرد أن جلس ليو تشنغجو على كرسي التحقيق، اشتكى قائلا: "هذه النيابة مولعة باستجوابات منتصف الليل".

"ليس لدينا خيار آخر، فالسلطات العليا تضغط بقوة من أجل هذه القضية". وبذلك، أسقط ليانغ بينغ تلميحا بأن القضية حظيت باهتمام كبار المسؤولين. ثم تحدث بنبرة غير رسمية في محاولة لتغيير الموضوع قائلا: "دعنا نبدأ يا حضرة الرئيس ليو، هل نبدأ بالسؤال الذي طرحته الرئيسة لو بيك في المرة السابقة؟ أم بالموضوع الذي تحدثنا عنه آخر مرة؟".

ذهل ليو للحظة ثم قال: "ما الموضوع الذي تحدثنا عنه في المرة السابقة؟". ابتسم ليانغ بينغ وقال: "شبح يطارد أوروبا... شبح الشيوعية".

تحمس ليو تشنغجو قليلا وقال: "أوه، هل تريد مني أن أسمعك البيان الشيوعي مرة أخرى؟".

"لا، أريدك أن تستعيد روحك التي فقدتها فكر في الأمر مليا يا حضرة الرئيس، متى خسرت روحك؟".

جال ليانغ بينغ أمام ليو تشنغجو ذهابا وإيابا وقال: "لقد ولدت في مجمع حي عسكري، وترعرعت على صوت نداءات الأبواق، ثم التحقت بالأكاديمية العسكرية ولم تغادرها قبل الثلاثين من عمرك، وتلقيت أيضا من الرعاية والحب ما يفوق الآخرين في عمرك".

عند هذه النقطة، ظهرت نظرة حسد على وجه هوى ليانغ بينغ وقال: "كنت أعيش في وقت من الأوقات بجوار وحدة عسكرية. عندما كنت صغيرا، كنت أسمع في كثير من الأحيان نداءات البوق التي سمعتها. هذه الألحان المألوفة لا تزال تتردد في أذني حتى يومنا هذا. لكن الفرق هو أنك كنت داخل المجمع، وكنت أنا خارج المجمع.

بدا ليو راض عن نفسه، قال: "في ذلك الوقت، كان الأطفال الذين يعيشون خارج المجمع أكثر حسدا، وخاصة الصبيان الذين كانوا يحلمون بأن يصبحوا جنودا يوما ما". وبعد أن قال ذلك، تنفس الصعداء وقال: "لكن في وقت لاحق، لم يكن حلمي بأن أصبح جنديا شيئا جيدا، خاصة بعد الانخراط في سوق العمل...".

أجاب هوى ليانغ بينغ قائلا: "لكنك كنت محظوظا حينها، فبمجرد دخولك للسوق وأصبحت عضوا في غرفة التجارة تلك، دخل أمين لجنة الحزب الإقليمية تشاو ليتشون السوق ذاتها وقدّم لك الدعم على الفور، فقد طلبك بالاسم، ونقلك إلى منظمة لجنة الحزب الإقليمية ما أثار غيرة الكثرين حينها". بدا التأثر وضاحا على وجه ليو تشنغجو وقال: "لقد قام الأمين تشاو بتغيير حياتي بالفعل، وأنني ممتن له من أعماق قلبي لما فعله لمساعدتي طوال هذه السنين، فقد عملت معه لخمس سنوات، وقام بترقيتي خلال هذه الفترة القصيرة من منصب قائد قوات التدخل السريع إلى قائد كتيبة، ثم إلى نائب مدير مكتب اللجنة الفرعية في المقاطعة وبعده نصبني النائب الأول لجميع نواب المقاطعة، فقد وصلت إلى هذا المنصب وعمري لا يتجاوز السادسة والثلاثين وكنت أعتبر حينها واحدا من أصغر المسؤولين في المقاطعة على الإطلاق".

تغيرت ملامح وجه هوى ليانغ بينغ وقال: "حسنا لطالما كنت ممتنا للأمين تشاو وتريد أن ترد له ولو جزء بسيط مما قدمه لك طوال هذه السنين عرفانا بالجميل أليس كذلك؟ وخاصة منذ أن أصبحت جنديا، فقد كان الأمر معقدا بالنسبة لك ولم تكن تعرف كيف ترد الجميل له أهذا صحيح؟".
أومأ ليو تشنغجو إيجابا وقال: "نعم هذا صحيح تماما، فالتقاليد الصينية تؤكد على الشعور بالامتنان تجاه الأشخاص الذين يقدمون لك يد المساعدة والتفتيش عن جميع السبل التي تمكنك من رد هذا

العرفان الذي قابلوك به، فأنا لست لي داكانغ أهتم بسمعتي أكثر من اهتمامي بعائلتي وأصدقائي، فمن بين جميع الأمناء كان لي داكانغ هو الأكثر كرها بالنسبة لتشاو ليتشون، عذرا فقد نسيت أنه ليس من المفترض أن أتحدث عنه". حاول هوى ليانغ بينغ التركيز على القضية الرئيسية وقال: "دعنا نتحدث عنك الآن أيها الرئيس ليو، فأنت لا تهتم كثيرا بسمعتك ومستعد لأن تضحي بها من أجل أن ترد الجميل لأحدهم، فأنت لم تخف على الإطلاق من أن ترتكب خطا ما، فما الذي فعلته منذ أن أصبحت رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لمجموعة الغاز والنفط في المقاطعة؟".

أثر كلام هوى ليانغ بينغ على ليو تشنغجو بشكل واضح ونظر إليه نظرة يملئوها الارتباك وصمت للحظات دون أن يستجيب، كسر هوى ليانغ بينغ بعدها حاجز الصمت وقال: "أيها الرئيس ليو تشنغجو أعتقد أنك ولدت في عائلة عرفت بثوريتها وهنالك كثير من أفراد عائلتك ممن قضوا وضحوا بدمائهم من أجل الاستقلال الوطني والتحرير، حتى أن بعضهم تخلى عن ثروته وساهم بكميات كبيرة من الأموال لدعم الثورة، وبسببهم وصلت الصين إلى ماهي عليه الآن، بينما أنت أيها الرفيق ليو ومن أجل أن ترد الجميل إلى شخص ما فإنك تقوم تقويض أسس البلاد وتحول أرباح مؤسسة من ملك الدولة مثل مؤسسة النفط والغاز الإقليمية إلى أجهزة الصرف الآلي الخاصة بعائلة تشاو؟ ألا تشعر بالخجل من نفسك؟". في تلك اللحظة سمع صوت رئيس النيابة جي تشانغ مينغ من خلال سماعة جهاز اللاسلكي وقال: "أوقف التحقيق يا ليانغ بينغ أريد أن أتحدث معك قليلا". عرف ليانغ بينغ أن جي تشانغ مينغ ونائب آخر من مركز القيادة يستمعان لهذا الاستجواب.

توقف كل شيء فجأة، فقد كان هناك أمر خاطئ. وجل قلب هوى ليانغ بينغ وتساءل إن وقعت الشبكة السوداء. لكن في هذه اللحظة، تغير الموقف.

تغير الوضع النفسي لليو تشنغجو وضعفت دفاعاته، وقال بتنهد: "لقد ضربت وترا حساسا بكلامك أيها المدير هوى من المؤسف أنك قلت ذلك متأخرا، وإلا لما كنت هنا الآن".

قال هوى ليانغ بينغ: "لو أخبرتك مسبقا، هل كنت ستستمع؟ يجب أن تواجه الأمر بما أنك هنا الآن. لقد بدأت كجندي، وتعلمت في الحزب لسنوات. أنا واثق أنك تملك نسبة عالية من الوعي. توقف عن الاهتمام بالمنظمة بطريقة لطيفة. ولا يمكنك التعامل مع لجنة الحزب الشيوعي الصيني للمقاطعة إتش، مثل قاعة الولاء بجبل ليانغ، واتخاذ السكرتير تشاو ليتشون ليكون رئيس قاعة فيلت".

جاء صوت جي تشانغ مينغ عبر سماعة الأذن مجددا يقول: "أيها الرفيق ليانغ بينغ، يرجى الخروج للحظة".

كان عليهم أن ينفذوا قرارات قمرة القيادة، فأشار هوى ليانغ بينغ للو بيك أن تكمل التحقيق، وخرج من الغرفة ونادى على جي تشانغ مينغ وقال: "ما الذي يحصل أيها النائب جي؟ أن ترى أن الأمور تسير على ما يرام الآن، ربما نكسره قريبا. لماذا توقفني؟".

أخبر جي تشانغ مينغ هوى بالموقف غير الاعتيادي، فقد كان أمين لجنة الحزب في المقاطعة شا روجين قد أمر شخصيا بإيقافه عن العمل وأن يتم التحقيق معه بسبب معلومات من مخبر موثوق. ولكن لم يقل جي من الذي قام بالإبلاغ عنه، ولم يكن من الممكن أن يقول، فشفتاه مغلقتان تماما.

شعر هوى ليانغ بينغ بأنه سقط في حفرة ثلجية وكان مستاء. فلم يتوقع أبدا أن يتدخل أمين لجنة الحزب في المقاطعة شا روجين شخصيا في وقت كهذا ويعلق عمله، هل يمكن أن يكون لأمين لجنة الحزب، الذي كان يقول إنه لا يوجد أرضية أو سقف لمكافحة الفساد، يحمل في يديه بطاقات لا يمكن رؤيتها أيضا؟ أم أن المناورات السياسية للبروفيسور قاو جيدة جدا، وقد استعان بسلطة الآخرين لتحقيق أهدافه؟ ولكن كيف يمكن للبروفيسور قاو أن يقوم بدعوة شخص مهم مثل شا روجين للمساعدة؟ إن هذا خارق فعلا بالنسبة لتلميذ ماذا كان يجب أن يفعل؟ كان هوى ليانغ بينغ مذهولا ولا يستطيع التفكير في اتخاذ إجراء مضاد في الوقت الحالي.

لكن في لحظة حقيقة، كان جي تشانغ مينغ يعرف ماذا يفعل، فقال بصوت هادئ وثابت: "يجب اتباع لجنة حزب المقاطعة، لقد تلقيت التعليمات الآن وأوقفت التحقيق مع ليو تشنغجو، صحيح؟".

ففهم هوى ليانغ بينغ وقال: "يجب أن أتلقى التعليمات خلال ساعة أيها النائب جي".

فقال جي تشانغ مينغ: "دعنا نقول ثلاثين دقيقة. فكما طلب شا روجين، سأذهب للقيام بالتبليغ ومناقشة الأشياء مع الأمين قاو. ويستغرق مني الذهاب من النيابة إلى اجتماع لجنة حزب المقاطعة ثلاثين دقيقة، ولذلك لديك ثلاثون دقيقة". كان صوت تشانغ مينغ صارما وشديدا، ما جعل هوى ليانغ بينغ يشعر بثقل المسألة.

قال هوى: "حسنا، ثلاثون دقيقة، ثم عاد إلى غرفة التحقيق".

كان قاو يوليانغ يقف أمام نوافذ مكتبه، كالتمثال، وهو يحمل كوب شاي لم يشرب منه منذ وقت طويل في كلتا يديه. كانت تلك ساعة الصفر، وأقل خطأ غير مقبول. يجب عليه أن يستجمع قوته ويسقط بضربة واحدة تلميذه ومرؤوسه الذي لم يفعل كما قيل له، ولم يلعب وفقا للقوانين. يجب أن يكمل المهمة بأكملها في ضربة واحدة. كان ضوء المصباح يضيء وجهه من الجانب وعيناه قاتمتان وكئيبتان.

كان تشاو غانغيو يقف خلفه وسأله بحذر: "أيها الأمين قاو، لن يكون هوى جامحا، أليس كذلك؟ وماذا سنفعل إذا لم يطع أوامر شا روجين وجي تشانغ مينغ واستمر بالتحقيق مع ليو تشنغجو؟".

نظر قاو يوليانغ إلى الغسق وردّ بعد تفكير: "هذا صحيح، يجب أن نأخذ هذا بعين الاعتبار أنا أعرف هذا التلميذ الصاعق، إنه يلعب من خلال قواعد مختلفة".

فحذره شياو غانغيو قائلا: "إذا استمر في هذا التحقيق، ربما لا يتمكن ليو تشنغجو من الصمود هذه الليلة".

استدار قاو يوليانغ مواجها شياو وأخذ قرارا قائلا: "لا تنتظر هنا يا شياو، أسرع إلى النيابة العامة فورا، وقم بتنفيذ أوامر أمين لجنة حزب المقاطعة شا روجين".

تردد شياو غانغيو لدقيقة ثم قال: "ألم أكن ذاهبا لإبلاغ جي تشانغ مينغ ومناقشة القضية معه؟".

وضع قاو يوليانغ كوب الشاي على الطاولة وقال: "سأتعامل مع الأمر بمفردي قم بخطوة ما، فمن الضروري التأكد من أن هوى ليانغ بينغ أوقف التحقيق مع ليو تشنغجو". فوافق شياو غانغيو وأسرع بالذهاب.

وصل جي تشانغ مينغ بعد ذهاب شياو غانغيو بعشر دقائق. كان وجه قاو يوليانغ قد تغير وقال: "لم يكن لدي خيار سوى أن أطلب منك أن تأتي في هذا الوقت المتأخر، يا رئيس النيابة. لقد

كان الأمر طارئا". فقال جي تشانغ مينغ: "لقد سمعت عن الأمر من شا روجين. هل تم التبليغ عن هوى ليانغ بينغ من مخبر معروف؟".

بدا القلق على قاو يوليانغ، وبصوت منخفض قال: "لقد تفاجأت من ذلك، ولم يكن لدي علم. إن ليانغ بينغ هو تابعك، لكنه أيضا تلميذي، وأنا إلى الآن أفتخر به، فهو كان تلميذي لأربع سنوات، بينما هو تابعك منذ أربعة أشهر فقط".

قال جي تشانغ مينغ بجدية: "حضرة الأمين قاو، بما أن هوى ليانغ بينغ كان طالبك لمدة أربع سنوات وأنت تفتخر به، فهل يمكنك إظهار بعض الثقة به؟ هل تعتقد حقا أن هذا التلميذ ومدير مكتب مكافحة الفساد الذي يعمل تحت قيادتي سيتلقى رشوة؟".

"أيها العجوز جي، لم يكن البلاغ عن ليانغ بينغ من محض الخيال، فهناك أساس واقعي لذلك. وتحقق شياو غانغيو من النيابة البلدية من ذلك شخصيا". ثم رسم قاو تعبيرا حزينا على وجهه وتابع قائلا: "قل لي، ماذا سنفعل؟ هل نكون ليني القلب؟ لا، حتى إذا اضطررنا إلى قتله والبكاء عليه، فسوف نفعل ذلك".

في تلك اللحظة، رن الهاتف في المكتب. انتزع قاو يوليانغ السماعة واستمع إليه. كان شياو غانغيو المتكلم. قال شياو إنه وصل إلى النيابة، لكنه لم يتمكن من الدخول إلى مركز قيادة الاستجواب. واعتقد أن هوى ليانغ بينغ ما زال يعذب ليو تشنغجو.

توتر قاو يوليانغ، ووضع سماعة الهاتف، وسأل جي تشانغ مينغ على الفور: "ماذا يظن هوى ليانغ بينغ نفسه فاعلا الآن؟". أجاب تشانغ مينغ: "ماذا كان بإمكانه أن يفعل غير ذلك؟ انسحب وربما يكون في مكان ما ينفس عن غضبه؟". لم يخف يوليانغ استياءه وقال: "كيف قال المدعي العام شياو عبر الهاتف أن العجوز لين لا يزال يشرف على الاستجواب؟". قال جي تشانغ مينغ: "أوه، هذه حالة مختلفة. فالنيابة العامة مسؤولة عن التحقيقات في التقصير في أداء الواجب...

بعد ذلك بوقت قصير، اتصل شياو غانغيو مرة أخرى وقال إن جي تشانغ مينغ ومن معه في النيابة الإقليمية كانوا يكذبون، وأن رجال نائب رئيس النيابة العامة لين أبقوه خارج مركز القيادة ولم يسمحوا له بالدخول. كان يشتبه في أن استجواب ليانغ بينغ لليو تشنغجو لم يتوقف بعد. بالإضافة إلى

ذلك، كان الرفاق من النيابة البلدية ينتظرون عند المدخل الخارجي لمدة تقرب من الساعة، ولم يروا ليانغ بينغ يخرج بعد الانتهاء من التحقيق.

وضع قاو يوليانغ جهاز الاستقبال بقوة وكان غاضبا. كان جي تشانغ مينغ وقحا للغاية لكنه لم يظهر ذلك، وبدلا من ذلك خرج عن الموضوع وقال لتشانغ مينغ: "أنت رفيق قديم من جبهة القتال السياسية والقانونية يا تشانغ مينغ، ولديك ذكاء حاد وأخلاق عالية، خاصة عندما يتعلق الأمر بلحظة الحقيقة، تتصرف عندها وفقا لروح الحزب...".

لوّح تشانغ مينغ بيده معبرا عن انتقاده وابتسم قسرا وقال: "هل تقوم الآن بإلقاء خطاب بحفل تأبين لي؟ ما الأمر؟".

عندها، قال له قاو يوليانغ بشكل مباشر: "كيف لم تقم بسحب ليانغ بينغ إلى الآن؟ حسنا، وبما أنك تعرف بالفعل أن هناك خطب كبير في ذلك الرجل، هل تجرؤ على السماح له بالبقاء في منصبه رغم أنه ملوث؟ هل يجب أن يحدث خطأ ما، من سيتحمل المسؤولية؟ ألم يخبرك الأمين شا بما عليك فعله؟ لقد كنت خائفا من عدم القدرة على إبقائك تحت السيطرة، وهذا هو السبب في أنني أعطيت الأمين شا إخطارا طارئا".

وضّح جي تشانغ مينغ ذلك على عجل قائلا: "لماذا ظهرت مشكلة هوى ليانغ بينغ فجأة لقد فاجأني ذلك على حين غرّة. ومع ذلك، علّقت على الفور عمل هوى ليانغ بينغ بعد تلقي تعليمات الأمين شا عبر الهاتف".

نظر قاو يوليانغ إلى تشانغ مينغ باهتمام وقال: "ولكن لم يخرج ليانغ بينغ حتى الآن". فأجاب: "لم ينم لليلتين، ربما أخذ خفوة في الصالة بالداخل".

جعل قاو يوليانغ تشانغ مينغ يطلب ليانغ بينغ بحضوره ويسأله عما يجري فوافق واتصل بهاتفه الخلوي. ثم بدأ بهز رأسه وكأنه عاجز عن فعل شيء وقال: "إنه لا يجيب، هاتفه مغلق. يبدو أنه نائم في مكان ما".

فقال قاو يوليانغ بجدية كبيرة: "أيها العجوز جي، عليك أن تكون حريصا جدا عندما يتعلق الأمر بالمسائل الأساسية". فردّ تشانغ مينغ قائلا: "حضرة الأمين قاو، لا يمكنني أن أكون مهملا

بوجود مشرف يتسم بالضمير والمسؤولية مثلك".

عندها فقط، قام قاو يوليانغ بالاتصال مباشرة بشياو غانغيو. أيها الرفيق شياو، توقف عن التخيل، يمكنني القول بكل تأكيد أن رئيس النيابة تشانغ مينغ قد قام بسحب ليانغ بينغ. وربما هو يستريح في الداخل. خذ الأمور ببساطة واطلب من رجالك الانتظار في الخارج

غضب تشانغ مينغ فجأة بعد سماعه ذلك وقال: "ماذا؟ هل تبعه شياو إلى النيابة؟ أقترح يا حضرة الأمين قاو أن تعطي الأمر باعتقال ليانغ بينغ وزجه بالسجن ليتم التعامل معه".

نظر قاو يوليانغ إلى جي تشانغ مينغ في دهشة، فهو لم يعرفه رجلا محتدا هكذا، فلطالما كان رئيس النيابة هذا رجلا هادئا ومعتدلا في ردود أفعاله. لكن قاو يوليانغ بقي كما هو، وأصر على اللعب حسب قوانينه الخاصة.

وبوجه مفعم بالمعاناة، قال لتشانغ مينغ: "لا تترك مشاعرك تسيطر عليك، فلن يحل الغضب شيئا. وأخشى هذه المرة من أن علينا أيضا أن نصبح ذئابا وحيدة مثل ليانغ بينغ، وأن نفعل الشيء الصحيح، بغض النظر عن مدى تألمنا من الداخل. يجب التعامل مع جميع الأعمال الرسمية وفقا للمبادئ الرسمية. ولأقول لك الحقيقة، إن قلبي هذا يتمزق إلى أشلاء الآن...

لم يهدأ جي تشانغ مينغ بعد، واستمر في غضبه وقال: "ولكن على الرغم من كل ذلك، فقد تمكنت من ضبط الأمور ولم يفاجئني ذلك. أنت مخلص جدا لتشي تونغ وي لا يمكنك التعامل مع الطلاب المتشابهين بطريقتين مختلفتين إنني أعرف القليل عن المخبر تساي قونغ يا حضرة الأمين".

قال قاو يوليانغ: "أيها العجوز جي، دعنا لا نتجادل في الوقت الحالي، اطلب فقط من شياو غانغيو والنيابة العامة أن يشطبوا اسم ليانغ بينغ بعد أن ينتهوا من التحقيق، اتفقنا؟".

اعترض تشانغ مينغ على ذلك سريعا وقال: "هذا غير مقبول إطلاقا. أنا لا أتفق مع عرض القضية بهذا الشكل على مدير مكتب مكافحة الفساد المعين حديثا، ولا سيما في الوقت الراهن حضرة الأمين، أقترح أن نقدم آراءنا المختلفة إلى لجنة الحزب الإقليمية ونطلب من الأمين شا روجين الحصول على تعليمات".

كان جي تشانغ مينغ صارما جدا بينما كان قاو يوليانغ مرتبكا من الداخل ولا يعرف ما إن كان سيطلع شا روجين على الأفكار الجديدة التي توصلوا لها، فمن الذي يخدعه بهذا الكلام؟ ففي تلك اللحظة كانت المراحل الأولية للعملية تسير دون أن تواجه أية عواقب، وكان قد سبق لشا روجين وأن طلب من جي تشانغ مينغ أن يقيل هوى ليانغ بينغ ويعفيه من جميع مهامه، وإن أي تصرف مشبوه سيعقد المسألة وخاصة قبل أن تصبح الأدلة أكيدة، وبعد تفكير طويل تنفس قاو يوليانغ الصعداء ووجه حديثه إلى جي تشانغ مينغ قائلا: "أيها العجوز جي إنك تبدو كالدجاجة التي تحاول أن تحمي صغارها بأي ثمن، هل تعتقد أنني لا أريد أن أدافع عن ذلك القرد الصغير؟ ولكن حسنا كما تريد لن نقوم بطرح القضية وسنكتفي الآن بتعليق جميع مهام هوى ليانغ بينغ وسننتظر لتدرس المنظمة القضية بتمعن لنعرف كيف سنتصرف بشكل نهائي".

تنفس جي تشانغ مينغ الصعداء دون أن يشعر أحدا بذلك وقال: "حسنا أيها الأمين قاو، سأشرف أنا بشكل شخصي على عملية التحقيق مع هوى ليانغ بينغ". فأجابه قاو قائلا: "بالطبع ستفعل، وهذا سيزيد شعوري بالاطمئنان تجاه القضية". فرد عليه جي تشانغ مينغ: "أرجو منك إذا أن تطلب من تشاو غانيغو أن يتصرف على الفور ويكون سريعا قدر المستطاع، ثم دعه يقوم بإعطائي جميع التقارير المتعلقة بقضية هوى ليانغ بينغ". هز قاو يوليانغ رأسه موافقا، وأجاب وهو يضحك: "حسنا أيها العجوز جي، لكن ما الذي يجعلك غاضبا هكذا؟ ألا زلت لا تعرف تشاو غانيغو جيدا بالرغم من كونك رئيسه السابق لفترة لا بأس بها من الزمن؟ إنه شخص بارد الدم جدا ومستقيم أثناء تأديته لواجبه". أجابه جي تشانغ مينغ ببرود: "هو شخص مستقيم؟ أعتقد أن الأمر يعتمد على من يقوم بتوجيه. حسنا أيها الرفيق قاو لم يعد لدي شيء لأقوله بعد هذا".

لم تكن الأجواء مريحة داخل غرفة الاستجواب فكان ليانغ بينغ يطبق حصارا محكما على ليو تشنغجو الذي التزم الصمت التام بعد أن سأله ليانغ بينغ عدة أسئلة عن مواضيع مختلفة، وبينما كان ينظر إلى عقارب الساعة وهي تمر مسرعة كان توتر ليانغ بينغ يزداد فهو يعلم أن جي تشانغ مينغ قد وضع نفسه في مواقف خطرة ليحصل على كل ثانية من وقت هذا التحقيق فلم يكن باستطاعته أن يضيع ولو ثانية واحده وبالرغم من ذلك كان قادرا على ضبط أعصابه ولم يظهر أي توتر أو خوف لدرجة حتى لو بيك لم تكن قادرة على ملاحظة أي شيء غريب.

41

قال هوى ليانغ بينغ لليو تشنغجو بلطف: "لقد قلت لي منذ قليل أيها الرئيس لي إنني لو قلت لك بعض من الكلام الذي أخبرتك به اليوم من قبل فربما لما كنت جالسا هنا اليوم، دعني أقول لك إذا أنك إن لم تستمع إلى ما أريد أخبارك به الآن فأني أخشى أنك سوف تندم مجددا، فقد كان حديثنا مثمرا إلى الآن، وأظن أننا قد وصلنا إلى نهايته، فتحقيقنا في القضايا التي تخص مجموعة النفط والغاز يحرز تقدما ملحوظا وحتى إن لم تخبرنا بأي شيء، فباستطاعتنا إدانتك دون حاجتنا إلى ذلك، ولكنك بهذه الحالة ستخسر أي فرصة للتساهل عندما يتم تنفيذ عقوبة دفع الغرامة".

تصبب العرق من وجه ليو تشنغجو وتحدث أخيرا قائلا: "حسنا أيها الأمين هوى سأتحدث، سأتحدث. ووفقا لاعترافات ليو تشنغجو فمن أجل الحصول على منافع مادية للموظفين بدأ من العام 2009 قام بإعطاء تفويض لشركة مالية لتأخذ رأس المال العامل وتضعه في دفاترها التي يمكن لهم بها أية فائدة حينها، وقامت بعدها بإقراضها إلى بعض الشركات الخاصة المشتركة في القروض المقدمة، وتراكمت الفوائد تحت إشرافه على مدى السنوات الخمس الماضية لتصل إلى حوالي الستين مليون يوان وحصل هو وأعضاء فريقه على بضعة آلاف التي لم يتجاوز مجموعها المليون، كان هنالك تفسير أيضا لمسألة المقامرة التي كانت تحصل في ماكاو، وقال إن رئيس إحدى الشركات الخاصة قام بأخذه إلى هناك وقد خسر حوالي الثمانية ملايين في ليلة واحدة لكن رئيس الشركة هو من قام بدفع كامل المبلغ". أشار حينها هوى ليانغ بينغ إلى نقطة مهمة ويجب الوقوف عندها وقال: "ألم يكن رئيس تلك الشركة التي تتحدث عنها هو تشاو رويلونغ؟". تردد ليو تشنغجو قليلا ولكنه اعترف بذلك في نهاية الأمر، فقد كان هذا الأمر هو جوهر المسألة، وأخر بطاقة يملكها الخصم في يده، فكل

ما كان يريده هو وجي تشانغ مينغ هو الوصول إلى هذه النقطة وبعض صمت استمر لثواني قال ليانغ بينغ: "أخبرنا قليلا عن شركة تشاو رويلونغ أيها الرئيس ليو".

كان من الواضح أن ليو تشنغجو قد اتخذ احتياطاته لهذه الأسئلة وقال: "عليك أن تسأل تشاو رويلونغ بنفسك، أنا سأخبرك عن نفسي فقط".

نظر ليانغ بينغ في عيني ليو تشنغجو وقال: "ألا زلت تحاول بحمايته أيها الرئيس ليو إن محاولاتك هذه قد تودي بحياتك إن كنت لا تعلم، فقبل أن يتم اعتقالك كانوا يريدونك أن تذهب إلى غانا لتشرف على منجم للذهب هناك أهذا صحيح؟ ألم تفكر ولو للحظة أنه من الممكن أن يكون هذا فخا للإيقاع بك؟". أجاب ليو تشنغجو: "ما الذي تقصده بفخ؟ فقد طلبوا مني الرحيل فقط لكيلا تلقوا القبض علي". فرد عليه ليانغ بينغ: "لكن تشاو رويلونغ ومجموعتكم لم يكترثوا ما إن كنت على قيد الحياة أم لا بعد أن غادرت، أرجوك انظر إلى حالة دينغ يجن الآن في أفريقيا". في تلك الأثناء وضعت لو ييك عدة صور أمام ليو تشنغجو وكانت جميعها صورا فوتوغرافية قد تم نشرها في الصحف المحلية الغانية ومكتوب تحتها: العديد من الرجال الأفريقيين يضعون دينغ يجن تحت تهديد السلاح وهو يحمل رشاشا ويخرج رأسه من حاوية للشحن مكتوب عليها شركة دينغ يجن للذهب وصورة أخرى وهو يغطي جثة بغطاء أبيض.

بدت الدهشة والذعر واضحان على وجه ليو تشنغجو بعد مشاهدته للصور وسأل ليانغ بينغ قائلا: "أتقول إن دينغ يجن يعيش حياة بائسة في أفريقيا أيها الأمين هوى؟ وهو يعيش في حاوية شحن؟".

أخبره هوى ليانغ بينغ أنه وبحسب التقارير التي سلمتها فرق البحث فإن دينغ يجن تعرض للسرقة ثلاث مرات في أول شهر وصل إليه إلى غانا واشترى بعدها حاوية شحن وعدد من الأسلحة لحماية نفسه وبالرغم من ذلك كان لايزال يتعرض لمحاولات سطو.

كان المتوفى في الصورة شريك دينغ يجن، وهو رئيس مؤسسة مملوكة للدولة هرب قبل ثلاث سنوات من هروب دينغ يجن. وسأل هوى ليانغ بينغ أخيرا: "حسنا أيها الرئيس ليو سيكون دينغ يجن إن لم يمت في أفريقيا على يد العصابات المتواجدة هناك، وأعتقد أنه سيحظى بمستقبل أفضل هنا معكم في السجن الإصلاحي إن قام بتسليمنا ما نريد".

رفع ليو تشنغجو رأسه وسأل وكأنه يطلب الشفقة: "أتعتقد أنه لا تزال الفرصة أمامي قائمة لأدخل مركز الإصلاح؟". أجابه هوى ليانغ بينغ: "بالتأكيد لازالت الفرصة أمامك، وكلما قدمت خدمة أكبر إلى مجرى التحقيق ستكون فرصك أكبر، أريد منك أن تفكر في الموضوع جيدا، فإما أن تقوم بإنقاذ نفسك أو أن تهدر حياتك دفاعا عن هؤلاء الذين تدعوهم بإخوتك؟". بدا الانهيار واضحا على ملامح ليو تشنغجو وقال: "أنت محق أيها الأمين هوى لقد انتصرت عليّ أن أفكر في الموضوع جيدا".

في تلك اللحظة سمع صوت النائب لين عبر سماعة الأذن يقول له: "أوقف الاستجواب". نظر بعدها هوى ليانغ بينغ إلى الساعة الرقمية التي كانت حينها الثالثة والعشرون تماما، وكانت النصف ساعة التي اتفق عليها مع جي تشانغ مينغ قد انقضت بالفعل واضطر ليانغ بينغ عندها لإنهاء التحقيق.

يمكن للشعور بأنك أصبحت على بعد خطة صغيرة من النجاح أن يجعلك تصاب بالجنون والقفز عاليا من شدة الحماس، وهذا تماما ما كان يشعر به هوى ليانغ بينغ في تلك اللحظة، وبعد أن طلب من العناصر أن يأخذوا ليو تشنغجو، سأل لو ييك أن تقوم بجمع جميع الأوراق عن المكتب ومغادرة غرفة الاستجواب بهدوء.

توقف هوى ليانغ بينغ في ساحة كبيرة خارج مركز القيادة متأملا سماء الليل الشاسعة حيث كانت رقاقات الثلج المنعشة تلامس وجهه وتعطيه شعورا بالانتعاش، كان هذا أول هطول للثلج في هذا الشتاء ولا يهم إن جاء متأخرا لكنه جاء بعد انتظار، كان مزاج ليانغ بينغ يشبه هذا الطقس بائسا وكئيبا لأن الأمر وصل إلى درجة من السخف جعلت من يحقق في القضية مشتبها به لم تسعفه أي كلمات للتعبير عن مدى شعوره بالظلم والحزن، لكن هذه المشاعر جعلته أكثر إصرارا على المتابعة لأن المسألة أصبحت مسألة حياة أو موت وبغض النظر عن كمية الضربات التي تلقاها كان عليه أن يتعامل مع الموضوع بهدوء كلي بالرغم من أن رؤيته للأمور كانت لا تزال ضبابية، وكانت الدموع تتجمع في عينيه وكأنه على وشك البكاء من الطريقة الخسيسة التي عامله بها معلمه، اختلطت دموعه الدافئة بالثلج الذي كان يرطم وجهه لتظهر حزن رجل تعرض للخيانة من أقرب الناس إليه، كانت لو ييك تراقب هذا المشهد من بعيد وبعدها بلحظات انطلق بسيارة الشرطة مقتربا من لو ييك

وطالبا منها الصعود وفجأة كان يبدو عليه أنه استعاد ثقته بنفسه ووجه بدا منتعشا ومليئا بالحياة لأنه كان يعرف أنه لا يجب على أحد أن يراه يسقط وخاصة لو بيك.

قال ليانغ بينغ مخاطبا لو بيك: "الأمور جيدة جدا إلى الآن، فليو تشنغجو يعيد النظر في مسائله الشخصية بشكل جدي، وأعتقد أننا لو استمررنا بالضغط عليه لوقت أكبر كان ليعطينا معلومات مهمة عن الخروقات التي كان يقوم بها تشاو رويلونغ. أجابته لو بيك قائلة: "نعم هذا صحيح بالفعل، فقد كنا قريبين للغاية".

كان جي تشانغ مينغ غير سعيد قبل اتصال لو بيك الهاتفي، يحدق ببرود في وجه شياو غانغيو، ثم سأله: "ما كل هذه الترتيبات لإحضار سيارة لأخذ هوى ليانغ بينغ؟". كان شياو غانغيو يشرب كأسا من الماء، فوضعها وقال بجدية: "نأخذ الاحتياطات الضرورية فقط، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟". فقال جي تشانغ مينغ بصرامة: "أتمنى أن تتصرف بشكل صحيح على الأقل يجب أن تكون على بينة من العلاقة التبعية بين النيابة الإقليمية والنيابة البلدية هوى ليانغ بينغ عضو في مجموعة قيادة الحزب النيابي في المقاطعة، كما أنه مدير مكتب مكافحة الفساد بغض النظر عن مدى معارضتك، يجب أن تقدم تقريرا لي أولا". أخرج شياو غانغيو ملفا ووضعه على المكتب، وربت عليه قائلا: "أنا هنا الآن لأقدم تقريرا، أليس كذلك؟ لقد أحضرت كل المواد، انظر أيها العجوز جي".

أعلن شياو غانغيو قائلا: "بالنسبة إلى هوى ليانغ بينغ، فأنا لا أعرفه وليس لدي علاقة به، وليس لدي شيء ضده. تتبنى النيابة البلدية في جينغتشو سياسة (اعثر على الحقيقة من الوقائع)". ثم أفصح عن حقيقة أن رئيس معمل دافنغ، تساي قونغ، قد أبلغ عن هوى ليانغ بينغ كمخبر محدد، وفتح الملف وأخرج أدلة مادية. وقال ببراعة: "تم التحقق من الأدلة ذات الصلة، والدليل يثبت أن هوى ليانغ بينغ أخذ رشوة بقيمة أربعمئة ألف يوان. ألق نظرة أيها العجوز جي. هذه نسخة من إثبات تحويل الأموال من بنك مينشنغ".

كان وجه جي تشانغ مينغ قاتما وهو يقلب في المواد والأدلة ذات الصلة الموجودة في الملف، ولم ينطق بكلمة واحدة.

كان شياو غانيغو مفعما بالثقة وقال: "هناك مخبر محدد ودليل على تحويل الأموال، يمكننا رفع القضية".

كان صوت جي تشانغ مينغ يحمل نوعا من السخرية وهو يقول: "كم أنت متحمس أيها العجوز شياو ألم تتخطى مجموعة قيادة الحزب وأنا قد أخبرت الأمين قاو يوليانغ؟ دعني أخبرك بأنه حسب معلوماتي، نائب الأمين قاو يوليانغ وأنا خضعنا لمداولات عديدة، ولن ترفع قضية هوى ليانغ بينغ الآن، بل سيتم توقيفه عن العمل بسبب التكتم".

صدم شياو غانيغو وقال: "أنت تقصد أنه أوقف عن التحقيق أم أوقف بسبب التكتم أيها العجوز جي؟".

رد جي بحزم: "أوقف بسبب التكتم، ستتعاون أنت وقائد وحدة التفتيش التأديبية للنيابة الإقليمية لتأسيس فريق والتأكد من الحقائق. بعد مناقشة الأمر مع مجموعة قيادة الحزب في النيابة، سنتخذ قرارا بشأن الخطوة التالية".

حك شياو غانيغو رأسه ووقف، مشى خطوتين في الغرفة ثم وقف أمام جي تشانغ مينغ وقال بكل جدية: "يجب أن نتعلم درسنا من دينغ يجن أيها العجوز جي". رد جي تشانغ مينغ باستهزاء: "ما علاقة هوى ليانغ بينغ بدينغ يجن؟ وأنت تقول درسنا". أجاب شياو بعجل: "خذ نظرة على المادة أولا لقد بدأ هوى ليانغ بينغ ودينغ يجن" وأخرج نموذج تسجيل للأعمال وسلمه لجي تشانغ مينغ. نظر جي إلى المادة ولم يثق بها على الإطلاق، فهز رأسه بشكل متكرر وقال: "بدأا عملا معا؟ ما هذه النكتة؟" قال شياو غانيغو بسخط حقيقي: "بالضبط، ألم يذهبا بعيدا في هذه المزحة؟ ذهب مدير مكتب مكافحة الفساد من النيابة الاقليمية للمضاربة في البورصة التجارية للفحم مع مسؤول فاسد سيئ السمعة".

حدق جي تشانغ مينغ في المادة بوجه جامد، ولم يستطع التعرف إلى شياو غانيغو. لم يكن بينهما شيء مشترك، لقد عملا معا لسنوات عديدة، وهو يعرف شياو جيدا. كان هذا الرجل مشهورا بأنانيته في النيابة الإقليمية، فهو يريد أن يستفيد من كل شيء لمصلحته الشخصية. كان مكان عملهم يوزع مكافآت وبيضا وأرزا وزيت الفول السوداني، كان دائما ما يختلق الأعذار ليأخذ كميات أكثر، حتى أن السائقين كانوا يشعرون نحوه بالازدراء. كانت بعض سرقاته تعد جرائم مشبوهة. عندما

كان شياو غانيغو مسؤولا عن منع حالات الاختلاس، قبل صندوقا من سجائر تشانغوا من شخص غير معروف، وطلب المدير التنفيذي للشركة أن يبيعها في شحنة. فأمر المدير التنفيذي قسم المالية أن يعطيه عدة آلاف من اليوانات وألا يأخذوا السجائر، وأعطاه إياهم كهدية ليدخنها. على غير المتوقع وبعد نصف سنة، اتصل شياو غانيغو بالشخص مجددا ليشتري السجائر، التي كانت ما تزال في صندوق سجائر تشانغوا فلم يكن لدى الشخص من خيار سوى أن يقدم له عدة آلاف من اليوانات، وجعل شخصا ما يقوم باستعادة السجائر. كان يخشى أن يعيد بيعها مجددا بعد إحضار السجائر، اكتشفوا بأنها تعفنت منذ وقت طويل

كان هذا الرجل طموحا أيضا، وكانت عيناه على منصب رئيس النيابة منذ وقت طويل. كان قد حاول أن يستخدم الإحسان ووسائل غير شريفة للحصول على المنصب أينما ذهب، ليكون مصدر إزعاج ولم يستطع البقاء في النيابة الإقليمية. كان شياو غانيغو من كوادر قسم القانون والسياسة. تخرج من جامعة إتش من قسم الشؤون القانونية، وقد رفعه قاو يوليانغ بمفرده، نقله قاو يوليانغ بعد ذلك إلى النيابة البلدية لجينغتشو ليكون النائب العام. لم يتوقف رغم تحوله من سمكة صغيرة في بركة كبيرة إلى سمكة كبيرة في بركة صغيرة، وأصبح رجل القرار الأول. اليوم عاد إلى النيابة العامة بذريعة التحقيق في قضية مبعوث الإمبراطورية، وكان جي تشانغ مينغ مشمئزا حقا. وبالرغم من اشمئزازه، لم يكن هناك مخرج، كل ما كان جي يستطيع فعله هو التعامل معه والحفاظ على رباطة جأشه.

عند ذلك، دخل هوى ليانغ بينغ وقائد وحدة التفتيش التأديبية من الباب، كان هوى يمشي في المقدمة، ويتبعه قائد وحدة التفتيش التأديبية. لم يقرع هوى الباب، وأدخل معه نسمة هواء بارد وترك الباب مفتوحا وكأن المشتبه الجنائي هنا هو من يحقق في الجريمة بدلا من الخضوع للتحقيق، الأمر الذي أذهل شياو غانيغو.

جلس جي تشانغ مينغ في مكتبه، كرجل أعمال. أشار إلى شياو غانيغو مقدما إياه بدون أي تعبير قائلا: "هذا الرفيق شياو غانيغو يا ليانغ بينغ، النائب العام للنيابة البلدية لجينغتشو. كان نائب رئيس النيابة في النيابة الإقليمية منذ ثلاث سنوات". أجبر شياو غانيغو نفسه على الابتسام وقال: "هذا يعد كالعودة إلى الوطن بالنسبة إلي أيها المدير هوى ابتسم هوى ليانغ بينغ أيضا". وقال: "أيها العجوز شياو، هل أنت عائد لتزور العائلة أم لتقوم برحلة استكشافية؟". ارتبك شياو غانيغو للحظات

ثم قال: "أنت رفيق ذكي يا هوى ليانغ بينغ. أنا أزور العائلة بالإضافة للقيام برحلة استكشافية". جلس هوى ليانغ بينغ مقابل مكتب جي تشانغ مينغ وقال: "حسنا، أتمنى لك النجاح في زياراتك ورحلاتك الاستكشافية والآن أيها العجوز شياو، اعذرنا قليلا. يجب أن أعطي تقرير عمل للنائب جي حول التحقيق مع ليو تشنغجو".

كان شياو غانيغو مصعوقا وقال: "أعذر نفسي؟ هل تعلم يا هوى ليانغ بينغ لم أنا هنا؟ أرجوك اعرف كيف تتصرف، وتعاون مع تحقيق المنظمة". فقال هوى ليانغ بينغ بجدية: "هل تستطيع إيقاف التحقيق للحظة؟ دعني أعطي تقريري أولا. فأنت على دراية بالقواعد المتعلقة بسرية القضية. إذا كنتما تصران على سماع تقريري بما يخص التحقيق مع ليو تشنغجو، المشتبه به في عدة انتهاكات ومخالفات خطيرة، وإذا خرق النائب جي القواعد وقام باستثناء من خلال السماح لكما بالاستماع معا، فعندها سأطيع أوامر النائب جي".

لوّح جي بيده وقال: "القواعد قواعد، ولا يمكن لأحد خرقها. يمكنكما أن تعذرا نفسيكما قليلا".

كان جي تشانغ مينغ يعرف بطبيعة الحال ما كان هوى ليانغ بينغ يريده. لو لم يكن لديهما علاقة كافية، لما كان يجب أن يكون رئيس النيابة. كان القرد الصغير ذكيا بالتفكير بتقديم تقرير عن تحقيق ليو تشنغجو، والذي كان محط اهتمام بعض الأشخاص. كان جي تشانغ مينغ يعلم تماما برغبة شياو غانيغو الواضحة بالبقاء وراءهم، فقد كان مصرا على معرفة تفاصيل التحقيق. لقد جذب الملف في يد هوى انتباه الرجل، ولكنه كان نائبا قديما، وكان يعلم قواعد سرية القضايا، فما لا يجب الاستماع إليه، لا يمكن الاستماع إليه لم يكن لديه خيار سوى اللحاق بالجميع في غضب. عند وصوله إلى الباب، استدار وحمل ملف هوى ليانغ بينغ من المكتب، وأخذه معه.

بعد أن غادر شياو غانيغو، ذاب الجليد عن وجه جي تشانغ مينغ. سكب كوبا من الماء ووضعه أمام هوى ليانغ بينغ وقال: "يا له من صديق طفولة جيد أيها المدير هوى". فضحك هوى بمرارة وهز رأسه قائلا: "كيف تتغير قلوب البشر وطرق العالم بهذه الطريقة؟ بالرغم من أن تساي قونغ رجل قاعدة، إلا أنه كان متقلبا، ولا يمانع أنه لا يمتلك أي إحساس بالشرف. ولكن لا يفترض به أن يلعب لعبة كهذه بصديق طفولة، أليس كذلك؟". سأله جي تشانغ مينغ: "لماذا لم تحذر منه؟ كيف تقبل أشياء من شخص كهذا؟". فذهل هوى ليانغ بينغ وقال: "أقبل منه ماذا؟". علم جي بأنه

يجب ألا يفصح عن تفاصيل القضية، ولكنه خرق القوانين وقال: "علبتا ماوتاي، صندوق من سجائر تشونجوا، وبذلة بقيمة ثلاثة وعشرين ألف يوان". فصرخ هوى من الظلم وقال: "أنا لم آخذها الضمير الحي يضحك على الاتهامات المشوهة". ربت جي تشانغ مينغ على الطاولة بلطف وقال: "توقف عن النحيب ماذا لو كانت هذه الاتهامات ملفقة بشكل متقن؟ كيف يمكنك أن تبدأ شركة فحم مع تساي قونغ ودينغ يجن؟ وأن تقبل أربعمئة ألف يوان كتوزيعات؟ تم وضع بطاقة تسجيل الأعمال وبطاقة البنك ودليل تحويل الأموال جميعا". سحب هوى نفسا وقال: "فهمت الآن، إنهم يريدون خنقي بكل إمكانياتهم، ونصب فخ بعناية فائقة".

وضّح تشانغ مينغ الأمور بشكل أكبر، لكنه وضعها بشكل فني قائلا: "بالإضافة إلى ذلك، معلمك، نائب الأمين قاو حزين عليك، ولكنه أخبرني بوضوح بموقفه. فهو حتى لو اضطر لقتلك والدموع تملأ عينيه، سوف يفعلها". وضع هوى ليانغ بينغ كل أوراقه على الطاولة أيضا وقال: "أنت لم تفهم بعد أيها النائب جي؟ هل يمكن للأمين قاو البكاء حقا بينما يقتلني؟ يذرف الدموع؟". إذا هي دموع التماسيح ابتسم جي تشانغ مينغ ابتسامة معرفة وقال: "أنت تعرف أنه نصب فخا، فقط قم بتفكيك هذا الفخ في أسرع وقت ممكن وأثبت براءتك وكن حرا واسع للعودة إلى صفوف العمل قريبا وإذا أمسكت مخادعا، اضربه".

رد هوى ليانغ بينغ وهو يضحك: "هذا ما أريد سماعه". ثم طرح سؤالا: "كيف أعطى الأمين شا أمرا بإيقافي عن العمل؟ هل يحمل بعض البطاقات التي لا يمكن رؤيتها؟". هز جي رأسه وقال: "لا أعرف بعد، فالأمين شا لم يقل لي الكثير". فتساءل هوى ليانغ بينغ بصوت عال قائلا: "منذ أربعة أشهر أراد الأمين شا التحدث معي، وكنت هناك أيضا. لقد تعهد القائد رسميا بأنه لا يوجد أرضية ولا سقف في مكتب مكافحة الفساد لمقاطعتنا. هل كان ذلك التعليق حقيقيا أم لا؟". لم يجب تشانغ مينغ ولكنه قال: "في هذه اللحظة أنت الذي استهدفت، فماذا يقول الأمين شا؟ ألا يوجد مسؤولون فاسدون في لجنة التفتيش التأديبي أو في النيابة؟ بالطبع يوجد، وربما يكون شياو غانيغو أحدهم". فلوح هوى ليانغ بينغ بيده وقال: "دعنا ندخل العجوز شياو ونجربه".

بعد لحظات دخل شياو غانيغو وبدأ أسئلته قائلا: "نحن جميعنا مطلعون على نظام النيابة، ولا يوجد مبرر للمراوغة. أنت تعرف ربما لماذا نريد رؤيتك. وبعد ذلك لدينا سبعة أسئلة نريد طرحها عليك". ابتسم هوى ليانغ بينغ ابتسامة مزعجة وقال: "لن أجيب على أي من أسئلتك أيها

العجوز شياو أنت محق، نحن جميعا مطلعون، ولا يجب أن نراوغ لقد حققت في العديد من القضايا بغياب الاعتراف، ويمكنك محاولة التحقيق بغياب الاعتراف. الآن سأنتظرك لتعلن قرارك، وعندما تعلنه، سأعود إلى النوم". غضب شياو غانيغو وقال: "ألست متعجرفا للغاية يا ليانغ بينغ؟". سخر هوى ليانغ بينغ قائلا: "هذه تدعى الثقة، وعدم الانحناء للشر ستكونون على ما يرام إذا أخرجتم أدلة لمقاضاتي". وقف شياو غانيغو وقال: "أنت ترى يا جي العجوز...". عند ذلك أعلن جي تشانغ مينغ قائلا: "حسنا، في هذه الحال سأعلن القرار. اعتبارا منذ اليوم أيها الرفيق هوى ليانغ بينغ أنت موقوف عن العمل بسبب التكتم، وستكون تحت حكم تحقيق المنظمة...".

عاد هوى ليانغ بينغ إلى دار الضيافة، ووضع رأسه على السرير أولا وبقي هناك. إحساس بالإرهاق والسخط وشعور بالظلم جعله يتداعى. كانت الضربات التي عانى منها قلبه مؤلمة فعلا.

استدار ثم مدد ذراعيه وقدميه خارجا محاولا التشبه بالشخصية الصينية الشهيرة بيغ وحدق مطولا إلى سقف الغرفة، كانت الشقة مألوفة جدا بالنسبة إلى هوى ليانغ بينغ فقد كانت الغرفة الداخلية تملك حمامها الخاص والغرفة الخارجية كانت مخصصة للدراسة وفي العموم كانت الشقة مكانا هادئا ومريحا للعيش فيه، مرت أربعة أشهر وقد أصبح معتادا على حياته البسيطة هذه، ولكنه بدأ يشعر الآن أن هذه الغرفة هي أشبه بالزنزانة التي تسلب منه حريته، وكان من الصعب الاستمرار على هذه الحالة فقد وصل إلى مرحلة جعلته مستعدا للتحطيم كل شيء في هذه الغرفة إلى أشلاء صغيرة.

كان هوى ليانغ بينغ شخصية موهوبة منذ أن كان صغيرا، وكان الجميع يثقون به ويمدحون تصرفاته في جميع مجالات حياته سواء الدراسية منها أم في العمل، كان دائما متفوقا على الجميع وكان جميع زملائه والقادة الذين يعملون إلى جانبه يشيدون بإخلاصه وتفانيه في كل المجالات التي يشارك بها، وكان يشعر بالفخر والاعتزاز بأنه من المستحيل له أن يرتشي أو يسمح لأحد أن يأخذ رشوة، لكنهم اليوم قاموا بنزع هذا الفخر منه، وكأنهم لطخوا قطعة من الحرير الأبيض بقطعة من الوحل المتسخ، فبعد أن قضى نصف عمره يحقق ويلاحق المرتشين والفاسدين أصبح هو واحدا منهم، والآن العذاب الذي يعيشه كبير جدا كما أن الملايين من الإبر والسكاكين تطعن به من الداخل وتسمم كل جسده.

كانت عقلية معلمه تتميز بالكراهية والكآبة، وفي اليوم الذي قررا أن يتعاركا وجها لوجه، أعلن أنه في اللحظة التي تقف بها وجها لوجه مع نفسك ستعرف أنه لا يوجد أحد بريء على الإطلاق، فوفقا لمنطق معلمه فهو نفسه ليس شخصا جيدا، كما كان هنالك حينها إنذار تساي قونغ الذي استهان به واعتبره مجرد كلب مسعور يهجم محاولا عض الناس ويرتكز على أشياء لا أساس لها من الصحة، فهو لم يكن على علم أنه قد قام بجمع الدلائل مسبقا، وكان من الصعب عليه الاعتراف بذلك، لكن الأمر بدا منطقيا عندما قام سكرتير لجنة الحزب في المقاطعة شا روجين بإعفائه من مهامه بينما كان مدير مكتب مكافحة الفساد ومعه دينغ يجن وتساي قونغ قد افتتحوا وبشكل غير متوقع على الإطلاق منجما للفحم وكان توقيعه موجودا على سجل الأعمال والمصيبة الكبرى كانت هي وجود أربعمئة ألف يوان من أرباح المشروع التي كانت موضوعة في بطاقة بنك مينشنغ لتكون دليلا قطعيا على عملية التحويل، فما الذي كان يمكنه فعله أو قوله بعد ذلك؟ وكيف أمكنهم فعل كل هذا وحبكه بهذه الطريقة المتقنة؟".

كان ليانغ بينغ قلقا جدا ولم يستطع النوم على الإطلاق، يتقلب من جهة من السرير إلى الأخرى وفي النهاية نهض من السرير وفتح النافذة ليرى أن الظلام قد حل والثلج قد توقف عن التساقط ولكن آثاره مازالت عالقة على أسطح المنازل وقمم الأشجار، أما الثلج في الشوارع فقد ذاب بسرعة تاركا خلفه طبقة من الرطوبة كأنها كانت تمطر، وفي هدوء الليل كانت المدينة فارغة والوحدة تملئ قلبه الحزين وفي تلك اللحظة هبت نسمة ريح قوية ومسحت رأسه.

كان عليه أن يجد حلا لهذه المعضلة التي تواجهه، وكانت هويته هي المفتاح الرئيسي لهذا الأمر فللتسجيل في مشروع تجاري وفتح حساب بنكي أي يكن نوعه لا يمكن الاستغناء عن الهوية الشخصية، فكيف وصل تساي قونغ إلى هويته؟ إنه أمر مستحيل، ولكن ماذا لو كان تساي قونغ يملك نسخة عن هويته سيستطيع عندها أن يفعل ما يشاء، ولكن هل سنحت الفرصة ذات يوم لتساي قونغ ليحصل على الهوية ويقوم بتصويرها؟ حاول التذكر جيدا وتذكر أنه ذهب منذ أربع سنوات إلى تجمع للأصدقاء القدامى والتقى بجميع زملاء دراسته حينها وتذكر أنه شرب كثيرا يومها وبعد انتهاء الحفلة قام رفاقه باستئجار غرفة في فندق ما ولشدة تعبه نام على الفور، وتذكر حينها أن تساي قونغ هو من أخذ هويته حينها ليقوم بالحجز وعلى الأرجح أنه قام حينها بنسخها.

هل من الممكن أن تساي قونغ كان يريد الإيقاع به من ذلك الحين؟ لا مجال للشك أنه كان يريد ذلك بالفعل، بدأ هوى ليانغ بينغ يفهم الموضوع فيبدو أنه قد تم تهديد تساي قونغ من قبل مركز جينغتشو للأمن العام حيث يبدو أن هنالك شخصا ما قد قام بإجباره على فعل هذا ومن المفترض أنه كان هنالك سبب ما غير معروف لنسخ البطاقة الشخصية في ذلك الحين، إذا من هو الشخص الذي يعرف بخصوص هذا الدافع غير تساي قونغ؟ فكّر هوى ليانغ بينغ مليا في الموضوع وتذكر أن عمليات تساي قونغ التجارية ونشاطاته في معمل دافنغ لا يمكن الفصل بينها إذا لا بد أن يكون محاسبه على علم بالأمر، فتساي قونغ كرئيس لن يتعامل مع أمور تافهة كفتح حساب شخصي، لا بد أن يكون المحاسب هو من قام بهذه العملية إذا، بدأت الأمور تصبح أكثر وضوحا، وبدا له أن محاسب مصنع دافنغ هو الشخصية المحورية التي يجب عليه البحث عنها بالإضافة للسائق الذي جاء إلى منزله منذ فترة من الزمن وكان يحمل معه المواتي وسجائر الشونغوا وتذكر أيضا أن زوجته كانت ترافقه حينها فربما لا تزال تمتلك إشعارات التوصيل التي كانت على الحقائب أليس كذلك؟

42

علم تشن يانشي عن أمر الشكوك التي تدور حول ليانغ بينغ عندما ذهب لزيارة لو بيك في المستشفى، وكان حدسه يخبره أن قضية الرشوة المتعلقة بليانغ بينغ مرتبطة بطريقة أو بأخرى بحادثة تشين هاي فربما كلاهما وصلا إلى حقائق لا يريدهما أحد الوصول إليها فلذلك تمت معاقبتهما، ونتيجة لذلك قرر الرئيس القديم العودة إلى العمل فقد أرسل له ليانغ بينغ رسالة يطلب منه فيها البحث عن محاسب وسائق سيارة المرسيدس بنز ليتل تشيان في مصنع دافنغ ليشهدا على براءته، لم يستطع تشن يانشي على تجاهل الرسالة واستقل دراجة هوائية على الفور واتجه نحو مصنع دافنغ، وبما أنه كان يركب دراجته الهوائية بشكل يومي كنوع من أنواع الرياضة كانت أرجل الرجل العجوز قوية بالفعل وفي اللحظة التي بدأت بها العجلات بالدوران كان يبدو وكأنه يطير.

أشرقت الشمس، وبدأ أول تساقط للثلوج بالذوبان. كانت فروع الأشجار العارية رطبة، وسقطت قطرات الماء مرطبة الأرض الباردة الجافة. ركب تشن يانشي على طول بحيرة قوانغمينغ، وحمل العشب الأصفر بقايا الثلج المتبقي على رؤوسه، كأنه يرتدي قبعات بيضاء صغيرة. كانت مياه البحيرة مضطربة، تعكس أشعة الشمس الذهبية.

جعل التفكير في هوى ليانغ بينغ قلب تشن يانشي يؤلمه. لقد كان المدير هوى أقوى من ابنه، المدير تشن. وقد تم قبول معلوماته. ألقي القبض على تشين تشينغوان الذي أخذ الرشاوى وخرق القانون. كما تم إلقاء القبض على ليو تشنغجو، رئيس أمناء تشاو ليتشون. وبطبيعة الحال كان الأشرار يكرهونه، فهل سيلصقون التهمة بأحد غيره؟

عندما دخل تشين يانشي من بوابة مصنع دافنغ الأمامية، حياه الحارس وي العجوز، ووعده بأن يركن دراجته بشكل جيد. كان تشن يانشي يأتي إلى المصنع في وقت راحته، ويهتم في أمور المصنع الجديد، كأنه يحمل ابنه المولود حديثا. بعد تفتيش شا روجين للمصنع، لم يعد هناك حاجة أن يقفز العمال مثل القرود من النوافذ للذهاب إلى العمل، أصبح بإمكانهم الدخول إلى ورشة العمل علانية. كما تم إنشاء مصنع جديد في منطقة التنمية الجديدة خارج المدينة، وذلك بعد أن اهتم لي داكانغ بالمسألة شخصيا. تنفس تشن يانشي الصعداء، فبدون اهتمام المسؤولين، كان من السهل الوصول إلى الجنة أكثر مما كان من الممكن أن يحصل عليه عمال القاعدة الشعبية عند قيامهم بعمل ما. وهذا كان وضع الصين الحالي.

دخل تشن يانشي إلى مبنى مقر معمل دافنغ. كان باب قاعة المؤتمرات مفتوحا. وكان تشينغ شيبو والعجوز ما وتشينغ شينغلي قد أنهوا اجتماع الإدارة للتو. تقدم تشن يانشي وسدّ طريقهم قائلا: "لا تذهبوا الآن، دعونا نعقد اجتماعا صغيرا، فلدي ما أقوله". نظر الجميع إلى الرجل العجوز وهم غير متأكدين مما يريد قوله. أدخل تشن يانشي الجميع إلى الغرفة قسرا وأخبرهم عن تلفيق التهم لهوى ليانغ بينغ وبأنه بحاجة إلى شهود وقال: "ماذا عن المحاسب يو وشيان الصغير؟ أخبروهما بسرعة واجعلوهما يأتيان لرؤيتي".

قال تشينغ شيبو بكآبة: "لا يمكنك رؤيتهما، لقد ذهب المحاسب يو والسائق شيان الصغير إلى مدينة يانتاي منذ عدة أيام ليبيعا سيارة البينز الخاصة بتساي قونغ. لقد فقدنا الرجلين والسيارة ولا يمكننا إيجادهما في أي مكان".

صدم تشن يانشي، فهو لم يتوقع حدوث هذا الشيء، أن يختفي الشاهدان.

كان تشينغ شيبو يرى أنه من الممكن أن يكون المحاسب يو والسائق شيان الصغير قد باعا السيارة وهربا بالمال. واقترح تشينغ شينغلي، الذي وضع خطة بيع سيارة تساي قونغ، بأن يبلغوا السلطات.

رفض تشن يانشي ذلك وطلب من الجميع حشد الجماهير على الفور للبحث عنهما، وقال: "حتى لو كان الرجلان قد باعا السيارة وهربا، فلابد أنهما تركا أدلة خلفهما. سنلاحق الأدلة ونجدهما". اتبع تشينغ شيبو أوامره، وفي تلك الليلة نفسها نظّم القوى البشرية وبدأ البحث.

بدأ النائب العام العجوز بالقلق في طريق عودته من مصنع دافنغ، فلماذا قد يختفي المحاسب يو والسائق شيان الصغير في هذا الوقت؟ هل يمكن أن يقع هذان الشاهدان الرئيسيان في أيدي الخصوم؟ إذا حصل ذلك فعلا، فربما يكون هناك نتيجتان. فإما يكون السائق والمحاسب قد وافقا على تقديم شهادة زور مكرهين، وإما تم إسكاتهما إلى الأبد، ولن يتم إيجاد جثتيهما أبدا. كانت خطورة الوضع بديهية جدا.

في هذه الحالة، هل يجب أن يتدخل ويخبر شا روجين؟ حتى لو لم يتغير أي شيء، ألن يكون ذلك على الأقل تذكيرا لأمين لجنة الحزب في المقاطعة؟ ولكن عند التفكير بذلك مرارا، ظن بأن الأمر غير لائق، فهم لم يعثروا على الشاهدين بعد. كانت مخاوفه مجرد مخاوف، ولم يكن لها أساس على الإطلاق. علاوة على ذلك، ألم يكن شا روجين تحت الضغط أيضا؟ ألم يكن معلم هوى ليانغ بينغ، نائب الأمين قاو يوليانغ سيقوم بالتضحية بالغالي والنفيس من أجل الحق؟ ربما يكون شا روجين في موقف صعب أيضا فهو في النهاية قائد جديد يواجه فصائل معقدة ومتشابكة...

بينما كان قاو يوليانغ يبحث عن شا روجين للحصول على تقرير، كان شا روجين يبحث عنه أولا، وكان تيان جوفو موجودا أيضا. كان القادة الرئيسيون يناقشون توسيع اجتماع لجنة حزب المقاطعة. بعدها شرح شا روجين موضوع الاجتماع لمعرفة الاختبارات الأربعة التي يواجهها الحزب؛ اختبار ممارسة الحكم، واختبار تنفيذ عملية الإصلاح، واختبار اقتصاد السوق، واختبار الاستجابة للبيئة الخارجية.

أثنى عليه قاو يوليانغ وقال: "رائع، يجب أن نجعل الرفاق يعرفون مدى دقة هذه الاختبارات".

غير قاو يوليانغ الموضوع، متعاملا مع الأمور المعقدة بسهولة، وناور في حديثه قائلا: "الأمر مشابه لحالة هوى ليانغ بينغ، تلميذي، مدير مكتب مكافحة الفساد، نقل إلى هنا منذ أربعة أشهر، وأصبح فاسدا بسرعة".

أدرك تيان جوفو بشكل محسوس أن نائب الأمين قاو يوليانغ هذا كان مخضرما في الدوائر البيروقراطية. فهو لم يكن ماهرا فقط في علم السفسطة السياسي، بل كان قادرا دائما على استغلال موضوع حديث أحد القادة بدون أن يرف له جفن. كان الأمين شا يتحدث عن الاختبارات الأربعة،

وعن كيفية عقد اجتماع موسع للجنة الحزب الإقليمية هذه المرة، ومع ذلك استطاع قاو يوليانغ أن يجر هوى ليانغ بينغ إلى ذلك. لماذا كان حريصا جدا على القضاء على طالبه؟ وبالتالي قال: "أيها الرفيق يوليانغ، لا يمكننا القفز إلى الاستنتاجات حول مدير مكتب مكافحة الفساد، أليس كذلك؟" فأكمل شا روجين المحادثة قائلا: "بالطبع لا يمكننا القفز إلى الاستنتاجات، ولكن يجب أن نواجه المشاكل التي تظهر. فالنظام السياسي والقانوني أيها الرفيق جوفو بما فيه نظام مراقبة التحقيق التأديبية، ليس مثاليا. ولا أحد يجرؤ على ضمان فساد أي من المسؤولين".

ضحك تيان جوفو وقال: "يبدو أن الأمر صعب التقبل بالنسبة إلى مدير مكتب مكافحة الفساد الذي تم نقله قبل أربعة أشهر لتتخلص من الفساد في المؤسسة".

إذا كنت سوف تضرب، فعليك التأكد من أن ضربتك هذه ستقتل الخصم، وإلا فسوف يقوم بحفر قبرك إن لم يمت. لم يكن شا روجين يتجرأ على حماية هوى ليانغ بينغ وخاصة لأنه كان الأمين السابق للجنة الشؤون السياسية والقانونية الذي لم يستطع الحصول على ترقية، وأخبرته تجاربه السابقة أن ينتظر طالما الأمر يحتمل الانتظار، وإن وصل الأمر إلى مرحلة خطيرة سيضحي شا روجين بهوى ليانغ بينغ كونه هو البيدق الصغير في هذه اللعبة، فمقارنة بالعمل الشامل للمقاطعة إيتش ووحدة الكوادر واستقرارها، لم يكن يساوي هذه البيدق شيئا، وبعد صمته لثوان قال شا روجين: "لا تنخدع كثيرا أيها الرفيق جوفو، فحتى هذه اللحظة يبدو وضع مديرية مكافحة الفساد غامضا جدا وهنالك كثير من الأشياء التي لا يمكن السكوت عنها، أقترح أن تقوم مفوضية التفتيش التأديبي باستلام القضية رسميا والتحقيق مع هوى ليانغ بينغ". كان لدى تيان جوفو بعد التحفظات حينها ورد قائلا: "أليست وحدة التفتيش التأديبية التابعة للنيابة العامة هي من يقوم بالتحقيق؟ فقد سمعت التقرير حول القضية منذ قليل". تجنب قاو يوليانغ أن يكون صريحا في مجمل الحديث وقال: "إن التحقيق السابق ما هو إلا أضحوكة وليس تحقيقا رسميا أيها الرفيق جوفو، إنني أتحدث عن تقديم ملف رسمي وأن يطلب هوى ليانغ بينغ ليحقق معه في الأخطاء التي ارتكبها في مكان ووقت محددان". نظر تيان جوفو إلى قاو يوليانغ ثم إلى شا روجين ولم يتكلم بأي شيء بعدها، شعر عندها قاو يوليانغ أن الأمور كانت تجري في صالحه وقرر أن يضغط أكثر وقال: "لندعك تجري مكالمة أيها الرفيق روجين". غرق شا روجين في أفكاره للحظات ثم هز رأسه قائلا: "تريدني أن أجري مكالمة. ولكن لا يمكنني أن أفعل ذلك أيضا، ولما تريدني أن أقول بذلك بالأصل؟ فالأدلة ليست ملموسة وحقيقية بعد، فإن كنا مخطئين من الذي سيتحمل المسؤولية؟". ابتسم قاو يوليانغ ابتسامة

مزيفة وقال: "هذا صحيح، إنه خيار صعب بالفعل حتى أنه أكثر صعوبة علي أنا شخصيا، فقد رأيت لي داكانغ منذ يومين وسألني عن هذا الموضوع ولم أعرف حقا بما أجيبه". نظر شا روجين إلى قاو يوليانغ وسأله: "ما الذي سألك عنه الرفيق داكانغ تماما؟". أجاب قاو يوليانغ بطريقة غامضة وقال: "إن طليقته قبلت بطاقة مصرفية من تساي قونغ وقد تم القبض عليها، وليانغ بينغ أيضا قبل نفس البطاقة البنكية ما الذي تعتقد أنه يجب علينا فعله إذا؟ بالإضافة إلى أن كلاهما استلما البطاقة من تساي قونغ أترى إلى أين تصل الأمور بنا؟". رد تيان جوفو: "أعتقد أن الأمر مختلف في هذه الحالة، فعلى حد علمي فإن هوى ليانغ بينغ والوكيل العام لم يكترثا إلى تلميح تساي قونغ بأخذ بطاقة مصرفية لإلقاء القبض على أويانغ جينغ، فهما لم يتصرفا حتى قامت أويانغ جينغ باستخدام البطاقة وعندها تم اعتبارها رشوة، وكانت هذه بمثابة الدليل القاطع بالنسبة إليهما وحتى بعد ذلك كانوا حريصين جدا على مجريات التحقيق كي لا يحدث أي التباس".

غير قاو يوليانغ الموضوع من جديد وقال: "هنالك كثير من الشائعات التي تغير المجرى الحقيقي الذي سارت عليه الأمور، فهم يقولون إنني رئيس القسم القانوني والسياسي في المقاطعة وهوى ليانغ بينغ هو تلميذي الذي ينتمي إلى القسم ذاته، فكيف لي أن لا أكون حازما حيال هذا الموضوع؟". تابع شا روجين الحديث وقال: "بما أنك ذكرت موضوع القسم السياسي والقانوني في حديثك اليوم، أريد أن أسألك شيئا: هل الكادر الذي يعمل في هذا القسم صغير جدا بالفعل؟". رد قاو يوليانغ بهدوء: "لا أعرف كيف سأقول لك هذا، ولكن هم موجودون جسديا فقط على ما أعتقد". ضحك شا روجين وقال: "حسنا أيها الأمين قاو أنت تعرف صلاحياتك، افعل ما تراه مناسبا".

أحس قاو يوليانغ بشعور جيد وقال مبتسما: "لم أفكر مطلقا بنقل السلطة التي أملكها إلى أي تلميذ من تلاميذي بطريقة غير مشروعة، ولكن ربما تم نقلها دون معرفتي الشخصية، وبصفتي بروفيسورا في علم القانون لمدة لا بأس بها من الزمن، لدي الكثير من التلاميذ وكل المعلمين يحبون تلاميذهم جدا ويفضلونهم على الآخرين. لذلك عندما أقوم بتعيين شخص ما في أحد المناصب، يكون من الصعب علي جدا أن أضع المحسوبيات جانبا". أجابه تيان جوفو بطريقة ساخرة: "فعلى سبيل المثال، قمت بتفضيل تسي تونغ وي على الجميع أليس كذلك؟". تأهب قاو يوليانغ وقال مدافعا عن نفسه: "لقد اهتممت بهوى ليانغ بينغ بنفس المقدار الذي اهتممت به بتونغ وي أيها الرفيق جوفو ومنذ فترة ليست بالبعيدة، قمت بدعوته إلى منزلي لتناول السمك، وفي النهاية علينا فصل المشاعر الشخصية عن المبادئ الثابتة".

أظهر شا روجين أخيرا الجانب الذي كان يميل إليه وأعرب عن فهمه التام للصعوبات التي يواجهها قاو يوليانغ، وأظهر بعض التعاطف معه قائلا: "في كل مرة نجد أنفسنا في موقع صعب كهذا نرى أن إرادتنا أصبحت أقوى، ولكن لا يمكنك اعتقال ليانغ بينغ بهذه الأدلة لمجرد أنك خائف من كلام الآخرين وقولهم إنك تقوم بحماية طالبك". أضاف تيان جوفو قائلا: "علينا أن نكون حذرين على نحو مضاعف إذا أردنا أن نقدم ملفا رسميا للتحقيق".

لم يكن لدى قاو يوليانغ خيار سوى التراجع وقال: "حسنا، أيا يكن الأمر فأنا قلت ما لدي من اقتراحات وأنتم قرروا ما ترونه مناسبا" فكّر شا روجين مليا وقال: "أعتقد أن التريث قليلا هو أفضل من القيام بأي تصرف قد نندم عليه لاحقا، فلنترك الأمور كما هي عليه الآن ونقوم بالتأكد من الأدلة التي بحوزتنا". بدا قاو يوليانغ رافضا الاستسلام وأراد لعب حركة جديدة على رقعة الشطرنج وقال: "الأمر هو أننا لا نستطيع إيجاد الشاهدين الرئيسيين في القضية إلى الآن وبهذا لن نكون قادرين على معرفة الحقائق الرئيسية في قضية هوى ليانغ بينغ". أكد تيان جوفو قائلا: "هذا هو الوضع الحالي كما ترون والأمور بدأت تصبح مزعجة شيئا ما". اقترح قاو يوليانغ أمرا ما قائلا: "هل تعتقدون أنه من المفترض إعادة هوى ليانغ بينغ إلى الدوائر السياسية والحكومية مجددا؟". فكّر شا روجين مليا ثم أحبط توقعات قاو يوليانغ قائلا: "انس أمر هذا الموضوع كليا، أعتقد أنه من الأفضل أن نعيده إلى بكين حيث ينتمي بالأصل، وبهذا نكون تجنبنا الوقوع في مشكلة نحن في غنى عنها". لمعت عينا قاو يوليانغ وقال: "هذه فكرة جيدة بلا شك". لم يضف شا روجين أي شيء على الموضوع، وبدلا من ذلك غير الموضوع، وأخبر مساعديه عن سلسلة من المقالات التي نشرتها مجلة هونغ كونغ الأسبوعية، وكانت هذه المقالات تسيء إليه بشكل مباشر، وأنه عندما وصل إلى المقاطعة إيتش أصبح قائدا لعصابة عائلة شا.

قال شا روجين بانزعاج: "ليس مهما إن حصلت على لقاء مع عائلة غانغ، المهم أن المقالات والتقارير لا ترحمك وتتهمك بإعاقة عملية الإصلاح والانفتاح في المقاطعة إتش، وأنا أستعد حاليا لجعل وزارة الدعاية تتخذ تدابير مضادة". سخر تيان جوفو من هذا الكلام قائلا: "غالبا ما تكون المطبوعات السياسية في هونغ كونغ كريهة، وليس هناك حاجة للاعتراف بها". ضرب شا الطاولة وقال: "هذه السلسلة من المقالات تبث الخلاف. فما الذي سيفكر فيه القادة السابقون والرفاق القدامى عندما يرون ذلك؟ وعلى وجه الخصوص الرفيق تشاو ليتشون ستكون نواياهم عدائية جدا".

كان الرفيق تشاو ليشون هو المفتاح راقبه قاو يوليانغ في حالة امتعاضه وغضبه وفكّر في نفسه: "يبدو أن هذا المسؤول الإقليمي الرفيع الذي وصل حديثا لديه كثير من الشكوك". ثم استمر في كلامه بعد أن دخل في حزن وقال: "حسنا، حسنا، ثماني سنوات كمحافظ وعشر سنوات كأمين، يا له من تاريخ متكامل في الإصلاح في مقاطعتنا صنعه هذا الرجل. وهو الآن أحد قادة الحزب والدولة...".

عندما خرج قاو يوليانغ من مكتب شا روجين في المبنى رقم (1)، كان أكثر استرخاء من ذي قبل، وكان متأكدا من أنه كشف جميع أوراق أمين لجنة الحزب في المقاطعة، وهذا يعني بالضرورة، أنه مهما كانت الاضطرابات التي تحدث في تلك المقاطعة، كان لابد من السيطرة عليها. لم يسمح شا روجين لعائلة تشاو في بكين أن تدخل كثيرا في هذه الاضطرابات، ولذلك أخذ المبادرة لذكر عودة هوى ليانغ بينغ إلى بكين. كان هذا مخالفا إلى حد ما لتوقعاته. وبالطبع، كان شا روجين حكيما ولم يريد من أي خصم أن يقتل ليانغ بينغ. وباعتبار هذه الحالة، هل يجب عليه القيام ببعض التعديلات الاستراتيجية أيضا؟

43

عندما استيقظ هوى ليانغ بينغ في الصباح، نظر خارج نافذته والغباشة تغطي عينيه، لماذا كانت تثلج ثانية؟ كان الثلج يتساقط بغزارة كتجمّع من الفراشات البيضاء. ورقائق الثلج تصفق على زجاج النافذة. بدا العالم كما لو كان عديم الشكل، والأبنية أيضا بدت ضبابية غامضة من بعد. اتكأ على النافذة مراقبا المنظر الثلجي وهو يحتسي كوب الشاي الذي كان قد صنعه للتو. كان العالمان داخل وخارج النافذة متعاكسين ومختلفين تماما.

في الداخل، كان الهدوء استثنائيا طاغيا كاليومين السابقين اللذين كانا يومين استثنائيي الهدوء، لدرجة أنه شعر بالفراغ يتسلل داخله. لم يتصل تشياو غانغيو وفريق التحقيق الخاص به مرة أخرى ليطلبوا منه المعلومات. كان يعلم أن فريق تشياو غانغيو يحاول جاهدا إيجاد دليل ما. ربما كانوا حقا يريدون التحقيق في القضية في ظل غياب الاعتراف.

في الليلة الماضية، اتصلت لو بيك به وأخبرته باختفاء الشاهدين. كان هذا خبرا رهيبا، كان حدسه الأولي أن الشاهدين سقطا بين يدي تشي تونغ وي. في حال حدث هذا الأمر فعلا، فسيشنّ فريق التحقيق بقيادة تشياو غانغيو هجوما عليه خلال وقت قريب؛ حتى البروفيسور قاو سيواجه شا روجين مباشرة بالدليل القاطع، وهكذا فلن يبقى للهرب مكان، ولسوف يرسله إلى موته كما يموت ملك الشطرنج.

أخفى الهدوء النوايا الدموية القاتلة. كان حبل المشنقة يلتف بشكل خفي حول رقبته ويزداد ضيقا أكثر فأكثر. نشأت لدى هوى ليانغ بينغ رغبة فجائية بالركض تحت الثلج، كانت الغرفة الصغيرة تسبب ضيق الصدر وهادئة إلى درجة شعر فيها أنه يكاد يختنق.

خرج من شقته مرتديا ملابسه الأنيقة، مستقلا المصعد نزولا إلى الردهة. أخذ نفسا عميقا، وانطلق بسرعة نحو الملعب الرياضي. قام بالإحماء عبر الركض دورتين على طول السور، ثم وجه نظره إلى القضبان المتوازية التي لطالما أحبها، حيث أثقلها الثلج بسماكته. مسحها بكفه ونظفها من الثلج، خلع معطفه ووضعه جانبا، وبقفزة رشيقة بدأ بالتأرجح جيئة وذهابا على تلك القضبان محاولا الوقوف على يديه والقيام بمناورات أخرى، بدأ جسمه القوي بالتأرجح إلى أعلى وأسفل. لوهلة كان الشغف يحترق في صدره كالنار الملتهبة وبدا كما لو أنه استطاع إذابة الثلوج المندفعة. مبددا كلاّ من القلق واليأس والتوتر في دوامة التمرين الرياضي، فتلاشت هذه العوارض جميعها كسحابة من الدخان...

في الليل افتقد زوجته بشدة. كانت تشونغ تشياو ذات روح طيبة لطيفة. وخلال فترة اكتئابه كانت ركيزته الأساسية وعماده الذهني والعاطفي. لقد قامت بالعمل المناسب حين أرسلت البذلة بسرعة كبيرة إلى تساي قونغ عبر البريد السريع. بالرغم من أنها لم تحتفظ بوصل الاستلام من خدمة التوصيل إلا أنها وجدت الشخص الذي وقّع على ذلك الوصل. كان دليل الرشوة يستحق ثلاثة وعشرين ألف يوان لا وجود لها من الأساس. لقد تحولت بذلة تكلف عدة مئات من اليوانات فجأة إلى دليل رشوة. بدا ذلك كله كمزاح في البداية، ولكن الأمور بدأت تسوء حين بدا له أن الناس مستعدين لتعذيبه حتى الموت فقط بناء على هذا الدليل. عندها أثبتت زوجته التي كانت ضمن فريق التفتيش التأديبي حكمتها في التصرف. فالمرء لا يمكن أن يكون حذرا تماما مهما حاول.

في كل ليلة يخيم هوى ليانغ بينغ بجانب الحاسوب متحدثا عبر الفيديو مع زوجته، وقد ذكرت له الليلة الماضية أنّ فريق التفتيش التأديبي التابع للجنة المركزية سيذهب إلى مقاطعة إيتش للقيام بجولة تفتيشية في المستقبل القريب. ووفقا لقوانين التنحي، فهي لن تستطيع المشاركة في الجولة التفتيشية، ولكنها تخطط لزيارته في إجازتها السنوية، ولقد وافق رئيسها في العمل مسبقا على ذلك. قالت تشونغ تشياو بفرح: "ليانغ بينغ، فقط انتظر قليلا إنني قادمة إليك لأقوم بدعم النار المتقدة".

لم يمض وقت طويل على توقف تساقط الثلوج حتى كانت تشونغ تشياو قد وصلت إلى جنغيتشو. لقد مر وقت ليس بقصير على فراق الزوجين، ولا داعي لذكر العواطف الجياشة التي

اتقدت في تلك اللحظة. عمل هوى ليانغ بينغ على تحضير طاولة مليئة بمحار البحر، ووجبة بطة جنغيتشو الشهيرة، وأطباق أخرى مشابهة احتفالا بزوجته.

بعد ذلك فتح زجاجتين من البيرة بأسنانه، واحدة لكل منهما، وشربا بعض النبيذ معها. لم تقدّر تشونغ تشياو حركات زوجها البهلوانية والمجازفة بفتح القوارير باستخدام أسنانه بل قالت بعبسة لعوب: "هيا، كيف لك أن تفعل هذا بعد كل هذا الوقت؟ ألا تفكر في النضوج بعد؟". سكب هوى ليانغ بينغ المشروب ورد مازحا: "فاتحات القوارير الطبيعية هي الأكثر ملائمة".

بينما كان يفتح هوى ليانغ بينغ الزجاجة الرابعة من البيرة بأسنانه، انسل ظرف بريدي دون أن يصدر أي صوت أسفل الباب، لم يره هوى ليانغ بينغ إلا عندما كان ذاهبا إلى الحمام. التقطه وألقى نظرة على محتواه. كان في داخله ثلاث صور. في الأولى قاو يوليانغ مرتديا ملابس نوم ومتكئا على لوح ويبدو عليه الإعياء كما لو أنه استيقظ للتو معانيا من آثار الثمالة، وقاو تشياو تشين تطعمه بعض الحساء. في الصورة الثانية، كل من البروفيسور قاو وقاو تشياو تشين خارجين من فندق على ما يبدو بشكل متزامن ويبدو أنهما يحاولان التستر. أما الصورة الثالثة الأكثر إثارة للاهتمام، كانت للبروفيسور قاو محتضنا قاو تشياو تشن وهي ترفع كأس النبيذ وابتسامة خفيفة تعلو شفتيها. شعر هوى ليانغ بينغ بالغبطة، وضرب رأسه بكفه بحركة سريعة صارخا: "عزيزتي، يبدو أنني ربحت الجائزة الكبرى".

أتت تشونغ تشياو وألقت نظرة على الصور قائلة: "يا إلهي، هل البروفيسور زير نساء؟ يا له من شيء صادم". طلب هوى ليانغ بينغ النصح والإرشاد من زوجته التي استنتجت بشكل سريع أن أيا كان القادر على دس هذا المغلف خلسة فهو حتما ليس بدخيل من الخارج، فهذا دليل بأن لديه مؤازرة من داخل البناية، ويريد مرسل الصور أن يزوده بمعلومات استخبارية من شأنها أن تساعده في فتح طريقه والعودة من النهاية الحتمية. شعر هوى ليانغ بينغ بالقلق بشأن وجود شرك ما. وبإصرار على رأيها، قالت تشونغ تشياو: "إن الصورة بألف كلمة، انظر إلى كيفية وصل هذه الصور مع بعضها بطريقة محكمة: الصورة الأولى له وهما يشربان النبيذ معا، الأخرى متكئا على السرير باديا عليه الإعياء، والثالثة عبارة عن شخصين مغادرين بعد إنهائهما لبعض الأعمال. إن الشخص الذي أرسل هذه الصور يأمل منك أن تقلب الأمور رأسا على عقب وأن تحقق بأمر قاو يوليانغ". ولكن قطار أفكار هوى ليانغ بينغ ذهب إلى ناحية أخرى تماما.

هل كان هناك صراع داخلي يدور بينهما؟ في ضوء ما يعلمه حتى الآن فإن جماعات مصالح قاو يوليانغ كانت معقدة ومتشابكة من عائلة تشاو في بكين إلى الطغاة في جنغيتشو. لا يعقل أن يكونوا وحدة متراصة، أو على الأقل لا يمكن أن يظلوا كذلك إلى الأبد. أيعقل أنهم جعلوه يلعب أوراقهم نيابة عنهم؟ كان ذلك ممكنا أيضا.

خطرت في بال تشونغ تشياو فكرة مفاجئة وقالت: "حسنا، لدي اقتراح أيها المدير هوى، خذ الصور الثلاث واذهب لتناول السلطعون البحري مرة أخرى مع البروفيسور قاو".

لم يكن هوى ليانغ بينغ واثقا من نفسه، وقال: "إن نواياه باتت مكشوفة الآن، هل يمكن للبروفيسور أن يقوم بعد الآن بدعوتي لتناول السلطعون البحري؟ أضيفي إلى ذلك أننا في فصل الشتاء، من أين له أن يحضر سلطعونا بحريا؟".

بدت تشونغ تشياو واثقة من نفسها: "أنا أضمن دعوته لك لتناول السلطعون البحري، وإذ لم يكن متوافرا فسيحضر شيئا آخر بالتأكيد. إن البروفيسور قاو حذق للغاية، وتجاهل الأمر لتبدو كأنك لم تواجه ألاعيبه من قبل".

اعتقد هوى ليانغ بينغ أنها على صواب: "حتى لو كان ذلك العشاء الأخير فإنه لن يمتنع عن دعوتي إليه، ماذا أيضا، إني أمتلك الآن سلاحا سريا، ولكن أيعقل أن أكشف عن هذا السلاح للعدو من غير قصد؟". قالت تشونغ تشياو: "أتعتقد أنه لم يتم تنبيه العدو مسبقا؟ ألم يهرب مسبقا هؤلاء الذين يريدون الهروب؟ ألم تذهب كلّ من قاو تشياو تشين وتشاو رويلونغ إلى هونغ كونغ ولم يعودا منها أبدا؟ ولو أراد تشي تونغ وي الهروب لفعل ذلك منذ زمن طويل".

عندما فرغا من تناول الطعام، ذهب كل من الزوج والزوجة إلى الغرفة الداخلية من أجل قيلولة ما بعد الظهيرة. بعد ممارسة بعض الحميمية، حظي هوى ليانغ بينغ بقيلولة جيدة بينما نهضت تشونغ تشياو بهدوء وبدأت بدراسة الصور بحذر وتمعّن في غرفة الجلوس. لما أخذ هوى ليانغ بينغ قسطا وفيرا من النوم، خرج إلى غرفة الجلوس يمدّد عضلاته، فأعلنت تشونغ تشياو بفرح أنها اكتشفت اللغز بعد دراسة دقيقة للصور الثلاث.

جلس هوى ليانغ بينغ إلى جانب تشونغ تشياو. بعينين واسعتين طلبت منه زوجته أن يشاركها تفحص الصور. التقطت واحدة وأشارت إليها قائلة: "أترى تلك التي يتم فيها إطعامه، تبدو

قاو تشياو تشين قد صففت شعرها للتو، أليس ذلك صحيحا؟ أما بالنسبة إلى البروفيسور قاو فإن شعره يبدو طويلا، فهو لم يقم بقصه منذ أكثر من عشرين يوما تقريبا". بدّلت تشونغ تشياو الصورة بأخرى: "الآن انظر إلى هذه، لقد تغيرت تسريحة شعر قاو تشياو تشين، صحيح؟ بالرغم من أنها لم تتغير كثيرا، فإن البروفيسور قاو قد قص شعره هذه المرة، أليس صحيحا؟".

صرخ هوى ليانغ بينغ متعجبا: "أنت لا تزالين الشخص الشديد الملاحظة". في تلك اللحظة بادلت الصور مرة أخرى: "قارن كلتا الصورتين السابقتين بهذه، يبدو على كل من الشخصين أنهما أصغر سنا، أليس كذلك؟". وهنا أبصر هوى ليانغ بينغ النور فجأة وقال: "لم تؤخذ هذه الصور في الوقت أو المكان نفسه صحيح؟".

نكزت تشونغ تشياو زوجها على جبهته وختمت قائلة: "إن أحدهم يحفر بشكل مضن للإيقاع بالبروفيسور قاو". لقد دبرّ أحدهم حتما هذه المكيدة، بدأ هوى ليانغ بينغ يخطو متكهنا. فقبل كل هذا، كان هنالك سؤال لطالما دار في خلده. لا يمكن لمعلمه أن يكون على علاقة بهذه الجرأة والصفاقة مع قاو تشياو تشين ذات الجمال الوافي. لو كان المعلم جريئا بما يكفي للخوض في علاقة كتلك معها، فإنه بالتأكيد لن يدع تلك العلاقة تصل إلى هذا الحد. وعلاوة على ذلك، لم يكن ذلك أسلوبه، لذا كان يرجح تصديق فكرة أن شيئا خاطئا ما قد حصل بين خصومهم، ولربما لم يكن المعلم على علم بعد بأن أحدهم قد رفع يده ضده ويريد له السوء. وعند تلك الفكرة ضحك هوى ليانغ بينغ وسأل زوجته: "هل يتوجب علينا إعلام المعلم؟ إنه معلمنا في النهاية؛ وروابط الصداقة بين المعلم والتلميذ قوية جدا". تذمرت تشونغ تشياو وقالت بغيرة: "هذا صحيح، فأنت كدت أن تصبح زوج ابنته".

قال هوى من باب الدعابة: "لو كنت حقا زوج ابنته، لكان منصب جي السابق من نصيبي، انظري إلى تشي تونغ وي فهو ليس بصهره وقد أصبح مدير إدارة الأمن العام، وهو على بعد خطوة من أن يصبح نائب المحافظ". قالت تشونغ تشياو والصدمة تعلو وجهها: "إذا كانت حقا تلك هي المسألة، فسيتوجب عليّ التركيز على تفتيشك هذه المرة". رفع هوى ليانغ بينغ أنفه بتكبر قائلا: "إن هذا مستحيل، فأنا لست تشي تونغ وي أنا خرجت من الوحل نظيفا تماما". أجابت تشونغ تشياو مقاطعة: "ستبقى نظيفا حتى لو كان الوحل مريحا جدا، أنا خائفة أنك كنت موحلا منذ زمن طويل".

لم يرد هوى ليانغ بينغ مناقشتها: "حسنا، دعينا لا نتكلم عن هذا الموضوع، لقد اتخذت قرارا بتسليم هذه الصور إلى قاو يوليانغ لدب الحيرة والاضطراب في نفس البروفيسور كما يحدث لنا

الآن، ليس من العدل أن نكون الوحيدين المنشغلين بالأمر". سألت تشونغ تشياو ممازحة: "حسنا، أتريد أن تكون أنت من يهدي البروفيسور مشكلته هذه، أو تريد مني القيام بذلك؟".

قال هوى ليانغ بينغ: "من الأفضل أن تقومي أنت بذلك، لقد شكّل معلمك شخصية زوجك، ألا تعتقدين أن عليك أن تطلبي تفسيرا لذلك؟". تجهم وجه تشونغ تشياو وقالت: "أتمدحني ونحن في وقت كهذا؟".

وحين فكرت مليا بما جرى قالت: "ولكن عليك ألا تنسى حقيقتين، الأولى هي هويتي، والأخرى فريق التفتيش الذي قد وصل إلى جينغتشو لايزال الأمر أكثر ملاءمة لو أنك أقدمت على هذه الخطوة، وفي جميع الأحوال، فإن كلا منكما سيظهر وجهه الحقيقي. اعتبر فقط أن هذا هو العشاء الأخير لكما، في حال ساءت الأمور أكثر، فإنه لن يتورع عن طردنا خارجا".

شعر هوى ليانغ بينغ أن هذا يبدو منطقيا، فأمسك هاتفه ليتصل بالمعلم.

عندما أضاء مصباح الشارع معلنا بداية تلك الليلة، وصل السيد والسيدة ليانغ بينغ إلى حديقة فيلا بريطانية مألوفة. كانت تشونغ تشياو تحمل باقة من الأزهار النضرة، وانحنت مع زوجها بتواضع وشهامة أمام قاو يوليانغ. "مرحبا أيها البروفيسور قاو". ألقيا التحية كأن شيئا لم يكن، وأجاب قاو يوليانغ برحابة صدر وهو يأخذ الأزهار من يدي تشونغ تشياو: "أجل أجل، ليانغ بينغ، تشونغ تشياو مرحبا بكما". وأضاف محاولا إغاظة هوى: "أيها المدير هوى، لطالما كان العمل جيدا بالنسبة إليك. باقة أخرى من الأزهار، ها؟".

أجابه هوى ليانغ بينغ ضاحكا: "بروفيسور قاو، الأزهار ليست مني هذه المرة، إنها من تشونغ تشياو". أخذ قاو يوليانغ الأزهار وشمها قائلا: "باقة جميلة من أزهار الياسمين تماما كسيدتنا تشونغ...". جلس قاو يوليانغ بعد وضع الأزهار في المزهرية، وارتشف الشاي من كوبه. لم يبدِ أي اهتمام بهوى ليانغ بينغ، بل وكان يبتسم أثناء حديثه مع تشونغ تشياو.

استخدم المعلم روح الدعابة لكسر حاجز الجليد من تلقاء نفسه وسأل تشونغ تشياو إن كانت لا تزال على صلة بمعلمها في الحملة التأديبية. شاركت تشونغ تشياو مع الحديث الذي يدور واشتكت: "أيها البروفيسور، ألا تعلم أنت وزوجتك الكثير عن طباع وشخصية هوى ليانغ بينغ؟

فلربما كان يخفي بعض أوجه قصور من نوع أو آخر، ومهما كانت تلك الصفات التي يتستر خلفها إلا أنه لن يقوم بأخذ رشوة أو أن يخرق القانون".

حدق قاو يوليانغ إلى هوى ليانغ بينغ قائلا: "لم يجزم أحد بحتمية أخذ هوى ليانغ بينغ للرشوة وخرقه للقانون، ألم يتم فصله من العمل لإعادة النظر في الأمور وإجراء تمحيص وتدقيق؟ طالما أننا سنصل إلى حل للأمور، فسنفعل ما يتوجب علينا فعله، وفي نهاية المطاف، لدينا مخبر غير معلن في هذه اللحظة". أومأ هوى ليانغ بينغ بإخلاص وقال: "حسنا، يجب أن تكون التحذيرات موضع تحقيق. تشياو، لا تلومي معلمنا".

بعدها مباشرة كال قاو يوليانغ لطالبه مديحا: "وجدت، لدى هوى ليانغ بينغ ذهنا متقدا، وهكذا يصنع الفولاذ". واتكأ مرة أخرى إلى الخلف باتجاه تشونغ تشياو وقال: "في الحقيقة، أنا أيضا عازف عن الرغبة بتصديق دعم هوى ليانغ بينغ ولكن ما باليد حيلة، يجب عليّ أيضا أن أكون صاحب مبادئ، سأبقى محافظا عليها بالرغم مما أعانيه". وبرغبة ميتة أجاب هوى ليانغ بينغ: "نعم، أستطيع فهم معاناتك الداخلية أيها البروفيسور".

لم تمتلك وو هوفين حسّ الدعابة الذي امتلكه قاو يوليانغ وقاطعت الحديث بنبرة جدية قائلة: "ليانغ بينغ، كان الأمر قاسيا جدا على البروفيسور قاو بعد أن اكتشفنا أمر فصلك. وليلة بعد أخرى بدأ يعاني من الأرق ويتنهد تنهدات عميقة كلما تذكرك، لقد كان البروفيسور حزينا للغاية، والأسوأ من ذلك أنه بعد أن أقلع عن التدخين منذ عشرين سنة، عاد إليه مجددا". أشعل قاو يوليانغ سيجارته وهو يحدق إلى هوى ليانغ بينغ كمن يوجد في غرفة الاعتراف.

كان هنالك عالمان مختلفان تماما بين هذا المعلم الذي يقوم بنفث غيوم من الدخان وبين صورته الواضحة في الأيام العادية.

أخبر المعلم تلميذه عن مشاكله، وكيف أن تساي قونغ قد أبلغ عنه، وكيف أن نيابة البلدية قد وضعت المستندات أمامه. حتى أنّ جي تشانغ مينغ قد تقبل حقيقة الأمر، لذا ما الذي كان من المفترض أن يفعله؟ وعلاوة على ذلك فإن تشياو غانغيو من نيابة البلدية كان رجلا مستقيما وصاحب مزاج عكر، تماما مثل هوى ليانغ بينغ. استغلت تشونغ تشياو الفرصة لتسأل: "بروفيسور قاو، لم تشدّد على مزاج هوى ليانغ بينغ؟ ألانك لا تحب مزاجه وتريد تلقينه درسا؟ أو نوعا من

التربية وأصول التدريس؟". تبعها هوى بعد ذلك مباشرة بالقول إنه هذا ما اعتقده هو أيضا، كما كان يحصل في الكلية عندما يجبر البروفيسور قاو على البدء بعرض السلطة على التلاميذ المشاغبين. "ما هذا؟ هل تهاجمان معلمكما سوية؟". سأل قاو يوليانغ وهو يضحك.

قال هوى ليانغ بينغ بسرعة: "ليس هذا ما نقصده، نحن نطلب إرشادات معلمنا". حوت كلمات قاو يوليانغ معنى خفيا: "ليانغ بينغ، هل لا يزال بإمكاني تعليمك حتى هذه اللحظة؟". تابعت تشونغ تشياو لعب دور البلهاء وسألت: "لم لا يمكنك تعليمه؟ بروفيسور قاو، قل ما تريد، ولكن فقط تخيل بأن هوى ليانغ بينغ هو تشي تونغ وي".

أخذ قاو عدة نفثات من سيجارته، وتنهد بعمق بدا كأنه دهر من الانتظار: "هل ليانغ بينغ هو تشي تونغ وي؟". صب ليانغ بينغ كامل اهتمامه بإحداث ضجيج حول تشي تونغ وي "أنا لم أرد لهما أن يتنازعا، وأوعزت لهوى بألا يسعى وراء تشي تونغ وي بسبب مخالفته للقانون وتحوله لحامل أسهم. في حال حصل ذلك لأي طالب، يتوجب عليك كمعلم حمايتهم كلهم، أليس كذلك؟".

ساهمت وو هوفين قائلة: "تشونغ تشياو قلت إن البروفيسور قد اعتبر كلا من ليانغ بينغ، تشي تونغ وي، وتشن هاي كأولاده الثلاثة، ولكن هوى ليانغ بينغ يرفض أن يصغي". انتقدت تشونغ تشياو زوجها بطريقة نصف ممازحة: "انظر إلى نفسك، معدل ذكاء عقلي عال، ومعدل ذكاء عاطفي منخفض".

بدت علامات الاستسلام تسيطر على وجهه بوضوح وقال: "إن كل ما أفكر به هو معلمنا، لو لم أكن خائفا فقط من توريط البروفيسور قاو، ما كنت سأزعج نفسي بإخباره عن فوضى تشي تونغ وي. ولكن كوني مديرا لمكتب محاربة الفساد، فكان يجدر بي الانتهاء من الأمر لو أنني توليته مباشرة".

زمجر قاو يوليانغ وأطفأ سيجارته التي لم ينته سوى من تدخين نصفها في المنفضة: "توليت أمره مباشرة؟ أرأيت، ألا يقومون بتولّي أمرك الآن؟ أيها المدير هوى، يجدر بك التعلم من أخطائك".

سألت تشونغ تشياو بكل براءة واندهاش: "هل تقصد أيها البروفيسور أن تشي تونغ وي يقوم بتولي أمر هوى ليانغ بينغ إلى جانب تشاو غانغيو؟ هل هذا هو واجب مدير قسم الأمن العام؟".

تلعثم قاو يوليانغ مدركا زلة لسانه وأضاف بسرعة: "يا إلهي، لقد قمت بإفشاء ما كان يخطر في بالي مباشرة".

قال هوى ليانغ بينغ لزوجته: "أعتقد أنني فهمت؛ إن ما يتكلم عنه معلمنا هو عقوبة القصاص، أليس صحيحا؟".

أجاب قاو يوليانغ سريعا: "أليست عقوبة القصاص كمقولة قديمة: ***في المعارك إذا أطلقت ألف طلقة على الأعداء، فستتضرر بثمانمائة منها***. إذا أردت أن تردي عدوك ميتا، عليك أن تكون مستعدا للتعرض للإصابة". وكالذئب المتنكر في ملابس الحمل قال هوى ليانغ بينغ: "في الواقع أيها البروفيسور، كنت جاهزا ذهنيا وعقليا، والآن إنني جاهز لأكون حتى متورطا". قال قاو يوليانغ باستياء: "إذا لم أتيت إلى هنا لتراني؟.. بروفيسورة وو هل الطعام جاهز؟". أتى صوت البروفيسورة وو من المطبخ: "تقريبا، إنني أقوم بإعداد المقبلات".

استعجلها قاو يوليانغ قائلا: "أسرعي، فنحن لا نريد إضاعة وقت هوى ليانغ بينغ الثمين". اصطنع هوى ليانغ بينغ ابتسامة مزيفة على وجهه وقال: "بروفيسور قاو، هل تحاول دفعي للرحيل من هنا؟". حاولت تشونغ تشياو تخفيف حدة التوتر في الجو وقالت: "ما الذي تتحدث عنه؟.. أيها البروفيسور، سوف أترككما لحديثكما وأذهب لمساعدة البروفيسورة وو".

بعد مغادرة تشونغ تشياو أخرج هوى ليانغ بينغ الصور الثلاث من حقيبته ورتبها على طاولة القهوة وقال: "أيها البروفيسور قاو لدي شيء أريد التبليغ عنه... ألقِ نظرة هنا، لقد تم التبليغ عنك أيضا، هل تعتبر هذا أيضا قصاصا؟". ذهل قاو يوليانغ بعد رؤية الصور وسأل: "من أين لك بها؟".

لم يحرك هوى ليانغ بينغ جفنا، وقال: "لا يمكنني إخبارك بذلك، أتمنى أن تتفهم موقفي".

فكّر قاو يوليانغ مليا وعبّر عن تفهمه، فمن الطبيعي لأمين الشؤون السياسية والقانونية للجنة أن يتفهم النظم المتعلقة بالسرية.

قال قاو متأثرا: "إنني ممتنّ لقدرتك على إحضار هذه الصور الثلاث إلى هنا بالرغم من كل الظروف".

ربت بيده على ساق هوى ليانغ بينغ قائلا: "إن هذا يثبت أنه لا يزال هناك في قلبك متسع لمعلمك". قال هوى ليانغ بينغ: "لا يمكن للماضي أن يختفي كسحابة من الدخان. حلمت الليلة الماضية بصف القانون الذي قمت بتدريسه، تحدثت عن روح هاي روي وعن فكرة حمله كفنه بيديه إلى البلاط الإمبراطوري". سيطر قاو يوليانغ على الحديث مرة أخرى: "ليانغ بينغ، لقد كنت مدير مكتب مكافحة الفساد لأربعة أشهر، وركّزت اهتمامك منذ البداية على مجموعة شانشوي وقاو تشياو تشين. ما العلاقة التي تعتقد أنها كانت بين معلمك وقاو تشياو تشين؟".

بدأ هوى ليانغ بينغ بالخروج عن الموضوع: "كيف لي أن أعرف بالعلاقة التي تجري بين معلم وفتاة جميلة، هذا السؤال لا يمكن لأحد سواك الإجابة عنه أيها البروفيسور". ضحك قاو يوليانغ مشيرا إلى هوى ليانغ بينغ: "أيها القرد الصغير، إن معدل ذكائك العاطفي منخفض فعلا".

وبقوله هذا علا صوته أكثر بشكل مفاجئ: "أوه، بروفيسورة وو هل لك أن تأتي وتلقي نظرة، لا أزال فاتنا جدا، مع أنني تقدمت في السن ولكن كان لدي نزوة لبعض الوقت". وعند قوله هذا انفجر هوى ليانغ بينغ ضاحكا من كل قلبه، ضحك كثيرا لدرجة أنه أخذ نفسا عميقا.

خرجت وو هوفين من المطبخ، وأمعنت النظر في الصور الثلاث التي سلمها هوى ليانغ بينغ، وسألته من أين لك بهذه الصور. أخبر هوى ليانغ بينغ وو هيوفن بالحقيقة؛ أحدهم دس خلسة الصور أسفل باب منزل الضيوف.

من المثير للفضول أن وو هوفين في الواقع كانت أكثر قلقا وتوترا من قاو يوليانغ وقالت: "إن أحدهم يحاول الإيقاع بك هنا أيها البروفيسور".

التفت هوى ليانغ بينغ نحو قاو يوليانغ وقال: "ما زلت أرغب في سماع تفسيرك لهذه الصور أيها المعلم".

"دعني أر، دعني أر". نظر قاو يوليانغ إلى الصور غارقا في أفكاره، وبعد فترة من الوقت، نزع نظارة القراءة، ووضع الصور على الطاولة، وقال إن كل شيء عاد إلى ذاكرته مرة أخرى. "إن هذه الصور الثلاث أتت من ثلاثة أماكن مختلفة، ولم تؤخذ في وقت واحد. إن الصورة التي أظهر فيها مع رفيقة شابه تطعمني الحساء كانت أكثر واحدة أثارت فيه شيئا ما. كيف لذلك أن يحصل؟". في السنة الماضية، عقدت مجموعة شانشوي مؤتمرا حول المشاريع الخاصة. ودعي

ليحضر هذا المؤتمر ولكن فجأة أغمي عليه جرّاء انخفاض السكر في دمه. وكونها المضيفة، قلقت قاو تشياو تشين عليه وأطعمته بعض الماء والسكر، وهذا ما حصل. ذكر هوى ليانغ بينغ وجود صورة كبيرة لهذه الرفيقة مع معلمه في شركة شانشوي. قال قاو يوليانغ: "إن تلك الصورة أيضا التقطت خلال الحدث".

عندها سأل هوى ليانغ بينغ: "ولم يتم إزالتها لحد الآن، أليس كذلك؟".

أردف قائلا: "إنهم يعاملونها كعلامة خاصة بالشركة ويقول الناس إن قاو تشياو تشين هي ابنة أخيك. يمكن لرجال الأعمال هؤلاء أن يكونوا مصدر إزعاج حقيقي". طلب قاو يوليانغ على الفور من وو هوفين: "أسرعي واتصلي بمجموعة شانشوي، واطلبي إنزال الصورة حالا". أحضرت وو هوفين المقبلات وهي تعده أنها ستقوم بذلك، وطلبت من الجميع تناول الطعام وهم يتبادلون أطراف الحديث. بقي قاو يوليانغ يفكر في تلك الصور، لقد شغلت باله. من أين أتت تلك الصور؟ من كان سيستخدمها في أهدافه الخاصة؟ تمنى لو أن هوى ليانغ بينغ يزوده ببعض الأدلة، ففي جميع الأحوال هو رئيس مكتب مكافحة الفساد.

قال هوى ليانغ بينغ بطريقة ساخرة: "ألم تجردني من منصبي كرئيس مكتب مكافحة الفساد؟". أظهر قاو يوليانغ وجها حزينا وقال: "أنت تتكلم بشكل لا عقلاني مرة أخرى، لقد تم إيقافك من تأدية مهامك، وفضلا عن ذلك، كان هذا قرار مجلس حزب المقاطعة".

استغل هوى ليانغ بينغ تلك الفرصة وأطلق هجوما مضادا وقال: "إلى متى سأبقى موقوفا عن أداء مهامي؟ إن لم يتم إيجاد هذين الشاهدين الرئيسيين، هل سيتم حل المسألة وإيضاحها؟". أخذ قاو يوليانغ رشفة من المشروب أمامه، وأشار إلى أنه من الممكن أن تبقى الأمور عالقة على هذا النحو. فكّر في طريقة لتقديم المساعدة، بينما كان يهمّ بوضع القدح على الطاولة وعيناه مثبتتان على هوى ليانغ بينغ، وفجأة وضع أوراقه على الطاولة وقال: "ليانغ بينغ، هل فكّرت يوما بالعودة إلى بكين؟". فوجئ هوى ليانغ بينغ لدرجة أنه لوهلة وجد صعوبة في الإجابة عن ذلك السؤال.

قال قاو يوليانغ: "العودة من حيث أتيت والذهاب إلى مكتب مكافحة الفساد المركزي للنيابة للعليا".

قال هوى: "لم أفكر يوما في هذا الأمر".

قال قاو يوليانغ بتمعن: "حسنا فكر مليا بعد أن تعود إلى منزلك، وحالما تقوم بذلك أتمنى أن تعلمني". رفع هوى ليانغ بينغ نخبا على شرف معلمه وسأله بشكل مبدأي: "هل سيوافق جي تشانغ مينغ وشا روجين على رحيلي؟".

قال قاو يوليانغ: "إن موافقة جي تشانغ مينغ أو عدمها لا قيمة لها طالما أن شا روجين موافق". اقترب قاو يوليانغ من هوى ليانغ بينغ قائلا: "لأخبرك الحقيقة، إن فكرة عودتك إلى بكين لم تكن فكرتي أنا بل فكرة شا روجين".

لم يقتنع هوى ليانغ بينغ بهذا الكلام تماما وقال: "عندما نقلت إلى هنا تكلم شا روجين شخصيا معي أنا، لم يمضِ على تولي هذا المنصب سوى أربعة أشهر والآن يرغب برحيلي؟ كيف لذلك أن يكون حقيقة؟".

أجاب قاو يوليانغ مازحا: "قالت لك تشونغ تشياو ذلك مسبقا، أيها القرد الصغير، مستوى ذكائك العاطفي منخفض جدا". اقترحت تشونغ تشياو نخبا على شرف قاو يوليانغ، وطلبت منه أن يوضح التباس زوجها.

"حسنا" أنزل قاو يوليانغ كأس الشراب من نخب تشونغ تشياو ووضع الكأس على الطاولة. بدأ بالحديث بحماس وثقة، كأنه فعلا يقوم بإلقاء محاضرة على كل من هوى ليانغ بينغ وتشونغ تشياو.

"في أيام الجامعة تحدثت عن هاو روي وشانغ يونغ، ولكني لم أتحدث عن يو في. اليوم سأخبر طالبي هوى ليانغ بينغ عن يو في والتهم الملفقة ضده، فبلا أدنى شك، كان يو في رجلا وطنيا يشهد له التاريخ الصيني، بطلا خدم بلاده بكل إخلاص، وكان من الممكن أن ندعوه نموذجا عصريا وقديما في الوقت نفسه، ولكن هذا النموذج مات بسبب تهم ملفقة ضده.

ماذا تعني التهم الملفقة؟ لربما لا يوجد شيء من هذا القبيل، أو ليس من الضروري أن يكون هناك شيء كهذا. بطل عظيم لا يمكن أن يكون مذنبا - نموذج عصري وقديم - مات بسبب غياب العدل في جناح واند اند ويفز كيف يمكن لذلك أن يحصل؟ مستوى منخفض من الذكاء العاطفي؛ إنه لشيء مؤسف حقا".

رفع هوى ليانغ بينغ يده كأنه يطالب بدوره في وقت الأسئلة والأجوبة في الصف: "أحقا مات يو في بسبب ذكائه العاطفي المنخفض؟ بروفيسور قاو، هل هذا هو اكتشاف جديد لك؟". بطريقة ما بدا كأن قاو يوليانغ قد عاد بالزمن من جديد إلى قاعة الدراسة، وقف وبدا يخطو جيئة وذهابا أمام طاولة الطعام، ملوحا بيديه: "لقد اكتشفت ذلك منذ فترة طويلة ولكني لم أتمكن من التحدث عنه في قاعة الدراسة خوفا من تأثيره السلبي على الطلاب صغار السن. في عالم كبير فاسد لسلالة سونغ الجنوبية، كان يو في حالة شاذة جدا. بينما كان القادة الآخرون يختلسون رواتب الجنود، استخدم يو في مرتبه لتوفير المزيد لجنوده لذلك لطالما كان جنود عائلة يو منتصرين. وبالإضافة إلى ذلك، لم يكن هناك شك بفضيلته ونزاهته، كان قد كرّس نفسه كليا للانتقام من مسبب العار على يوان كانغ، والترحيب من جديد بالإمبراطورين اللذين تم أخذهما أسيرين.

هل فكّر يو في في مكان استلام الإمبراطور شاو غو وموضعه في حال تم الأخذ بالثأر ليوان كانغ والإمبراطوران اللذان رحب بعودتهما؟ كان مستوى ذكاء يوفي العاطفي منخفضا جدا، فهو لم يتمكن من قراءة أفكار تشاو جاو".

قال هوى ليانغ بينغ بعناد وتنعت: "كلا، أنا أعتقد أنه لربما لم يشأ يو في أن يقرأ ما في ذهن الإمبراطور".

أجابه قاو يوليانغ ببرود: "هذا يعني أنّ يو في كان راغبا في الموت".

بعد لحظات، ثبت قاو يوليانغ عينيه على طالبه: "هل تعلم لماذا يريد الأمين العام شا روجين منك أن تعود إلى بكين؟". لم يعلم هوى ليانغ بينغ وقال إنه لم يخطر في باله مثل هذه الأفكار قط.

أعطت تشونغ تشياو زوجها دفعة وقالت: "أنت ببساطة لا تريد قراءة ما في ذهن الامبراطور، أرجوك أيها البروفيسور أن تشرح الفكرة بطريقة يتمكن هوى ليانغ بينغ من فهمها لكي لا يبقى مشوشا".

فرض البروفيسور قاو من الاستحسان الذاتي، وبدأ بالحديث: "إن ليانغ بينغ في هذه اللحظة هو يو في حينها، مهتما فقط بانغماسه في الحرب والمضي قدما، غير واع لماهية رغبة الإمبراطور الحقيقية". التفت نحو هوى ليانغ بينغ وقال: "استخدم عقلك، ما الذي يفكر به الأمين شا روجين الآن؟ هل يفكر بخلق نزاع بيني وبين لي داكانغ؟ أو بخلاف آخر مع الأمين السابق؟ هو لا يفكر بأي

من الأمرين، رجل بأخلاقك، يهاجم أي شخص بشجاعة في وجهه، صعّب الأمور على شا روجين، وبنتيجة ذلك، أهنت الجميع، من الرئيس إلى أصغر عامل، لا يمكنك البقاء في المقاطعة كرئيس لمكتب مكافحة الفساد، ربما مغادرتك الآن أمر جيد، إن لم تغادر الآن، سيحصل لك على الأرجح ما حصل في جناح الرياح والأمواج".

مثّل هوى ليانغ بينغ حركة ذبح رقبته بيده: "اوه، يقتلونني بتهم ملفقة؟". قاطعته تشونغ تشياو: "ليانغ بينغ، عليك أن تعرف الصواب، إن البروفيسور لا يحاول إخافتك". "هل ترى؟ لدى تشونغ تشياو ذهنا أصفى من ذهنك، لحسن حظنا أنها أتت اليوم".

هز قاو يوليانغ رأسه موافقا بشكل متكرر رافعا لواء الحق مرة أخرى، منغمسا في السفسطة، وبأروع حالاته كليا.

"بالطبع، لا يمكننا أن نكون سلبيين جدا، فلا يمكن لأي شيء في العالم أن يثبط عزيمتنا ويثنينا عما نريده، الصين اليوم هي جمهورية الشعب تحت قيادة الحزب، وليست تحت سلالة سونغ الشمالية المنحطة، وأنت يا هوى ليانغ بينغ لست يو في، أنت النائب العام لشعبة تحت قيادة الحزب".

ابتسم هوى ليانغ بينغ بشيء من السخرية: "أنت تستخدم الجدليات مرة أخرى أيها البروفيسور؟".

قال البروفيسور بحمية: "إن الجدليات هي بالتحديد ما يجب علينا أن نستخدم، الجدليات والماديات هي أساس فلسفتنا الشيوعية".

أخيرا، ربت المعلم على ساق طالبه، وطلب منه ألا يكون متجهما هكذا، بل أن يعطي فكرة العودة حقها من التفكير الملي، فإذا كان راغبا بالعودة، فسيقوم البروفيسور بالتحدث مع شا روجين عن الموضوع، وسيتم إيقاف التحقيق من البداية. أيا يكن الأمر، فهم لم يتمكنوا من إيجاد الشاهدين حتى الآن.

أشار هوى ليانغ بينغ أنه حتى لو تم نقله إلى بكين، فهو يأمل أن يتم استكمال إجراءات التحقيق بدقة، وألا يتركوا أدلة سائبة. وعده قاو يوليانغ قائلا: "بوجود معلمك هنا، لن نترك أي دليل ينفد منا، وسأشيد بك".

عندها فقط، وضّح هوى ليانغ بينغ موقفه: "إذا كان الوضع كذلك، فلا بأس".

بعد مغادرة منزل قاو يوليانغ، عاد هوى ليانغ بينغ وتشونغ تشياو إلى منزلهما سيرا على الأقدام. في تلك الساعة، كان عدد الناس في الشارع قليلا جدا، ونادرا ما مرّت سيارة أو اثنتان. عمّ الهدوء والصمت كل الأرجاء. وعلى الرغم من أن اللّيل قد حلّ، إلا أن الجو كان دافئا بشكل غير متوقع، الرياح الشمالية كانت قد توقفت، وبدا كما لو أن الشتاء قد رحل في الوقت الحالي. ولكنه تكدّس تحت شجر الجميز، على جانبي الطريق حيث لم تكن أكوام الثلج قد ذابت كليا، مذكّرة الناس بحصول عاصفة ثلجية منذ فترة ليست ببعيدة.

تحدث هوى ليانغ بينغ وتشونغ تشياو بينما مشيا عبر الشوارع الخالية الهادئة، وكلاهما ذو قلب مثقل بالهموم. قالت تشونغ تشياو: "هل يجدر بنا أن نودع ماضينا هنا والآن؟ تلك الأيام البريئة المفعمة بالمثالية والحماس في الصبا؟". تنهد هوى ليانغ بينغ وأجاب: "سنودع ماضينا والآن، بعد هذه الليلة، جميع المشاركين في ماضينا، أيا كانوا، المعلم والطلاب، الرؤساء والمرؤوسين، هم من ذكرياتنا، ولا يمكننا حمل جميع ذكرياتنا بخفة".

ركلت تشونغ تشياو ما بقي عالقا على حافة الرصيف من الثلج، وطرحت على السماء السوداء البعيدة سؤالا: "ما خطب الناس في هذه الأيام؟ هل يجب عليهم أن يأتوا ويلوثوا تلك البقايا الصغيرة من الذكريات؟ إن ذلك يسبب لي الكآبة".

قال هوى ليانغ بينغ أيضا بندم وحزن: "أجل، ذكريات الماضي جميلة لأن لدينا واقعا نقارنها به، في سنواتنا الأربع في جامعة إيتش، قابلنا بروفيسورا شهيرا كان رائعا ومتحمسا. وبعد أن تم نقلي إلى مقاطعة إيتش، بعد مرور أربعة أشهر على استلامي لمنصب رئيس مكتب مكافحة الفساد، اكتشفت النفاق والوقاحة، الخبث والخداع، من قبل السياسيين، مما أصابني بالحزن وأمرض قلبي". علم هوى ليانغ بينغ أن معلمه هو مجرد مرحلة يمرّ بها، فقال لزوجته أنه منذ فترة ليست ببعيدة كان قد اشترى حجرا من جبل تاي، وحمله على أمل أن معلمه هذه المرة سيكون لويح حجر جبل تاي في حربه ضد الفساد، ولكن كلما تقدموا في القتال أكثر، لمسوا المصالح الرئيسية، وفي النهاية أظهر معلمه أوجهه الحقيقية، صدمه وتركه منذهلا. في الوقت الحالي، كان معلمه يجبره على مغادرة أرض المعركة... وكلما تكلم هوى ليانغ بينغ ازداد اضطرابه وتهيجه، ولوّح بيديه من وقت لآخر.

أمسكت تشونغ تشياو بيد زوجها بلطف، وبصمت مشت إلى الأمام. "لا يزال أمامنا طرق لنسلكها، ابق هادئا، وامش بخطا بطيئة وثابتة".

44

كانت قاو تشياو تشين مقيمة في جناح فندق الفصول الثلاثة في هونغ كونغ، موجهة نظرها وذهنها نحو الشمال ليلا ونهارا وكل ما يشغل بالها هو الناس والعلاقات في مسقط رأسها. كان الفندق مليئا بالضيوف من البر الصيني، كل منهم لوّث يديه بقضية من القضايا، وصارت أصابعه دبقة، وسعى لكي يكون مختفيا عن أي أحد حتى تصبح الأمور طي النسيان.

لقد اخترعوا اسما مستعارا للفندق وهو برج التحديق شمالا، الصين كانت في الشمال، ولم يكن هؤلاء الناس قادرين على العودة حيث لم يكن بيدهم سوى تمضية وقتهم في فندق الفصول الثلاث. وبسبب اشتياقهم إلى منازلهم، كانوا دائمي التحديق نحو الشمال مع تنهدات ثقيلة. كان هذا الفندق عجيبا جدا. شخصيات غريبة كان تتنقل في الردهة، القاعات، البار، وغرف الفندق، عملاء الاستخبارات المتجولون، المحطمون سياسيا، رؤساء شبكات تبييض الأموال، وشركات غامضة مختصة في دفع كفالات للناس...

وغالبا ما كانوا يقيمون مناسبات مثل حفلات الشاي، والشراب، وحفلات البلدات، وإلى ما هنالك. في بعض تلك الحفلات يصل سعر الكرسي إلى عشرات الآلاف من اليوانات. وحال هروب قاو تشياو تشين، صنعت لنفسها بعض المعارف من عملاء الاستخبارات، وبعد مساومتهم، عزمت على شراء كرسي في هذه الحفلات بغية التعريف بنفسها إلى شخص من ذوي النفوذ. وكان نفوذ هذا الرجل يجري عميقا وبشكل واسع، وهو من الخبراء بالقضايا المالية، ومحاولات إنقاذ من ذهبوا خارج مقاطعة إتش على البر الصيني. وعندما استقرت الأمور وكانت قاو تشياو تشين على وشك سحب أموالها، اتصل تشي تونغ وي بشكل مفاجئ.

أخبرها تشي تونغ وي أن الوضع في المقاطعة قد بدأ بالتحسن، وأن البروفيسور قد وضع كل أوراقه بين يدي الأمين الجديد شا روجين. وأن ذلك الأسد لم تحن فرصته، وهو حتى الآن لم يوضع خلف القضبان، لذا فعليه مواجهته وهزيمته.

كانت عائدات الاستثمار في السنوات السابقة جيدة بالنسبة إلى السيد تشياو. وكان أيضا يتحرى ويحقق في القضية بشكل استباقي، ولم يجرؤ على محاولة تقليص أي عمل، فهو يعلم أنه لن يكون قادرا على الهرب في حال انتهاء اللعبة بخسارته.

ونتيجة لذلك طلب تشي تونغ وي من قاو تشياو تشين وتشاو رويلونغ بأن يسارعا بالعودة خشية أن يفترض الناس أنهما من المذنبين.

لم يكن الجو في فندق الفصول الثلاثة جيدا جدا. كانت السلطات في البر الصيني تحارب الفساد بشراسة، والأخبار السيئة تأتي باستمرار من كل مكان. وكان تشاو رويلونغ في حالة فزع وتوجس ذهب خياله في اتجاهات مختلفة، وتساءل إذا كانت مكالمة تشي تونغ وي نتيجة تلاعب أحد ما. فإذا لم يوقع تشي تونغ وي وقاو يوليانغ بهوى ليانغ بينغ، وقام الأخير بالإيقاع بهما، فإن العودة تعني الدخول مباشرة في الفخ.

لم يجرؤ تشاو رويلونغ على العودة، ولكنه لم يشأ معارضة رغبة قاو شياو تشين بالعودة. وفي تلك الأثناء، فهمت قاو مكر ودهاء تشاو رويلونغ وبأنه يريدها أن تكون كبش الفداء، ولكنها كانت تثق بتشي تونغ وي، على الرغم من توجّسها وخوفها، إلا أن ما شغل تفكيرها هو ما الذي هي مجبرة على القيام به في حال عودتها.

استقبلها تشي تونغ وي شخصيا في المطار بروح عالية، وبدأ بإخبارها كثيرا من الأشياء حال انطلاقهما: "كانت هذه الحرب مثيرة للقلق، ولولا أن ضربة البروفيسور قاو كانت في وقت مثالي ضاغط من جميع النواحي، وأمسك بهوى ليانغ بينغ من رقبته، لكنا قد اضطررنا لقتل ليو شينجيو في تلك الليلة. طلب البروفيسور من مكتب الرقابة وإنفاذ القانون للجنة الشؤون القانونية والسياسية رؤية فيديو التحقيق. وبغض النظر عن مشاكله الخاصة، فإن ليو لم يمتلك الوقت للتحدث عن أمور متعلقة بعائلة تشاو ومجموعة شانشوي". بعد سماع هذا تنهدت قاو شياو تشين مرتاحة، فعلى الأقل هم في أمان الآن.

تربّعت الفيلاّ الرائعة بشكل أنيق أعلى نقطة من جانب الهضبة، ولم تفتح أبوابها للدخلاء. كانت عش الحب لكلّ من تشي تونغ وي وقاو تشياو تشن، وعالمهما الخاص. ففي لحظة فتحهما للباب ودخولهما، رمى كلّ منهما نفسه في أحضان الآخر وقبّلا بعضهما بشغف. لقد عادت أخيرا ولم يعد هناك داع للخوف أو التوجس. فقد عانت خلال اختبائها في هونغ كونغ من الهزال والإنهاك مما سبب الألم لقلب حبيبها لدى رؤيتها هكذا - واستطاعت تبين نظرة العطف والحنان في عينيه. ورغم العناق والقبلات إلا أن الخوف ظل معششا في قلبها.

"إن هوى ليس بشخص يسهل التأقلم معه، ماذا لو حصل شيء سيئ فجأة، فما الذي سيحدث؟".

أجاب تشي تونغ وي: "عندها سنضطر للانسحاب، حتى لو لم يحصل أي شيء سيئ، لا يتبقى لنا غير الانسحاب، لذا يجدر بك أن تسارعي في نقل أموالك وممتلكاتك إلى الخارج". قال كلمته تلك وهو يلوح بيده بشكل قاطع: "لا تعكري صفو مزاجي بذكر هوى ليانغ بينغ ذاك". توجه كل منهما إلى الطابق العلوي وأخذا حماما، وقبل توجههما إلى السرير، رن هاتف تونغ وي رنة واحدة؛ معلنة أن أحدهم قد أرسل شيئا ما. فتح تشي تونغ وي هاتفه وألقى نظرة. يا للهول، إنها ثلاث صور فاضحة لمعلمه، فأصابه الذهول للحظة.

وإلى جانبه أشارت قاو شياو تشين بصوت منخفض: "أوه لا، إنها بالتأكيد الفوضى التي سببها تشاو رويلونغ". وقبل أن يتمكن تشي تونغ وي من قول أي شيء رن هاتفه، كان قاو يوليانغ يتصل به، وقام الأخير باستجوابه: "تشي تونغ وي، هل رأيت الصور التي أرسلتها البروفسورة وو؟ ما الذي يجري؟ من الذي حصل على الصور؟ من أين؟ اكتشف لي الأمر؟".

وقف تشي تونغ وي عاريا تماما، مستقيما كقضيب صلب بجانب السرير، وهو يعطي وعودا مستمرة لقاو يوليانغ، وقطرات العرق تقف ثابتة على جبهته. طلب الأمين قاو يوليانغ من المدير أن يعطيه تقييمه الخاص؛ هل من الممكن ألا يملك أدنى فكرة عما يجري؟ ذكر تشي تونغ وي شيئا ما: "هناك رئيس جلسة معين يدعى دو كان قد عمل مع تشاو رويلونغ في الماضي، وقد حصل خلاف بينهما حول حصص الأسهم للمطعم الراقي. فهل يمكن لرئيس الجلسة دو ذاك أن يخرج ويدمر خطتنا؟".

هنا تساءل قاو يوليانغ: "هل عاد تشاو رويلونغ من هونغ كونغ؟". أجاب تشي تونغ وي: "كلا لم يعد، إن ذلك المتأنق متوجس وخائف".

قال قاو بتشديد: "فكر بطريقة تجعله يأتي في الحال، يجب أن تحل كل من مشاكل أسهم معمل دافنغ والمطعم الراقي. إن لم يخرج هذا النذل من الورطة نظيف اليدين، فسيؤثر على الوضع".

أخيرا قال بامتعاض: "لحسن الحظ، إن هذه الصور قد وقعت بيدي هوى ليانغ بينغ، فقد أتى باحثا عن خيط في هذه اللعبة. وإلا لما كنت على دراية بما يجري، ولن أعلم عندها بالموت حين يباغتني". وبيقظة سأله تشي تونغ وي: "بروفيسور قاو، ما الذي تحدث عنه هوى ليانغ بينغ عندما كان معك؟". قال قاو يوليانغ: "عن اغتنام الفرصة للعودة بلباقة، فهو ينوي العودة إلى بكين". سأل تشي تونغ وي: "هل يعقل أن يغادر بهذه السهولة؟ هل يمكن أن يعترف بانهزامه ببساطة ويعود إلى بكين وسمعته ملطخة هكذا بلا أي تفسير؟". قال قاو يوليانغ: "لن يعود وصفحته ملطخة، فقد وعدته بتنظيف سمعته وجعلها ناصعة البياض".

وعند انتهاء المكالمة كان تشي تونغ وي لا يزال متوجسا، وبجانبه قاو شياو تشين تقول له: "لا تشغل نفسك بمسألة ليانغ بينغ الآن، يجب أن تسرع وتجد تشاو رويلونغ وتسأله عن هذه الصور الثلاث".

أمسك تشي تونغ وي هاتفه حالا ولكن بشكل غير متوقع، تبين أن هاتفي تشاو رويلونغ قد تم إغلاقهما، وكان من الصعب الوصول إليه في هذا الوقت. قال تشي تونغ وي بغضب: "ذلك النذل الوضيع، سأطلب من أصدقائي في هونغ كونغ التصرف...".

كان لدى تشاو رويلونغ سبب لعدم رغبته بالعودة إلى جينغتشو. من سنين بعيدة، في ليوتشاو عندما ذهب إلى العقارية، وخطط للمطعم الراقي، دعا زميل صفه، دو بوزونغ ليكون المدير العام، ووعده بإعطائه عشرة بالمئة من الحصص الإضافية، ولكنه لم يتابع إلى النهاية ولم يف بوعده. فتشاجر دو بوزونغ معه وتركه، وبدأ العداء بين الرجلين، وكل منهما يحاول تخريب مخططات الآخر وعمله.

منذ أربع سنوات في بكين، أبلغ دو بوزونغ عن شركة تشياو رويلونغ بأنها تقوم بالتهريب، وهذا ما أخاف تشاو وأجبره على الاختفاء بشكل مفاجئ مدة سنة ونصف. ومنذ سنتين أمسك تشاو رويلونغ بدو بوزونغ وهو يمارس الدعارة، وأرسله إلى قسم شرطة جينغتشو.

وعلى الرغم أنه لم يحتجز سوى خمسة عشر يوما، إلا أنه عانى بقدر كاف وكان على وشك الموت. وبعد خروجه أفصح عن نيته في المصالحة، ولكن تشاو رويلونغ لم يأخذ كلامه على محمل الجد؛ المصالحة مع شخص فاشل؟ إنه لشيء مستحيل.

أما الآن فقد تغيرت الأمور، وها إن قسم مكافحة الفساد يعمل بشكل حقيقي، والفاشل دو بوزونغ قد هرب إلى هونغ كونغ أيضا مثله. اعتمادا على مصادر موثوقة، فقد ساءت أحوال دو بوزونغ وفساده بشكل كبير، وكان غارقا حتى أذنيه في الديون. وكان يتوجب عليه الذهاب من مكان إلى آخر في هونغ كونغ بغية إخفاء محنته المأساوية.

وبوجود كلّ منهما على القارب نفسه، لم يستطيعا تحمل المزيد من التناحر والاقتتال. والأهم من ذلك أنهما تعاونا بشكل سري في أعمال كثير في ليوتشاو. ووثّقت الصور كل ذلك التعاون. وفي حال ألقت الحكومة الصينية القبض عليهما، فإن مجموعة من الناس في مقاطعة إيتش سيلقون حتفهم. الشيء الوحيد الذي أثار خوف تشاو رويلونغ الكبير هو أن اليأس قد يدفع دو بوزونغ لاستخدام ملف تعاونهما المشترك آنذاك ويقوم بالتبليغ عنه بهدف الحصول على جدارة الخدمة.

وحصل المتوقع، حيث لعب دو بوزونغ هذه اللعبة وأرسل رسالة إلى تشاو رويلونغ مع عميل استخباراتي يدعى لو شينغ، قائلا إنه يمتلك ثلاثة أقراص صلبة مثيرة للاهتمام، ويودّ إعطائها لتشاو رويلونغ بدافع الصداقة. وحال سماعه لذلك، فهم تشاو رويلونغ أن المشاكل قد بدأت. وأرسل مع لو شينغ قائلا إنه يرغب في السلام الآن أكثر من أي وقت مضى.

وبتلك البساطة حلّ السلام، وتحلى بعدها الرجلان بالوقار والاتزان وحين التقيا، حيا أحدهما الآخر بكل مودّة، تصافحا، تعانقا وبقيا يومئان برأسيهما مبتسمين. ولكن، حال مغادرة الوسيط لو شينغ سقطت الأقنعة. فكر تشاو رويلونغ بهذا القناع واندفع قائلا: "ما هذا، ابتزاز مفاجئ؟ أهذا هو الأمر؟".

وقال يائسا: "أيها الرئيس دو بوزونغ، يا لك من رجل جاحد، أتتجرأ في وقت كهذا على ذكر الأحقاد مرة أخرى؟".

أخذ وجه دو بوزونغ تعبيرا ليس بسعيد جرّاء سماعه لهذا التعليق وقال: "أيها المدير تشاو، يجب على الأحقاد أن تذكر، ولسوف تذكر مهما بلغت من العمر، الأحقاد تبقى أحقادا. وبالتأكيد يتوجب عليك الاعتراف بما قمت بفعله؟".

قال تشاو رويلونغ: "هل تقصد النسبة الضئيلة من حصص أرباح شركة لونغ هوى؟ لا تقلق، فأنا سأعيدها إليك".

ضحك دو بوزونغ مرة أخرى وقال: "الآن، هذا أفضل، وسأسلمك أيضا كلّ ما تريده". قال ذلك واضعا ثلاثة أقراص صلبة أمام تشاو رويلونغ.

التقط تشاو الأقراص، نظر إليها واحدا تلو الآخر، وسأله: "أهذه جميع موادنا الإعلامية من الماضي؟".

مومئا برأسه، قال دو بوزونغ بشيء من المبالغة: "هذا صحيح، جميعها هنا بالتأكيد، قاو يوليانغ، قاو تشياو تشين، تشي تونغ وي، دينغ يجن.. وهلم جرا... جميعهم هنا، وهذه هي النسخة الوحيدة المتبقية". وبعد المواجهة وتبادل الأسرار خفت حدّة التوتر. شرب الرجلان النبيذ وتبادلا أطراف الحديث والحنين للماضي.

الخطوة الصعبة كانت بدْء المشروع، كما أن الاضطرار للتعامل مع قاو يوليانغ لم يكن بالأمر السهل. في تلك الأيام كان قاو يوليانغ أمين لجنة الحزب في مقاطعة لو تشاو.

في المرة الأولى التي تواصل فيها كل منهما مع قاو يوليانغ، اصطدما بجدار لم يكن قاسيا ولا لينا في آن واحد. كان تشاو رويلونغ قد وضع اقتراح مشروع حدائق جانب البحيرة، ومطعم راقٍ أمام قاو يوليانغ الذي دفعه بعيدا بابتسامة ودية وطلب أن يبحثوا عن لي داكانغ. كان الأخير على خصام مع قاو يوليانغ ولذلك توعد داكانغ أن يطلب من والده أمين مجلس حزب المقاطعة أن يقوم بنقل لي داكانغ بعيدا جدا. وقد تأمل قاو يوليانغ بأن العمدة المسيطر سوف يرحل بعيدا، ولم يستطع تصديق فكرة أنّ أمين مجلس حزب المقاطعة سيصغي إلى ابنه التاجر.

وبشكل غير متوقع، أرسل لي داكانغ فعلا إلى لينتشينغ.

حين بدأ قاو يوليانغ بالهجوم من دون أن يولي الأمر أية عناية، على الرغم من تغيير طريقته. قدم دو بوزونغ لقاو يوليانغ هدية وهي قطعة قيمة من فن الخط ولوحة لشانغ داكيان حيث أقدم دو بوزونغ على شرائها بقيمة ستمائة يوان. ولكن قاو يوليانغ كان خجولا حينها ولم يجرؤ على قبولها، ولكنه طلب أخذها بعيدا بلهجة صارمة.

وكملاذهما الأخير لعب كل منهما ورقته الرابحة. التي لم تكن سوى الفتاة الفائقة الجمال قاو والتي لطالما سعيا إلى تقديمها وتعريفها إلى وسطهما الخاص. إذ لا يشترط على الأبطال أن يكونوا مولعين بالمال فقط، بل أيضا بالنساء الجميلات. وفي ذلك الوقت، ساهم دو بوزونغ بشكل فعال، ففي وقت قياسي، استطاع قولبة ابنة صياد السمك قاو الصغيرة، وتحويلها إلى شابة ساحرة ذات ثقافة عالية، أدبا وتهذيبا، ومراعاة لشعور الآخرين.

جعلها دو بوزونغ تعضّ عيدان الطعام كي تتعلم كيف تبتسم، علمها أيضا كيف ترتدي الشيونغسام، وتمشي مرتدية الكعب العالي وتتمرس بقواعد الاتيكيت وآداب السلوك. كما طلب من شخص مختصّ بتاريخ سلالة مينغ من جامعة لو تشاو أن يساعد قاو الصغيرة في دراسة تاريخ عائلة مينغ والتي كان قاو يوليانغ واسع الاطلاع وضليعا بها.

أعجب قاو يوليانغ بقاو الصغيرة، حيث ذهل بذهنها المتقد الجميل المليء بالأدب. كانت قادرة على مناقشة كتاب راي هوى نغ عام 1587: ولم يحظ هذا الكتاب باهتمام قاو يوليانغ وهو الذي يرصد لتاريخ انحدار سلالة مينغ مع قاو يوليانغ.

يوم افتتاح شركة العقارات وبدئها العمل، رتب دو بوزونغ عرضا مميزا، حيث شعرت قاو الصغيرة بالدوار وارتمت بين ذراعي قاو يوليانغ. لاحقا، أعطي دو بوزونغ قاو الصغيرة فيلا خاصة لتتابع هي وقاو يوليانغ إجراء بحثهما الأكاديمي. أشارت تسجيلات خاصة أنهما لم يعيرا كتاب 1587 أي أهمية ولم يقاربا تاريخ سلالة مينغ بعد ذلك.

اعتاد قاو يوليانغ على ممارسة فن الخط وقاو الصغيرة رفيقة الدرس تلك الشابة الجميلة ذات العقل المنفتح تنتظر بجانبه حاملة الحبر والقلم. وفي النهاية، نزع قاو يوليانغ ملابس قاو الصغيرة

ذات الطابع الأنثوي وجسده مثبت فوق جسدها... يا له من تسجيل جميل. جعلت الذكريات دو بوزونغ يتنهد والمشاعر تملأه وهو يقول: "وإذا نظرنا إلى الماضي، لبدت عملية ايقاع قاو يوليانغ شاملة متعددة الأبعاد". فقال تشاو رويلونغ: "أجل أيها الرئيس دو، فلقد تفوقت على نفسك بالتأكيد". قال دو بوزونغ بتواضع: "لقد مدحتني أيها المدير تشاو، ولكنك كنت المخطط الرئيسي". وضحك الشريكان عاليا.

"أيها الرئيس دو، أنت لم تستخدم المواد لتوقع بي وتورطني، أليس كذلك؟ عليك أن تكون صادقا معي". بدا دو بوزونغ محرجا قليلا: "أيها المدير تشاو، أنت الوحيد الذي يفهمني، لقد أخرجت ثلاث صور من مجموعة قاو يوليانغ وقاو الصغيرة كتذكار لطيف". قال تشاو رويلونغ بغضب: "لقد قمت بخيانة قاو العجوز في وقت كهذا، ولا تزال تدّعي بأنه شيء لطيف؟".

تغيرت ملامح دو بوزونغ أيضا: "انتظر، بالطبع هذا شيء لطيف، لو لم يكن كذلك لكنت أخرجت الأقراص الثلاثة بأكملها، فكلانا يعلم كثيرا عن الأسرار المخبأة في هذه الأقراص الصلبة، متضمنة مشهد السرير الذي قدمه كل من قاو يوليانغ وقاو الصغيرة؟ يا له من شيء مخز".

تنهد تشاو رويلونغ: "ما الوضع الحالي؟ سيجد الجميع أنفسهم في خطر من مكافحة الفساد، ومع ذلك فإنك تفعل شيئا كهذا".

ارتسمت نظرة من اليأس على وجه دو بوزونغ: "لم أستطع منع نفسي، أنا بحاجة إلى المال، فمن دون الخمسين مليون يوان، فإنه لا يسعني التغلب على هذا الإخفاق. فقط ساعدني أيها المدير تشاو واشتر هذه الأسرار مني". أمال تشاو رويلونغ برأسه وفكر بالأمر. فالأمر بتلك البساطة، في حال لم يرغب بشرائها؟ سيقوم دو بوزونغ بتجزئة هذه الأقراص الثلاثة وبيع الأسرار التي فيها بشكل منفصل - مرة لقاو يوليانغ وأخرى لقاو الصغيرة.

إن تشي تونغ وي هو مدير قسم الأمن العام الآن، وقد أخذ كمية كبيرة من الرشاوي. ولن يدعه دو بوزونغ يفلت من ذلك بسهولة. من المؤكد أن ما يفعله دو بوزونغ شيء خطير، وعلى وجه العموم، هذا العمل سيودي بحياته. الضربات الكبيرة الأخرى عدا تشي تونغ وي من الممكن أن تكون سبب دماره. ولكن في هذه اللحظة، كان التوتر يملأ المكان، لم يجرؤ تشاو رويلونغ على المخاطرة وجد نفسه مرغما على إبرام صفقة. وبالموافقة على هذه الصفقة أعطى وديعة قدرها

عشرون مليون يوان إلى دو بوزونغ وسأله: "أيها الرئيس دو، هذه التسجيلات التي بين يديك لن تعود إلى الظهور من جديد، أليس كذلك؟".

قال دو ضاحكا: "كلا، لن تعود أيها المدير تشاو، فقد قمت بشراء أسرارنا الكبيرة هذه، وأنا لا أملك حقوق النشر، فكيف لي أن أجرؤ على نشرها بشكل غير قانوني؟". أصدر تشاو رويلونغ صوت شخير وقال: "طالما أنك تفهم، فأنت تعلم على الأرجح ماهي عواقب النشر غير القانوني". وبعد تعامله مع هذا الثعبان دو بوزونغ، أراد تشاو رويلونغ أن يسترخي قليلا.

في تلك الليلة، أحضر فتاة هوى من الفئة الأولى لمرافقته في السرير. وعندما ارتمى على الأريكة الطويلة وأخبر الفتاة أن تدلك وتفرك كتفيه، اتصل تشي تونغ وي وسأله: "ما الذي يحصل؟ لم هواتفك مطفأة؟". فبدأ تشاو رويلونغ بإخباره عن المفاوضات مع دو بوزونغ، ومن فوره سأله تشي تونغ وي: "ما قصة صور قاو يوليانغ وقاو الصغيرة؟". قال تشو رويلونغ: "رجال دو العجوز أرسلوا هذه الصور، لقد أزعجني ذلك، أيها المدير، اطلب من قاو يوليانغ التفكير في طريقة للتعامل مع الأمر. وفي جميع الأحوال، فإن الصور الفاضحة ليست عندما كانا في السرير، وهنا لديهما مجال كبير للمناورة". سأله تشي تونغ وي بحزن: "وصوري أنا، متى سترسل؟".

بسرعة أجاب تشاو رويلونغ: "كيف لنا أن نملك صورا لك؟ وبجانب ذلك، فإن الرئيس دو لن يجرؤ على ذلك". بعد مرور دقيقة من الصمت سأل تشي تونغ وي: "هل لك أن تضمن لي أن دو العجوز سيكتفي بهذا؟". قال تشاو رويلونغ: "أجل، أنا أضمن لك ذلك، أضمن لك ذلك بكلّ تأكيد، وفي حال ظهور صورة واحدة أخرى، تستطيع قتلي، إعدام بلا محاكمة".

كان تشاو رويلونغ يعلم بأنّ مدير قسم الأمن العام هو خصم هائل، لذلك فقد أكد له بإصرار أنه بقي في هونغ كونغ إلى ذلك اليوم، ولم يعد من أجل تسوية الأمور مع هذا العجوز الخسيس دو. والآن، بوجود الثعبان كامنا في الحشائش، صار من الواجب التخلص من دو بوزونغ أو عندها سيترك هونغ كونغ ويعود إلى الوطن سريعا، عندها فقط يمكنهم الكلام بالتفصيل عن ذلك الشخص.

استمع تشي تونغ وي إليه وأغلق الهاتف من غير أن ينبس بكلمة، بينما قلب تشاو رويلونغ الهاتف بين كفيه في حالة من الذهول.

في هذه اللحظة، رن جرس الباب. ذهبت فتاة الهوى وفتحت، وإذ بمضيف وسيم يدخل حاملا طبقا عليه أزهار نضرة جدا وظرف لدعوة ما. سأل تشاو رويلونغ: "من أرسل هذا؟". قال المضيف: "رجل محترم". افترض تشاو رويلونغ بأنّ دو أراد أن يعبر عن ندمه - بعدما تعاهدا على هدنة أقاماها بينهما. يجب على دو العجوز أن يقدّم عربونا عن إرادته الحسنة. أخذ الزهور والبطاقة وأعطى المضيف قطعة نقدية من فئة الألف يوان كإكرامية له.

بعد أن خرج المضيف من الغرفة، خلع تشاو رويلونغ كل ملابسه، وارتاح جسده بينما اتكأ على الأريكة، ويدا فتاة الهوى الناعمتان الطيبتا الرائحة تدلكان وتفركان جسده وهو يفتح الظرف في حالة من الشرود. اندفعت ثلاث طلقات من المغلف، مرتطمة بالأرض بشكل مبعثر، كان قاو يوليانغ قد أرسل هذه الطلقات.

صرخت فتاة الهوى برعب كما لو أن تشاو قد أصيب فعلا بتلك الطلقات، وبضعف انسحبت إلى الغرفة. بينما ارتعب تشاو رويلونغ، وحزم حقائبه حالا وأسرع بالعودة إلى البر الصيني في تلك الليلة.

حالما نهض تشي تونغ وي في الصباح، ذهب إلى مسبح منتجع شانشوي. فلطالما أحب التمرين، ولطالما أحب أن يمارس التأمل أثناء قيامه بذلك. لم يكن هنالك أي شخص أمامه في المسبح، وكان ماء المسبح الصافي ناعما كالزجاج المصبوغ باللون الأزرق.

على الرغم من أن درجة الحرارة كانت قد عدلت لتصبح 25 درجة مئوية، لكنه شعر برجفة عندما نزل إلى الماء. تنشط تشي تونغ وي واخترق الماء كسمكة كبيرة تسبح نحو الأمام. وهنا بدأت التّروس تدور في رأسه بسرعة كالمحرك.

حتى هذه اللحظة، كانت الأمور لا تزال على ما يرام. أفزعت الطلقات الثلاث تشاو رويلونغ وأجبرته على العودة وقد أحضر معه أسرار دو بوزونغ العجوز.

كان شا روجين قد أنزل البطاقات التي في يده إلى أرض المعركة بحضور البروفيسور. فلم يكن عازما على خلق نزاع بينه وبين البروفيسور ولي داكانغ، وكان حتى أقلّ رغبة في إهانة تشاو ليتشون.

بدت الأمور كما لو أنها أخذت منعطفا جيدا ولكنّ قلقا غامضا استحوذ على تفكيره. كان يشك في كلّ من شا روجين وهوى ليانغ بينغ، ولكن شكه الأكبر يتمركز في هوى ليانغ بينغ لأن حدسه يقول له إن زميله الصغير لن يعترف بالهزيمة هكذا. فبعد كل شيء، إن هوى ليانغ بينغ قادم من مكتب مكافحة الفساد التابع للنيابة العامة العليا.

وحتى لو تشبّث شا روجين ببطاقته الرابحة، حتى لو صار غير راغب في الهجوم، فلا ضمانة أن ملك القردة ذاك لن يقوم بالهجوم. فالشاهدان هما المفتاح الرئيسي، إن المشكلة كبيرة جدا ولم يتم إيجاد الشاهدين بعد. هل من خدعة في ذلك؟ كيف يمكن لشاهدين اثنين أن يختفيا بشكل متزامن؟ لا يمكن لهذا أن يحدث إلا في حال قام هوى ليانغ بينغ بذلك بالتواطؤ مع شاو دونغلاي، أليس كذلك؟ لم لمْ يستطع إيجاد الشاهدين مستعينا بنظام الأمن العام الخاص بنطاق المقاطعة؟

كان البروفيسور قد خذل حراسه إلى حدّ ما. ألم يتخيل أبدا أن موافقة هوى ليانغ بينغ على العودة إلى بكين قد تكون ستارا للتمويه عن قصد؟ هل يعقل لخصم عنيد كهذا أن ينسحب ببساطة من الحلبة؟

لم يجرؤ تشي تونغ وي أن يظهر عدم اهتمامه بالأمر، فهو في النهاية يتعلق بكل ما هو عزيز عليه، وبجميع إنجازاته التي ناضل من أجلها طوال حياته. يجب عليه أن يبقى يقظا، ففي تلك اللحظة، كان إيجاد الشاهدين هو الحل الوحيد الحاسم لانتصاره. فهو لن يواجه أي مشكلة إن وقع الشاهدان بين يديه. فهو يملك ما يجعلهما يعطيانه الدليل الذي طلبه، ولكن في حال وجد هوى ليانغ بينغ الشاهدين فإن التيار سينقلب ضده.

وضع تشي تونغ وي رأسه تحت الماء، وبدأ بنفث فقاعات الهواء وهو يفكّر ويحلل الأمور. ما الذي يجب فعله تاليا؟ كيف يمكن له أن يجد هذين الشاهدين؟

في هذه الأيام، استعان بكافة الوسائل التقنية، معارف وعلاقات، وأدلة لإيجادهما، حتى أنه نظم فريق استطلاع لمراقبة مكالمات جميع المتورطين بالأمر. وحتى تلك اللحظة، لم يتمكن فريقه من إيجاد أي أدلة مفيدة. كان الأمر غريبا جدا، هل يعقل أن يكون المحاسب وذلك السائق من معمل دافنغ قد ماتا؟ أين ماتا؟ ليذهب كل شيء إلى الجحيم، فوحدها السماء تعلم ما حدث.

خرج تشي تونغ وي من الماء ينفض قطرات الماء عن رأسه، وفجأة ظهر مضيف يحمل منشفة وثوبا. وقف تشي بلا حراك إلى جانب المسبح فترة لا بأس فيها وهو يجفف نفسه. والموجات ترتعش عاكسة وجهه وجسده على سطح بركة السباحة التي جعلته يبدو قبيحا إلى حد ما.

شعر بأن هوى ليانغ بينغ والنيابة يقومان بعرقلة سعيه وعرقلة عمل قسم الأمن العام. ففي الليلة الماضية، أبلغه فريق المراقبة بشكل خاص عن أن أهدافا محددة تتابع مكالماتها لم تحدث عن أي شيء مهم، بالأخص كتلة العظام تشي يانشي ذاك النائب العام السابق الذي كان ماهرا جدا في التغلب على من يراقبه - والذي يمتلك شغفا غير اعتيادي بهوى ليانغ بينغ. فتوجب عليه أن يكون حذرا لينتبه عن كثب لمكر صديقه القديم بالإضافة إلى لو ييك، تشاو دونغلاي، وجي تشانغ مينغ. يتوجب عليهم توسيع نطاق مراقبتهم، والعمل وقتا إضافيا من دون أن يدعوا أي دليل يمكن كشفه عبر الهاتف يفلت من بين أيديهم.

45

كانت أم لو بيك والتي تدعى ياو شين يي قاضية سابقة. بعد تقاعدها، لم تجد متنفسا تروّح فيه عن الطاقة الفائضة لديها، لذلك عمدت إلى الاهتمام بشكل مبالغ فيه بعمل ابنتها. كانت لو بيك، في منتصف الليل، منكبة على حاسوبها، تعمل وقتا إضافيا لإيجاد أدلة وخيوط حول الشاهدين، والقاضية السابقة كانت تبدي الكثير من الحماسة من أجل القضية أيضا. وبمساعدة القضاة وقرارات القضية، وجدت تلك الطاقة منفذا لها.

شعرت القاضية ياو كما لو أنها قد عادت إلى قاعة المحكمة، وطلبت من ابنتها المنهكة أن تذهب وتتناول بعض حساء بذور اللوتس بينما جلست هي بنفسها لتبحث في المستندات.

شغلت القاضية ياو منصب رئيسة المحكمة المالية لسنوات عديدة، وكانت لديها الخبرة الوافية في التعامل مع القضايا القانونية، كانت بارعة خصوصا في تقييم توزيع كافة أنواع الملكيات. لاحظت عينها الثاقبة تورط مصنع الملابس دافنغ وتساي قونغ في كثير من القضايا وأنّ المحاكم في مناطق عديدة كانت تنتظر دورها لمصادرة ممتلكاته.

أطلعت الأم ابنتها على بعض المعلومات القضائية العامة: "هناك مفارقات يتم القيام بها عند مصادرة الملكيات، فبالنسبة إلى السيارات العادية كالشاحنات وشاحنات صهاريج النفط، على الرغم من قيام المحكمة بمصادرتها، إلاّ أن ذلك لا يؤثر على استخدامها؛ لأنه يتم نقل أو تعديل حقوق الملكية فقط. ولكن السيارات الفارهة التي تساوي أكثر من مليون تقريبا يمنع استخدامها. لن يؤدي استخدامها إلى هلاك السيارة فقط في حال حصول حادث، ولكن سيعانون أيضا من فقدان تلك السيارات المصادرة...".

قالت لو بيك: أنا أعلم ذلك، فسيارة البنز الخاصة بتساي قونغ صنفت كواحدة من السيارات التي منع استخدامها".

في تلك اللحظة صرخت الأم فجأة: "كان الحجز الأول لسيارة البنز خارج المقاطعة. بيك، تعالي وألقي نظرة، لقد تم نشره في الإنترنت. أوقفتها محكمة مقاطعة مدينة تتشياوتو المجاورة لنا". رفعت لو بيك رأسها عن طاولة الطعام لترى. "يبدو ذلك، ما الذي اكتشفته؟". ابتسمت أمها بفخر وقالت: "أيتها الرئيسة لو يبدو أنني قد وجدت سيارتك والرجلين". لوهلة لم تتمكن لو بيك من تصديق كلام أمها: "أحقا فعلت؟". أجابت أمها باستخفاف: "لو لم يكن ذلك صحيحا، فهل هو كذب؟". شعرت لو بيك بسعادة غامرة وهزت أمها: "أخبريني، أسرعي وأخبريني".

بدأت الأم بتحليل القضية: "تبعا للدلائل والقرائن، فقد اختفى الرجلان والسيارة في مدينة يانتاي في الخامس عشر من كانون الأول. ما هي المقاطعات المجاورة لمقاطعة مدينة يانتاي؟ مقاطعة تتشياوتو وعلى الأرجح فقد تم احتجاز هذين الرجلين من قبل مقاطعة تتشياوتو".

صرحت الأم بتحليلها: "احتجزت محكمة مقاطعة تتشياوتو سيارة البنز منذ زمن بعيد، وتمت مصادرة رخصتها، وبذلك تم منع استخدامها أو قيادتها. يا لهذا الثنائي الجيد، فسيتم تخبئة السيارة ونقلها من مكان إلى آخر. حتى أنهما أخذا السيارة ليبيعاها في الخفاء في مدينة يانتاي".

عدت الأم على أصابعها. "اختفت في الخامس عشر من كانون الأول، واليوم هو التاسع والعشرون؛ وبالتالي فاليوم هو اليوم الرابع عشر، يجب أن يستمر الحجز لمدة خمسة عشر يوما، لذلك يجب أن يخرج الرجلان بحلول الغد". فتحت الأم عينيها، وطلبت من ابنتها الذهاب في الحال وإحضار الرجلين وإلا فإنها ستفقدهما مرة ثانية.

وهكذا، بتلك البساطة، عرف موقع الشاهدين الرئيسيين. كانت القضية فعلا هي البحث في كل حدب وصوب دون جدوى، لإيجاد شيء قد يكون وجدوه في الواقع في أقل الأماكن التي نتوقع أن نلقاه فيها.

في اليوم التالي، ذهبت لو بيك بصحبة تشانغ هوى هوى إلى محكمة تتشياوتو وأخرجت الرجلين بكفالة قدرها عشرة آلاف يوان. في طريق العودة اتصل جي تشانغ مينغ وأعطى أمرا بتنظيم تحقيق محلي في بلدية مقاطعة يانتاي. وعندما وصلوا إلى حدود المقاطعة اتصل جي تشانغ

مينغ فجأة وأمرهم بالالتفاف عبر دونغ شيانغ. ولم يعلموا حتى وقت لاحق بأن خصمهم قام بنصب حاجز تماما على حدود المقاطعة وحضّر مجموعة لاعتراضهم. وحين وصولهم أمام بلدية مقاطعة يانتاي اتصل جي تشانغ مينغ مرة أخرى وطلب منهم الالتفاف ومباغتة الخصم عبر التقدم عليهم إلى مكتب مكافحة الفساد في المقاطعة وإغلاق هواتفهم حالا. فعلت لو ييك ما تم أمرها به، أدركت هي وتشانغ هوى هوى أن الخصم هذه المرة لم يكن عاديا، وإنما خصم تمكن من حشد نظام الأمن العام بأكمله، ولهذا تمكن جي تشانغ مينغ شخصيا من مراقبة الأحداث وتوخي الحذر بشكل خاص.

بدا مكتب نائب مكافحة الفساد غامضا مبهما، معزولا تماما ويقف وحده. وبمجرد مغادرة محكمة تتشياوو، كان يرتجف برعب، وأجاب بصراحة عن جميع الأسئلة التي سئل عنها. كان قد بقي مع تساي قونغ لمدة اثنتي عشرة سنة تقريبا، وكان قد دخل إلى معمل دافنغ عبر باب الترشيح المفتوح. كان تساي قونغ يثق به وقد علم بجميع المعلومات من الداخل حول القضايا المالية. وعلم بشأن تأسيس كلّ من تساي قونغ وديغ يجن مع هوى ليانغ بينغ لشركة فحم منذ أربع سنين مضت. فهو الذي ذهب إلى مكتب الصناعة والتجارة في بلدية لينشينغ واتخذ الإجراءات الرسمية. كان تساي قونغ حامل الأسهم الفعلي في الشركة، وليس دينغ يجن أو هوى ليانغ بينغ. فقد طلب تساي قونغ تدوين اسمي الرجلين بغية الاستفادة من نفوذهما.

سألت لو ييك: "وبكون القضية هكذا، هل حصل هوى ليانغ بينغ على نسبة من الأرباح من تساي قونغ؟". كان المحاسب يوو شاهدا جيدا بالفعل، وأجاب بوضوح: "كلا، بالطبع لم يأخذ". كبحت لو ييك حماسها وطرحت السؤال الأكثر أهمية: "أيها المحاسب يوو، في سنة 2014، هل أنشأت حسابا مصرفيا لهوى ليانغ بينغ؟ وحولت أربعمئة ألف يوان نقدا إلى تلك البطاقة المصرفية؟".

نظر المحاسب يوو إلى لو ييك نظرة يملأها الشك. "هل قمت بإنشاء بطاقة مصرفية لهوى ليانغ بينغ؟ لا يمكن أن يحصل هذا؟ أنا لا أستطيع تذكر شيء كهذا. ثم كيف لي أن لا أتذكر مبلغا كبيرا كأربعمئة ألف يوان؟ من غير المحتمل ذلك". وبجانبه قالت تشانغ هوى هوى: "فكر جيدا مرة ثانية؛ فهذا أمر مهم جدا".

حاول المحاسب يوو جاهدا أن يتذكر - إن هوى ليانغ بينغ من بكين. وحتى ذلك الحين، لم يكن قد التقى به مطلقا، ناهيك أن استخدام البطاقة لصاحبها وحده، فكيف للمحاسب أن يقوم بإنشائها

له؟".

قالت لو بيك: إن الحقائق التي لدينا الآن تثبت وتؤكد وجود بطاقة كهذه؛ وهي من بنك مينشينغ. إذا، هل يعقل أن يكون تساي قونغ قد أنشأها لهوى ليانغ بينغ؟".

في النهاية، استمر المحاسب بالإنكار: "لا، لطالما صببت اهتمامي على إنشاء البطاقات المصرفية، وحقا لم أنشئ بطاقة مصرفية لهوى ليانغ بينغ. وفي حال قيامي بذلك فسيكون مدونا في السجلات".

بعد التفكير لفترة من الوقت، لم يتمكن المحاسب يوو من التذكر. وقال إنه قد أنشأ ملايين البطاقات المصرفية، ونقل أكواما من الأموال خلال السنوات القليلة الماضية، وبصراحة يجد صعوبة في التذكر. وإن أفضل طريقة لتوضيح الأمور هي العودة إلى جينغتشو، والبحث في جميع البطاقات المصرفية، عندها سنعلم إن كانت بطاقة هوى ليانغ بينغ موجودة أم لا.

قال المحاسب يوو بأن عددا غير قليل من الخزائن تحوي بطاقات مصرفية تم إنشاؤها، ما يقارب ثلاثمئة أو أربعمئة بطاقة. فسألت لو بيك في دهشة: "ولم أنشأت كل هذه البطاقات؟".

أجاب المحاسب يوو: "إنه شيء لا يمكن التحكم به. تساي قونغ غارق في الدين حتى أذنيه، وقد أصدرت المحكمة قرارا بإغلاق شركات دافنغ واحدة تلو الأخرى. فقد توجب عليه دفع ألف يوان بالإضافة إلى أجور العمال في حال أراد إبقاء الحد الطبيعي للإنتاج، وكان وجود البطاقة أمرا ضروريا لنقل الأموال".

بقول ذلك، بدت علامات الرضا والفخر على وجه المحاسب يوو: "أيتها الرئيسة لو، يجب على الفرد أن يميز نفسه في أي تجارة أو مهنة. لا يقودك الظن أنّ عمل المحاسب شيء سهل، الاعتماد على مئات البطاقات المصرفية تلك لوحدها، تطلب العمل على صيانتها أكثر من سنة كذلك، فقد استطاعت أن أضمن لأكثر من ألف عامل عدم الاستغناء عن خدماتهم".

قالت لو بيك بسخرية: "من الواضح أنك معتاد على حرب العصابات القانونية، أخبرنا كيف قمت بإنشاء كل هذا العدد من البطاقات المصرفية؟ هل عن طرق استخدام بطاقات هوية العمال في المصنع؟".

قال المحاسب يوو: "هل أجرؤ على استخدام بطاقات العمال في المصنع؟ غالبا ما كان المصنع يترك أجور العمال غير مدفوعة، حسنا فالقيام بذلك كالبحث عن المشاكل؟ غالبا ما نستخدم بطاقات هويات العمال المهاجرين من خارج البلد وبطاقات المعارف والأصدقاء أيضا؛ وبالوصول إلى نسخة من بطاقات التعريف إلى العمل. في حال أراد العملاء بشكل عام إنشاء بطاقة مصرفية، فإن البنك يطلب بطاقة الهوية الأصلية؛ أما بالنسبة إلى العملاء أصحاب المؤسسات الكبيرة، فإن المصارف لا تطلب في البلدات الصغيرة الهويات الشخصية الأصلية فقط، بل حتى إن المصارف توكل إلى أشخاص معينين الاهتمام لها".

سألت لو بيك: "وأين تلك البطاقات المصرفية؟".

قال المحاسب يوو: "في الغرفة رقم 1103، بناء رقم 7، حدائق جينغتشي، طريق جيانشي، جينغتشو".

كان مركز القيادة في جينغتشو على الفور مدركا للوضع؛ وحالما توقف المحاسب عن الكلام، اتخذوا الإجراءات حالا.

وُجدت مئات من البطاقات المصرفية في المكان الذي حدده المحاسب يوو، إحدى هذه البطاقات كانت لهوى ليانغ بينغ. وأخذ النائب العام المفوض للمهمة صورة للبطاقة على هاتفه وأرسلها إلى مركز القيادة من دون أي تأخير. وأرسل مركز القيادة مباشرة عبر برنامج وي تشات. وأرتها لو بيك للمحاسب يوو وسألته: "ما هي بالضبط قصة بطاقة هوى ليانغ بينغ؟

لم يتمكن المحاسب بصدق من التذكر. سألته لو بيك مجددا: "هل سحب هوى ليانغ بينغ مالا من هذه البطاقة؟".

أجاب المحاسب: "هذا غير ممكن. لقد قلت لك، هذا هو المال الذي يستخدمه قسم الموظفين لدفع رواتبهم وشراء المواد. هناك سجل لكيفية صرف كل مبلغ على كل بطاقة، وهوى ليانغ بينغ لا يعلم بوجود البطاقة أصلا، وسيكون من غير المجدي معرفته بالمبلغ المذكور على البطاقة".

لقد تم حل القضايا الأساسية، وبدأت الأمور تصبح أسهل شيئا فشيئا. أيد السائق أن السيد تساي قد ذهب إلى بكين لإيجاد هوى ليانغ بينغ لتسليمه سجائر شونغوا وكحول ماوتاي، ولكن هوى

ليانغ بينغ لم يقبل. وبعد العودة من بكين، سلم الكحول والسجائر لمتجر التبغ والمشروبات الروحية ليتم بيعها برسم الأمانة. في الواقع، فإن السجائر والكحول كانت مقلدة ومزيفة لدرجة أنها لم تبع إلى هذا اليوم منذ أن تم وضعها في المتجر.

فقد أعطاهم السائق العنوان التفصيلي للمتجر الذي يبيع برسم الأمانة، عقب ذلك، ذهب وكلاء النيابة المتأهبون للتحقق وتأكيد مكان وجود السجائر والكحول.

في تلك الأثناء، فرقة أخرى من القوات كانت تستجوب تساي قونغ. في البداية استمر تساي في القول إنه بالفعل أعطى هوى ليانغ بينغ أرباح الأسهم - أربعمئة ألف يوان، والتي تم نقلها إلى بطاقة البنك الخاصة بهوى ليانغ بينغ. ولم يقم بتغيير إفادته إلاّ عندما وضّح المحاسب الحقيقة قائلا: "لقد كذبت فقط لأني علمت أنه عاجلا أم آجلا سوف تكتشفون الأمر. لا يمكنني فعل أي شيء. لو كنت قد آتيت بأي حركة، لكان ابني في خطر".

لقد تبين أنه قد تم تهديد زوجة تساي قونغ. أجبرها أحدهم على كتابة ملاحظة، ومرر الحارس الملاحظة إلى تساي قونغ. وقد كتب في تلك الملاحظة جملتان فقط: "ابننا في خطر، افعل أي شيء يقولونه". وقاده الحارس ليوقع ويورط هوى ليانغ بينغ.

في النهاية، بسبب العقوبات المقترنة بجرائم استخدام وسائل خطيرة لتهديد الأمن العام، الرشوة، والنصب، حكم على تساي قونغ بالسجن اثني عشر عاما.

عندما حل الليل، كان الثلج يتساقط ندفا كبيرة، خرج هوى ليانغ بينغ ماشيا بقصد زيارة سجين تحت الثلج المتساقط، ذهب ليزور صديق طفولته. اختنقت الدموع والأنين في حلق تساي قونغ: "أيها القرد، أنا آسف، لم أرغب في إيذائك بأي شكل من الأشكال؛ لقد أجبروني على القيام بذلك، كانت الحياة قاسية عليّ. أنا لست مثل تشاو رويلونغ، قاو شياو تشين والآخرين؛ فأنا لا أمتلك الفرصة لاختلاس ممتلكات الدولة أو التمتع بمنافع الامتياز في المنصب. لقد مررت بكافة أنواع الصعوبات والمشاق خلال كل خطوة إدارية؛ كلفتني كل خطوة غاليا، وبغض النظر عن كل تلك الأشياء، هناك القروض فقط، فلم آخذ فعليا أي قرض مصرفي ذا نسبة فوائد عادية... كنت طوال الوقت أسرق من مكان لأسدد لمكان آخر، راغبا في أن أكون رجلا مسؤولا من أجلك، من أجل عمال مصنع دافنغ، ومن أجل المصارف الدائنة وشركات القروض ذات الفوائد العالية، ولكن في

النهاية لم أستطع أن أكون على قدر المسؤولية من أجل أي أحد، لم أرغب في ارتكاب عملية النصب، ومع ذلك لم يكن لديّ خيار سوى فعل ذلك. بعد النصب هذه المرة، قمت بالنصب مرة أخرى، وهكذا حتى سرقت من كلا المكانين، وقابلت هذه النهاية الوخيمة".

بينما كانت النافذة الزجاجية في السجن تفصل بينهما، أمسك هوى ليانغ بينغ بالميكروفون وقال: "تساي، عندما استلمت التحقيق في هذه القضية حتى اليوم، فهمت عدة أشياء. كانت هذه السنين بالفعل صعبة عليك، وكنت على وشك الموت في قفص الكلاب من قبل شركات تحصيل الديون. ولكن من الذي يحصل على شيء بسهولة؟ هل يحصل مصنع دافنغ بسهولة على مراده؟ وهل أحصل أنا بسهولة على مرادي؟ جميعنا نعاني الأمرين بسببك. على الرغم من أن موظفي المصنع من حاملي الأسهم قد ربحوا عدالة الدعوى القضائية، إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادة أي فلس. تساي عليك ألا تنسى أنه مهما بلغت المصاعب والمشاق، يجب على الفرد أن يعرف أين يرسم الحد بنزاهة...

46

بعد وصولهم، طلب فريق التفتيش المركزي رؤية تشن يانشي مرات متتابعة، وتحدثوا معه ثلاث مرات. لم يعلم أحد محتوى الحديث، ولكن واقعة واحدة تركت تأثيرا عميقا لدى الناس ولم تلبث أن انتشرت عبر دائرة مقاطعة إيتش الإدارية: فخلال المحادثة الثالثة، أصيب تشن يانشي بنوبة قلبية مفاجئة نتيجة الجهد العاطفي، وتم نقله مباشرة إلى مستشفى الشعب لتلقي العلاج الإسعافي. ولحسن الحظ، فقد تم تأمين العلاج الإسعافي في الوقت المناسب، وبعد فقدانه الوعي لعدة ساعات، استفاق الرجل العجوز.

ما الذي استنزف طاقة تشن يانشي؟ هنا يمكن السؤال، وها قد حانت فرصة الرفيق القديم، على الأرجح كان قد خاض مواجهة مع نائب لجنة الحزب السابق تشاو ليتشون الذي كان دائما ما يبقيه تحت السيطرة، أليس كذلك؟

هناك من قال بأن الذي أراد تشن يانشي الإبلاغ عنه لم يكن فقط تشاو ليشون، بل عن مجموعة كبيرة تبدأ بتشاو وتتضمن قاو يوليانغ ولي داكانغ.

أحبّ شا روجين تشن يانشي العجوز كما لو أنه والده؛ وعند معرفته بمرض الرجل العجوز، أسرع إلى المستشفى لزيارته. وفوجئ، بعد انتهاء الزيارة، بمصادفة لي داكانغ في ممر جناح المستشفى. الذي قصد المستشفى لزيارة العجوز وهو على فراش موته. فقد كان المشرف على لي. وعلى إثر ذلك، فقد حصل كلّ من شا روجين ولي داكانغ عل فرصة لتبادل أطراف الحديث في حديقة المستشفى...

"أتى فريق التفتيش المركزي للقيام بتفتيش روتيني". تحدث شا روجين ببطء، كانت طريقة حديثه تجعل الكلمات تخرج ثقيلة من فمه. وقد قال "أخبر لي داكانغ بشكل صريح أن ابن نائب أمين مجلس حزب المقاطعة السابق وهو تشاو رويلونغ كان قد خرق القانون وارتكب جنايات في عدم الانضباط لفترة من الوقت".

كانت تعقيبات الكوادر والجماهير صادمة للغاية. كان تشاو رويلونغ واحدا من أكبر حاملي **الأسهم في مجموعة شانشوي، وكان قد شارك في الاستيلاء على حصص** معمل دافنغ.

أشعل لي داكانغ سيجارة ودخنها، مخرجا كمية كبيرة من الدخان: "يجب على تشاو ليشون أن يتحمل جزءا من المسؤولية جرّاء خرق ابنه تشاو رويلونغ للقانون. لقد سبق وحذرته، ولكن القائد والرفيق لم يكن ليستمع إليّ. في لو تشاو، طلب مني أن أوافق على مشروعي حدائق تشاو رويلونغ جانب البحيرة والمطعم ولكني لم أوافق. وبالتدريج بدأ أمين السر بإدارة ظهره لي. وبعد لو تشاو اتصل تشاو ليشون بالرفيق قاو يوليانغ وأخبره بكلّ شيء".

وتحت السماء المرصعة بالنجوم، وقف شا روجين مكتوف الأيدي، نظر إلى لي داكانغ وقال: "كيف لمّح لك تشاو ليشون؟".

بين صوت خرير الماء الصادر من النافورة في الحديقة؛ ونور مصباح الشارع الذي أضاء جدول الماء، مما جعله يتلألأ بضوء فضي، وفي وسط سحابة الدخان، كان لي داكانغ غارقا في ذكريات الماضي: "شدّ تشاو ليشون يدي وقال: داكانغ، لديّ ثلاث فتيات، ولكن تشاو رويلونغ هو ولدي الوحيد. عليك مساعدته، فإذا ساعدته، كأنك ساعدتني. لقد كبحت الأمر طويلا. ثم سحبت يدي بعيدا وأجبت ببرود: أيها الأمين تشاو، لدى الثلاثة ملايين شخص في لو تشاو وبحيرة واحدة، وهي ما تركه أسلافنا لنا. قمْ بتلويثها ليدينني التاريخ إلى الأبد".

وإلى الجانب، مرّ فرد من العائلة يدفع كرسيا متحركا. تمتم الشخص المريض الذي يرتدي ملابس نوم مخططة ببعض الكلام غير المفهوم واختفى تدريجا على مد النظر.

وبالتوقف للحظة أمر شا روجين لي داكانغ قائلا: "أيها الرفيق داكانغ، أنت في هذا الصّدد أكثر قوّة من الرفيق يوليانغ، وبالتقيد فقط بالقانون وليس بمن هم أعلى منك، فغدا سيطلب منك فريق التفتيش المركزي التحدث معهم لاكتشاف الظروف المتعلقة بالرفيق تشاو ليشون خلال الوقت الذي

ترأس فيه إدارة مقاطعتنا. آمل أن تخبرهم الحقيقة كما هي، متضمنة مشروع البحيرة الهلالية في لي تشاو".

أومأ لي داكانغ قائلا: "حسنا، لقد تم إعلامي بذلك". ثم قال مع تنهيدة تنمّ عن ارتياح: "إنه لشيء مؤسف ما حل بتشاو ليشون. كان قادرا على فعل الكثير حين ذلك. ومن أجل مصلحة تطوير اقتصاد المقاطعة، أثر على انتعاش الناتج القومي الإجمالي، حيث كان شجاعا وحاسما، مخاطرا بكل شيء لشق طريقه، قال أكثر من مرة في العلن: يمكنك أن ترتكب الأخطاء، ولكنه لا يمكنك عدم الإصلاح، وإن لم ترغب في الإصلاح، فسأجد أحدا آخر، أيها الأمين روجين، قل الحقيقة، لقد كنت متأثرا جدا بطبيعة عمل تشاو ليشون".

توقف شا روجين أمام حقل من الأزهار. وقد أخفت بقايا الثلج سوقها الميتة، وكان هناك لمحة من الجمال الكئيب على وشك الموت. لقد مضى وقت طويل على رغبته في إجراء حوار مع هذا التابع ذي الشخصية الغنية. بما أنه ذكر الأمر بنفسه، فإن خطوط التواصل ستكون مفتوحة.

ونتيجة لذلك، أجاب: "هذا صحيح أيها الرفيق داكانغ، لو لم تقم بذكر الأمر بنفسك، لفعلت أنا ذلك. قد أثّر عليك الجانبان الجيد والسيئ في تشاو ليشون كرفيق، ولربما كان تأثيرهما تأثيرا هائلا، تعلمت أن تكون شجاعا وحاسما، أن تخاطر بكل ما لديك لشق طريقك، تعلمت كيف تكون صعب المراس وكيف تكون مهيمنا ولقد راقبت محاضرتك منذ عدة أيام في ورشة تدريب الحكومة الكسولة في جينغتشو. لقد كنت مسيطرا على القاعة أثناء المحاضرة بشكل تام".

دهش لي داكانغ وحاول أن يدافع عن نفسه: "لماذا، لماذا أيها الأمين روجين، أنت الذي اقترحت عليّ أن أقتفي أثر الدليل لحل مشاكل الحكومة الكسولة، إن لم أقم بتوضيح الأمر بشكل صارم، فهل كانت كوادر الحكومة ستتعلم درسها؟ في أوقات كهذه، يتوجب علينا التعويض بشكل أكبر، إن أراد صن لينتشينغ الاستقالة، أأسمح له بالاستقالة؟".

ضحك شا روجين: "لقد أسأت فهمي، أنا لم أقل إن كلامك خاطئ. بل وأوصيت بمحاضرتك للعديد من الكوادر، ومنها الرفيق جوفو، ولكن يا عزيزي داكانغ، ألا نقوم بتقييم خبراتك الآن؟ أنا قائد فريقك، ألفت انتباهك إلى أشياء تحتاج للانتباه إليها. الناس الذين اعتادوا سحب الأكمام سيتم سحب أكمامهم".

ضحك لي داكانغ: "حسنا، حسنا أيها الأمين شا روجين، تفضل فكلي آذان صاغية".

انحنى شا روجين: "داكانغ، عندما واجه دينغ يجن مشكلته، لم يكن أوّل ما فكرت فيه أنك المسؤول الأول عن ذلك وعليك محاسبة الذات واختبارها أو البحث في عدم كفاءتك، بل فكرت بالارتقاء بالناس وقيادتهم. ولقد وبخت أمين سر اللجنة البلدية للتفتيش تشانغ شولي توبيخا قاسيا، أليس كذلك؟".

قال لي داكانغ متفاجئا: "لقد حدث شيء كهذا وبطريقة ما زلّ لساني عندها".

رمى شا روجين بعض الأعشاب في سلة النفايات، وقال وهو ينفض يديه: "أجل، بكوني القائد الأول لفترة طويلة فقد اعتدت على الأمر، وأصبحت بعض العيوب لا إرادية، القوة التي اعتادت ألا تخضع للمسؤولية تعتبر خائنة".

كانت ليلة صافية، على الرغم من عدم وجود القمر، كانت الرؤية واضحة، وأضاءت النجوم المتلألئة قبّة السماء العميقة. وبصوت ناعم، بدأ شا روجين الحديث عن نفسه. كان قد عمل طوال سنين عديدة لأمانة سر مجلس حزب المقاطعة والبلدة. وتمكن من إكمال ما أراد وضع يديه عليه، وما لم يرد وضع يديه عليه فلم يتم إكماله أبدا. ولم يكن هناك الكثير من المعارضة تجاهه، إلاّ إذا كان المعارضون يريدون التخلي عن مناصبهم الرسمية. بغض النظر عما إذا كانت هي لجنة التفتيش التأديبية والنيابة العامة أو الصحف ومحطات التلفزيون، لم يجرؤ أي منهم على الإشراف عليه فعليا. في الحقيقة، لا يمكن لأحد أن يشرف عليه.

عرف لي داكانغ هذا الشعور وقال: "أنا كذلك في الواقع. من يستطيع في جينغتشو الإشراف عليّ؟ هذه، أيها الرفيق، هي المشكلة، ما الذي يجب فعله؟ يجب أن يتمّ حل هذه المشكلة أيضا، أما بالنسبة إليّ، تماما مثل حلّ مشكلة الحكومة الكسولة، وأودّ أيضا إجراء التشغيل التجريبي في مدينتك، واليوم أنا ألتمس رأيك بحذر".

"أوه؟ بالتأكيد، أيها الأمين روجين، امض قدما".

"أريد أن أقدم لشريكك القديم يي تشوتشي فرصة في تغيير منصبه، وأريد له أن يكون أمين لجنة التفتيش التأديبي في جينغتشو". بدت الدهشة واضحة على لي داكانغ وقال: "لقد مرت بضعة

أيام فقط منذ أن تولى يي العجوز منصبه كممثل رئيس بلدية لوتشاو. هل سيتم نقله مرة أخرى قريبا؟". ابتسم شا روجين وقال: "أيها الرفيق داكانغ، يبدو وكأن هذا الشريك القديم لم يعد مرحب به؟".

نفى لي داكانغ ذلك على عجل: "أوه، الأمر ليس كذلك إن الأمر فقط... أيها الأمين روجين أعتقد أنّ يي العجوز لن يوافق على المجيء، في مقاطعة إيتش بأكملها، جينغتشو هو المكان الوحيد الذي لا يرغب بالمجيء إليه على الأرجح. منذ عدة سنوات عندما كان يي العجوز قائدا لفريقي، واجهنا صعوبة في التأقلم مع بعضنا، أنا لا أفهم؛ لماذا تختار يي تشوتشي من دون الناس جميعا؟".

قال شا روجين بحزم: "من الأفضل أن يكون يي تشوتشي فقط، أيها الرفيق داكانغ، بصفتك أوّل قائد في عاصمة المقاطعة، فأنت كنت عضوا في اللجنة الدائمة للحزب في المقاطعة، وقد كان أسلوب عملك شرسا للغاية. إلى من ستتقدم من جديد بالطلب؟". ردّ لي داكانغ مستفسرا: "أيها الأمين روجين، هل تعتقد أنني سوف أتقدم بالطلب ليي تشوتشي؟".

أجاب شا روجين: "سواء أكنت ستقدم الطلب أم لا، فهذا أمر غير مهمّ، ولكن على الأقل فإن يي تشوتشي شجاع بما فيه الكفاية للتحدث والإفصاح عن ذلك. فهو شريكك القديم، كما كان قائد فريقك. ولديه الأولوية الفضلى عنك، ألا تعتقد أنك بحاجة لإظهار بعض الاحترام تجاهه؟". وبقوله هذا، حدّق مليا إلى لي داكانغ. الذي صمت لفترة طويلة ثم أجاب فجأة: "حسنا، أيها الأمين روجين، هل لي أن أسألك سؤالا؟". أعطاه شا روجين حركة موافقة بيده. "اسأل، فاليوم نحن رفاق يتحدثون من القلب إلى القلب". تردد لي داكانغ لوهلة ثم ابتسم بمرارة: "انس الأمر، انس الأمر، من الأفضل ألا أقول شيئا". أجاب شا روجين: "انظر إلى نفسك، لماذا توقفت؟ تابع حديثك، فعلى الرفاق أن يكونوا صادقين مع بعضهم، جميع التعليقات والانتقادات موضع ترحيب". عندها فقط قال لي داكانغ: "إذا كان يي تشوتشي هو الذي سيشرف عليّ، فمن سيشرف عليك أيها الأمين روجين؟".

صعق شا روجين ونظر إلى لي داكانغ لفترة طويلة دون أن ينبس بكلمة. فكر في نفسه "إن لي داكانغ فريد من نوعه. فهذا سؤال جيد، أظن أن هناك عددا قليلا من الكوادر في مقاطعة إيتش ممن يمتلكون شجاعة كافية لطرح سؤال كهذا".

رأى لي داكانغ أنه لا يريد كسر الصمت السائد فاستمر قائلا: "لنأخذ فقط السكرتير تيان غوفو، هل يمكنه أن يشرف عليك بشكل فعال، على قدم المساواة، وفقا للوائح دستور الحزب ومتطلبات الحكومة المركزية؟".

ربت روجين بلطف على كتف لي داكانغ: "كلماتك حاسمة ومتتابعة".

كان لي داكانغ صادقا ولم يراوغ: "إنّ تنفيذ الإشراف الفعال على قدم المساواة لأمر صعب. أيها الأمين روجين، أنت لست على علم بهذا".

قال شا روجين بحزن عميق: "نعم، نعم، مع مشاكل الفساد التي حدثت مع الذي كان يشرف على الأمر طوال السنوات القليلة الماضية، ونادرا ما تقدمت لجنة الفحص التأديبي بتقرير استباقي لذلك. هذا النوع من الظواهر غير طبيعي، ويجب تغييره، أيها الرفيق داكانغ، بعد قول كل هذا، دعني أوضح موقفي. في المقاطعة، سيبدأ التغيير مني. أما في المدن؛ ومن ضمنها جينغتشو، وكمحاولة تجريبية، سيبدأ التغيير منك أنت". بدا لي داكانغ عاجزا تماما وابتسم قائلا: "حسنا، أيها الأمين روجين، بإمكانك اتخاذ القرار". بدا أنه لم يفهم عجز لي داكانغ، وشدّ شا روجين على يد الأمين المهيمن وقال: "لقد عرفت أنك ستتمكن من قبولها، لقد أثبت لي أنك رفيق شهم".

47

نهض هوى ليانغ بينغ باكرا هذا الصباح وخرج ليركض. ونتيجة لحماسته لم يكن قادرا على التوقف عن الركض كل الطريق حتى شاطئ بحيرة غوانغ مينغ.

لقد توضحت الأمور الآن، وها هو اليوم سيعود إلى عمله. بدأ يتذكر يوما محددا حصل منذ سنوات عديدة وهو أول يوم له في العمل؛ كان قد استيقظ قبل الفجر وخرج أيضا ليركض قبل عمله. في تلك الأيام كان شابا، ومن كان يدري عدد الكيلومترات التي قطعها من شدّة حماسته، هذا صحيح، فبسبب عيشه في عوز وحرمان لأيام عديدة، فقد قفز كالنمر المتوحش المسجون وهو يطلق استياءه بانفجارات من السرعة والقوة.

بنوا مرفأ امتدّ إلى منتصف البحيرة على شواطئ البحيرة. وركض هوى ليانغ بينغ إلى نهاية هذا المرفأ ووقف تحت جناح صغير، محدقا إلى الأفق البعيد. وقد غطت طبقة رقيقة من الضباب سطح البحيرة، وأحاطت الأبنية العالية البحيرة ملوحة عبر الضباب. ولأن الفصل كان شتاء فقد جردت أشجار الصفصاف القديمة على الضفة من أوراقها، بينما تراقصت الفروع مع هبوب الرياح، مداعبة سطح البحيرة برشاقة كبيرة. أشرقت الشمس وأضاء نورها المدينة بأكملها، مضيئة قلب هوى ليانغ بينغ أيضا. أخذ نفسا عميقا واعتراه شعور مفاجئ كما لو أنه يرغب بالبكاء.

كان اليوم موعد استجواب ليو. وعندما سار هوى ليانغ بينغ ولو ييك بشكل رسمي نحو غرفة الاستجواب، كان ليو جالسا في كرسي الاستجواب، مسترخيا مغمضا عينيه، وبدا عليه الارتياح. وفتح عينيه لدى سماعه صوت وقع أقدام قريب. فبدا كما لو أنه صعق بالبرق وتحجر بمجرد رؤيته لهوى ليانغ بينغ.

لاحظ هوى ليانغ بينغ الشحوب في وجه ليو وبدا كجثة عيناها عينيها مثبتان بلا حراك. جلس هوى ليانغ بينغ أمام طاولة التحقيق وقال لليو بوضوح: "لقد سبق لفريق التحقيق المركزي القدوم، وأصبح كل من تشاو رويلونغ وعائلته كالتماثيل الطينية المتآكلة، بالكاد كان أفراد الأسرة قادرين على إنقاذ أنفسهم ناهيك عن الآخرين. يمكنك أن تكون مخلصا للأخوية بالاستمرار عن طريق المقاومة والإنكار، هكذا من أجلهم. ولكني قد وعدْت بأني سوف أدينك في ظل غياب الاعتراف، وأنا رجل ألتزم بكلمتي".

كان انهيار ليو أمرا مسلما به. ولم يتمكن من تحمل الأمر هذه المرة، وانهار فجأة وبدأت الدموع تنهمر من عينيه، وبعد بكائه فترة لا بأس بها، بدأ بسرد المواضيع والأحداث وصفا دقيقا وبصراحة تامة.

وتبعا لرواية ليو، فمنذ توليه منصب رئيس المجلس ومدير المكتب التنفيذي لمجموعة الغاز والنفط المحلية، أصبح كلّ من الغاز والنفط ماكينة صرف النقود الخاصة بعائلة تشاو. أخبره تشاو ليشون بوضوح أنه يريد له أن يكون المدير بهدف مساعدة ابنه شا رويلونغ، لم تكن المنظمة موثوقة، ولكن كلا من ليو وتشاو رويلونغ كان موضع ثقة.

زعم تشاو ليشون أن لديه ابنان في حياته. أحدهما تشاو رويلونغ والآخر ليو. وبالفعل كان يعامله كابنه تماما. وأزال جميع العراقيل السياسية من أمام ليو الذي كان يحصل على كل ما يريد وكل ما يطلب. وعهد إليه ليشون بالكثير من أسراره أيضا: "عليك يا ليو أن تفهم بعض الأشياء جيدا. إن ملكية النفط والغاز تعود إلى الدولة، هذا يعني أنها ملك لجميع الناس. إذا امتلكها عامة الناس، فإن ذلك يعني أن لا أحد فعليا يملكها، وفي المقابل فإن شركة رويلونغ حقيقة. فإذا حصلت الشركة عليها، فكما تقول الأغنية: "أنت تحصل على القليل، أنا أحصل على القليل، فالكلّ يحصل على القليل...".

وبالتحريض، بدأ ليو بالهيجان. خلال السنوات القليلة الماضية، لم تقل الأرباح التي تم إعطاؤها إلى الشركة تحت اسم تشاو رويلونغ عن ثلاثة مليارات يوان. وهو شخصيا شخص مبذر. ففي المقامرة وحدها، كان قد خسر ثلاثة وخمسين مليون يوان، ومن ثم هناك بعض المال النقدي. مقامرا في طريقه من ماكاو إلى لاس فيغاس، بعدها إلى لشبونة في البرتغال...

في هذا اليوم بالتحديد، تحدث ليو من دون توقف. وقد كشف العديد من أسرار مقاطعة إيتش المخبأة. وبالرغم من مرور زمن على رغبة هوى ليانغ بينغ في القبض على عصابة المجرمين المتهمين تلك، كان شيئا صادما فعلا أن يواجه هذه الحقائق التفصيلية عن الجرائم في ظل اعتراف ليو. وظهرت النار المستعرة من ليلة (916) ماثلة أمام عينيه بشكل متكرر. كان هذا هو التأثير الكارثي الذي سببه الفساد.

في جينغتشو، مقاطعة إيتش، في أرض الصين العظيمة، لكمْ يتسبب الفساد بالكثير من الأحداث المأساوية من هذا النوع؟ كم من معاناة وكم من فقدان أمل لهذا الشعب تسببت به هذه الطفيليات؟ هؤلاء هم الناس الذين كانت كلمة الشعب على رأس لسانهم، ولكن معاملتهم لهذا الشعب كانت كمن يعامل السجادات المزينة للمنازل.

إن تحطيم وإخضاع ليو كان نصرا حاسما. ففي تلك الليلة وبعد نهاية الاستجواب وتسليم ملف القضية السميك إلى جي تشانغ مينغ، أطلق هوى ليانغ بينغ تنهيدة تنمّ عن راحة كبيرة. في تلك اللحظة كان الغسق قد سبق وأطلّ؛ حيث فكر هوى ليانغ بينغ بزوجته وأسرع في العودة. أراد أن يحضّر المائدة ويملأها بالطعام من أجل تشونغ تشياو ويجهز احتفالا لائقا...

بيد أنه فوجئ بأن زوجته كانت قد حزمت حقائبها مسبقا واستعدت للمغادرة. سألها هوى ليانغ بينغ: "ما الذي يجري هنا؟ ألن تبقي ولو لتناول الوجبة؟". نظرت زوجته إليه بابتهاج وقالت: "عليّ أن أنضم إلى وحدتي أيضا، لقد أرسل فريق التفتيش المركزي مذكرة يطلبون فيها مني أن أطلعهم بتقرير مني على واجبي الليلة".

حدّق هوى ليانغ بينغ إلى زوجته، وبدأت دموع دافئة تنسكب من عينيه فجأة. لم تشك تشاو في نزاهته مطلقا خلال كل هذا الوقت العصيب بل وعادت مسرعة من بكين لتبقى جانبه. أعطته الكثير من الدفء وكانت مصدر شجاعته. في الشّدة فقط يثبت الزوج والزوجة كم من الممكن أن يكون الحب ثمينا.

....

ومنذ تلك اللحظة بدأ كل شيء يسير بهدوء وسلاسة.

في البداية، تم اعتقال تشاو رويلونغ في لو تشاو. وبعد ثلاثة وعشرين يوما قرر المجلس المركزي للحزب الشيوعي الصيني رفع دعوى قضائية بشأن قضية الشك بكون والده تشاو ليشون قد خرق القانون وقام بأفعال تخلّ بالانضباط. ونتيجة لذلك، ومن خلال جمع عقوبات وانتهاكات متعددة؛ صدر على تشاو رويلونغ حكم بالإعدام مع إيقاف التنفيذ. وفي الوقت ذاته، تمّت مصادرة ثلاثة مليارات وخمسمائة مليون يوان من ممتلكاته الشخصية، كما فرض عليه دفع ثلاثة مليارات وثمانمائة مليون يوان. وفي المقابل، حكم على تشاو ليشون بالسجن عشرين سنة...

اعتقل تشياو غانيغو من أمام بيته، حيث ذهبت وحدة التأديب والتفتيش وعدد من كوادر نواب المقاطعة إلى منزله وطرقوا الباب. ظن تشياو غانيغو أنهم أرادوا رؤيته لمناقشة قضية هوى ليانغ بينغ. في الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوحدة نتيجة التحقيق نيابة عن اللجنة المركزية للتفتيش والتأديب، ظهرت علائم الدهشة على وجه تشياو وسأل: "لم تمّ رفع دعوى تحقيق ضدي؟ ألا تعتقدون أنكم ترتكبون خطأ ما؟".

قال رئيس الوحدة: "لم نرتكب أي خطأ، أيها العجوز تشياو، أنت تدرك ما قمت بفعله، دعنا لا نضيع وقتنا بالتفسير والشرح؟". قال تشياو غانيغو متلعثما: "وماذا بشأن هوى ليانغ بينغ؟ هل تم رفع دعوى ضده؟".

ابتسم رئيس الوحدة بسخرية قائلا: "أيها العجوز تشياو، ألم تستيقظ بعد من حلمك؟ إن هوى ليانغ بينغ يترأس عملية اليوم، ولكنه لا يمتلك الوقت ليقبض عليك. فقد ذهب شخصيا إلى منتجع شانشوي ليطلب حضور قاو تشياو تشين. بعد ذلك، حكم على تشياو غانيغو بالسجن مدة اثني عشر عاما بسبب جرائم الرشاوى والغش...

قاد هوى ليانغ بينغ فريقا للقبض على قاو تشياو تشين. تقدمت سيارة الشرطة تحت ضوء القمر على طول النهر الفضي. كان سطح النهر متجمدا، محتجزا ضجيج النهار، الذي تحول إلى سكون عميق. بدأت الخطوط الخارجية للجبل بالاقتراب شيئا فشيئا، وبدأ عشب ملعب الغولف ينقشع أمامهم. وفي أسفل التلة المنخفضة، عكس ضوء فضي نقي الأسقف المغطاة بالثلج لعدد من الفيلات.

استعاد هوى ليانغ بينغ، وهو يحدق إلى ذلك المنظر، الظروف التي أرغمته على القدوم إلى هنا مرتين. المرة الأولى كانت عشاء ترحيبيا؛ كانت ***معركة الذكاء*** بينه وبين تشي تونغ وي وقاو

تشاو تشين قد اشتعلت. فكان كلا الطرفين يحاول قراءة الآخر. كان الأمر عبارة عن مناوشات من دون طرف رابح أو خاسر. في ذلك الوقت، لم يكن تشي تونغ وي قد كشف حقيقته بعد، وكانت قاو قد تركتْ انطباعا عميقا لدى هوى ليانغ بينغ مع رصانة ورشاقة فتاة التشين: وهو لقب يعطى لفتاة أو سيدة ذات مرتبة عالية. في المرة الثانية التي خاض فيها ***معركة الذكاء*** كان النزاع باليد في أماكن متقاربة. كانت نية هذه العصابة الفاسدة قد كشفت.

حتى أنهم وصلوا إلى مرحلة تعيين قاتل مأجور ليتخلص منه. والآن بعد أن أسدل الستار وهدأت الأمور، أراد أن يرى فيما إذا كانت قاو شياو تشين لا تزال قادرة على استخدام الرصانة والرشاقة لتخوض حرب الذكاء. هل من الممكن أن تكون محتفظة بذكاء فتاة التشين؟ وبهذا النوع من الحمل، هل ستطلب إنزال الستائر ومغادرة المسرح؟ لن تتغير ملامح فتاة تشين وتبهت وتتدمر صورتها، أليس كذلك؟

في تلك اللحظة، انعطفت سيارة الشرطة التابعة للنيابة على الطريق المعبد. وتحت ضوء القمر الخافت، اقتربت سيارة من نوع بي أم دبليو منهم. كان هوى ليانغ بينغ يعرف هذه السيارة حق المعرفة، واستنتج أن قاو شياو تشين تحاول الهرب. أمر سيارتي شرطة تابعتين للنيابة أمامه وخلفه أن يسدا الطريق عليها بشكل مباشر. وبذلك لم يعد أمام سيارة البي أم دبليو سوى التوقف.

فتح هوى ليانغ بينغ باب السيارة، وترجّل متوجها نحو سيارة البي أم دبليو، طرق على نافذة السيارة. أنزلت نافذة السيارة ببطء، وظهر وجه قاو شياو تشين الجميل، ونظرت إلى هوى بوضوح ولم يكن الخوف باديا على وجهها. ابتسم هوى ليانغ بينغ وحياها دون أن ينسى أخلاقه الحسنة. "أيتها الرئيسة قاو، إني متأكد أنك كنت بخير منذ آخر مرة رأيتك فيها؟". أجابت قاو شياو تشين بابتسامة ساحرة وأدب: "لست بهذا السوء، وماذا عنك أيها المدير هوى؟".

أجاب هوى بشيء من نكران الذات: "لست جيدا جدا. أوشكت وتشي تونغ وي على جعلي أبكي في البداية". تنهدت قاو شياو تشين وشيء من الصدق باد على وجهها: "لم يكن ذلك في نيتي حقا". انحنى هوى ليانغ بينغ وقال بأدب: "من بعدك سيدتي، فلدى الرئيسة قاو أسلوب فريد مع الكلمات، هل نقوم بتغيير هذا الوضع الذي نتحدث فيه؟".

خرجت قاو من سيارتها وعبرت لمحة من الحزن وجهها وقالت: "لطالما كنت على يقين من قدوم هذه اللحظة".

قال هوى ليانغ بينغ وهو يهز رأسه بندم: "بما أنك كنت تعلمين ذلك، فلماذا قمت به من بادئ الأمر؟ عذرا عن سؤالي، ولكن هل صادف أن أتى تشي تونغ وي ليغني هنا الليلة؟".

"اوه، كلا لم يأت، يبدو أنه ذهب إلى هونغ كونغ في رحلة عمل". قالت قاو تشياو تشين.

حدّق هوى ليانغ بينغ إلى خصمه وقال: "يا له من شيء مؤسف، كنت أرغب بشدة أن أخوض جولة أخرى من حرب الذكاء".

لوّحت قاو شياو تشين بيدها وقالت وهي تدخل سيارة الشرطة التابعة للنيابة: "معركة الذكاء؟ لقد ذهب صوتي منذ زمن بعيد".

لم يكن الخوف باديا على وجه قاو شياو تشين عند دخولها غرفة الاستجواب في مكتب مكافحة الفساد التابع لنيابة المقاطعة. وعند مواجهة لو بيك وتشانغ هوى هوى الجالستين إلى طاولة الاستجواب، كانت تبدو مسترخية واستطاعت المحافظة على ابتسامتها المعروفة بسحرها. وقف هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ أمام الشاشة الكبيرة في مركز القيادة والمشاعر تختلط داخلهما، كانت أعينهما مثبتة على الجمال الغريب على الشاشة. "إن هذه المرأة غريبة بالفعل. تدخل مركز النيابة وتحافظ على هدوئها كما لو كانت ضيفة هنا".

قال جي تشانغ مينغ وهو يدقق في تلك الحالة: "تنبع قوة قاو شياو تشين من داخلها؛ وهذا النوع من النساء نادر بشكل نسبي. ربما يكون للأمر علاقة بتدريبها الطويل على يد مدير قسم الأمن العام".

منذ الوهلة الأولى، لم يشك هوى ليانغ بينغ بما أدلى به جي تشانغ مينغ، ولكن الوضع غير الاعتيادي في غرفة التحقيق جعله في حالة تأهب ويقظة.

رحبت لو بيك بقاو تشياو تشن كما لو أنهما على معرفة، ولكن ردة فعل قاو لم تكن طبيعية البتة. فعلى الشاشة الكبيرة بدا كأنما قاو لم تتعرف على لو بيك بل وسألتها: "يبدو أنك الرئيسة لو، أليس كذلك؟".

قالت لو بيك: "أيتها الرئيسة قاو، كم أنت خفيفة الظلّ. كيف لي أن أبدو الرئيسة لو؟".

تفادت قاو شياو تشين الإجابة: "كنت مشغولة جدا في الآونة الأخيرة حتى أن ذاكرتي بدأت تخذلني، إني أعتذر".

قالت لو بيك في حيرة من أمرها: "كم يحزنني هذا. لقد حصل بيننا عدة اتصالات وبدا أننا كنا على وفاق، وبهذه البساطة تنسين كل شيء، ما هذا؟ أهي لعبة أخرى؟ أخبرينا".

ابتسمت قاو شياو تشين ببرود وقالت: "يا إلهي، ما هي الخدعة التي لديّ؟ بما أننا وصلنا إلى هنا، سوف أشاهد تحركاتك فقط".

حتى ذلك الوقت لم يبدُ أن لو بيك قد لاحظت أي شيء خاطئ. لكنها طلبت من قاو شياو تشين أن تتابع الحديث الذي دار مرة أخرى، من باب تزجية الوقت. "أنت الآن في غرفة التحقيق... عليك أن تفكري بالشيء الخاطئ الذي فعلته خلال بناء ثروتك، هل حصلت على ما حصلت عليه عن طريق الاحتيال؟".

حدّقت قاو شياو تشين إلى لو بيك: "أيتها الرئيسة لو، هل كان بيننا مثل هذا الحديث سابقا؟".

أمعنت لو بيك النظر في الخصم القديم الماثل أمامها واستعجلتها قائلة: "ماذا؟ هل نسيت ذلك بهذه السرعة؟".

قالت قاو شياو تشين وهي لا تزال تبتسم كالشمس المشرقة في يوم صحو: "هذا صحيح، كم أنا كثيرة النسيان".

نظر هوى ليانغ بينغ إلى الشاشة الكبيرة واندفع قائلا: "أيها النائب جي، هناك شيء غريب".

ثبّت جي تشانغ مينغ نظراته على هوى ليانغ بينغ وقال: "أوه، ما الخطب؟".

صرخ هوى ليانغ بينغ: "يا إلهي، ربما ألقينا القبض على الشخص الخطأ. إنها ليست قاو تشياو تشين؛ بالتأكيد هي ليست قاو".

صعق جي تشانغ مينغ وقال: "ماذا؟ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟ أخبرني أسبابك".

أشار هوى ليانغ بينغ إلى الشاشة على قاو شياو تشين وبدأ بشرح تحليله. "انظر إلى عيني هذه المرأة كم هما ساكنتان. لا تملكان شراسة نظرات قاو شياو تشين ولا ضراوتهما، وعند دخولها غرفة التحقيق، لم تتمكن هذه المرأة من التعرف إلى لو بيك. قامتا بمناقشة بعض الأسئلة الثاقبة، وفي الواقع فقد نسيت المرأة كل ذلك".

نظر جي تشانغ مينغ إلى هوى ليانغ بينغ نظرة يملأها التساؤل: "إن لم تكن هذه المرأة قاو شياو تشين فمن تكون إذا؟".

نظر هوى ليانغ بينغ بتجهم وقال: "لست متأكدا، بالطبع، ربما أكون مفرطا في الحساسية، ولكنني أقترح إيقاف التحقيق في الوقت الحالي".

وافقه جي تشانغ مينغ على هذا القرار.

ذهب هوى ليانغ بينغ نحو غرفة التحقيق بخطى ثابتة وبابتسامة قال لكلّ من المحققيْن والمستجوبين: "لم لا تأخذون استراحة. لا داعي لإنهاك أنفسكم".

حدّقت لو بيك إلى هوى باستغراب. بينما بدت قاو شياو تشين كما لو أن أحدا أزاح حملا عن صدرها وقالت: "شكرا لك أيها المدير هوى".

ابتسم هوى ليانغ بينغ وأجاب: "على ماذا؟ نحن أصدقاء قدامى، لنسترح ونغنِ".

وبعد قول ذلك، وضع قائمة الأغاني أمام قاو شياو تشين التي شعرت بالحماس إلى حدّ ما وقالت: "بما أن المدير هوى لطيف جدا معنا، لنغن "بلا ألم، لا يوجد فوز".

صفق هوى ليانغ بينغ وأعطى الأمر للموظفين ليحضروا شريط الكاريوكي المصاحب للأغنية.

انعكست أصداء الأغنية في أرجاء غرفة التحقيق. كانت قاو شياو تشين بارعة في أداء أغاني مينغ الجنوبية، لقد كانت تحس بالأغنية بشكل مثالي.

بعد انتهاء الأغنية، لم يكن هوى ليانغ بينغ على ما يبدو قد أرضى توجسه. أمسك بالميكروفون ومشى نحو قاو شياو تشين قائلا: "أيتها الرئيسة قاو، حالما بدأت بالغناء تملكتني

الرغبة بالغناء أيضا. فلنؤد شيئا تقليديا، ***معركة الذكاء***".

ترددت قاو شياو تشين لوهلة ثم ضحكت وقالت: "لقد قمت بالفعل بإحضاري إلى هنا، وما تزال تريد أن نخوض حرب الذكاء؟ لا أجرؤ على مواجهتك في ذلك".

دسّ هوى ليانغ بينغ الميكروفون بين يد قاو شياو تشين وقال: "لا يبدو هذا من شيم فتاة التشين. عندما تمتلكين المقدرة على المنافسة، عليك خوض المنافسة إذا. ما زلت لا أعلم لماذا كان الجيش الرابع الجديد موجودا في أوبرا جدول نهر عائلة شا".

عند قوله هذا نظر حوله وبدت علائم الندم ظاهرة على وجهه وقال: "يا له من شيء مؤسف أن زميلي القديم تشي تونغ وي ليس هنا. فينقصنا القائد هيو، أيتها الرئيسة لو لم لا ترتجلين دور القائد هيو من أجلي".

أمسكت لو ييك الميكروفون برشاقة، تنحنحت وبدأت بالغناء: "في التفكير بما مضى، كانت هذه المرة الأولى لجيوشي الذين لم يتجاوزوا الاثني عشر رجلا، ومعهم سبع أو ثماني بنادق".

وبذلك بدأت جولة من معارك حرب الذكاء في غرفة التحقيق التابعة لمكتب مكافحة الفساد في نيابة المقاطعة.

خاض كل من المحققين والمستجوبين في الموضوع، ثلاثتهم، وخاصة قاو تشياو تشن. ويمكن القول إنها كانت مستغرقة في الأمر. كانت عيناها ثابتتين على صورة فتاة تشين الموضوعة على غلاف شريط التسجيل، والتي كانت ترتدي سترة زرقاء وبنطالا. استمع هوى ليانغ بينغ بانتباه إلى غناء قاو شياو تشين وكان يرمقها من حين إلى آخر بنظرات شكّ، وقد سببت تلك النظرات بالتأكيد توتّر قاو تشياو تشين. وفي النهاية، ظهرت لمعة من العرق على جبهتها بينما كانت تغني.

ابتسم هوى ليانغ بينغ ابتسامة تنمّ عن معرفة خفية. كانت معركة الذكاء أفضل اختبار مؤشر. في المرة الأولى عندما تواجه كل من هوى وقاو، قاما بتأدية أغنية الأوبرا الشهيرة في بكين. وكان هذا حوارهما الموسيقي الثالث. كيف كانت قاو تشياو تشين صورة طبق الأصل لفتاة التشين العالقة في ذهن الناس.

في هذه اللحظة، بدا أنّ هناك شيئا غريبا يحصل، بالتأكيد هناك شيء ما. بغض النظر عن الحماسة، فإن الغناء بلهجة بكين الأصلية كان بعيدا، إذ لم يكن بمقدور قاو تشياو تشين الماثلة أمامه أن تبرز هذه اللهجة في غنائها. اعتبر العازف المرافق، الذي كان عضوا متقاعدا في فرقة الأوبرا، إن أداء قاو شياو تشين على مستوى عال؛ لا يمكنك الغناء هكذا إلا إذا تدربت طويلا وبجهد لسنوات. ولكن قاو كانت تؤدي وكأنها لم يسبق لها أن تدربت.

كانت الإدانة واضحة للغاية. إنّ هذه المرأة مزيفة؛ وكان مصير قاو شياو تشين الحقيقية لا يزال مجهولا.

في النهاية طلب هوى ليانغ بينغ من الجميع التوقف، وتجهم وجهه قائلا: "هذا ليس صحيحا، أيتها الرئيسة قاو".

نظرت قاو تشياو تشين إلى هوى ليانغ بينغ نظرة ملؤها الخوف والقلق: "ما الخطب في ذلك أيها المدير هوى؟".

قال هوى ليانغ بينغ: "أيتها الرئيسة قاو، لنقم بالأمر مرة أخرى - علّك تتمكنين من رؤية الخطأ الذي قمت به".

لم تكن قاو تشياو تشين لتقوم بالأمر، ولم تجرؤ على أخذ الميكروفون. وقالت بارتباك واضح: "لطالما غنيت بهذا الأسلوب".

وضع هوى ليانغ بينغ الميكروفون على طاولة الاستجواب بقوة وقال: "فإذا أنت لست قاو تشياو تشين".

عندها اتكأت قاو شياو تشين على الكرسي وأطلقت تنهيدة طويلة وقالت: "للأسف، لقد تمكنت من أن تراني وتكتشفني من الداخل هذا صحيح أيها المدير هوى، أنا لست قاو تشياو تشن. أنا توأمها الأصغر قاو تشياو فنغ...".

فهم هوى ليانغ بينغ كل شيء، وفي الحال عاد إلى مركز القيادة ليخبر جي تشانغ مينغ: "إن قاو تشياو تشين الحقيقية الآن في مطار جينغتشو الدولي أو في مطار لو تشاو. إنها تخطط للرحيل ولربما تكون الآن برفقة تشي تونغ وي".

أدرك جي تشانغ مينغ فجأة ما كان قد حصل وقال: "الآن نحن على الطريق الصحيح، لا عجب بأن تشاو دونغلاي ومكتب الأمن العام لمقاطعة جينغتشو لم يتمكنا من تتبّع مكان تشي تونغ وي طوال هذا الوقت".

طلب هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ إرسال صورة بديلة قاو شياو تشين إلى مطاري جينغتشو ولو تشاو وجميع المطارات الكبيرة المحيطة بالمنطقة.

لا يهم أي جواز سفر تمتلك هذه المرأة أو أي اسم تنادى به، فهي محظورة من مغادرة البلاد بدون أي استثناء...

48

شعر تشي تونغ وي بأنه قد سقط في بئر جافة عميقة جدا. فكل شيء من حوله كان حالك السواد إلا بقعة السماء الزرقاء، ولم يستطع رؤية أي شيء آخر. بدأ هذا الشعور يراوده منذ أن فقد الشاهدين الرئيسيين. ففي حال إيصال كل من محاسب معمل دافنغ والسائق من محكمة من قبل نيابة المقاطعة، أدرك تشي تونغ وي أنه سيخسر لعبة الشطرنج هذه، ولم يكن بوسعه سوى أن يتصرف بذعر وأن يتصل بالأمين السابق تشاو ليشون في بكين.

تلعثمت خادمة المنزل الشابة قائلة إنّ السيد وزوجته قد غادرا لحضور اجتماع ولم تكنْ تعلم متى سيعودان...

أحاط نذير شؤم بقلب تشي تونغ وي كالغيوم السوداء. ولم يعلمْ شيئا إلا عندما تكلّم مع تشاو رويلونغ وأدرك وقوع تشاو ليشون في ورطة، ولكن الوقت كان قد تأخر جدا. بالعودة إلى الوراء، فإن أمين مجلس حزب المقاطعة، شا روجين لاعب شطرنج محترف ترفع له القبعة. ففي البداية، أمر بفصل هوى ليانغ بينغ، ونشر إشاعة مفادها أنه سيرسل هوى ليانغ بينغ إلى بكين مرة أخرى. كانت جميع تلك الحركات عبقرية. نظف سمعة هوى ليانغ بينغ من التهم الباطلة الموجهة ضده، وجعل ثعلبا مكارا مثل قاو يوليانغ يشارك مشاعره، بحيث لا يتكلم عن تشاو رويلونغ وقاو تشياو تشن الأحمقين اللذين لا يمتلكان أدنى خبرة في الصراع السياسي بأي شكل من الأشكال - في بادئ الأمر، كانا قد خرجا من الأمر، ولكنهما عادا إليه واحدا تلو الآخر ووقعا في الفخ.

وعند التفكير العميق في المسألة، ألم يكن شا روجين أحمق أيضا؟ لقد عمل على دفع كلّ من تشاو رويلونغ وقاو تشياو تشن إلى العودة. وبهدف استعادة تشاو رويلونغ، كان قد وظف مجرم

هونغ كونغ وأهدر ثلاث طلقات. وعند انتهاء لعبة الشطرنج أدرك أسس المعركة.

فمنذ أن أرسلت الحكومة المركزية شا روجين ليستلم منصبا في مقاطعة إيتش، حكم عليهم بالتورط في المشاكل...

حان وقت القتال حتى الموت. كان تشي تونغ وي هادئا بشكل غريب ونصب مكيدة، مثل الأفعى التي تغير جلدها. طلب من ربة المنزل قاو تشياو فنغ أن تأخذ مكان أختها التوأم الكبرى قاو تشياو تشن، بينما يأخذ قاو شياو تشين بنفسه إلى فيلا منتجع شانشوي. دخلا إلى الفيلا، وقاما بتوضيب الأشياء القيمة وإيصالات الودائع الخارجية، بينما التقط مسدسا وبندقية قناصة من خزانته في حال تعرضهما للمشاكل. وباعتبار أن مكالمته مع تشاو رويلونغ مسجلة، عمد إلى تشغيل كلّ من هاتفه وهاتف قاو تشياو تشن، ووضعهما على الوضع الصامت وتركهما في الفيلا.

وبعد ذلك، قادا مباشرة إلى مطار جينغتشو، مرافقا قاو شياو تشين بينما تطأ قدمها من جديد سبيل الهروب.

تمتم تشي تونغ وي بينما كانا على الطريق. "إن الوضع أخطر بكثير مما تخيلنا. في النهاية، كنا حمقى جدا".

قالت قاو شياو تشين والقلق يعتصرها: "حسنا، هل علينا أن نحاول الوصول إلى الأمين قاو يوليانغ؟".

تنهد تشي تونغ وي وقال: "ما فائدة الاتصال بقاو يوليانغ؟ أنا أعتقد أنه تم احتواء البروفيسور مسبقا...".

عندما ترجلت قاو شياو تشين إلى مطار جينغتشو الدولي، كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجرا. بعد أن قبّلها تشي تونغ وي قبلة الوداع والدموع تملأ عينيه، قاد إلى مفترق ثلاثة طرق. كان المفترق يبعد قرابة خمس وعشرين كيلومترا عن مطار جينغتشو الدولي ومئة وثمانية وثمانين كيلومترا عن قرية جسر النسر الوحيد. أوقف السيارة أمام إشارة طريق، خرج وأشعل سيجارة وهو يتفقد هاتفه بين الفينة والأخرى. تبعا لخطته، فإن قاو شياو تشين ستستخدم جواز سفر مزور لتستقل أول طائرة في الصباح إلى هونغ كونغ.

إذا سار كل شيء بيسر، فإن قاو سترسل له رسالة نصية بكلمة "نعم". في هذه الحالة سيعبر هو الحدود بالطريقة نفسها وسينضم إلى قاو شياو تشين في فندق الفصول الثلاثة في هونغ كونغ. وفي حال حصول أي شيء سيئ، فإن قاو سترسل رسالة نصية بكلمة "لا"، عندها سيحاول إيجاد طريقة أخرى للهروب.

نظر تشي تونغ وي إلى السماء بينما نفخ حلقات الدخان واحدة تلو الأخرى منتظرا قسمة القدر وحكمه.

عند بزوغ الفجر، كان تشي تونغ وي متكئا على مقعد السائق يشعر بالدوار، عندما رن هاتفه بصوت تغريدة؛ مشيرة بأنه قد تلقى رسالة ما. بعجلة وضع تشي تونغ وي هاتفه على جبهته وهو يصلي في سره وأنفاسه تلهث بأن تكون الأخبار جيدة. ولكن دائما ما يحصل هو الذي يجب أن يحصل.

عندما فتح رسالته، كان مكتوبا على الشاشة باللغة الانكليزية الواضحة - لا، شغّل تشي تونغ وي بسرعة محرك السيارة وانطلق باتجاه برج النسر الوحيد. ارتفع الطريق الجبلي المتعرج وانخفض والتوى يمنة ويسرة بانعطافات كثيرة، تقذفه في مكانه بشدة لدرجة أنه شعر أنه على وشك التقيؤ. كأنما هناك مرطبان للنكهات الخمس في قلبه الذي تمزق إربا اربا، فتدفقت حموضة، مرارة، وحدّة الحياة في قلبه مجتمعة في الوقت ذاته. بدأت رؤية تشي تونغ وي تصبح مشوشة شيئا فشيئا، ركن السيارة بجانب واجهة صخرية حادة. أعاقت تلك الواجهة الشمس التي كانت قد بدأت بالشروق، ولكن أشعة الصباح غمرت طيات الجبال كالماء. فقد حافظت أشجار الصنوبر الصينية الحمراء على رونقها الأخضر خلال الشتاء، وكان لونها يزداد بهاء عند مقارنته بالعشب الذابل والثلج الذائب. عصفت رياح قوية عبر الوادي، كما لو أن مجموعة من الوحوش الضارية عبرت بجانبه مسرعة. وارتفعت الواجهة الصخرية عاليا.

تحت ضوء الشمس، انعكس نور أبيض ساطع على تلك الواجهة. وفي السماء، حلق صقر حوام حوله فوق الجرف الصخري، وأجنحته ممتدة بلا حراك ...

"بانغ" انطلق صوت البندقية النارية مفسدا هدوء الجبال. وسقط الصقر الحوام مباشرة في مجرى الجبل. "يا لها من إصابة جميلة". ارتفعت قوة الإرادة في نفسه مع تنهيدة الإعجاب التي

أطلقها. انحجب وجه تشي تونغ وي بالظلال التي ألقيت بواسطة الجرف الصخري وهو يمسك بندقية القنص. وقف بلا حراك مدة طويلة، وبعدها نظف فوهة البندقية باستخدام قطعة مخمل ومسحها حتى عادت تلمع. ثم وضب قناصته الغالية على قلبه ووضعها في صندوق السيارة مرة أخرى.

عاد تشي تونغ وي إلى الطريق مرة أخرى. في أعماق الجبال، تموضعت قرية نائية وتصاعدت خيوط الدخان عاليا من المزارع المتهالكة. ساء حال الطريق، واهتزاز السيارة بدأ يزداد. أدار تشي تونغ وي وجهه وثبت عينيه على المكان الذي تصاعد منه الدخان. كانت تلك جنته...

كان الجميع يصب جلّ اهتمامه على استجواب قاو شياو تشين انطلاقا من أمين مجلس حزب المقاطعة شا روجين إلى مدير مكتب الأمن العام في البلدية تشاو دونغلاي. جميعهم كانوا يأملون إيجاد تشي تونغ وي من خلال التحقيق معها. كان تشي تونغ وي يمتلك مسدسا عاديا وبندقية قناصة؛ بالإضافة إلى أنه استولى على كمية كبيرة من الطلقات.

في حال وصوله إلى مرحلة اليأس، سيصعب توقع العواقب. لم تخف قاو شياو تشين وجود الأسلحة النارية؛ فعند جلوسها على كرسي الاستجواب أجابت بصراحة مطلقة واعترفت بكل ما تعلمه عن الأمر.

كان تشي تونغ وي قد حصل على هذين السلاحين من مكتب أدوات قسم الأمن العام من أجل الصيد؛ في الواقع كان الأمر من أجل المتعة فقط، قالت قاو شياو تشين وهي تثرثر أن تشي تونغ وي كان يحب اللعب باستخدام الأسلحة النارية. وكانت قد أسّست غرفة لإطلاق النار في منتجع شانشوي من أجل تشي تونغ وي الذي تمكن من الإطاحة بعشر أهداف متحركة في اثنتي عشرة ثانية مطلقا النار باستخدام كلتا اليدين بشكل متتال. ضربة نادرة بالتأكيد.

أما بالنسبة إلى موقع تشي تونغ وي المحتمل بعد اختفائه، فإن قاو شياو تشين بدأت بالمراوغة. كانت لتلك الفتاة الجميلة وتشي تونغ وي روح واحدة، وكانت نبرة صوتها مليئة بالفخر عند حديثها عن تشي تونغ وي.

نظر هوى ليانغ بينغ بصمت إلى قاو شياو تشين ثم قال: "أيتها الرئيسة قاو، أؤمن بصدق وإخلاص مشاعرك تجاه تشي تونغ وي، ولكن هل يشعر هو بالمثل نحوك؟ ما يؤمن به تشي هو أن كل شخص هو لنفسه، وليتحكم الشيطان بنا".

"كلا" لمعت عينا قاو شياو تشين بالدموع وصرخت: "هو يؤمن أن جميع الأحباء سيتحدون بالزواج". "لكن قوة تشي تونغ وي الداخلية وصموده ليسا من صفات الرجل العادي. ولذلك فإن تقييمي له في هذه اللحظة هو أنه سيختبئ بهدوء في مكان ما بعيد عن الأنظار، ومعه ثروته". كانت هذه ملاحظة صحيحة في الواقع. فإن تشي تونغ وي كان ابنا بارّا، ولكن هل كان سيعود إلى مسقط رأسه في لينشينغ ليزور والدته؟

اعتقد هوى ليانغ بينغ أنه ربما لن يفعل ذلك. كان تشي تونغ وي خبيرا في الصناعة كان على يقين بوجود رسالة ما هناك؛ فإن قاتلا دمويا حتى الموت سيندلع إذا ما قصد المكان. عندما أدرك أن فخا ينصب له، هل كان عليه أن يتعمد الدخول إليه؟ لن يفعل ذلك على الإطلاق. ربما سيذهب تشي تونغ وي لرؤية أمه العجوز في وقت لاحق عندما يكون الوضع آمنا، لكنه لن يذهب الآن.

عمدت قاو شياو تشين على توجيه أفكاره في الناحية الخاطئة، ولكن في الواقع كان واضحا لهوى ليانغ بينغ أن هذه المرأة بقيت على اتصال وثيق مع تشي تونغ وي طوال الوقت حتى تم احتجازها. علاوة على ذلك، فإنها قد خبّرت تشي تونغ وي على الفور بالأمر؛ أمكنهم معرفة ذلك من هاتفها الخلوي.

لكن قاو شياو تشين لم تعترف بذلك وأصرت على أنها نقرت الزر الخطأ من غير قصد... نظر هوى ليانغ بينغ إلى قاو شياو تشين مباشرة. "حسنا، حسنا، يمكنك أن تظلي صامتة، لكني أريد أن أطلعك على تقييمي". في تلك اللحظة، أصبح صوته جديا أكثر: "قد يقدم تشي تونغ وي على الانتحار". كانت قاو شياو تشين ترتعش بشكل واضح، وبدت على وجهها علائم الإنذار بالخطر: "هو... لن يفعل هذا، أليس كذلك؟".

أجاب هوى ليانغ بينغ: "أيتها الرئيسة قاو، بما أنه مقدّر لك وتشي تونغ وي أن تتزوجا، ألا تدركين أنه مغرور منعزل ومنغلق على ذاته؟ هل سيكون على استعداد للجلوس هنا وأن أقوم أنا

باستجوابه؟ أرجو أن تفكري في الأمر جيدا".

انتشر لمعان التعرق على جبهة قاو تشياو تشين، بينما تحدّق عيناها إلى الأمام. وبعد فترة من الوقت قالت بهدوء: "أيها المدير هوى، أنت... أنت محق بشأن ذلك. إنه مغرور ومنعزل وله جانب حاسم...". وأخيرا، بدأت قاو شياو تشين بالتحدث؛ عندما انفصلت هي وتشي تونغ وي وذهب كلّ في طريقه، رتّبا للقاء في عدة أماكن: إذا عبرا الحدود دون عوائق، فإنهما سيجتمعان في فندق الفصول الثلاثة في هونغ كونغ. أما في حال عدم تمكنهما من عبور الحدود، فإنهما سيلتقيان في مسقط رأس قاو تشياو تشين. بدأ هوى ليانغ بينغ بالسير ذهابا وإيابا في غرفة التحقيق يشغله التفكير. لا يزال يراوده شعور غريب ما - على أقل تقدير، هناك شيء غير واضح تماما. فبالإضافة إلى فندق الفصول الثلاثة في هونغ كونغ وبحيرة يانتاي الشمالية الكبيرة، يجب أن يكون هناك مكان آخر، مكان أكثر أهمية.

وبإدراكه لهذه الفكرة، وقف هوى ليانغ بينغ أمام قاو تشياو تشين. "أيتها الرئيسة قاو، بالإضافة إلى هذين المكانين الذين أشرت إليهما، هل ذكر تشي تونغ وي أيضا مكانا يدعى جسر النسر الوحيد؟". حدّقت قاو شياو تشين وقالت: "أين يقع جسر النسر الوحيد؟ وما علاقة هذا المكان بتشي تونغ وي؟". فوجئ هوى ليانغ بينغ بشدة: "أوه، ألم يتحدث تشي تونغ وي عن هذا المكان؟".

قالت قاو شياو تشين بجدية: "لم يذكر ذلك أبدا. أيها المدير هوى، لماذا أخدعك، ولماذا أخفي عنك مثل هذا الأمر، فكّر بالأمر. أنا لا أريد أن يقدم تشي تونغ وي على الانتحار؛ فلدينا طفل عمره ست سنوات". لم يكن هوى ليانغ بينغ يتوقع سماع ذلك: "لديكما طفل؟ أين هو الطفل؟". كانت دموع قاو شياو تشين تنساب وهي تقول. "الطفل في هونغ كونغ وكان تحت رعاية أختي الصغيرة قاو تشياو فنغ طوال الوقت...". شعر هوى ليانغ بينغ بصحوة مفاجئة - لقد تمّ ترتيب الأمور منذ فترة طويلة من أجل الطفل، ولن تؤدي جرائم قاو شياو تشين إلى عقوبة الإعدام. كان تشي تونغ وي على الأرجح في جسر النسر الوحيد.

وبعد تسليم أوراق الاستجواب إلى لو بيك، هرع هوى ليانغ بينغ إلى مركز القيادة وأخبر جي تشانغ مينغ وتشاو دونغلاي اللذين كانا يراقبان كل شيء من هناك: "إني أعرف مكان تشي تونغ وي". أخبر هوى ليانغ بينغ كلاً من جي تشانغ مينغ وتشاو دونغلاي عن شيء حصل في الماضي.

منذ عشرين عاما، كانت جسر النسر الوحيد قرية جبلية صغيرة منعزلة عن بقية العالم، بيئتها الطبيعية رديئة جدا. فكل من في القرية تقريبا كان يعمل في تصنيع المخدرات. في ذلك الوقت، كان تشي تونغ وي ضابط مخدرات على مستوى قائد سرب القسم. في وقت متأخر من الليل، جازف فوق المنحدرات على الجانب الآخر من الجبل وتسلل إلى قرية تصنيع المخدرات للقيام بجولات استطلاعية، ولكن كان لدى تجار المخدرات حراس ودوريات. فقد تم كشف أمر تشي تونغ وي ولحقوا به، وبدأ كلا الطرفين بإطلاق النار.

وبدخول ثلاث رصاصات في جسده بدأ يغني أغنية للأطفال، ووجد تشي تونغ وي وهو في أمس الحاجة إلى مساعدة منزل السيد تشين، وكان هو المنزل الوحيد في القرية الذي لم يتورط بتجارة المخدرات، وهكذا تم إنقاذ حياته". سأل جي شانغ مينغ بفضول. "ليانغ بينغ، ما هي أغنية الأطفال هذه؟".

قال هوى ليانغ بينغ: "أغنية يعرفها كل طفل عن أمه، "لقد وجدت فلسا على جانب الطريق الخامس عشر". سدد تشاو دونغلاي هوى ليانغ بينغ لكمة ودية وقال. "كيف لك أن تعلم هذا التفصيل الصغير؟". قال هوى ليانغ بينغ: "تحدث تشي تونغ وي عن ذلك في نسخة كتاب عام 2002 من مراسلات *الأمن العام*. وقال إن العمال في جميع أنحاء العالم يجدون رفاقهم يغنون أغنية "نشيد الأممية"، أما خلال الفترات الحرجة، فوجد أن الجماهير تنشد أغنية الأطفال تلك. لفترة طويلة من الزمن، كنت أحترم هذا الزميل بشكل كبير".

تأثر تشاو دونغلاي كثيرا وقال: "لقد كرست الكثير من الوقت والجهد في تعلّم كل هذه المعلومات حول تشي تونغ وي: "حتى أنك علمت بشأن الإصدارات القليلة التي نشرت، والمراسلات الأمنية العامة، أقول لك بصراحة، لديّ معلومات كافية عن حيازة المخدرات في قرية جسر النسر الوحيد، لكنني لم أبد أي اهتمام بهذا النوع من الإصدارات المحدودة النشر أو هذا النوع من المقالة القصيرة من قبل تشي تونغ وي".

قال هوى ليانغ بينغ: "توجب علي أن أعلم عن ذلك. فلقد سقط تشن هاي، وأنا لا أجرؤ تحت أي ظرف أن أقلل من شأن العدو".

بعد ذلك، قدّم لهم تحليلا متعمقا: "إنّ تشي تونغ وي يختبئ في قرية جسر النسر الوحيد، السبب الأول هو أنّها منعزلة، والثاني لأنّ منقذا كالسيد تشين يقطن هناك. وفي ظلّ الظروف الراهنة حيث إنّه على مقربة من حبل المشنقة، يعد خياره جيدا. والأهمّ من ذلك هو أنه لم يخبر حتى قاو شياو تشين عن هذا المكان، جسر النسر الوحيد، وهذا يشير إلى مقدار أهمية هذا المكان في قلب تشي تونغ وي".

أبدى كلّ من جي تشانغ مينغ وتشاو دونغلاي موافقته على هذا التقييم. وبينما كانوا يناقشون خطة العمل اقترح هوى ليانغ بينغ خطة مدهشة: "من منظوري الخاص، يجب على كلّ منكما الإشراف على الأمور. سأذهب مع الشرطة الجنائية ونأخذ مروحية إلى جسر النسر الوحيد لأقنعه بالاستسلام على الفور. لا تطلقا النار عليه إلاّ إذا كان ذلك ضروريا للغاية". سأل جي تشانغ مينغ: "هل تستطيع أن تنجح في إقناعه بالاستسلام؟ ما مدى ثقتك بذلك؟".

فكّر هوى ليانغ بينغ في الأمر، وقال: "لديّ فرصة بنسبة ثلاثين بالمئة تقريبا".

قطب تشاو دونغلاي حاجبيه. وقال: "حسنا، دعني أذكرك أنّ بحوزته بندقية قناصة. يمكنه قتلك بطلقة واحدة، وهذه فرصة تقدر بنسبة مئة بالمئة، هل تعتقد أنّ تلك الثلاثين في المئة تستحقّ منافسة فرصة تقدّر بمئة في المئة؟".

تأمل هوى ليانغ بينغ وقال: "لدى رؤيتنا كيف أنّ تشي تونغ وي ذهب إلى جسر النسر الوحيد، وأنا أقدر أن من يهرب فلن يكون من السهل عليه الإقدام على إطلاق تلك الطلقة...".

49

عندما دخل تشي تونغ وي ساحة منزل السيد تشين، كان الرجل المسنّ يطهو في الداخل. هبتْ ريح عبر المدخنة التي اختنقت بالدخان، وانبعث من الموقد دخان كثيف، مما جعل الدموع تنهمر من عيني الرجل العجوز. ولدى سماعه صوت حركة ما، وقف الرجل العجوز، فرك عينيه، وخطا عبر عتبة الباب الخشبية التي تحول لونها إلى الأسود. وعند معرفته هوية الضيف المفاجئ، مدّ السيد تشين يديه وبحماس حضن تشي تونغ وي. وقال: "يا إلهي، أيها القائد تشي، ما الذي تفعله هنا؟". وعندما رأى بندقية قناصة بين يدي تشي تونغ وي، سأل المزيد من الأسئلة: "ماذا؟ هل تؤدي مهمة؟ ماذا عن الرفاق الآخرين؟".

أسند تشي تونغ وي بندقيته إلى الجدار الترابي ثم أخرج منديلا ومسح الدموع من عيني الرجل العجوز. وقال: "ليس هناك من مهمة أقوم بها، بل أتيت خصيصا لرؤيتك؛ وفي هذه الأثناء، سأذهب إلى أعلى الجبل وأصطاد بعض الأرانب البرية".

عندئذ فقط، لاحظ أنّ التجاعيد على وجه الرجل العجوز كانت أعمق وأكثر تركيزا. كان إزميل الوقت حقا بلا رحمة، فقد جعل قلب المرء يتوق أن يرى. أخذ تشي تونغ وي بيد الرجل العجوز وقال: "هيا بنا، سأراقب النار. بينما أنت تقوم بالطهي. فأنا جائع أيضا".

"لا حاجة لذلك، فقد أوشكت على الانتهاء". أوقف السيد تشين تشي تونغ وي. وقال له: "أيها القائد تشي، إن الدخان هنا شديد ويدخل في عينيك. ابق في الفناء لبعض الوقت، أو ألق نظرة في الأرجاء. سأقلي لك بعض البيض".

مشى تشي تونغ وي عبر أزقة القرية الجبلية. لم تلمح عيناه أي شيء سوى المنازل القديمة المتداعية: كانت بعض جدران الفناء قد انهارت، وبعض السقوف كانت مائلة. واحتوى كلّ باب تقريبا على قفل صدئ. في بعض الأحيان، كان يرى سيدة عجوزا بلا أسنان، تجلس بشكل متخّشب على كتلة حجرية على مفترق الطريق. كانت الأعشاب على جانبي الطريق قد نمت بشكل كبير، ما جعل المنظر قاحلا. كانت القرية ميتة غير مأهولة. جميع الشباب كانوا قد رحلوا عنها، وتم استنزاف الدم الجديد...

أثيرت ذكريات الماضي في نفسه. في تلك الليلة التي لا تنسى، كان قد مرّ مسرعا بجنون في الأزقة الترابية هذه، مطلقا النار بينما كان يبحث عن مخبئ يمكنه من إنقاذ حياته. كان تجار المخدرات يطاردونه، وقد أصيب بثلاث رصاصات. كان صدره ينزف، وكانت جروحه عميقة. والأسوأ من ذلك أن ذخيرته قد نفدت. في ذلك الوقت، جلّ ما كان يسمعه هو صيحات تجّار المخدرات من حوله.

"لا تسمح للشرطي بالهرب. فمكافأة قتله عشرة آلاف...". في تلك اللحظة، كان تشي تونغ وي قد فقد الأمل كليا.

كان الظلام دامسا لدرجة أنّه بدا له كأنما سقط في بئر عميقة. ولم يتمكن حتى من رؤية الجدار القابع أمامه. في ذلك الوقت، كان يعتقد أن حياته قد شارفت على نهايتها.

كان الستار سيسقط على شبابه الكئيب في هذه القرية الجبلية الصغيرة غير المعروفة، جاء صوت هزيم الرعد من التلال البعيدة، كئيبا مكفهرا، ولكن المطر لم يسقط.

كان الهواء رطبا وثقيلا مما جعله يلتقط أنفاسه بصعوبة. ركض نحو الأمام، متعثرا واستمر يركض، ولم يعلم مدة الوقت الذي أمضاه يركض عبر الأزقة الضيقة. وكل ما كان يشغله هو أنه إذا ما انهار سيطاح به في أي لحظة. عندئذ، بلغت أغنية الأطفال مسامعه: "وجدت بنسا على جانب الطريق، ووضعته في يد العم الشرطي...". أشعلت هذه الأغنية الودودة والمألوفة آماله في البقاء على قيد الحياة. تعثّر طوال الطريق وهو يحاول متابعة الصوت إلى أن وصل باب السيد تشين. واستخدم آخر رمق للقوة يملكه ليفتح البوابة قبل أن يغمى عليه ويلقى على الأرض.

كانت أصوات المطاردين تدنو مقتربة، وخاطر السيد تشين وسحبه داخل المنزل، وخبأه في مخزن الحبوب. كان ابن السيد تشين يقوم بواجباته تحت ضوء مصباح الكيروسين - وهو الذي كان يغني أغنية الأطفال التي سمعها تشي تونغ وي في ذلك الوقت. تمكن السيد تشين من التعامل مع تجّار المخدرات الذين جاءوا يبحثون عن تشي تونغ وي، وفي الليلة ذاتها هبط السيد تشين الجبل وأبلغ الشرطة.

باكرا في صباح اليوم التالي عندما أشرقت الشمس، كان هناك مروحية تحوم فوق جسر النسر الوحيد وقد طوقت الشرطة القرية. بعد معركة شرسة، ألقى تجار المخدرات أسلحتهم وأعلنوا استسلامهم، وبهذا زال الخطر عن تشي تونغ وي.

غرق تشي تونغ وي في التفكير بينما كان يمشي؛ يراوده شعور كما لو أنه كان في حلم ما، والدموع الساخنة تملأ عينيه من تلقاء نفسها. كان السيد تشين في الأساس معلما في مدرسة عامة. وبما أن الأطفال في مسقط رأسه لم يستطيعوا الذهاب إلى المدرسة، فقد طلب الذهاب إلى قرية النسر الوحيد لإنشاء مدرسة ابتدائية.

أكسبه إخلاصه الخالي من أي أنانية احترام القرويين. ونتيجة لذلك، بالرغم من أنه اهتمّ بشؤونه الخاصة ولم يشارك في تصنيع المخدرات أو الإتجار بها، لم يزعجه أحد بشأن ذلك. ولكن بعد تلك الغارة بشأن حيازة المخدرات، حكم على كثير من الناس بالإعدام، وحقد الجيران عليه نتيجة ذلك.

بعد ذلك، غادر الشباب القرية لكسب لقمة العيش، وبدأ عدد الأطفال يقلّ شيئا فشيئا. وفي النهاية، أغلقت المدرسة الابتدائية أيضا.

كما هي الحال دائما، عندما لا تسير الأمور على ما يرام، يعود تشي تونغ وي دوما إلى قرية النسر الوحيد لزيارة السيد تشين. اعتاد أن يحضر زجاجتي خمر جيدتين ويحكي للرجل العجوز عن حزنه بينما يشربان. حيث وجد في ذلك المكان الإلهام والعزاء. كان السيد تشين نورا اعتزّ به تشي تونغ وي في قلبه.

كل هذا كان في السر فلم يعلم أحد بالعلاقة العميقة بين مدير قسم الأمن العام وقرية جبلية صغيرة. كان لديه حدس أن نهايته ستكون في قرية النسر الوحيد - كان هذا مكان فخره ومجده

ومكان الخلاص الخاص به.

بدأت ندف الثلج تحلق في الهواء. وأصبحت القمم الخلاّبة والصخور الغريبة غير واضحة في قرية النسر الوحيد. عرج تشي تونغ وي جيئة وذهابا في القرية، باحثا عن آثار الأقدام الثمينة التي خلّفتها حياته. لم يكن ليتخيل أن يتحول من بطل مكافحة المخدرات الشهير في ذلك الوقت إلى حيث هو الآن، ولم يكن أيضا على استعداد لمواجهة الأمر. أين بالضبط كان قد أخذ خطوة خاطئة، بحيث كان خطوة تلو الأخرى ينحدر نحو الهاوية؟ ظهرت قاو شياو تشين أمام عينيه. كما لو كان في نشوة، ومشت تلك المرأة الجميلة نحوه خطوة خطوة...

سابقا، كانت قاو شياو تشين فتاة جميلة وبريئة. عندما غادرت هي وشقيقتها التوأم الأصغر قاو شياو فنغ مسقط رأسهيما الواقع في جزيرة وسط البحيرة على متن قارب، لم يكن لديهما حتى زوج لائق من الأحذية. كان شريك شاو رويلونغ دو بوزونغ هو من اكتشف ابنتا الصياد هاتين، الفتاتان اللتان تملكان جمال زهرة الزنبق، وأحضرهما إلى لو تشاو. في متجر وسط المدينة، اشترى لهما دو بوزونغ الملابس. تخلصت قاو شياو تشين من أحذيتها البالية، وانتعلت حذاء جلديا عالي الكعب، في البدء لم تتمكن من المشي به. مع التدريب القاسي، أصبحت المرأتان حسناوين.

في ذلك الوقت، امتدت أيدي تشاو رويلونغ ودو بوزونغ السوداء إلى الفتاتين، حيث تم اغتصاب قاو شياو تشين مرارا وتكرارا. من أجل حماية شقيقتها الصغرى قاو شياو فنغ، ضحت قاو شياو تشين بنفسها مرات عديدة، ولكن في النهاية قدمت قاو شياو فنغ هدية لرئيس لجنة الحزب المحلي في مدينة لوتشاو، قاو يوليانغ.

رأى تشي تونغ وي للمرة الأولى قاو شياو تشين في غرفة خاصة فاخرة جدا داخل مركز عائلة تشاو للعشاء الراقي. في ذلك الوقت، كان نائب مدير مكتب جينغتشو للأمن العام، وكان لدى تشاو رويلونغ خدمة منه. أراد الحصول على مشروع ضخم لمواقف السيارات عن طريق تشي تونغ وي، وأحضر معه قاو شياو تشين وقتال: "أيها المدير تشي، هذا الجمال مألوف بالنسبة إليك، أليس كذلك؟".

ابتسم تشي تونغ وي وهو ينظر إلى قاو شياو تشين: "لقد سبق لنا أن التقينا، فهي مستشارة معلمي".

قال تشاو رويلونغ مازحا: "حسنا، عليك أن تدعوها السيدة قاو، أيها المدير تشي".

قال تشي تونغ وي مازحا أيضا: "أخاف أن يجعلني ذلك أبدو كبيرا في السن...". أسبلت قاو شياو تشين بعينيها، وضحكت مثل طائر الأوريول. وقالت: "أيها المدير تشي، لا تستمع لما يقوله الرئيس تشاو. أمينة سر معلمك هي قاو الصغيرة، أنا قاو الكبيرة. نحن توأم. أنا الأخت الكبرى، وهي الأخت الصغرى. نظر تشي تونغ وي إلى قاو شياو تشين مذهولا وصرّح يا إلهي، زوج من الجمال.

من العدل القول إن كلا من تشي تونغ وي وقاو شياو تشين وقع في حب الآخر من النظرة الأولى. وقبل مضي وقت طويل، بدأا بإخبار بعضهما كلّ شيء. أخبر تشي تونغ وي قاو شياو تشين أنه من أجل تغيير مصيره في البداية، لم يكن لديه خيار سوى الانحناء إلى ذوي القوة والسلطة في اعتراف بالهزيمة. فقد أجبر على الركوع في الملعب الرياضي لجامعة إيتش وطلب الزواج من امرأة عجوز تكبره بعشر سنوات، كلّ ذلك لأنّ والد تلك العجوز كان أمين لجنة الشؤون السياسية والقانونية الإقليمية. يمكن للسلطة التي يمارسها والدها على النظام السياسي والقانوني أن تنقل تشي تونغ وي من الجبال وتغير مصيره. قال تشي تونغ وي أنه بمجرّد ركوعه هكذا تصلّب قلبه، ولم يعد يهتمّ لأي شيء منذ ذلك الحين.

كانت قاو شياو تشين صريحة أيضا بشأن قدرها في الحياة. منذ أن كانت ابنة صياد فقير حتى هذا اليوم، كانت العديد من تجاربها لا تحتمل أن تذكر. يوما بعد يوم، اختلطت مع أشخاص من أمثال تشاو رويلونغ ودو بوزونغ، وأصبحت لعبة بين أيديهم...

حضن تشي تونغ وي قاو شياو تشين بين ذراعيه وقال: "كلّ ذلك من الماضي. دعينا نبدأ من جديد ونبحث عن السعادة التي تخصنا. أرجوك أن تثقي بي. سأخلق سعادة أبدية من أجلك ومن أجلي".

كانت ندف الثلج تسقط بهدوء. لم تكن هناك رياح، وكان الثلج يشبه خيوط القطن، يسقط برفق على أسطح المنازل، رؤوس الأشجار، والرحى الكبيرة عند مدخل القرية. وقبل أن يدرك، كانت الأرض مغطاة ببطانية نقية بيضاء. كانت ندف الثلج تلك بمثابة إحباط لسكينة القرية الجبلية الصغيرة، ساحرة ومحزنة في آن واحد.

وبشكل مفاجئ، تحولت أفكار تشي تونغ وي الليلة الماضية إلى محاولة فاشلة لكسر الحصار. قد تخضع قاو شياو تشين للاستجواب في غرفة التحقيق في هذه اللحظة بالذات، ويبدو أنهما لن يتمكنا من رؤية بعضهما مرة أخرى في هذه الحياة.

لقد أحبا بعضهما بصدق وكان لديهما طفل؛ كانا زوجا وزوجة بكلّ ما للكلمة من معنى. لم يندم تشي تونغ وي قط على حصوله على امرأة كهذه خلال حياته. ولكن عندما تشابك الحب والمكاسب المادية، تغير جوهر الحب بهدوء وأدى في النهاية إلى مأساة اليوم. توقف تشي تونغ وي أسفل باغود خلف القرية، يتذكر الماضي مذهولا. ظهرت ابتسامة دينغ يجن المنافقة أمام عينيه - كان ذلك في الربيع أي عام؟

كان دينغ يجن يأخذ كلاّ من تشي تونغ وي وقاو شياو تشين في جولة حول الأرض المجاورة للطريق الريفي على مشارف جينغتشو. نظر إلى التلال الخضراء وجداول الماء الزرقاء التي استقبلت عينيه في كلّ مكان، وأثبتت إحدى اللمحات أن هذه هي أرض الميعاد.

على الفور، تآمر مع دينغ يجن على شراء الأرض بسعر مخصصة للاستخدام الصناعي، بأربعين ألف يوان لكل مو. بعد ذلك، قاما بتعديل الهدف من الأرض إلى الاستخدام التجاري، وهكذا تم إنشاء منتجع شانشوي.

بعد مرور عامين، وبينما كان تشي تونغ وي يسير مع قاو شياو تشين في مبنى النادي الأول الذي تم بناؤه للتو، لم تتمكن قاو شياو تشين من أن تصدق ما رأته عيناها. ألقت ذراعيها حول كتفيه وتلعثمت قائلة: "بهذه البساطة، قمنا ببناء... بناء هذا من لا شيء؟".

ضحك تشي تونغ وي. وقال: "لا أحد ينكر ذلك. أيتها الرئيسة قاو، أنت فطنة وبارعة. لقد اغتنمت الفرصة الكبيرة للإصلاح والانفتاح واستخدمت ثمانين ألفا في قروض من البنك لإنشاء هذه المعجزة التي تبلغ قيمتها مليار يوان أو أكثر. بدأت قاو شياو تشين بالضحك، لدرجة أنّ عينيها امتلأتا بالدموع. أيها المدير، لقد أنشأنا هذه المعجزة معا، فمن دونك، لم يكن دينغ يجن ليوافق على منح الأرض التي كان سعرها ستمئة ألف لكل مو لتصبح فقط أربعين ألف لكل مو. كما أن البنك لم يكن ليقبل الأرض كضمان لقترض ثمانين ألف يوان...

وضع يده على فم قاو شياو تشين الصغير ليمنعها من الحديث. "لا تقولي هذا؛ يجب ألا تقولي هذا أبدا".

أومأت قاو شياو تشين رأسها والدموع في عينيها وبدأت بالرقص. ورفعت ذراعيها حوله، وقبّلته بتهور لدرجة أنه بدأ أيضا بالتحرك. في ذلك اليوم، مارسا الجنس بجنون في وضح النهار على الدرج المفروش حديثا بالسجاد، حتى تصبّبا عرقا. مثل الذين فقدوا عقولهم، الذين كانوا يعيشون حلما، وصلت حياتهما إلى ذروة نادرة...

اقتحم نعيق الغراب حلم تشي تونغ وي. توقف تساقط الثلج، وأشرق شعاع من أشعة الشمس على فروع الباغود. في الأرجاء طار الغراب من عشه فرحا، متمتعا بدفء الشمس. كان أرنب بري يقفز على مرأى منه ويشقّ طريقه إلى بستان أشجار البلوط على سفح الجبل. أعاد تشي تونغ وي تعديل وضعية جلوسه، واتكأ على اللحاء المشقوق لجذع الشجرة، والذي كان كبيرا جدا بحيث بالكاد يمكنك فقط لفّ ذراعيك حوله.

هذا صحيح، بتلك البساطة أنشأت قاو شياو تشين مجموعة شانشوي عبر الاستعانة بطرق ملتوية. ومنذ ذلك الحين، تغير الحبّ بينه وبين قاو شياو تشين أيضا.

أصبحا شريكين تجاريين، أحدهما في العلن، وآخر وراء الكواليس، وشكّلا معا إمبراطورية تجارية سرية. إن الجشع البشري لا حدود له، لقد استخدما شتى الوسائل للحصول على الأشياء عن طريق الخداع واغتنام أي فرصة تذكر بهدف جمع الثروة. ولأنهما من عائلتين فقيرتين، فهما يقدّران الفرص التي حصلا عليها بشقّ الأنفس من أجل كسب الثراء السريع.

نتيجة لذلك، أصبحا أكثر جماحا بمئة مرة، جشعين أكثر بألف مرة، وكان اختلاس أسهم معمل دافنغ مثالا واحدا على ذلك. بالتفكير في الأحداث، فقد انجرفا في أفعالهما حقا، ثم صادفا الانتهازي تساي قونغ.

كان تساي قونغ وضيعا للغاية لدرجة أنه زوّر قرار جمعية المساهمين العمالية وهيأ الساحة لهذه الكارثة...

تبادر إلى الأذهان مشهد آخر من الذاكرة - عندما كان كلّ من تشي تونغ وي، تشن تشينغ تشيوان، وقاو شياو تشين يستريحون في نادي ملعب الغولف، وبدأوا يتحدثون عن دعوى قضائية في معمل دافنغ. حيث حذرهم تشن تشينغ تشيوان قائلا إن هذا الأمر مزعج.

فعند التعدي على مصالح العمال، كان عليهم أن يهتموا إن العمال قد يثورون في قتال مميت ضدهم. أجاب تشي تونغ وي بشكل صريح: إذا تكبدت مجموعة شانشوي خسائر، فإنها ستثير أيضا قتالا مميتا.

فهم تشين تشينغ تشيوان خلاصة ما كان يقصده وسأله ما هو القرار الذي يجب أن يصدر. لم يقل تشي تونغ وي ذلك بشكل صريح، ولكنه قال فقط، إنها المحكمة التي تقرر الحكم الصادر، ولكن بغض النظر عن ماهية الحكم، يجب أن يكون هناك أساس قانوني لذلك.

أدرك تشين تشينغ تشيوان ما الذي قصده تشي تونغ وي وقال إنه سيجد الأساس القانوني. دائما ما توجد سلطة تقديرية، أليس كذلك؟! وبذلك، بدأ على الفور بالتفاوض على الشروط معهم، وأسقط تلميحا حول مشكلة تسليم ابنته منصبا في الشعبة. ربت تشي تونغ وي على كتف تشين تشينغ تشيوان تربيتة ذات معنى. إنه ليس منصبا على مستوى نائب رئيس الشعبة، بل مستوى القسمة هو الذي يذكر. كانت الصفقة مكشوفة بحيث تجاوزوا كلّ الحدود بكلّ وقاحة.

لم يكن واثقا من وقت حدوث ذلك، لكن السيد تشين سار أمامه، وقال إن الطعام جاهز، وأخذه إلى البيت ليأكل. جالسا على طاولة كانغ صغيرة في الغرفة الرئيسية وهو ينظر إلى وجبة بسيطة على تلك الطاولة وجميع أنواع المشاعر تختلط بداخله. وكان للطعام العادي رائحة زكية خاصة. كان المكان أجمل هنا. لم تكن هناك خلافات أو معارك، والأهم من ذلك عدم وجود نزاعات حتى الموت. عندما فرغ من تناول الطعام، ذهب إلى الفناء لإيجاد عمل يقوم به.

لم يتمكن السيد تشين من منعه، ولم يكن أمامه خيار سوى مساعدته. أولا، قاما بتنظيف الفناء من الثلج المتراكم. وكان قن الدجاج في الزاوية قد انهار، لذا خلطا كومة من الوحل لبنائه. بمجرد أن بدأ بالعمل وأخذ يتصبب عرقا وعضلاته بدأت بالتمدد، شعر براحة لا تقدّر.

وعلى نحو غير متوقع، لم يتمكنا من إنهاء مشروع المزرعة الصغيرة تلك - فعندما كانا يضعان سقفا من القش على قن الدجاج، سمعا فجأة صوت أزيز قادم من السماء. نظر تشي تونغ وي

وتحول لونه إلى الأبيض الشاحب. ألقى بالأدوات من يديه، عبر الفناء بخطوات سريعة ودخل إلى المنزل، وتناول بندقيته القناصة.

حلقت مروحية تابعة للشرطة فوق القرية، وعبرت فوق الفناء. نظر السيد تشين إلى المروحية واضعا يده على عينيه ليظللهما، وارتسمت الدهشة على وجهه. "أيها القائد تشي، ما هذا؟ هل اكتشفوا وجود المخدرات مرة أخرى؟".

تنهد تشي تونغ وي وعلائم الإذعان بادية على وجهه "أنا الشخص الذي اكتشفوا وجوده. أسرع واخرج من هنا".

"هل... واجهت بعض المتاعب؟". نظر السيد تشين إليه والشكّ يملأه.

سحب تشي تونغ وي السيد تشين داخل المنزل. وقال: "لا تسأل. أسرع وادخل المنزل. من الخطر البقاء في الخارج".

عندها، صدح صوت رنان في الأرجاء: "أيها الصديق القديم، لقد جئت لأخذك إلى المنزل".

وقف تشي تونغ وي بتوتر خلف النافذة ووجّه بندقية القنص في يده نحو المروحية.

أوقفه السيد تشين. وقال: "يا إلهي، أيها القائد تشي، ما الذي تفعله؟ إنه هنا ليأخذك إلى المنزل".

هزّ تشي تونغ وي رأسه. "لم أكن قادرا على العودة منذ زمن طويل، هذا الشخص عدوي. فهو الشخص الوحيد الذي لن يصعب عليه تخمين وجودي هنا".

هذا صحيح، لم يكن هذا العدوّ يعلم مكان وجود تشي تونغ وي فحسب، بل كان يعرف أيضا عن القلق والخوف القابع في أعماق روحه. بصوت واهن رنت أغنية الأطفال القديمة في أذنيه كما الواجب: "وجدت قرشا على جانب الطريق وضعته في يد العم الشرطي...".

هل بدأ بتخيل الأشياء؟ كلا، فقد تمّ تشغيل الأغنية عبر مكبرات صوت المروحية. أخذت المروحية تحوم متجهة نحو الأسفل، مشغلة أغنية الأطفال مرارا وتكرارا. مثل تيار متدفق، تحطمت الأغنية أمام الصخور التي في قلبه، وهي تذرف قطرات ماء لامعة. أغمض عينيه، وسال تيار من

الدموع من كلتا عينيه ببطء على وجهه... ما زال السيد تشين لا يدرك ما الذي يجري. أيها القائد تشي، هل هناك سوء فهم ما...

أومأ تشي تونغ وي برأسه وقال: "نعم، سوء فهم كبير. قريبا سوف يمتلئ المكان هنا بالرصاص المتطاير، لذا أسرع بالمغادرة".

قال السيد تشين بقلق: "يا إلهي، لا يزال بإمكانك توضيح الأمور بغض النظر عن حجم سوء الفهم، فقط لا تستخدم السلاح، أنت مدير قسم الأمن العام. كيف لك أن تطلق النار على مرؤوسيك؟".

قال تشي تونغ وي: "أريد أن أتخلص من هذا الخصم البغيض. هو ليس بشرطي".

"حسنا.. حسنا من يكون؟ ألن يأخذك إلى المنزل؟ يتوجب عليك أن تعود".

في قرارة نفسه، بدأ تشي تونغ وي بالنشيج لاإراديا. لقد أراد العودة، كان يتوق لذلك كثيرا. لطالما حلم بالعودة، ولكنه لم يتمكن من تحقيقها؛ لم يستطع العودة أبدا. وكان قد ابتعد كثيرا عن حلمه. في البوذية، يقال: بحر العذاب ليس له حدود. بالتوبة فقط، يصبح الشاطئ في متناولنا.

ولكن قاربه كان قد غادر الشاطئ منذ فترة طويلة، تلك الفترة التي لم يتمكن فيها من رؤية الشاطئ بينما يقف على القارب. أمام عينيه، لم ير سوى بحر معاناة واسع المدى وجبالا من الأمواج المتثاقلة...

كان صوت السيد تشين يرتعش وهو يقول: "أيها القائد تشي، استمع... استمع إلى كلمة النصيحة...". داس تشي تونغ وي على قدمه وقال: وفر أنفاسك وأسرع بالذهاب. فلا يمكن بعد الآن إيضاح سوء الفهم هذا.

هز السيد تشين رأسه وهو يتنهّد بلا حول ولا قوة، خطا بضع خطوات، نظر إلى الوراء، ثم خرج عبر الباب. في تلك اللحظة، هبطت مروحية الشرطة على بقعة مفتوحة في القرية. قفز منها ما يقارب اثني عشر شرطيا مسلّحا وجنائيا مسلحين بالبنادق واحدا تلو الآخر.

ورأى تشي تونغ وي عبر نافذة المنزل الترابي عدوه المرير هوى ليانغ بينغ الذي كان يرتدي ملابس مدنية، وكان آخر من قفز من المروحية. رفرفت سترة هوى ليانغ بينغ الواقية في

مهب ريح مراوح الدوران في طائرة الهليكوبتر، كما يرفرف العلم الراقص في الهواء. وها قد بدأت تثلج مرة أخرى.

هذه المرة، اشتدت الرياح أكثر، ممزقة ندف الثلج إلى شظايا تغزل وترفرف في الهواء بحيث لا يمكن للمرء أن يفتح عينيه. اختبأت الشمس على ضفاف الغيوم، أما السماء فكانت غائمة كليا. كانت المنحدرات الحادة في قرية النسر الوحيد ضيقة جدا. بينما قفز هوى ليانغ بينغ من المروحية التابعة للشرطة، سار نحو ساحة منزل السيد تشين، وكانت كل خطوة يجتازها أصعب من سابقتها كما لو أن ساقيه قد ملئتا رصاصا. ففي نهاية المطاف، سوف تتكشف المبارزة مع زميل دراسته تشي تونغ وي على هذه القمة الصغيرة. حيث سيبدأ القتال الدامي خلال دقائق.

بما أنه صديقه القديم الذي يقدّره، كان هوى ليانغ بينغ يأمل بعدم حدوث هذا، لكنه لم يتمكن من تجنّبه. فعليه أن يواجه مسدس تشي تونغ وي. تذكّر عندما شربا البيرة في كشك الطعام، تحدثا عمن سيسقط أولا في حال جاء هذا اليوم الذي يقومان فيه برفع أسلحتهما بوجه بعضهما. والآن، قد أصبحت تلك النكتة حقيقة. لكنه لم يكن يخطط لرفع مسدسه. كان ذاهبا لإيقاظ ضمير خصمه وملئه بالإخلاص وحثه على رمي مسدسه والاستسلام. فهل كان هذا ممكنا؟ إذا لم يكن ذلك ممكنا، ربما كان هذا آخر طريق يمشي فيه في حياته. من الذي لا يقدّر حياته الخاصة؟ هذا هو السبب في أن كل خطوة تحمل هذا الوزن كلّه. ومع ذلك، ظل ساكنا وأكمل طريقه. يجب عليه أن ينجز مهمته. كانت البوابة الترابية تقترب منه أكثر فأكثر، كما يقترب هو من النتيجة النهائية.

في الداخل، كان تشي تونغ وي يحمل بندقية القنص المثبتة على حافة النافذة بيد واحدة، في حين أنّ اليد الأخرى قبضت على مسدس عادي، وقد مر عليه وقت طويل وهو يحبس أنفاسه. كان الفناء الصغير خاليا تماما. لم تكن هناك مواقع للاحتماء. ظهرت صورة ظلية لهوى ليانغ بينغ؛ حيث تبين على مرأى منظار القناصة وجود رأس يتأرجح... رفع هوى ليانغ بينغ كلتا يديه عاليا وقال: أيها الصديق القديم، أرجوك أمعن النظر جيدا. فأنا لم أحضر سلاحا".

صاح تشي تونغ وي: "ألا تعرف أن الشخص الذي أودّ أن أقتله هو أنت؟!".

توقف هوى ليانغ بينغ عند بوابة الفناء، وانحنى أمام حاجز الباب وعانق نفسه، كما لو كان يتحدّث مع صديق قديم: "أيها الصديق القديم، أعرف طبعا ما الذي تفكر فيه، ومع ذلك لا يزال عليّ

أن أقول ما يجب أن يقال، فقد مررت اليوم بكافة أنواع الصعوبات والمشاق للعثور عليك، وأنا أودّ بصدق أن آخذك إلى المنزل. أنا لا أتمنى أن تموت، لكنك تدرك أن هناك بعض الناس يتمنون ذلك، تموت أنت، وهم يصبحون بأمان، وبذلك يمكنهم الاستمرار بالتحدث بشكل مبالغ باسم الشعب، أيها الصديق القديم، لقد قلت إنك وجدت الناس هنا. حسنا إذا، أرجوك أن تفكر باسم هذا الشعب؛ فكّر بالأمر بما بقي لك من ضمير. ألم يحن وقت الاستسلام؟".

جاء صوت تشي تونغ وي اليائس ذو البحة من المنزل الترابي: "أنت تستمر في الحديث عن هذا الصديق القديم. حسنا، لم لا تدع هذا الصديق القديم يذهب في طريقه؟".

بدأ هوى ليانغ بينغ بالسير إلى الأمام ببطء خطوة تلو الأخرى، متجها نحو المنزل الترابي عبر العاصفة الثلجية المندفعة وقال: "هذا لأنك خرقت القانون، كلانا درس القانون، وكلانا أقسم أن يكون مخلصا للقانون، وبما أنك خرقت القانون، عليك أن تواجهه بشجاعة وألا تهرب، إذا فعلت شيئا ما عليك أن تكون مسؤولا عن تصرّفك، وفي حال لم تقم بشيء، فأرجوك أن تقول ذلك وتجعل المسؤولين عن الأمر يتحملون العواقب...

فجأة، دو صوت رصاصة في الأرجاء. ذعر هوى ليانغ بينغ لوهلة، والتفت إلى الخلف وصرخ قائلا للشرطي: "لا تطلقوا النار".

على مدخل فناء المنزل، نظر كل من السيد تشين والشرطي إلى هوى ليانغ بينغ بقلق، عندها أدرك هوى ليانغ بينغ أن الشرطي لم يطلق أي رصاصة من خلفه. كان تشي تونغ وي هو الذي أطلقها كنوع من التحذير.

"أيها الصديق القديم، لو أردت قتلي لكنت الآن مرميا على الأرض، أعلم أنك رفعت سلاحك مقدار إنش واحد. وبما أن المسألة هكذا، لنتابع الحديث عن تشن هاي، لا تتدخّل في قضيتي عبر إجبار يدك، ضع نفسك في مكاني لبرهة. لو كنت أنا، ولفق شخص ما حادثا مروريا مكيدة ضدّ أخيه، هل ستتغاضى عن خرقه للقانون؟".

"أنت مدير قسم الأمن العام في مقاطعة إيتش، وتشن هاي مدير مكتب مكافحة الفساد. ومرّة تلو الأخرى، نسّق تشن هاي عدة عمليات معك. كيف لك أن ترفع يدك ضدّه؟ كنت قد تحدّثت عبر

الهاتف، واتفقت معه على إرسال تقرير إلى قائد مكتب مكافحة الفساد المركزي، ولكنك ضربت ضربتك...".

صرخ تشي تونغ وي: "لم أكن أودّ قتله، ولكني لم أتمكن من الجلوس مكتوف اليدين وأنا أنتظر الدمار".

"هذا صحيح، ولهذا حاولت إسكاته، وبالرغم من كل هذا، أنت شخص يمتلك أحلاما ومجدا. إن لم تكن الخطايا التي ارتكبتها تخيفك على الإطلاق؟ هل يمكنك مواجهة تشين هاي في أحلامك؟".

صرخ تشي تونغ وي: "هذا يكفي. سأعيد حياة تشين هاي له".

في تلك اللحظة، كان الثلج قد بدأ يتساقط بشدّة، وكان جسد هوى ليانغ بينغ مغطى بالثلج الأبيض، وقد حوّله ذلك بشكل ما إلى رجل ثلج متحرّك.

مرّة أخرى، أخذ عدّة خطوات نحو المنزل الترابي وقال: "أيها الصديق القديم، بما أنك لا تودّ قتلي، أرجوك عد معي إلى المنزل، حتى لو كنت ستموت، مت في منزلك. سأرفقك إلى النهاية...".

من دون أن يبدي أي انتباه لنفسه، تابع هوى ليانغ بينغ السير متحدثا بينما يخطو نحو الأمام: "أيها الصديق القديم، لا تنس أين أنت الآن، هذه هي قرية النسر الوحيد، مكان مجدك، مكان خلاصك...".

ما لم يكن هوى ليانغ بينغ يتوقّعه، أنه في تلك اللحظة، وبينما كان يعبر عتبة باب ذاك المنزل الترابي، انطلق صوت عيار ناري داخل المنزل".

"سحقا". أسرع هوى ليانغ بينغ إلى الداخل، ورأى تشي تونغ وي ممسكا المسدس بيده، كان قد أطلق النار على رأسه، وسقط مضرّجا في بركة من الدماء. أصبح ذلك الوجه المألوف غريبا تماما...

50

اتخذ قاو يوليانغ قرارا غريبا، فقد اقتلع جميع الأزهار والنباتات من فناء منزله، وأضرم النار فيها، أشعلها حتى آخر عود فيها.

كان قد بذل سنينا من الجهد المضن في العناية بها، ولم يكن يرغب في خسارة مجموعة رائعة من الأعشاب والأزهار. وبينما كانت النار تستعر، جلس قاو يوليانغ بهدوء يراقب النار، يقف مكتوف الأيدي بينما تتحول أزهاره ونباتاته المزروعة بعناية إلى كومة من الرماد.

كان الجميع يعلم باستمتاع قاو يوليانغ بالزراعة. ولكن مؤخّرا، كان قد ترك كلّ شيء بشكل فجائي لسبب غير معروف. بعد ذلك، بدأ يُقلّب التربة. ولهذا السبب كان قد اشترى معولا جديدا، ومجرفة جديدة، ومدمّة جديدة، وبعض الأدوات الأخرى؛ بدأ في العمل بشكل جدي وبيد محترف. حراثة الأرض في الشتاء عمل لا يستهان به أبدا. عندما ضرب المعول الأرض المتجمدة، جلّ ما تمكن من تحريره هو حفرة صغيرة من الوحل، ولكن قاو يوليانغ حفر بإصرار وبروح لا تكلّ ولا تملّ مملوءة بالإرادة.

صعقت وو هوفين عندما رأت ذلك، وسألته: "ما الذي تعذّب نفسك من أجله؟". ابتسم قاو يوليانغ وأجاب: "لا أريد أن أكون بستانيا، بل أريد أن أكون مزارعا".

بالفعل بدا مزارعا عجوزا. وبينما كان يعمل، أخرج ملابس قديمة رثة كانت مهملة منذ فترة طويلة، وانتعل حذاء قديما مبطنا بالقطن كان قد انتعله مسبقا عندما ذهب إلى الريف لمساعدة الفقراء، مضيفا لمسة هزلية إلى صورته.

خلال النهار، ذهب إلى العمل مرتديا ملابس مستوحاة من الزي الغربي، لذلك كان يقوم بعمل الحراثة في الليل بشكل عام.

بسبب إصابته بالأرق، عمل قاو يوليانغ خلال ساعات الليل القصيرة في محاولة منه لكسب قسط جيد من النوم بعد العمل الجسدي، ولكن الأمر لم يكن مجديا بشكل كبير. فكان يفكّر بما يثقل ذهنه بينما كان يحرث التربة، كما أن هدوء الليل كان يوقظه ويؤدي إلى شحذ ذهنه أكثر من ذي قبل. كالانشطار النووي، كانت سلسلة الأحداث التي تحدث في الوقت الراهن تسبب ردّ فعل في أفكاره.

كان الوقت قد حان ليقوم باتخاذ إجراءات مسبقة من أجل المستقبل. كيف يمكن للمستقبل أن يبدو؟ شعر كما لو أن الإجابة عن هذا السؤال مخبأة في قلبه - هل ترى؟ أصبحت الحديقة أرضا زراعية. أصبح نائب المجلس مزارعا.

بالرغم من أن قاو يوليانغ بدأ عمله بروفيسورا، لكنه لطالما كان ماهرا بشكل استثنائي في عمله كمزارع لسنين عديدة. وعندما كان يحرث التربة في الفناء حافّة تلو الأخرى بشكل أنيق ملفت للنظر، لم يكن ذلك يجعله سعيدا.

فبعد الانتهاء، كان يحرث التربة مرّة أخرى، حيث غير استراتيجيته؛ عمل على عدد لا يحصى من قطع الأرض: بيضوية الشكل، مثلثة، وعلى شكل قلوب حتى، وكانت تبدو لناظرها كلوحة فنية تجريدية. بالفعل تعامل قاو يوليانغ مع الأرض كعمل فني خاص، مضيفا عليها روح الفنان محولا إياها إلى جمال لا نهاية له.

هناك شيئان لم يتغيرا البتة في كل عالم التغيير ذلك: الجحران القابعان عند أسفل الجدار الجنوبي. حيث كانا الشيء الوحيد القديم في الحديقة بأكملها. أحد الحجرين كان صغيرا نسبيا، تذكّر قاو يوليانغ أن هوى ليانغ بينغ حمله من متجر الزهر والطير. وحفر عليها "لويح جبل تاي الحجري"، وكانت الضربات عليها ما تزال متوهجة.

أما الآخر فكان عملاقا. لم يكن واثقا من المكان الذي اقتناه تشي تونغ وى منه، ولكن الشخص الذي حمله وجد صعوبة بالغة في نقله إلى الحديقة.

خلال ذلك الوقت كان تشاو رويلونغ يعيث فسادا، وامتلكه ذلك الإحساس الغامض أن تشاو ليتشون سيواجه المشاكل في بكين. وحدث كما هو متوقع، فقد واجه مشاكلا، واختفى حجر الزعيم في نهاية المطاف.

كان قاو يوليانغ متعبا من الحراثة، وكان يتكئ على المعول بشكل متكرر وهو يحدّق إلى الحجرين، فهو وحده يعلم العاطفة المختبئة خلف كلّ تلك القساوة. وكان القمر الساطع معلّقا وسط السماء، وتناثرت النجوم في الفضاء، فكّر قاو يوليانغ على نحو مستمرّ بتشي تونغ وى وحزن عميق يملأ قلبه. الأمر أكبر من علاقة معلّم وتلميذه، كان قاو حزينا على فقدان طير من ذات طينته. في اللحظة التي علم أن تشي تونغ وى واقع في مأزق اتخذ القرار الصائب.

يومها أرسل أمين السر تقريرا مفاده أن هوى ليانغ بينغ قد انطلق بواسطة المروحّية. كان قد عقد عزمه واتصل بالأمين شا روجين عبر شبكة الهاتف الأحمر، قائلا إن تشي تونغ وى قد يكون قد اتخذ من قرية النسر الوحيد ملجأ له، مقترحا أيضا أن يطلقوا النار عليه ويقتلوه. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث لم يطلق هوى ليانغ بينغ أو رجال الشرطة النار على تشي تونغ وى، بل على العكس، فقد شهر تشي مسدسا وأنهى حياته بنفسه بطلقة واحدة. بعد أن علم قاو يوليانغ بذلك شعر بعذاب كبير، لم يتمالك نفسه لكونه شخصا دنيئا. كان الأمر ميؤوسا منه، ولم يكن باستطاعته فعل أي شيء إزاءه.

بزغ الفجر مرّة أخرى، وقفت وو هيوفن على السلم أمام الباب وهي تحدّق إلى قاو يوليانغ بسوداوية. رفع قاو يوليانغ بصره ليرى زوجته المسنّة التي سألته: "أيها البروفيسور قاو، ألست ذاهبا إلى عملك اليوم؟".

وضع قاو يوليانغ مجرفته جانبا وقال: كيف لي ألاّ أذهب إلى العمل؟ لقد أخبرني هوى ليانغ بينغ أنه سيحضر لي تقريره اليوم.

قالت وو هيوفن: "تمالك نفسك إذا، واغتسل بسرعة من أجل تناول الفطور".

امتثل قاو يوليانغ لما قالته زوجته، وخرج من الحديقة قائلا: "أيتها البروفيسورة وو، لقد قلّبت التربة عدّة مرّات لتحظى بقدر واف من أشعة الشمس في الشتاء. ازرعي بعض الخضراوات في الربيع المقبل، أنا لن أكون هنا، وأنت لا تعلمين الكثير عن الأزهار والنباتات...".

بشكل مفاجئ، اغرورقت عينا وو هيوفن بالدموع وقالت: "إن لم تكن هنا، هل أستطيع البقاء في هذا المكان؟".

أصيب قاو يوليانغ بحالة من الذهول لبرهة ثم اصطنع ابتسامة وتمتم: "هذا صحيح، هذا صحيح...".

بينما كانا يتناولان الفطور سوية، بدت روح زوجته المعنوية منخفضة، وقالت: "لو أني علمت أن الأمور ستؤول إلى هنا، لكنت قد تصرّفت بشكل مختلف تماما منذ البداية".

عادت ثقة قاو يوليانغ إليه وقال: "منذ البداية، لم يكن هناك أي شيء. لا تقلقي، لن أسقط بهذه البساطة. أنا لست تشاو ليتشون أو تشي تونغ وى، عندما كنت أتحدث مع تيان جوفو وشا روجين قلت فقط أنني أهملت دراستي عبر السنوات، وارتكبت الفاحشة، ولكنني لم أرتكب أية جريمة.

أما زلت تتحدث هكذا؟ انظر إلى الحقيقة حولك، لقد مات تشي تونغ وى، وتم إلقاء القبض على قاو الكبيرة...

قال قاو يوليانغ بجدية تامّة: "ليس لي أية صلة مباشرة بجرائم قاو شياو تشين أو أي أحد منهم".

"لا توجد صلة مباشرة، ولكن أتوجد صلة غير مباشرة؟ هل كان تشي تونغ وى تلميذك المفضل؟ هل كنت تحاول ترقيته إلى مرتبة نائب المقاطعة؟ بروفيسور قاو، لا يمكنك ببساطة إنكار ذلك".

"أنت محقة، فقد أسأت الحكم عليه، واخترت الشخص غير المناسب لذلك العمل، يا له من درس مرير".

"الأمر بهذه البساطة؟ لولا وجود تشي تونغ وى في هذه السنوات القليلة الماضية، ما الذي كان سيحل بقاو الصغيرة؟".

"هذا صحيح، من غير الجيد محاولة إنكار الأمور مع قاو الصغيرة. اعتبريها غلطة ارتكبتها في سنواتي السابقة...".

عندما أنهيا تناول الطعام، ارتدى قاو يوليانغ معطفه واستعدّ للمغادرة. ولكن وو هيوفن استوقفته، وقالت بتردد: "بروفيسور قاو، لا يزال هناك شيء أريد أن أخبرك إياه، إن الأمين تيان أمين لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة يريد التحدّث إليّ".

وقف قاو يوليانغ على عتبة الباب، وقال بحالة من الذهول: "آه، سيتحدث تيان جوفو معك شخصيا؟".

أومأت وو هيوفن برأسها وقال: "نعم، هذا ما قاله لي رفيق للعلاقات الحزبية في الكلية".

أجاب قاو يوليانغ: "حسنا، فلتذهبي وتتحدثي معه، وكوني صادقة مع المنظمة، شؤوني الخاصة ليس لها أية علاقة بك".

تنهّدت وو هوفين. نادته باسمه على نحو غير اعتيادي: "يوليانغ، لا تقل لي أنك لا تندم على ذلك؟".

باعد قاو يوليانغ يديه وقال مع ابتسامة ساخرة: "ما الفائدة من الندم على ما حدث؟ إنه طريق اتخذته". وبعد التوقف لبرهة من الزمن، قال بكآبة: "للحقيقة هوفين، لقد آسيت بشدة من انتحار تشي تونغ وى، ولقد فكرت كثيرا خلال الأيام الماضية. أشعر أنني كنت غير عادل بحقّك، لحسن الحظ أنه لديك ابنتنا تشيوتشيو وأستطيع أن أحسم أمري بسهولة".

قالت وو هوفين بصدمة وهي تشهق: "لكن كيف سأخبر تشيوتشيو عنا في السنوات القليلة السابقة، عن كلّ تلك العلاقات؟".

ربت قاو يوليانغ بلطف على كتف وو هوفين، وهو نادرا ما يكون رقيقا وقال: "خذي وقتك وأخبريها. تشيوتشيو بالغة يمكنها أن تواجه الحقيقة، لا يهم مدى صعوبة الأمر، هوفين فلتحظ بحياة جيدة مع تشيوتشيو".

اليوم، خرج هوى ليانغ بينغ باكرا لينتظر خارج مكتب قاو يوليانغ. لقد استطاع الحصول هذا الاجتماع بصعوبة بالغة، لم يطلب فقط من تيان جوفو أمين لجنة التفتيش التأديبي في المقاطعة بل أيضا سأل شا روجين أمين سر لجنة الحزب بالمقاطعة. وكان هوى ليانغ بينغ يأمل بالحصول على نتيجة إيجابية من حديثه الأخير مع معلمه، كما كان يخفي فضولا شديدا في الوقت نفسه. كان يريد

أن يرى بالتحديد ما هي حقيقة الشخص الذي كان عليه معلمه، وأن يفهم ما الذي جرى داخل عقله. كان معلمه شخصية غامضة. أخذ على عاتقه إجراء تحقيقات في جرائم متضمنة مخالفات لسنوات عديدة، وكانت هذه المرة الأولى التي يصادف فيها شخصا كهذا، لذلك فإن القيام بمحادثة مناسبة معه سيكون أمرا جديرا بالاهتمام.

كانت تلك الظروف الاستثنائية في ظل التعامل والفهم المشترك، حيث كان المعلم والتلميذ لبقين خلال الاجتماع. أخرج الأستاذ شاي بئر التنين ذو الجودة الفاخرة، واندفع التلميذ لغسل الأكواب ونقع الشاي. روى التلميذ المواجهة في قرية النسر الوحيد بينما يقوم بنقع الشاي، قال هوى ليانغ بينغ وهو يقدّم الشاي إلى قاو يوليانغ: "لم أتوقع أن يقدم تشي تونغ وى على الانتحار".

رفع قاو يوليانغ نظره إلى السماء، وأخذ نفسا عميقا وقال: "كم هذا مؤسف، وبالرغم مما كان قد قيل وحصل، كان موهوبا جدا".

أومأ هوى ليانغ بينغ برأسه وقال: "هو لم يكن موهوبا فحسب، بل كان أيضا بطلا في تطويق تجارة المخدرات لسنين طويلة".

"هذا صحيح، هذا صحيح، وقد تم تعيينه من قبل وزارة الأمن العام كبطل من الدرجة الأولى، ليانغ بينغ أنت وتشي تونغ وى طالبي، ولقد برزتما أنتما الاثنان من بين جميع أقرانكما ولكن فجأة...".

"للأسف ماذا أستطيع قوله؟ لماذا ولدت ليانغ هنا عندما كانت يو هنا؟".

كان صوت المعلم عميقا يوحي بالصدق المطلق، لقد كذب على تلميذه في الوجه مباشرة: "وبالتحديد لأنني كنت أخشى أن يحصل شيء خاطئ، لقد اتصلت خصيصا بالرفيق روجين وأكدت مرارا أنه لا يجب أن ندع تشي تونغ وى يموت".

"ولم أكن أعلم أنه مع ذلك سيموت، لدرجة أني لم أتوقع أنه سيقدم على الانتحار".

"أيها البروفيسور، لم يتوقع أحد ذلك، لم يتمكن تشي تونغ وي من إيجاد طريق العودة إلى الديار".

"أوه، بالمناسبة، لقد ذكرت بأنه قد أطلق النار عليك، وقلت إن فوهة البندقية كانت قد رفعتْ مقدار انش واحد؟".

"أجل، لم يرد تشي تونغ وي قتلي، ولو أراد ذلك، لما كنت اليوم هنا".

نظر قاو يوليانغ إلى تشي تونغ وي بتمعّن وتلألأت عيناه بالدموع قائلا: "ليانغ بينغ، هل تعلم لم آلت الأمور إلى هنا؟" توقف لبرهة ثم قال متنهّدا: "لطالما أعجب تشي تونغ وي بك".

أقرّ هوى ليانغ بينغ: "إنني مدرك لحقيقة الأمر، في الواقع، لطالما شعر كلانا بهذا الشيء".

وبتذكر الماضي، قال قاو يوليانغ يتملكه أسى استثنائي: "ليانغ بينغ، كان تشي تونغ وي من أشد المعجبين بك بين جميع أقرانك، وقال ذلك لي في أكثر من مناسبة، حتى إنه كان يغبطك، تجاه شجاعتك وموهبتك. وقال إن عقلك قد لا يكون بشريا حتى، وبمواجهتك، لم يتمكن من إجبار نفسه على قتلك".

"ربما" توقف هوى ليانغ بينغ لوهلة وذكر شيئا ما: "ولكن أيها البروفيسور، أعتقد أن أغنية الأطفال تلك كانت قد لعبت دورا كبيرا، حيث أشعلت براءة ونقاء أغنية الأطفال النور في قلب تشي تونغ وي المظلم، ورفعت إنسانيته، وأراحت روحه إلى خلاصها".

وقف قاو يوليانغ حائرا لبعض الوقت وقال: "أراحت روحه؟ يا لها من طريقة جديدة لوصف الأمر، أنا أوافقك الرأي تماما".

في الواقع، أراد هوى ليانغ بينغ أن يقول إنه مع موت تشي تونغ وي هكذا، ألا يوجد من يستطيعون أن يريحوا أنفسهم الآن؟ ولكن عندما وصلت العبارة حافة لسانه، تراجع عن قولها. بعد كل شيء، كان ذلك معلّمه، ولم يكن من اللطيف صعقه بعبارة كتلك.

كان التلفاز يعمل طوال ذلك الوقت ويبثّ حينها خطاب قاو يوليانغ ضمن مؤتمر شؤون العمل القانونية والسياسية للمقاطعة.

حيث أعلن عن اللقاء بصياغة واضحة وبصوت رقيق ممتلئ: "وأكد رئيس المجلس قاو يوليانغ أنه يتوجب على أعضاء الحزب والأطر أن يضعوا في عين الاعتبار من البداية حتى

النهاية، إننا أمة يحكمها الشعب. كل القوة تعود ملكيتها للشعب، وعلينا أن نستخدم هذه القوة المعهودة إلينا لنقوم بخدمة الشعب على أكمل وجه...".

"إن البروفيسور وأمثاله يعلمون بكلّ شيء، فقط انظر إليهم، على منصة الاجتماع، على شاشات التلفاز، يتشدّقون بلغة بليغة، كم جعلوها تبدو لطيفة".

"قالوا الشعب هنا والشعب هناك، ولكن الشعب معهم لا يحمل سوى اسمه فقط".

وبتلك الفكرة تجول في ذهنه، ثبت هوى ليانغ بينغ نظره على قاو يوليانغ مشيرا إلى التلفاز، وبدأ بالحديث: "أيها البروفيسور قاو، أودّ أن أطرح عليك سؤالا. هل حقا تعني ما قتله على المنصة؟".

ابتسم قاو يوليانغ باسترخاء، وقال: "أيها القرد الصغير، أتيت لتشنّ عليّ هجوما مضادا وتسبب تعديل النتيجة القديمة، أليس كذلك؟".

"كلا أيها البروفيسور قاو، أتيت للحصول على تعليمات، أرجو منك أن توضّح سوء الفهم الذي وقعت فيه، فأنا في حالة ضياع تام".

زمجر قاو يوليانغ قائلا: لا تكن مهذبا جدا، لنقم بتحليل الأمور سوية".

عدّل هوى ليانغ بينغ وضعية جلوسه وقال: "هذا جيد أيضا، أيها البروفيسور قاو، هل لي أن أخبرك ما الذي تعلّمته من خلال القضايا التي عملت فيها؟".

أجاب قاو يوليانغ: "بالطبع، تفضّل، أستطيع تعلّم درس، وبإمكاننا الاستمرار في دقّ ناقوس الخطر".

"أعتقد أن الفساد بمثابة ربط قنبلة موقوتة على نفسك؛ إنه لأمر خطير".

"أليس هذا الكلام غني عن البيان؟ إن الفساد لأمر خطير، خطير بشكل كبير، ففي اليوم الذي تنفجر فيه تلك القنبلة، ينتهي كلّ شيء".

"بالتحديد، وأنت تعلم بالطبع، أنه بالنسبة إلى الناس، عندما يصبحون جشعين للمكاسب الصغيرة ويتم إلقاء القبض عليهم، لا يشعرون بالإحراج إلا لفترة وجيزة. يتلقّون الإهانات، وحالما

يتعلّمون درسهم، يمكنهم متابعة حياتهم البسيطة. عندما تكون موظفا رسميا، ومع ذلك تكون طماعا للمكاسب القليلة، وخاصة موظف ذو منصب عال، يقوم بمدّ يديه بشكل عشوائي، عندها يمكن للأمر أن يتضمّن خطيئة مزلزلة للأرض".

وضع قاو يوليانغ كأس الشاي من يده. رفع سبابته وقال بجدية كبيرة: "ولهذا غالبا ما أخبر الرفقاء الذين يمتلكون مناصب رسمية أن يبقوا على استقامة ونزاهة. تحقق الاستقامة راحة البال، وفقط هؤلاء الذين يشعرون براحة البال يبقون في سلام، أليس ذلك صحيحا؟".

ضحك هوى ليانغ بينغ بمرارة وقال: "لقد قمت حقا بتوسيع آفاقي عندما حللت الأمور معك أيها البروفيسور. أنت تعلم كلّ شيء".

"أيها التلميذ ليانغ بينغ، لو لم أكن أعلم هذه الحقيقة الجلية، هل سأكون جديرا بمنصبي كمعلم؟ حسنا؟".

كان المذيع لا يزال يبثّ الأخبار، والتعليقات كانت ملاحظات تشرح كلمات قاو يوليانغ.

"... وتقدّم أمين المجلس قاو يوليانغ بخطوة إلى الأمام وأشار إلى أن: "العدالة تنجب الانفتاح الذهني، والنزاهة تنجب السمعة الحسنة. وفقط عندما يكون موظفو الحكومة خاليين من الفساد، يمكنهم نيل ثقة الشعب؛ فقط عندما يمارسون سلطتهم دون تحّيز، يمكنهم الفوز بقلوب الشعب. كوادرنا، إذا أردتم أن تكونوا موظفين حكوميين، لا تصبحوا أغنياء. إن أردتم أن تكونوا أغنياء، لا تصبحوا موظفين حكوميين. يجب عليكم ألاّ تتعلقوا بالمال بأي شكل من الأشكال، عند مواجهة الأصدقاء والأقارب، تمرّنوا أن تبدوا عادلين؛ لا يمكنكم التعدي على مبادئكم من أجل العلاقات الشخصية، عند مواجهة الجمال، اهربوا من الإغراء؛ لا يمكنكم هجر أنفسكم من أجل الرذيلة...".

صفّق هوى ليانغ بينغ وقال: "أيها البروفيسور، لقد جعلت الأمر يبدو لطيفا حقا، ولكن هل تطبق الكلام الذي كنت تقوله؟".

كان الجو متوترا بعض الشيء. لم يكن قاو يوليانغ راغبا في التحدث أكثر. حيث تابع المشي إلى مكتبه، جلس إليه، وبدأ بقراءة بعض الوثائق الرسمية قائلا: "أيها المدير هوى، فقط قل ما تريد قوله مباشرة. لا تقم باللف والدوران".

سار هوى ليانغ بينغ نحو الكرسي المواجه لقاو يوليانغ وجلس قائلا: "ما الذي حدث لقاو شياو فنغ؟".

وضع قاو يوليانغ الوثائق وقلم الرصاص الأحمر والأزرق التي كانت في يديه وقال: "أوه؟ أنت تعلم بشأن ذلك أيضا؟".

ضحك معلّمه ضحكة خفيفة وتابع حديثه: "أيها القرد الصغير، كان بإمكاني تجاهلك بشكل عادي. بكونك مدير مكتب مكافحة الفساد، لا تملك أدنى حقّ في استجوابي، ولكن، لإشباع فضولك، سأجيبك، قضية قاو شياو فنغ كانت سرا لم أرغب في الإفصاح عنه لأي أحد كان. ماذا؟ أخذت أمر حدوث شيء خاطئ هنا على أنه مسلّم به؟ يا لك من ساذج".

بقوله هذا، فتح درج مكتبه، وأخرج وثيقة زواج، ودفعها نحو هوى ليانغ بينغ وقال: "أيها المدير هوى، ألق نظرة بنفسك، وقم بالتعرّف إلى السيدة قاو الجديدة".

نظر هوى ليانغ بينغ إلى أسماء كلّ من قاو يوليانغ وقاو شياو فنغ على وثيقة الزواج وفجأة شعر بالصدمة.

عندما أفاق هوى ليانغ بينغ من الصدمة وهو ممسك وثيقة الزواج بين أصبع كلتا يديه قال: "أنا حقا لم أكن أتوقع أن أتعرف إلى السيدة قاو هكذا! ولكن أنت والبروفيسورة وو...".

"أوه، علمت أنك ستسأل. بالنسبة إلينا، كان ذلك طلاقا دون انفصال، فبعد كلّ شيء، لم نكن أنا والبروفيسورة وو أشخاصا عاديين، وكان علينا أن ننتبه للأثر الذي قد يحدثه فعل ذلك، لذلك عقدنا أنا وهي اتفاقا سريا أنه بعد تقاعدي، سأذهب إلى هونغ كونغ للم الشمل مع السيدة قاو الجديدة؛ كلّ شيء على البر الصيني سيذهب للبروفيسورة وو، لذلك، أيها التلميذ ليانغ بينغ، هل اعتقدت أن سخافة زميل دراستك مع قاو شياو تشين ستجعل الأمر يختلط عليّ؟".

فكّر هوى ليانغ بينغ في نفسه: "إذا رأى أحد هذا فسيقوم بدفن رأسه في الرمل، أنت لم تختلط الأمور عليك بينهم؟ بينك وبين تشي تونغ وي، أحدكما تزوّج الأخت الصغرى، والآخر أخذ الأخت الكبرى إلى السرير. أنتما بحكم الواقع...".

ابتسم قاو يوليانغ: "أيها التلميذ ليانغ بينغ، لقد ذهلت مرّة أخرى أليس كذلك؟".

وضع هوى ليانغ بينغ وثيقة الزواج من يده وقال: "أجل، وآمل أن تكون قادرا على توضيح التباسي أيها البروفيسور، فأنا لا أفهم الأمر".

أجاب قاو يوليانغ: "إن الأمر يتطلب تركيزا، أن تكون ذو مبادئ، أن تعلم أين ترسم حدّا لكلّ شيء...".

كان هوى ليانغ بينغ مندهشا. يا إلهي، ألا يخشى البروفيسور التكلم عن ذلك الآن؟ ألا يزال يخشى قول أشياء كهذه؟ إن الوقاحة هذه مقلقة حقا؛ كانت أبعد ما يكون عما كان قد تخيل مسبقا.

سار قاو يوليانغ مبتعدا عن مكتبه، وبدأ يتجول في الأرجاء، ملوّحا بيديه بين الفينة والأخرى وهو يتحدّث بحماس وطمأنينة بينما كان يلقي آخر درس له في حياته أمام هوى ليانغ بينغ: "إن حركة إصلاح وانفتاح الصين هي أمر عظيم. حيث وجد كلّ شخص نفسه وسط تيار قوي جدا. وخلال ذلك الوقت، وقف بعض الناس، إما نتيجة لجهودهم أو نتيجة لحسن حظهم، على قمّة موجة ذلك التيار، كان المشهد والإغراء غير محدودين، ولكن المخاطر لم يكن لها حدود كل ذلك يعتمد على كيفية تمسّكك فيها، إن المستقبل أوضح بشكل كبير من الماضي. لقد تشابك الحماس والارتباك في قلوب عديد من الناس...".

شعر هوى ليانغ بينغ بالمديح والفخر الكامل: "أيها البروفيسور قاو، لا تزال بليغا جدا، إن ذلك يبهرني حقا، لا أعتقد أن عليك أن تترك جامعة إيتش لتصبح موظفا حكوميا. أنت حقا لمعلّم مذهل".

سار قاو يوليانغ نحو هوى ليانغ بينغ، وربت على كتفه بينما يقول بكلّ جدية: "ولهذا السبب، عليك أن تبقي بقعة من الاحترام لي في قلبك، وربما بإمكانك تعتيم السطور في بعض الأشياء، ولكن عليك أن تكون واضحا في معرفتك أين ترسم حدّ النهاية. لا يمكنك وضع نفسك ضد القانون. حتى لو كنت ذا منصب حكومي أو شخص من عامة الشعب، عليك أن تريح نفسك وعقلك وأن تعيش حياة خالية من القلق".

لم يتمكن هوى ليانغ بينغ من عدم الإجابة، حيث قال: "هل تعيش حياة خالية من القلق وعقلك مرتاح؟ إنني أشكّ في ذلك أيها البروفيسور".

أشار قاو يوليانغ بيده ليصرف هوى ليانغ بينغ قائلا: "أيها التلميذ هوى ليانغ بينغ، ليس عليك أن تشكّ في ذلك. ولهذا السبب، دروس جميع معلّميك كانت قانونية، ولأنني كنت مدرّسا للقانون خلال كل تلك السنين، كيف يمكن أن تنقصني معلومة أساسية كهذه؟!".

كان صبر هوى ليانغ بينغ قد نفد حينها وقال: "جميعها كانت قانونية؟ لقد تطلّقتما منذ أكثر من سبع سنوات. ومضى على زواجك الثاني من امرأة في هونغ كونغ ست سنوات، ولك منها ابنا. قصة كبيرة كهذه، ومع هذا لم تقم بإبلاغ المنظمة؟ البروفيسورة وو ليست عضوا في الحزب. ومن باب الحرص على سمعتها ومن أجل ابنتها، يمكن لها ألا تقوم بالإبلاغ عن الأمر، ولكن بالنسبة إليك يجب إبلاغ أمين مجلس حزب المقاطعة. أصحيح أنك لا تفهم ما القاعدة السياسية هنا؟".

"كيف لي ألاّ أفهم؟". أخيرا، بدأ قاو يوليانغ بإخبار الحقيقة: "ولهذا فإن الحكومة المركزية تطلب الحديث معي. ولكن، من حظي الجيد يمكنني أن أتدرّب على ذلك اللقاء معك تلميذ زهر النرد...".

ومن دون أي مغالاة، فتح هوى ليانغ بينغ ذراعيه وقال: "يا إلهي، أيها البروفيسور قاو، وصلت الأمور إلى هذا الحدّ، ومع ذلك تقوم باستغلالي مرّة أخرى؟ حتى إنني أقوم بمساعدتك على التدرّب من أجل الحديث مع الحكومة المركزية؟".

هذه كانت طبيعة البروفيسور الحقيقية، لا يجب عليه أن يدع الآخرين يروه يسقط؛ وبحكم العادة، حافظ على وضعه بالتنازل تجاه تلميذه: "هذا صحيح، عليك أن تقوم بالدفاع عن معلّمك أيها التلميذ ليانغ بينغ، وعليك أن تقوم بواجبك أيضا".

تظاهر هوى ليانغ بينغ بتعرّضه للإهانة وقال: "لقد قمت بواجبي بالفعل؛ وأتيت إلى هنا وأنا بحالة استعداد تام، لن أنسى مهما حدث السوط الذي ضرب تشن هاي لعدم كونه مستعدا في السنة الثالثة من الجامعة، حيث وضعته في جحيم مطبق".

أجاب قاو يوليانغ: "حسنا، الطلاب المثاليون يتعلّمون من أخطائهم، وبما أنك مستعدّ، لنسمع ما لديك".

بذلك بدأ هوى ليانغ بينغ بسرور الحديث: "كيف وضعت الأختان قاو شياو تشين وقاو شياو فنغ أول حذاء ذو كعب عال في حياتهما؛ كيف أصبحتا مضيفتين في شركة هيولونغ في لوتشاو حيث تمّ تدريبهما بشكل خاص؛ كيف تعلّمتا الابتسام والسير على منصة العرض؛ كيف إعطاء قاو شياو فنغ لك من أجل هدف خاص".

لم يبدُ قاو يوليانغ سعيدا بذلك: "ما الذي تعنيه بأنه ساعدها على الدراسة؟ قامت قاو شياو فنغ بالدراسة بشكل مستقلّ، وامتلاكها تلك القدرة على دراسة تاريخ سلالة مينغ بشكل مستقلّ في ظلّ تلك الظروف وفهمها العميق لكتاب 1587، عام من اللاأهمية، لشيء مبهر بغض النظر عن كيفية رؤيتك له".

هزّ هو ليانغ بينغ رأسه وتنهّد قائلا: "أنت مخطئ أيها البروفيسور قاو، لقد تمّ خداعك، من يعلم أكثر من البروفيسورة وو عن تاريخ سلالة عائلة مينغ؟ زوجتك السابقة، البروفيسورة وو هوفين، هي الخبيرة الفعلية في تاريخ سلالة مينغ، أعتقد أنه في الوقت الحاضر، حتى لو كنت تتحدّث مع قاو شياو فنغ عن الكرنب بدلا من ذلك، فلن تعودا تتحدّثان أبدا عن تاريخ سلالة مينغ مرّة ثانية، أليس كذلك؟ وأنا أدين لك كمعلّمي في كشف المزيد من المعلومات. بدأ تشاو رويلونغ بالاعتراف، وقد آلمه الإيقاع بك كثيرا! حتى أن علاقتك الغرامية كان مخططا لها، وقاموا بابتكار استراتيجية أيضا، تطلّب الأمر من قاو شياو فنغ أن يغمى عليها بين ذراعيك بينما كانت تناقش النزاع بين أباطرة سلالة مينغ ووزرائهم...".

لم يتمكّن قاو يوليانغ من المحافظة على رباطة جأشه، وأطلق تعبيرا عن عدم موافقته قائلا: "حسنا، حسنا، هذا يكفي، هوى ليانغ بينغ لا تنسى أننا متزوجان منذ ست سنوات. في الوقت الحالي، قاو شياو فنغ هي زوجة معلّمك".

ابتسم هوى ليانغ بينغ بمرارة وقال: "حسنا، بما أن تلك حقيقة، سأحترم هذه الحقيقة".

بدا قاو يوليانغ مخدرا وقال: "يبدو أنك قمت بعمل جيد في تحضيراتك، وقد بذلت بعض الوقت والجهد".

"هذا شيء طبيعي". نظر هوى ليانغ بينغ إلى ساعة يده قائلا: "أوه، أين ذهب كلّ هذا الوقت؟ لقد حان وقت انتهاء الدرس، أليس كذلك؟".

كان قاو يوليانغ يرتّب الأغراض الصغيرة على مكتبه وهو غير قادر على التعبير عن أي شيء: "حسنا، انتهى الدرس".

مع ذلك لم يغادر هوى ليانغ بينغ وقال: "قبل انتهاء الدرس، أودّ قول بعض الأشياء، أيها البروفيسور قاو، لقد أخطأت الحساب، فقد افترضت أنهم لن يكونوا قادرين على فعل أي شيء لك في حال زواجك من قاو شياو فنغ؟ هذا خاطئ، لو أنك لم تتزوج منها، لربما كان بإمكانك شرح حصولك على الفيلا في لوتشاو والمائتي مليون يوان في هونغ كونغ. كيف لك أن تشرح حصولك عليها الآن؟ منذ اثني عشر عاما، قبْلت زوجتك الحالية فيلا تساوي قيمتها خمسة عشر مليون يوان من تشاو رويلونغ بسببك. منذ ست سنوات، تمّ تأسيس حساب ائتماني بقيمة مئتي مليون يوان في هونغ كونغ من أجل ابنك ومن أجل ابن تشي تونغ وي. فرع مجموعة شانشوي في هونغ كونغ والذي تعود ملكيته إلى عشيقة تشي تونغ وي هو الذي أمّن هذا الحساب، وكانت أسباب ذلك واضحة جدا...".

وتماما في تلك اللحظة، اللحظة التي تمّ الترتيب لها مسبقا. على الموعد تماما، اندفع الباب في مكتب قاو يوليانغ على مصراعيه، ودخل أمين مجلس التفتيش التأديبي في المقاطعة، تيان غوفو ومعه مجموعة من الرفاق من المفوضية المركزية للتفتيش التأديبي.

فهم قاو يوليانغ ما الذي كان يجري وقال: "ليانغ بينغ، لا تقل المزيد، اتفقنا؟ لقد انتهى الدرس هذه المرة فعلا".

تبادل كل من هوى ليانغ بينغ وتيان غوفو نظرة، وتراجع هوى خطوة إلى الوراء، وانحنى باحترام أمام قاو يوليانغ وقال: "أيها البروفيسور قاو، لا يهم أين أذهب من الآن فصاعدا، لن أنسى البروفيسور قاو من الماضي، البروفيسور الذي أنار لي في دراستي للقانون، البروفيسور قاو المستقيم والمتحمّس".

كان قاو يوليانغ متفاجئا ومترددا لوهلة قبل أن يردّ على انحناء هوى ليانغ بينغ بانحناءة عميقة ومنخفضة وقال: "أيها التلميذ ليانغ بينغ، شكرا لك لن ينسى معلّمك أبدا أنه كان لديه تلميذ مثلك".

راقب التلميذ معلمه الفاسد وهو يقاد إلى الخارج. وبينما كان يخرج، بدا عليه العجز ووهن العزم.

51

في منزل تشينغ شيبو، وضعت ساعة مكتب قديمة كان قد اشتراها منذ ثلاثين عاما عندما تزوّج. وعلى الرغم من قدمها، إلا أنها كانت تعمل بدقة وترنّ بنجاح عند إكمالها الساعة والنصف ساعة.

مؤخرا، كان تشينغ شيبو يستيقظ بمجرّد أن تدقّ الساعة المكتبية معلنة حلول الرابعة والنصف، وكان يستيقظ بشكل تامّ بعد ذلك. وعندما تدقّ معلنة حلول الخامسة، لم يكن يتمكن من البقاء مستلقيا حيث كان ينهض ببساطة ويبدأ القيام بأشياء: "يضع قدر الأرز، يسلق بعض البيض، ويضعه على جانب الطبق. وبعد ذلك، يمسح الأرض وينظف الطاولات. كلّ ذلك كان يحدث قبل حلول السادسة حيث ينتهي من أعماله ويجلس على الكرسي الخشبي في غرفة الجلوس الصغيرة ينتظر انقضاء اليوم في الخارج. إن الشيخوخة مثقلة بالهموم، كما أنه كان قد فقد غفوة ما قبل الفجر الجميلة. ساعته البيولوجية كانت أكثر دقّة من ساعة المكتب القديمة تلك.

كان ابنه تشينغ شنغلي وزوجة ابنه باو باو مستلقيين في الغرفة الداخلية. فلن ينهضا قبل الساعة السابعة. وبعد انتهائهما من غسل الوجه وتنظيف الأسنان، كانا يجلسان إلى الطاولة لتناول فطور والدهما الذي كان قد حضر. ثمّ يسرعان في الخروج عبر الباب لكسب وإيجاد المال. كان ابنه قد غير اسمه إلى تشينغ شيان. وقد ظنّ والده أنها كانت شخصيته صانع المال ووبّخ ابنه قائلا: "مهما كانت رغبتك في جني المال، لا يمكنك تسمية نفسك بشكل مباشر صانع المال. ألا يجب أن يكون الاسم غامضا؟".

قال ابنه وقد أدار عينيه في تهكم: "أيها العجوز العزيز، هل كان اسمك غامضا؟ كان سو دونغ بو واسمك هو تشينغ شيبو. أنت تعلم حق المعرفة أن هذا عصر الفنانين الجائعين، ومع ذلك تتفاخر بشكل وقح".

شعر تشينغ شيبو بالخزي ولم يناقش. إذا رغب ابنه أن ينادى صانع المال فليكن كما يشاء.

عندها شرح له ابنه أن شيان كانت تعني الكون. كان يحمل الكون في صدره. ذلك الأرنب الصغير. وأخيرا، تزّوج الأرنب الصغير؛ كان عليه الزواج. فقد حملت زوجته مرّة ثانية وقالت إنها لا تستطيع إجراء عملية إجهاض أخرى. تنفس تشينغ شيبو الصعداء في قرارة نفسه. وأخيرا، زال الحمل الذي كان قد أثقل ذهنه لسنوات عديدة. ولأنه كان قد استثمر أمواله في المصنع، فلم يكن قادرا على شراء منزل لابنه، ولم يكن لدى الزوجين خيار سوى العيش في المنزل معه.

لقد تمّ تجديد المنزل للتو، وشراء أثاث جديد، وكانت هناك رائحة لاذعة خفيفة في المنزل. وقد علّقت فواصل ورقية من حروف كلمة السعادة على زجاج النافذة، وصور زفاف الزوجين معلّقة على الجدران.

وخيم جو من الانتعاش والنضارة في ذلك المنزل القديم.

لطالما أحبّ تشينغ شيبو التحدث إلى زوجته بينما كان ينتظر الفجر. كانت صورة زوجته قد وضعت في خزانة صغيرة على مقربة من الساعة المكتبية.

"هلاّ تنظري إلى ذلك؟". نظر تشينغ شيباو إلى صورة زوجته وهو يقول: "لقد تزوج شينغلي وباو باو، وحفيدنا سيأتي قبل أن تنتهي السنة. كيف يمر الوقت بهذه السرعة؟! لقد رحلت؛ وأنا أصبحت عجوزا. طفلنا أيضا كبر وأصبح بالغا بمقدوره قيادة انقلاب...".

على الرغم أن تشينغ شيبو كان يتوقع حدوث انقلاب منذ زمن بعيد، لكنه تفاجأ عندما حدث ذلك. خلال أيام من تغيير ابنه لاسمه، اجتمع مع المدير القديم؛ العجوز *ما*، والمدير المالي المحاسب يو، وبعض الخونة الآخرين، الذين سارعوا للقيام باجتماع لحاملي الأسهم في المعمل.

كان العجوز *ما* يدير الأمور هناك، ورشح الأغلبية التي وصلت من حاملي الأسهم كالمجموعة الأولية لمعلومات الشركة تشينغ شيان - بصفته عضوا في المجلس فقذ تمت إضافته إلى

قائمة أعضاء المجلس للمعمل الجديد، ثمّ انتخبه كرئيس للمجلس. وبعد انتخابه، ألقى خطابا لاقى استحسانا كبيرا وأفاد بأنهم قد دخلوا في عصر الإنترنت.

باعتبار الصناعة هي الركيزة الأساسية، والإنترنت هو المنبر، سيقود الأعداد الكبيرة من حاملي الأسهم إلى تحقيق الثراء. جعل حديثه الجميل الحشود تطلق وابلا من التصفيق والهتاف: صانع المال، صانع المال.

سأل تشينغ شيبو وهو يشعر بالضياع قليلا: "ما هو عصر الإنترنت؟".

أجابت باو باو: "إذا لم تكن تعلم ماذا يعني ذلك، ألا يجدر بك التخلي عن منصبك لأحد أكثر كفاءة؟!". وبتلك البساطة تخلى تشينغ شيبو عن منصبه. في تلك الليلة، عاد إلى منزله وبدأ يشرب حدّ الثمالة. شعر بالبرد في داخله. لقد كان عجوزا، عجوزا كهلا. لم يعد بمقدوره التكيف مع أيام صناعة أو حتى سرقة المال. لقد بدأ العالم يصبح غير مألوف بالنسبة إليه. ربما تغيرت العلاقات بين الناس.

في الوقت الذي استحوذ ابنه على المنصة، سارع العجوز المتآمر *ما* والعديد من العمال لتهنئته وفي نفوسهم تكمن نوايا خفية وقالوا: "ابنك أصبح رئيسا للمجلس، يجب أن تكون فخورا بذلك".

هذا هراء - كيف لهم أن يفهموا مدى حزنه؟ لقد حدد نجاح ابنه فشل الأب.

لم يكن يدري متى قد بدأ ذلك، ولكن الجميع أخذوا يتجاهلونه ويروه أشبه بالقمامة. لم يتمكن من استيعاب الأمر. كان ابنه فطنا، ولكنه في الوقت نفسه قام بممارسات خالية من الوفاء. إن التخصص في ضرب الخط القانوني سيوقعهم في المشاكل بعد ذلك. ولكن بعد التفكير مليا بالأمر، وجد أنّ جميع الناس يفكرون بكيفية جني الأرباح بسرعة من دون أن يشغلوا أنفسهم بالقوانين. كيف يمكن للمشاكل ألا تحدث؟ إن الأمر مستمرّ دون توقف.

لم تكن الفكرة أنه شخص عديم الفائدة، ولكن تقاليد الجيل القديم من العمال هي التي كانت عديمة الفائدة.

ولكن، ما لم يكن تشينغ شيبو يتوقعه، هو أن ابنه شخص مسؤول تماما. بعد تحديد المكتب بالمشاركة مع رئيس المقاطعة الجديد، وجد معملا غير مستعمل من أجل إنشاء المعمل الجديد، ووقع عقد إيجار مدته عشر سنوات وعمل على تنظيم الانتقال. لم تكن قد مضت عشرة أيام على الانتقال، إلاّ وكان المعمل قد بدأ بمتابعة الإنتاج المتعاقد عليه.

لقد كان الصبي وفيا حقا؛ فقد احتفل البارحة مع والده بعيد ميلاده الستين، وذكر شيئا ما عن جعل والده منتجا في شيخوخته. عندما ذكر الأمر كان يشعر ببعض الإحراج، وقال: "أبي، بمجرد أن تصبح في الستين من عمرك، فقد دخلت مرحلة الشيخوخة، ويتوجب عليك أن تأخذ الأمور على مهل، ولكن هناك شيء وحدك فقط تتمكن من إنجازه...". قفز قلب الأب من الحماسة وقال: "ما هو؟".

كانت الحماسة الفائضة تبحث عن منفذ لها من رأس تشينغ شيبو حتى أخمص قدميه. وصعق عندما سمع ابنه يقول: "أبي، أن تكون عاطلا عن العمل أمر ليس بسيئ، ولكن يمكنك أيضا أن تجمع موظفي المعمل الحاملين للأسهم وتذهبوا لطلب الالتماس من الحكومة".

نقض والده الفكرة مباشرة وقال: "أتريد مني أن أتسبب بالمزيد من المتاعب مع الحكومة؟ ما الذي تفكر فيه أيها الأرنب الصغير؟".

اصطنع ابنه ابتسامة وقال: "حسنا، سأتجاوز الأمر، سأتجاوز الأمر فقط...".

تدخلت باو باو قائلة: يا والدي، هل كنت تعلم أنهم ينعتوك من وراء ظهرك بمفسد الإضراب؟".

"أحقا كانوا يقولون إنه هو تشينغ شيبو مفسد للإضراب؟ لا عجب أن جميع الرجال كانوا يشعرون بالاشمئزاز منه".

"تبين أنهم يحملون الأحقاد تجاهه أيضا. ولكن كيف لهم أن يضعوا اللوم على الحكومة. لم يكن للأسهم أية علاقة مع الحكومة؛ عندما آلت الأمور إلى هنا، وقع اللوم على المدير السابق تساي قونغ. فتساي كان شخصا مستغلا، وكلّ شيء واضح الآن. لقد خدعكم ذلك المستغل، مزورا قرار

رابطة حاملي الأسهم ليضمن حصص التأمين. وعندما ضمن تلك الحصص، استعمل الأرض والمعمل، كضمان مرّة أخرى من أجل البنك. كان الأمر جيدا".

لقد ربحوا الدعوى القضائية وكان حكم النقض باطلا، وقد استعادوا أسهمهم أيضا. كذلك أعلن مصنع دافنغ إفلاسه وبدأ بتصفية بضائعه وبذلك لم تكن الأسهم ذات قيمة ولا حتى بمبلغ ضئيل من المال. كان العاملون من حاملي الأسهم في معمل دافنغ القديم متهورين وكانوا قد بدأوا بالتجمع بشكل يومي للتوسل على أبواب الحكومة المحلية والدوائر الانتخابية. العديد من الناس كانوا قد حاولوا سحبه إلى صفهم، وكأنه سوف يذهب، فمن الواضح أنهم يقومون بافتعال المشاكل.

في الصباح الباكر، بعد مغادرة ابنه وزوجة ابنه، أخرج تشينغ شيبو دراجته خارج المنزل وقاد في الطريق المألوف إلى معمل دافنغ. في الليلة الماضية، سمع ابنه يقول إن معمل دافنغ الجديد قد أرسل آخر دفعة من آلات المعمل القديم بعيدا، وأن المصنع القديم سوف يهدم، لقد كان عليه أن يسرع ويلقي نظرة أخيرة، فقد كان المصنع مصنع جيله.

بما أن أعمال التدمير لم تكن بدأت بعد، فقد كان صمت مطبق يحل على المعمل، كانت الأعلام الوطنية الهائلة الملوثة بدماء الذين سقطوا في حادثة "916" تلوح في السماء، أما بالنسبة إلى العلم الوطني السابق فقد كان ممزقا باهت اللون ذا نهايات مهترئة.

بدأ تشينغ شيبو بالدوران حول الطريق حول العلم الوطني محاولا استيعاب المصنع الفارغ والأشجار الخضراء على جانبي طريق المصنع، وكلّ شيء مماثل من حوله وقلبه يصرخ مرارا وتكرارا: مصنعي، مصنعي العزيز.

وحالما أشتعل قلبه، بدأت دموع غزيرة تملأ عينيه ببطء.

مضت العديد من السنوات على يومه الأول في العمل، حيث كان قد قابل ليو جيهوا تلك الفتاة العاملة في الكافتيريا ذات الضفائر السميكة. في ذلك الوقت، عندما كان مصنع دافنغ قد نهض للتو وتم تعيين إدارة جديدة له. لم يكن هناك أثر لمئة شخص، كانوا قد جيروا للعمل في الدوائر المحلية الثانية ذات الصناعات الخفيفة، هنا حيث قد بدأ شبابه، فهو عمل ودرس وكتب قصائدا مستندا على النافذة وهو يغازل ليو جيهوا بينما يقف منتظرا طعامه في المقهى.

لاحقا تزوج من ليو جيهوا، وبدا كأنما كان الزفاف يحصل تماما أمام عينيه. فقد أقام اتحاد المصنع حفل زفاف مشتركا. وقبل أن يدرك ذلك، كانت قد مرّت عقود عديدة. كان الأشخاص القدماء في المصنع بمثابة إخوته والعاملين المتوسطين بالعمر كانوا مثل أبنائه. كان مصنع دافنغ كقطعة من جسده. فقد كبروا معا.

لاحقا، بدأت حركة الإصلاح، وعنى ذلك أنّ قسما من الناس سيصبحون أغنياء. جاء تشن يانشي محضرا معه كومة كبيرة من الوثائق الحكومية عن الإصلاح، تلك الكومة الكبيرة من الوثائق تحولت بعد ذلك إلى بلاغ حاسم من الحكومة، وسرعان ما سقط ذلك المصنع الكبير بين يدي تساي قونغ. لحسن الحظ، وجود ثوري قديم مثل تشن يانشي مصرّ على تحقيق العدل فقد حصل هو والموظفون على الأسهم. امتلاك الأسهم كان أمرا جيد جدا، فقد كانوا بمثابة حاكمين لمصنعهم الخاص، إلى جانب الرواتب الشهرية والعلاوات، أراد الموظفون المساهمون كل سنة أن يتقاسموا الإيرادات، مخرجين عددا من الموظفين من الشركات المملوكة للدولة الذين لم يخضعوا للإصلاح بعد. كان هناك مئتا ألف يوان في حسابه المصرفي من توزيعات الأرباح في ذلك الوقت. ما أتى لاحقا لم يكن جيدا، العالم تغير شيئا فشيئا، كان الإضراب مملوءا بالغيظ وقد ازدهر سعر العقارات. كان من الأفضل لك أن تشتري بعض المنازل على أن تخوض في حياة الصناعة بجهد وتعب، معظم مشاريع جنغتشو الخاصة انهارت، حتى أنّ رجلا حكيما مثل تساي قونغ لم يستطع الصمود، فكان عليه الاعتماد على القروض المزيفة ذات الفوائد العالية ليتخطى الأمر، انتهى مصنع دافنغ، كله مرة واحدة وقع ميتا تركه وزملائه العاملين إلى جانب بعضهم البعض...

فقط بعد ذلك، ارتسم ظلّ بروية إلى جانب ضوء الشمس، بدا وكأنه أحدهم قادم من بعيد، استدار تشينغ شيو ورأى المحاسب يو، الذي ابتسم وأطال في ترحيبه وقال: "هل أتيت، أيها العجوز تشينغ؟".

كان تشينغ شيبو مستاء من المحاسب يو المدير المالي الذي استغل سفينة القراصنة من أجل ابنه، أجاب ببرود، "يا إلهي، أوليس المدير المالي يو؟ لقد أتيت لتوديعي أيضا؟". كان المحاسب يو مرتبكا بعض الشيء قال تشينغ شيبو: "أودع؟ أودّع من؟ من أيضا؟ مصنعنا! ألن يتمّ تدميره؟".

كانت تعابير المحاسب يو توحي بالازدراء وقال: "فقط اهدم هذا المصنع المخرب. ألن ننتقل إلى مصنع جديد؟".

هذا ما سأله تشينغ شيبو قال المحاسب يو: "حسنا، لماذا أتيت إلى هنا؟".

أجابه: "لأتحدث معك، المدير تشينغ لا يزال يأمل أنك ستخطو إلى الأمام بشجاعة وتشارك في مجموعة الالتماس".

انزعج تشينغ شيبو وتوجه نحوه قائلا: "اذهب أنت ومديرك تشينغ إذا أردتما، على أية حال أنا لن أذهب. سوف أخسر الإضراب الآن، لم أعد شجاعا". أجابه المحاسب يو: "لكن المدير تشينغ قال إن أحدا من أعضاء المجلس المدراء أو الإدارة الأكبر سنا لن يمكنهم المشاركة في مجموعة الالتماس، فقط الكبار من الرجال والنساء الذين تجاوزوا الستين سنة بإمكانهم الذهاب". عندها تذكر تشينغ شيبو أنه بالأمس أصبح عمره في العقد السادس، حتى إن ابنه بالكاد احتفل معه، ونتيجة لذلك قال: "لن أشارك بالرغم من أنني أستطيع، لقد قلت ذلك لمديرك تشينغ ليلة أمس ولم يجبرني على أي شيء، ومع ذلك تأتي لترغمني على المشاركة أيها المدير يو". أدار المحاسب يو وجهه قائلا: "أيها العجوز تشينغ، المدير تشينغ يجبرني على فعل ذلك، إنه يأمل أن تكون فعالا رغم سنك الكبيرة، وربما سترتبح مجددا الحقوق التي أضعتها. أقول لك الحقيقة أيها العجوز تشينغ، إذا لم يكن من أجل مصلحة المدير تشينغ فإن الناس سيحطمون رأسك المدمّر بالقرميد".

ما قاله المحاسب يو لم يكن مجرد كلام فارغ، فتلميذه وانغ وينغ ذكر شيئا مشابها، قال إنه قد تمّ حشد جميع أصحاب الأسهم، أما القلة الباقية فكانوا فقط يشاهدونهم، كان عليه أن يأخذ الموضوع على محمل الجد، لم يكن يهتم بأن يقال عنه مفسدا للإضراب، لكن خذلان ابنه كان أمرا سيئا. لكن في نهاية الأمر إنه ابنه البيولوجي، ولا يمكن أن يرغمه على شيء. فيندفع مجلس الإدارة بشجاعة إلى الأمام لتقديم التماس، هل يستطيع؟

مع هذه الفكرة زالت نبرة الفظاظة من صوته، بعدها تنفس الصعداء، وأجاب: "ما الأمر الذي يخصنا والمتعلق بالحكومة؟ إن تساي قونغ هو الوحيد الملام".

أجاب المحاسب يو: "ومن اختار تساي قونغ لهذا العمل؟ الحكومة! ألم يكن تشن يانشي الذي أحضر تساي قونغ كمساهم رئيسي لأجل مصلحة الحكومة؟ في حال لم تتحمّل الحكومة المسؤولية؟ من سيفعل؟".

أجاب تشينغ شيبو: "حسنا، دعنا نذهب ونتحدث إلى تشن يانشي أولا، ونرى ماذا يفكر تشن الكبير".

أجاب المحاسب يو: "أعرف بماذا يفكر تشن؟ إن الأمر ليس كامتلاك منصب رسمي في الحكومة، أيا كان لا جدوى منه".

رد تشينغ شيبو قائلا: "لكن تشن السابق على وفاق جيد مع السكرتير شا من لجنة الحزب الإقليمية". فكر مليا. "لقد أتى السكرتير شا شخصيا مؤخرا ومزق الأختام من الورشة واحدا تلو الآخر".

قال المحاسب يو: "هذا هو السبب وراء تقديم التماس للحكومة كمجموعة، إذا لم يحرك الأمور، هل لجنة الحزب الإقليمية ستنتبه إلينا؟!". رأى تشينغ شيبو أن هذا صحيح. بدون وقوع حريق مروع في ليلة 916 لم يكن من المحتمل أن يحصل الرجال جميعهم في المصنع بالكامل على تعويض إنهاء خدمتهم، كان مترددا في كثير من الأحيان وقال: "هل سنذهب لنقدم العريضة كمجموعة فقط لمرة واحدة؟".

يجب طرق الحديد وهو ساخن. أرغمه المحاسب يو قائلا: "لا تثبط عزيمتك، ماذا لو استرجعت حقوقنا؟ ألست محرجا من رغبتك فقط بالاستمتاع بحقوقك من دون أن تتعرض للأذى. أيها العجوز تشينغ أنت رئيس نقابة عمال مصنعنا ولست مفسدا للإضراب".

علم تشينغ شيبو أن المحاسب يو كان يحاول أن يجعله يستشيط غضبا، ولكنه انسحب بصورة غريزية مجيبا أنه سبق له أن كان مفسدا للإضراب، وهو غير مهتمّ. مع ذلك كان المحاسب يو بارعا جدا في المذاهب السياسية وقال: "أيها العجوز تشينغ كيف لم تسطع أن تحصل عليها؟ أن تضع نفسك في مكان الحكومة، لكن هل الحكومة تضعك بعين الاعتبار، انظر إلى الفساد الذي تزرعه الحكومة في المسؤولين، إنهم يختلسون مئات الملايين وحتى المليارات، ألم تسمع بذلك؟ تشاو ليتشون وابنه اختلسا أكثر من عشرة مليار يوان، قاو يوليانغ اختلس بضعة مليارات، وأرسلوها جميعها إلى ماوراء البحار، الآن لماذا لا نستطع أن نعيد مكاسبنا وأرباحنا".

كانت إشارة المحاسب يو كشعلة نار أضرمت في قلب تشينغ شيبو. من الجيد أن تقوموا بتعويضهم بدلا من ترك المسؤولين الفاسدين باختلاس نقود الحكومة.

بالرغم من ذلك لم يناقش تشينغ شيبو مجددا، فقد أغمض عينيه وأقصى نفسه. ركب دراجته حيث كان المحاسب يو قد جاء ليقلّه ويذهبا سوية. مدحه المحاسب بطريقة يستحقها، وكان مبتهجا لكونه قائد العمال.

شعر تشينغ شيبو بالخجل بالرغم من أنه لم يكن يبدو قائدا للعمال. لكن مثل آه كيو من ليو شان رواية (القصة الحقيقية لآه كيو) العصيان؟ إنه مضحك! مجموعة من المتمردين سيأتون مرتدين خوذات وأدرع بيضاء منادين آه كيو تعال معنا. ثم، سآتي معكم ضحك على هذه الفكرة. أدار المحاسب يو رأسه وتساءل: "أيها العجوز تشينغ ما المضحك؟". لم يعطه تشينغ شيبو أي تفسير، فقد أجابه: "أبقِ عينيك على الطريق، أنت لن تفهم حتى لو أخبرتك...".

ترجل تشينغ شيبو عن دراجة المحاسب يو على قمة زقاق سانتيو، أقل من مئتي متر من بوابة الحكومة المحلية، وقال المحاسب يو إنه نفسه لم يستطع التقدم إلى الأمام. إذا فعل سيكون قد استغنى عن روحه. كانت التعليمات قد أعطيت لمدير تشينغ.

يجب على القيادة الحالية الإسراع في عدم التخلي عن نفسها مقابل الخطوط الأمامية. قال تشينغ شيبو: "حسنا، حسنا، عودوا بسرعة". قال مشاورا عقله: حالما تضيعون، سأعود إلى المنزل لأستريح. لكن كما بدا كان المحاسب يو مستعدا منذ فترة طويلة لهذه الخدعة، على الرغم أنه لم يرد التخلي عن نفسه، لكنه لم يجرؤ على المغادرة، بل عوضا عن ذلك كان قد شاهد تشينغ شيبو حقا بلا فائدة وبلا خيارات يتقدّم للأمام كأنه يمشي نائما.

في يوم العطلة كان زقاق سانتيو مكتظا بالجدات والأجداد المتقاعدين من مصنع دافنغ الذين كانوا مقادين بتدريب قائد السابق لفريق الأمن وانغ وينغ. لقد أراد تشنغ شيبو في الأصل تتبع الحشد خلسة والذهاب فقط في نزهة عابرة، لكن لدهشته قام المحاسب يو بالتخلي عنه بلا أي رحمة.

صرخ الرجل فجأة من ورائه من غير أن يبدي أي اعتبار: "أنتم، انظروا جميعكم، جاء الرئيس تشينغ من اتحادنا العمالي أيضا".

الآن بدأ يواجه المتاعب. بدا كما لو أن الجدات والأجداد المتجمّعين في بداية الزقاق قد رأوا ركيزتهم الأساسية، صوت بعد صوت بدأوا بالهتاف، "الرئيس تشينغ". تنحّوا بشكل منظّم لإفساح المجال له، وقاموا بدفعه إلى مقدّمة صف الملتمسين.

تمكّن وانغ وينغ من قراءة الوضع بشكل جيد وكان عبارة عن شخص مطيع نتن. على الفور أعطاه لافتة وطلب منه أن يرفعها، الكلمات الكبيرة على الإشارة المقلقة كانت - إن الحكومة الشعبية وجدت من أجل الناس، أعيدوا لعمّال مصنع دافنغ أموالهم التي حصلوا عليها بشق الأنفس.

لم ير تشينغ شيبو أن ذلك كان لائقا. منذ متى كانت الحكومة مدينة لعمال مصنع دافنغ؟ لم يكن ذلك منطقيا. رفض حمل اللافتة. واضطر وانغ وينغ إلى حملها بنفسه، وقد عمد إلى رفعها فوق رأس تشينغ شيبو، حتى يعلم الناس بنظرة واحدة أن تشينغ هو الذي يقود الملتمسين.

في الواقع، علم تشينغ شيبو أن قائد حملة الملتمسين هو تشانغ تيزوي، عامل صيانة متقاعد. ومع ذلك قال وانغ وينغ أن عصر تشانغ تيزوي قد انتهى. بعد احتجاز تشانغ تيزوي ثلاث مرات، لم تقبل الحكومة بالتحدّث إليه؛ كانوا يتحدثون فقط مع ابنه الذي يعمل موظفا في البلدية ومع زوجة ابنه. كان ابن تشانغ تيوزي وزوجة ابنه قد توليا الحراسة وكانا يبقيان الرجل العجوز تحت مراقبة أكثر صرامة من الشرطة.

عندئذ فقط استلم وانغ وينغ القيادة، وبدأ يسخر من نفسه لكونه الجديد الذي استبدل القديم. ذلك الجديد كان طويلا وكبيرا، كمعبد باغودا حديدي. كان وجهه قد احترق ليلة 916 ما جعله يبدو أكثر وحشية في الوقت الحاضر. وقال إنه سيكون حارس تشينغ شيبو الشخصي، لكنه لم يبد مثل حارس شخصي. على عكس ذلك تماما، بدا مثل خاطف إلى حد ما.

كان هذا الخاطف يمسك بلافتة سخيفة في يده، وكان متمسكا بذراع تشينغ شيبو باليد الأخرى، قابضا على ذراع تشينغ شيبو بشدّة لدرجة أنه كان يؤلمه كثيرا. هكذا خرج تشينغ شيبو، جزء منه على استعداد وجزء ليس راغبا بذلك، من زقاق سانتيو. في ذلك اليوم، كان الوضع حماسيا حقا أمام أبواب مجلس الحكومة. في نفس الوقت، كانت هناك ثلاث مجموعات مختلفة من الملتمسين، وكانت صفوف مقدمي الالتماسات زاخرة بالعمال من مجموعة جينغتشو للحديد والصلب بأكثر من ألف شخص.

والمجموعة الأخرى تتألف من صفوف من ضحايا جمع الأموال عددهم مئة شخص أو نحو ذلك. ثم كانت هناك صفوف من معمل دافنغ المساهمين الموظفين. بدا أن الشرطة قد تلقّت الأمر في

وقت مبكّر؛ حيث إنهم قد احتشدوا في الساحة أمام مدخل الحكومة البلدية، مجهزين بدروع لمكافحة الشغب.

كان وانغ وينغ متظاهرا محنّكا بشكل نسبي. قاد المجموعة، وجذب تشينغ شيبو إلى الأمام كما قال بطريقة تبعث على الراحة: "سيدي، لا تخف. لن يجرؤ رجال الشرطة على فعل أي شيء لجداتنا وأجدادنا. أسوأ شيء يمكنهم فعله هو دفعنا إلى الخلف بواسطة تلك الدروع...". بسبب الصخب في الأرجاء، لم يتمكن تشينغ شيبو من سماع ما قاله وانغ وينغ.

بينما هم خارجون من زقاق سانتيو، أشعرت بوابة الحكومة الشعبية لبلدية جينغتشو والشعار الوطني المعلق قريبا بمتناول اليد، وكذلك رجال الشرطة ودروع الشغب تشينغ شيبو بإحساس من الرعب.

اعتقد تشينغ شيبو أن العالم وصل إلى مرحلة لا يصدّق فيها. قبل هذا، لم يحلم قط بأن أحد أعضاء الحزب القديم مثله سيظهر أمام الباب المؤدي لبلدية الحكومة الشعبية هكذا. لم يكن يريد أن يقترب من تلك البوابة التي كان الشعار الوطني معلّقا فوقها، ولكنه كان عاجزا تماما. كان تلميذه الطويل القاسي وانغ وينغ يمسك ساعده بقبضة مؤلمة. ومن خلفه، كان الإخوة والأخوات يضغطون عليه في كل خطوة. كان ذاهبا سواء أحب ذلك أم لا...

52

بعد وصوله إلى جينغتشو وتوليه منصب أمين لجنة البلدية للتفتيش التأديبي، لمس يي شويكي بوضوح هالة هائلة من السياسي القوي، لي داكانغ. شعر يي شويكي أنّ قاضي المقاطعة السابق وأمين لجنة الحزب البلدي الحالي كانا متشابهان، لكنهما كانا مختلفين في الوقت نفسه.

على الرغم من أن قاضي المقاطعة لي داكانغ كان مهيمنا، دائما ما راودته بعض الهواجس. وبصفته أمين لجنة الحزب في المقاطعة، على الأقل لي داكانغ لم يتمكن من أن يكون ديكتاتوريا.

بطبيعة الحال، كانت الممارسات الشائعة للكوادر في ذلك الوقت أفضل من الآن. كان لي داكانغ أمين لجنة الحزب البلدي الحالي رجلا يفي بوعده، وكان على اللجنة الدائمة الموافقة وعلى الجميع أن يكونوا موافقين على الأشياء التي يريد تحقيقها.

لسبب ما، لم يكن راغبا بإنهاء الأمور، كان الأمر عديم الجدوى. على سبيل المثال، بعد اعتماد يي تشويكي لمكتبه، عمد إلى اقتراح عقد اجتماع للجنة الدائمة وأن يجروا دراسة موضوعية حول أعمال التفتيش والإشراف التأديبي.

ذكر لي داكانغ الموضوع، وطلب منه أن يقوم ببعض التحقيقات والأبحاث أولا ولا يريده أن يبدأ بالنباح من البداية.

جلس هوى ليانغ بينغ هناك في حالة ذهول، عاجزا عن الكلام لفترة وجيزة. اعتقدت وو هوفين أن طلابها ربما يمتلكون مشاعر متخبطة. ثم نزعت والبروفيسور وممثلي دور الزوج

والزوجة أقنعتهم خلال لحظة. لكن كيف له أن يفهم صعوباتها؟ حيث كانت تعاني بقوة أيضا، بعد فترة، تحسر عليها طلابها. يا للأسف، لو لم يتم نقل البروفيسور إلى خارج الجامعة حينها.

هزت وو هوفين رأسها: "هل تعتقدون أن الجامعة مكان نقي؟ خال من الفساد؟ ألا ترون بأن رئيس الجامعة وأمين سرها من لجنة الحزب لا يزالان يعانيان من المشاكل ذاتها؟". أجابها أحد الطلاب: "بعد كل ما تم قوله وفعله، يوجد إغراءات أقل في الجامعة من الموظفين الرسميين بمعدلات عالية من لجنة الحزب الإقليمي. وبالتالي توجد قوة أقل أيضا".

ردت وو هوفين قائلة: "هذا صحيح".

زادت حماسة الطالب في داخله. "بروفيسور وو، لا يزال هناك بعض الأشياء التي أريد قولها للبروفيسور قاو، لكنني سأخبرك الآن، يرتبط التغيير عند الأستاذ قاو بالحالة المرضية الحالية للمجتمع وقلوب البشر. فقط انظر إلى صديق طفولتي تساي قونغ، إنه مستفيد من العديد من أوجه القصور، لكن الظروف الاجتماعية زادت منها وطورتها. ومن ناحية أخرى، أدت ممارساته غير القانونية إلى تفاقم حالة المجتمع المرضية. تعتبر عواقب مثل هذه الحلقة المفرغة مخيفة فعلا، لقد كافحت الفساد لوقت طويل ممسكا بالمسؤولين الفاسدين، من اليسار ومن اليمين، ثم بدأت أتساءل: أليس هناك من نهاية؟ يصبح المسؤولون مسؤولين فاسدين. ويصبح رجال الأعمال استغلاليين. يقاتل الناس ويتبارون من أجل المصالح التافهة، من سيقول إنهم لن يصبحوا مسؤولين فاسدين في اللحظة التي يضعون فيها أيديهم على السلطة؟ بناء على ذلك، يجب تحويل تربة المجتمع المريضة، ويجب على الجميع أن يبدأ من أعشاش إصاباتهم الخاصة، ويكسر الحلقة المفرغة التي تصيب الأفراد والمجتمع. يجب على كل شخص أن يبدأ بنفسه ويسعى إلى تشكيل امتداد من الأرض النقية...".

بينما كانوا يتحدثون بشكل حركي، كان الوقت قد نفد، رغم أنهم بدوا وكأنهم قد لامسوا الموضوع فقط. انتقدها طالبها بشكل لبق، لكنها وجدت انتقاده لها مقبولا وصادقا. لما لم تخبره من قبل، وأجريا محادثة مناسبة مثل هذه في السابق؟ جعلها التفكير في الأمر تندم على ذلك، لكن بعد فوات الأوان. بدون حساب أي شيء سابق، على أقل تقدير كان بإمكانها التحدث معه بعد أن تم نقل هوى ليانغ بينغ منذ خمسة أشهر، ولكن المرة تلو الأخرى كانت تقوم بأشياء من وجهة نظر أحد المغرورين الراقيين، وهي تمارس دور زوجة رئيس لجنة حزب المقاطعة الجيدة وتساعد قاو يوليانغ في تغطية الشقوق على جداره السياسي المتداعي. يمكن للناس أن يفتحوا قلوبهم بشأن بعض الخلفيات.

لطالما كانت مولعة بإخلاص بهذا الطالب، وكانت تريد حتى أن تخطب ابنتها له. ولم تعرف بأنه سيصبح حفار زوجها السابق. كانت الصراعات بين العلاقات الإنسانية والواجبات قاسية، حيث يمكن لمجتمع صحي فقط أن يتجنب ويقلل هذا النوع من الصراعات. في هذه الحالة، ألم يكن كل ما فعله طالبها اليوم بالضبط هو من أجل السعي نحو عالم أكثر حبا في المستقبل؟

حمل حقيبة المعلمة الصغيرة، ورافق الطالب معلمته بكل احترام إلى نقطة التفتيش الأمنية. حيث كان أمن الرحلات الدولية شاملا ومملا واستغرق بعض الوقت. بعد أن انتهت وو هوفين من التفتيش، نظرت إلى الوراء لتجد بشكل فاجئ أن الطالب الذي جاء لرؤيتها لم يغادر بعد. كان يقف خارج نقطة التفتيش الأمنية يراقبها. في اللحظة التي استدارت فيها نحوه، لوّح لها بيده، وقد ارتسمت ابتسامة مزعجة في زوايا فمه كما كان من قبل. انتفض قلب وو هوفين على مرأى من الجميع، ولوّحت لطالبها مرة أخرى. ومع ذلك، فقد شعرت بحزن لا إرادي لأنها استدارت نحوه، والدموع التي كانت تنهمر طوال الوقت بصمت صبت عليها حينها مثل فيض من الماء...

53

في النهاية، دائما ما تنكشف الحقيقة. من خلال الخوض بشكل أعمق في القضية اعتقل تشانغ شولي، ظهر ظل على ضفاف بحيرة غوانغمينغ بشكل واضح. فتح ذلك التحقيق التأديبي بعد أن نجح دينغ يجن بالهرب أمام أعين الجميع: من خلال تقديم المزايدات العامة، حصل اثنان من أقارب تشانغ شولي على اثنين من المشاريع الإضافية الضخمة من بحيرة غوانغمينغ من دينغ يجن، ولكن ما هي الانتهاكات القانونية أو انتهاكات الانضباط التي صدرت عن ذلك؟ لهذا السبب قد تعاملوا مع كاي شينجيانغ.

علاوة على ذلك، كانت تلك رغبة تشاو رويلونغ. لفت تشاو رويلونغ انتباه لي داكانغ عن عمد نحو مصنع دافنغ ليقوم بخدمة لقاو شياو تشين.

تحقيقا لهذه الغاية، قدّم تشاو رويلونغ لتشانغ شولي قطعة مجوهرات - ساعة يد سويسرية ثمنها مليون يوان.

خلال فترة التحقيق، كانت قيمة الهدايا والمال الذي قبله تشانغ شولي قد بلغت أكثر من ستة ملايين وسبعمائة ألف يوان.

استشاط شا روجين غضبا وخبط على الطاولة في اجتماع النيابة ولجنة التفتيش التأديبي الداخلي وقال: "إنه شيء فاضح، أيها الرفاق، في حين أن الوزن الهائل لمكافحة الفساد يتخبط مع قوّة لا تقاوم، لا يزال على المسؤولين الفاسدين والممارسات الفاسدة أن تستأصل من جذورها". تجرأ أمين مجلس التفتيش التأديبي في الواقع على الاستفادة من فرصة التحقيق لتلقي الرشاوى من الكوادر التي خالفت القانون والمجرمين الماليين، يظهر التحقيق الأولي أن ثلاثة كوادر وخمسة

رؤساء لخمسة مشاريع مختلفة متورطون في الأمر، يبدو كما لو أنّ تأثير الدومينو الفاسد ليس مجرد مزحة؛ إنه واقع مظلم...

حضر الاجتماع كلّ من هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ مع لجنة أمناء التفتيش التأديبي، رئيس النيابة العامة، ومديري مكتب مكافحة الفساد من المدن المختلفة في مقاطعة إيتش. وقد عقد الاجتماع في مركز التدريب النيابي في مقاطعة إيتش، والذي كان حديقة بيئية تبعد اثني عشر كيلومترا أو ما يقارب ذلك عن جينغتشو. كان المكان منعزلا تماما وصعب الإيجاد بالنسبة إلى الأشخاص العاديين.

قال شا روجين بأسى: "ليس فقط في جينغتشو وبحيرة غوانغمينغ، ولكن وضع الفساد في المحافظة قاتم أيضا. في السنوات الثلاث الماضية، حدث خطأ ما في لجنة الحزب البلدي الأمناء ورؤساء البلديات في ستة من أصل اثنتي عشر مدينة على مستوى المحافظات".

من الكوادر تحت الولاية الإقليمية في المقاطعة بأكملها، هناك حاليا 135 وظيفة شاغرة. على القائمة الأسماء التي تركها تشاو ليتشون، تم تقديم القضايا للتحقيق بشأن ثلث الناس، وشارك خمسون شخصا في شراء وبيع المناصب الرسمية...

كان هوى ليانغ بينغ جالسا في الصف الأمامي لقاعة المؤتمرات، وكان لديه رؤية واضحة للحركة الجسدية والذهنية المرهقة لأمين لجنة الحزب.

في غضون الأشهر الستة الماضية، كان شا روجين قد شاخ بشكل كبير. لقد شاب شعره، كان أشيب عند صدغيه، وقد برزت أقدام الغراب في زوايا عينيه بشكل واضح.

تذكر هوى ليانغ بينغ أنه عندما تولى منصبه، لم يبدُ شا روجين هكذا. كان الشعر على صدغيه أسود فاحما، ولم تكن التجاعيد على زوايا عينيه واضحة جدا. بالطبع، ربما كانت هناك أسباب أخرى.

ربما كان شا روجين قد صبغ شعره فقط عندما جاء لتولي منصبه. ربما هو في عجلة الآن وليس لديه الوقت الكافي لصبغ شعره. لكن أمين لجنة الحزب الإقليمية لم يتمكّن من إخفاء مظهره؛ حيث تمكن هوى ليانغ بينغ من الإحساس بالإنهاك البادي عليه.

كانت مكافحة الفساد وبناء حكومة نظيفة مهمة شاقة ذات طريق طويل لدرجة أنه لم يكن الوقت مناسبا للاحتفال بالنصر. وقد واجه اقتصاد مقاطعة إيتش انخفاضه السريع الأول منذ ثمانية وعشرين عاما. ظهر التراجع السريع الرئيسي نفسه في الربع الرابع بعد استلام شا روجين المكتب.

كان أمين لجنة الحزب الإقليمية هذا صعب المراس، ممارسا القيادة على مقاطعة ضخمة تضم 60 مليون شخص، وهو ما يعادل بلدا أوروبيا كبيرا. لم يكن قد أنهك بعد بل ويعيش حياة مريحة ومبهجة بدلا من ذلك، اعتقد الناس أن ذلك أكثر غرابة. ولم يكن هوى ليانغ بينغ أيضا متعبا.

بدأت قصته في مقاطعة إيتش مع تشاو ديجون، هذا المسؤول التافه الشره. كانت قضية تشاو ديجون لا تزال تتخمر؛ في الوقت الحاضر، مائة وثلاثون شخصا أو نحو ذلك من الذين قدموا أو أخذوا رشاوى من ثماني عشرة مقاطعة وبلدية ومستقلة كانوا متورطين بالفعل. كان مدير مكتب مكافحة الفساد في النيابة العامة في مقاطعة إيتش، وكان هناك كثير من الحالات هنا في مقاطعة إيتش في انتظار أن يتمّ التحقيق فيها. استمرّ المكتب المركزي لمكافحة الفساد في بكين والأخوات النيابة المحلية والبلدية بالاتصال به مرارا للتحقق من الأدلة المتعلقة بالقضية.

كان تشاو ديجون شخصا غريبا أيضا. أصر على أن هوى ليانغ بينغ يؤكد أنه قد قدّم خدمة كبيرة وقال إنه قد سلم كتب الحسابات من تلقاء نفسه...

في تلك اللحظة، غيّر شا روجين الموضوع الذي يتحدث عنه بشكل غير متوقع، وظهر تعبير حزن عميق على وجهه: "أيها الرفاق، بالحديث عن الأمر، هذا يذكّرني برفيق، عضو عادي غير مميز في الحزب. بالأمس فقط، توفي هذا الرفيق القديم، لعل كثير من الرفاق الحاضرين اليوم يعرفونه. كان كادرا متقاعدا في مقاطعتنا، نائب الرئيس التنفيذي السابق للنيابة الإقليمية، الرفيق تشن يانشي".

فجأة ذهل هوى ليانغ بينغ: "ماذا، ماذا؟ توفي تشن يانشي؟ متى حصل هذا؟ كيف كان غير مدرك تماما لشيء كبير كهذا؟ ألم يكن الرجل العجوز في المستشفى طوال هذا الوقت؟ قبل بضعة أيام، زاره في المستشفى. وقال له أنه بخير، وطلب منه العودة والتركيز على التحقيقات. كيف يمكن له أن يغادر فجأة؟ متى كانت الجنازة؟ وماذا بشأن جي تشانغ مينغ، رئيس النيابة، ألم يكن يعرف كذلك؟". كان على النيابة اتخاذ الترتيبات اللازمة للجنازة الرسمية، لذا ربما لم تجر بعد؟

أشاح بعينيه نحو جي العجوز الجالس بالقرب منه، ولكنه اكتشف أنه مصدوم ومرتبك مثله تماما.

أوضح شا روجين الارتباك لكليهما حيث قال: "قلب الرجل العجوز لم يكن جيدا أبدا، وفي الشهر الماضي خلال محادثة مع فريق التفتيش المركزي، وقع حادث لأنه أجهد نفسه. في ذلك اليوم، كانت حياته في خطر. لقد أنقذه العلاج الذي تلقاه في الوقت المناسب في قسم الطوارئ، ولكنّه أصيب بعد ظهر أمس بنوبة قلبية ثانية، وكان الأطباء عاجزين عن فعل أي شيء.

خلال حياته، وقّع تشن يانشي على وصيته مع بعض الآخرين من الرفاق القدامى: سيتم التبرع بجثته بعد الموت، حتى لا يزعج الأجيال القادمة. لهذا بعد أن توفي تشن يانشي، أخذت كلية الطب جثته.

خلال حياته، لم يسع الرجل العجوز أبدا وراء الكسب غير النزيه، حتى أنه باع منزله الوحيد للتبرع بعدة ملايين من عائدات الإسكان إلى صندوق خيري. عندما غادر، لم يخبر أحدا أو يزعج أحدا. لم يحتلّ حتى بوصة واحدة من الأرض على هذا الكوكب...".

اغرورقت عينا هوى ليانغ بينغ بالدموع، وتشوشت رؤيته. لقد فهم؛ فهم كلّ شيء.

بمعنى من المعاني، سقط الرجل العجوز أيضا في ساحة معركة مكافحة الفساد. عندما قدم فريق التفتيش المركزي، وذهب الرجل العجوز للتحدث معهم مرارا وتكرارا. تحدّث وتحدّث، وأثناء محاولة الكفاح من أجل الحقيقة، انفجر دمه الحار عبر هذا القلب العجوز الذي كان قد عانى من مثل هذه الصعوبات، وليس قبل بضعة أيام فقط سمع هوى ليانغ بينغ من تشونغ شياو لي أن تشين يانشي استخدم باستمرار جميع أنواع الأساليب للإبلاغ عن النمر الكبير تشاو ليتشون طيلة اثنتي عشرة سنة.

في خضمّ هذا النضال من أجل الحياة والموت فيما يتعلق بالحزب والدولة، كان الرجل المسن قد أدى واجبه خلال السنوات المتقدّمة من حياته، وعلّق كيس الديناميت على كتفه دون النظر إلى الوراء...

كانت القاعة مهيمنة وقاسية بينما صدح صوت شا روجين العميق في الهواء النقي: "... قبل أسبوع، ذهبت لرؤية تشن يانشي للمرة الأخيرة. في تلك اللحظة، لم أكن أعلم أنها كانت المرة الأخيرة، ولكن بدا أن الرجل العجوز شعر بشيء من الاستياء.

تحمس الرجل العجوز مرة أخرى، وأمسك بيدي وقال: ***بعد سنوات طويلة، استيقظ حزبنا أخيرا؛ حتى الآن، لم يفت الأوان بعد لتنظيف طرق العالم وقلوب البشر"*** .

بدا وجه شا روجين أمامه غير مألوف وضبابيا بينما الدموع تتدفّق على خدّي هوى ليانغ بينغ ثمّ انخفض ببطء نحو الأسفل.

ولكن صوت شا روجين المليء بالعاطفة كان واضحا وهو يدوي في أذنيه.

....

عند انتهاء الاجتماع، عاد هوى ليانغ بينغ وجي تشانغ مينغ إلى المدينة سويا. ذلك الضنك الذي كان في الاجتماع انتقل إلى السيارة، وبقي الاثنان صامتين لفترة من الوقت.

غادرت السيارة الحديقة البيئية، وتلاشت المناطق الخضراء تدريجيا. أمام السيارة، تحوّلت حقول واسعة إلى بحر من اللون الرمادي والبني. كانت الرياح الشمالية الغربية القوية تلتقط العشب والأوراق المتساقطة على جانب الطريق، وتقذفها في جميع الاتجاهات مشكّلة منظرا شتائيا كئيبا أمام السيارة.

تكلم هوى ليانغ بينغ أولا: "لا يمكننا أن نترك العجوز تشين يذهب هكذا؛ لنقم بمراسم تذكارية؟".

هزّ جي تشانغ مينغ رأسه موافقا وقال: "لنقم بها في أقرب وقت ممكن، ونمرر للأمين شا روجين مديحا كبيرا".

أمامهما بدت السماء ملبّدة بالغيوم، وتحرّكت القطع الضخمة من السحب السوداء ببطء، وتسرّب الضوء الأبيض الضعيف من خلال الشقوق.

بعد أن صمت للحظة، تنهّد جي تشانغ مينغ وقال: "ليانغ بينغ، في الواقع، بعد التفكير بالأمر الآن، لديّ أيضا ما أندم عليه. كان هناك بعض الأشياء حول تشاو ليشون التي لم أكن غير مدرك لها، ولكن لم تكن لديّ القوة التي امتلكها العجوز تشين. لو أمكن للجميع أن يكونوا مثل تشن يانشي، لما كان وضع مقاطعة منطقتنا والبيئة السياسية في حالة يرثى لها".

نظر هوى ليانغ بينغ إلى المشهد خارج النافذة وقال بتردد: "صحيح، صحيح، ومع ذلك، كان الرجل العجوز على حق. لحسن الحظ، استيقظ حزبنا بالفعل. حتى الآن، لم يفت الأوان بعد لتنظيف طرق العالم وقلوب البشر...".

خارج نافذة السيارة، كان الشتاء القاسي قد أزال الألوان الغامضة من الأراضي الشاسعة، كاشفا ألوانا طبيعية من البساطة، مثل الأمّ التي أزالت تبرّجها.

اجتاحت الرياح الشمالية الباردة وأزالت أوراق العشب من الحقول الشاسعة، وضربتها بحافّة الرصيف من وقت إلى آخر. ومع ذلك، ألا يحتوي الخراب البارد في طياته أمل الربيع؟

كلمة ختامية: عن هذا العمل

تكريما لذكرى بلزاك العجوز.

تشاو مايسين

كان بلزاك العجوز مؤلفا جيدا، لكنه لم يكن رجل أعمال جيد. فخلال حياته، عمل في العديد من المهن، من الطباعة إلى صناعة صابون البلسم، وجميعها انتهت بالفشل.

تقلّبات عالم الأعمال أعطت بلزاك طعما جيدا لآلام الإفلاس والإغلاق والتصفية والمعاناة من الديون. من بين المؤلفين الذين عاصروه، لم يمتلك أي منهم الفهم العميق الثاقب والانطباع المتعلّق بالمال كما امتلكه هو. جعلت منه سلسلة من المصائب والإخفاقات أكثر غنى في تجارب الحياة من أي من معاصريه.

تراكمت تلك الخبرات من سوء الحظّ على شكل معرفة واسعة بالنسبة إليه، وفي الوقت المناسب، أعطته لمحة عن مجموعة متنوعة من الألغاز في المجتمع الفرنسي.

لقد رأى كل أنواع الشرور في ازدهار الرأسمالية، وخلق رائعته الكوميديا البشرية. في شبابي، وقعت أسير الأدب بينما كنت في أرض قاحلة ثقافية. ولا أزال لا أستطيع نسيان تلك الكلمات المدوية التي حفرها بلزاك أسفل تمثال نابليون: "سأستخدم قلمي لإنهاء ما لم يستطع إنهاءه بسيفه".

غزا قلم بلزاك العجوز العالم بأسره. تصوّر الكوميديا البشرية شريحة كبيرة من المجتمع خلال الفترة التاريخية للانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية في فرنسا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر. كانت ميزة هذه الفترة الأساسية هي أن المال جاء أولا.

حلّ المال مكان الشرف والألقاب الأرستقراطية، ودخلت البرجوازية الناشئة حديثا الساحة الاجتماعية والسياسية في فرنسا. استخدم الناس جميع أنواع الأساليب والحيل لتحقيق هدفهم في أن يكونوا أثرياء، غير مترددين في استخدام الخداع والابتزاز.

يستخدم بلزاك ملاحظات دقيقة وخبرات عميقة خلال فترات صعود وهبوط الكوميديا البشرية لتصور لنا غوريو، غراندي، راستيغناك، فوترين، وصورة تلو الأخرى من الشخصيات النموذجية الأدبية من أجل وضع أسس للأدب الواقعي النقدي، وتحقيق تأثير عميق وبعيد المدى على الأدب الواقعي للأجيال اللاحقة.

ولدت بعد فوات الأوان، ولم تتسنَ لي فرصة حضور المشهد الاجتماعي لفرنسا خلال التحول، والذي صوره بلزاك قبل مائتي عام، لكني رأيت منظرا مشابها في المراحل الأولى للصين الاشتراكية. كما حدث مع بلزاك، صادفت أيضا حقبة من التغيير السريع وشهدْت الصعود الاقتصادي الكبير لقوّة الشرق العظيمة. وعلاوة على ذلك، كنت مهووسا بعالم الأعمال. خلال شبابي، قبل صدور قانون العقارات، اشتريت أسهما في الإسكان الجماعي ودخلت في مجال التطوير العقاري.

في الوقت الحاضر، أنا أستثمر في سوق الأوراق المالية. بصراحة، كنت أوفر حظا من بلزاك العجوز. على الرغم من أنني حصلت على نصيبي العادل من النكسات والفشل، حتى أنني قدت العائلة إلى الخراب تقريبا، إلاّ أنني لم أكن مثيرا للشفقة مثل بلزاك العجوز. تشاركت في ثمار صعود الصين إلى القمّة. على الرغم من أنني لم أصبح غنيا بسرعة، لكنني حققت الحرية المالية. على الأقل، لا أريد أن أكون مثل بلزاك العجوز، الذي اعتمد على الكتابة ومكافآت المؤلف لدفع ديونه المستحقة. بالطبع، الاعتماد على كتابة الروايات لتسديد ديونك هذه الأيام يكاد يكون مستحيلا. مجرد قدرتك على ملء المعدة هو بالفعل شيء جيد جدا.

لقد فوجئت باكتشاف حقيقة أنّ المال لم يكن أبدا شيئا ممجّدا في التاريخ الصيني: "يمكن للناس في أيامنا هذه أن يخدعوا بعضهم البعض ويسرقوا بعضهم البعض من أجل تحقيق ربح سريع وكي يصبحوا أكثر ثراء. إن العلامة التجارية للمال تحفر على جميع أنواع الأيديولوجيات والآراء

المشكوك فيها. تم تصنيع كلّ شيء بشكل ملحوظ، بما في ذلك التعليم والثقافة والرعاية الصحية. فقد غطى العالم إما الأنانيون الخام أو المصقولون منهم".

المال جاء في المقدّمة. كان الفساد محتقرا أكثر من البغاء؛ والفقر محتقرا أكثر من الفساد بكثير. لقد فسدت طرق العالم وقلوب البشر.

خرج الفساد من كل المستويات، من القادة الوطنيين ودون الوطنيين، الوزراء، والجنرالات نزولا إلى رؤساء الأقسام، رؤساء القطاعات، وعدد قليل من العاملين في المكاتب. كان هناك تيار لا نهاية له من حوادث الفساد، ولم يعد تأثير الدومينو الفاسد نكتة بين الناس، بل أصبح واقعا في الصين الحالية. في هذه اللحظة الحاسمة، نهض الجيل الجديد من القادة مجتمعين لمكافحة الفساد، وربح قلوب الحزب والشعب وجعلهم لا يفعلون شيئا سوى الانتباه.

اعتقد بلزاك أن المؤلف يجب أن يولي اهتماما للحياة الحقيقية، وأن يصبح مؤرخا لعادات مجتمعه. لا يجب عليه تصوير الظواهر الاجتماعية فحسب، بل يجب عليه أيضا توضيح الأسباب الكامنة وراء هذه الظواهر؛ مشيرا إلى الأهمية العميقة للشخصيات والرغبات والحوادث؛ وخلق الشخصيات النموذجّية. حتى أنه أكّد بشكل خاص وأشار إلى أن: "الفن يجب أن يخدم المجتمع. لا يجب أن يصور الفنانون الخطيئة والأخلاق فحسب، بل عليهم الإشارة أيضا إلى الأهمية التعليمية له - يجب على الفنانين أن يكونوا أخلاقيين ورجال دولة في آن واحد...".

لعلّ هذه الآراء هي بالفعل من الطراز القديم في نظر المؤلفين المعاصرين، ولكن حتى يومنا هذا لا أزال أضعهم على وتيرة واحدة. لقد أثّر كتاب بلزاك وآراؤه الواقعية الناقدة على كتابات حياتي. في سنواتي الأولى، كتبت عن التاريخ. اليوم، أكتب عن الواقع: "كل التاريخ هو التاريخ المعاصر، والواقع المعاصر سيصبح في النهاية تاريخا". أعتقد أن أحد الأسباب التي جعلت بلزاك مهما هو سعيه للتفكير الواسع في التاريخ والمجتمع خلال أعماله.

بين عدد لا يحصى من أعمال المؤلفين المعاصرين، كم واحدا منها يملك هذا النوع من التفكير المكثف في المجتمع، النوع الذي تملكه الكوميديا البشرية؟ وكم عدد المؤلفين الذين يأخذون التفكير المكثّف في المجتمع على محمل الجد؟ يعتبر دانر أن وجود الحس العام للأشياء هو دلالة على الفكر المتقدم. لا تتطلّب الرواية الحديثة إحساسا عامّا أو فهما شاملا للأشياء.

لا تتطلّب تجربة من الحياة. كما أنها لا تتطلب التفكير العميق.

بالاعتقاد أن الأمواج العظيمة التي صنعت في مغاسل وأحواض الاستحمام كافية للتطور إلى روايات، فقد خفّضوا الحدّ الأدنى للروايات. وأشار أحد النقاد إلى أنه: "إذا أصبح هذا الوضع سائدا، مما سيصعّب الأمر على الروايات قيامها بتأدية غرضها الثقافي الأصلي، ولن تكون جيدة كما يفترض لها أن تكون. تتطلب الروايات التي تستوعب التفكير المكثف في الواقع الاجتماعي القوة والعظمة".

على سبيل المثال، كتابة باسم الشعب، تتطلب التأمل والرد على فوضى الظواهر السياسية والاجتماعية لهذا العصر، بامتلاك الشجاعة لانتقاد واقع الفساد الكارثي، وتكريس المشاعر النبيلة للإنسان. خلال عملية الكتابة، بقيت صادقا مع المبادئ الواقعية. فأنا ناضلت لاكتشاف أهمية الشخصيات والرموز والحوادث، وبذلت قصارى جهدي لأجسد الشخصيات النموذجية. متقصيا الطبيعة البشرية ومواكبا البيئات التي نمت فيها الشخصيات، وألّفت مصائر معينة للشخصيات، معبّرا عن مشاعر القلب للعديد من الكائنات الحية في مختلف الطبقات الاجتماعية فيما يتعلق بالعصر الحالي.

فيما يتعلق بتصوير نماذج الخير والشر، مثل تصوير هوى ليانغ بينغ، شا روجين، قاو يوليانغ، تشي تونغ وى وشخصيات ذات أوضاع اجتماعية مختلفة، مثل تشينغ شيبو وابنه، تساي قونغ، قاو شياو تشين، وهلمّ جرا - لقد قدمت كل جهد مستمر لزيادة معرض الشخصيات الأدبية في هذه الرواية.

وأقرّ عن طيب خاطر، بأنه لطاما كان لدي عقدة البطل. تصوير هوى ليانغ بينغ، شا روجين، لي داكانغ، يي تشوشي، وتلك الشخصيات كان بالضبط لإحياء عقدة الأبطال الجمالية في قلوب الناس.

عند مراجعة نصّ باسم الشعب أشار الناقد الأدبي، السيد وانغ تشينغ قائلا: "هذا الكتاب وشخصياته البطولية يشكلان انعكاسا بانوراميا للمجتمع، وما يقدمه من استبطان يزودنا برواية من روايات الزمن الجميل الغنية بالمعاني الفلسفية والملحمية، ما من شك أنه عمل راق وجميل".

أشكر السيد وانغ تشينغ على تأكيده الذي أتى في الوقت المناسب.

باسم الشعب هو تكريم لبلزاك وإيديولوجياته الخالدة.

31 كانون الأول 2016